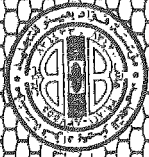


المحافظ ابن كثير

التكملة في تفسير القرآن

منشور من مكتبة المدائن بيروت





المحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ

الْبَدَائِيَةُ وَالنَّهَائِيَةُ

الجزء الأول

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذهبت بشروح
قامت بها هيئة باشراف الناشر

مكتبة المعارف
ص.ب. : ١٧٦١-١١
ببيروت

طبع هذا المجلد نقلاً عن المخطوطة الموجودة في المدرسة الأحمدية
بمدينة حلب، من الجمهورية العربية السورية، بعد أن قارنها جمهورٌ من
المحققين وراجعوها على أمهات الكتب التاريخية وكتب السير الأقدم
منهازماً، والتي تم تحقيقها إلى أن غدت معتمدة لدى الدارسين. وبعد
أن حققوا الفاظها على معاجم اللغة.

مكتبة المحرّاف

بيروت

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة

لناشر

الطبعة الثانية

١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

بيروت - لبنان



الامام عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير قرشي
النسب دمشقيّ الدار توفي سنة ٧٧٤ هـ ، كان مقرئاً متقناً وراويّة للحديث
موثوقاً ، كما كان مفسراً ومؤرخاً معروفاً . وهذا النفس الموسوعي
هو الذي لجمده في كتابه الموسوم « البداية والنهاية » . وفيه يؤرّخ الامام
ابن كثير للمولّد الاسلاميّة حتى زمانه . وهو يقسم مصنّفه الكبير الى
ثلاثة اقسام :

الاول : يورد فيه بدء الخليقة ولمعاً من تواريخ الامم الغابرة حتى
يبلغه العرب في الجاهلية ، ونشأة الرسول (ص) ، ثم الوحي وظهور
هداية الاسلام حتى الهجرة الى مدينة الرسول .

وهو في هذا القسم يعتمد على القرآن الكريم والسنة الشريفة ،
ومن تقدمه من كبار المؤرخين كالطبري وابن عمر والواقدي ، وعلى
اصحاب السير .

والثاني ، يؤرخ فيه للعهد الراشديّ فالملوكة الأموية ، فالعباسية ،
وما بقرع عنها من ممالك ودولات أيام انحطاطها وتدهورها ، والى ما
بعد ان قضى عليها المغول حتى وفاته سنة ٧٧٤ هـ .

اما الثالث : فهو ذكر للآخرة ومظاهر قروب الساعة وعلاماتها
ووعظٌ ديني بمخافة الله ، وجعل ذلك في المجلد الاخير فقط .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأول الآخر ، الباطن الظاهر ، الذي هو بكل شيء عليم ، الأول فليس قبله شيء ،
الآخر فليس بعده شيء ، الظاهر فليس فوقه شيء الباطن ، فليس دونه شيء ، الأزل القديم الذي لم
يزل موجودا بصفات الكمال ، ولا يزال دائما مستمرا بقايا سرمديا بلا انقضاء ولا انفصال ولا زوال .
يعلم دبيب الغلظة السوداء ، على الصخرة الضياء ، في الليلة الظلماء ، وعدد الزمان . وهو العلي الكبير
التمتع ، العلي العظيم الذي خلق كل شيء بقدره تقديرا .

ورفع السموات بغير عمد ، وزينها بالكواكب الزاهرات ، وجعل فيها سراجا وقرآ منيرا
وسوى فوقهن سريرا ، شرجا^(١) عاليا متيفا متنسا مقيا مستديرا . وهو العرش العظيم - له قوائم
عظام ، تحمله الملائكة الكرام ، وتحبته الكروبيون عليهم الصلاة والسلام ، ولهم زجل بالتقديس
والتعظيم . وكذا أرجاء السموات مشحونة بالملائكة ، ويفد منهم في كل يوم سبعون ألفا الى البيت
المعمود بالسما الزاوية لا يعودون اليه ، آخر ما عليهم في تهليل وتحميد وتكبير وصلاة وتسليم .
ووضع الارض للأنام على تيار الماء . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها

في أربعة أيام قبل خلق السماء ، وأثبت فيها من كل زوجين اثنين ، دلالة للالباء من جميع ما يحتاج العباد اليه في شتائمهم وصيغتهم ، ولكل ما يحتاجون اليه ويملكونه من حيران بهميم *
ويبدأ خلق الانسان من طين ، وجعل نسله من سلالة من ماء مهين ، في قرار مكين . فجعله سميما بصيرا ، بعد ان لم يكن شيئا مذكورا . وشرفه بالعلم والتعليم . خلق يده السكرية آدم ابا البشر ، وصور جنته ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته ، وخلق منه زوجه حواء أم البشر فأنس بها وحدته ، وأسكنها جنته ، واسبع عليها نعمته . ثم أهبطهما الى الارض لما سبق في ذلك من حكمة الحكيم . وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، وقسمهم بقدره العظيم ملوكا ورجالا وقراء وأغنياء ، وأحرارا وعبيدا ، وحرار وإماء . وأسكنهم أرجاء الارض ، وطولها والعرض ، وجعلهم مختلفا فيها يخلف البعض منهم البعض ، الى يوم الحساب والعرض على العليم الحكيم . وسخر لهم الأنهار من سائر الاقطار ، تشق الأقاليم الى الأمصار ، ما بين صغار وكبار ، على مقدار الحاجات والأوطار ، وأنبع لهم العيون والآبار . وأرسل عليهم السحاب بالامطار ، فأثبت لهم سائر صنوف الزرع والثمار . وآتاهم من كل ما سألوه بلسان حالهم وقالمهم : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظالم كفار » : فسبحان الكريم العظيم الخليم * وكان من أعظم نعمه عليهم . واحسانه اليهم ، بعد أن خلقهم ورزقهم ويسر لهم السبيل وأنطقهم ، أن أرسل رسله اليهم ، وأنزل كتبه عليهم : مينة حلاله وحرامه ، وأخباره وأحكامه ، وتفصيل كل شيء في المبدأ والمعاد الى يوم القيامة *

فالسعيد من قابل الاخيار بالتصديق والتسليم ، والاوامر بالانقياد والنواهي بالتعظيم . فغاز بالنعيم المقيم ، وزحزح عن مقام المكذبين في الجحيم ذات الزقوم والحميم ، والعذاب الاليم *
أحمده حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ينال أرجاء السموات والارضين ، دائما أبدا الأبدين ، ودهر الدهرين ، الى يوم الدين ، في كل ساعة وآن ووقت وحين ، كما ينبغي لجلاله العظيم ، وسلطانه القديم ووجهه الكريم * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ولا ولد له ولا والد له ، ولا صاحبة له ، ولا نظير ولا وزير له ولا مشير له ، ولا عديد ولا نديد ولا قسيم *

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وحييه وخليته ، المصطفى من خلاصة العرب العرياء من الصميم ، خاتم الانبياء ، وصاحب الحوض الاكبر الزواء ، صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة ، وحامل اللواء الذي يبعثه الله المقام المحمود الذي يرغب اليه فيه اطلق كلمهم حتى الخليل ابراهيم صلى الله عليه وعلى سائر اخوانه من النبيين والمرسلين ، وسلم وشرف وكرم أزكى صلاة وتسليم ، وأعلى تشريف وتكريم . ورضى الله عن جميع أصحابه الغر الكرام ، السادة النجباء الأعلام ، خلاصة العالم بعد الانبياء . ما اختلط الظلام بالضياء ، وأعلن الداعي بالنداء وما نسخ النهار ظلام الليل البهيم *

﴿أما بعد﴾ فهذا كتاب أذكر فيه بمون الله وحسن توفيقه ما يسره الله تعالى بحوله وقوته من ذكر مبدأ الخلوقات : من خلق العرش والكرسى والسموات ، والأرضين وما فيهن وما بينهن من الملائكة والجان والشياطين ، وكيفية خلق آدم عليه السلام ، وقصص النبيين ، وما جرى مجرى ذلك الى أيام بنى اسرائيل وأيام الجاهلية حتى تنتهي النبوة الى أيام نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه . فنذكر سيرته كما ينبغي فتشفي الصدور والغليل ، وترجع الداء عن العليل *

ثم نذكر ما بعد ذلك الى زماننا ، ونذكر الفتن والملاحم واشراط الساعة . ثم البعث والنشور وأحوال القيامة ، ثم صفة ذلك وما في ذلك اليوم ، وما يقع فيه من الامور الهائلة . ثم صفة النار ، ثم صفة الجنان وما فيها من الخيرات الحسان ، وغير ذلك وما يتعلق به ، وما ورد في ذلك من الكتاب والسنة والآثار والأخبار المتقولة المقبولة عند العلماء وورثة الانبياء ، الآخذين من مشكاة النبوة المصطفوية المحمدية على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام .

ولسنا نذكر من الاسرائيليات الا ما أذن الشارع في قلبه مما لا يخالف كتاب الله ، وسنة رسوله (ص) ، وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب ، مما فيه بسط لمختصر عندنا ، أو تسمية لمهم ورد به شرعنا مما لا فائدة في تعيينه لنا فنذكره على سبيل التحلى به لا على سبيل الاحتياج اليه والاعتماد عليه . وانما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسول الله (ص) ، ما صح قلبه أو حسن وما كان فيه ضعف نيته . وبالله المستعان وعليه التكلان . ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم العلي العظيم *
 فقد قال الله تعالى في كتابه (كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا)
 وقد قص الله على نبيه (ص) ، خبر ما مضى من خلق الخلوقات ، وذكر الامم الماضين ، وكيف فعل بأوليائهم ، وماذا أحل باعدائهم . وبين ذلك رسول الله (ص) ، لأمته يا نا شافيا ، سنورد عند كل فصل ما وصل اليناعته ، صلوات الله وسلامه عليه . من ذلك تلو الآيات الواردة (١) في ذلك فأخبرنا بما نحتاج اليه من ذلك ، وترك ما لا فائدة فيه مما قد يتراحم على علمه ويتراجم في فهمه طوائف من علماء أهل الكتاب مما لا فائدة فيه لكثير من الناس اليه . وقد يستوعب قلبه طائفة من علمائنا ولسنا نحذو حذوهم ولا ننحو نحوهم ولا نذكر منها الا القليل على سبيل الاختصار . وبنين ما فيه حق بما وافق ما عندنا ، وما خالفه فوقع فيه الانكار *

فاما الحديث الذي رواه البخارى رحمه الله في صحيحه عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن رسول الله (ص) قال « بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ، وحدثوا عنى ولا تكذبوا عنى ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » فهو محمول على الاسرائيليات المسكوت عنها

(١) أى بذكر الاحاديث عقب الآيات

عندنا. فليس عندنا ما يصدقها ولا ما يكذبها ، فيجوز روايتها للاعتبار . وهذا هو الذي نستعمله في كتابنا هذا * فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا إليه استغناء بما عندنا . وما شهد له شرعنا منها بالبطلان فذلك مردود لا يجوز حكايته ، الا على سبيل الانكار والابطال *
 فإذا كان الله ، سبحانه وله الحمد ، قد أغنانا برسولنا محمد ، (س) عن سائر الشرائع ، وبكتابه عن سائر الكتب ، فلسنا نترامى على ما بأيديهم مما وقع فيه خبط وخط ، وكذب ووضع ، وتحريف وتبديل ، وبعد ذلك كله نسخ وتغيير *

فالمحتاج اليه قد بينه لنا رسولنا ، وشرحه وأوضحه . عرفه من عرفه ، وجهله من جهله . كما قال علي بن أبي طالب « كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبا ما بعدكم ، وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله » وقال أبو ذر ، رضي الله عنه : « لقد توفي رسول الله (س) ، وما طائر يطير بجناحيه الا أذكرنا منه علما » وقال البخاري في كتاب بدء الخلق ، وروى عن عيسى بن موسى غنجار عن رقية عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال « سمعت عمر بن الخطاب يقول قام فينا رسول الله (س) ، مقاما فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم . وأهل النار منازلهم » حفظ ذلك من حفظه ونسبه من نسبه « قال أبو مسعود الدمشقي في اطرافه هكذا قال للبخاري ، وإنما رواه عيسى غنجار عن أبي حمزة عن رقية ، وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله في مسنده : حدثنا أبو عاصم ^(١) حدثنا عذرة بن ثابت ، حدثنا علباء بن أحرم اليشكري : حدثنا أبو زيد الانصاري ، قال قال : صلى بنا رسول الله (س) ، « صلاة الصبح ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت الظهر ، ثم نزل فصلى الظهر . ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى العصر . ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان ، وما هو كائن فاعلمنا أحفظنا »

افرد باخرجه مسلم فروده في كتاب الفتن من صحيحه عن يعقوب بن ابراهيم الدورقي وحجاج بن الشاعر ، جميعا عن أبي عاصم الضحاك بن محمد النبل عن عذرة عن علباء عن أبي زيد عمرو بن أخطب بن رفاعة الانصاري رضي الله عنه عن النبي (س) ، بنحوه



قصة الخلق

قال الله تعالى في كتابه العزيز « الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل » فكل ما سواه تعالى فهو مخلوق له ، مربوب مدبر ، مكوّن بعد أن لم يكن محدث بعد عدمه . فالعرش الذي هو سقف المخلوقات الى ما تحت الثرى ، وما بين ذلك من جامد وناطق الجميع خلقه ، وملكه وعبيده وتحت قهره وقدرته ، وتحت تصرفه ومشيتته « خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام . ثم استوى على العرش . يعلم ما يلج في الأرض ، وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يرح فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير »

وقد أجمع العلماء قطبة لايشك في ذلك مسلم أن الله خلق السموات والأرض ، وما بينهما في ستة أيام كما دل عليه القرآن الكريم . فاختلوا في هذه الأيام أمي كأبنا هذه أو كل يوم كألف سنة مما تعدون ؟ على قولين كما بينا ذلك في التفسير ، وستعرض لايزاده في موضعه . واختلوا هل كان قبل خلق السموات والأرض شيء مخلوق قبلها . فذهب طوائف من المتكلمين الى انه لم يكن قبلها شيء وأنها خلقتنا من الصدم المحض . وقال آخرون بل كان قبل السموات والارض مخلوقات أخر لقوله « وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء » الآية . وفي حديث عمران ابن حصين كما سياتي « كان الله ولم يكن قبله شيء وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض » وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة حدثنا أبو يعلى ابن عطاء عن وكيع بن حُدس عن عمه أبي رزين قتيب بن عامر العقيلي أنه قال « يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال كان في عمامة مافوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء » ورواه عن يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة به . ولفظه أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ وبقية سواء . وأخرجه الترمذي عن أحمد بن منيع وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ومحمد بن الصباح ثلاثهم عن يزيد بن هرون ، وقال الترمذي حسن . واختلف هؤلاء في أيها خلق أولا ؟ فقال قائلون خلق القلم قبل هذه الاشياء كلها ، وهذا هو اختيار ابن جرير ، وابن الجوزي ، وغيرهما قال ابن جرير ، ويسد القلم السحاب الرقيق . واحتجوا بالحديث الذي رواه الامام أحمد ، وأبو داود والترمذي عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه : قال قال رسول الله (ص) « إن أول ما خلق الله القلم . ثم قال له اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » لفظ أحمد . وقال الترمذي حسن صحيح غريب . والذي عليه الجمهور فيما نقله الحافظ أبو العلاء المهداني وغيره (أن العرش مخلوق قبل ذلك) وهذا هو الذي رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس كما دل على ذلك الحديث الذي رواه

مسلم في صحيحه . حيث قال : حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب أخبرني
أبرهان الخولاني عن أبي عبد الرحمن الجبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله
(ص) يقول « كذب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال
وعرشه على الماء » قالوا فهذا التقدير هو كتابته بالقلم المقادير . وقد دل هذا الحديث أن ذلك بعد خلق
العرش فثبت تقديم العرش على القلم الذي كتب به المقادير كما ذهب إلى ذلك الجماهير . ويحمل حديث
القلم على أنه أول المخلوقات من هذا العالم . ويؤيد هذا ما رواه البخاري عن عمران بن حصين : قال
قال أهل اليمن لرسول الله (ص) « جئناك لنتفتحه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر فقال كان الله
ولم يكن شيء قبله * وفي رواية معه ، وفي رواية غيره « وكان عرشه على الماء . وكسب في الذكر كل شيء
وخلق السموات والأرض » وفي لفظ : ثم خلق السموات والأرض . فسأله عن ابتداء خلق السموات
والأرض . ولهذا قالوا جئناك نسألك عن أول هذا الأمر فأجابهم عما سألوا فقط . ولهذا لم يخبرهم
بخلق العرش كما أخبر به في حديث أبي رزين المتقدم . قال ابن جرير وقال آخرون « بل خلق الله
عز وجل الماء قبل العرش » رواه السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن
مرة عن ابن مسعود وعن نلس من أصحاب رسول الله (ص) : قالوا « ان الله كان
عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء » وحكى ابن جرير عن
محمد بن اسحاق أنه قال « أول ما خلق الله عز وجل النور والظلمة
ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلاً أسود مظلماً ، وجعل النور نهاراً مضيئاً
مبصراً » قال ابن جرير وقد قيل « ان الذي خلق ربنا بعد القلم
الكرسى . ثم خلق بعد الكرسي العرش . ثم خلق بعد
ذلك الهواء والظلمة . ثم خلق الماء فوضع عرشه
على الماء » والله سبحانه وتعالى أعلم .

فَضْرِبْ نَمَائِزَ الْبَلَدِ

فيا ورد في صفة خلق العرش والكرسي . قال الله تعالى « رفيع الدرجات ذو العرش » وقال تعالى
« فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم » وقال الله « لا إله إلا هو رب العرش
العظيم » وقال « وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد » . وقال تعالى « الرحمن على العرش استوى »
وقل « ثم استوى على العرش » في غير ما آية من القرآن ، وقال تعالى « الذين يحملون العرش ومن
حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما »

وقال تعالى « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » وقال تعالى « وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » وفي الدعاء المروي في الصحيح في دعاء الكرب « لا إله إلا الله العظيم الحليم . لا إله إلا الله رب العرش الكريم . لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم » . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الززاق حدثنا يحيى بن الملاء عن عمه شعيب بن خالد حدثني سمالك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف ابن قيس عن عباس بن عبد المطلب قال كنا جلوساً مع رسول الله (ص)، بالطحاء فمرت سحابة فقال رسول الله (ص)، « أتدرون ما هذا قال قلنا السحاب قال والمزن قال قلنا والمزن قال والمنان قال فسكنا فقال هل تدرون كم بين السماء والأرض قال قلنا الله ورسوله أعلم . قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وكشف كل سماء^(١) مسيرة خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلى كما بين السماء والأرض . ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبين واخلافهن كما بين السماء والأرض ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلى كما بين السماء والأرض والله فوق ذلك وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء » . هذا لفظ الامام أحمد . ورواه أبو داود وابن ماجة والترمذي من حديث سمالك بأسناده نحوه . وقال الترمذي هذا حديث حسن ، وروى شريك بعض هذا الحديث عن سمالك ووقفه ولفظ أبي داود « وهل تدرون بعد ما بين السماء والأرض ؟ قالوا لا ندرى » قال « بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتين أو ثلاثة وسبعون سنة » والباقي نحوه . وقال أبو داود حدثنا عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن المثني ومحمد بن بشار ، وأحمد بن سعيد الزبلي قالوا حدثنا وهب بن جرير . قال أحمد كتابناه من نسخته وهذا لفظه . قال حدثنا أبي قال سمعت محمد بن اسحاق يحدث عن يعقوب بن عقبة عن جبير بن محمد بن جبير ابن معلم عن أبيه عن جده قال أتى رسول الله (ص)، اعرابي فقال يا رسول الله جهدت الأفس وجاعت العيال^(٢) ونهكت الإه وال وهلك الأنعام . فاستسق الله لنا فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك » قال رسول الله (ص)، « ويحك أتندرى ما تقول » وسبح رسول الله (ص)، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه . ثم قال « ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك ويحك أتندرى ما الله إن عرشه على سمواته هكذا » وقال بأصابعه مثل القبة عليه وإنه ليخط به أطيظ الزحل بالراكب . قال ابن بشار في

(١) قوله وكشف كل سماء بالثين المعجبة . والذي في مسند الامام أحمد المطبوع بمصر كيف بلباء التحية . وفي العيني على البخاري منسوبا الى كتاب العرش لابن أبي شيبة . وكشف كل سماء بالباء المثناة . وهذا هو الصواب (٢) قوله وجاعت العيال هكذا في النسخ التي بأيدينا وفي نسخة أبي داود التي بأيدينا وضاعت العيال (محمود الامام)

حديثه « أن الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته » وساق الحديث . وقال عبد الأعلى وابن المنني وابن بشار عن يقوب بن عقبة وجبير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده : قال أبو داود والحديث بإسناد أحمد بن سعيد وهو الصحيح . واقفه عليه جماعة منهم يحيى بن معين وعلي بن المديني ورواه جماعة منهم عن ابن اسحاق كما قال أحمد أيضاً ، وكان شماع عبيد الأعلى وابن المنني وابن بشار في نسخة واحدة فيما بلغني . تفرد بإخراجهما أبو داود ، وقد صنف الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقي جزءاً في الرد على هذا الحديث . سماه (بيان الهم والتنخيط الواقع في حديث الأوطي) واستفرغ وسعه في الطعن على محمد بن اسحاق بن بشار راويه . وذكر كلام الناس فيه ، ولكن قد روى هذا اللفظ من طريق أخرى عن غير محمد بن اسحاق ، فرواه عبيد بن حميد وابن جرير في تفسيريهما ، وابن أبي عاصم والطبراني في كتابي السنة لهما ، والبزار في مسنده والحافظ الضياء المتدسي في مختارته من طريق أبي اسحاق السبيعي عن عبد الله بن خليفة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال « أتت امرأة إلى رسول الله (ص) ، فقالت ادع الله أن يدخلني الجنة قال فعظم الرب تبارك وتعالى وقال « ان كرسيه وسع السموات والارض وإن له أطيافاً كأطياف الزحل الجديد من قهله . عبد الله بن خليفة هذا ليس بذلك المشهور . وفي سماعه من عمر بن الخطاب . ثم منهم من يرويه موقوفاً ومرسلاً ، ومنهم من يزيد فيه زيادة غريبة والله أعلم *

وثبت في صحيح البخاري عن رسول الله (ص) ، أنه قال « إذا سلم الله الجنة فسلوه الفردوس فانه أعلى الجنة وأوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن » . يروى وفوقه بالفتح على الظرفية ، وبالضم . قال شيخنا الحافظ المزني وهو أحسن : أي وأعلها عرش الرحمن . وقد جاء في بعض الآثار (أن أهل الفردوس يسمون أطياف العرش وهو تسديحه وتعظيمه) وما ذاك الاقربهم منه . وفي الصحيح أن رسول الله (ص) قال « لقد اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ . وذكر الحافظ بن الحافظ محمد ابن عثمان بن أبي شيبة في كتاب صفة العرش عن بعض السلف « أن العرش مخلوق من باقوتة حمراء بعد ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة » وذكرنا عند قوله تعالى « تمرح الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة » أنه بعد ما بين العرش الى الأرض السابعة مسيرة خمسين الف سنة واتساعه خمسون الف سنة . وقد ذهب طائفة من أهل الكلام الى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه يحيط بالعالم من كل جهة ولذا سموه الفلك التاسع والفلك الأطلس والأثير . وهذا ليس بحيد لانه قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة ، والفلك لا يكون له قوائم ولا يحمل ، وأيضا فانه فوق الجنة والجنة فوق السموات وفيها مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فالبعد الذي بينه وبين الكرسي ليس هو نسبة فلك الى فلك . وأيضا فلن العرش في اللغة عبارة عن الدربر

الذي للملك كما قال تعالى (ولها عرش عظيم) . وليس هو فلسكا ولا تفهم منه العرب ذلك . وانقرآز
 إنما نزل بلغة العرب فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ، وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات
 قال الله تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين
 آمنوا) وقد تقدم في حديث الأوعال أنهم ثمانية ، وفوق ظهورهن العرش ، وقال تعالى (ويحمل
 عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) وقال شهر بن حوشب « حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون
 سبحانك اللهم ويمحمدك لك الحمد على حملك بعد حملك » وأربعة يقولون « سبحانك اللهم ويمحمدك لك
 الحمد على عفوك بعد قدرتك » فأما الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا عبد الله بن محمد هو أبو بكر
 ابن أبي شيبة ، حدثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن اسحاق عن يعقوب بن عقبة عن عكرمة عن ابن
 عباس أن رسول الله (ص) ، صدق أمية يعني ابن أبي الصلت في يتين من شعره فقال
 زَجَلٌ وثورٌ تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد
 فقال رسول الله (ص) ، صدق . فقال

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء مطلع لونها متورد
 تأتي فلا تبدو لنا في رسلها إلا معذبةً والا تجلد

فقال رسول الله (ص) ، « صدق » فانه حديث صحيح الاسناد رجاله ثقات . وهو يقتضى أن
 حملة العرش اليوم أربعة ، فيعارضه حديث الأوعال . اللهم الا أن يقال إن اثبات هؤلاء الأربعة على
 هذه الصفات لا ينفى ما عداهم . والله أعلم . ومن شعر أمية بن أبي الصلت في العرش قوله
 مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسي كبيرا
 بالبناء العالي الذي بهر النا س وسوى فوق السماء سريرا
 شرجماً لا يناله بصر العيون ترى حوله الملائك صوراً

صور جمع أصور وهو المائل العنق لنظره الى العلو^(١) والشرج هو العالي المنيف . والسرير هو العرش في
 اللغة . ومن شعر عبد الله بن رواحة رضى الله عنه الذي عرض به عن القراءة لاسرته حين أمهته بجارتها

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار متوى الكافرينا
 وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا
 وتحمله ملائكة كرام ملائكة الآله مسومينا

ذكره ابن عبد البر وغير واحد من الأئمة . وقال أبو داود حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله
 حدثني أبي حدثنا ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله

(١) قوله لنظره الى العلو كذا بالاصول . والذي في كتب اللغة لتقل حملة (محمود الامام)

أن النبي (ص)، قال «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام. ورواه ابن أبي عاصم^(١) وأفضله محقق الطبر^(٢) مسيرة سبعمائة عام

وَأَسْمَاءُ الْكُرْسِيِّ

فروى ابن جرير من طريق جويبر وهو ضعيف عن الحسن البصرى أنه كان يقول الكرسي هو العرش وهذا لا يصح عن الحسن بل الصحيح عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين أنه غيره وعن ابن عباس وسعيد بن جبير أنهما قالوا في قوله تعالى (وسع كرسيه السموات والأرض) أي علمه والمحموظ عن ابن عباس كما رواه الحاكم في مستدركه . وقال إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه من طريق سفيان الثوري عن عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل . وقد رواه شجاع بن مخلد الفلاس في تفسيره عن أبي عاصم النبيل عن الثوري فجمعه مرفوعا والصواب أنه موقوف على ابن عباس وحكاه ابن جرير عن أبي موسى الأشعري والضحاك بن مزاحم وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير ومسلم البطين وقال السدي عن أبي مالك «الكرسي تحت العرش . وقال السدي السموات والأرض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش» وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه قال «لو أن السموات السبع والأرضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهم الى بعض ما كن في سعة الكرسي إلا بمنزلة الحلقة في المغازة» وقال ابن جرير حدثني يونس حدثنا ابن وهب قال قال ابن زيد حدثني أبي قال قال رسول الله (ص) «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدارهم سبعة أقيت في ترس» قال وقال أبو ذر سمعت رسول الله (ص) يقول «ما الكرسي في العرش إلا كحقة من حديد أقيت بين ظهري فلاة من الأرض» أول الحديث مرسل . وعن أبي ذر متقطع . وقد روى عنه من طريق أخرى موصولا فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني أنبأنا عبد الله بن وهيب المغربي أنبأنا محمد بن أبي سري الاستقلافي أنبأنا محمد بن عبد الله التميمي عن القاسم بن محمد التقفي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري أنه سأل رسول الله (ص) عن الكرسي فقال رسول الله (ص) «والذي نفسي بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحقة ملقاة بأرض فلاة وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة» وقال ابن جرير في تلويحه حدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبي عن سفيان عن الأعمش عن المهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال

(١) وفي نسخة ابن أبي حاتم (٢) (قوله محقق الطبر) كذا بالأصول ولا ندرى له معنى . ولعل

لرواية محقق الطبر أو محقق الطبر (محمود الامام) نقلناه عنه

سئل ابن عباس عن قوله عز وجل وكان عرشه على الماء على أى شئ كان الماء قال على متن الريح قال
والسماوات والارضون وكل ما فيهن من شئ تحيط بها البحار ويحيط بذلك كاه الهيكل ويحيط بالميكال
فيما قيل الكرسي وروى^(١) عن وهب ابن منبه نحوه . وفسر وهب الهيكل فقال شئ من أطراف
السماوات يحدى بالأرضين والبحار كأطناب القسطاط * وقد زعم بعض من ينتسب الى علم الهيئة أن
الكرسي عبارة عن الفلك الثامن الذى يسمونه فلك الكواكب الثوابت . وفيما زعموه نظر لأنه قد
ثبت أنه أعظم من السماوات السبع بشئ كثير ورد الحديث المتقدم^(٢) بان
نسبتها اليه كنسبة حلقة ملقاة بارض فلاة وهذا ليس نسبة فلك الى فلك . فان
قال قائلهم فذبح نمرق بذلك ونسبه مع ذلك فلماذا تقول الكرسي
ليس فى اللغة عبارة عن الفلك وإنما هو كما قال غير واحد من السلف
بين يدي العرش كالمراة اليه . ومثل هذا لا يكون ذلكا . وزعم
أن الكواكب الثوابت مرصعة فيه لا دليل لهم عليه .
هذا مع اختلافهم فى ذلك أيضا كما هو
متردد فى كتبهم والله أعلم

ذكر اللوح المحفوظ

قال الخافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا
ابراهيم بن يوسف حدثنا زياد بن عبد الله عن ليث عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن
عباس أن نبي الله ص . قال « ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفتها من ياقوته حمراء ،
قله نور وكتابه نور لله فيه فى كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ويميت ويمحي ويمز ويذل
ويضل ما يشاء » وقال اسحاق بن بشر أخبرنى مقاتل وابن جرير عن مجاهد عن ابن عباس قال « إن
فى صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله . فمن آمن بالله وصدق بوعد
واتبع رسله أدخله الجنة » قال « واللوح المحفوظ لوح من درة بيضاء . طوله ما بين السماء والأرض :
وعرضه ما بين المشرق والمغرب . وحافته الدر والياقوت ، ودقاه ياقوته حمراء ، وقله نور ، وكلامه
معمود بالعرش ، وأصله فى حجر ملك » وقال أنس بن مالك ، وغيره من السلف « اللوح المحفوظ فى
جبهة اسرافيل » وقال مقاتل هو عن يمين العرش *

(١) قوله وروى اى ابن جرير (٢) (قوله ورد الحديث المتقدم) هكذا بالأصول وهو تعليق لما

قبله فالصواب تصد ورد الخ

ما ورد في حديث السموات والأرض وما بينهما

قال الله تعالى (الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ، وجعل الضلالت والنور ثم الذين كفروا
بربهم يمدلون) وقال تعالى (خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام) فى غير ما آية من القرآن
وقد اختلف المفسرون فى مقدار هذه الستة الأيام على قولين . فالجمهور على أنها كأيامنا هذه . وعن ابن
عباس ، ومجاهد والضحاك ، وكعب الاحبار : ان كل يوم منها كالف سنة مما تعدون . رواه ابن
جرير ، وابن أبى حاتم . واختار هذا القول الامام أحمد بن حنبل فى كتابه الذى رد فيه على الجهمية ،
وابن جرير وطائفة من المتأخرين والله أعلم . وسيأتى ما يدل على هذا القول . وروى ابن جرير عن
الضحاك بن مزاحم ، وغيره أن أسماء الأيام الستة « أبجد هوز حطى كلن سغفص قرشت » وحكى
ابن جرير فى أول الأيام ثلاثة أقوال ، فروى عن محمد بن اسحاق أنه قال « يقول أهل التوراة ابتداء
الله اخلق يوم الأحد ، ويقول أهل الانجيل : ابتداء الله اخلق يوم الاثنين ، وقول نحن المشركو
فيا انتهى الينا عن رسول الله (ص) ابتداء الله اخلق يوم السبت » وهذا القول الذى حكاه ابن
اسحاق عن المسلمين مال " ، طائفة من القهاء من الشافعية ، وغيرهم . وسيأتى فيه حديث أبى هريرة
(خلق الله التربة يوم السبت) والقول بأنه الأحد رواه ابن جرير عن السدى عن أبى مالك ، وأبى
صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن جماعة من الصحابة ورواه أيضا عن عبد الله
ابن سلام ، واختاره ابن جرير . وهو نص التوراة ، ومال اليه طائفة آخرون من القهاء . وهو أشبه بلفظ
الأحد ولهذا كل اخلق فى ستة أيام فكان آخرهن الجمعة فاتخذهن المسلمون عيدهم فى الأسبوع وهو
اليوم الذى أضل الله عنه أهل الكتاب قبلنا كما سيأتى يانه ان شاء الله . وقال تعالى (هو الذى خلق
لكم ماقى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم) وقال تعالى
(قل أنتم كنتم تكفرون) الذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنثادا ذلك رب العالمين وجعل فيها
رواسى من فوقها وبورك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهى
دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائمين . فقضاهن سبع سموات فى يومين ،
وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح ، وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) فهذا يدل على
أن الأرض خلقت قبل السماء لأنها كالأساس للبناء كما قال تعالى (الله الذى جعل لكم الأرض
قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فباركوا لله رب
العالمين) قال تعالى (ألم نجعل الأرض مهادا للجبال أوولادا الى ان قال وبنينا فوقكم سبعا شادا
وجعلنا سراجا وماجا) وقال (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا

من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) أى فصلنا ما بين السماء والأرض حتى هبت الرياح ونزلت الأمطار وجرت العيون ، والأنهار واتمش الحيوان . ثم قال (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون) أى عما خلق فيها من الكواكب الثوابت ؛ والسيارات والنجوم الزاهرات والأجرام النيرات ، وما فى ذلك من الدلالات على حكمة خالق الأرض والسموات كما قال تعالى « وكأين من آية فى السموات والأرض يبرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) فأما قوله تعالى (أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأنخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحائها أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم) فقد تمسك بعض الناس بهذه الآية على تقدم خلق السماء على خلق الأرض . فخالفوا صريح الآيتين المتقدمتين ولم يفهموا هذه الآية الكريمة فان مقتضى هذه الآية أن دحى الأرض واخراج الماء والمرعى منها بالفعل بعد خلق السماء . وقد كان ذلك مقدرًا فيها بالقوة كما قال تعالى (وبارك فيها وقدر فيها أقواتها) أى هيا أماكن الزرع ومواضع العيون والأنهار ثم لما اكمل خلق صورة العالم السفلى والعلوى دحى الأرض فأخرج منها ما كان مودعا فيها فخرجت العيون وجرت الأنهار ؛ ونبت الزرع والثمار ولهذا فسر السحى باخراج الماء والمرعى منها وإرساء الجبال فقال (والأرض بعد ذلك دحائها أخرج منها ماءها ومرعاها) وقوله (والجبال أرساها) أى قررها فى أماكنها التى وضعها فيها وثبتها وأكدها وأطدها وقوله (والسماء بينناها بايد وانا لموسعون ؛ والأرض فرشناها فنعم الماهدون ، ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) بايد أى بقوة . وانا لموسعون ؛ وذلك أن كل ما علا اتسع فكل سماء أعلى من التى تحتهما فهى أوسع منها . ولهذا كان الكرسي أعلى من السموات . وهو أوسع منهن كلهن . والعرش أعظم من ذلك كله بكثير . وقوله بعد هذا (والأرض فرشناها) أى بسطناها وجعلناها مهادا أى قارة ساكنة غير مضطربة ولا مائدة بكم . ولهذا قال (فنعم الماهدون) والواو لا تقتضى الترتيب فى الوقوع . وإنما يقتضى الاخبار المطلق فى اللغة والله أعلم *

وقال البخارى حدثنا عمر بن جعفر بن غياث حدثنا أبى حدثنا الأعمش حدثنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حصين قال « دخلت على النبي (ص) وعقلت ناقتى بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم » قالوا قد بشرتنا فاعطنا مرتين ثم دخل عليه ناس من اليمن فقال « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن ان لم يقبلها بنو تميم » قالوا قد قبلنا يا رسول الله قالوا جئناك نسألك عن هذا الأمر . قال « كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض » فنادى مناد ذهب ناقتك يا ابن الحصين فانطلقت فاذا هى تقطع دونها السراب فوالله لو ددت انى كنت تركتها » هكذا رواه ماهانا وقد رواه فى كتاب المغازى

وكتاب التوحيد وفي بعض الفاظه « ثم خلق السموات والارض » وهو لفظ النسائي أيضا . وقال الامام أحمد بن حنبل حدثنا حجاج حدثني ابن جريج أخبرني اسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال « أخذ رسول الله (ص) بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر خلق خلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل » وهكذا رواه مسلم عن سريج بن يونس وهرون بن عبد الله والنسائي عن هرون ويوسف بن سعيد ثلاثتهم عن حجاج بن محمد المصيصي الاوردي عن ابن جريج به مثله سواء . وقد رواه النسائي في التفسير عن ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني عن محمد ابن الصباح عن أبي عبيدة الجداد عن الأخضر بن مجلان عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة « ان رسول الله (ص) أخذ بيدي فقال يا أبا هريرة « ان الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يوم السابع ، وخلق التربة يوم السبت » وذكر تمامه بنحوه فقد اختلف فيه على ابن جريج وقد تكلم في هذا الحديث على ابن المديني والبخاري والبيهقي وغيرهم من الحفاظ قال البخاري في التاريخ ، وقال بعضهم عن كعب وهو أصح يعني أن هذا الحديث مما سمعه أبو هريرة وتلقاه من كعب الاخبار فانهما كانا يصطحبان ويتجالسان للحديث ، فهذا يحدّثه عن صحفه ، وهذا يحدّثه بما يصدقه عن النبي (ص) ، فكان هذا الحديث مما تلقاه أبو هريرة عن كعب عن صحفه ، فوهم بعض الرواة فجعله مرفوعا الى النبي (ص) ، وأكد رفعه بقوله « أخذ رسول الله (ص) بيدي » ثم في متنه غرابة شديدة . فمن ذلك أنه ليس فيه ذكر خلق السموات ، وفيه ذكر خلق الأرض وما فيها في سبعة أيام . وهذا خلاف القرآن لأن الارض خلقت في أربعة أيام ثم خلقت السموات في يومين من دخان . وهو بخار الماء الذي ارتفع حين اضطرب الماء العظيم الذي خلق من ربذة الأرض بالتدرة العظيمة البالغة كما قال اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله (ص) ، هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات » قال ان الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق انطلق أخرج من الماء دخانا فارفع فوق الماء فسا عليه فسماه سماء * ثم أيس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتحها فجعل سبع أرضين في يومين (الاحد والاثنين) وخلق الأرض على حوت وهو النون الذي قال الله تعالى « نون والقلم وما يسطرون » والحوت في الماء والماء على صفات والصفات على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة في الريح . وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الأرض فتحرك الحوت فاضطرب

فتزلزلت الأرض فأرسي عليها الجبال فقرت . وخلق الله يوم الثلاثاء الجبال وما فيهن من المنافع ؛ وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن وال عمران والخراب وقتق السماء وكانت رتقا فجعلها سبع سموات في يومين الخميس والجمعة . وأما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض فأوحى في كل مساء أمرها . ثم قال خلق في كل مساء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد وم لا يصلمه غيره . ثم زين السماء بالكواكب فجعلها زينة وحفظا يحفظ من الشياطين ؛ فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش . هذا الاسناد يذكر به السدى أشياء كثيرة فيها غرابة وكان كثير منها متلقى من الاسرائيليات . فان كعب الأخبار لما أسلم في زمن عمر كان يتحدث بين يدي عمر بن الخطاب رضى الله عنه بأشياء من علوم أهل الكتاب فيستمع له عمر تأليفاً له ؛ وتعجباً مما عنده مما يوافق كثير منه الحق الذى ورد به الشرع المطهر فلستجاز كثير من الناس نقل ما يورده كعب الأخبار لهذا ؛ ولما جاء من الاذن في التحديث عن بنى اسرائيل لكن كثيراً ما يقع مما يرويه غلط كبير وخطأ كثير * وقد روى البخارى في صحيحه (١) عن معاوية أنه كان يقول في كعب الاخبار (وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب) أى فيما ينقله لأنه يتعمد ذلك والله أعلم *

ونحن نورد ما نورده من الذى يسوقه كثير من كبار الأئمة المتقدمين عنهم . ثم تتبع ذلك من الأحاديث بما يشهد له بالصحة أو يكذبه ويبقى الباقي مما لا يصدق ولا يكذب وبه الاستمان وعليه التكلان قال البخارى حدثنا قتيبة حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن القرشى عن أبى زناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) : « لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتى غلبت غضبى » وكذا رواه مسلم والنسائى عن قتيبة به . ثم قال البخارى

سابعاً وفي سبوع أرضين

وقوله تعالى (والله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمس ينهن لتعلموا ان الله على كل شىء قدير ؛ وان الله قد أحاط بكل شىء علماً) ثم قال حدثنا على بن عبد الله أخبرنا ابن عليه عن على بن المبارك حدثنا يحيى بن أبى كثير عن محمد بن ابراهيم بن الحارث عن أبى سلمة بن عبد الرحمن وكانت بينه وبين ناس خصومة فى أرض فدخل على عائشة فذكر لها ذلك . فقالت يا أبا سلمة

(١) من حديث الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يتحدث رهطاً من قریش بالمدينة . وذكر كعب الاخبار فقال انه كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب.

اجتنب الارض فان رسول الله (ص)، قال « من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين » ورواه أيضا في كذب المظالم ومسلم من طرق عن يحيى بن كثير به * ورواه احمد من حديث محمد بن ابراهيم عن أبي سلمة به ، ورواه أيضا عن يونس عن ابان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عائشة بمثله . ثم قال البخارى حدثنا بشر بن محمد قال أخبرنا عبد الله عن موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه قال قال النبي (ص)، « من أخذ شيئا من الارض بغير حقه خسف به يوم القيامة الى سبع أرضين » ورواه في المظالم أيضا عن مسلم بن ابراهيم عن عبد الله هو ابن المبارك عن موسى بن عقبة به وهو من افراده ، وذكر البخارى ها هذا حديث محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه : قال قال رسول الله (ص)، « الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثني عشر شهرا » الحديث ومراده والله أعلم تقرير قوله تعالى (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) أى فى العدد كما أن عدة الشهور الآن اثني عشر مطابقة لعدة الشهور عند الله فى كتابه الأول فهذه مطابقة فى الزمن كما أن تلك مطابقة فى المسكان . ثم قال البخارى حدثنا عبيد بن اسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أنه خاصته أروى (١) فى حق زعمت أنه اتفقوا لها الى سروان فقال سعيد رضى الله عنه انا اتقص من حقا شيئا ؟ أشهد لسمعت رسول الله (ص)، يقول « من أخذ شبرا من الأرض ظلما فانه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين » ورواه (٢) .

وقال الامام أحمد حدثنا حسن وأبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عبد الله بن لهيعة حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبي عبد الرحمن عن ابن مسعود قال « قلت يا رسول الله أى الظلم أعظم قال ذراع من الأرض ينتقصه المرء المسلم من حق أخيه فليس حصة من الأرض يأخذها أحد الا طوقها يوم القيامة الى قعر الأرض ، ولا يعلم قعرها الا الذى خلقها » تفرد به أحمد ؛ وهذا اسناد لا بأس به . وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله (ص)، قال « من أخذ شبرا من الارض بغير حقه طوقه من سبع أرضين » تفرد به من هذا الوجه وهو على شرط مسلم . وقال أحمد حدثنا يحيى عن ابن مجلان حدثني أبي عن أبي هريرة أن رسول الله (ص)،

(١) أروى بفتح الهزة وسكون الراء وفتح الواو مقصورا وهى بنت أبي أوس .

(٢) (قوله ورواه) يياض بالأصول . وفى البخارى عقب ما تقدم . قال ابن ابى الزناد عن هشام عن أبيه قال قال لى سعيد بن زيد (دخلت على النبي (ص)، انتهى) وهذا تعليق من البخارى يبين لقاء عروة لسعيد والتصريح بإسماعه منه الحديث المذكور فلعل المصنف يريد . ورواه البخارى أيضا بمثله أو نحوه . نقلنا عن (محمود لامام) .

قال « من اقتطع شبرا من الأرض بغير حقه طوقه الى سبع أرضين » تفرد به أيضا وهو على شر مسلم . وقال أحمد أيضا حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة النبي (س) قال « من أخذ من الأرض شبرا بغير حقه طوقه من سبع أرضين » تفرد به أيضا ورواه الطبراني من حديث معاوية بن قرة عن ابن عباس مرفوعا مثله * فهذه الأحاديث كالتواترة اثبات سبع أرضين والمراد بذلك أن كل واحدة فوق الأخرى والتي تحتها في وسطها عند أهل اله حتى ينتهي الأمر الى السابعة وهي صماء لا جوف لها، وفي وسطها المركز وهي قطعة مقدره متوهما وهو محط الأقال ، اليه ينتهي ما يهبط من كل جانب اذا لم يعاوقه مانع . واختلفوا هل هن متراكبا بلا فاصل أو بين كل واحدة والتي تليها خلاء على قولين وهذا الخلاف جار في الافلاك أيضا . والظاهر ان بين كل واحدة والتي تليها خلاء على قولين . وهذا الخلاف جار في الافلاك أيضا . والظاهر أن كل واحدة منهن وبين الأخرى مسافة لظاهر قوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرة مثلهن يتنزل الأمر بينهن) الآية وقال الامام أحمد حدثنا شريم حدثنا الحكم بن عبد الملك عن قتا عن الحسن عن أبي هريرة قال « بينا نحن عند رسول الله (س) اذ مرت سحابة فقال « أتدرون هذه قلنا الله ورسوله أعلم قال العنان وزوايا الأرض تسوقه الى من لا يشكركونه من عباده ولا يدعرون ما هذه فوقكم : قلنا الله ورسوله أعلم قال الرفيع موح مكفوف وسقف محفوظ أتدرون يتسكك وبينها قلنا الله ورسوله أعلم . قال مسيرة خمسمائة سنة . ثم قال أتدرون ما الذي فوقها قلنا الله ورسوله أعلم قال مسيرة خمسمائة عام حتى عد سبع سموات * ثم قال أتدرون ما فوق ذلك قلنا الله ورسوله أعلم قال العرش أتدرون كم بينه وبين السماء السابعة قلنا الله ورسوله أعلم قال مسيرة خمسمائة عام . ثم أتدرون ما هذه تحتكم قلنا الله ورسوله أعلم قال أرض أتدرون ما تحتها قلنا الله ورسوله أعلم قال أزه أخرى أتدرون كم بينهما قلنا الله ورسوله أعلم . قال مسيرة سبعمائة عام حتى عد سبع أرضين ثم وأيم الله لو دليتم أحدكم الى الأرض السفلى السابعة لهبط . ثم قرأ هو الاول والاخر والظاهر والباء وهو بكل شئ عليم ورواه الترمذي عن عبد بن حميد ، وغير واحد عن يونس بن محمد المؤدب . شيان بن عبد الرحمن عن قتادة ، قال حدث الحسن عن أبي هريرة وذكره الا انه ذكر أن يمد ما كل أرضين خمسمائة عام وذكر في آخره كلمة (١) ذكرناها عند تفسير هذه الآية من سورة التلد ثم قال الترمذي هذا حديث غريب من هذا الوجه قال ويروى عن ايوب ويونس بن عبيد وعلى بن

(١) قوله كلمة (أى جملة . ونصها (والذى) نفس محمد بيده لو انكم دليتم رجلا بحبل الى الاراء السفلى لهبط على الله .

أنهم قالوا لم يسمع الحسن من أبي هريرة * ورواه أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره من حديث أبي جعفر الرازي عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة فذكر مثل لفظ الترمذي سواء بدون زيادة في آخره ورواه ابن جرير في تفسيره عن بشر عن يزيد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلًا وقد يكون هذا أشبه والله أعلم . ورواه الحافظ أبو بكر البزار والبيهقي من حديث أبي ذر الغفاري عن النبي (ص) ولكن لا يصح استناؤه والله أعلم *

وقد تقدم عند صفة العرش من حديث الأوعال ما يخالف هذا في ارتفاع العرش عن السماء السابعة وما يشهد له . وفيه وبد ما بين كل سماء من خمسمائة عام ، وكثفتها أي سمكتها خمسمائة عام * وأما ما ذهب إليه بعض المتكلمين على حديث (طوقه من سبع أرضين) أنها سبعة أقاليم . فهو قول يخالف ظاهر الآية والحديث الصحيح وصریح كثير من أفاضله مما يمتد من الحديث الذي أوردناه من طريق الحسن عن أبي هريرة . ثم انه حمل الحديث والآية على خلاف ظاهرها بلا مستند ولا دليل والله أعلم . وهكذا ما يذكره كثير من أهل الكتاب وتلقاه عنهم طائفة من علاننا من أن هذه الأرض من تراب والتي تحتها من حديد والأخرى من حجارة من كبريت والأخرى من كذا فكل هذا إذا لم يخبر به ويصح سنده الى معصوم فهو مردود على قائله . وهكذا الاثر المروي عن ابن عباس انه قال في كل أرض من انطلق مثل ماني هذه حتى آدم كآدمكم و ابراهيم ك ابراهيمكم فهذا ذكره ابن جرير مختصراً واستقصاه البيهقي في الأسماء والصفات وهو محمول ان صح قلده عنه على أنه أخذته ابن عباس رضی الله عنه عن الاسرائيليات والله أعلم *

وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي (ص) قال لما خلق الله الارض جعلت تميد لخلق الجبال فالقاهما عليها فاستقرت فتمجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد . قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد قال نعم النار . قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من النار قال نعم الريح . قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الريح قال نعم ابن آدم يتصدق يمينه يخفيها من شماله تفرد به احمد *

وقد ذكر أصحاب الهيئة اعداد جبال الارض في سائر بقاعها شرقا وغربا ، وذكروا طولها وبد امتدادها وارتفاعها وأوسعوا القول في ذلك بما يطول شرحه هنا . وقد قال الله تعالى « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرايب سود » قال ابن عباس وغير واحد الجدد الطرائق وقال عكرمة وغيره الغرايب الجبال الطوال السود . وهذا هو الشاهد من الجبال في سائر الارض تختلف باختلاف بقاعها وألوانها . وقد ذكر الله تعالى في كتابه الجودي على التعيين وهو جبل عظيم شرق

جزيرة ابن عمر الى جانب دجلة . عند الموصل امتداده من الجنوب الى الشمال مسيرة ثلاثة ايام
 وارتفاعه مسيرة نصف يوم وهو أخضر لأن فيه شجرا من البسوط والى جانبه قرية
 يقال لها قرية الثمانين لسكنى الذين نجوا في السفينة مع نوح عليه السلام
 في موضعها فيما ذكره غير واحد من المفسرين والله أعلم

فصل في البحار والظواهر

قل الله تعالى « وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
 وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألقى فى الارض رواسى أن تميد بهم
 وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون
 وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم » وقال تعالى « وما يستوى البحران هذا عذب فرات
 سائغ شربه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه
 مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » وقال تعالى « وهو الذى مرجح البحرين هذا عذب فرات
 وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا » وقال تعالى مرجح البحرين يلتقيان بينهما برزخ
 لا يبغيان « فالمراد بالبحرين البحر المالح المر وهو الاجاج والبحر العذب هو هذه الأنهار السارحة بين
 أقطار الأمصار لمصالح العباد قله ابن جريج وغير واحد من الأئمة . وقال تعالى « ومن آياته الجوار
 فى البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظلان دواكد على ظهره إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور
 أو يوقهن بما كسبوا ويمنوعن كثير » وقال تعالى « ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليربكم
 من آياته إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور وإذا غشيهم موج كظلل دعوا الله مخلصين له الدين
 فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل خال كفور » وقال تعالى « ان فى خلق
 السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله
 من السماء من ماء فأجيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب
 المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » فامتن تعالى على عباده بما خلق لهم من البحار
 والأنهار فالبحر المحيط بسائر أرجاء الأرض وما ينبت منه فى جوانبها الجميع مالح الطعم مر وفى هذا
 حكمة عظيمة لصحة الهواء اذ لو كان حلوا لآتن الجو وفسد الهواء بسبب ما يموت فيه من الحيوانات
 فكان يؤدى الى تفتان بنى آدم ولكن اقتضت الحكمة البالغة أن يكون على هذه الصفة لهذه المصلحة .
 ولهذا لما سئل رسول الله (ص) عن البحر قال هو الطهور ماؤه الحلى ميتته *

واما الأنهار فقاؤها خلق عذب فرات سائغ شربها لمن أراد ذلك . وجعلها جارية سارحة ينبعها

تعالى في أرض ويسوقها الى أخرى رزقا للعباد . ومنها كبار ومنها صغار بحسب الحاجة والمصلحة . وقد تكلم اصحاب علم الهيئة والتفسير على تعداد البحار والأنهار والكبار وأصول منابها والى ابن ينسب سيرها بكلام فيه حكم ودلالات على قدرة الخالق تعالى ، وأنه فاعل بالاختيار والحكمة - وقوله تعالى « والبحر المسجور » فيه قولان أحدهما ان المراد به البحر الذي تحت العرش المذكور في حديث الاوعال . وانه فوق السموات السبع بين أسفله وأعله كما بين سماء الى سماء ، وهو الذي ينزل منه المطر قبل البعث فتحيا منه الاجساد من قبورها . وهذا القول هو اختيار الربيع بن أنس . والثاني أن البحر اسم جنس يعم سائر البحار التي في الأرض وهو قول الجمهور *

واختلفوا في معنى البحر المسجور قبل المملوء وقيل يصير يوم القيامة نارا تزجج فيحيط باهل الموقف كما ذكرناه في التفسير عن علي وابن عباس وسعيد بن جبير وابن مجاهد وغيرهم . وقيل المراد به المنوع المكفوف المحروس عن أن يطغى فيغمر الارض ومن عليها فيغرقوا . رواه الوالي عن ابن عباس وهو قول السدي وغيره ويؤيده الحديث الذي هوواه الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا العوام حدثني شيخ كان سرايا بالساحل قال « لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب فقال حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول الله (ص) قال « ليس من ليلة الا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله عز وجل أن يتفصح عليهم فيكنه الله عز وجل » ورواه اسحاق بن راهويه عن يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب حدثني شيخ مرابط قال « خرجت ليلة لمحرس لم يخرج أحد من المحرس غيري فأنتيت المينة فصعدت فجعل ينجيل إلى ان البحر يشرف يحاذي برءوس الجبال فعل ذلك مرارا وانا مستيقظ فلقيت أبا صالح فقال حدثنا عمر بن الخطاب ان رسول الله (ص) قال « ما من ليلة الا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله أن يتفصح عليهم فيكنه الله عز وجل في اسناده رجل مبهم (١) والله أعلم وهذا من نعمه تعالى على عباده ان كف شر البحر عن أن يطغى عليهم وسخره لهم ليجعل مرابكهم ليلفوا عليها الى الأقاليم النائية بالتجارات وغيرها وهداهم فيه بما خلقه في السماء والأرض من النجوم والجبال التي جعلها لهم علامات يهتدون بها في سيرهم وبما خلق لهم فيه من اللآلئ والجواهر النفيسة العزيزة الحسنة الثمينة التي لا توجد الا فيه وبما خلق فيه من الدواب الغريسة وأحلها لهم حتى ميتها كما قال تعالى « أحل لكم صيد البحر وطعامه » وقال النبي (ص) « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » وفي الحديث الآخر « أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال » رواه أحمد وابن ماجه وفي اسناده نظر *

(١) - قوله مبهم وفي نسخة متهم ونحن اميل الى « مبهم »

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده «وجلت في كتاب عن محمد بن معاوية البغدادي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رفعه قال «كلم الله هذا البحر الغربي وكلم البحر الشرقي فقال للغربي اني حامل فيك عبادا من عبادي فكيف انت صانع بهم قال أغرقهم . قال بأسك في نواحيك وحرمه الحلية والصيد ؛ وكلم هذا البحر الشرقي فقال اني حامل فيك عبادا من عبادي فما أنت صانع بهم قال أحلهم على يدي ، واكون لهم كالوالدة لولدها فآباه الحلية والصيد * ثم قال لا تعلم أحدا . مارواه عن سهيل الاعدد الرحمن بن عبد الله بن عمر وهو منكر الحديث . قال وقد رواه سهيل عن عبد الرحمن بن ابي عياش عن عبد الله بن عمرو موقوفا . قلت الموقوف على عبد الله بن عمرو بن العاص أشبهه فانه قد كان وجد يوم اليرموك ذاملتين مملوءتين كتبنا من علوم أهل الكتاب فكان يحدث منها بأشياء كثيرة من الاسرائيليات منها المعروف والمشهور والمنسكور والمردود . فأما المعروف ففرد به عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أبو القاسم المدني قاضيا . قال فيه الامام أحمد ليس بشيء وقد سمعته منه * ثم مزقت حديثه كان كذبا وأحاديثه مناكير * وكذا ضعفه بن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والجوزجاني والبخاري وأبو داود والنسائي وقال ابن عدي عامة أحاديثه مناكير وأفظمها حديث البحر *

قال علماء التفسير المتكلمون على العروض والاطوال والبحار والانهار والجبال والمساحات وما في الارض من المدن والخراب والعمارات والاقاليم السبعة الحقيقية في اصطلاحهم والاقاليم المتعددة العرفيا وما في البلدان والاقاليم من الخواص والتبالت وما يوجد في كل قطر من صنوف المعادن والتجارات قالوا الارض مضمورة بالماء العظيم الامتداد الربع منها وهو تسعون درجة والعناية الالهية اقتضت انحصار الماء عن هذا القدر منها لتعيش الحيوانات عليها وتنبت الزرع والثمار منها كما قال تعالى «والارض وضعم للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فبأى آلاء ربكما تكذبان» قالوا المعمور من هذا البادى منها قريب الثلثين منه أو أكثر قليلا . وهو خمس وتسعون درجة . قالوا فالبحر المحيط الغربي ويقال له أوقيانوس وهو الذي يتأخم بلاد المغرب وفيه الجزائر الخالدات وبينها وبين ساحا عشر درج مسافة شهر تقريبا وهو بحر لا يمكن سلوكه ولا ركوبه لكثرة وجه واختلاف ما فيه من الرياح والامواج وليس فيه صيد ولا يستخرج منه شيء ولا يسافر فيه لمتجر ولا لغيره وهو آخذ في ناحية الجنوب حتى يسامت الجبال القمر^(١) ويقال جبال القمر التي منها أصل منبع نيل مصر ويتجاوز خط الاستواء

(١) ضبطه بعض أهل الجغرافية بفتح القاف والميم . والتقات منهم على انه بضم القاف وسكون الميم افاده العلامة المحقق الاستاذ احمد زكي باشا في طبعته لكتاب مسالك الابصار *

ثم يمتد شرقا ويصير جنوبي الارض . وفيه هناك جزائر الزايج وعلى سواحه خراب كثير * ثم يمتد شرقا وشمالا حتى يتصل ببحر الصين والهند * ثم يمتد شرقا حتى يسامت نهاية الأرض الشرقية المكشوفة . وهناك بلاد الصين . ثم ينعطف في شرق الصين الى جهة الشمال حتى يجاوز بلاد الصين ويسامت سد بأجوج ومأجوج . ثم ينعطف ويستدير على أراضي غير معلومة الأحوال * ثم يمتد مغربا في شمال الأرض ويسامت بلاد الروس ويتجاوزها ويمعطف مغربا وجنوبا ويستدير على الأرض ويعود الى جهة الغرب وينبثق من الغربي الى متن الأرض الزقاق الذي يتهى أقصاه الى اطراف الشام من الغرب * ثم يأخذ في بلاد الروم حتى يتصل بالقسطنطينية وغيرها من بلادهم

وينبثق من المحيط الشرقي بحار أخر فيها جزائر كثيرة ، حتى إنه يقال ان في بحر الهند الف جزيرة وسبعائة جزيرة فيها مدن وعمارات سوى الجزائر العاطلة ويقال لها البحر الاخضر فشرقيه بحر الصين وغريه بحر اليمن وشماله بحر الهند وجنوبه غير معلوم *

وذكروا أن بين بحر الهند وبحر الصين جبالا فاصلة بينهما وفيها فجاج يسلك المراكب بينها يسيرها لهم الذي خلقها كما جعل مثلها في البر أيضا قال الله تعالى (وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بكم وجعلنا فيها فججا سبلا لعلكم تهتدون) * وقد ذكر بطليموس أحد ملوك الهند في كتابه المسمى بالمسطى الذي عرب في زمان المأمون ، وهو أصل هذه المعلوم أن البحار المنعجرة من المحيط الغربي والشرقي والجنوبي والشمالى كثيرة جدا . فنها ماهو واحد ، ولكن يسمى بحسب البلاد المتاخمة له . فن ذلك بحر القارم . والقارم قرية على ساحله قريب من أيلة . وبحر فارس وبحر الخزر وبحر ورنك وبحر الروم وبحر بنطش وبحر الأزرق ، مدينة على ساحله وهو بحر القرم أيضا ويتضايق حتى يصب في بحر الروم عند جنوبي القسطنطينية وهو خليج القسطنطينية ، ولهذا تسرع المراكب في سيرها من القرم الى بحر الروم وتبطن اذا جاءت من الاسكندرية الى القرم لاستقبالها جريان الماء . وهذا من العجائب في الدنيا فان كل ماء جار فهو حلوا الا هذا وكل بحر راكد فهو ملح أجاج الا مايد كرعن بحر الخزر وهو بحر جرجان وبحر طبرستان أن فيه قطعة كبيرة ماء حلوا فراتا على ما أخبر به المسافرون عنه .

قال أهل الهيعة وهو بحر مستدير الشكل الى الطول ماهو * وقيل إنه مثلث كالقلع وليس هو متصلا بشئ من البحر المحيط بل منفرد وحده ، وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستائة وقيل اكثر من ذلك والله أعلم

ومن ذلك البحر الذي يخرج منه المد والجزر عند البصرة وفي بلاد المغرب نظيره ايضا يتزايد الماء من أول الشهر ولا يزال في زيادة الى تمام الليلة الرابعة عشر منه وهو المد * ثم يشرع في النقص وهو الجزر الى آخر الشهر * وقد ذكروا تحديد هذه البحار ومبتدائها ومنتهاها وذكروا ما في الأرض

من البحيرات المجتمعة من الأنهار وغيرها من السيول وهي البطائح *
 وذكروا مائى الارض من الأنهار المشهورة الكبيرة؛ وذكروا ابتداءها وانتهاءها ولسنا بصد
 بسط ذلك والتطويل فيه وإنما تتكلم على ما يتعلق بالأنهار الوارد ذكرها في الحديث. وقد قل الله تعالى
 « الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فلخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم
 الفلك لتجروا فى البحر بامره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل
 والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظالم كفار » ففي
 الصحيحين من طريق قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن رسول الله (ص) لما ذكر سدرة
 المنتهى قال فإذا يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران . فاما الباطنان ففي الجنة وأما للظاهران
 فالنيل والفرات * وفي لفظ فى البخارى وعنصرها أى مادتها أو شكلها وعلى صفتها ونعمتها وليس فى
 الدنيا مما فى الجنة الا ساوية (١) وفي صحيح مسلم من حديث عبيد الله بن عمر عن خبيب بن عبد الرحمن
 عن حفص بن عاصم عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال « سيحان وجيحان والفرات والنيل كل
 من أنهار الجنة »

وقال الامام احمد حدثنا ابن نمير ويزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال رسول
 (ص) « فجرت أربعة أنهار من الجنة الفرات والنيل وسيحان وجيحان » وهذا اسناد صحيح على
 شرط مسلم . وكان المراد والله أعلم من هذا ان هذه الأنهار تشبه انهار الجنة فى صفاتها وعذوبتها
 وجرياتها ومن جنس تلك فى هذه الصفات ونحوها كما قال فى الحديث الآخر الذى رواه الترمذى
 وصححه من طريق سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال
 « العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم » أى تشبه نهر الجنة لأنها مجتناة من الجنة ، فان الحس يشهد
 بخلاف ذلك فتعين أن المراد غيره وكذا قوله (ص) « الحمى من فيح جهنم فأبرودها بللاء » وكذا
 قوله « اذا اشتد الحمى فأبرودها بللاء فان شدة الحر من فيح جهنم » * وهكذا هذه الأنهار أصل منبعها
 مشاهد من الأرض *

أما النيل . وهو النهر الذى ليس فى أنهار الدنيا له فظير فى خفته ولطافته وبمد مسراه فيما بين
 مبتداه الى منتهاه فبتداه من الجبال القمر (٢) أى البيض ومنهم من يقول جبال القمر بالاضافة الى
 الكوكب وهى فى غربى الارض وراء خط الاستواء الى الجانب الجنوبى . ويقال انها حمر ينبع من
 بينها عيون * ثم يجتمع من عشر مسيلات متباعدة . ثم يجتمع كل خمسة منها فى بحر . ثم يخرج منها
 أنهار ستة . ثم يجتمع كلها فى بحيرة أخرى . ثم يخرج منها نهر واحد هو النيل فيمر على بلاد السودان
 (١) كذا بالاصول (٢) هذا يؤيد قول الثقات الذى نقلناه عن الاستاذ زكى بلشا فيما تقدم

الحبشه ثم على النوبة ومديتها العظمى دمقلة (١) ثم على اسوان ثم يند على ديار مصر . وقد تحمل اليها من بلاد الحبشة زيادات أمطارها واجترف من ترابها وهي محتاجة اليها مع لان مطرها قليل لا يكفي زروعها وأشجارها . وتربها رمال لا تنبت شيئا حتى يجي النيل بزيادته وطينه فيندت فيه ما يحتاجون اليه وهي من أحق الأراضي بدخولها في قوله تعالى « أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زراعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون » ثم يجاوز النيل مصر قليلا فيفترق شطرين عند قرية على شاطئه يقال لها شطنوف فيمر الغربي على رشيد ويصب في البحر المالح * واما الشرقي فتفترق ايضا عند جوجر فرقتين تمر الغربية منهما على دمياط من غربها ويصب في البحر والشرقية منها تمر على أشمون (٢) طنح فيصب هناك في بحيرة شرق دمياط . يقال لما بحيرة تيس وبحيرة دمياط . وهذا بعد عظيم فيما بين مبتداه الى منتهاه . ولهذا كان أطف المياها * قال ابن سينا له خصوصيات دون مياه سائر الأرض * فمنها انه أبعدها مسافة من مجراه الى أقصاه . ومنها انه يجري على صخور ورمال ليس فيه خز ولا طحلب ولا أوحال ومنها انه لا ينخضر فيه حجر ولا حصة وما ذاك الا لصحة مزاجه وحلاوته ولطافته . ومنها ان زيادته في أيام نقصان سائر الأنهار . ونقصانه في أيام زيادتها وكثرتها وأما ما يذكره بعضهم من أن أصل منبع النيل من مكان مرتفع اطلع عليه بعض الناس فرأى هناك هولا عظيما وجواري حسانا وأشياء غريبة وأن الذي اطلع على ذلك لا يمكنه الكلام بعد هذا فهو من خرافات المؤرخين وهديانات الأفاكين *

وقد قال عبد الله بن طهيرة عن قيس بن الحجاج عن حدثه قال « لما فتح عمرو بن عاص مصر أتى أهلها اليه حين دخل شهر بؤنة من أشهر العجم (القبطية) فقالوا (أيها الأمير إن ليلتنا هنا سنة لا يجرى اليها قتال لهم وما ذاك قالوا اذا كان لثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أوبها فارضينا أوبها واملنا عليها من الجلى والثياب أفضل ما يكون ثم القيناها في هذا النيل ، فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الإسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فأقاموا بؤنة والنيل لا يجري لا قليلا ولا كثيرا * وفي رواية فأقاموا بؤنة وأيدب ومسرى وهو لا يجري حتى هموا بالجللاء . فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر إنك قد اصبحت بالذي فعلت وأنى قد بشت اليك بطاقة داخل كتابي هذا فألقها في النيل فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها « من عند الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر (أما بعد) فان كنت تجرى من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله أن يجريك (٣) فالتقى عمرو البطاقة في النيل فاصبح يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا

(١) المعروفة الان باسم دقلة بطريق التحريف * (٢) كذا بالأصول وفي معجم البلدان (أشومون طنح)
(٣) قوله فالتقى عمرو البطاقة في النيل الخ الذي في حسن المحاضرة للسيوطي فالتقى عمر البطاقة في

في ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر الى اليوم *
وأما الفرات فاصلها من شمال أرن الروم فتمر الى قرب ملطيه ثم تمر على شمشاط . ثم على البيرة
قبلها ثم تشرق الى بالس (١) وقلمة جبر ثم الرقة ثم الى الرحبة شمالها ثم الى عانة ثم الى هيت ثم الى الكوفة
ثم تخرج الى فضاء العراق ويصب في بطائح كبار اى بحيرات وترد اليها ويخرج منها أنهار كبار معروفة
وأما سيحان . ويقال له سيحون أيضا فأوله من بلاد الروم ويمجرى من الشمال والغرب الى الجنوب
والشرق وهو غربى مجرى جيحان ودونه في القدر وهو بلاد الارض التي تعرف اليوم ببلاد سيس
وقد كانت في أول الدولة الاسلامية في أيدي المسلمين * فلما تغلب الفاطميون على الديار المصرية
وملكوا الشام وأعمالها مجزوا عن صونها عن الاعداء فتغلب تغفور الأرمي على هذه البلاد أعنى بلاد
سيس في حدود الثلاثمائة والى يومنا هذا . والله المسئول عودها الينا بحوله وقوته . ثم يجتمع سيحان
وجيحان عند اذنه فيصيران نهرا واحدا . ثم يصبان في بحر الروم بين اياس وطرسوس *
وأما جيحان ويقال له جيحون أيضا وتسميه العامة جاهان . وأصله في بلاد
الروم ويسير في بلاد سيس من الشمال الى الجنوب وهو يقارب الفرات في
القدر * ثم يجتمع هو وسيحان عند اذنه فيصيران نهرا واحدا *
ثم يصبان في البحر عند اياس وطرسوس والله أعلم *

قصة نوح

قال الله تعالى « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترؤنها ثم استوى على العرش وسخر الشمس
والقمر كل مجرى لاجل مسي يدبر الأمر بفضل الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون * وهو الذي مد
الأرض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان في
ذلك لايات لقوم يتفكرون * وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان
وغير صنوان يسقى بماء واحد وفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون »
وقال تعالى « امن خلق السموات والأرض وانزل لكم من السماء ماء فابيتنا به حدائق ذات بهجة
ما كان لكم ان تنبتوا شجرها إلا مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها
انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا إلا مع الله بل اكثرهم لاي علمون » وقال تعالى

النيل قبل يوم الصليب يوم وقد تهاى اهل مصر للجلاء والخروج منها لانه لا يقوم بمصلحتهم فيها
الا النيل فاصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله ستة عشر ذراعا . وقد زال تلك السنة سوء عن أهل
مصر انتهى (١) بلدة بين حلب والرقة لها وقائع تاريخية مذكورة في معجم البلدان (محمود الامام)

« هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسميون يثبت لكم به الزرع والزيوت والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامرہ ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون »

فذكر تعالى ما خلق في الأرض من الجبال والأشجار والثمار والسهول والاعوار وما خلق من صنوف مخلوقات من الجمادات والحيوانات في البراري والقفار والبر والبحار ما يدل على عظمته وقدرته وحكمته ورحمته بخلق ما سهل لكل دابة من الرزق الذي هي محتاجة اليه في ليالها ونهارها وصيفها وشتائها وصباحها ومساءها كما قال تعالى « وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستورها ومستودعها كل في كتاب مبين » وقد روى الحافظ أبو يعلى عن محمد بن المثنى عن عبيد بن واقد عن محمد بن عيسى بن كيسان عن محمد بن المنكدر عن جابر عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله (ص) يقول خلق الله ألف امه منها سبائة في البحر وأربعمائة في البر . وأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فاذا هلك تباينت مثل النظام اذا قطع سلكه .

(عبيد بن واقد) أبو عباد البصرى ضعفه أبو حاتم وقال بن عدى عامة ما يرويه لا يتابع عليه وشيخه اضعف منه . قال الفلاس والبخارى منكر الحديث ، وقال أبو زرعة لا ينبغي أن يحدث عنه . وضعفه ابن حبان والدارقطنى وأنكر عليه ابن عدى هذا الحديث بعينه وغيره والله أعلم *
وقال تعالى « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون *

وَلَمَّا يَتْلَوْنَ مَجْلِدَ السَّمَوَاتِ وَمَا فِيهَا رَبِّ لَللَّيْلِ

قد قدمنا ان خلق الأرض قبل خلق السماء كما قال تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم » وقال تعالى « قل انتم كنتم تكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تمديد العزيز العليم » وقال تعالى « انتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بمد ذلك دحاها » فان السحي غير المخلق وهو يد خلق السماء * وقال تعالى « تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور * الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق

الرحمن من تفاوت فارجح البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير * ولقد زيننا السماء الدنيا بمصاييح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير « وقال تعالى « وبينا فوقكم سبعا شدادا رجعلنا سراجا وهاجا » وقال تعالى « ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا » وقال تعالى (الله الذى خلق سبع سموات والارض مثلهن مثلن ينزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) وقال تعالى « تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا . وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا » وقال تعالى (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظنا من كل شيطان ملرد لا يسمعون الى الملاء الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب . الامن خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) وقال تعالى « ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم . الامن استرق السمع فأتبعه شهاب مبين » وقال تعالى « والسماء بديناها بايد وانا لموسعون » وقال تعالى « وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون » وقال تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجرى لمستقرها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدره منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون) وقال تعالى « فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسيانا ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعمون » وقال تعالى (إن ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ألاله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) والآيات فى هذا كثيرة جدا وقد تكلمنا على كل منها فى التفسير * والمقصود أنه تعالى يخبر عن خلق السموات وعظمة اتساعها وارتفاعها وأنها فى غاية الحسن والبهاء والكمال والسناء كما قال تعالى « والسماء ذات الجبك » أى الخلق الحسن وقال تعالى « فارجح البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » أى خاسئا عن ان يرى فيها قصا أو خلا وهو حسير أى كابل ضعيف ولو نظر حتى يبي ويكل ويضعف لما اطعم على قصص فيها ولا عيب لانه تعالى قد أحكم خلقها وزين بالكواكب اقها كما قال « والسماء ذات البروج » أى النجوم * وقيل محال الحرس التى يرمى منها بالشهب لمسترق السمع ولا منافاة بين القولين وقال تعالى « ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم » قد ذكر انه زين منظرها بالكواكب الثوابت والسيارات (الشمس والقمر والنجوم الزاهرات) وأنه صان حوزتها عن حلول

الشياطين بها وهذا زينة معنى * فقال وحفظناها من كل شيطان رجيم كما قال (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الأعلى)

قال البخارى فى كتاب بدء الخلق وقول قتادة (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) خلق هذالنجوم الثلاث جعلها زينة السماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول بغير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكاف ما لا علم له به * وهذا الذى قاله قتادة مصرح به فى قوله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) وقال تعالى « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر » فمن تكاف غير هذه الثلاث اى من علم أحكام ما تدل عليه حركتها ومقارنتها فى سيرها وأن ذلك يدل على حوادث ارضيه فقد أخطأ . وذلك أن أكثر كلامهم فى هذا الباب ليس فيه الاحدس وظنون كاذبة ودعاوى باطلة . وذكر تعالى انه خلق سبع سموات طباقاً اى واحدة فوق واحدة * واختلف أصحاب الهيئة هل هن مترا بكت أو متفاضلات بينهما على قولين . والصحيح الثانى لما قدمنا من حديث عبد الله بن عميرة عن الاحنف عن العباس فى حديث الأوعال أن رسول الله (ص) قال أتدرون كم بين السماء والأرض قلنا الله ورسوله أعلم . قال بينهما مسيرة خمسمائة عام . ومن كل سماء الى سماء خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة * الحديث بتمامه رواه احمد وأبو داود وابن ماجه والترمذى وحسنه * وفى الصحيحين من حديث أنس فى حديث الاسراء قال فيه (ووجد فى السماء الدنيا آدم فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه فرد عليه السلام . وقال مرحباً وأهلاً بابى نعم الابن أنت الى أن قال ثم عرج الى السماء الثانية * وكذا ذكر فى الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) فدل على التفاضل بينها لقوله ثم عرج بنا حتى أتينا السماء اثنان فاستفتح قبيل من هذا (الحديث) * وهذا يدل على ما قلناه والله أعلم

وقد حكى ابن حزم وابن المنير وأبو الفرج ابن الجوزى وغير واحد من العلماء انه جماع على أن السموات كرة مستديرة * واستدل على ذلك بقوله كل فى فلك يسبحون . قال الحسن يدورون ، وقال ابن عباس فى فلكة مثل فلكة المغزل . قالوا ويدل على ذلك أن الشمس تقرب كل ليلة من المغرب ثم تطلع فى آخرها من المشرق كما قال أمية ابن أبى الصلت .

والشمس تطلع كل آخر ليلة * حمراء مطلع لونها متورد * تأبى فلا تبدو لنا فى رسلها * الامعذبه والانجد فلما الحديث الذى رواه البخارى حيث قال حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن ابى ذر قال قال رسول الله (ص) لاى ذرحين غربت الشمس تدرى أن تذهب قلت الله ورسوله أعلم قال فاتها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها . يقال لها ارجى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك

قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)*

هذا لفظه في بدء الخلق ورواه في التفسير * وفي التوحيد من حديث الأعمش أيضا ورواه مسلم في الإيمان من طريق الأعمش ومن طريق يونس بن عبيد وأبو داود من طريق الحكم بن عتبة كلهم عن إبراهيم بن يزيد بن شريك عن أبيه عن أبي ذر به نحوه . وقال الثرمذى حسن صحيح * إذا علم هذا فانه حديث لا يمرض ما ذكرناه من استدارة الأفلاك التي هي السموات على أشهر القولين ولا يدل على كرية العرش كما زعمه زاعمون . قد أبلغنا قولهم فيما سلف ولا يدل على أنها تصعد الى فوق السموات من جهتنا حتى تسجد تحت العرش بل هي تغرب عن أعيننا وهي مستمرة في فلكها الذي هي فيه وهو الرابع فيما قاله غير واحد من علماء التفسير . وليس في الشرع ما ينفيه بل في الحس وهو الكسوفات ما يدل عليه ويقتضيه فإذا ذهبت فيه حتى يتوسطه وهو وقت نصف الليل مثلا في اعتدال الزمان بحيث يكون بين القطبين الجنوبي والشمالي فأنها تكون أبدا ما يكون من العرش لانه مقبب من جهة وجه العالم وهذا محل سجودها كما يناسبها كما أنها أقرب ما تكون من العرش وقت الزوال من جهتنا فإذا كانت في محل سجودها استأذنت الرب جل جلاله في طلوعها من الشرق فيؤذن لها فتبدو من جهة الشرق وهي مع ذلك كراهة لمصاة بنى آدم أن تطلع عليهم ولهذا قال أمية

تأبى فلا تبدولنا في رسلها * الامم مذبة والأتجد * فانما كان الوقت الذي يريد الله طلوعها من جهة مغربها تسجد على عادتها وتستأذن في الطلوع من عادتها فلا يؤذن لها فجاء أنها تسجد أيضا ثم تستأذن فلا يؤذن لها ثم تسجد فلا يؤذن لها وتطول تلك الليلة كما ذكرنا في التفسير ، فتقول يارب ان الفجر قد اقترب وان المدي بيد فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فإذا رآها الناس آمنوا جيبا وذلك حين لا ينفع فضا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ، وفسروا بذلك قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) قيل لوقتها الذي تؤمر فيه تطلع من مغربها * وقيل مستقرها موضعا الذي تسجد فيه تحت العرش * وقيل منتهى سيرها وهو آخر الدنيا . وعن ابن عباس أنه قرأ والشمس تجري لمستقر لها أي ليست تستقر فعلى هذا تسجد وهي سائرة . ولهذا قال تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون أي لا تدرك الشمس القمر فتطلع في سلطانه ودولته ولا هو أيضا ولا الليل سابق النهار أي ليس سابقه بمسافة يتأخر ذلك عنه فيها بل اذا ذهب النهار جاء الليل في اثره متقباله كما قال في الآية الأخرى ينشئ الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين *

وقال تعالى « وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا » أي يختلف هذا لهذا وهذا لهذا كما قال رسول الله (ص) « اذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت

الشمس فقد أنظر الصائم « فالزمان المحقق يتقسم الى ليل ونهار وليس بينهما غيرها * ولهذا قال تعالى « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسي » فيوج من هذا في هذا ، أى ياخذ من طول هذا في قصر هذا فيعتدلان كما في أول فصل الربيع يكون الليل قبل ذلك طويلا والنهار قصيرا فلا يزال الليل ينقص والنهار يتزايد حتى يعتدلا وهو أول الربيع * ثم يشرع النهار يطول ويتزايد والليل يتناقص حتى يعتدلا أيضا في أول فصل الخريف * ثم يشرع الليل يطول ويقصر النهار الى آخر فصل الخريف * ثم يترجح النهار قليلا قليلا ويتناقص الليل شيئا شيئا حتى يعتدلا في أول فصل الربيع كما قدمنا ، وهكذا في كل عام . ولهذا قال تعالى « وله اختلاف الليل والنهار » أى هو المتصرف في ذلك كما الحكيم الذي لا يخالف ولا يتمانع ولهذا يقول في ثلاث آيات عند ذكر السموات والنجوم والليل والنهار « ذلك تقدير العزيز العليم » أى العزيز الذى قد قهر كل شئ ودان له كل شئ فلا يتمانع ولا يعاتب العليم بكل شئ تقدير كل شئ تقديرًا على نظام لا يخالف ولا يضطرب . وقد ثبت في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الأزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) : « قال الله يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الأمر ألقب الليل والنهار » وفي رواية « أنا الدهر ألقب ليله ونهاره *

قال العلماء كالشافعى وأبى عبيد القاسم بن سلام وغيرهما يسب الدهر أى يقول فعل بنا الدهر كذا باخية الدهر ، أيتم الأولاد ، أرمل النساء . قال الله تعالى (وأنا الدهر) أى أنا الدهر الذى يعنيه فانه فاعل ذلك الذى اسنده الى الدهر والدهر مخلوق . وإنما فعل هذا هو الله فهو يسب فاعل ذلك ويمتدده الدهر . والله هو الفاعل لتلك الخائق لسكل شئ المتصرف فى كل شئ كما قال وأنا الدهر بيدى الأمر ألقب ليله ونهاره . وكما قال تعالى (قل اللهم مالك الملك توتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير * تولى الليل فى النهار وتولى النهار فى الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب) وقال تعالى « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب . ما خلق الله ذلك الا بالحق . يفضا الايات لعلوم يعلمون ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض الايات لتؤمن بتقون » أى طلعت بين الشمس والقمر فى نورها وفى شكلمها وفى وقهما وفى سيرها فجعل هذا ضياء وهو شعاع الشمس برهان ساطع وضوء باهر والقمر نورا أى أضعف من برهان الشمس وجعله مستفادا من ضوءها وقدره منازل أى يطلع أول ليلة من الشهر صغيرا ضميلا قليل التور لقره من الشمس وقلة مقابلته لها فيقدره مقابلته لها يكون نوره ولهذا فى الآية الثانية يكون أهد منها بضعف ما كان فى الليلة الأولى فيكون نوره بضعف التور أول ليلة * ثم كما بعد ازداد نوره حتى يتكامل إداره ليلة

مقابله إياها من المشرق وذلك ليلة أربع عشرة من الشهر * ثم يشرع في القصد لاقترابه اليها من الجهة الأخرى إلى آخر الشهر فيستتر حتى يعود كما بدأ في أول الشهر الثاني . فيه تعرف الشهور وبالشمس تعرف الليالي والأيام وبذلك تعرف السنين والأعوام ولهذا قال تعالى « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » وقال تعالى « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا » وقال تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) وقد بسطنا القول على هذا كله في التفسير . فالكواكب التي في السماء منها سيارات وهي المتخيرة في اصطلاح علماء التفسير وهو علم غالبه صحيح بخلاف علم الاحكام فان غالبه باطل ودعوى مالا دليل عليه وهي سبعة . القمر في سماء الدنيا وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة . وبقية الكواكب يسومنها الثوابت وهي عندهم في الفلك الثامن وهو الكرسي في اصطلاح كثير من المتأخرين . وقال آخرون بل الكواكب كلها في السماء الدنيا ولا مانع من كون بعضها فوق بعض * وقد يستدل على هذا بقوله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين *) وقوله (قضاها من سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) فخص سماء الدنيا من بينهن بزينة الكواكب فان دل هذا على كونها مرسومة فيها فذاك والا فلا مانع مما قاله الآخرون والله أعلم . وعندهم أن الافلاك السبعة بل الثمانية تدور بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات تدور على خلاف فلكه من المغرب إلى المشرق . فالقمر يقطع فلكه في شهر والشمس تقطع فلكها وهو الرابع في سنة . فاذا كان السيران ليس بينهما تفاوت وحركتهما متقاربة كان قدر السماء الرابعة بقدر السماء الدنيا ثنتي عشرة مرة وزحل يقطع فلكه وهو السابع في ثلاثين سنة فلي هذا يكون بقدر السماء الدنيا ثلثة وستين مرة *

وقد تكلموا على مقادير أجرام هذه الكواكب وسيرها وحركاتها وتوسعوا في هذه الاشياء حتى تمدوا إلى علم الأحكام وما يترتب على ذلك من الحوادث الأرضية وما لا علم لكثير منهم به . وقد كان اليونانيون الذين كانوا يسكنون الشام قبل زمن المسيح عليه السلام يدهور لهم في هذا كلام كثير يطول بسطه ، وهم الذين بنوا مدينة دمشق وجعلوا لها أبوابا سبعة وجعلوا على رأس كل باب هيكلًا على صفة الكواكب السبعة . يمدون كل واحد في هيكله ، ويدعونه بدعاء يأتريه عنهم غير واحد من أهل التواريخ وغيرهم . وذكره صاحب السر المكتوم في مخاطبة الشمس والقمر والنجوم

وغیره من علماء الحرانین (١) (فلاسفة حران في قديم الزمان) . وقد كانوا مشركين يعبدون الكواكب السبعة وهم طائفة من الصابئين * ولهذا قال الله تعالى « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون » وقال تعالى إخبارا عن المهدد أنه قال لسليمان عليه السلام مخبرا عن بلقيس وجنودها ملكة سبا في اليمن وما والاها (إني وجدت امرأة تملككم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجلستها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدم عن السبيل فهم لا يهتدون . أن لا يسجدوا لله الذي يخرج الخبث في السموات والأرض وينم ما يخفون وما يملنون . الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) وقال تعالى « ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن بين الله قالة من مكرم إن الله يفعل ما يشاء » وقال تعالى (أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفأ ظلاله عن العيين والشمائل سجدا لله وهم داخرون * والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويضلون ما يؤمرون) وقال تعالى « والله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال » وقال تعالى « تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا » والآيات في هذا كثيرة جدا ولما كان أشرف الأجرام المشاهدة في السموات والأرض هي الكواكب وأشرفهن منظرا وأشرفهن معتبرا الشمس والقمر استدلل الخليل على بطلان الهية شيء منهن . وذلك في قوله تعالى « فلما جن الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين » أي اللائتين (فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدينى ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني برئ مما تشركون . في وجهه وجهي للذي لقطت السموات والأرض حنيقا وما أنا من المشركين) فينبطريق البرهان القطعي أن هذه الاجرام المشاهدات من الكواكب والقمر والشمس لا يصلح شيء منها للالهية لانها كلها مخلوقة مرهوبة مدبرة مسخرة في سيرها لا تعبد عما خلقت له ولا تزيع عنه الا بتقدير متن محورا لا تضطرب ولا تختلف *

(١) يقال في معجم البلدان (حران) بتشديد الراء وآخره نون يجوز أن يكون (فعلا) من حرن الفرس اذا لم يتقد ويجوز أن يكون (فعلا) من الحر . يقال رجل حران أي عطشان وأصله من الحر وامرأة حرى وهو حران يران . والنسبة اليها حراننى بد الراء الساكنة نون على غير قياس كما قالوا منانى في النسبة الى ماني .

وذلك دليل على كونها مريوبة مصنوعة مسخرة مقهورة ولهذا قال تعالى. « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لانسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون » وثبت في الصحيحين في صلاة الكسوف من حديث ابن عمر وابن عباس وعائشة وغيرهم من الصحابة أن رسول الله (ص) قال في خطبته يومئذ إن الشمس والقمر آياتان من آيات الله عز وجل وإنهما لا ينكفان لموت أحد ولا لحياة »

وقال البخاري في بدء الخلق حدثنا مسدد حدثنا عبد العزيز بن الحنتر حدثنا عبد الله الداناج حدثني أبو سامة عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (الشمس والقمر مكروران يوم القيامة) انفرد به البخاري * وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار بأبسط من هذا السياق . فقال حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي حدثنا يونس بن محمد حدثنا عبد العزيز بن الحنتر عن عبد الله الداناج سمعت أبا سامة بن عبد الرحمن زمن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس إليه فحدث قال حدثنا أبو هريرة أن رسول الله (ص) قال « إن الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة فقال الحسن وما دينهما فقال أحدثك عن رسول الله (ص) ، وتقول وما دينهما ثم قال البزار لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سامة سوى هذا الحديث * وروى الحافظ أبو يعلى الموصلي من طريق يزيد الرقاشي وهو ضعيف عن أنس قال قال رسول الله (ص) الشمس والقمر ثوران عيران في النار . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وعمر بن عبد الله الأزدي حدثنا أبو أسامة عن مجالد عن شيخ من بحيلة عن ابن عباس (إذا الشمس كورت) . قال يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويمت الله ريمحادورا فتضرمها نارا . فذات هذه الآثار على أن الشمس والقمر من مخلوقات الله خلقها الله ما أراد* ثم يفعل فيها ما يشاء ، وله الحجة الدافعة والحكمة الباهرة فلا يسأل عما يفعل إمامه وحكمته وقدرته ومشيئته الناقدة وحكمته الذي لا يرد ولا يمانع ولا يبالغ * وما أحسن ما أوردده الامم محمد بن اسحاق بن يسار في أول كتاب السيرة من الشعر لزيد بن عمرو بن نفيل في خالق السماء والأرض والشمس والقمر وغير ذلك * قال ابن هشام هي لامية ابن أبي الصلت

إلى الله أهدي مدحتي وثنائيا
إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه
فإنك لا تحيي من الله خلفيا
وإياك لا تجعل مع الله غيره
وقولاً لرضيا (١) لا ينبي الدهر باقيا
إله ولا رب يكون مدنايا
فإنك لا تحيي من الله خلفيا
فإن سبيل الرشده أصبح باديا

(١) قوله رضيا نعت لقولاً

كحانيك إن الجن كانت رجاءهم وأنت الهي ربنا ورجائنا
 رضيت بك اللهم رباً فلن أرى • أدين إلهاً غيرك الله ثانيا
 وأنت الذي من فضل من ورحمة بعثت إلى موسى رسولا مناديا
 فقلت له إذهب وهرون فادعوا إلى الله فرعون الذي كان طاغيا
 وقولا له آأت سويت هذه بلا وتد حتى اطمانت كما هيا
 وقولا له آأت رفعت هذه بلا بعد ارفق اذ بك بانيا
 وقولا له آأت سويت وشطها منيراً اذا ماجته اليبا هاديا
 وقولا له من يرسل الشمس غدوة فيصبح مامست من الأرض ضاحيا
 وقولا له من ينبت الحب في الثرى فيصبح منه البقل يهتز رايا
 ويخرج منه حبه في رؤسه وفي ذاك آيات لمن كان واعيا
 وأنت بفضلك منك نجيت يونساً وقد بك في أضمار حوت لياليا
 وإني لو سبحت باسمك ربنا لا كثر الا ما غفرت خطايا (١)
 فرب العباد القريب سبياً ورحمة علي وبارك في نبي ومالي

فاذا علم هذا فالكواكب التي في السماء من الثوابت والسيارات الجميع مخلوقة خلقها الله تعالى كما قال (وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم) وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت ومزوت من أن الزهرة كانت امرأة فراودها على نفسها فأبت إلا أن ينادها الاسم الأعظم فملعها فقالته فرفعت كوكبا إلى السماء فهذا أظنه من وضع الاسرائيليين وإن كان قد أخرجه كتب الأخبار وتلقاه عنه طائفة من السلف فذكره على سبيل الحكاية والتحديث عن بني اسرائيل . وقد روى الامام احمد وابن حبان في صحيحه في ذلك حديثا رواه احمد عن يحيى ابن بكير عن زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع عن ابن عمر عن النبي (ص) وذكر القصة بطولها وفيه فتمثلت لها الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتها فسألها نفسها وذكر القصة . وقد رواه عبد الرزاق في تفسيره عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن كعب

(١) قوله وأنى ولو سبحت الخ معنى البيت أنى لا كثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا الا ما غفرت الخ . وما بهد الا زائدة . وان سبحت اعتراض بين اسم ان وخبرها كما تقول انى لا كثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا الا والله يغفر لي فعل كذا والتسبيح هنا بمعنى الصلاة اي لا اعتمد وان صليت الاعلى دعائك واستغفارك

الاجبار به. وهذا أصح وأثبت. وقد روى الحاكم في مستدركه وابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس قد ذكره وقال فيه وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب وذكر تماه. * وهذا أحسن لفظ روى في هذه القصة والله أعلم *

وهكذا الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الملك الواسطي حدثنا يزيد ابن هرون حدثنا مبشر بن عبيد عن يزيد بن أسلم عن ابن عمر عن النبي (ص). وحدثنا عمرو بن عيسى حدثنا عبد الأعلى حدثنا ابراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله (ص) ذكر سهيلا فقال (كان عشارا ظلوما فبسخته الله شهاما) ثم قال لم يروده عن زيد بن أسلم الا مبشر بن عبيدوه وهو ضعيف الحديث ولا عن عمرو بن دينار الا ابراهيم بن يزيد وهو لين الحديث. وأما ذكرناه على ما فيه من علة لأننا لم نحفظه الا من هذين الوجهين (قلت) أما مبشر بن عبيد القرشي فهو أبو حفص الحمصي وأصله من الكوفة. فقد ضمنه الجميع وقال فيه الامام أحمد والدارقطني كان يضع الحديث ويكتب وأما ابراهيم بن يزيد فهو الخولزي وهو ضعيف باقائهم * قال فيه احمد والنسائي متروك. وقال ابن مسين ليس بثقة وليس بشيء * وقال البخاري سكنوا عنه. وقال أبو حاتم وأبو زرعة منكر الحديث ضعيف الحديث. ومثل هذا الاسناد لا يثبت به

شيء بالكيفية. واذا أحسنا الغن قلنا هذا من أخبار بني اسرائيل

كما تقدم من رواية ابن عمر عن كعب الأخبار. ويكون

من خرافاتهم التي لا يعول عليها والله أعلم *

المجرة وقوس فرج

قال أبو القاسم الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا عارم ابو النعمان حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أن هرقل كتب الى معاوية وقال إن كان بقي فيهم شيء من النبوة فسيخبرني عما أسألم عنه. قال فكتب اليه يسأله عن المجرة وعن القوس وعن قبة لم تصبها الشمس الا ساعة واحدة * قال فلما أتى معاوية الكتاب والرسول قال إن هذا الشيء ما كنت آبه له أن أسأل عنه الى يومى هذا من لهذا؟ قيل ابن عباس فطوى معاوية كتاب هرقل فبعث به الى ابن عباس فكتب اليه « أن القوس أمان لأهل الأرض من الفرق. والمجرة بلب السماء الذي تنشق منه الأرض. وأما البقعة التي لم تصبها الشمس الا ساعة من النهار فالبحر الذي أفرج عن بني اسرائيل وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس رضی الله عنه * فلما الحديث الذي رواه الطبراني حدثنا ابو الزبناح روح بن الفرج

حدثنا ابراهيم بن مخلد حدثنا الفضل بن المختار عن محمد بن مسلم الطائفي عن ابن أبي عمير عن مجاهد
 عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص)، « يا معاذ إني مرسلك الى قوم أهل كتاب فاذا سئلت
 عن الهجرة التي في السماء قتل هي لماب حية تحت العرش » فنه حديث منكر جداً بل الأشبه أنه موضوع
 ورواه الفضل بن المختار هذا أبو سهل البصري * ثم انتقل الى مصر قال فيه أبو حاتم الرازي هو مجهول
 حدث بالأبطل . وقال الحافظ أبو النجيب الأزدي منكر الحديث جداً . وقال ابن عسلى لا يتابع على
 أحاديثه لا تمتنا ولا استنادا * وقال الله تعالى (هو الذي يرسم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال
 ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله
 وهو شديد المحال) وقال تعالى (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي
 تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من رزق فأجياه الأرض بعد موتها وبث فيها
 من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) وروى
 الإمام احمد عن يزيد بن هرون عن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن شيخ من بني غفار قال سمعت
 رسول الله (ص)، (يقول إن الله ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك)
 وروى موسى بن عبيدة بن سعد بن ابراهيم أنه قال إن نطقه الرعد وضحكه البرق . وقال ابن أبي حاتم
 حدثنا أبي حدثنا هشام عن عبيد الله الرازي عن محمد بن مسلم قال بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه
 وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد فاذا مصع يذنبه فذاك البرق * وقد روى الامام احمد
 والترمذي والنسائي والبخاري في كتاب الأدب والمحاكم في مستدرکه من حديث الحجاج بن أرقط
 حدثني ابن مطر عن سالم عن أبيه قال كان رسول الله إذا سمع الرعد والصواعق قال (اللهم لا تقتلنا
 بغضبك ولا تهلكنا بغناياك وعافنا قبل ذلك * وروى ابن جرير من حديث ليث عن رجل عن أبي
 هريرة رفته كان اذا سمع الرعد قال (سبحان من يسبح الرعد بحمده) وعن علي أنه كان يقول (سبحان
 من سبحت له) وكذا عن ابن عباس والأسود بن يزيد وطاوس وغيرهم * وروى مالك عن عبد الله
 ابن عمر أنه كان اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة
 من خيفته ويقول (إن هذا وعيد شديد لأهل الأرض * وروى الامام احمد عن
 أبي هريرة أن رسول الله (ص)، قال قال ربكم لو أن عبيدي أطاعوني لأسقيتهم
 المطر بالليل وأظلمت عليهم الشمس بالنهار ولما أسمعتهم صوت الرعد
 فاذكروا الله فانه لا يصيب ذا كرا * وكل هذا
 مبسوط في التفسير وثقه الحمد والمنة *

باب ذكر خلق الملائكة وصفاتهم

قال الله تعالى « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم ولم خلفهم ولا يشعرون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشقون * ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين » وقال تعالى « تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم » وقال تعالى « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم أنك أنت العزيز الحكيم » وقال تعالى « فان استكبروا فللذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسثمون * وقال (ومن عنده لا يستكبرون . عن عبادته ولا يستحسرون) يسبحون الليل والنهار لا يفترون » وقال تعالى « وما منا إلا له مقام معلوم . ولإنا لنحن الصافون ولإنا لنحن المسبحون » وقال تعالى وما ننزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا » وقال تعالى « وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تعملون » وقال تعالى « وما يعلم جنود ربك إلا هو » وقال تعالى « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » وقال تعالى « الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير » وقال تعالى « يوم تشقق السماء بغمام كثرة تنزىلا * الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين اسيراً » وقال تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً) وقال تعالى « من كان عدواً لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين » وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون » والآيات في ذكر الملائكة كثيرة جدا يصفهم تعالى بالقوة في العبادة وفي الخلق وحسن المنظر وعظمة الأشكال وقوة الشكل في الصور المتعددة كما قال تعالى (ولما جاءت رسلنا لوطا سعى بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عاصيب * وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات) الآيات فذكرنا في التفسير ما ذكره غير واحد من العلماء من أن الملائكة تبدو لهم في صورة شباب حسان امتحانا واختبارا حتى قامت على قوم لوط الحجة وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر * وكذلك كان جبريل يأتي الى

النبي (ص)، في صفات متعدّدات بتارة يأتي في صورة دحية بن خليفة الكلبي وتارة في صورة أعرابي وتارة في صورته التي خلق عليها . له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب كما رآه على هذه الصفة مرتين . مرة منهبطاً من السماء إلى الأرض . وتارة عند سدره المنتهى عندها جنة المأوى . وهو قوله تعالى « علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى « أي جبريل كما ذكرناه عن غير واحد من الصحابة * منهم ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة » فكان قلب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى « أي إلى عبد الله محمد (ص) . ثم قال (ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدره المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ بعثتني السدرة ما يعشني . مازغ البصر وما طغى) وقد ذكرنا في أحاديث الإسراء في سورة سبحان أن سدره المنتهى في السماء السابعة * وفي رواية في السادسة أي أصلها وفروعها في السابعة فلما غشيها من أمر الله ما غشيها * قيل غشيها نور الرب جل جلاله * وقيل غشيها فراش من ذهب * وقيل غشيها ألوان متعددة كثيرة غير منحصرة * وقيل غشيها الملائكة مثل الغربان * وقيل غشيها من نور الله تعالى فلا يستطيع أحد أن ينعتها * أي من حسنها وبهائنها . ولا منافاة بين هذه الأقوال إذ الجميع يمكن حصوله في حال واحدة * وذكرنا أن رسول الله (ص) قال . ثم رفعت لي سدره المنتهى فإذا ينقها كاتلّال * وفي رواية كقلال هجر وإذا ورقها كأذان الفيلة وإذا يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران . فأما الباطنان ففي الجنة . وأما الظاهران فالنيل والفرات * وتقدم الكلام على هذا في ذكر خلق الأرض وما فيها من البحار والأنهار * وفيه ثم رضع لي البيت المعمور وإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يندون إليه آخر ما عليهم * وذكر أنه وجد إبراهيم الخليل عليه السلام مستنداً ظهره إلى البيت المعمور . وذكرنا وجه المناسبة في هذا أن البيت المعمور هو في السماء السابعة بمنزلة الكعبة في الأرض * وهو قد روى سفيان الثوري وشعبة وأبو الأحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعة أن ابن الكوا سأله علي بن أبي طالب عن البيت المعمور فقال هو مسجد في السماء يقال له الضراح ، وهو بجبال الكعبة من فوقها . حرمة في السماء كحرمة البيت في الأرض يصلى فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يندون إليه أبداً * وهكذا روى علي بن ربيعة وأبو الطفيل عن علي مثله * وقال الطبراني أنبأنا الحسن بن علوية القطن حدثنا اسماعيل بن عيسى العطار حدثنا اسحاق بن بشر أبو حذيفة حدثنا ابن جريج عن صفوان بن سليم عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) البيت المعمور في السماء يقال له الضراح وهو على مثل البيت الحرام بجباله لو سقط لسقط عليه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرونه قط فان له في السماء حرمة على قدر حرمة مكة . يعني في الأرض وهكذا قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والربيع بن أنس والسدي وغير واحد * وقال قتادة ذكر لنا أن رسول الله (ص) قال

يوم لا يحياه هل تدرّون ما البيت المعمور قالوا الله ورسوله أعلم * قال قال مسجد في السماء بجبال الكعبة
لو خر لخر عليها يصلّي فيه كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا منه لم يمودوا آخر ما عليهم * وزعم
الضحّاك أنه تعمّره طائفة من الملائكة يقال لهم الجن من قبيلة ابليس لعنه الله كان يقول سدّته وخدامه
منهم والله أعلم *

وقال آخرون . في كل سماء بيت يسمّره ملائكته بالعبادة فيه ويمدون اليه بالنوبة والبدل كما يعمّر
أهل الأرض البيت العتيق بلحج في كل عام والاعتبار في كل وقت والطواف والصلاة في كل آن * قال
سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في أوائل كتابه المغازي * حدثنا أبو عبيد في حديث مجاهد « أن الحرم
حرم مناه (يعني قدره) من السموات السبع والأرضين السبع وأنه رابع أربعة عشر بيتا في كل سماء
بيت وفي كل أرض بيت لو سقطت سقطت بعضها على بعض » ثم روى مجاهد قال مناه أي مقابله وهو
حرف مقصور . ثم قال حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي سليمان مؤذن الحجّاج سمعت
عبد الله بن عمرو يقول « إن الحرم محرم في السموات السبع مقداره من الأرض - وإن بيت المقدس
مقدس في السموات السبع مقداره من الأرض كما قال بعض الشعراء

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بِحَقِّهَا يَسْتَأْذِنُكَ أَشَدُّ وَأَطْوَلُ

واسم البيت الذي في السماء بيت العزة * واسم الملك الذي هو مقدم الملائكة فيها إسماعيل * فعل
هذا يكون السبعون ألفاً من الملائكة الذين يدخلون في كل يوم الى البيت المعمور ثم لا يمودون اليه .
آخر ما عليهم (أي لا يحصل لهم نوبة فيه إلى آخر الدهر) يكونون من سكان السماء السابعة وحدها .
ولهذا قال تعالى « وما يعلم جنود ربك الا هو » وقال الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا إسرائيل
عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر قال قال رسول الله «ص .» « إني أرى ملائكة
وأسمع ملائكة تسمعون أطّت السماء وحق لها أن تظط ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد لوعظ
ما أعلم لضحككم قليلا ولبكيكم كثيراً ولما تلذذتم بالنساء على الفراش وتخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى
الله عز وجل » قال أبو ذر (والله لوددت أني شجرة تمضد) ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث
اسرائيل قال الترمذي حسن غريب ويروى عن أبي ذر موقوفا * وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني
حدثنا حسين بن عروة المصري حدثنا عروة بن عمران الرقي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم
ابن مالك عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله «ص .» (ما في السموات السبع
موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راحك فاذا كان يوم القيامة
قالوا جميعاً ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لا نشرك بك شيئاً) فدل هذان الحديثان على أنه ما من موضع
في السموات السبع إلا وهو مشغول بالملائكة وهم في صنوف من العبادة . منهم من هو قائم أبداً . ومنهم

من هو رآهم أبداً ومنهم من هو ساجد أبداً ومنهم من هو في صنوف أخر والله أعلم بها . وهم دائمون في عبادتهم وتسيبهم وأذكارهم وأعمالهم التي أمرهم الله بها ، ولهم منازل عند ربهم كما قال تعالى (وما منا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون) * وقال (س) ، (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها * قالوا وكيف يصفون عند ربهم قال يكلمون الصف الأول ويتراصون في الصف) * وقال (فضلنا على الناس بثلاث * جعلت لنا الأرض مسجداً وتربتها لنا طهوراً وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة) وكذلك يأتيون يوم القيامة بين يدي الرب جل جلاله صفوفاً كما قال تعالى (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) ويقفون صفوفاً بين يدي ربهم عز وجل يوم القيامة كما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) * والمراد بالروح ههنا بنو آدم قاله ابن عباس والحسن وقتادة * وقيل ضرب من الملائكة يشبهون بني آدم في الشكل * قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش * وقيل جبريل * قاله الشعبي وسعيد بن جبيرة والضحاك * وقيل ملك يقال له الروح بقدر جميع الخلوقات * قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله يوم يقوم الروح قال هو ملك من أعظم الملائكة خلقاً * وقال ابن جرير حدثني محمد بن خلف الصقلاني حدثنا داود ابن الجراح عن أبي حمزة عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود قال الروح في السماء الزاوية هو أعظم السموات والجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسيحة يخلق الله من كل تسيحة ملكاً من الملائكة يحيي يوم القيامة صفاً وحده * وهذا غريب جداً * وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكيم المصري حدثنا ابن وهب بن رزق أبو هبيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الأوزاعي حدثني عطاء عن عبد الله بن عباس قال سمعت رسول الله (س) يقول « إن لله ملكاً لو قيل له التقم السموات والأرضين بقمة واحدة لفضل . تسيحه سبحانه حيث كنت » وهذا أيضاً حديث غريب جداً * وقد يكون موقوفاً * وذكرنا في صفة حملة العرش عن جابر بن عبد الله قال رسول الله (س) ، « أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام » رواه أبو داود وابن أبي حاتم ولفظه غنق الطير سبعمائة عام *

وقد ورد في صفة جبريل عليه السلام أمر عظيم قال الله تعالى « علمه شديد القوى » قالوا كان من تلمذة قوته أنه رفع مدائن قوم لوط وكن سبعمائة من الأعمى وكانوا قريباً من أربعمائة ألف وما معهم من الدواب والحيوانات وما لتلك المدن من الأراضي والتمتلات والعمارات وغير ذلك * رفع ذلك كله على طرف جناحه حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب وصياح ديكهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها فهذا هو شديد القوى . وقوله ذو مرة أي خلق حسن وبهاء وسناء كما قال في الآية الأخرى « إنه لقول رسول كريم » أي جبريل رسول من الله كريم أي حسن المنظر

ذى قوة أى له قوة وبأس شديد عند ذى العرش مكين أى له مكانه ومنزلة عالية رفيعة عند الله ذى العرش الحكيم مطاع ثم أتى مجالع فى الملائكة الأعلى أمين أى ذى أمانة عظيمة ولهذا كان هو السفير بين الله وبين أنبيائه عليهم السلام الذى ينزل عليهم بالوحي . فيه الأخبار الصادقة والشرائع العادلة * وقد كان يأتى الى رسول الله (ص) وينزل عليه فى صفات متعددة كما قدمنا . وقد رآه على صفته التى خلقه الله عليها مرتين * له ستمائة جناح كما روى البخارى عن طلق بن غنم عن زائدة الشيبانى قال سألت زراً عن قوله فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى * قال حدثنا عبد الله يعنى ابن مسعود أن محمداً (ص) رأى جبريل له ستمائة جناح *

وقال الامام أحمد حدثنا يحيى ابن آدم حدثنا شريك عن جامع بن راشد عن أبى وائل عن عبد الله قال رأى رسول الله (ص) جبريل فى صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق بسقط من جناحه التهاويل (١) من الدر والياقوت ما الله به عليم . وقال أحمد أيضاً حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود فى هذه الآية « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى » قال قال رسول الله (ص) (رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتشر من ريشه التهاويل الدر والياقوت * وقال أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا الحسين (٢) حدثنى عاصم ابن بهدلة سمعت شقيق بن سلمة يقول سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله (ص) وسلم رأيت جبريل على السدرة المنتهى وله ستمائة جناح فسألت عاصم عن الأجنحة فأبى أن يخبرنى قال فأنه يرى بعض أصحابه أن الجناح مئتين المشرق والمغرب * وهذه أسانيد جيدة قوية انفرد بها أحمد *

وقال أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنى حسين حدثنى حصين حدثنى شقيق سمعت ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) اثنى جبريل فى حُضْر تعلق به الدر * إسناده صحيح * وقال ابن جرير حدثنا ابن بزيع البغدادي قال حدثنا اسحاق بن منصور قال حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن عبد الرحمن ابن يزيد عن عبد الله (ما كذب الفؤاد ما رأى) قال رأى رسول الله (ص) جبريل عليه حلقتا رفرق قد ملأ ما بين السماء والارض * إسناده جيد قوى * وفى الصحيحين من حديث عامر الشعبي عن مسروق قال كنت عند عائشة فقلت أليس الله يقول « ولقد رآه بالأفق المبين ولقد رآه نزلة أخرى » فقالت أنا أول هذه الامة سأل رسول الله (ص) عنها فقال إنما ذاك جبريل لم يره فى صورته التى خلق عليها إلا مرتين

(١) قوله التهاويل أى الاشياء المختلفة الالوان والزواية على ما فى النهاية رأى جبريل ينتشر من جناحه الدر والتهاويل ، (٢) قوله الحسين هو ابن واقد مولى عبد الله بن عامر بن كريز أبو عبد الله المروزي قاضيهام

رأه منهبطاً من السماء إلى الأرض ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض *

وقال البخاري حدثنا أبو نعيم حدثنا عمر بن ذر (ح) وحدثني يحيى بن جعفر حدثنا وكيع عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص)، لجبريل ألا تزورنا أكثر مما تزورنا قال فنزلت « وما تنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا » الآية * وروى البخاري من حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال كان رسول الله (ص)، أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فارسل الله (ص)، أجود بلخير من الريح المرساة * وقال البخاري (١) حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز آخر العصر شيئاً فقال له عروة أما إن جبريل قد نزل فصلى أمام رسول الله (ص)، فقال عمر أعلم ما تقول يا عروة قال سمعت بشير بن أبي مسعود يقول سمعت أبا مسعود يقول سمعت رسول الله (ص)، يقول نزل جبريل فأمنى فصليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه يحسب باصابعه خمس صلوات *

ومن صفة إسرافيل عليه السلام وهو أحد حملة العرش وهو الذي ينفخ في الصور بأمر ربه نفخات ثلاثة * أولاهن نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث كما سيأتي بيانه في موضعه من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحسن توفيقه * والصور قرن ينفخ فيه . كل دارة منه كما بين السماء والأرض . وفيه موضع أرواح العباد حين يأمره الله بالنفخ للبعث فإذا نفخ تخرج الأرواح تتوهج فيقول الرب جل جلاله وعزتي وجلالي لترجمن كل روح إلى البدن الذي كانت تمره في الدنيا فتدخل على الاجساد في قبورها فتدب فيها كما يدب السم في اللديغ فتحيي الأجساد وتنشق عنهم الاجداث فيخرجون منها سراعا إلى مقام المحشر كما سيأتي تفصيله في موضعه

ولهذا قال رسول الله (ص)، « كيف أنعم وصاحب القرن قد التزم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له * قالوا كيف يقول يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل . على الله توكلنا * رواه أحمد والترمذي من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري * وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سعد الطائي عن عطية العوفي عن أبي سعيد قال ذكر رسول الله (ص)، صاحب الصور فقال عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل عليهم السلام . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن عمر أن ابن أبي ليلى حدثني عن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس * قال ينادي رسول الله (ص)، ومعه جبريل بناحية إذ انشق أفق السماء فأقبل

(١) في كتاب بدء الخلق نقله عن (محمود الامام)

إسرافيل يدنو من الأرض ويتمايل فإذا ملك قد مثل بين يدي النبي (ص)، قال يا محمد إن الله يأمرك أن تختار بين نبي عبد أو ملك نبي قال فأشار جبريل إلى يده (أن تواضع) ففرت أنه لي ناصح قلت عبد نبي فخرج ذلك الملك إلى السماء قلت يلجبريل قد كنت أردت أن أسألك عن هذا فرأيت من حالك ما شغلني عن المسألة فمن هذا يا جبريل ؟ فقال هذا إسرافيل عليه السلام خلقه الله يوم خلقه بين يديه صافاً قدميه لا يرفع طرفه عنه وبين الرب سبعون نورا ما منها من نور يكاد يدنو منه إلا احترق بين يديه لوح فإذا أذن الله في شيء من السماء أو في الأرض ارتفع ذلك اللوح فضرب جبهته فينظر فإن كان من على أمرني به وإن كان من عمل ميكائيل أمره به وإن كان من عمل ملك الموت أمره به * قلت يا جبريل وعلى أي شيء أنت قال على الريح والجنود * قلت وعلى أي شيء ميكائيل قال على النبات والقطر قلت وعلى أي شيء ملك الموت قال على قبض الأنفس وما ظننت أنه نزل إلا لقيام الساعة وما الذي رأيت مني إلا خوفاً من قيام الساعة * هذا حديث غريب من هذا الوجه * وفي صحيح مسلم عن عائشة أن رسول الله (ص)، كان إذا قام من الليل يصلي يقول اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم * وفي حديث الصور أن إسرافيل أول من يبعثه الله بعد الصعق لينفخ في الصور * وذكر محمد بن الحسن النعماني أن إسرافيل أول من سجد من الملائكة فجوزى بولاية اللوح المحفوظ * حكاه أبو القاسم السهيلي في كتابه (التعريف والاعلام . بما أهبهم في القرآن من الأعلام) * وقال تعالى « من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكائيل عطفها على الملائكة لترهبها فجبريل ملك عظيم قد تقدم ذكره * وأما ميكائيل فوكل بالقطر والنبات وهو ذو مكانة من ربه عز وجل ومن أشراف الملائكة المقربين * وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو اليمان حدثنا ابن عباس عن عمارة بن غزوة الانصاري أنه سمع حميد بن عبيد مولى بني الملعلي يقول سمعت ثابتاً البناني يحدث عن أنس بن مالك عن رسول الله (ص)، أنه قال لجبريل مالي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار * فهؤلاء الملائكة المصرح بذكرهم في القرآن وفي الصحاح هم المذكورون في السعاء النبوي « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل * فجبريل ينزل بالهدى على الرسل لتبليغ الأمم . وميكائيل موكل بالقطر والنبات الذين يخلق منهما الارزاق في هذه الدار * وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه . يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل جلاله . وقد روينا أنه ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقررها في موضعها من الأرض » وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور للقيام من القبور . والحضور يوم البعث والنشور ليفوز الشكور . ويجازي الكفور . فذلك ذنبه مغفور وسميه مشكور * وهذا قد صار عمله كالنباء المنشور . وهو يدعو بالويل والثبور « فجبريل عليه السلام

يحصل بما ينزله الهدى * وميكائيل يحصل بما هو موكل به الرزق . وإسرافيل يحصل بما هو موكل به النصر والجزاء * وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح . وقد جاء تسميته في بعض الآثار بمزائيل والله أعلم *

وقد قال الله تعالى « قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجبون » وله أعوان يستخرجون روح العبد من جسده حتى تبلغ الحلقوم فيتناولها ملك الموت بيده فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفه عين حتى يأخذوها منه فيلقوها في أكفان تليق بها كما قد بسط عند قوله « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة »

ثم يصعدون بها فان كانت سالمة فتحت لها أبواب السماء وإلا غلقت دونها وألقي بها إلى الأرض قال الله تعالى « وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسين » .

وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد أنهم قالوا إن الأرض بين يدي ملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقد ذكرنا أن ملائكة الموت يأتون الإنسان على حسب عمله إن كان مؤمناً أتاه ملائكة بيض الوجوه ويض الثياب طيبة الأرواح . وإن كان كافراً فبالضد من ذلك * عباداً لله العظيم من ذلك * وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن أبي يحيى القري حدثنا عمر بن شمر قال سمعت جعفر بن محمد قال سمعت أبي يقول نظر رسول الله (ص) إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبي (ص) يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن فقال ملك الموت يا محمد طب فسا وقر عينا فأتى بكل مؤمن رقيق * واعلم أن ملكي الأرض بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر وأنا أنفخصهم في كل يوم خمس مرات حتى إنني أعرف بصغيرهم وكبيرهم بأنفسهم والله يا محمد لو أتى أردت أن أقبض روح بموضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الأمر قبضها . قال جعفر بن محمد أبي هو الصادق يلفي بفضخصهم عند مواقيت الصلاة فإذا حضر عند الموت فإذا كان ممن يحافظ على الصلاة دأماً منه الملك ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك (لا إله إلا الله محمد رسول الله) في تلك الحال العظيمة . هذا حديث مرسل وفيه نظر وذكرنا في حديث الصور من طريق إسماعيل بن رافع المدني القاص عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) (الحديث) بطوله . وفيه ويأمر الله إسرائيل بنفخة الصعق فينتفخ فتحة الصعق فيصعق أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله فإذا هم قد أخذوا جاء ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول يارب قدامت أهل السموات والأرض إلا من شئت * فيقول الله وهو أعلم بمن بقي (فمن بقي) فيقول بقيت أنت الحي الذي لا يموت وبقيت حلة عرشك وبقي جبريل وميكائيل * فيقول ليمت جبريل وميكائيل فينطق الله العرش فيقول يارب يموت جبريل

وميكايل فيقول اسكت فاني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي فيدوتان «ثم يأتي ملك الموت الى الجبار عزوجل فيقول يارب قد مات جبريل وميكايل فيقول الله وهو أعلم بمن تقي فن تقي فيقول بقيت أنت الحى الذى لا يموت وقيت حمله عرشك وقيت أنا فيقول الله تمت حمله عرشي . فموت . ويأمر الله العرش فيقبض الصور من اسرافيل ثم يأتي ملك الموت فيقول يارب قد مات حملت عرشك فيقول الله وهو أعلم بمن تقي فيقول بقيت أنت الحى الذى لا يموت وقيت أنا فيقول الله أنت خلق من خلقي خلقتك لما أردت فت فيموت فاذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد * كان آخرها كما كان أولاً * وذكر تمام الحديث بطوله رواه الطبرانى وابن جرير والبيهقى ورواه الحافظ أبو موسى المدينى فى كتاب (الطولات) (١) وعنده زيادة غريبة وهى قوله فيقول الله له أنت خلق من خلقي خلقتك لما أردت فت موتاً لا تحيى بعده أبداً

ومن الملائكة المنصوص على أسمائهم فى القرآن هاروت وماروت فى قول جماعة كثيرة من السلف * وقد ورد فى قصتهما وما كان من أمرهما آثار كثيرة غالبها إسرائيلية * وروى الامام أحمد حديثاً مرفوعاً عن ابن عمر وصححه ابن حبان فى تقاسيمه . وفى صحته عندى نظر والأشبه أنه موقوف على عبد الله بن عمر ويكون مما تلقاه عن كعب الأبحار كما سيأتى بيانه والله أعلم * وفيه أنه تمثلت لها الزهرة امرأة من أحسن البشر * وعن على وابن عباس وابن عمر أيضاً ان الزهرة كانت امرأة وأنهما لما طلبا منها ما ذكر أبت إلا أن يملأها الاسم الأعظم فعلمها فقالتة فارتفعت الى السماء فصارت كوكباً * وروى الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس قال وفى ذلك الزمان امرأة حسنها فى النساء كحسن الزهرة فى سائر الكواكب . وهذا اللفظ احسن ماورد فى شأن الزهرة * ثم قيل كان أمرهما وقصتهما فى زمان إدريس * وقيل فى زمان سليمان بن داود كما حررنا ذلك فى التفسير *

وبالجملة فهو خبر إسرائيلي مرجعه الى كعب الأبحار كما رواه عبد الرزاق فى تفسيره عن الثورى عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأبحار بالقصة * وهذا أصبح إسناداً وأثبت رجلاً والله أعلم *

ثم قد قيل إن المراد بقوله « وما أنزل على الملكين يابل هاروت وماروت » قيلان من الجن قاله ابن حزم وهذا غريب وبعيد من اللفظ * ومن الناس من قرأ وما أنزل على الملكين بالكسر ويجعلها علجين من أهل فارس . قاله الضحاك . ومن الناس من يقول هما ملكان من السماء ولكن

(١) قال فى كشف الظنون الطولات للحافظ الكبير أبى موسى محمد بن أبى بكر عمر المدينى المتوفى

سنة ٥٨١ هـ وهى فى مجلدين .

سبق في قدر الله لهما ما ذكره من أمرهما إن صح به الخبر ويكون حكمهما كحكم إبليس إن قبل إنه من الملائكة لكن الصحيح أنه من الجن كما سيأتي تقريره *

ومن الملائكة المسيين في الحديث منكر ونكير عليهما السلام . وقد استفاض في الأحاديث ذكرهما في سؤال القبر . وقد أوردناها عند قوله تعالى « بيثت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » وهما فتانا القبر موكلان بؤال الميت في قبره عن ربه ودينه ونيبه ويمتحنان البر والفاجر وهما أزرقان أفرقان لهما أنياب وأشكال مزعجة وأصوات مفرعة أجارنا الله من عذاب القبر وبيثنا بالقول الثابت آمين * وقال البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا ابن وهب حدثني يونس عن ابن شهاب حدثني عروة أن عائشة زوج النبي (ص) حدثت أنها قالت للنبي (ص) (هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد . قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ليلى بن عبد كلال فلم يجيني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرضت رأسي فاذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد فقال ذلك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي (ص) بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا * ورواه مسلم من حديث ابن وهب به *

قصة الملائكة

ثم الملائكة عليهم السلام بالنسبة إلى ما هيأهم الله له أقسام * فمنهم حملة العرش كما تقدم ذكرهم ومنهم الكر ويرون الذين هم حول العرش وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش . وهم الملائكة المقربون كما قال تعالى « لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون * ومنهم جبريل وميكائيل عليهما السلام . وقد ذكر الله عنهم أنهم يستغفرون للمؤمنين بظهر الغيب كما قال تعالى (ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسمت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن سلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم . إنك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته . وذلك هو الفوز العظيم) ولما كانت سجايام هذه السهبة الطاهرة كانوا يحبون من اتصف بهذه الصفة ثبت في الحديث عن الصادق المصدوق أنه قال « إذا دعا العبد لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثل *

ومنهم سكان السموات السبع يعمرونها بعبادة دائمة ليلا ونهارا صباحا ومساء كما قال « يسبحون

الليل والنهار لا يفترون * فمنهم الراكع دائماً والتام دائماً والساجد دائماً * ومنهم الذين يتعاقبون زمرة بعد زمرة الى البيت المعمود كل يوم سيمون الفا لا يهودون اليه آخر ما عليهم * ومنهم الموكلون بالجنان وإعداد الكرامة لاهلها وتهيئة الضيافة لساكنيها من ملابس ومصاغ ومساكن وماكل ومشاب وغير ذلك مما لعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر *

وخازن الجنة ملك يقال له رضوان جاء مصرحاً به في بعض الاحاديث * ومنهم الموكلون بالنار وهم الزبانية * ومقدموم تسعة عشر وخازنها مالك وهو مقدم على جميع الخزنة . وهم المذكورون في قوله تعالى (وقال الذين في النار غلظة جهنم ادعوا ربكم يخفض عنا يوماً من العذاب) الآية . وقال تعالى « نادوا يا مالك ليقض علينا ربك . قال انكم ما كنتم لقد جئناكم بلحق ولكن أكثركم للحق كارهون » وقال تعالى (عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) وقال تعالى (عليها تسعة عشر ومجلتنا أصحاب النار إلا ملائكة ومجلتنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ويقولون الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا * كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء * وما يعلم جنود ربك الا هو)

وهم الموكلون بحفظ بنى آدم كما قال تعالى « سواء منكم من أسر القول ومن جهر به . ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار . * له مقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظون من أمر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا اراد الله قوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال » قال الوالي عن ابن عباس (له مقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) وهي الملائكة وقال عكرمة عن ابن عباس يحفظونه من أمر الله * قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فاذا جاء قدر الله خلوا عنه وقال مجاهد ما من عبد الا وملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام . وليس شئ يأتيه يريد الا قال ورائك الا شئ يأذن الله فيه فيصيبه . وقال أبو اسامة (١) (ما من آدمي الا ومعه ملك ينود عنه حتى يسلمه للذي قدر له . وقال أبو مجاز جاء رجل الى علي فقال ان فراً من مراد يريدون قتلك فقال ان مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه ان الأجل جنة حصينة .

ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد كما قال تعالى « عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » وقال تعالى وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تعملون * قال الحافظ أبو محمد

عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي في تفسيره حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع حدثنا سفيان ومسر عن عقمة بن يزيد عن مجاهد قال قال رسول الله (ص)، أكرموا الكرام الكاتين الذين لا يمارقونكم إلا عند إحدى حالتين الجنابة والغائط فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجذم حائط أو ببيره أو يستقره أخوه * هذا مرسل من هذا الوجه وقد وصله البزار في مسنده من طريق جعفر بن سليمان * وفيه كلام عن عقمة عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص)، إن الله ينهاكم عن التمرى فاستحيوا من الله والذين معكم الكرام الكاتين الذين لا يمارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات الغائط والجنابة والنسل . فإذا اغتسل أحدكم بالمرء فليستر بثوبه أو يجذم حائط أو ببيره . ومعنى الكرامهم أن يستحي منهم فلا يعل عليهم الأعمال القبيحة التي يكتبونها فإن الله خلقهم كراماً في خلقهم وأخلاقهم * ومن كرمهم أنه قد ثبت في الحديث المروي في الصحاح والسنن والمسائيد من حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله (ص)، أنه قال لا يدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ولا كلب ولا جنب . وفي رواية عن غاصم بن ضمرة عن عليّ (ولا بول) وفي رواية رافع عن أبي سعيد مرفوعاً لا يدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ولا تمثال . وفي رواية مجاهد عن أبي هريرة مرفوعاً لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو تمثال . وفي رواية ذكوان أبي صالح السامك عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، لا تصحب الملائكة رقعة معهم كلب أو جرس . ورواه زرارة بن أوفى عنه لا تصحب الملائكة رقعة معهم جرس * وقال البزار حدثنا اسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالقاسم . حدثنا بيان بن حران حدثنا سلام عن منصور بن زاذان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، إن ملائكة الله يرفقون بني آدم (وأحسبه قال) ويرفون أعمالهم فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا أفلح الليلة فلان نجيا الليلة فلان . وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه ، وقالوا هلك فلان الليلة * ثم قال سلام أحسبه سلام المدائني وهو لين الحديث . وقد قال البخاري حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، الملائكة يتعاقبون ملائكة الليل وملائكة النهار ويجتهدون في صلاة الفجر وصلاة العصر . ثم يرحل إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم فيقول كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون . وأتيناهم وهم يصلون * هذا اللفظ في كتاب بدء الخلق بهذا السياق وهذا اللفظ تفرد به دون مسلم من هذا الوجه * وقد أخرجه في الصحيحين في البدء من حديث مالك عن أبي الزناد به * وقال البزار حدثنا زياد بن أيوب حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي حدثنا تمام بن نجيع عن الحسن بن علي البصري عن أنس قال قال رسول الله (ص)، ما من حافظين يرفقان لي الله عز وجل محافظين في يوم فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استفطاراً إلا قال الله غفرت لبيدي ما بين طرفي الصحيفة * ثم قال تفرد به تمام بن نجيع

وهو صالح الحديث * قلت وقد وثقه ابن ميمون وضعفه البخاري وأبو حاتم وأبو زرعة والنسائي وابن عدى ورواه ابن حبان بالوضع وقال الامام أحمد لا أعرف حقيقة أمره والمقصود أن كل انسان له حافظان ملكان اثنان واحد من بين يديه وآخر من خلفه يحفظانه من أمر الله بأمر الله عز وجل * وملك كان كاتبان عن يمينه وعن شماله وكاتب اليمين أمير على كاتب الشمال . كما ذكرنا ذلك عند قوله تعالى « عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد »

فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا أسود ابن عامر * حدثنا سفيان . حدثنا منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله هو ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) . ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله أصابني عليه فلا يأمرني الا بخير . أفرد باخراجه مسلم من حديث منصور به فيحتمل أن هذا القرين من الملائكة غير القرين يحفظ الانسان وانما هو موكل به ليهديه ويرشده باذن ربه الى سبيل الخير وطريق الرشاد كما أنه قد وكل به القرين من الشياطين لا يألوه جهدا في الخيال والاضلال . والمعصوم من عصه الله عز وجل وباللّٰه المستعان *

وقال البخاري حدثنا أحمد بن يوسف حدثنا ابراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن والاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) ، اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طورا والصفحا وجاؤا يسمعون الذكر وهكذا رواه منفردا به من هذا الوجه وهو في الصحيحين من وجه آخر * وقد قال الله تعالى « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » * وقال الامام أحمد حدثنا أسباط حدثنا الأعمش عن ابراهيم عن ابن مسعود عن النبي (ص) ، * وحدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي (ص) ، في قوله « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » قال تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار * ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أسباط * وقال الترمذي حسن صحيح * قلت وهو منقطع *

وقال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي (ص) ، * قال فضل صلاة الجمع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة . ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر . يقول أبو هريرة لمقرؤا ان شقتم « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » وقال البخاري حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) ، اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فأبت فبات غضبان لعتها الملائكة حتى تصبح * تابعه شعبة وأبو حمزة وأبو داود وأبو معاوية عن

الأعمش . وثبت في الصحيحين أن رسول الله (ص) قال إذا أمن الامام فأمنوا فان من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه * وفي صحيح البخارى حدثنا اسماعيل بلفظ اذا قال الامام آمين فان الملائكة تقول في السماء آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه * وفي صحيح البخارى حدثنا اسماعيل حدثني مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال اذا قال الامام سمع الله لمن حمده قولوا (اللهم ربنا ولك الحمد) فان من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه . ورواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من حديث مالك * وقال الامام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد هو شك (يعني الاعمش) قال قال رسول الله (ص) بن الله ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا اقواما يذكرون الله فنادوا هلموا الى بيتكم فيجيئونهم الى السماء الدنيا فيقول الله أى شئ تركتم عبادى يصنعون فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويذكرونك فيقول وهل رأوني فيقولون لا فيقول كيف لرأوني فيقولون لورأوك لكانوا أشد تحميدا وتمجيدا وذكرا * قال فيقول فأى شئ يطلبون فيقولون يطلبون الجنة فيقول وهل رأوها فيقولون لا فيقول وكيف لرأوها فيقولون لورأوها لكانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا قال فيقول من أى يتعذون فيقولون من النار فيقول وهل رأوها فيقولون لا فيقول فكيف لرأوها فيقولون لورأوها كانوا أشد منها هربا وأشد منها خوفا . قال فيقول اشهدكم أنى قد غفرت لهم . قال فيقول ان فيهم فلانا الخطاء لم يردم إنما جاء لحاجة فيقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم *

وهكذا رواه البخارى عن قتبية عن جرير بن عبد الحميد عن الأعمش به . وقال رواه شعبة عن الأعمش ولم يرفعه . ورفعه سهيل عن أبيه . وقد رواه أحمد عن عفان عن وهيب عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه كما ذكره البخارى معلقا عن سهيل . ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن أسد عن وهب به . وقد رواه الامام أحمد أيضا عن غندر عن شعبة عن سليمان (هو الاعمش) عن أبي صالح عن أبي هريرة كما أشار اليه البخارى رحمه الله * وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية . حدثنا الاعمش وابن نمير * أخبرنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) من نفس عن مؤن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة * ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة . والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . ومن سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له به طريقا الى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحضتهم الملائكة وذكروهم الله فين عنده * ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه * * وكذا رواه مسلم من حديث أبي معاوية * وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أبي اسحاق عن الأغر (أبي مسلم) عن

أبي هريرة وأبي سعيد عن رسول الله (ص). قال ما اجتمع قوم يذكرون الله الاحتم الملائكة
وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكروا الله فيمن عنده * وكذا رواه أيضا من حديث
لسرائيل وسفيان الثوري وشعبة عن أبي اسحاق بن نحوه * ورواه مسلم من حديث شعبة والترمذي
من حديث الثوري وقال حسن صحيح * ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن آدم
عن عمار بن زريق عن أبي إسحاق بسناد نحوه * وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة * وفي مسند الإمام
أحمد والسنن عن أبي الدرداء مرفوعا (وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع) أي
تواضع له كما قال تعالى « وانخفض لها جناح النمل من الرحمة » وقال تعالى « وانخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين » وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله
ابن مسعود أن رسول الله (ص) قال إن لله ملائكة سياحين في الارض ليبلغوني عن امتي السلام *
وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري وسليمان الاعشى كلاهما عن عبد الله بن السائب * *
وقال الإمام أحمد . حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال
رسول الله (ص) خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وصف
لكم * وهكذا رواه مسلم عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به .
والأحاديث في ذكر الملائكة كثيرة جدا * وقد ذكرنا ما يسهره الله تعالى وله الحمد *

فضيلة الملائكة

وقد اختلف الناس في تفضيل الملائكة على البشر على أقوال . فأكثر ما توجد هذه المسئلة
في كتب المتكلمين والخللاف فيها مع المعتزلة ومن واقفهم وأقدم كلام رأيته في هذه المسئلة ما ذكره
الحافظ بن عساكر في تاريخه في ترجمة أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص انه حضر مجلسا لعمر بن
عبد العزيز وعنده جماعة فقال عمر ما أحد أكرم على الله من كرم بن آدم . واستدل بقوله تعالى « ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » وواقفه على ذلك أمية بن عمرو بن سعيد فقال عراك
ابن مالك ما أحد أكرم على الله من ملائكته هم خدمة داره ورسله الى أنبيائه . واستدل بقوله تعالى
« ما لها كاريكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من انطالدين » قال عمر بن عبد العزيز
لحمد بن كعب القرظي ما تقول أنت يا أبا حمزة * قال قد أكرم الله آدم خلقه بيده وفتح فيه من
روحه وأسجد له الملائكة وجعل من ذريته الأنبياء والرسل ومن يزوره الملائكة * فوافق عمر بن
عبد العزيز في الحكم واستدل بنير دليله * وأضف دلالة ما صرح به من الآية وهو قوله « ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات » مضمونة أنها ليست بخاصة بالبشر * فان الله قد وصف الملائكة بالايان في

قوله « ويؤمنون به » وكذلك الجنان « وانما سمعنا الهدى آمانا به » « وانلنا المسلمون » قلت وأحسن ما يستدل به في هذه المسئلة ما رواه عثمان بن سعيد الدارمي عن عبد الله بن عمرو مرفوعا وهو أصح قال لما خلق الله الجنة قالت الملائكة يا ربنا اجعل لنا هذة نأكل منها ونشرب فانك خلقت الدنيا لبني آدم فقال الله لن اجعل صالح ذرية من خلقت يدي كن قلت له كن فكان *

باب غلوة الجنان وقصة الشيطان

قال الله تعالى « خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجنان من مارج من نار فبأى آلاء: بكتات كاذبين » وقال تعالى « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حأ مستنون . والجان خلقنا من قبل من نار السموم » وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وغير واحد (من مارج من نار) قالوا من طرف الاله وفي رواية من خالصه وأحسنه * وقد ذكرنا آقا من طريق الزهري عن عروة وعن عائشة قالت قال رسول الله (ص) خلقت الملائكة من نور وخلق الجنان من نار وخلق آدم مما وصف لكم رواد مسلم * قال كثير من علماء التفسير خلقت الجن قبل آدم عليه السلام وكان قلبهم في الأرض الحن والبن فسلط الله الجن عليهم قتلهم وأجلهم عنها وأبادهم منها وسكنوها بدمهم . وذكر السدي في تفسيره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود عن ناس من أصحاب رسول الله (ص) لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجلس ابليس على ملك الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سماوا الجن لانهم خزان الجنة . وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع في صدره انما أعطاني الله هذا لمزية لي على الملائكة . وذكر الضحاك عن ابن عباس أن الجن لما أفسدوا في الارض وسفكوا الدماء بعث الله اليهم ابليس ومعه جنود من الملائكة قتلهم وأجلهم عن الأرض الى جزائر البحور *

وقال محمد بن إسحاق عن خلاد عن عطاء عن طلاس عن ابن عباس كان اسم ابليس قبل أن يرتكب المعصية عزازيل . وكان من سكان الارض ومن أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما وكان من حى يقال لهم الجن * وروي ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير عنه كان اسمه عزازيل وكان من أشرف الملائكة من أولى الاجنحة الاربعة * وقد أسند عن حجاج عن ابن جريح قال ابن عباس كان ابليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة * وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان سماء الدنيا . وكان له سلطان الارض * وقال صالح مولى التوأمة عن ابن عباس كان يسوس ما بين السماء والارض رواد ابن جرير وقال قتادة عن سعيد بن المسيب كان ابليس رئيس ملائكة سماء الدنيا * وقال الحسن البصرى لم يكن من الملائكة طرفة عين وانه لأصل الجن كما أن آدم أصل البشر * وقال شهر ابن حوشب وغيره كان ابليس من الجن الذين طردوهم الملائكة فأسره بعضهم وذهب به الى السماء . رواه ابن جرير * قالوا فدا

أراد الله خلق آدم ليكون في الارض هو وذريته من بعده وصور جسده منها جعل ابليس وهو رئيس الجن وأكثرهم عبادة اذ ذاك وكان اسمه عزازيل يطيف به فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك * وقال أمالئن سلطت عليك لاهلكنك ولئن سلطت علي لأعصينك فلما أن فزع الله في آدم من روحه كما سيأتي وأمر الملائكة بالسجود له دخل ابليس منه حسد عظيم وامتنع من السجود له وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين مغالف الأمر واعترض على الرب عز وجل وأخطأ في قوله واتعد من رحمة ربه وأنزل من مرتبته التي كان قد نلها بعبادته وكان قد تشبه بالملائكة ولم يكن من جنسهم لانه مخلوق من نار وهم من نور فخانه طبعه في أحوج ما كان اليه ورجع الى أصله الناري (فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين » وقال تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا)

فأهبط ابليس من الملائكة الأعلى وحرم عليه قدر أن يسكنه فنزل الى الارض حقيرا ذليلا مذموما مدحورا متوعدا بالنار هو ومن اتبعه من الجن والانس الا انه مع ذلك جاهد كل الجهد على اضلال بني آدم بكل طريق وبكل مرصد كما قال (رأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتني الى يوم القيامة لاحتكن ذريته الا قليلا . قال اذهب فن تبعتك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزذ من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركتهم في الاموال والأولاد وعدمه وما يهدم الشيطان إلا غرورا . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً)

وسند ذكر القصة مستفاضة عند ذكر خلق آدم عليه السلام * والمقصود أن الجن خلقوا من النار وهم كبنى آدم يأكلون ويشربون ويتناسلون * ومنهم المؤمنون ومنهم الكافرون كما أخبر تعالى عنهم في سورة الجن في قوله تعالى (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم * يا قومنا أجيئوا داعي الله وأمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويمحركم من عذاب اليم * ومن لا يوجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) وقال تعالى (قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجيبا يهدى الى الرشاد فامتابه ولن نشرك ربنا أحدا . وانه تعالى جدر بنا ما نتخذ صاحبة ولاولدا . وانه كان يقول سفيها على الله شططا . وأن ظننا أننا نقول الانس والجن على الله كذبا . وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا . وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن نبعث الله أحدا * وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا . وأنا كنا نعد منها مقاعد للسمع فن يستمع الآن يجد له شهابا

رصدنا . وأنا لاندري أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدنا * وأنا لما الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا * وأنا ظننا ان لن نمجز الله في الارض ولن نمجزه هربا . وأنا لما سمعنا الهدى آمننا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف نجسا ولا رهقا . وأنا لما المسلمون وما القاسطون . فمن أسلم فأولئك نجحوا رشدنا * وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبنا . وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لغنتهم فيه . ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صمدا () وقد ذكرنا تفسير هذه السورة وتمام القصة في آخر سورة الاحقاف * وذكرنا الاحاديث المتعلقة بذلك هناك * وأن هؤلاء النفر كانوا من جن (نصييين) وفي بعض الآكل من جن (بصرى) وأنهم مروا برسول الله (ص) . وهو قائم يصلي يصحبه بطن نخلة من أرض مكة فوقوا فاستمعوا لقراءته . ثم اجتمع بهم النبي (ص) ، ليلة كاملة فسألوه عن أشياء أمرهم بها ونهاهم عنها وسألوه الزاد فقال لهم (كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونهُ أو فرما يكون لحما وكل روثه علف للدوابكم) ونهى النبي (ص) ، أن يستنجي بهما وقال (لنهما زاد إخوانكم) الجن . ونهى عن البول في السرب لأنها مساكن الجن . وقرأ عليهم رسول الله (ص) ، سورة الرحمن فاجعل يمر فيها بأية (فبأى آلاء ربكما تكذبان) الا قالوا ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد . وقد أنفى عليهم النبي (ص) ، في ذلك لما قرأ هذه السورة على الناس فسكروا . فقال (الجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم فبأى آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد) . رواه الترمذى عن جبير وابن جرير والبخاري عن ابن عمر *

وقد اختلفت في مؤمنى الجن هل يدخلون الجنة أو يكون جزء طائفتهم ان لا ينذب بالنار قط . على قولين الصحيح أنهم يدخلون الجنة لمعوم القرآن * ولمعوم قوله تعالى « ولن خاف مقام ربه جنتان . فبأى آلاء ربكما تكذبان » فامتن تعالى عليهم بذلك فلولا أنهم ينالونه لما ذكره وعده عليهم من النعم * وهذا وحده دليل مستقل كاف في المسئلة وحده والله أعلم *

وقال البخارى حدثنا قتيبة عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صمصمة عن أبيه أن أباسميد الخدرى قال له (لنى أراك تحب الغنم والبادية فاذا كنت في غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فانه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة) * قال أبو سعيد سمعته من رسول الله (ص) ، * ان فرد به البخارى دون مسلم *

وأما كافرو الجن فمنهم الشياطين ومقدمهم الأكبر إبليس عدو آدم أبى البشر وقد سلطه هو وذريته على آدم وذريته . وتكفل الله عز وجل بعصمة من آمن به وصدق رسله واتبع شرعه منهم . كما قال « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلنا » وقال تعالى « ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين . وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة من هو منها

في شك وربك على كل شيء حفيظ » وقال تعالى (يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون)

وقال (واذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فاذا سويته وفنخت فيه من روحي قعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . الا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا إبليس مالك أن لا تكون من الساجدين قال لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون قال فانخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين . قال رب فأقترني الى يوم يعثون . قال فانك من المنظرين . الى يوم الوقت المعلوم . قال رب بما أغويتني لأزين لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين . الا عبادك المحضين قال هذا حراط على مستقيم . ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من العاوين . وان جهنم لم وعدم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم)

وقد ذكر تعالى هذه القصة في سورة البقرة وفي الاعراف وههنا وفي سورة سبأ وفي سورة طه وفي سورة ص * وقد تكلمنا على ذلك كله في مواضع في كتابنا للتفسير والله الحمد * وسنوردها في قصة آدم إن شاء الله * والمقصود أن إبليس أظفره الله الى يوم القيامة محنة لعباده واختبارا منه لهم كما قال تعالى (وما كان له عليهم من سلطان الا لنعم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك . وربك على كل شيء حفيظ) * وقال تعالى (وقال الشيطان لما قضي الامر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم * وأدخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدون فيها بلاذن ربهم يحيطهم فيها سلام) *

فإبليس لعنه الله حتى الآن منظر الى يوم القيامة بنص القرآن * وله عرش على وجه البحر وهو جالس عليه ويمتد سراياه يلقون بين الناس الشر والفتن * وقد قال الله تعالى (إن كيد الشيطان كان ضعيفا وكان اسمه قبل مصيته العظيمة عزازيل * قال النقاش وكنيته (أبو كركوس) ولهذا لما قال النبي (س) لابن صياد ما ترى قال أرى عرشا على الماء . فقال له النبي (س) (احسأ فلن تمدو قدرك)

فصرف أن مادمة كاشفته التي كاشفه بها شيطانية مستمدة من إبليس الذي هو يتاهد عرشه على البحر * ولهذا قال له احسأ فلن تمدو قدرك أي لن تجاوز قبضتك الدنية الخسيسة الحقيرة *
والدليل على أن عرش إبليس على البحر الذي رواه الامام احمد حدثنا أبو المعيرة حدثنا صفوان حدثني معاذ التميمي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (س) (عرش إبليس في البحر يمت

سراياه في كل يوم يقتنون الناس فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة للناس» ورواه (١)
وقال أحمد حدثنا روح حدثنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت
رسول الله (ص) يقول (عرش إبليس على البحر يبعث سراياه فيقتنون الناس فأعظمهم عنده أعظمهم
فتنة) تفرد به من هذا الوجه *

وقال أحمد حدثنا مؤمل حدثنا حماد حدثنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله (ص) لابن صائد (ما ترى . قال أرى عرشا على الماء أو قال على البحر حوله حيات)
قال (ص) ذلك عرش إبليس * هكذا رواه في مسند جابر *

وقال في مسند أبي سعيد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أنبا علي بن زيد عن أبي نضرة عن
أبي سعيد أن رسول الله (ص) قال لابن صائد (ما ترى قال أرى عرشا على البحر حوله الحيات) قال
رسول الله (ص) صدق ذلك عرش إبليس *

وروى الامام أحمد من طريق معاذ التميمي وأبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله
(ص) إن الشيطان قد يئس أن يعيده المصلون ولكن في التحريش (٢) بينهم * وروى الامام مسلم
من حديث الأعمش عن أبي سفيان طلحة بن نافع عن جابر عن النبي (ص) قال «إن الشيطان يضع عرشه
على الماء ثم يبعث سراياه في الناس فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة . يجيء أحدهم فيقول ما زلت
بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا . فيقول إبليس لا والله ما صنعت شيئا . ويجيء أحدهم فيقول
ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله . قال فيقر به ويدنيه ويقول نعم أنت . يروى بفتح التون بمعنى نعم أنت
ذلك الذي تستحق الاكرام . وبكسرهما أي نعم منك * وقد استدل به بعض النحاة على جواز كون فاعل
نعم مضرا وهو قليل * واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج الاول ورجحه ووجهه بما ذكرناه والله اعلم
وقد أوردنا هذا الحديث عند قوله تعالى « ما يفرقون به بين المرء وزوجه » يعني أن السحر المتلقى
عن الشياطين من الانس والجن يتوصل به الى التفرقة بين المتألفين غاية التألف المتوادين المتحابين
ولهذا يشكر إبليس سعى من كان السبب في ذلك . فالله ذمه الله بمدحه والذي يفض الله يرضيه
عليه لعنة الله * وقد أنزل الله عز وجل سورتي المودتين مطردة لأنواع الشر وأسبابه وغاياته . ولا سيما
سورة « قل أعوذ برب الناس ملك الناس يله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور
الناس من الجنة والناس » . وثبت في الصحيحين عن أنس . وفي صحيح البخاري عن صفية بنت حسين
أن رسول الله (ص) قال « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » *

(١) يياض بالاصلين مقداره ما ترى (٢) قوله في التحريش متعلق بمقدّم أي سعى بينهم في التحريش

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا محمد بن جبير حدثنا عدى بن أبي عمارة حدثنا زياد النخعي عن أنس قال قال رسول الله (ص)، « إن الشيطان واضح خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وإن نسي التعم قلبه فذلك الوسواس الخناس * ولما كان ذكر الله مطردة للشيطان عن القلب كان فيه تذكير للناس كما قال تعالى « واذكر ربك إذا نسيت » وقال صاحب موسى « وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره » وقال تعالى « فأنساه الشيطان ذكر ربه » يعني الساقى لما قال له يوسف اذكرني عند ربك نسي الساقى أن يذكره لربه يعني مولاه الملك. وكان هذا التسيان من الشيطان فلبث يوسف في السجن بضع سنين * ولهذا قال بعده « وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة » أى مدة * وقرئ بعد أمة أى نسيان. وهذا الذى قلنا من أن الناسى هو الساقى هو الصواب من القولين كما قررناه فى التفسير والله أعلم

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا عبيدة يحدث عن رديف رسول الله (ص)، قال عثر بالنبي (ص)، حمارة قتلت نفس الشيطان فقال النبي (ص): (لا تهل نفس الشيطان فانك إذا قلت نفس الشيطان تماظم وقال يقوى صرخته وإذا قلت بسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب) * تفرد به أحمد وهو إسناد جيد * وقال أحمد حدثنا أبو بكر الحنفى حدثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص): (إن أحدكم إذا كان فى المسجد جاء الشيطان فأيس به كما يس الرجل بدايته فإذا سكن له زقه أو ألجه * قال أبو هريرة * وأنتم ترون ذلك. أما المزنوق فتراه ما تلاكذا لا يذكر الا الله * وأما الملجم ففأح فاه لا يذكر الله عز وجل تفرد به أحمد * وقال الامام أحمد حدثنا ابن غير حدثنا ثور يعنى ابن يزيد عن مكحول عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص): « العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم » * وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن ذر بن عبد الله الهمدانى عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال (جاء رجل الى النبي (ص)، فقال يا رسول الله إني أحدث نفسي بالشئ لأن آخر من السماء أحب الى من أن اتكلم به) فقال النبي (ص)، « الله أكبر الحمد لله الذى رد كيده الى الوسوسة » * ورواه أبو داود والنسائى من حديث منصور زاد النسائى والأعمش كلاهما عن أبي ذر به *

وقال البخارى حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عروة قال قال أبو هريرة قال رسول الله (ص)، « يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فاذا بلغه فليستم بالله وليته * وهكذا رواه مسلم من حديث الليث ومن حديث الزهرى وهشام بن عروة كلاهما عن عروة به * وقد قال الله تعالى « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » وقال تعالى « وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون » وقال تعالى « وإما يزنغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم » وقال تعالى

(فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) . وروى الامام أحمد وأهل السنن من حديث أبي المتوكل عن أبي سعيد قال كان رسول الله (ص) يقول (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه وفثته) . وجاء مثله من رواية جبير بن مطعم وعبد الله بن مسعود وأبي أسامة الباهلي . وتفسيره في الحديث (فهمزه الموتة وهو الخلق الذي هو الصرع . ونفخه الكبر . وفثته الشعر) وثبت في الصحيحين عن أنس أن رسول الله (ص) كان إذا دخل الخلاء قال « أعوذ بالله من الخبث والخبائث » قال كثير من العلماء استعاذ من ذكران الشياطين وإنهم * وروى الامام أحمد عن شرح عن عيسى بن يونس عن ثور عن الحسين عن ابن سعد الخير وكان من أصحاب عمر عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) (ومن أتى الفناط فليستتر فإن لم يجد إلا أن يجمع كنيها فليستبره فإن الشيطان يلعب بمقاعد بني آدم من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج) * ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث ثور بن يزيد به . وقال البخاري حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن عدي بن ثابت قال قال سليمان بن سرد استب رجلان عند النبي (ص) ونحن عنده جلوس فأحدهما يسب صاحبه منفضبا قد احمر وجهه فقال النبي (ص) (إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد . لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فقالوا للرجل ألا تسب ما يقول النبي (ص) . فقال إني لست بمجنون . ورواه أيضا مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن الأعمش *

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال (لا يأكل أحدكم بشاله ولا يشرب بشاله فإن الشيطان يأكل بشاله ويشرب بشاله) * وهذا على شرط الصحيحين بهذا الاسناد وهو في الصحيح من غير هذا الوجه *

وروى الامام أحمد من حديث إسماعيل بن أبي حكيم عن عروة عن عائشة عن رسول الله (ص) أنه قال (من أكل بشاله أكل معه الشيطان ومن شرب بشاله شرب معه الشيطان) * وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر أباننا شعبة عن أبي زياد الطحان سمعت أبا هريرة يقول عن النبي (ص) أنه رأى رجلا يشرب قائما فقال له (قه) قال لم . قال (أيدرك أن يشرب معك المر . قال لا قال) فانه قد شرب معك من هو شر منه الشيطان * تفرد به احمد من هذا الوجه . وقال أيضا حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن رجل عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) (لو يعلم الذي يشرب وهو قائم ما في بطنه لاستقاء) قال وحدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي (ص) . بمثل حديث الزهري * وقال الامام أحمد حدثنا موسى حدثنا ابن لميعة عن ابن الزبير أنه سأل جابراً

سمعت النبي (١) (ص) قال (إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله حين يدخل وحين يطعم قال الشيطان لاميت لكم ولا عشاء همتا. وإن دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله قال أدركم الميت. وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه قال أدركم الميت والعشاء. قال نعم * وقال البخاري حدثنا محمد حدثنا عبدة حدثنا محمد عن هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص) « إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى يبرز وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى يغييب ولا تمنحنوا ببيلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فاتها تطلع بين قرني الشيطان » أو (الشياطين) لا أدرى أي ذلك قال هشام * ورواه مسلم والنسائي من حديث هشام به * وقال البخاري حدثنا عبد الله بن مسleme عن مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال رأيت رسول الله (ص) يشير إلى المشرق فقال « هإن الفتنة ههنا إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان » * هكذا رواه البخاري منفردا به من هذا الوجه * وفي السنن أن رسول الله (ص) نهى أن يجلس بين الشمس والظل. وقال إنه مجلس الشيطان * وقد ذكرنا في هذا معنى. من أحسنها أنه لما كان الجلوس في مثل هذا الموضع فيه تشبهه بالقامة فيما يرى كان يجبه الشيطان لأن خلقته في نفسه مشوه وهذا مستقر في الأذهان. ولهذا قال تعالى (طامها كأنه رؤس الشياطين) الصحيح أنهم الشياطين لا ضرب من الحيات كما زعمه من المفسرين والله أعلم * فإن النفوس مغروز فيها قبح الشياطين وحسن خلق الملائكة وإن لم يشاؤا. ولهذا قال تعالى « طامها كأنه رؤس الشياطين » وقال النسوة لما شاهدن جمال يوسف (حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) -. وقال البخاري حدثنا يحيى بن جعفر حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري حدثنا ابن جريج أخبرني عطاء عن جابر عن النبي (ص) قال (إذا استنجح) أو (كان جنب الليل) فكفوا أصديانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم (٢) وأغلق بابك واذكر اسم الله وأطلق مصباحك واذكر اسم الله وأوك سقاءك واذكر اسم الله وخر إفاك واذكر اسم الله ولو تعرض عليه شيئا » ورواه أحمد عن يحيى عن ابن جريج وعنده فإن الشيطان لا يفتح مقلنا. وقال الامام احمد حدثنا وكيع عن قط (٣) عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله (ص) « أغلقوا أبوابكم وخرور آياتكم وأوكروا أسقيتكم وأطلقوا سرجكم فإن الشيطان لا يفتح بابا مقلنا ولا يكشف غطاء ولا يحمل وكاء وإن الفويسقة تضرم البيت على أهله معنى الفأرة. وقال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعبة عن منصور عن سالم بن أبي الجلتة عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي (١) قوله سمعت النبي الخ يفتح التاء وهو استغفام من جابر عن الحديث الآتي فهو بيان لسؤال ابن الزبير جابراً. وجوابه قوله الآتي نعم (٢) المراد من الحل بلغاء المهمة المفتوحة اخلاء سيولهم (٣) قوله عن قط كذا بالأصول وليس من الروايات من تسمى ههنا

أهله قال اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتني فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه . « وحدثنا الأعمش عن سالم عن كريب عن ابن عباس مثله *

ورواه أيضا عن موسى بن إسماعيل عن همام عن منصور عن سالم عن كريب عن ابن عباس عن النبي (ص) قال (أما لو أن أحدكم اذا أتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فرزقا ولدا لم يضره الشيطان) * وقال البخاري حدثنا إسماعيل حدثنا أخي عن سليمان عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال «يقعد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقدة . يضرب على كل عقدة مكانها» عليك ليل طويل فارقد «فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة . فان توضأ انحلت عقدة . فان صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» هكذا رواه منفردا به من هذا الوجه . وقال البخاري حدثنا إبراهيم عن حمزة حدثني ابن أبي حازم عن يزيد يعني ابن الهادي عن محمد بن إبراهيم عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثا فان الشيطان يبيت على خيشومه) ورواه مسلم عن بشر بن الحكم عن الدراوردي والنسائي عن محمد بن زبور عن عبد العزيز بن أبي حازم كلاهما عن يزيد بن الهادي به * وقال البخاري حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال «ذكر عند النبي (ص) رجل نام ليله ثم أصبح قال ذلك رجل بال الشيطان في أذنيه» أو قال (في أذنه) *

ورواه مسلم عن عثمان واسحاق كلاهما عن جرير به . واخرجه البخاري أيضا والنسائي وابن ماجه من حديث منصور بن المتمر به . وقال البخاري حدثنا محمد بن يوسف أنبأنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) «إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط فاذا قضى اقبل فاذا توب بها ادبر فاذا قضى اقبل حتى يخطئ بين الانسان وقلبه . فيقول اذكر كذا وكذا حتى لا يدري أنثلاثا صلى أم أربعا فاذا لم يدرك أنثلاثا صلى أم أربعا سجد سجدتي السهو» هكذا رواه منفردا به من هذا الوجه . وقال احمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا جعفر يعني الأحرع عن عطاء بن السائب عن أنس قال قال رسول الله (ص) «راصوا الصفوف فان الشيطان يقوم في الخلل» وقال احمد حدثنا ابان حدثنا قتادة عن أنس بن مالك أن النبي (ص) كان يقول راصوا الصفوف وقاربوا بينها وحاذوا بين الأعناق فولدني نفس محمد يده في لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنه الخذف * وقال البخاري حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا يونس عن حميد بن هلال عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله (ص) «إذا مر بين يدي أحدكم شيء فليمنه فان أبي فليمنه فان أبي فليقاتله فانما هو شيطان» ورواه أيضا مسلم وأبو داود من حديث سليمان بن المغيرة عن

حميد بن هلال به * وقال الامام أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا بشير بن معبد حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائماً يصلي فذهبت أمرٌ بين يديه فردني * ثم قل حدثني أبو سعيد الخدري أن رسول الله (ص)، قام يصلي صلاة الصبح وهو خائف يقرأ فاتلبت عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال « لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أختمه حتى وجدت برد لباها بين أصبغى هاتين الإبهام والتي تلبها ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليعمل * وروى أبو داود منه فمن استطاع الى آخره عن أحمد بن أبي سريح عن أبي أحمد محمد بن عبد الله بن محمد بن الزبير به . وقال البخاري حدثنا محمود حدثنا شبابة حدثنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي (ص)، « أنه صلى صلاة فقال ان الشيطان عرض لي فسد على لقطع الصلاة على فأمكنني الله منه » فذكر الحديث * وقد رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به مطولاً *

ولفظ البخاري عند تفسير قوله تعالى اختاراً عن سليمان عليه السلام أنه قال « رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بدى انك أنت الوهاب » من حديث روح وغندر عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي (ص)، قال (إن عفريتاً من الجن تفتل على الباردة) أو كلة نحوها ليقطع على الصلاة فأمكنني الله منه فاردت أن أربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا اليه. كلكم فقد كرت قول أخي سليمان (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بدى انك أنت الوهاب) قلل روح فرده خاسئاً * وروى مسلم من حديث أبي إدريس عن أبي الدرداء قال قام رسول الله (ص)، يصلي فسمعناه يقول (اعوذ بالله منك) ثم قال (الملك بلعنة الله ثلاثاً وبسط يده كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك فقال إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجمه في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات . ثم قلت لعلك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثم أردت أخذه والله لو لا دعوة أخي سليمان لأصبح موتاً يلعب به ولدان أهل المدينة . وقال تعالى (فلا تنزعكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الفرور) يعنى الشيطان وقال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير) فالشيطان لا يألو الانسان خبالاً جهده وطاقته في جميع أحواله وحركاته وسكناته كما صنف الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا كتاباً في ذلك سماه (مصائد الشيطان) وفيه فوائد جمة وفي سنن أبي داود إن رسول الله (ص)، كان يقول في دعائه . وأعوذ بك ان يتخبطني الشيطان عند الموت . وروينا في بعض الاخبار أنه قال (يارب وعزك وجلالك لا أزال أعويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الله تعالى وعزتي وجلالي ولا أزال أغفر لهم ما استغفروني) وقال الله تعالى (الشيطان

يهدمكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يهدمكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم (فوعده الله هو الحق المصدق ووعده الشيطان هو الباطل . وقد روى الترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه وابن أبى حاتم فى تفسيره من حديث عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) ان لا شيطان للمة بن آدم وللملك لمة . فأما لمة الشيطان فأيماد بالشر وتكذيب بالحق . وأما لمة الملك فأيماد بالخير وتصديق بالحق . فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله . ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ « الشيطان يهدمكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يهدمكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم » * وقد ذكرنا فى فضل سورة البقرة أن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه . وذكرنا فى فضل آية الكرسي أن من قرأها فى ليلة لا يقربه الشيطان حتى يصبح . وقال البخارى حدثنا عبد الله بن يوسف أنبأنا مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال (من قال لا إله الا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر من ذلك . وأخرجه مسلم والترمذى وابن ماجه من حديث مالك . وقال الترمذى حسن صحيح .

وقال البخارى أنبأنا أبو اليان أنبأنا شعيب عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال (ص) كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يعلمن فطنن فى الحجاب . تفرد به من هذا الوجه . وقال البخارى حدثنا عاصم بن على حدثنا بن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال « التناؤب من الشيطان فاذا تنأب أحدكم فليرده ما استطاع فان أحدكم اذا قال (ها) ضحك الشيطان » . ورواه أحمد وأبو داود والترمذى وصححه النسائى من حديث ابن أبى ذئب به * وفى لفظ (اذا تنأب أحدكم فليكظم ما استطاع فان الشيطان يدخل) وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) « إن الله يحب المطاس ويغض أو يكره التناؤب فاذا قال أحدكم هاها فانما ذلك الشيطان يضحك من جوفه . ورواه الترمذى والنسائى من حديث محمد بن عجلان به . وقال البخارى حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن أشعث عن أبيه عن مسروق قال قالت عائشة سألت النبي (ص) عن الثغرات التى فى الصلاة فقال هو اخلتس يخلتس الشيطان من صلاة أحدكم . وكذا رواه أبو داود والنسائى من رواية أشعث بن أبى الشفاء سليم بن أسود المحاربى عن أبيه عن مسروق به *

وروى البخارى من حديث الاوزاعى عن يحيى بن أبى كثير حدثنى عبد الله بن أبى قتادة عن

أبيه قال قال رسول الله (س)، « الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فإذا حلم أحدكم حلما يخافه فليصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فأتها لاتضره ». وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال قال رسول الله (س)، « لا يشيرن أحدكم الى أخيه بالسلاح فانه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان أن ينزع في يده فيقع في حفرة من النار ». أخرجاه من حديث عبد الرزاق .
وقل الله تعالى (ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السمير)
وقال « انا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظنا من كل شيطان مارد . لا يسمعون الى الملائكة الا على ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب . إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب »
وقال تعالى « ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين . وحفظناها من كل شيطان رجيم . الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين » وقال تعالى « وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمزولون » وقال تعالى اخبارا عن الجنان « وأنا انسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشبها . وانا كنا نعد منها معاقد للسمع فمن يسمع الآن يجد له شهابا رصدا »

وقال البخارى وقال الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال ان أبا الاسود أخبره عن عروة عن عائشة عن النبي (س)، قال الملائكة تحدث في العنان (والعنان النمام) بالأمر يكون في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في اذن الكاهن كما تقر القارورة فيزبدون معها مائة كلمة (١) . هكذا رواه في صفة ابليس مملقا عن الليث به . ورواه في صفة الملائكة عن سعيد بن أبي مريم عن الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر عن محمد بن عبد الرحمن ابى الاسود عن عروة عن عائشة بنحوه * تفرد بهذين الطريقين دون مسلم * وروى البخارى في موضع آخر ومسلم من حديث الزهري عن يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه قال « قلت عائشة سألت ناس النبي (س)، عن الكهان فقال « انهم ليسوا بشئ » * فقالوا يارسول الله إنهم يحدوثونا أحيانا بشئ فيكون حقا فقال (س) : تلك الكلمة من الحق يخطفها من الجنى فيقرقرها في اذن وليه كقرقرة النجاجة فيخلطون معها مائة كذبة * هذا لفظ البخارى *

وقال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفیان حدثنا عمرو قال سمعت عكرمة يقول سمعت أبا هريرة يقول إن نبي الله (س)، قال « اذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان . فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا لنرى قال . الحق وهو العلى الكبير . فيسمعها مسترق السمع . ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض . ووصف سفیان بكفه فخرقها وبدد بين أصابعه . فيسمع الكلمة فيلقها الى من تحته ثم يلقها الآخر الى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر او الكاهن . فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقها وربما القاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة

(١) في نسخة مائة كذبة .

كذبة فيقال ليس قد قال لنا يوم كذا وكذا وكذا وكذا . فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء
 انفرد به البخاري * وروى مسلم من حديث الزهري عن علي بن الحسين زين العابدين عن ابن عباس
 عن رجال من الانصار عن النبي (س)، نحو هذا . وقال تعالى (ومن يش عن ذكر الرحمن قبيض
 له شيطاناً فهو له قرين . وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون . حتى اذا جاءنا قال يا ليت
 بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) وقال تعالى (وقيضنا لهم قرانه فزينا لهم ما بين ايديهم وما
 خلفهم) الآية وقال تعالى (وقال قرينه ربنا ما اطعته ولكن كان في ضلال مبيد . قال لا تتخصصوا لدى
 وقد قدمت اليكم بالوعيد . ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد) وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل
 نبي عدوا شياطين الانس والجن يحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا . ولو شاء ربك ما فعلوه
 قدرهم وما يفترون . ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون)
 وقد قدمنا في صفة الملائكة ما رواه أحمد ومسلم من طريق منصور عن سالم بن أبي الجعد عن
 أبيه واسمه رافع عن ابن مسعود قال قال رسول الله (س)، ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه
 من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وياك يا رسول الله قال وياي . ولكن الله اعانني عليه فلا
 بأسني الا بخير *

وقال الامام أحمد حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن قابوس عن أبيه واسمه حصين بن جنب
 وهو أبو ظبيان الجني عن ابن عباس قال قال رسول الله (س)، ليس منكم من أحد الا وقد وكل به
 قرينه من الشياطين قالوا وأنت يا رسول الله قال نعم ولكن الله اعانني عليه فأسلم * تفرد به أحمد وهو
 على شرط الصحيح . وقال الامام أحمد حدثنا هارون حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني ابو صخر عن
 يزيد بن قسبط حدثه أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة زوج النبي (س)، حدثته أن رسول الله (س):
 «خرج من عندها ليلا قالت ففرت عليه قالت جاء فرأى ما صنع فقال مالك يا عائشة أغرت قالت قلت
 ومالي أن لا يفار مثلي على مثلك فقال رسول الله (س)، «أفأخذك شيطانك قالت يا رسول الله أو معي
 شيطان . قال نعم . قلت ومع كل انسان . قال نعم . قلت ومعك يا رسول الله قال نعم ولكن ربى اعانني
 عليه حتى اسلم * وهكذا رواه مسلم عن هارون وهو ابن سعيد الأيل بسناده نحوه .

وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن طهية عن موسى بن وردان عن ابى هريرة أن
 النبي (س)، قال «ان المؤمن لينصى شيطانه كما ينصى أحدكم بيده في السفر» تفرد به أحمد من هذا الوجه
 ومعنى لينصى شيطانه ليأخذ بناصيته فيغلبه ويقهره كما يفعل بالبحير اذا شرد ثم غلبه . وقوله تعالى
 إخبارا عن ابليس « قال فبا أعوتني لأفعلن لهم صراطك المستقيم . ثم لا تبينهم من بين ايديهم ومن
 خلفهم وعن ايمانهم وعن شاكلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين » *

قال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم بن القاسم حدثنا أبو ذؤيب هو عبد الله بن عقيل التقي حدثنا موسى بن المسيب عن سالم بن أبي الجعد عن سيرة بن أبي فاكه قال سمعت رسول الله (س) قال « إن الشيطان قد لابن آدم بأطرفة قدمه له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتذر دينك ودين آبائك . قال فعصاه وأسلم قال وقد له بطريق الهجرة قال أتهاجر وتذر ارضك وسماك وانما مثل المهاجر كالفرس في الطول فمصاد وهاجر . ثم جعله بطريق الجهاد وهو جهد النفس والمال قتال أقاتل فتقتل فتتكح المرأة ويقسم المال قال فعصاه وجاهد » قال رسول الله (س) « فن فعل ذلك منهم كان حقا على الله أن يدخله الجنة . وان قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة وان كان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة وان قصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة . وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا عبادة بن مسلم الفزاري حدثني جبير بن ابى سليمان ابن جبير بن مطعم سمعت عبد الله بن عمر يقول لم يكن رسول الله (س) يدع هذه الدعوات حين يصبح وحين يمسى » اللهم انى أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم انى أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلى ومالى اللهم اسر عورائى وآمن روعائى اللهم اغفنى من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن اغتال من تحتى » قال وكيع يعنى الخسف ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عبادة بن مسلم به . وقال الحاكم صحيح الاسناد *

باب غلوة آدم عليه السلام

قال الله تعالى (واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة . قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الاسماء كلها . ثم عرضهم على الملائكة . فقال أنبؤنى بآسماء هؤلاء . إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم . قال يا آدم أنتهم بآسمائهم فلما أنبأهم بآسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس . أبى واستكبر وكان من الكافرين . وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة . وكلا منها رغدا حيث شئتما . ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فلخرجهما مما كانا فيه . وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو . ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات . فتاب عليه انه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا فلما رأيتنكم منى هدى . فن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا باياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » وقال تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وقال تعالى (يا أيها

الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام . إن الله كان عليكم رقيبا (كما قال «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير» . وقال تعالى « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها » الآية وقال تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين . قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نلر وخلقته من طين . قال فاهبط منها . فما يكون لك أن تتكبر فيها فالخرج انك من الصاغرين . قال انظرنى الى يوم يعثون . قال انك من المنظرين . قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لا آتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين . قال اخرج منها متنوما مدهورا لمن تبك منهم لأن ملان جهنم منكم أجهين . ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا من حيث شقنا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فوسوس لها الشيطان ليدى لها ما وورى عنها من سواتها وقال ما نهاك ربك عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما أنى لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور . فذا ذاقا الشجرة بدت لهما سواتها وطفقا يخسفان عليهما من ورق الجنة . وناداهما ربهما ألم انبهاك عن تلكا الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا أنفسنا . وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال اهبطوا بضعكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين . قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) . كما قال فى الآية الاخرى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) . وقال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حأ مستون . والجنان خلقناه من قبل من نلر السموم . واذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حأ مستون . فاذا سويته وفغخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين . قال يا ابليس مالك أن لا تكون مع الساجدين . قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حأ مستون . قال فالخرج منها فانك رجيم . وان عليك اللعنة الى يوم الدين . قال رب فأنظرنى الى يوم يعثون . قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم . قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغويهم أجمعين . الا عبادك منهم المخلصين * قال هذا صراط على مستقيم . ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من ابتك من الغاوين . وان جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم . وقال تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس . قال أسجد لمن خلقت طينا . قال أرايتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتسكن ذريته الا قليلا . قال اذهب فن تبعك منهم فان جهنم

جزاؤكم جزاء موفورا . واستغزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك
وشاركهم في الاموال والاولاد وعدم وما يهدم الشيطان الاغورا . ان عبادى ليس لك عليهم سلطان
وكفى ربك وكيلًا وقال تعالى « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . فسجدوا الا ابليس كان من
الجن ففسق عن امر ربه . أفتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا » وقال
تعالى (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فسوى ولم نجد له عزما . واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس أبى . هللنا يا آدم إن هذا عدوك وزوجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى . ان لك ان لا
تخرج فيها ولا تعرى . وأنت لا تنظر فيها ولا تضحى . فوسوس اليه الشيطان . قال يا آدم هل أدلك
على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة .
وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو .
فلما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له مدينة
ضنكا ونحسره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا
فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) . وقال تعالى (قل هو بنا عظيم أتم عنه معرضون . ما كان لى من علم بالملأ
الأعلى اذ يختصمون إن يوحى الى الا أنما أنا نذير مبين . اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرنا من
طين . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي قوما له ساجدين . فسجد للملائكة كلهم أجمعون . الا
ابليس استكبر وكان من الكافرين . قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم
كنت من العالين . قال أنا خير منه خلقتنى من نلر وخلقته من طين . قال فاخرج منها فانك رجيم . وان
عليك لعنتى الى يوم الدين . قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون . قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت
المعلوم . قال فبعتك لأغوينهم أجمعين إلا عبداك منهم المخلصين . قال فالحق والحق أقول لأملأن
جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين . قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلمين . ان هو
الا ذكر للعالمين . ولتعلمن نبأه بعد حين) *

فهذا ذكر هذه القصة من مواضع متفرقة من القرآن * وقد تكلمنا على ذلك كله فى التفسير *
ولندكر ههنا مضمون ما دلت عليه هذه الآيات الكريمات وما يتعلق بها من الاحاديث الواردة
فى ذلك عن رسول الله (ص) * والله المستعان *

فانخير تعالى أنه خاطب الملائكة قائلا لهم « انى جاعل فى الارض خليفة » أعلم بما يريد أن يخلق من آدم
وذريته الذين يخلف بعضهم بعضا كما قال (وهو الذى جعلكم خلائف فى الارض فخبروهم بذلك على سبيل
التنويه بخلق آدم وذريته كما يخبر بالامر العظيم قبل كونه قالت الملائكة سائمين على وجه الاستكشاف
والاستعلام عن وجه الحكمة لاعلى وجه الاعتراض والتنقص لبني آدم والحسد لهم كما قد يتوهمه بعض

جهلة المفسرين * قالوا (أجهل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) قيل علموا ان ذلك كائن بما رواه عن
كان قبل آدم من الجن والبن قاله قتادة *

وقال عبد الله بن عمر كانت الجن قبل آدم بألبي عام فسفكوا الدماء فبعث الله اليهم جندا من
الملائكة فظردوهم الى جزائر البحور * وعن ابن عباس نحوه . وعن الحسن أنهم ذلك * وقيل لما
اطلموا عليه من اللوح المحفوظ قيل أظلمهم عليه هاروت وماروت عن ملك فوقهما يقال له الشجل .
رواه بن أبي حاتم عن أبي جعفر الباقر * وقيل لأنهم علموا ان الارض لا يخلق منها الا من يكون بهذه
المتابعة غالبا (ونحن نسيح بمحمدك وقدس لك) اى نعبدك دائما لا يصيبك منا أحد * فان كان المراد
بمخلوق هؤلاء ان يبدوك فما نحن لا نفر ليلا ولا نهارا (قال ابى اعلم مالا تعلمون) اى أعلم من المصلحة
الراجحة فى خلق هؤلاء مالا تعلمون اى سيوجد منهم الانبياء والمرسلون والصديقون والشهداء
ثم بين لهم شرف آدم عليهم فى العلم فقال (وعلم آدم الاسماء كلها) قال ابن عباس هى هذه الاسماء التى
يتعارف بها الناس لإنسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وجبل وحمار وأشباه ذلك من الامم وغيرها *
وفى رواية علمه اسم الصحفة والتدر حتى الفسوة والنسية * وقال مجاهد علمه اسم كل دابة وكل غير وكل شئ *
وكذا قال سعيد بن جبير وقاتدة وغير واحد * وقال الربيع علمه أسماء الملائكة * وقال عبد الرحمن
ابن زيد علمه اسماء ذريته والصحيح أنه علمه اسماء الذوات وافعالها مكبرها ومصغرها كما أشار اليه ابن
عباس رضى الله عنهما * وذكر البخارى هنا ما رواه هو ومسلم من طريق سعيد وهشام عن قتادة عن
أنس بن مالك عن رسول الله (ص) قال (يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيأتون
آدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلك اسماء كل شئ) وذكر تمام
الحديث * (ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) قال الحسن البصرى
(لا اراد الله خلق آدم قالت الملائكة لا يخلق ربنا خلقا الا كنا أعلم منه فابتلوا بهذا) وذلك قوله (ان
كنتم صادقين) وقيل غير ذلك كما بسطناه فى التفسير قالوا (سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت
العليم الحكيم) اى سبحانك أن يحيط أحد بشئ من علمك من غير تعليمك كما قال (ولا يحيطون بشئ
من علمه الا بما شاء) (قال يا آدم أنبئهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أفضل لكم اى أعلم غيب
السوات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) اى أعلم السر كما أعلم اللاتية * وقيل إن المراد
بقوله واعلم ما تبدون ما قالوا أجهل فيها من يفسد فيها وقوله وما كنتم تكتمون المراد بهذا الكلام
ابليس حين أسر الكبر والتخيرة على آدم عليه السلام قاله سعيد بن جبير ومجاهد والسدى والضحاك
والثورى واختاره ابن جرير * وقال ابو العالية والربيع والحسن وقاتدة (وما كنتم تكتمون) قولهم لمن
يخلق ربنا خلقا الا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه * قوله (واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا

الا ابليس أبى واستكبر) هذا إكرام عظيم من الله تعالى لآدم حين خلقه بيده وفتح فيه من روحه كما
 قل (فأذا سويته وفتح فيه من روحي فقموا له ساجدين) فهذه أربع تشریفات خلَّقه له بيده
 الكريمة وفتح فيه من روحه . وأمره الملائكة بالسجود له وتعليمه اسماء الأشياء ولهذا قال له موسى
 الكليم حين اجتمع هو واباه في الملاء الأعلى وتناظرا كما سيأتي (أنت آدم أبو البشر الذى خلقتك
 الله بيده وفتح فيك من روحه وأسجدك ملائكته وعلّمك أسماء كل شئ . وهكذا يقول أهل
 المحشر يوم القيامة كما تقدم وكما سيأتي ان شاء الله تعالى وقال في الآية الاخرى (ولقد خلقناكم ثم
 صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين * قال ما منعتك
 ان لا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نلر وخلقته من طين) * قال الحسن البصرى
 قاس ابليس وهو أول من قاس * وقال محمد بن سيرين أول من قاس ابليس وما عبدت الشمس
 ولا القمر الا بالقتايس * رواهما ابن جرير ومعنى هذا انه نظر نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم
 فرأى نفسه أشرف من آدم فامتنع من السجود له مع وجود الامر له ولسأر الملائكة بالسجود .
 والمقاييس اذا كان مقابلا بالنص كان فاسد الاعتبار * ثم هو فاسد فى نفسه فان العين أتمغ وخير من النار
 فان الطين فيه الرزاق والحلم والأفة والنمو والنار فيها الطيش والخفة والسرعة والاحراق * ثم آدم
 شرفه الله بخلقه له بيده وفتح فيه من روحه * ولهذا أمر الملائكة بالسجود له * كما قال (اذ قال ربك
 للملائكة انى خلقى بشرا من صلصال من حأ مسنون * فأذا سويته وفتح فيه من روحي فقموا له
 ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون . الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين * قال يا ابليس مالك
 أن لا تكون مع الساجدين * قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حأ مسنون * قال
 فأخرج منها فانك رجيم * وان عليك اللعنة الى يوم الدين) استحق هذا من الله تعالى لانه استلزم تنقصه
 لآدم وازدراؤه به وترفضه عليه مخالفة الأمر الألهى ومعاندة الحق فى النص على آدم على التبين
 وشرع فى الاعتذار بما لا يجدى عنه شيئا . وكان اعتذاره أشد من ذنبه كما قال تعالى فى سورة سبحان
 (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أسجد لمن خلقت طينا * قال أرايتك هذا
 الذى كرمت على لئن اخرتن الى يوم القيامة لأحتكن ذريته الا قليلا * قال اذهب فن تبمك منهم
 فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا * واستغزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك
 وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدمهم وما يعدم الشيطان الا غرورا * ان عبادى ليس لك عليهم سلطان
 وكنتى بربك وكيل) وقال فى سورة الكهف (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس
 كان من الجن ففسق عن أمر ربه) أى خرج عن طاعة الله عمدا وعنادا واستكبارا عن امتثال أمره
 وما ذاك الا لأنه خانه طبعه ومادته الخبيثة أحوج ما كان اليها فانه مخلوق من نلر كما قل وكما قدرنا فى

صحيح مسلم عن عائشة عن رسول الله (ص): قال (خلق الملائكة من نور وخلقت الجن من مارح من نار وخلق آدم مما وصف لكم) *

قال الحسن البصرى . لم يكن ابليس من الملائكة طرفة عين قط . وقال شهر بن حوشب . كان من الجن فلما أفسدوا فى الارض بعث الله اليهم جنداً من الملائكة فقتلوهم وأجلوهم الى جزائر البحار وكان ابليس ممن أسر فأخذوه معهم الى السماء فكان هناك . فلما أمرت الملائكة بالسجود امتنع ابليس منه . وقال ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة وسعيد بن المسيب وآخرون . كان ابليس رئيس الملائكة بالسما الدنيا . قال ابن عباس وكان اسمه عزازيل : وفى رواية عن الحارث قال النقاش وكنيته (أبو كردوس) قال بن عباس . وكان من حى من الملائكة يقال لهم الجن وكانوا خزان الجنان وكان من أشرفهم وأكثرهم علماً وعبادة وكان من أولى الاجنحة الاربعة فسخره الله شيطاناً رجياً . وقال فى سورة ص « اذ قال ربك للملائكة ائى خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ققعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . الا ابليس استكبر وكان من الكافرين . قال يا ابليس مامنك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين . قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فلخرج منها فانك رجيم . وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون . قال فانك من المنظرين . الى يوم الوقت المعلوم . قال فبعرتك لاغوينهم أجمعين . الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لأملئن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين » وقال فى سورة الاعراف (قال فيما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لا آتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) أى بسبب اغوائك اياى لأقعدن لهم كل مرصد ولا آتينهم من كل جهة منهم فالسعيد من خالفه والشقي من اتبعه *

وقال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا أبو عقيل (هو عبد الله بن عقيل الثقفى) حدثنا موسى بن المسيب عن سالم بن أبى الجعد عن سيرة بن أبى الفاكه قال سمعت رسول الله (ص) قال (ان الشيطان يقعد لابن آدم بأطرقه) وذكر الحديث كما قدمناه فى صفة ابليس *

وقد اختلف المفسرون فى الملائكة المأمورين بالسجود لآدم . أهم جميع الملائكة كما دل عليه عموم الآيات وهو قول الجمهور . أو المراد بهم ملائكة الارض . كما رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس . وفيه اقطاع . وفى السياق نكارة وان كان بعض المتأخرين قد رجحه ولكن الاظهر من السياقات الاول ويدل عليه الحديث وأسجد له ملائكته وهذا عموم أيضاً والله أعلم . وقوله تعالى لا ابليس (اهبط منها) (اخرج منها) دليل على أنه كان فى السماء فأمر بالهبوط منها والخروج من منزله . والمكانة التى كان قد نالها بعبادته وتشبهه بالملائكة فى الطاعة والعبادة ثم سلب ذلك بكبیره وحسده .

ومخالفته لربه فأهبط الى الارض مذؤما مدحورا . وأمر الله آدم عليه السلام أن يسكن هو وزوجته الجنة فقال (وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) وقال في الأعراف (قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعلك منهم لاملئن جهنم منهم أجمعين . ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) وقال تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظلم فيها ولا تضحق) وسياق هذه الآيات يقتضى أن خلق حواء كان قبل دخول آدم الجنة لقوله (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) وهذا قد صرح به اسحاق ابن بشار وهو ظاهر هذه الآيات ولكن حكى السدى عن ابى صالح وأبى مالك عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أنهم قالوا اخرج ابليس من الجنة واسكن آدم الجنة فكان يمشى فيها وحشى ليس له فيها زوج يسكن اليها فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة . خلقها الله من ضلعه . فسألها من أنت قالت امرأة قال ولما خلقت قالت لتسكن الى فقالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه (ما اسمها يا آدم) قال حواء قالوا ولم كانت حواء قال لايتها خلقت من شئ حى . وذكر محمد بن اسحاق عن ابن عباس أنها خلقت من ضلعه الا قصر الايسر وهو نائم ولأم مكانه لحما ومصداق هذا في قوله تعالى (ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) الآية وفى قوله تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تنشأها حملت حملا خفيفا ثمرت به) الآية وستتكلّم عليها فيما بعد ان شاء الله تعالى *

وفى الصحيحين من حديث زائدة عن يسرة الاشجى عن ابى حازم عن أبى هريرة عن النبى (ص) أنه قال (استوصوا بالنساء خيرا - فان المرأة خلقت من ضلع وان أعوج شئ فى الضلع أجلاه فان ذهبت تقيمه كسرتة وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا) لنظ البخارى

وقد اختلف المفسرون فى قوله تعالى « ولا تقربا هذه الشجرة » فقيل هى الكرم وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبى وجملة بن هبيرة ومحمد بن قيس والسدى فى رواية عن ابن عباس وابن مسعود ونس من الصحابة قال وتزعم يهود أنها الخنطة . وهذا مروى عن ابن عباس والحسن البصرى ووهب بن منبه وعطية العوفى وأبى مالك ومحارب بن دثار وعبد الرحمن بن أبى ليلى * قال وهب والحبة منه ألين من الزبد وأحلى من العسل * وقال الثورى عن ابى حصين عن أبى مالك ولا تقربا هذه الشجرة هى النخلة * وقال ابن جرير عن مجاهد هى التينة وبه قال قتادة وابن جرير وقال أبو العالیه كانت شجرة من أكل منها أحلث ولا يبنغى فى الجنة حدث *

وهذا الخلاف قريب * وقد أبهم الله ذكرها وتعيينها * ولو كان في ذكرها مصلحة تعود إلينا لعينها لنا كما في غيرها من المحال التي تبهم في القرآن *

وأما الخلاف الذي ذكره في أن هذه الجنة التي دخلها آدم هل هي في السماء أو في الأرض هو الخلاف الذي يبنى فضله والخروج منه والجمهور على أنها هي التي في السماء وهي جنة المأوى لظاهر الآيات والاحاديث كقوله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) والالف واللام ليست للعموم ولا لمعبود لفظي وإنما تعود على معبود ذهني وهو المستقر شرعا من جنة المأوى وكقول موسى عليه السلام لا آدم عليه السلام (علام أخرجتنا ونفسك من الجنة) الحديث كما سيأتي الكلام عليه * وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشجعي واسمه سعد بن طارق عن أبي حازم سلمة بن دينار عن أبي هريرة * وأبو مالك عن ربي عن حذيفة قال قال رسول الله (ص)، (يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حين تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خليفة أيكم) وذكر الحديث بطوله * وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة في الدلالة على أنها جنة المأوى وليست مخلوعة نظر *

وقال آخرون بل الجنة التي أسكنها آدم لم تكن جنة الخلد لانه كلف فيها ان لا يأكل من تلك الشجرة ولانه نام فيها وأخرج منها ودخل عليه ابليس فيها وهذا مما ينافي أن تكون جنة المأوى . وهذا يقول محكي عن أبي بن كعب وعبد الله بن عباس ووهب بن منبه وسفيان بن عيينة واختاره ابن قتيبة في المعارف والقاضي منذر بن سعيد البلوطي في تفسيره وأفرده مصنفنا على حدة . وحكاه عن أبي حنيفة الامام واحشابه رحمهم الله . وقوله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي بن خنيس الرزي في تفسيره عن أبي القاسم البلخي وأبي مسلم الاصبهاني . وقوله القرطبي في تفسيره عن المعتزلة والتدريية * وهذا القول هو نص التوراة التي بأيدي أهل الكتاب * ومن حكى الخلاف في هذه المسألة أبو محمد بن حزم في الملل والنحل وأبو محمد بن عطية في تفسيره وأبو عيسى الرماني في تفسيره *

وحكى عن الجمهور الاول . وأبو القاسم الراغب والقاضي الماوردي في تفسيره فقال واختلف في الجنة التي أسكنها يعني آدم وحواء على قولين * أحدهما أنها جنة الخلد * الثاني جنة أعدها الله لها وجعلها دار ابتلاء وليست جنة الخلد التي جعلها دار جزاء . ومن قال بهذا اختلفوا على قولين * أحدهما أنها في السماء لانه أهبطها منها وهذا قول الحسن * والثاني أنها في الأرض لانه امتحنها فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيها عنها دون غيرها من الثمار . وهكذا قول ابن مجي وكان ذلك بعد أن أمر ابليس بالسجود لآدم والله أعلم بالصواب من ذلك *

هذا كلامه . وقد تضمن كلامه حكاية أقوال ثلاثة وأشعر كلامه أنه متوقف في المسألة . ولقد حكى

أبو عبد الله الرازي في تفسيره في هذه المسألة أربعة أقوال هذه الثلاثة التي أوردها الماوردي . ورايها الوقت * وحكى القول بأنها في السماء وليست جنة المأوى عن ابي علي الجبائي . وقد أورد أصحاب القول الثاني سؤالاً يحتاج مثله الى جواب فقالوا لاشك أن الله سبحانه وتعالى طرد إبليس حين امتنع من السجود عن الحضرة الالهية وأمره بالخروج عنها والهبوط منها وهذا الامر ليس من الاوامر الشرعية بحيث يمكن مخالفته وانما هو امر قدرى لا يخالف ولا يمانع ولهذا قال (اخرج منها مذموما مدحورا) وقال (اهبط منها فما يكون لك ان تسكبر فيها) وقال (اخرج منها فانك رجيم) والضمير عائذ الى الجنة أو السماء أو المنزلة وأياما كان معلوم أنه ليس له الكون قدرا في المسكان الذي طرده عنه وابدمنه لاعلى سبيل الاستقرار ولا على سبيل المرور والاجتياز * قالوا ومعلوم من ظاهر سياقات القرآن أنه وسوس لآدم وخاطبه بقوله له (هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) وبقوله (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين . أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما اني لكاملن الناصحين . فدلاهما بنور) الآية وهذا ظاهر في اجتماعه مع ما في جنتهما . وقد اجيبوا عن هذا بأنه لا يمتنع أن يجتمع بهما في الجنة على سبيل المرور فيها لا على سبيل الاستقرار بها أو أنه وسوس لها وهو على باب الجنة أو من تحت السماء . وفي الثلاثة نظر . والله أعلم .

وما احتج به أصحاب هذه المقالة مارواه عبد الله بن الامام احمد في الزيادات عن هدية بن خالد عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن البصري عن يحيى بن ضمرة السعدي عن أبي بن كعب قال (ان آدم لما احتضر اشتهى قطفا من عنب الجنة . فالتعلق بنوه ليطلبوه له . فلقيتهم الملائكة فقالوا اين تريدون يا بني آدم فقالوا ان ابانا اشتهى قطفا من عنب الجنة . فقالوا لهم (ارجعوا فقد كفيتموه) فانهوا اليه فقبضوا روحه وغسلوه وحنطوه وكفنوه وصلى عليه جبريل ومن خلفه من الملائكة ودفنوه . وقالوا . (هذه سنتكم في موتاكم) وسأيت الحديث بسنده . وتام لفظه عند ذكر وفاة آدم عليه السلام . قالوا فلولا انه كان الوصول الى الجنة التي كان فيها آدم التي اشتهى منها القطف ممكنا لما ذهبوا يطلبون ذلك فدل على أنها في الأرض لا في السماء والله تعالى أعلم *

قالوا والاحتجاج بان الألف واللام في قوله ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة لم يقدم عهد يورد عليه فهو المهورد الذهني مسلم ولكن هو ما دل عليه سياق الكلام فان آدم خلق من الأرض ولم ينقل أنه رفع الى السماء . وخلق ليكون في الأرض وبهذا اعلم الرب الملائكة حيث قال (اني جاعل في الارض خليفة) قالوا وهذا كقولهم تعالى (انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة) فالالف واللام ليس للمعوم ولم يقدم مهورد لفظي وانما هي للمهورد الذهني الذي دل عليه السياق وهو البستان .

قالوا وذكر الهبوط لا يدل على النزول من السماء قال الله تعالى (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك) الآية وانما كان في السفينة حين استقر على الجودي ونصب الماء

عن وجه الارض أمر أن يهبط اليها هو ومن معه مباركا عليه وعليهم . وقال الله تعالى (اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم) الآية وقال تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله) الآية . وفي الاحاديث واللغة من هذا كثير *

قالوا ولا مانع بل هو الواقع أن الجنة التي أسكنها آدم كانت مرتفعة عن سائر بقاع الارض ذات اشجار وثمار وظلال ونعيم ونضرة وسرور كما قال تعالى (إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى) أى لا ينزل بطنك بل الجوع ولا ظاهرك بالمرى . وانك لا تظأ فيها ولا تضحى) أى لا يس باطنك حر الظأ ولا ظاهرك حر الشمس . ولهذا قرنين هذا وهذا وبين هذا وهذا لما بينهما من الملايمة . فلما كان منه ما كان من اكله من الشجرة التي نهى عنها اهبط الى ارض الشتاء والتعب والنصب والكدر والسعي والتكد والابتلاء والاختيار والامتحان واختلاف السكان ديننا واخلاقا واعمالا وقصودا وإرادات واقوالا وافعالا كما قال تعالى (ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) ولا يلزم من هذا أنهم كانوا في السماء كما قال تعالى (وقلنا من بعد لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لغيفا) ومعلوم أنهم كانوا فيها لم يكونوا في السماء

قالوا وليس هذا القول مفرعا على قول من ينسك وجود الجنة والنار اليوم ولا تلازم بينهما فكل من حكى عنه هذا القول من السلف واكثر اختلف من يثبت وجود الجنة والنار اليوم كما دلت عليه الآيات والاحاديث الصحاح كما سيأتى ابرادها في موضعها والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب *

وقوله تعالى (فأزلهما الشيطان عنها) أى عن الجنة (فأخرجهما مما كانا فيه) أى من النعيم والنضرة والسرور الى دار التعب والكدر والتكد وذلك بما وسوس لها وزينه في صدورهما كما قال تعالى (فوسوس لها الشيطان ليبدى لها ما وورى عنها من سواهما . وقال ما نها كما ربكنا عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تكونا من الغالدين) يقول ما نها كما عن أكل هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الغالدين أى ولو اكلتا منها لصرتما كذلك (وقاسمهما) أى حلف لهما على ذلك (انى لكما لمن الناصحين) كما قال في الآية الأخرى (فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) أى هل أدلك على الشجرة التي اذا أكلت منها حصل لك الخلد فيها أنت فيه من النعيم واستمرت في ملك لا يبسد ولا يتقضى وهذا من التثوير والتزوير والاختبار بخلاف الواقع *

والمقصود أن قوله شجرة الخلد التي اذا اكلت منها خلدت وقد تكون هي الشجرة التي قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن أبي الضحاك سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله (ص) (ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها شجرة الخلد) *

وكذا رواه أيضا عن غندر (وحجاج عن شعبة ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن شعبة أيضا) *

قال غندر قلت لشعبة هي شجرة الخلد قال ليس فيها هي *

تفرد به الامام أحمد * وقوله (فدلها ما برور فلما ذاقا الشجرة بدت لها سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) كما قال في « طه » « أكلا منها فبدت لها سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وكانت حواء أكلت من الشجرة قبل آدم وهي التي حدثت به على أهلها والله أعلم *

وعليه يحمل الحديث الذي رواه البخاري حدثنا بشر بن محمد حدثنا عبد الله بن نا معمر عن همام ابن منبه عن أبي هريرة عن النبي (ص) نحوه لولا بنوا اسرائيل لم يخنز (١) اللحم ولولا حواء لم تخن أثني زوجها . تفرد به من هذا الوجه وأخرجه في الصحيحين من حديث عبدالرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة به ورواه أحمد ومسلم عن هارون بن معروف عن أبي وهب عن عمرو بن حارث عن أبي يونس عن أبي هريرة به * وفي كتاب التوراة التي بين أيدي أهل الكتاب أن الذي دل حواء على الاكل من الشجرة هي الحية وكانت من احسن الاشكال وأعظمها فاكلت حواء عن قولها وأطعمت آدم عليه السلام وليس فيها ذكر لا بليس فمتد ذلك افتتحت أعينها وعلمتا انها عريانان فوصلا من ورق التين وعملا يازر وفيها أنهما كانا عريانين * وكذا قال وهب بن منبه كان لباسهما نورا على فرجه وفرجها وهذا الذي في هذه التوراة التي بأيديهم غلط منهم وتحريف وخطأ في التعريب فان نقل الكلام من لغة الى لغة لا يكاد يتيسر لكل أحد ولا سيما من لا يعرف كلام العرب جيدا ولا يحيط علما بفهم كتابه أيضا فلماذا وقع في تعريبهم لما خطأ كثير لفظا ومعنى * وقد دل القرآن العظيم على أنه كان عليهما لباس في قوله (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما) فهذا لا يرد لمغيره من الكلام والله تعالى اعلم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن بن اسكاب حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن بن أبي بن كعب قال قال رسول الله (ص) (ان الله خلق آدم رجلا طوالا كثير شعر الرأس كانه نخلة سحقوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر الى عورته جعل يشتد في الجنة فاخذت شعرد شجرة فنازعها فناداه الرحمن عز وجل يا آدم منى تفرقدا سمع كلام الرحمن قال يلرب لا ولكن استحياء * وقال الثوري عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) ورق التين * وهذا اسناد صحيح اليه وكانه مأخوذ من أهل الكتاب وظاهر الآية يقتضى أعم من ذلك ويتقدير تسليمه فلا يضر والله تعالى أعلم *

وروى الحافظ بن عساكر من طريق محمد بن اسحاق عن الحسن بن ذكوان عن الحسن البصري عن ابى بن كعب قال قال رسول الله (ص) ان اباكم آدم كان كالنخلة السحوق ستين ذراعا كثير الشعر موارى العورة فلما أصاب الخيطعة في الجنة بدت له سواته فخرج من الجنة فلقيته شجرة فأخذت ناصيته

(١) قوله لم يخنز أى لم يتنن

فناداه ربه أفرارا مني يا آدم قال بل حياء منك والله يارب مما جئت به * ثم رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن يحيى بن ضمرة عن أبي بن كعب عن النبي (ص) بنحوه . وهذا أصح فان الحسن لم يدرك أيا * ثم أورده أيضا من طريق خيشمة بن سليمان الاطرابلسي عن محمد بن عبد الوهاب أبي قرصافة الصقلاني عن آدم بن أبي اياس عن شيان عن قتادة عن أنس مرفوعا بنحوه * (وناداهما ربهما ألم أنهما عن تلك الشجرة وأقل لسكنا إن الشيطان لكما عدو مبين * قال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وهذا اعتراف ورجوع الى الالفة وتذلل وخضوع واستسكانة واقترار اليه تعالى في الساعة الراهنة وهذا السر ما سرى في أحد من ذريته الا كانت عاقبته الى خير في دنياه وأخراه (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) وهذا خطاب لآدم وحواء وابليس . قيل والحية معهم أمروا أن يهبطوا من الجنة في حال كونهم متمادين متحاربين * وقد يستشهد لذكر الحية معها بما ثبت في الحديث عن رسول الله (ص) أنه أمر بقتل الحيات وقال ماسلمانان منذحاربانان وقوله في سورة طه (قال اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو) هو أمر لآدم وابليس واستتبع آدم حواء وابليس الحية * وقيل هو أمر لهم بصيغة التثنية كما في قوله تعالى (وداود وسليمان اذ يحكان في الحرث اذ نفثت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين) والصحيح ان هذا لما كان الحاكم لا يحكم الا بين اثنين مدع ومدعى عليه قال وكنا لحكمهم شاهدين وأما تكريره الابهاط في سورة البقرة في قوله وقتلنا اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتيكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا باياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فقال بعض المفسرين المراد بالابهاط الاول الهبوط من الجنة الى السماء الدنيا وبالتالي من السماء الدنيا الى الارض . وهذا ضيف لقوله في الاول (قلنا اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) فدل على انهم اهبطوا الى الارض بالابهاط الاول والله أعلم *

والصحيح أنه كرهه لفظا وان كان واحدا وناط مع كل مرة حكما فناطق بالاول عدوتهم فيما بينهم وبالتالي الاشتراط عليهم أن من تبع هداى الذى ينزله عليهم بمد ذلك فهو السعيد ومن خالفه فهو الشقي وهذا الاسلوب في الكلام له نظائر في القرآن الحكيم .

وروى الحافظ بن عساكر عن مجاهد قال أمر الله ملكين أن يخرجوا آدم وحواء من جواره فتزع جبريل التاج عن رأسه وحل ميكائيل الاكليل عن جبينه وتعلق به غضن فظن آدم أنه قد عوجل بالمقوية فنكس رأسه يقول المفو المفو فقال الله فرارا مني قال بل حياء منك ياسيدى وقال الاوزاعي

عن حسان هو بن عطية مكث آدم في الجنة مائة عام وفي رواية ستين عاما ويكي على الجنة سبعين عاما وعلى خطيئته سبعين عاما وعلى ولده حين قتل أربعين عاما * رواه ابن عساكر *

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن سعيد عن ابن عباس قال أهبط آدم عليه السلام الى ارض يقال له دحنا بين مكة والطائف * وعن الحسن قال أهبط آدم بالهند وحواء بجدة والبلخ بدستيسان من البصرة على أميال وأهبطت الحية باصمهان رواه ابن أبي حاتم أيضا * وقال السدي نزل آدم بالهند ونزل معه بالحجر الاسود وبقبضة من ورق الجنة فبثه في الهند فنبتت شجرة الطيب هناك * وعن ابن عمر قال أهبط آدم بالصفا وحواء بالمروة. رواه ابن أبي حاتم أيضا وقال عبد الرزاق قال معمر أخبرني عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى الأشعري قال ان الله حين أهبط آدم من الجنة الى الارض علمه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة فثاركم هذه من ثمار الجنة غير ان هذه تتغير وتلك لا تتغير * وقال الحارث في مستدرکه أنبأنا أبو بكر بن البوية عن محمد بن أحمد بن النضر عن معاوية بن عمر عن زائدة عن عمار بن أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما سكن آدم الجنة الا ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس . ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه * وفي صحيح مسلم من حديث الزهري عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) ، (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه اخرج منها) وفي الصحيح من وجه آخر وفيه تقوم الساعة) وقال احمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الاوزاعي عن أبي عمار عن عبد الله بن فروخ عن أبي هريرة عن النبي (ص) ، قال (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خالق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه اخرج منها وفيه تقوم الساعة على شرط مسلم *

فلما الحديث الذي رواه ابن عساكر من طريق أبي القاسم البغوي حدثنا محمد بن جعفر الوركاني حدثنا سعيد بن ميسرة عن أنس قال قال رسول الله (ص) ، (هبط آدم وحواء عربانيين جميعا عليهما ورق الجنة فأصابه الحر حتى قعد يبكي ويقول لها يا حواء قد أذاني الحر قال فجاءه جبريل بقلن وأمرها أن تنزل وعلمها وأمر آدم بلحياكة وعلمه أن ينسج وقال كان آدم لم يجامع امرأته في الجنة حتى هبط منها للخطيئة التي أصابتهما باكلهما من الشجرة قال وكان كل واحد منهما ينام على حدة ينام احدهما في البطحاء والاخر من ناحية أخرى حتى أتته جبريل فأمره أن يأتي أهله قال وعلمه كيف يأتيها فلما أتتها جاءه جبريل فقال كيف وجدت امرأتك قال صالحة) فانه حديث غريب ورفعه منكر جدا * وقد يكون من كلام بعض السلف وسعيد بن ميسرة هذا هو أبو عمران البكري البصري. قال في البخاري منكر الحديث. وقال بن حبان يروي الموضوعات وقال بن عدى مظلم الامر وقوله (فلتقوا آدم من ربه كانت فتاب عليه لانه هو التواب الرحيم) قيل هي قوله (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) * روى

هذا عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي العالية والربيع بن أنس والحسن وقادة ومحمد بن كعب وخالد بن معدان وعطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم *

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن إشكاب حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال قال رسول الله (ص)، (قال آدم عليه السلام أرأيت يارب ان تبت ورجعت أعائدي الى الجنة قال نعم) فذلك قوله. (فخلق آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وهذا غريب من هذا الوجه وفيه اقطاع *

وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد قال السكيات (اللهم لا إله الا أنت سبحانك وبمحمدك رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى انك خير الغافرين . اللهم لا إله الا أنت سبحانك وبمحمدك رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى انك خير الراحمين اللهم لا إله الا أنت سبحانك وبمحمدك رب انى ظلمت نفسى فتاب على انك انت التواب الرحيم) * وروى الحاكم فى مستدرکه من طريق سعيد بن جبیر عن ابن عباس (فخلق آدم من ربه كلمات فتاب عليه) قال قال آدم يارب ألم تخلفني يديك . قيل له بلى . وفتخت في من روحك قيل له بلى وعطست فقلت يرحمك الله وسبقت رحمتك غضبك قيل له بلى وكنت على أن أعمل هذا قيل له بلى . قال أفرأيت ان تبت هل أنت راجى الى الجنة . قال نعم * ثم قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه * وروى الحاكم أيضا والبيهقي وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله (ص). (لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد أن تغفر لى فقال الله فكيف عرفت محمدا ولم أخلقه بعد فقال يارب لانك لما خلقتنى يديك وفتخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله الا الله محمد رسول الله فلم تظلمت انك لم تضيف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق الى واذا سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك * قال البيهقي تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهو ضعيف والله أعلم وهذه الآية كقولها تعالى (وعصى آدم ربه فغوى .

ثم اجتبهه ربه فتاب عليه وهدى)

روى عن موسى عليه السلام

قال البخارى حدثنا قتيبة حدثنا أيوب بن النجار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي (ص)، قال حاج موسى آدم عليهما السلام فقال له أنت الذى أخرجت الناس بذنبك من الجنة وأشقيتهم . قال آدم يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه أنؤمنى على أمر قد

كبه الله على قبل أن يخلقني أو قدره على قبل أن يخلقني قال رسول الله (ص)، فخرج آدم موسى *
 وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد والنسائي عن محمد بن عبد الله بن يزيد عن أيوب بن النجار به * قال
 أبو مسعود الدمشقي ولم يخرجاه عنه في الصحيحين سواء * وقد رواه أحمد عن عبد الرزاق عن معمر
 عن همام عن أبي هريرة * ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به *

وقال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا ابراهيم حدثنا أبو شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن
 أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، (احتج آدم وموسى فقال له موسى أنت آدم الذي اخرجتك
 خطيتك من الجنة فقال له آدم وأنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه تلومني على أمر قدر
 على قبل ان أخلق * قال رسول (ص)، (فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى) مرتين * قلت وقدروى هذا
 الحديث البخارى ومسلم من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن ابي هريرة عن النبي (ص)، نحوه
 وقال الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة
 عن النبي (ص)، (قال احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت الذى خلقك الله يسده وفتح فيك
 من روحه أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة قل فقال آدم وأنت موسى الذى اصطفاك الله بكلامه
 تلومني على عمل أعلمه كبه الله على قبل أن يخلق السموات والارض قال فخرج آدم موسى * وقد رواه
 الترمذى والنسائي جميعا عن يحيى بن حبيب بن عدى عن معمر بن سليمان عن أبيه عن الاعمش به * قال
 الترمذى وهو غريب من حديث سليمان التيمي عن الاعمش قال وقد رواه بعضهم عن الاعمش
 عن أبي صالح عن أبي سعيد قلت هكذا رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده عن محمد بن مثنى عن
 معاذ بن أسد عن الفضل بن موسى عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو أبي سعيد عن
 عمرو بن على الفلاس حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو أبي سعيد عن
 النبي (ص)، فذكر نحوه، وقال أحمد حدثنا سفيان عن عمرو سمع طاووسا سمع أبا هريرة يقول قال
 رسول الله (ص)، (احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت ابونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له
 آدم يا موسى أنت الذى اصطفاك الله بكلامه وقال مرة برسالاته وخط لك يده أنلومني على أمر قدره
 الله على قبل أن يخلقني باربعين سنة قال حج آدم موسى حج آدم موسى حج آدم موسى) وهكذا رواه
 البخارى عن على بن المديني حدثنا عن سفيان قال حفظناه من عمرو عن طاووس قال سمعت أبا هريرة
 عن النبي (ص)، قال (احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت ابونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال
 له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك يده أنلومني على أمر قدره الله على قبل أن يخلقني باربعين
 سنة فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى هكذا ثلاثا .

قال سفيان حدثنا أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي (ص)، مثله * وقد رواه الجماعة

إلا ابن ماجه من عشر طرق عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي (ص)، بنحوه * وقال أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد عن عمار عن أبي هريرة عن النبي (ص)، قال لقي آدم موسى فقال أنت آدم الذي خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وأسكنك الجنة ثم قلت . فقال أنت موسى الذي كلمك الله واصطفاك برسائه وأنزل عليك التوراة أنا أقدم أم الذكر قال لا بل الذكر فخرج آدم موسى *

قال أحمد وحدثنا عمار حدثنا حماد عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عن النبي (ص)، وحيد عن الحسن عن رجل قال حماد أظنه جنيد بن عبد الله البجلي عن النبي (ص)، قال لقي آدم موسى فذكر معناه . تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقال أحمد حدثنا الحسن حدثنا جرير هو ابن حازم عن محمد هو ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، (لقي آدم موسى فقال أنت آدم الذي خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته ثم صنعت ما صنعت * قال آدم يا موسى أنت الذي كلمه الله وأنزل عليه التوراة * قال نعم * قال فهل تجده مكتوبا على قبيل ان أخلق * قال نعم * قال (فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى) وكذا رواه حماد بن زيد عن أيوب وهشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رفعه وكذا رواه علي بن عاصم عن خالد وهشام عن محمد بن سيرين * وهذا على شرطها من هذه الوجوه * وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أن أبا أنس بن وهب أخبرني أنس بن عياض عن الحارث بن أبي ذؤيب عن يزيد بن هرمز سمعت أبا هريرة يقول . قال رسول الله (ص)، (احتج آدم وموسى عند ربهما فخرج آدم موسى . قال موسى أنت الذي خلقك الله بيده وفتح فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبطت الناس الى الأرض بخطيئتك * قال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسائه وكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة * قال موسى باربعين عاما * قال آدم فهل وجدت فيها * وعصى آدم ربه فغوى « قال نبيهم * قال أفتلومني على أن عملت عملا كتب الله على أن أعمله قبل أن يخلفني باربعين سنة . قال . قال رسول الله (ص)، « فخرج آدم موسى »

قال الحارث وحدثني عبد الرحمن بن هرمز بذلك عن أبي هريرة عن رسول الله (ص)، وقد رواه مسلم عن اسحق بن موسى الانصاري عن أنس بن عياض عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذؤيب عن يزيد بن هرمز والاعرج كلاهما عن أبي هريرة عن النبي (ص)، بنحوه ، وقال أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبا لمعمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، « احتج آدم وموسى فقال موسى لا آدم يا آدم أنت الذي أدخلت ذريتك النار . فقال آدم يا موسى اصطفاك الله بزيادته وبكلامه وأنزل عليك التوراة فهل وجدت أن أهبط . قال نعم . قال فخرج آدم » وهذا على شرطها ولم يخرجاه

من هذا الوجه * وفي قوله أدخلت فزيتك النار نكارة *

فهذه طرق هذا الحديث عن أبي هريرة رواه عنه حميد بن عبد الرحمن وذكوان أبو صالح السمان وطاووس ابن كيسان وعبد الرحمن بن هرمس الأعرج وعمار بن أبي عمار ومحمد بن سيرين وهمام بن منبه ويزيد بن هرمز وأبو سلمة بن عبد الرحمن *

وقد رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال حدثنا الحارث بن مسكين المصرى حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد ابن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب عن النبي (س) قال (قال موسى عليه السلام يارب أرنا آدم الذى أخرجنا ونفسه من الجنة فاراد آدم عليه السلام * فقال أنت آدم * فقال له آدم نعم قال أنت الذى فتق الله فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وعلك الاسماء كلها * قال نعم * قال فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال له آدم من أنت قال أنا موسى * قال أنت موسى نبي بني اسرائيل أنت الذى كلك الله من وراء الحجاب فلم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه * قل نعم * قال تلومنى على أمر قد سبق من الله عز وجل القضاء به قيل قال رسول الله (س) (فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى) ورواه أبو داود عن أحمد بن صالح المصرى عن ابن وهب به . قال أبو يعلى ، وحدثنا محمد بن المنثى حدثنا عبد الملك بن الصباح المسعى حدثنا عمران عن الرديني عن أبي مجلز عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن عمر قال أبو محمد أكبر ظنى أنه رفضه * قال (التقي آدم وموسى فقبال موسى لآدم أنت أبو البشر أسكنك الله جنته وأسجد لك ملائكته . قال آدم . يا موسى أما تجده على مكتوب يا * قال فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى) وهذا الاسناد أيضا لا بأس به والله أعلم *

وقد تقدم رواية الفضل بن موسى لهذا الحديث عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد * ورواية الامام أحمد له عن عفان عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن رجل * قال حماد أظنه جندب بن عبد الله البجلي عن النبي (س) (لقي آدم موسى) فذكر معناه *

وقد اختلفت مسالك الناس في هذا الحديث فرده قوم من القدرية لما تضمن من اثبات التقدير السابق * واحتج به قوم من الجبرية وهو ظاهر لهم بادي الرأي حيث قال فخرج آدم موسى لما احتج عليه بتقديم كتابه وسياق الجواب عن هذا ، وقال آخرون إنما حجه لانه لانه على ذنب قد تلب منه والتائب من الذنب كمن لا ذنب له * وقيل إنما حجه لانه أكبر منه واقدم * وقيل لانه أبوه * وقيل لانهما في شريعتين متغايرتين * وقيل لانهما في دار البرزخ وقد اختلف التكليف فيما يزعمونه *

والتحقيق ان هذا الحديث روى بالفاظ كثيرة بعضها مروى بالحق . وفيه نظر . وهدار معظمها في الصحيحين وغيرهما على أنه لانه على إخراج نفسه وذريته من الجنة فقال له آدم انما لم أخرجكم وانما

أخرجكم الذي رتب الاخراج على أكلى من الشجرة والذي رتب ذلك وقدره وكتبه قبل أن أخلق هو الله عز وجل فأنت تلومنى على أمر ليس له نسبة الى أكثر ما أنى نهييت عن الأكل من الشجرة فأكلت منها وكون الاخراج مترتبا على ذلك ليس من فعلى فأنا لم أخرجكم ولا نسمي من الجنة وإنما كان هذا من قدرة الله وصنمه وله الحكمة فى ذلك فلهمنا حج آدم موسى *
 ومن كذب بهذا الحديث فمأند لانه متواتر عن أبى هريرة رضى الله عنه وناهيك به عدالة وحفظا واتقاناً * ثم هو مروى عن غيره من الصحابة كما ذكرنا . ومن تأوله بتلك التأويلات المذكورة آفا فهو بعيد من اللفظ والمعنى . وما فهم من هو أقوى مسلكا من الجبرية . وفيما قالوه نظر من وجوه *
 (أحدها) أن موسى عليه السلام لا يلوم على أمر قد تاب منه فاعله (الثانى) انه قد قتل نفسا لم يؤمر بقتلها وقد سأل الله فى ذلك بقوله « رب انى ظلمت نفسى فاعفنى فغفر له » الآية (الثالث) انه لو كان الجواب عن اللوم على الذنب بالقدر المتقدم كتابته على العبد لا يفتح هذا لكل من لم على أمر قد فعله فيحتج بالقدر السابق فينسد باب القصاص والحدود ولو كان القدر حجة لاحتج به كل أحد على الامر الذى ارتكبه فى الامور الكبار والصغار وهذا يفضى الى لوازم فظيمة . فلهمنا قال من قال من العلماء بان جواب آدم إنما كان احتجاجا بالقدر على المصيبة لا المعصية والله تعالى أعلم .

للهمماوىت اللوروة فى خلق آدم

قال الامام أحمد حدثنا يحيى ومحمد بن جعفر حدثنا عوف حدثنى قسامة بن زهير عن أبى موسى عن النبي (س) قال (ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض فجاء منهم الابيض والاحمر والاسود وبين ذلك . والخليث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك ورواه أيضا عن هوزة عن عوف عن قسامة بن زهير سمعت الأشعري قال قال رسول الله (س) (ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض فجاء منهم الابيض والاحمر والاسود وبين ذلك . والسهل والحزن وبين ذلك . والخليث والطيب وبين ذلك) . وكذا رواه أبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه من حديث عوف بن أبى جميلة الاعرابى عن قسامة بن زهير المازنى البصرى عن ابى موسى عبد الله بن قيس الاشعري عن النبي (س) بنحوه . وقال الترمذى حسن صحيح *

وقد ذكر السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله (س) قالوا (فبعث الله عز وجل جبريل فى الارض ليأتيه بطين منها فقالت الأرض أعوذ بالله منك ان تنقص منى أو تشينى فرجع ولم يأخذ وقال رب انها عادت بك فأعنتها

فبعث ميكائيل فعادت منه فاعاذاها فرجع فقال كما قال جبريل فبعث ملك الموت فعادت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أفتد أمره فأخذ من وجه الأرض وخلطه ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة بيضاء وحمراء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به قَبْلُ السَّراب حتى عاد طينا لازبا) واللازب هو الذي يلزق بعضه ببعض * ثم قال للملائكة (إني خالق بشرا من طين . فإذا سويته وفتخت فيه من روحي فضعوا له ساجدين) فخلق الله بيده لثلاثين ألفا يتكبر إبليس عنه فخلقه بشرا فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففرغوا منه لما رأوه وكان أشدهم منه فزعوا إبليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفئار يكون له صلصلة فذلك حين يقول (من صلصال كالفخار) ويقول لأمر ما خلقت ودخل من فيه وخرج من دبره وقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لأهلكته فإذا بلغ الحين الذي يريد الله عز وجل أن يفتخ فيه الروح قال للملائكة إذا فتخت فيه من روحي فاسجدوا له فلما فتخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله فقال له الله رحمتك ربك فلما دخلت الروح في عيذه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخلت الروح في جوفه اشتبه الطمام فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجله فجلان إلى ثمار الجنة وذلك حين يقول الله تعالى « خلق الانسان من عجل » (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين) وذكر تمام القصة ولبعض هذا السياق شاهد من الأحاديث وإن كان كثير منه متلقى من الامراتيليات فقال الامام احمد حدثنا عبدالصمد حدثنا حماد عن ثابت عن أنس أن النبي (ص) قال (لما خلق الله آدم تركه ماشاء أن يدعه فجعل إبليس يعطيف به فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتالك) وقال ابن حبان في صحيحه حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا هبة ابن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) قال (لما فتخ في آدم فبلغ الروح رأسه عطس فقال الحمد لله رب العالمين فقال له تبارك وتعالى يرحمك الله)

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يحيى بن محمد بن السكن حدثنا حبان بن هلال حدثنا مبارك بن فضالة عن عبيد الله عن جبيب عن حمص هو ابن عاصم بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب عن أبي هريرة رفعه قال (لما خلق الله آدم عطس فقال الحمد لله فقال له ربه رحمتك ربك يا آدم) وهذا الاستناد لا بأس به ولم يخرجوه . وقال عمر بن عبدالعزيز « لما أمرت الملائكة بالسجود كان أول من سجد منهم اسرافيل فاتاه الله أن كتب القرآن في جيبته » رواه ابن عساکر وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا عتبة بن مكرم حدثنا عمرو بن محمد عن اسمعيل بن رافع عن المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال « ان الله خلق آدم من تراب ثم جعله طينا ثم تركه حتى اذا كان حيا مسونا خلقته وصوره ثم تركه حتى اذا كان صلصالا كالفخار قال فكان إبليس يمر به فيقول لقد خلقت لأمر عظيم . ثم فتخ الله فيه من روحي

فكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه فمطس فلقيه الله رحمة به فقال الله . يرحمك ربك . ثم قال الله يا آدم اذهب الى هؤلاء النفر قبل لهم (١) فانظر ماذا يقولون بغناء فسلم عليهم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . فقال يا آدم هذا تحيتك وتحية ذريتك . قال يارب وما ذريتي قال اختر يدي يا آدم قال اختر يمين ربي وكننا يدي ربي يمين وبسط كفه فاذا من هو كأن من ذريته في كف الرحمن فاذا رجال منهم أفواهم النور فاذا رجل يعجب آدم نوره قال يارب من هذا قال ابنك داود قال يارب فكم جعلت له من العمر قال جعلت له ستين قال يارب فآتم له من عمري حتى يكون له من العمر مائة سنة ففعل الله ذلك وأشهد على ذلك فلما نفذ عمر آدم بعث الله ملك الموت فقال آدم أو لم يبق من عمري أربعون سنة قال له الملك أولم تمطها ابنك داود فوجد ذلك فوجدت ذريته ونسي نسيت ذريته * وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار والترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث صفوان بن عيسى عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي (ص) . وقال الترمذي حديث حسن غريب من هذا الوجه . وقال النسائي هذا حديث منكر وقد رواه محمد ابن مجاز (٢) عن سعيد المقبري عن ابيه عن عبد الله بن سلام * وقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا أبو نعيم حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) (ما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خاتما من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل إنسان منهم ويصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه ويص ما بين عينيه فقال أي رب من هذا قال هذا رجل من آخر الامم من ذريتك يقال له داود قال رب وكم جعلت عمره قال ستين سنة قال أي رب زده من عمري أربعين سنة فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال أو لم يبق من عمري أربعون سنة قال أو لم تمطها ابنك داود . قال فوجدت ذريته ونسي آدم فخطت ذريته) ثم قال الترمذي حسن صحيح وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي (ص) ، ورواه الحاكم في مستدرکه من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وروى ابن أبي حاتم من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة برفوعا فذكره وفيه (ثم عرضهم على آدم فقال يا آدم هؤلاء ذريتك واذا فيهم الأجنم والابرص والأعشى وأنواع الاسقام فقال آدم يارب لم فعلت هذا بذريتي قال كي تشكر نعمتي) . ثم ذكر قصة داود . وستأتي من رواية ابن عباس أيضا * وقال الامام أحمد في مسنده حدثنا الهيثم ابن خارجة حدثنا أبو الربيع عن يونس

(١) قوله قتل لهم كذبا لأصول ساقطا منه المقول وهو السلام عليكم أو نحوه (٢) قوله عن سعيد المقبري الخ صوابه عن ابيه عن أبي سعيد المقبري عن عبد الله بن سلام (عنه) محمود الامام

ابن ميسرة عن أبي إدريس عن أبي الرداء عن النبي (ص)، قال (خلق الله آدم حين خلقه فضرب كفته اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الدر وضرب كفته اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحم. فقال للذي في يمينه . الى الجنة ولا أهلى . وقال للذي في كفته اليسرى الى النار ولا أبلى *

وقال ابن ابى الدنيا حدثنا خلف بن هشام حدثنا الحكم بن سنان عن حوشب عن الحسن قال « خلق الله آدم حين خلقه فأخرج أهل الجنة من صفته اليمنى وأخرج أهل النار من صفته اليسرى فألقوا على وجه الأرض منهم الأعمى والأصم والميتلى * فقال آدم يارب الاسويت بين ولى * قال يا آدم انى أردت ان أشكر » وهكذا روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن بنجره * وقد رواه ابو حاتم وابن جبان فى صحيحه فقال حدثنا محمد بن اسحاق بن خزيمه حدثنا محمد بن بشار حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا الحارث بن عبد الرحمن بن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) ، « لا خلق الله آدم وفتح فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله باذن الله فقال له ربه يرحمك ربك يا آدم اذهب الى أولئك الملائكة الى ملائمتهم جلوس فسلم عليهم فقال السلام عليكم فقالوا وعليكم السلام ورحمة الله . ثم رجع الى ربه فقال هذه تيميتك وتحيية بنيك بينهم وقال الله ويدها مقبوضتان اختر أيهما شئت فقال اخترت يمين ربي وكنتا يدي ربي يمين مباركة ثم بسطهما فاذا فيها آدم وذريته فقال اى رب ما هؤلاء قال هؤلاء ذريتك واذا كل انسان منهم مكتوب عمره بين عينيه واذا فيهم رجل أضوؤهم » او « من أضوؤهم لم يكتب له الا أربعون سنة قال يارب ما هذا . قال هذا ابنك هاود وقد كذب الله عمره أربعين سنة * قال أى رب زد فى عمره فقال ذلك الذى كتب له قال فانى قد جعلت له من عمرى ستين سنة قال انت وذلك * اسكن الجنة . فسكن الجنة ماشاء الله ثم هبط منها وكان آدم يمد لنفسه فأثاه ملك الموت فقال له آدم قد عجلت قد كذب لى ألف سنة قال بلى ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين سنة فجحد آدم فجحدت ذريته ونسى فنسيت ذريته فيومئذ أمر بالكتاب والشهود » هذا لفظه .

وقد قال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة عن النبي (ص)، قال « خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا . ثم قال اذهب فسلم على أولئك من الملائكة واستمع ما يجيبونك فلها تيميتك وتحيية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليكم ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل المخلوق يتقص حتى الآن . » . وهكذا رواه البخارى فى كتاب الاستئذان عن يحيى بن جعفر ومسلم عن محمد بن رافع كلاهما عن عبد الرزاق به ، وقال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله (ص)، قال كان طول آدم ستين ذراعا فى سبع أذرع عرضا . انفرد به احمد .

لم يسمع عمر * وكذا قال أبو حاتم وأبو زرعة زاد أبو حاتم وبينهما نعيم بن ربيعة * وقد رواه أبو داود عن محمد بن مصفى عن بقية عن عمر بن جُثَم عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة قال كنت عند عمر بن الخطاب وقد سئل عن هذه الآية فذكر الحديث * قال الحافظ الدار قطنى وقد تابع عمر بن جُثَم أبو فروة بن يزيد بن سنان الزهاوى عن زيد بن أبي أنيسة قال وقولها أولى بالصواب من قول مالك رحمه الله *

وهذه الأحاديث كلها دالة على استخراجها تعالى ذرية آدم من ظهره كاللذرة وقسمتهم قسمين أهل اليمن وأهل الشمال وقال هؤلاء للجنة ولا أبلى وهؤلاء للنار ولا أبلى . فأما الأشهاد عليهم واستنطاقهم بالقرار بالوحدانية فلم يجبي . فى الأحاديث الثابتة . وتفسير الآية التى فى سورة الأعراف وحملها على هذا فيه نظر كما بيناه هناك . وذكرنا الأحاديث والآثار مستقصاة بأسانيدها وألفاظ متونها . فن أراد تحرير ذلك فليراجعهم ثم والله أعلم *

فأما الحديث الذى رواه أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير يعنى ابن حازم عن كاثوم بن جبر عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن النبي (ص) قال (إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنيمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرها بين يديه . ثم كلمهم قبلا قال (الست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غفلين أو تقولوا) الى قوله (المبطلون) فهو باسناد جيد قوى على شرط مسلم * رواه النسائى وابن جرير والحاكم فى مستدركه من حديث حسين ابن محمد المرزى به . وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه الا أنه اختلف فيه على كاثوم بن جبر فروى عنه مرفوعا وموقوفا . وكذا روى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس موقوفا . وهكذا رواه العوفى والوالبى والضحاك وأبو جرة عن ابن عباس قوله * وهذا أكثر وأثبت والله أعلم *

وهكذا روى عن عبد الله بن عمر موقوفا ومرفوعا والموقوف أصح * واستأنس القائلون بهذا القول وهو أخذ الميثاق على الذرية وهم اليهود بما قال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنى مبة عن أبى عمران الجوفى عن أنس بن مالك عن النبي (ص) قال (يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة لو كان لك ما على الأرض من شئ أكنت متمديا به قال فيقول نعم . فيقول قد أردت منك ما هو أهون من ذلك قد أخذت عليك فى ظهر آدم أن لا تشرك بى شيئا فأبيت الا أن تشرك بى) أخرجاه من حديث شعبة به وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى ب كعب فى قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية والتى بعدها قال لجمعهم له يومئذ جميعا ما هو كأن منه الى يوم القيامة فحاقهم ثم صورهم ثم استنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهد عليهم أنفسهم (الست بربكم قالوا بلى) الآية قال فى أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد

عليكم أباكم آدم أن لا تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا. اعملوا أنه لا إله غيري ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيئاً وإني سأرسل اليكم رسلاً ينذرونكم عهدي وميثاقى وأنزل عليكم كتابى - قالوا نشهد أنك ربنا والها لارب لنا غيرك ولا اله لنا غيرك فاقروا له يومئذ بالطاعة ورفع أباهم آدم فنظر اليهم فرأى فيهم الغنى والفتير وحسن الصورة ودون ذلك * فقال يارب لو سويت بين عبادك فقال إني أحببت أن أشكر . ورأى فيهم الانبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة فهو الذى يقول الله تعالى (واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح و ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) وهو الذى يقول (فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وفى ذلك قال (هذا نذير من النذر الاولى) وفى ذلك قال (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاستقين) رواه الأئمة عبيد الله بن أحمد وابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه فى تناسيرهم من طريق أبي جعفر * وروى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن البصرى وقتادة والسدى وغير واحد من علماء السلف بسياقات توافق هذه الأحاديث وتقدم أنه تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم امتثلوا كلهم الأمر الاهلى وامتنع اليمس من السجود له حسداً وعداوة له فطرده الله وأبدده وأخرجه من الحضرة الالهية وفاد عنها وأهبطه الى الأرض طريداً مملوئاً شيطاناً رجياً *

وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع . ويعلى ومحمد ابنا عبيد قالوا حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله (س)، (إذا) قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول ياويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فى النار . ورواه مسلم من حديث وكيع وأبي معاوية عن الأعمش به . ثم لما أسكن آدم الجنة التى أسكنها سواء كانت فى السماء أو فى الأرض على ما تقدم من الخلاف فيه أقام بها هو وزوجته حواء عليهما السلام يأكلان منها رغداً حيث شآءا فلما أكلتا من الشجرة التى نهاى عنها سلبا ما كانا فيه من اللباس وأهبطتا الى الأرض * وقد ذكرنا الاختلاف فى مواضع هبوطه منها * واختلفوا فى مقدار مقامه فى الجنة فقيل بعض يوم من أيام الدنيا وقد قدمنا مارواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً وخلق آدم فى آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وتقدم أيضاً حديثه عنه وفيه (يعنى) يوم الجمعة خلق آدم وفيه أخرج منها فان كان اليوم الذى خلق فيه فيه أخرج وقتلنا إن الأيام الستة كهذه الأيام فقد لبث بعض يوم من هذه. وفى هذا نظر وإن كان إخراجها فى غير اليوم الذى خلق فيه أو قلنا بأن تلك الأيام مقدارها ستة آلاف سنة كما تقدم عن ابن عباس ومجاهد والضحاك واختاره ابن جرير فقد لبث هناك مدة طويلة . قال ابن جرير ومعلوم أنه خلق فى آخر ساعة من يوم الجمعة والساعة منه ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر فكث مصورا طيناً قبل أن يفتح فيه.

الروح أربعين سنة وأقام في الجنة قبل أن يهبط ثلاثاً وأربعين سنة. وأربعة أشهر والله تعالى أعلم * وقد روى عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن سوار خبير عطاء بن أبي رباح أنه كان لما أهبط رجلاه في الأرض ورأسه في السماء فخطه الله إلى ستين ذراعاً * وقد روى عن ابن عباس نحوه . وفي هذا نظر لما تقدم من الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال: (إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً فلم يزل انطلق يتقص حتى الآن * وهذا يقتضى أنه خلق كذلك لا أطول من ستين ذراعاً وأن ذريته لم يزالوا يتناقص خلقهم حتى الآن *

وذكر ابن جرير عن ابن عباس إن الله قال يا آدم إن لي حرماً بجبال عرشي فانطلق فابن لي فيه بيتاً فظف به كما تطوف ملائكتي بعرشي وأرسل الله له ملكاً فعرفه مكانه وعلمه المناسك . وذكر أن موضع كل خطوة خطاها آدم صارت قرية بعد ذلك *

وعنه أن أول طعام أكله آدم في الأرض أن جاءه جبريل بسبع حبات من حنطة فقال ما هذا قال هذا من الشجرة التي نهيت عنها فأكلت منها فقال وما أصنع بهذا قال ابذره في الأرض فبذره وكان كل حبة منها زنباً أزيد من مائة ألف فنبتت فخصده ثم درسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عبجه ثم خبزته فأكاه بعد جهد عظيم وتعب ولكد وذلك قوله تعالى (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) *

وكان أول كسوتهم من شعر الضأن جزاه ثم غزلاه فتنسج آدم له جبة ولبواء ودرعا وخماراً * واختلفوا هل ولد لها بلجنة شئ من الأولاد فقيل لم يولد لها إلا في الأرض * وقيل بل ولد لها فيها فكان قابيل وأخته ممن ولد بها والله أعلم *

وذكروا أنه كان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى وأمر أن يزوجه كل ابن أخت أخيه التي ولدت معه والاخرى بالأخرى وهلم جرا ولم يكن يحمل أخت لأخيها الذي ولدت معه

قصة قابيل وهابيل

قال الله تعالى (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين * لن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك لئن أخاف الله رب العالمين * لئن أريد أن تبوء بأثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين * فتطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الظالمين * فبعث الله غرباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال ياويلي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين) * قد تكلمنا على هذه القصة في سورة المائدة في التفسير بما فيه كفاية والله الحمد * ولندكر هنا ملخص ما ذكره أئمة السلف في ذلك * فذكر السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن

ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أن آدم كان يزوج ذكراً كل بطن بائناً الأخرى وأن هابيل أراد أن يتزوج باخت قاييل وكان أكبر من هابيل وأخت هابيل أحسن فراد هابيل أن يستأثر بها على أخيه وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى فأمرها أن يقربا قربانا وذهب آدم ليحج إلى مكة واستحفظ السموات على بنيه فأين والأرضين والجبال فأين فقبيل قاييل يحفظ ذلك . فلما ذهب قريبا قربانها قارب هابيل جذعة سمينة وكان صاحب غنم وقرب قاييل حزمة من زرع من ردى زرعه فترزت ناراً فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قاييل فغضب وقال لأقتلك حتى لا تنكح أختي فقال إنما يتقبل الله من المتقين * وروى عن ابن عباس من وجوه أخرى عن عبد الله بن عمرو وقال عبد الله بن عمرو وأيم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين ولكن منعه الترحح أن يبسط إليه يده * وذكر أبو جعفر الباقر أن آدم كان مباشراً لتقربهما القربان والتقبل من هابيل دون قاييل فقال قاييل لآدم إنما تقبل منه لأنك دعوت له ولم تدع لي وتوعد أخاه فيما بينه وبينه . فلما كان ذات ليلة أبطأ هابيل في الرعي فبث آدم أخاه قاييل لينظر ما أبطأ به فلما ذهب إذا هو به فقال له تقبل منك ولم يتقبل مني فقال إنما يتقبل الله من المتقين . فغضب قاييل عندها وضرب به بحديدة كانت معه فقتله * وقيل إنه إنما قتله بصخرة رماها على رأسه وهو نائم فشدخته * وقيل بل خنقه خنقا شديداً وعضاً كما تفعل السباع فمات والله أعلم *

وقوله له لما توعدته بالقتل (لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا يبسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين) دل على خلق حسن وخوف من الله تعالى وخشية منه وتورع أن يقابل أخاه بالسوء الذي أراد منه أخوه مثله ولهذا ثبت في الصحيحين عن رسول الله (ص) أنه قال (إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالتقاتل والمقتول في النار . قالوا يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال إنه كان حريصاً على قتل صاحبه) وقوله (إني أريد أن تبوء بأبي وأهلك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) أي إني أريد ترك مقاتلتك وإن كنت أشد منك وأقوى إذ قد عزمت على ما عزمت عليه أن تبوء بأبي وأهلك أي تتحمل أثم قتلي مع مالك من الآثام المتقدمة قبل ذلك قاله مجاهد والسدي وابن جرير وغير واحد وليس المراد أن آثام المقتول تتحول بمجرد قتله إلى القاتل كما قد توهمه بعض قاله ابن جرير حكى الإجماع على خلاف ذلك *

وأما الحديث الذي يورده بعض من لا يعلم عن النبي (ص) أنه قال ماترك القاتل على المقتول من ذنب فلا أصل له ولا يعرف في شيء من كتب الحديث بسند صحيح ولا حسن ولا ضعيف أيضاً ولكن قد يتفق في بعض الأشخاص يوم القيامة يطالب المقتول القاتل فتكون حسنات القاتل لا تنفي هذه الظلمة فتتحول من سيئات المقتول إلى القاتل كما ثبت به الحديث الصحيح في سائر المظالم والقتل

من أعظمها والله أعلم . وقد حررنا هذا كله في التفسير والله الحمد *
وقد روى الامام احمد وأبو داود والترمذي عن سعد بن أبي وقاص أنه قال عند فتنة عثمان ابن عفان أشهد أن رسول الله (ص) قال (إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي) قال أفرايت ان دخل على يتي فبسط يده الى ليقتلني قال كن كابن آدم . ورواه بن مردويه عن حذيفة بن اليمان مرفوعا وقال كن كخير ابني آدم . وروى مسلم وأهل السنن الا النسائي عن أبي ذر نحو هذا

وأما الآخر فقد قال الامام احمد حدثنا ابو معاوية ووكيع قالا حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) (لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل * ورواه الجماعة سوى أبي داود من حديث الأعمش به وهكذا روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابراهيم النخعي انهما قالا مثل هذا سواء * ويجعل قاسيون ثلثي دمشق مارة يقال لها مغارة الدم مشهورة بأها المكان الذي تمل قابيل أخاه هابيل عندها وذلك مما تلقوه عن أهل الكتاب فلهذا أعلم بصحة ذلك * وقد ذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة احمد بن كثير وقال إنه كان من الصالحين أنه رأى النبي (ص) وأبا بكر وعمر وهابيل وأنه استحلف هابيل ان هذا دمه خلف له وذكر أنه سأل الله تعالى أن يجعل هذا المكان يستجاب عنده النساء فأجابته الى ذلك وصدقه في ذلك رسول الله (ص) . وقال إنه وأبا بكر وعمر يزورون هذا المكان في كل يوم خميس * وهذا منام لو صح عن احمد بن كثير هذا لم يترتب عليه حكم شرعي والله أعلم * وقوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه قال ياويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى فاصبح من النادمين) ذكر بعضهم أنه لما قتله حملة على ظهره سنة وقال آخرون حملة مائة سنة ولم يزل كذلك حتى بعث الله غرابين * قال السدي بسنده عن الصحابة اخوين فقتلا قتلت أحدهما الآخر فلما قتله عمد الى الأرض يحفر له فيها ثم ألقاه ودفنه وواراه فلما رآه يصنع ذلك قال ياويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى ففعل مثل ما فعل الغراب فواراه ودفنه *

وذكر أهل التواريخ والسير أن آدم حزن على ابنه هابيل حزنا شديدا وأنه قال في ذلك شعرا وهو قوله فيما ذكره ابن جرير عن ابن حميد

تغيرت البلادُ ومن عليها فوجه الأرض مغبرٌ قبيحُ
تغير كلُّ ذي لونٍ وطعمٍ وقلُّ بشاشة الوجه المليح
(فأجيب آدم)

أبا هابيل قد قُتلا جميعاً وصار الحَيِّ كاللَّيْتِ الذَّيْحِ
وجاء بشره قد كان منها على خوفٍ فجابها يصيح

وهذا الشعر فيه نظر وقد يكون آدم عليه السلام قال كلاماً يتحزن به بلغته فالفه بعضهم إلى هذا وفيه أقوال والله أعلم * وقد ذكر مجاهد أن قابيل عوجل بالعقوبة يوم قتل أخاه فلعلت ساقه إلى فخذه وجعل وجهه إلى الشمس كيفما دارت تنكيلاً به وتمجيلاً لذنبه وبفيه وحسده لأخيه لأبويه * وقد جاء في الحديث عن رسول الله (ص) أنه قال (ما من ذنب أجدر أن يجعل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم) *

والذي رأيته في الكتاب الذي بأيدي أهل الكتاب الذين يزعمون أنه التوراة أن الله عز وجل أجله وأظنره وأنه سكن في أرض نود في شرقي عدن وهم يسمونه قين وأنه ولد له خنوخ وخنوخ عند رولندر محوايل ولحوایل متوشيل واثوشيل لأمك وتزوج هذا امرأتين عدا وصلا فولدت عدا ولدا اسمه ابل وهو أول من سكن القباب واقتنى المال وولدت أيضا نوبل وهو أول من أخذ في ضرب النوح والصنج وولدت صلا ولدا اسمه توبلقين وهو أول من صنع النحاس والحديد وبننا اسمها نسي وفيها أيضا ان آدم طاف على امرأته فولدت غلاما ودعت اسمه شيث وقالت من أجل انه قد وهب لي خلفا من هابيل الذي قتله قابيل وولد لثيث أنوش قالوا وكان عمر آدم يوم ولد له شيث مائة وثلاثين سنة وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وكان عمر شيث يوم ولد له أنوش مائة وخمسة وستين وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وسبع سنين . وولد له بنون وبنات غير أنوش فولد لانوش قينان وله من العمر تسعون سنة وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وخمس عشرة سنة وولد له بنون وبنات فلما كان عمر قينان سبعين سنة ولد له مهلايل وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وأربعين سنة وولد له بنون وبنات فلما كان لمهلايل من العمر خمس وستون سنة ولد له يرد وعاش بعد ذلك ثمانمائة وثلاثين سنة وولد له بنون وبنات فلما كان ليرد مائة سنة واثنان وستون سنة ولد له خنوخ وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وولد له بنون وبنات فلما كان لخنوخ خمس وستون سنة ولد له متوشلح وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وولد له بنون وبنات فلما كان لمتوشلح مائة وسبع وثمانون سنة ولد له لامك وعاش بعد ذلك سبعمائة واثنين وثمانين سنة وولد له بنون وبنات فلما كان للامك من العمر مائة واثنان وثمانون سنة ولد له نوح وعاش بعد ذلك خمسمائة وخمسة وستين سنة . وولد له بنون وبنات فلما كان لنوح خمسمائة سنة ولد له بنون سام وحام ويافت هذا مضمون ما في كتابهم صريحا *

وفي كون هذه التواريخ محفوظة فيما نزل من السماء نظر كما ذكره غير واحد من العلماء طاعين

عليهم في ذلك والظاهر انها مقحمة فيها. ذكرها بعضهم على سبيل الزيادة والتفسير. وفيها غلط كثير كما سند كره في مواضعه ان شاء الله تعالى * وقد ذكر الامام أبو جعفر بن جرير في تاريخه عن بعضهم أن حواء ولدت لادم أربعين ولدا في عشرين بطنا قاله ابن اسحق وسامه والله تعالى أعلم. وقيل مائة وعشرين بطنا في كل واحد ذكر وأنثى. أولهم قابيل وأخته قليا. وآخرهم عبد المغيث وأخته أم المغيث * ثم انتشر الناس بعد ذلك وكثروا وامتدوا في الارض ونموا كما قال الله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) الآية وقد ذكر أهل التاريخ أن آدم عليه السلام لم يمت حتى رأى من ذريته من أولاده وأولاد أولاده أربع مائة ألف نسمة والله أعلم * وقال تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن قلما تنشأها حملت حملا خفيفا فثرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين اليها فلما آتاهما صالحا جعلاه شركاء فيا آتاهما فعلى الله عما يشركون) الآيات فهذا تنبيه أولاد آدم ثم استورد الى الجنس وليس المراد بهذا ذكر آدم وحواء بل لما جرى ذكر الشخص استورد الى الجنس كما في قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) وقال تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) ومعلوم أن رجوم الشياطين ليست هي أعيان مصابيح السماء وانما استورد من شخصها الى جنسها * فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن ابراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي (ص)، قال (لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فانه يعيش فسمته عبد الحارث فماش وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره *

وهكذا رواه الترمذى وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم عند هذه الآية وأخرجه الحاكم في مستدركه كلهم من حديث عبد الصمد بن عبد الوارث به * وقال الحاكم صحيح الاستناد ولم يخرجاه * وقال الترمذى حسن غريب لانعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه فهذه عدة قاذحة في الحديث انه روى موقوفا على الصحابي وهذا شبه والظاهر أنه تلقاه من الاسرائيليات * وهكذا روى موقوفا على ابن عباس. والظاهر أن هذا متلقى عن كعب الاحبار ودونه والله أعلم * وقد فسر الحسن البصرى هذه الآيات بخلاف هذا. فلو كان عنده عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه الى غيره والله أعلم. وأيضا فأنه تعالى انما خلق آدم وحواء ليكونا أصل البشر وليت منهما رجالا كثيرا ونساء فكيف كانت حواء لا يعيش لها ولد كما ذكر في هذا الحديث إن كان محفوظا. والمظنون بل المقطوع به ان رفته الى النبي (ص)، خطأ والصواب وقفه والله أعلم * وقد حررنا هذا في كتابنا التفسير والله الحمد.

ثم قد كان آدم وحواء أتقى لله مما ذكر عنهما في هذا . فان آدم أبو البشر الذي خلقه الله بيده وفتح فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأسكنه جنته * وقد روى ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر قال قالت يارسول الله كم الانبياء قال مائة الف وأربعة وعشرون الفا . قلت يارسول الله كم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفيرا . قلت يارسول الله من كان أولهم . قال آدم . قلت يارسول الله نبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده ثم ففتح فيه من روحه ثم سواه قبلا . وقال الطبراني حدثنا ابراهيم بن نائلة الاصبهاني حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا نافع بن هرمز عن عطاء بن ابراهيم عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) ، ألا اخبركم بانفضل الملائكة جبريل وأفضل النبيين آدم وأفضل الايام يوم الجمعة وأفضل الشهور شهر رمضان وأفضل الليالي ليلة القدر وأفضل النساء مريم بنت عمران * وهذا إسناد ضعيف فان نافعا أبا هرمز كذبه ابن معين وضعفه أحمد وأبو زرعة وأبو حاتم وابن حبان وغيرهم والله أعلم * وقال كعب الاحبار ليس أحد في الجنة له لحية الا آدم . لحيته سوداء الى سرتة . وليس أحد يكنى في الجنة الا آدم كنيته في الدنيا أبو البشر وفي الجنة أبو محمد * وقد روى ابن عدى من طريق سبج (١) ابن أبي خالد عن حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله مرفوعا أهل الجنة يدعون بأسمائهم الا آدم فانه يكنى أبا محمد * ورواه ابن عدى أيضا من حديث علي بن أبي طالب وهو ضعيف من كل وجه والله أعلم *

وفي حديث الاسراء الذي في الصحيحين أن رسول الله (ص) ، لما مر بأدم وهو في السماء الدنيا قال له مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قال واذا عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة . فاذا نظر عن يمينه نضح واذا نظر عن شماله بكى . فقلت يا جبريل ماهذا قال هذا آدم وهؤلاء نسمة بنيه * فاذا نظر قبل أهل اليمين وهم أهل الجنة نضح واذا نظر قبل أهل الشمال وهم أهل النار بكى هذا معنى الحديث * وقال أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثني حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا هشام بن حسان عن الحسن قل كان عقل آدم مثل عقل جميع ولده *

وقال بعض العلماء في قوله (ص) ، فررت بيوسف وإذا هو قد أعطى شطر الحسن * قالوا معناه أنه كان على النصف من حسن آدم عليه السلام * وهذا مناسب . فان الله خلق آدم وصوره بيده الكريمة وفتح فيه من روحه فما كان ليخلق إلا أحسن الأشباه * وقد روينا عن عبد الله بن عمرو وابن عمرو أيضا موقوفا مرفوعا إن الله تعالى لما خلق الجنة قالت الملائكة يا ربنا اجعل لنا هذه فانك خلقت لبني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون . فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لأجعل صالح ذرية من خلقت يدي كن قلت له كن فكان . وقد ورد الحديث المروي في الصحيحين وغيرها من طرق أن رسول الله

(١) قوله سبج بن أبي خالد كذا بالأصل ولا نعرف من الرجال من سمي بهذا الاسم «مجموع الامام»

رس، قال إن الله (خلق آدم على صورته) وقد تكلم العلماء على هذا الحديث فذكروا فيه مسالك كثيرة ليس هذا موضع بسطها والله أعلم *

وفاة آدم ووصيته لأبيه كسب

ومعنى شيث هبة الله وسميها بذلك لانها رزقاه بعد أن قتل هابيل * قال أبو ذر في حديثه عن رسول الله رس: إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف . على شيث وخسين صحيفة * قال محمد بن اسحاق ولما حضرت آدم الوفاة عهد الى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار وعلمه عبادات تلك الساعات وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك . قال ويقال إن اتساب بنى آدم اليوم كلها تنتهى الى شيث . وسائر أولاد آدم غيره اهرضوا وبادوا والله أعلم *

ولما توفي آدم عليه السلام وكان ذلك يوم الجمعة جاءت الملائكة بالملئكة بمنحوط وكفن من عند الله عز وجل من الجنة . وعزوا فيه ابنه ووصيه شيئا عليه السلام * قال ابن اسحاق وكسفت النسس والقعر سبعة أيام بلياليهن * وقد قال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا هديبة بن خالد حدثنا حماد بن سادة عن حميد عن الحسن عن يحيى هو ابن ضمرة السملدي قال رأيت شيئا بالمدينة تكلم فسانت عند فقالوا هذا أبي بن كعب . فقال إن آدم لما حضره الموت قال لابنه أي بني إنني أشتهي من ثمار الجنة قال فذهبوا يطلبون له فاستقبلهم الملائكة . ومعهم أكفانه وحنوطه ومعهم الفوس والمساحي والمكائيل فقالوا لهم يا بني آدم ماتريدون وما تطلبون أو ماتريدون وأين تطلبون قالوا أبونا مريض واشتهي من ثمار الجنة فقالوا لهم ارجعوا فقد قضى أبوكم فجاءوا فلما رأتهم حواء عرفتهم فلأذت بآدم فقال اليك عنى فأتى أنتيت من قبلك فغلى يني وبين ملائكة ربي عز وجل تقبضوه وغسلوه وكفنوه وحطوه وحفروا له ولحدوه وحلوا عليه . ثم ادخلوه قبره فوضوه في قبره . ثم حثوا عليه . ثم قالوا يا بني آدم هذه سنتكم * إسناد صحيح اليه * وروى ابن عساكر من طريق شيبان بن فروخ عن محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله رس، قال كبرت الملائكة على آدم أربعاً وكبر أبو بكر على فاطمة أربعاً وكبر عمر على أبي بكر أربعاً وكبر صهيب على عمر أربعاً * قال ابن عساكر ورواه غيره عن ميمون فقال عن ابن عمر *

واختلفوا في موضع دفنه فالشهور أنه دفن عند الجبل الذي أهبط منه في الهند وقيل بجبل أبي قبيس بمكة * ويقال إن نوحا عليه السلام لما كان زمن الطوفان حمله هو وحواء في تابوت فدقهما بيت المقدس * حكى ذلك ابن جرير * وروى ابن عساكر عن بعضهم أنه قال رأسه عند مسجد ابراهيم ورجلاه عند صخرة بيت المقدس * وقد ماتت بعده حواء بسنة واحدة * واختلف في مقدار عمره عليه السلام فقدما

في الحديث عن ابن عباس وأبي هريرة مرفوعاً أن عمره اكتب في اللوح المحفوظ الف سنة . وهذا لا يمارضه ما في التوراة من أنه عاش تسعمائة وثلاثين سنة لأن قولهم هذا مطعون فيه مردود إذا خالف الحق الذي بأيدينا مما هو المحفوظ عن المعصوم * وأيضاً فإن قولهم هذا يمكن الجمع بينه وبين ما في الحديث فإن ما في التوراة إن كان محفوظاً محمول على مدة مقامة في الأرض بعد الاهباط وذلك تسعمائة وثلاثون سنة شمسية وهي بالقمرية تسعمائة وسبع وخمسون سنة ويضاف الى ذلك ثلاث وأربعون سنة مدة مقامة في الجنة قبل الاهباط على ما ذكره ابن جرير وغيره فيكون الجميع الف سنة *

وقال عطاء الخراساني لما مات آدم بكت الخلائق عليه سبعة أيام * رواه ابن عساکر فلما مات آدم عليه السلام قام بأعباء الأمر بعده ولده شيث عليه السلام . وكان نبياً ينس الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر مرفوعاً أنه أنزل عليه خمسون صحيفة . فلما حانت وفاته أوصى الى ابنه أنوش فقام بالأمر بعده ثم بعده ولده قين . ثم من بعده ابنه مهلايل وهو الذي يزعم الأعاجم من الفرس أنه ملك الأقاليم السبعة وأنه أول من قطع الأشجار وبنى المدن والمحصولون الكبار . وأنه هو الذي بنى مدينة بابل ومدينة السوس الأقصى . وأنه قبر ابليس وجنوده وشردهم عن الأرض الى أطرافها وشعاب جهنم وأنه قتل خاتماً من مريدة الجن والغيلان وكان له تاج عظيم وكان يخطب الناس وداومت دولته أربعين سنة . فلما مات قلم بالأمر بعده ولده يرد فلما حضرته الوفاة أوصى الى ولده خنوخ وهو إدريس عليه السلام على المشهور *

إدريس عليه السلام

قال الله تعالى (واذكر في الكتاب إدريس انه كان صديقاً نبياً * ورفعناه مكاناً علياً) فإدريس عليه السلام قد أنبئ الله عليه ووصفه بالنبوة والصدقية وهو خنوخ هذا وهو في عمود نسب رسول الله (ص) على ما ذكره غير واحد من علماء النسب . وكان أول بني آدم أعطى النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام * وذكر ابن اسحاق أنه أول من خط بالقلم وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وثمانين سنين . وقد قال طائفة من الثمانيين إنه المشار اليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي لما سأل رسول الله (ص) عن الخط بالرمال فقال إنه كان نبياً يخط به فن وافق خطه فذاك * ويزعم كثير من علماء التفسير والاحكام أنه أول من تكلم في ذلك ويسمونه هرمس المراسمة ويكذبون عليه أشياء كثيرة كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء * وقوله تعالى (ورفعناه مكاناً علياً) هو كما ثبت في الصحيحين في حديث الاسراء أن رسول الله (ص) مر به وهو في السماء الرابعة * وقد روى ابن جرير عن يونس عن عبد الأعلى عن ابن وهب عن جرير بن حازم عن الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف

قال سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر فقال له ما قول الله تعالى لادريس (ورفعناه مكانا عليا) فقال كعب
 أما إدريس فان الله أوحى اليه انى أرفع لك كل يوم. مثل جميع عمل بنى آدم (لعله من أهل زمانه) فأحب
 أن يزداد علا فأتاه خليل له من الملائكة فقال إن الله أوحى الى كذا وكذا فكأن ملك الموت حتى
 أزداد عملا فحمله بين جناحيه ثم صعد به الى السماء فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدرًا
 فكأن ملك الموت في الذى كلمه فيه إدريس فقال وأين إدريس قال هو ذا على ظهري فقال ملك
 الموت فالعجب بمثت وقيل لى أقبض روح إدريس فى السماء الرابعة فجعلت أقول كيف أقبض روحه فى
 السماء الرابعة وهو فى الارض فقبض روحه هاك فذلك قول الله عز وجل (ورفعناه مكانا عليا) ورواه
 ابن أبى حاتم عند تفسيرها * وعنده فقال لذلك الملك سئل لى ملك الموت كم بقى من عمرى فسأله وهو
 معه كم بقى من عمره فقال لا أدرى حتى أنظر فنظر فقال إنك لتسألنى عن رجل مابق من عمره الا طرفه
 عين فنظر الملك الى تحت جناحه الى إدريس فاذا هو قد قبض وهو لا يشعر * وهذا من الاسرائيليات
 وفى بعضه نكارة . وقول ابن أبى نجيب عن مجاهد فى قوله (ورفعناه مكانا عليا) قال إدريس رفع ولم
 يمت كما رفع عيسى إن أراد أنه لم يمت الى الآن فى هذا نظر وإن أراد أنه رفع حيا الى السماء ثم قبض
 هناك فلا ينافى ما تقدم عن كعب الأحبار والله أعلم * وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله (ورفعناه
 مكانا عليا) رُفِعَ الى السماء السادسة فأت بها . وهكذا قال الضحاك . والحديث المتفق عليه . من أنه فى
 السماء الرابعة أصبح وهو قول مجاهد وغير واحد * وقال الحسن البصرى (ورفعناه مكانا عليا) قال الى
 الجنة * وقال قائلون رفع فى حياة أبيه يرد بن مهلايل والله أعلم * وقد زعم بعضهم أن إدريس لم
 يكن قبل نوح بل فى زمان بنى اسرائيل *

قال البخارى ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن الياس هو إدريس واستأنسوا فى ذلك بما
 جاء فى حديث الزهري عن أنس فى الاسراء انه لمبا مر به عليه السلام قال له مرحبا
 بالأخ الصالح والنبى الصالح ولم يقل كما قال آدم و ابراهيم مرحبا بالنبى الصالح والابن
 الصالح قالوا فلو كان فى عمود نسبة لقال له كما قال له * وهذا لا يدل ولا بد لانه
 قد لا يكون الراوى حفظه جيدا . أولعله قاله له على سبيل الهضم والتواضع ولم
 ينتصب له فى مقام الأبوة كما انتصب لآدم أبى البشر و ابراهيم الذى هو
 خليل الرحمن وأكبر أولى العزم بعد محمد صلوات الله عليهم أجمعين *

قصة نوح عليه السلام

هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ . وهو إدريس بن يرد بن مهلايل بن قين بن أنوش
 ابن شيث بن آدم أبى البشر عليه السلام * كان مولده بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة فيما

ذكره ابن جرير وغيره . وعلى تلويح أهل الكتاب المتقدم يكون بين مولد نوح وموت آدم مائة وست وأربعون سنة . وكان بينهما عشرة قرون كما قال الحافظ أبو حاتم بن حبان في صحيحه حدثنا محمد بن عمر بن يوسف حدثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن اخيه زيد بن سلام سمعت أبا سلام سمعت أبا أمامة أن رجلا قال يارسول الله أنبي كان آدم قال نعم مكلم . قال فكم كان بينه وبين نوح قال عشرة قرون . قلت وهذا على شرط مسلم ولم يخرج به . وفي صحيح البخارى عن ابن عباس قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام * فان كان المراد بالقرن مائة سنة كما هو المتبادر عند كثير من الناس فينبغي ألف سنة لاحتمال ذلك لا يفتى أن يكون أكثر باعتبار ما قيد به ابن عباس بالاسلام اذ قد يكون بينهما قرون أخر متأخرة لم يكونوا على الاسلام لكن حديث أبي أمامة يدل على الحصر في عشرة قرون وزادنا ابن عباس أنهم كلهم كانوا على الاسلام * وهذا يرد قول من زعم من أهل التواريخ وغيرهم من أهل الكتاب أن قابيل وبنوه عبدوا النار والله أعلم * وان كان المراد بالقرن الجيل من الناس كما في قوله تعالى (وكم أهلكنا من القرون من يد نوح) وقوله (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) وقال تعالى (وقرونا بين ذلك كثيرا) وقال (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) وكقوله عليه السلام (خير القرون قرني) الحديث فقد كان الجيل قبل نوح يسمون الدهر الطويلة * فعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألف من السنين والله أعلم *

وبالجملة فنوح عليه السلام انما بعثه الله تعالى لما عبدت الاصنام والطواغيت وشرع الناس في الضلالة والكفر فبعثه الله رحمة للعباد فكان أول رسول بعث الى أهل الارض كما يقول له أهل الموقف يوم القيامة * وكان قومه يقال لهم بنو راسب فيما ذكره ابن جرير وغيره *

واختلفوا في مقدار سنه يوم بعث فقيل كان ابن خمسين سنة . وقيل ابن ثلاثمائة وخمسين سنة وقيل ابن اربعمائة وثمانين سنة . حكاه ابن جرير وعزا الثالثة منها الى ابن عباس *

وقد ذكر الله قصته وما كان من قومه وما أنزل بمن كفر به من العذاب بالطوفان وكيف أتجاء وأصحاب السفينة في غير ما موضع من كتابه العزيز * ففي الأعراف ويونس وهود والأنبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت والصفافات واقتربت وأنزل فيه سورة كاملة * فقال في سورة الاعراف (لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قال الملائكة من قومه انا لترك في ضلال مبين . قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون . أو عجيبم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون . فكذبوه فأتجننا . والذين معه فى الفلك وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عيبن) وقال في سورة يونس (واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر

عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركائكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم افضوا الى ولا تنظرون . فلن توليتم فما سألتكم من أجران أجرى الاعلى الله وأسرت أن أكون من المسابين . فكذبوه فنجيناها ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظرو كيف كان عاقبة المنذرين) وقال تعالى فى سورة هود (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين * أن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم * فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بآدى الرؤى وما نرى الحكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين * قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنزله كما وهوا وأنتم لها كارهون . ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الاعلى الله وما أنا بطارد الذين آمنوا اتهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون * ويا قوم من ينصرفى من الله ان طردتهم أفلا تذكرون * ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا أقول للذين تردى أعينكم لن يزيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين * قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تمدنا ان كنت من الصادقين * قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين * ولا ينفعكم نصيحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون * أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى إجرأى وأنا برى مما تجرمون * وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون * واصنع الفلك باعينا ووحينا ولا تخاطبني فى الذين ظلموا إنهم مغرقون * ويصنع الفلك وكلما مر عليه لآ من قومه سجدوا منه قال إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون * فسوف تعلمون * من يأتيه عذاب يخربه ويحل عليه عذاب مقيم * حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الامن - سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل * وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم * وهى تجري بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين * قال ساوى الى جبل يصبه من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الامن رحم وحال بينهما الموج فكانا من المنقرين * وقيل يا أرض ابلي مائك وباسماء ألقى وغيبض الماء وفضى الأمر واستوت على الجردى وقيل بسدا للقوم الظالمين * ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين * قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم انى أعطتك أن تسكون من الجاهلين * قال رب انى اعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والا تفعل لى وترحمني أكن من الخاسرين * قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم * تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت

تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) * وقال تعالى في سورة الانبياء (ونوحا
اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم * ونصرناه من القوم الذين كذبوا
بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) وقال تعالى في سورة قد أفلح المؤمنون (ولقد أرسلنا نوحا الى
قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون . فقال الملا الذين كفروا من قوم ما هذا
الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل بلكم ولو شاء الله لآتزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آياتنا الأولى *
ان هو الا رجل به جنة فترصوا به حتى حين * قال رب انصرني بما كذبون * فلو حينا اليه أن اصنع
الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وافر التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق
عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مفترقون * فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك
نقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين * وقال رب انزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين * ان
في ذلك لايات وان كنا لمتبائنين) وقال تعالى في سورة الشعراء (كذبت قوم نوح المرسين * اذ قال
لهم أخوهم نوح ألا تتقون . اني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر ان
اجرى الا على رب العالمين . فاتقوا الله وأطيعون . قلوا أنؤمن لك واتبعك الأثرون . قال وما على
بما كانوا يعملون * ان حسابهم الا على رب لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين . إن أنا الا نذير مبين .
قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين . قال رب إن قومى كذبون . فافتح يدي وبينهم فتحا
ونجى ومن معي من المؤمنين . فأنجيناه ومن ممة في الفلك المشحون . ثم أغرقنا بعد الباقين . إن في ذلك
لاية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك هو العزيز الرحيم) وقال تعالى في سورة العنكبوت (ولقد
أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون . فأنجيناه وأصحاب
السفينة وجعلناها آية للعالمين) وقال تعالى في سورة والصفات (ولقد نادانا نوح فلنعم الجيبون . ونجيناه
وأهله من الكرب العظيم . وجعلنا ذريته هم الباقين . وتركنا عليه في الآخريين . سلام على نوح في
العالمين . إنا كذلك نجزي المحسنين . إنه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الآخريين) وقال تعالى في سورة
اقتربت (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنونون وازدجر . فدعاه ابنى مغلوب فاتنصر .
ففتحننا أبواب السماء بماء منهمر . ونجونا الارض عيوننا فالتقى الماء على أمر قد قدر . وحملناه على ذات
الارواح ودرس . نجري باعيننا جزاء لمن كان كفر . ولقد تركناها آية فهل من مدكر . فكيف كان عذابى
ونذره . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم انا أرسلنا
نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم . قال يا قوم انى لكم نذير مبين * أن اعبدوا
الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى إن أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو
كنتم تعلمون * قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزداهم دعائى الا فرارا . وإنى كلما دعوتهم

لتغفر لهم جلوا أصابعهم في آذانهم واستمشوا أيامهم وأصروا واستكبروا استكباراً * ثم إلى دعوتهم
 جهاراً . ثم إلى أعلنت لهم وأسررت لهم أسراراً * فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء
 عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً * ما لكم لا ترجون لله
 وقاراً * وقد خلقكم أطواراً * ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نورا وجعل
 الشمس سراجاً * والله ابتكم من الأرض نباتاً * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً * والله جعل لكم
 الأرض باطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً * قال نوح رب أنهم عصوني واتبعوا من لم يزد ماله
 وولده الا خساراً ومكراً كباراً * وقالوا لا تذرنا آلهتنا ولا تذرنا ودا ولا سواعاً ولا يعقوث
 ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين الا ضلالاً * مما خطيئتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً
 فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً * وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً *
 إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً * رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً
 وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تباراً) وقد تكلمنا على كل موضع من هذه في التفسير
 وسنذكر مضمون القصة مجموعاً من هذه الأماكن المتفرقة ومما دلت عليه الاحاديث والآثار وقد
 جرى ذكره أيضا في مواضع متفرقة من القرآن فيها مدحه وذم من خلفه فقال تعالى في سورة النساء
 (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب
 والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآيتنا داود زبوراً * ورسلاً قد قصصناهم عليك
 من قبل ورسلاًم قصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً * رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس
 على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً) وقال في سورة الانعام (ولتلك حجتنا آيتناها ابراهيم على
 قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا
 من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين * وذكرياً
 ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين * واسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين *
 ومن آياتهم وذراريهم وخوانسهم واجتنبناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم) الآيات * وتقدمت قصته
 في الأعراف * وقال في سورة براءة (ألم يأتيهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم
 وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)
 وتقدمت قصته في يونس وهود) وقال في سورة ابراهيم (ألم يأتيكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد
 وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا
 كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب) وقال في سورة سبأ (ذرية من حملنا مع
 نوح إنه كان عبداً شكوراً) وقال فيها أيضا (وكم أهلكتنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب

عباده خيرا بصيرا) وتقدمت قصته في الانبياء والمؤمنون والشعراء والنفكوت . وقال في سورة الأحزاب (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) وقال في سورة (ص) (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب . ان كل الاكذب الرسل خلق عقاب) وقال في سورة غافر (كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب . وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) وقال في سورة الشورى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوم إليه * الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) وقال تعالى في سورة (ق) (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل خلق وعيد) وقال في الذاريات (وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين) وقال في النجم (وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأغنى) وتقدمت قصته في سورة اقتربت الساعة * وقال تعالى في سورة الحديد (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) وقال تعالى في سورة التحريم (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخا ذاتهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) *

وأما مضمون ماجرى له مع قومه مأخوذا من الكتاب والسنة والآثار فقد قدمنا عن ابن عباس أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون تكلمهم على الاسلام رواه البخارى * وذكرنا أن المراد بالقرن الجيل أو المدة على ماسلف * ثم بعد تلك القرون الصالحة حدثت أمور اقتضت ان آل الحلال بأهل ذلك الزمان الى عبادة الاصنام وكان سبب ذلك ما رواه البخارى من حديث ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عند تفسير قوله تعالى (وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تدرن ودا ولا سواعا . ولا يفرث ويعوق ونسرا) قال (هذه) اسما رجال صالحين من قوم نوح . فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون (فيها) أنصبا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تمده حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبست * قال ابن عباس وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد * وهكذا قال عكرمة والضحاك وقتادة ومحمد بن اسحاق *

وقال ابن جرير في تفسيره حدثنا ابن حميد حدثنا مهرا بن عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس قال كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا الى العبادة إذا ذكرناهم فصورهم فلما ماتوا وجاء آخرون

دب انهم ايليس فقال انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فيدوم * وروى ابن ابي حاتم عن عروة ابن الزبير انه قال ود ويعوث ويعوق وسواع ونسر اولاد آدم وكان ودا اكبرهم وابراهيم به *
وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن منصور حدثنا الحسن بن موسى حدثنا يعقوب عن ابي المطهر قال ذكروا عند ابي جعفر هو الباقر وهو قائم يصلي يزيد بن المهلب قال فلما اقتتل من صلته قال ذكروا يزيد بن المهلب اما انه قتل في اول ارض عبد نبيها غير الله . قال ذكروا رجلا صالحا وكان يحيا في قومه فلما مات عكفوا حول قبره في ارض بابل وحزعوا عليه فلما رأى ايليس جزعهم عليه تشبه في صورة انسان ثم قال لبي ارى جزعكم على هذا الرجل فهل لكم ان اصور لكم مثله فيكون في نديكم فخذ كرونه قالوا نعم . فصور لهم مثله . قال ووضعوه في نديهم وجملوا يذكرونه . فلما رأى ما بهم من ذكره قال هل لكم ان اجعل في منزل كل واحد منكم تمثالا مثله ليكون له بيته فخذ كرونه . قالوا نعم قال فمثل لكل اهل بيت تمثالا مثله فأقبلوا فجملوا يذكرونه به . قال وأدرك ابناءهم فجملوا يرون ما يصنعون به قال وتناسلوا ودرس اثر ذكروا اياه حتى اتخذوه الها يعبدونه من دون الله اولاد اولادهم فكان اول ما عبد غير الله ودا الضم الذي سموه ودا *

ومقتضى هذا السياق ان كل ضم من هذه عبده طائفة من الناس * وقد ذكر انه لما تناولت اليهود والأزمان جملا تلك الصور تماثيل مجسدة ليكون أثبت لهم ثم عبدت بعد ذلك من دون الله عز وجل * ولهم في عبادتها مالك كثيرة جدا قد ذكرها في مواضعها من كتابنا التفسير والله الحمد والمنة *
وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله (ص) انه لما ذكرت عنده أم سلمة وأم حبيبة تلك الكنيسة التي رايتها بأرض الحبشة يقال لها مارية فذكرتا من حسنهما وتصاوير فيها قال (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل)
والمقصود أن الفساد لا انتشر في الأرض وعم البلاء بعباد الأصنام فيها بمش الله عبده ورسوله نوحا عليه السلام يدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه فكان أول رسول بعث الله الى أهل الأرض كما ثبت في الصحيحين من حديث ابي حيان عن ابي زرعة بن عمرو بن جرير عن ابي هريرة عن النبي (ص) في حديث الشفاعة قال فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده وفتح عليك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا الى ربك .
ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فيقول ربى قد غضب غضبا شديدا لم ينضب قبله مثله ولا ينضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل الى أهل الأرض وسمك الله عبدا شكورا ألا ترى الى ما نحن فيه ألا ترى الى ما بلغنا ألا تشفع لنا الى ربك عز وجل فيقول ربى قد غضب اليوم غضبا لم ينضب قبله مثله ولا ينضب بعده

مثله نفسى نفسى . و ذكر تمام الحديث بطوله كما أورده البخارى فى قصة نوح *
 فلما بعث الله نوحا عليه السلام دعاهم الى افراد العبادة لله وحده لا شريك له وأن لا يعبدوا معه
 صنما ولا تمثالا ولا طاغوتا وأن يعترفوا بوحدايته وأنه لا إله غيره ولا رب سواه كما أمر الله تعالى
 من بعده من الرسل الذين هم كلهم من ذريته كما قال تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) وقال فيه وفى
 ابراهيم (وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) أى كل نبي من بعد نوح فن ذريته . وكذلك ابراهيم
 قال الله تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى واسئـل
 من ارسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلـمة يعبدون) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك
 من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا انا فعبدون) وهكـذا قال نوح لقومه (اعبدوا الله ما لكم
 اله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وقال (ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب
 يوم أليم) وقال (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون) وقال (يا قوم انى لكم نذير
 مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون . يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله
 اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون * قال رب انى دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدكم دعائى الا فرارا
 وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا
 ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا . فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا *
 يرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا * . ما لكم
 لا ترجون لله وقارا . وقد خلقكم اطوارا (الآيات الكريمة) . فذكر انه دعاهم الى الله بانواع الدعوة
 فى الليل والنهار والسر والاجهار بالترغيب تارة والترهيب أخرى وكل هذا فلم ينجح فيهم بل استمر
 أكثرهم على الضلالة والطغيان وعبادة الاصنام والأوثان ونسبوا له العداوة فى كل وقت وأوان
 وتقصوه وتقصوا من آمن به وتوعدوهم بالرجم والاخراج ونالوا منهم وبالنفوا فى أمرهم (قال الملائ
 من قومه) اى السادة الكبراء منهم (انما لترك فى ضلال . بين . قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول
 من رب العالمين) اى لست كما تزعمون من أنى ضال بل على الهدى المستقيم رسول من رب العالمين
 اى الذى يقول للشئى كن فيكون (أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون) .
 وهذا شأن الرسول أن يكون بليغا اى فصيحاً ناصحاً أعلم الناس بالله عز وجل . وقالوا له فيما قالوا
 (ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بآدى الراى وما ترى لهم علينا من فضل
 بل نظنكم كاذبين) تعجبوا ان يكون بشرا رسولا وتقصوا بمن اتبعه وزأوم اراذلهم * وقد قيل
 انهم كانوا من أقياد الناس وهم ضغافوهم كما قال هرقل وهم أتباع الرسل وما ذاك الا لأنه لا مانع لهم
 من اتباع الحق وقولهم بآدى الراى أى بمجرد ما دعوتهم استجابوا لك من غير نظر ولا روية وهذا

الذي رموم به هو عين ما يمدحون بسببه رضى الله عنهم فان الحق الظاهر لا يحتاج الى روية ولا فكر ولا نظر بل يجب اتباعه والاقبال له متى ظهر . ولهذا قال رسول الله (س) مادحاً للصديق مادعوت احدا الى الاسلام الا كانت له كجوة غير ابي بكر فانه لم يتلعم ولهذا كانت بيته يوم القيامة ايضا سرية من غير نظر ولا روية لان افضليته على من عداه ظاهرة جليلة عند الصحابة رضى الله عنهم ولهذا قال رسول الله (س) «لا أراد ان يكتب الكتاب الذي أراد ان ينص فيه على خلافته فتركه وقال يا ابي الله والمؤمنون الا ابا بكر رضى الله عنه . وقول كفرة قوم نوح له ولمن آمن به . (وما نرى لكم علينا من فضل) اى لم يظهر لكم امر بعد اتصافكم بالايمان ولا منزلة علينا (بل نظنكم كاذبين . قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انزله كموها وانتم لها كارهون) وهذا تلطف في الخطاب معهم وترفق بهم في الدعوة الى الحق كما قال تعالى (تقولا له قولنا لينا لعله يتذكر او يخشى) (وقال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) وهذا منه يقول لهم (ارايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده) اى النبوة والرسالة (فعميت عليكم) اى فلم تفهموها ولم تهتدوا اليها (انزله كموها) اى انفضبكم بها ونجبركم عليها (وانتم لها كارهون) اى ليس لي فيكم حيلة والحالة هذه (ويا قوم لا اسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله) اى لست اريد منكم اجرة على ابلاغى اياكم ما ينفسكم في دنياكم واخر اكم ان اطلب ذلك الا من الله الذي ثوابه خير لي وابقى مما تعطونني انتم . وقوله (وما انا بطارد الذين آمنوا انهم ملائقوا ربهم ولكن اراكم قوما تجهلون) كآتهم طلبوا منه ان يبعد هؤلاء عنه ووعده ان يجتمعوا به اذا هو فعل ذلك فاق عليهم ذلك وقال (انهم ملاقوا ربهم) اى فلخاف ان طردتهم ان يشكروني الى الله عز وجل ولهذا قال (ويا قوم من ينصرفي من الله ان طردتهم افلا تدرون) ولهذا لما سأل كفار قريش رسول الله (س) ان يطرد عنه ضعفاء المؤمنين كهمل وصهيب وبلال وخباب واشباههم نهاه الله عن ذلك كما ينهه في سورتي الانعام والكهف (ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لى ملك) اى بل انا عبد رسول لا أعلم من علم الله الا ما أعلمني به ولا أقدر الا على ما أقدرني عليه ولا املك لتنسى نفا ولا يضراً الا ماشاء الله (ولا أقول للذين تردى أعينكم) . يعنى من اتباعه (ان يؤتهم الله خيرا الله اعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين) اى لا أشهد عليهم بانهم لا خير لهم عند الله يوم القيامة الله اعلم بهم وسيجازيهم على ما فى نفوسهم ان خيراً شير وان شراً فشر كما قالوا فى المواضع الأخر) أتؤمن لك واتبعت الارذلون . قال وما علمى بما كانوا يعملون . ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون . وما انا بطارد المؤمنين ان انا الا نذير مبين) *

وقد تناول الزمان والمجادلة بينه وبينهم كما قال تعالى (فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما

فلخذهم الطرفان وهم ظالمون) اى ومع هذه المدة الطويلة فما آمن به الا القليل منهم وكان كل ما قرض
جيل وصوا من بعدهم بعلم الايمان به ومحاربه ومخالفته * وكان الوالد اذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه
وصاه فيما بينه وبينه ان لا يؤمن بنوح ابدا ما عاش ودائما ما بقى وكانت سجاياهم تأبى الايمان واتباع
الحق ولهذا قال (ولا يلدوا الا فنجرا كفارا) ولهذا قالوا (قلوا يا نوح قد جادبتنا فاكثرت جدالنا فأتنا
بما تمدنا ان كنت من الصادقين * قال انما يأتكم به الله ان شاء وما أنتم بمجزيين) اى انما يقدر على
ذلك الله عز وجل فانه الذى لا يمجزه شئ ولا يكثره أمر بل هو الذى يقول للشئ كن فيكون
(ولا يتنعمك نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واهل ترجمون)
أى من يزد الله فتنته فلن يملك احد هدايته هو الذى يهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو الفعال لما يريد
وهو العزيز الحكيم العليم بمن يستحق الهداية ومن يستحق العقوبة . وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة
(وأوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) تسلية له عما كان منهم اليه (فلا تبئس
بما كانوا يفعلون) وهذه تمزية لنوح عليه السلام في قومه انه لن يؤمن منهم الا من قد آمن اى لا
يسوائك ماجرى فان النصر قريب والنبأ عجيب (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين
ظلموا انهم مفروقون) وذلك ان نوحا عليه السلام لما يؤس من صلاحهم وفلاحهم ورأى أنهم لاخير
فيهم وتوصلوا الى أذيته ومخالفته وتكذيبه بكل طريق من فعال ومقال دعا عليهم دعوة غضب فلي الله
دعوته وأجاب طلبته قال الله تعالى (ولقد نادانا نوح فلنعم المحييون . ونجيناه وقومه من الكرب
العظيم) . وقال تعالى (ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) . وقال
تعالى (قال رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجى ومن معى من المؤمنين) وقال تعالى
(فدع ربه انى مغلوب فاتصر) وقال تعالى (قال رب انصرنى بما كذبون) وقال تعالى (بما خطيا بهم
أغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا . وقال نوح رب لاتذر على الأرض من
الكافرين ديارا . انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فنجرا كفارا) فلجتمع عليهم خطاياهم
من كفرهم وفجورهم ودعوة فيهم عليهم فعند ذلك أمره الله تعالى ان يصنع الفلك وهى السفينة العظيمة
التي لم يكن لها نظير قبلها ولا يكون بعدها مثلها . وقدم الله تعالى اليه أنه اذا جاء أمره وحل بهم بأسه
الذى لا يرد عن القوم المجرمين أنه لا يماوده فيهم ولا يراجمه فانه لعله قد تدركه رقة على قومه عند
معاينة العذاب النازل بهم فانه ليس الخبير كالمعاينة ولهذا قال (ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مفروقون
ويصنع الفلك وكما مر عليه مالا من قومه سخروا منه) اى يستهزئون به استعباد الوقوع ما توعدهم به
قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) اى نحن الذين نسخر منكم وتعجب منكم في
استمراركم على كفركم وعنادكم الذى يقتضى وقوع العذاب بكم وحلوله عليكم (فسوف تعلمون من تأتبه

عذاب يخرجه ويحل عليه عذاب مقيم) وقد كانت سجاياهم الكفر الغليظ والساد الباذغ في الدنيا وهكذا في الآخرة فانهم يجحدون ايضا أن يكون جاءهم رسول كما قال البخاري حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله (ص)، (يحيى نوح عليه السلام وأمنه فيقول الله عز وجل هل بلغت فيقول نعم أي رب فيقول لأمنه هل بلغت فيقولون لا ما جاءنا من نبي فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمنه فتشهد أنه قد بلغ) وهو قوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) . والوسط العدل . فهدى الأمة تشهد على شهادة فيها الصادق المصدوق بأن الله قد بعث نوحا بالحق وأنزل عليه الحق وأمره به وأنه بلغه الى أمته على أكمل الوجوه وأتمها ولم يدع شيئا مما ينبغي في دينهم الا وقد أمرهم به ولا شيئا مما قد يضرهم الا وقد نهاهم عنه وحذرهم منه * وهكذا شأن جميع الرسل حتى أنه حذر قومه المسيح الدجال وان كان لا يتوقع حروجه في زمانهم حذرا عليهم وشققة ورحمة بهم كما قال البخاري حدثنا عبدان حدثنا عبد الله عن يونس عن الزهري قال سالم قال ابن عمر قام رسول الله (ص) في الناس فأنتفى على الله بما هو أهله . ثم ذكر الدجال فقال (إني لأندركموه وما من نبي الا وقد أندر قومه . لقد أندر نوح قومه ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور) وهذا الحديث في الصحيحين ايضا من حديث شيان بن عبد الرحمن عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (الا أحدنكم عن الدجال حديثا ما حدث به نبي قومه انه أعور وانه يحيى ممة بمثل الجنة والنار والتي تقول عليها الجنة هي النار واني أندركم كما أندر به نوح قومه) لفظ البخاري .

وقد قال بعض علماء السلف لما استجاب الله له أمره ان يفرس شجرا يعمل منه السفينة ففرسه وانتظره مائة سنة ثم نجوه في مائة أخرى وقيل في أربعين سنة فالثور أعلم * قال محمد بن اسحق عن الثوري وكانت من خشب الساج * وقيل من الصنوبر . وهو نص التوراة . قال الثوري وأمره أن يجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وان يطلى ظاهرها وباطنها بالقار وان يجعل لها جوجزاً أزور يشق الماء * وقال قتادة كان طولها ثلثمائة ذراع في عرض خمسين ذراعا وهذا الذي في التوراة على ما رأيت * وقال الحسن البصري ستمائة في عرض ثلثمائة وعن ابن عباس الف ومائتا ذراع في عرض ستمائة ذراع * وقيل كان طولها التي ذراع وعرضها مائة ذراع . قالوا كلهم وكان ارتفاعها ثلاثين ذراعا وكانت ثلاث طبقات . كل واحدة عشرة أذرع . فالسفل للدواب والوحوش والوسطى للناس والعليا للطيور وكان يهبها في عرضها ولها غطاء من فوقها مطبق عليها * قال الله تعالى (قال رب انصرني بما كذبون فأوحينا اليه ان اصم الغنك باعيننا ووحينا) أي بأمرنا لك وبرأي مناصمتك لها ومشاهدتنا لذلك

لترشدك الى الصواب في صنعتها (فاذا جاء امرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك
الامن سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظفروا منهم مفرقون) فتقدم اليه بأمره العظيم تعالى
أنه اذا جاء أمره وحل بأسه أن يحمل في هذه السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات وسائر ما فيه
روح من الماء كولات وغيرها لبقاء نسلها وان يحمل معه أهله أى أهل بيته الا من سبق عليه القول
منهم اى الامن كان كافرا فانه قد فذت فيه الدعوة التي لا ترد ووجب عليه حلول البأس الذي لا يرد
وأمر أنه لا يراجعه فيهم اذا حل بهم ما يعاينه من العذاب العظيم الذى تدخمه عليهم الفاعل لما يريد
كما قدمنا بيانه قبل .

والمراد بالتنور عند الجمهور وجه الارض أى نبت الارض من سائر أرجائها حتى نبت التنابر
التي هى محال النار . وعن ابن عباس التنور عين في المندوعن النبي بالكوفة وعن قتادة بالجزيرة *
وقال على بن أبى طالب المراد بالتنور نلق الصبح وتنوير الفجر أى إشرافه وضياؤه أى عند ذلك
فاحمل فيها من كل زوجين اثنين وهذا قول غريب * وقوله تعالى (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا
احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل هذا
أمر بأن عند حلول النعمة بهم أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين وفى كتاب أهل الكتاب أنه أمر
أن يحمل من كل ما يؤكل سبعة أزواج وما لا يؤكل زوجين ذكرنا وأثنى وهذا منابر المفهوم قوله
تعالى فى كتابنا الحق (اثنين) إذ حملنا ذلك منغولا به . وأما إذ جعلناه توكيدا لزوجين والمفعول به محذوف
فلاينا فى والله أعلم *

وذكر بعضهم وروى عن ابن عباس أن أول ما دخل من الطيور الدرة وآخر ما دخل من الحيوانات
الحمار * ودخل ابليس متملقا بذنب الحمار . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن صالح
حدثنى الليث حدثنى هشام بن سمد عن زيد بن اسلم عن أبيه أن رسول الله ص قال لما حمل نوح
فى السفينة من كل زوجين اثنين قال أصحابه وكيف نطمنن أو كيف نطمئن المرأشى ومنا الاسد فسلط
الله عليه الحمى فكانت أول حمى نزلت فى الأرض * ثم شكروا النار فقالوا الفونسة تسب علينا
طامنا ومتاعنا فأوحى الله الى الاسد فمطس فخرجت الهرة منه فتخبأت الفأرة منها . هذا مرسل *
وقوله (واهلك الا من سبق عليه القول) أى من استجيبت فيهم الدعوة النافذة من كفر فكان منهم ابنة
يالم الذى غرق كما سنأى بيانه (ومن آمن) أى واحمل فيها من آمن بك من أمرك قال الله تعالى (وما
آمن معه الا قليل) هذا مع طول المدة والمقام بين اظهرهم ودعوتهم الاكيدة ليلا ونهاراً بضروب
المقال وفنون التلطعات والتهديد والوعيد نلرة والترغيب والوعيد أخرى .

وقد اختلف العلماء فى عدة من كان معه فى السفينة فمن ابن عباس كانوا ثمانين نفساً منهم نساؤهم .

وعن كعب الاحبار كانوا اثنتين وسبعين نفسا . وقيل كانوا عشرة وقيل انما كانوا نوحا وبنيه الثلاثة وكنايته الاربع بالمرأة يام الذي انزل وانزل وسال عن طريق النجاة فما عدل إذ عدل . وهذا القول فيه مخالفة لظاهر الآية بل هي نص في انه قد ركب معه غير أهله طائفة ممن آمن به كما قال (ونحن ومن معي من المؤمنين) وقيل كانوا سبعة وأما امرأة نوح وهي أم أولاد كلهم وهم حام وسام ويافث ويلم وتسميه أهل الكتاب كنعان وهو الذي قد غرق وعابر وقد ماتت قبل الطوفان . قيل لها غرقت مع من غرق وكانت من سبق عليه القول لكفرها وعند أهل الكتاب أنها كانت في السفينة فيحتمل أنها كفرت بعد ذلك أو أنها أنظرت ليوم القيامة والظاهر الأول لقوله (لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) قال الله تعالى (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك قتل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين . وقل رب انزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين) أمره أن يحمد ربه على ما سخر له من هذه السفينة فنجاه بها وفتح بينه وبين قومه واقربائه من خلفه وكذبه كما قال تعالى (الذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام مآثر كيون . لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون) . وهكذا يؤمر بالدعاء في ابتداء الأمور أن يكون على الخبر والبركة وأن تكون عاقبتها محمودة كما قال تعالى لرسوله (ص) حين هاجر (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) وقد امتثل نوح عليه السلام هذه الوصية (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم) أي على اسم الله ابتداء سيرها وانهاؤه (إن ربي لغفور رحيم) أي وذو عقاب اليم مع كونه غفورا رحيا لا يرد بأسه عن القوم المجرمين كما احل بأهل الأرض الذين كفروا به وعبدوا غيره قال الله تعالى (وهي تجري بهم في موج كالجبال) . وذلك أن الله تعالى أرسل من السماء مطرا لم تعده الأرض قبله ولا تمطره بعده كان كأفواه القرب وأمر الأرض فنبعت من جميع فجائها وسائر ارجائها كما قال تعالى (فدعا ربه أني مغلوب فانتصر . ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر . ونجونا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر . وحملناه على ذات ألواح ودسر) . والسر السائر (تجري بأعيننا) أي بحفظنا وكلاؤنا وحراستنا ومشاهدتنا لها جزاء لمن كان كفرا *

وقد ذكر ابن جرير وغيره أن الطوفان كان في ثالث عشر شهر آب في حساب التقبط . وقال تعالى (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) أي السفينة (لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) قال جماعة من المفسرين ارتفع الماء على أعلى جبل بالأرض خمسة عشر ذراعا وهو الذي عند أهل الكتاب وقيل ثمانين ذراعا وعم جميع الأرض طولها والعرض سهلها وحزنها وجبالها وقنارها ووالها . ولم يبق

على وجه الأرض من كان بها من الأحياء. عين تطرف . ولا صغير ولا كبير * قال الامام مالك عن زيد بن اسلم كان أهل ذلك الزمان قد ملأوا السهل والجبل * وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم (لم تكن جمعة في الأرض الا ولها مالك وحائز) رواها ابن أبي حاتم . (ونلدى نوح ابنه وكان في منزل يابى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال ما وى الى جبل يمصقى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المفرقين) وهذا الابن هو يام آخر سام وحام ويافث * وقيل اسمه كنعان . وكان كفرا عمل عملا غير صالح يخالف أباه في دينه ومذهبه فهلك مع من . هلك هذا . وقد نجح مع ابيه الأجانب في النسب لما كانوا موافقين في الدين والمذهب (وقيل يا أرض ابلى ماءك وباسماء ألقى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجردى وقيل بدا للقوم الظالمين) أى ما فرغ من أهل الأرض ولم يبق منها أحد ممن عبد غير الله عز وجل أمر الله الأرض ان تلع ماءها وأمر السماء أن تلع أى تمسك عن المطر (وغيض الماء) أى قص عما كان (وقضى الأمر) أى وقع بهم الذى كان قد سبق في علمه وقدره من إحلاله بهم ما حل بهم . (وقيل بدا للقوم الظالمين) أى نودى عليهم بلسان القدرة بدأ لهم من الرحمة والمغفرة كما قال تعالى (فكذبوه فانجيناهم والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عيين) وقال تعالى (فكذبوه فانجيناهم ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) وقال تعالى (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعين) وقال تعالى (فانجيناهم ومن معه فى الفلك المشحون . ثم أغرقنا بعد الباقين . ان فى ذلك لآية وما كان أ. كثيرهم مؤمنين . وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقال تعالى (فانجيناهم وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين) وقال تعالى (ثم أغرقنا الآخرين) وقال (ولقد تركناها آية فهل من مدكر . فكيف كان عذابى ونذرى . ولقد يسرنا القرآن للذکر فهل من مدكر) وقال تعالى (مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا . وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدو إلا فاجرا كفارا) وقد استجاب الله تعالى وله الحمد والمنة دعوته فلم يبق منهم عين تطرف *

وقد روى الامامان أبو جعفر بن جرير وأبو محمد بن أبي حاتم في تفسيريهما من طريق يعقوب ابن محمد الزهرى عن قائد مولى عبد الله بن أبي رافع أن ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة اخبره ان عائشة أم المؤمنين اخبرته ان رسول الله (ص.) قال (فلورحم الله من قوم نوح أحدا لرحم ام الصبي) قال رسول الله (ص.) مكث نوح عليه السلام فى قومه ألف سنة (يعنى الا خمسين عاما) وغرس مائة سنة الشجر فغطت وذهبت كل مذهب ثم قطعها ثم جعلها سفينة وعمرون عليه ويسخرون منه ويقولون تعمل سفينة فى البر كيف تيمرى قال سوف تعملون * فلما فرغ ونبع الماء وصار فى السكك خشيت أم الصبي

عليه وكانت تحبه جاسديدا خرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثة فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل . فلما بلغ الماء رقبته رفته يديها ففرقا فلورحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي * وهذا حديث غريب * وقد روى عن كعب الاحبار ومجاهد وغير واحد شبيه لهذه القصة * وأخرى بهذا الحديث أن يكون موقوفاً . تلقى عن مثل كعب الاحبار والله أعلم *

والمقصود أن الله لم يبق من الكافرين دياراً فكيف يزعم بعض المفسرين أن عوج بن عنق ويقال بن عناق كان موجوداً من قبل نوح الى زمان موسى ويقولون كان كافراً متبرداً جباراً عنيداً ويقولون كان لغير رشدة بل ولده أمه عنق بنت آدم من زنا وإنه كان يأخذ من طوله السمك من قرار البحار ويشويه في عين الشمس وإنه كان يقول لنوح وهو في السفينة ما هذه القصيبة التي لك ويستهزئ به * ويذكرون أنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاث مئة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلاثاً الى غير ذلك من الهذيان التي لولا أنها مسطرة في كثير من كتب التفسير وغيرها من التواريخ وأيام الناس لما تعرضنا لحكايتها لساطتها وركاكتها * ثم إنها مخالفة للمعقول والمتقول

أما المعقول فكيف يسوغ فيه أن يهلك الله ولد نوح لكفره وأبوه نبي الأمة وزعيم أهل الايمان ولا يهلك عوج بن عنق ويقال عناق وهو أظلم وأظنى على ما ذكرنا . وكيف لا يرحم الله منهم أحداً ولا أم الصبي ولا الصبي ويترك هذا الدعى الجبار العنيد الفاجر الشديد الكافر الشيطان المرید على ما ذكرنا *

واما المنقول فقد قال الله تعالى (ثم أغرقنا الآخرين وقال رب لا تمد على الأرض من الكافرين دياراً) . ثم هذا الطول الذي ذكره مخالف لما في الصحيحين عن النبي (س) . أنه قال (إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن)

فهذا نص الصادق المصدوق المصوم الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا دحي يوحى أنه لم يزل الخلق ينقص حتى الآن اى لم يزل الناس في نقصان في طولهم من آدم الى يوم اخذ . بذلك وهلم جر الى يوم القيامة *

وهذا يقتضى أنه لم يوجد من ذرية آدم من كان أطول منه فكيف يترك هذا باهل عنه ويصار الى أقوال الكذبة الكفرة من أهل الكتاب الذين بدلوا كتب الله المنزلة وحرفوها وأولوها ووضوها على غير مواضعها فإظنك بما هم يستتلون بتقله أو يؤتمنون عليه وما اظن ان هذا الخبر عن عوج بن عناق الا اختلاقاً من بعض زنادقهم وفجارهم الذين كانوا أعداء الأنبياء والله أعلم *

ثم ذكر الله تعالى مناقشة نوح ربه في ولده وسؤاله له عن غرقه على وجه الاستسلام والاستكشاف ووجه السؤال أنك وعدتني بنجاة أهلى مى وهو منهم وقد غرق فاجيب بأنه ليس من أهلك اى الذين

وعدت بنجاتهم أى أما قلنا لك وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم فكان هذا ممن سبق عليه القول منهم بان سيفرق بكفره ولهذا ساقته الأقدار الى ان أنحاز عن حوزة أهل الايمان ففرق مع حزبه أهل الكفر الطغيان * ثم قال تعالى (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركت عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سننتهم ثم يمسه منا عذاب ألیم) هذا نوح عليه السلام لما نضب الماء عن وجه الأرض وأمكن السعى فيها والاستقرار عليها أن يبسط من السفينة التي كانت قد استقرت بعد سيرها العظيم على ظهر جبل الجودي * وهو جبل بارض الجزيرة مشمور وقد قدمنا ذكره عند خلق الجبال (بسلام منا وبركات) أى اهبط سالما مباركا عليك وعلى أمم ممن سيولد بعد أى من أولادك فان الله لم يجعل لأحد من كان معه من المؤمنين نسلا ولا عقبا سوى نوح عليه السلام قال تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بنى آدم ينسبون الى أولاد نوح الثلاثة وهم « سام وحام ويافت » *

قال الامام أحمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمرة أن النبي (ص) قال (سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافت أبو الروم) ورواه الترمذى عن بشر بن معاذ العقدي عن يزيد بن زريع عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن عن سمرة مرفوعا نحوه وقال الشيخ أبو عمرو ابن عبد البر وقد روى عن عمران بن حصين عن النبي (ص) مثله . قال والمراد بالروم هنا الروم الاول وهم اليونان المنتسبون الى رومى بن لبطى بن يوفان بن يافت بن نوح عليه السلام * ثم روى من حديث اسميل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال (ولد نوح ثلاثة سام ويافت وحام وولد كل واحد من هذه الثلاثة ثلاثة فولد سام العرب وفارس والروم . وولد يافت الترك والسقالية وأجوج وماجوج وولد حام القبط والسودان والبربر) قلت وقد قتل الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا ابراهيم بن هانى وأحمد بن حسين بن عباد أبو العباس قالا حدثنا محمد بن يزيد بن سنان الرهاوى حدثنى أبى عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) : (ولد لنوح سام وحام ويافت فولد لسام العرب وفارس والروم والخير فيهم . وولد ليافت بأجوج وماجوج والترك والسقالية ولا خير فيهم * وولد لحام القبط والبربر والسودان) ثم قال لا تعلم بروى مرفوعا إلا من هذا الوجه . تفرد به محمد بن يزيد بن سنان عن أبيه وقد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه . ورواه غيره عن يحيى بن سعيد مرسلا ولم يسنده وإنما جعله من قول سعيد . قلت وهذا الذى ذكره أبو عمرو هو المحفوظ عن سعيد قوله * وهكذا روى عن وهب بن منبه مثله والله أعلم * ويزيد بن سنان أبو فروة الرهاوى ضعيف بمره لا يعتمد عليه * وقد قيل إن نوحا عليه السلام لم يولد له هؤلاء الثلاثة إلا بعد الطوفان وإنما ولد له قبل السفينة كنعان الذى غرق وعابر مات قبل

الطوفان * والصحيح ان الاولاد الثلاثة كانوا معه في السفينة هم وسائرهم وامهم وهو بص التوراة * وقد ذكر أن حاماً واقع امراته في السفينة فدعا عليه نوح أن تشوه خلقته نظفته فولد له ولد أسود وهو كنعان بن حام جد السودان * وقيل بل رأى أباه نائماً وقد بدت عورته فلم يسترها وسترها أخواه فلهذا دعا عليه أن تغير نظفته ، إن يكون أولاده عبيداً لآخوته *

وذكر الامام أبو جعفر بن جرير من طريق علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه قال (قال الحواريون ليعسى بن مريم لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة فحدثنا عنها . قال فانطلق بهم حتى أتى الى كتيب من تراب فاخذ كفاً من ذلك التراب بكفه قال اتدرون ما هذا . قالوا الله ورسوله أعلم . قال هذا كعب حام بن نوح . قال وضرب السكتيب بعصاه وقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب * قال له عيسى عليه السلام هكذا هلكت قال لا ولكني مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت . قال حدثنا عن سفينة نوح . قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات فطبقة فيها الدواب والوحش وطبقة فيها الإنس وطبقة فيها الطير . فلما كثر أرواث الدواب أوحى الله عز وجل الى نوح عليه السلام أن اغرز ذنب الفيل فعمره فوقه منه خنزير وخنزيرة فاقبلتا على الروث ولما وقع الفار يخرز السفينة بهرضه أوحى الله عز وجل الى نوح عليه السلام أن اضرب بين عيني الاسد فخرج من منخره سنود وسنورة فاقبلتا على الفار . فقال له عيسى كيف علم نوح عليه السلام أن البلاد قد غرقت قال بعث الغراب يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوق عليا فدعا عليه بالخوف فذلك لا يألف البيوت . قال ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجلها فلم أن البلاد قد غرقت فطوقها الخضره التي في عنقها ودعا لها أن تكون في أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت . قال فقالوا يا رسول الله ألا نتطابق به الى أهلينا فيجلس معنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لا رزق له . قال فقال له عد باذن الله فعاد تراباً) وهذا أثر غريب جداً

وروى غلباء بن أحرر عن عكرمة عن ابن عباس قال كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلاً معهم أهلهم وإنهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يوماً وإن الله وجه السفينة الى مكة فدارت بالبيت أربعين يوماً ثم وجهها الى الجودي فاستقرت عليه فبعث نوح عليه السلام الغراب ليأتيه بخبر الأرض فذهب فوقع على الجيف فابطأ عليه فبعث الحمامة فأتمته بورق الزيتون ولطخت رجلها بالطين فعرف نوح أن الماء قد انضب فهبط الى أسفل الجودي فابتنى قرية وسماها ثمانين فاصبحوا ذات يوم وقد تبلبت الستهم على ثمانين لمتاحداها العربي وكان بعضهم لا يفقه كلام بعض فكان نوح عليه السلام يبرهم عنهم .

وقال قتادة وغيره ركبوا في السفينة في اليوم العاشر من شهر رجب فساروا مائة وخمسين يوماً واستقرت بهم على الجودي شهراً . كان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرم * وقد روى

ابن جرير خبراً مرفوعاً يوافق هذا وأنها صاموا يومهم ذلك * وقال الامام أحمد حدثنا أبو جعفر حدثنا
عبد الصمد بن حبيب الأزدي عن أبيه حبيب بن عبد الله عن شبل عن أبي هريرة قال (مر النبي
ص) ، باتس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء فقال ما هذا الصوم فقالوا هذا اليوم الذي نجا الله
موسى وبني اسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي فصام نوح
رموسى عليهما السلام شكر الله عز وجل فقال النبي (ص) ، انا احق بموسى واحق بصوم هذا اليوم *
وقال لأصحابه من كان منكم اصبح صائماً فليتم صومه ومن كان منكم قد أصاب من غد أهله فليتم
بقية يومه) . وهذا الحديث له شاهد في الصحيح من وجه آخر والمستغرب ذكر نوح أيضاً والله أعلم .
وأما ما يذكره كثير من الجبلية أنهم أكلوا من فضول أزوادهم ومن حبوب كانت معهم قد استصحبوها
واطحنوا الحبوب يومئذ واكتحلوا بالأمم لتقوية أبصارهم لما انهارت عن الضياء بعد ما كانوا في ظلمة
السفينة فكل هذا لا يصح فيه شيء وإنما يذكر فيه آثار منقطعة عن بني اسرائيل لا يعتمد عليها ولا
يقتدى بها والله أعلم *

وقال محمد بن اسحاق لما أراد الله أن يكف ذلك الطوفان أرسل رجلاً على وجه الأرض فسكن
الماء وانسدت ينابيع الأرض فجعل الماء ينقص ويفيض ويدبر وكان استواء الفلك فيما يزعم أهل التوراة
في الشهر السابع لسبع عشر ليلة مضت منه وفي أول يوم من الشهر العاشر رثبت رؤس الجبال * فلما
ضى بعد ذلك أربعون يوماً فتح نوح كوة الفلك التي صنع فيها ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء
فلم يرجع اليه فأرسل الحمامة فرجعت إليه لم يجد لرجلها موضعاً فيسط يده للحمامة فآخذها فأدخلها ثم مضت
سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر له ما فعل الماء فلم ترجع فرجعت حين أمست وفيها ورق زيتونة فلم يرح
أن الماء قد قل عن وجه الأرض * ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع اليه فلم يرح أن الأرض
قد برزت فلما مكثت السنة فيما بين أن أرسل الله الطوفان إلى أن أرسل نوح الحمامة ودخل يوم واحد
من الشهر الأول من سنة اثنين برز وجه الأرض وظهر البر وكشف نوح غطاء الفلك * وهذا الذي
ذكره ابن اسحاق هو بعينه مضمون سياق التوراة التي بأيدي أهل الكتاب * قال ابن اسحق وفي
لشهر الثاني من سنة اثنتين في ست وعشرين ليلة منه (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركبت هليك وعلى
امم من مملك وأمم ستمتهم ثم ينسهم من سداب ألم) وفيما ذكر أهل الكتاب ان الله كلم نوحاً قائلاً
له اخرج من الفلك أنت وامراتك وبنوك ونساء بنيتك معك وجميع الدواب التي معك ولينموا
وليكبروا في الأرض فخرجوا وابني نوح منبجاً لله عز وجل وأخذ من جميع الدواب الحلال والبطير
الحلال فذبجها قربانا إلى الله عز وجل وعهد الله اليه ان لا يعيد الطوفان على أهل الأرض . وجعل
تذكاراً لميثاقه اليه القوس الذي في السماء وهو قوس قزح الذي قدمنا عن ابن عباس أنه إيمان من

الفرق * قال بعضهم فيه إشارة الى أنه قوس بلا وتر أى أن هذا النعام لا يوجد منه طوفان كأول مرة وقد أنكرت طائفة من جهة الفرس وأهل الهند وقوع الطوفان واعترف به آخرون منهم وقالوا إنما كان بارض بابل ولم يصل إلينا. قالوا ولم نزل توارث الملك كابرأ عن كبر من لدن كيومرث يعنون آدم الى زماننا هذا . وهذا قاله من قاله من زنادقة المجوس عباد النيران وأتباع الشيطان وهذه سفسطة منهم وكفر فظيغ وجهل بليغ ومكابرة للمحسوسات وتكذيب لرب الأرض والسماوات وقد أجمع أهل الأديان الناقلون عن رسل الرحمن مع ما تواتر عند الناس فى سائر الأزمان على وقوع الطوفان وأنه عم جميع البلاد ولم يبق الله أحدا من كفره الصياد استجابة لدعوة نبيه المؤيد المعصوم وتنفيذا لما سبق فى القدر المحتوم

وذكر سئى من الخبر أن نوح عليه السلام

قال الله تعالى إنه كان عبدا شكورا . قيل إنه كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله وقال الامام أحمد حديثنا أبو أسامة حدثنا زكريا بن أبى زائدة عن سعيد بن أبى بردة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (س) : (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها وكذا رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث أبى أسامة . والظاهر أن الشكور هو الذى يعمل بجميع الطاعات القلبية والقولية والعملية فان الشكر يكون بهذا وبهذا كما قال الشاعر

أفادتكم النعماء منى ثلاثة * يدي ولسانى والضمير المحجبا

صومه عليه السلام

وقال ابن ماجه (باب صيام نوح عليه السلام) حدثنا سهل بن أبى سهل حدثنا سعيد بن أبى مرجم عن ابن لهيعة عن جعفر بن ربيعة عن أبى فراس أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله (س) يقول (صام نوح الدهر الا يوم عيد الفطر ويوم الأضحى) هكذا رواه ابن ماجه من طريق عبد الله بن لهيعة بإسناده ولفظه * وقد قال الطبرانى حدثنا أبو الزيناع روح بن فرج حدثنا عمرو بن خالد الحراى حدثنا ابن لهيعة عن أبى قتادة عن يزيد بن رباح أبى فراس أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله (س) يقول (صام نوح الدهر الا يوم الفطر والأضحى وصام داود نصف الدهر وصام ابراهيم ثلاثة أيام من كل شهر « صام الدهر وأفطر الدهر »

حجته عليه السلام

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا أبي عن زمة هو ابن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال حج رسول الله (ص) فلما أتى وادي عسفان قال يا أبا بكر أي واد هذا قال هذا وادي عسفان قال لقد مر بهذا الوادي يومح وهوود و إبراهيم علي بكرات لهم حمر خظهم الليف أزرهم العباء وارديتهم النمار يجحون البيت العتيق * فيه غرابة

وصيته لولده

قال الامام أحمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن الصقبة بن زهير عن زيد بن اسلم قال حماد أظنه عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال (كنا عند رسول الله (ص) فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سيحان مزهورة بالديباج فقال ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس بن فارس أو قال يريد أن يضع كل فارس بن فارس ورفع كل راع بن راع قال فلخذ رسول الله (ص) بمجامع جيبه وقال لا أرى عليك لباس من لا يمثل * ثم قال إن نبي الله نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه إني قاص عليك الوصية آمرك بامتنين وأنهاك عن اثنتين آمرك بلا إله إلا الله فان السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله وطوان السموات السبع والأرضين السبع كمن حلقة مبهمة فضمتن لا إله إلا الله وسبحان الله وبحمده فان بها صلات كل شئ وبها يرزق انطلق وانهاك عن الشرك والكبر) قال قلت (أو) قيل يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر أن يكون لاحدنا فلان حسنان لها شرا كان حسنان قال لا . قال هو أن يكون لاحدنا حلة يلبسها قال لا . قال هو أن يكون لاحدنا دابة يركبها قال لا . قال هو أن يكون لاحدنا أصحاب يجلسون اليه قال لا * قلت (أو) قيل يا رسول الله فما الكبر قال سفه الحق وغمض الناس . وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه * ورواه أبو القاسم الطبراني من حديث عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن اسحق عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله (ص) قال (كأن في وصية نوح لابنه أوصيك بخصلتين وأنهاك عن خصلتين) فذكر نحوه * وقد رواه أبو بكر البزار عن إبراهيم بن سعيد عن أبي معاوية الضرير عن محمد بن اسحق عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمرو بن الخطاب عن النبي (ص) بنحوه * والظاهر أنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه أحمد والطبراني والله أعلم * ويزعم أهل الكتاب أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة كان عمره ستمائة سنة * وقد منا عن ابن عباس مثله وزاد وعاش بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة . وفي هذا القول نظر * ثم إن لم يمكن الجمع

بينه وبين دلالة القرآن فهو خطأ محض فان القرآن يقتضى أن نوحاً مكث في قومه بعد البعثة وقبل العاروفان الف سنة لإلخسين عاماً فاخدم العوفان وهم ظالمون . ثم الله أعلم كم عاش بعد ذلك فان كان ما ذكر محفوظاً عن ابن عباس من أنه بث وله أربع مائة وثمانون سنة وأنه عاش بعد العوفان ثلاثمائة وخمسين سنة فيكون قد عاش على هذا ألف سنة وسبعمائة وثمانين سنة .

وأما قبره عليه السلام فروى ابن جرير والازرقى عن عبد الرحمن بن سابط أو غيره من التابعين مرسلأ أن قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام . وهذا أقوى وأثبت من الذى يذكره كثير من المتأخرين من أنه يبلدة بالبقاع تعرف اليوم بكرك نوح وهناك جامع قد بنى بسبب ذلك فيما ذكر والله أعلم *

قصة نوح عليه السلام

ومو هود بن شالخ بن ارغشذ بن سام بن نوح عليه السلام * ويقال إن هودا هو عابر بن شالخ ابن ارغشذ بن سام بن نوح . ويقال هود بن عبد الله بن رباح بن الجارود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام * ذكره ابن جرير وكان من قبيلة يقال لهم عاد بن عوص بن سام بن نوح كانوا عربا يسكنون الاحاف وهي جبال الرمل وكانت بلين من عمان وحضر موت بأرض مطلة على البحر يقال لها الشحر واسم وادهم مغيث * وكانوا كثيراً ما يسكنون انخيام ذوات الاعمدة الضخام كما قال تعالى (ألم تركيف فعل ربك بآدم ذات العباد) أى عاد لآدم وهم عاد الأولى * وأما عاد الثانية فتأخرت كما سياتى بيان ذلك في موضعه * وأما عاد الأولى فهم عاد (إرم ذات العباد التى لم يخلق مثلها في البلاد) أى مثل القبيلة * وقيل مثل العمدة . والصحيح الأول كما بيناه في التفسير *

ومن زعم أن ارم مدينة تدور في الأرض فتارة في الشام وتارة في اليمن وتارة في الحجاز وتارة في غيرها فقد أبعد النجمة وقال ما لا دليل عليه ولا برهان يعول عليه ولا مستند يركن اليه * وفي صحيح بن حبان عن أبي ذر في حديثه الطويل في ذكر الأنبياء والمرسلين قال فيه منهم أربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونيك يا أبا ذر * ويقال ان هوداً عليه السلام أول من تكلم بالبرية * وزعم وهب بن منبه أن أباه أول من تكلم بها * وقال غيره أول من تكلم بها نوح * وقيل آدم وهو الأشبه . قبل غير ذلك والله أعلم *

ويقال للعرب الذين كانوا قبل اسمعيل عليه السلام العرب العاربة وهم قبائل كثيرة منهم عاد * وثمود * وجرم * وطسم * وجديس * وأمنيم * ومدين * وعملق * وعييل * وجاسم * وقحطان * وبنو يقطن * وغيرهم

وأما العرب المستعربة فهم من ولد اسماعيل بن إبراهيم الخليل * وكان اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة * وكان قد أخذ كلام العرب من جرم الذين نزلوا عند أمه هاجر بالحرم كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى ولكن انطقه الله بها في غاية الفصاحة والبيان . وكذلك كان يتلفظ بها رسول الله (ص) *

والمقصود أن عاداً وهم عاد الأولى كانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان . وكان أصنامهم ثلاثة صدا وصودا وهرا . فبعث الله فيهم أخاهم هوداً عليه السلام فدعاهم إلى الله كما قال تعالى بعد ذلك . قوم نوح وما كان من أمرهم في سورة الاعراف . (والى عاد أخاهم هوداً . قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون . قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين . قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين . أو عجبت أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة . فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون . قالوا أجبنا لن عبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأنتنا بما تمدنا إن كنت من الصادقين . قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان . فانتظروا إني معكم من المنتظرين . فأنجيناهم والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين) وقال تعالى بعد ذكر قصة نوح في سورة هود (والى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون . يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجرى إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون . ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين . قالوا يا هود ماجئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهاتنا عن قولك . وما نحن لك بمؤمنين . إن قول إلا اعتراك بعض آلهاتنا بسوء . قال إني أشهد الله وأشهدوا أنني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون . إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم . فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضررونه شيئاً إن ربي على كل شيء حفيظ . ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غلظ . وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبوا أمر كل جبار عنيد . واتبوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عاداً كفروا ربهم ألا بعباد عاد قوم هود) . وقال تعالى في سورة قد أفلح المؤمنون بعد قصة قوم نوح (ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون . وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بآياتنا والآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشراً

مثلكم إنكم إذا نلنا سروركم أيديكم أنكم إذا تمم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون . هيهات هيهات
 لما توعدون إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبروتين . إن هو إلا رجل اقتربى على الله كذبا وما نحن
 له بمؤمنين . قال رب انصرني بما كذبون . قال عما قليل ليصبحن نادمين . فأخفتهم الصيحة بلحق
 نجفانهم غثاء فبمدأ للقوم الظالمين) . وقال تعالى في سورة الشعراء بعد قصة قوم نوح أيضاً (كذبت
 عاد المرسلين . إذ قال لهم أخوهم هود الأعمقون . إن ليكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم
 عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين . أتنبئون بكل ربيع آية تعيثون . وتتخذون مصانع لعلكم
 تخادون . وإذا بطشتم بطشتم جبارين . فاتقوا الله وأطيعون . واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون . أمدكم
 بأنعام وبنين وجنات وعيون . إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن
 من الواعظين . إن هذا إلا خلق الأولين . وما نحن بمعذنين فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية
 وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك هو العزيز الرحيم) وقال تعالى في سورة حم السجدة (وأما عاد
 فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة . أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد
 منهم قوة وكانوا بآياتنا يمجدون . فأرسلنا عليهم ريحا صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب
 الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون) وقال تعالى في سورة الاحقاف (وإذ
 ذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف وقد دخلت النذر من بين يديه ومن خلفه أن لا تعبدوا إلا الله إنى أخاف
 عليكم عذاب يوم عظيم . قالوا أجبنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تمدنا إن كنت من الصادقين . قال إنما
 العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به إليكم ولكنى أراكم قوماً تجهلون . فلما رأوه عارضاً مستقبل
 أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأسر
 ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين) وقال تعالى في الذاريات (وفي عاد
 إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما نذر من شئ أنت عليه إلا جعلته كالريم) وقال تعالى في النجم (وأنه
 أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى . وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى . والمؤتفة أهوى
 فنشأها ماغشى فبأى آلاء ربك تتبارى) وقال تعالى في سورة اقتربت (كذبت عاد فكيف كان عذابي
 ونذر إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصراً في يوم نحس مستمر . تنزع الناس كأنهم أهباز نخل منقمر . فكيف
 كان عذابي ونذر . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) . وقال في الحاقة (وأما عاد فأهلكوا بريح
 صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أهباز
 نخل خاوية . فهل يرى لهم من باقية) وقال في سورة الفجر (ألم تر كيف فعل ربك إذم ذات العباد . التي لم
 يخلق مثلها في البلاد . وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذى الأوتاد . الذين طغوا في البلاد
 فأكثروا فيها الفساد . فصب عليهم ربك سوط عذاب . إن ربك بالمرصاد) . وقد تكلمنا على كل من هذه

القصص في أما كتبها من كتابنا التفسير والله الحمد والمنة *

وقد جرى ذكر عاد في سورة براءة وإبراهيم والفرقان والعنكبوت وفي سورة (ص) وفي سورة (ق) ولندكر مضمون القصة مجزئاً من هذه السياقات مع ما يضاف الى ذلك من الأخبار * وقد قدمنا أنهم أول الأمم عبدوا الأصنام بعد البطوفان . وذلك بين في قوله لهم (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة) أى جعلهم أشد أهل زمانهم في الخلق والشدة والبطش . وقال في المؤمنون (ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) وهم قوم هود على الصحيح * وزعم آخرون أنهم ثمود لقوله (فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غناء) قالوا وقوم صالح هم الذين أهلكتوا بالصيحة (وأما عاد) فاهلكوا برح صرصرة عاتية) وهذا الذى قاله لا يمنع من اجتماع الصيحة والريح الماتية عليهم كما سيأتى في قصة أهل مدين أصحاب الأيكة فإنه اجتمع عليهم أنويغ من العقوبات * ثم لا خلاف أن عاداً قبل ثمود * والمقصود أن عاداً كانوا عرباً جفاة كافرين عتاة متبردين في عبادة الأصنام فأرسل الله فيهم رجالاً منهم يدعونهم الى الله والى لإفراذه بالعبادة والاحلاص له فكذبوه وخالفوه وتنقصوه فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر فلما أمرهم بعبادة الله ورجعهم في طاعته واستغفاره ووعدهم على ذلك خير الدنيا والاخرة وتوعدهم على مخالفة ذلك عقوبة الدنيا والاخرة (قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سناهة) أى هذا الأمر الذى تدعونا اليه سفه بالنسبة الى ما نحن عليه من عبادة هذه الأصنام التى يربحى منها النصر والرزق ومع هذا نظن أنك تكذب فى دعواك أن الله أرسلك (قال يا قوم ليس بسناهة ولكنى رسول من رب العالمين) أى ليس الأمر كما تظنون ولا ما تفتقدون (أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين) والبلاغ يستلزم عدم الكذب فى أصل المبلغ وعدم الزيادة فيه والنقص منه ويستلزم إبلاغه بعبارة فصيحة وجيزة جامعة مانعة لا يلبس فيها ولا اختلاف ولا اضطراب وهو مع هذا البلاغ على هذه الصفة فى غاية النصح لقرمه والشفقة عليهم والحرص على هدايتهم لا يبتنى منهم أجراً ولا يطلب منهم جملاً بل هو مخلص لله عز وجل فى الدعوة اليه والنصح لخلقه لا يطلب أجره الا من الذى أرسله فان خير الدنيا والاخرة كله فى يديه وأمره اليه ولهذا (قال يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجرى إلا على الذى فطرني أفلا تعلمون) أى أسألكم عقل تميزون به وتفهمون أنى أدعوك الى الحق المبين الذى تشهد به فطرتم التى خلقتم عليها وهو دين الحق الذى بمث الله به نوحاً وأهلك من خلفه من الخلق رها أنا أدعوك اليه ولا أسألكم أجراً عليه بل أبتنى ذلك عند الله مالك الضر والنفع ولهذا قال مؤمن يس (اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون . وما لى لأعبد الذى فطرني واليه ترجعون) وقال قوم هود له فيما قالوا (يا هود ما جئنا بينة وما نحن بباركين آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين . إن قول إلا اعتراضك بعض آلهتنا بسوء) يقولون ما جئنا بخارق يشهد لك بصدق ما جئت به وما نحن بالذين

ترك عادة أصنامنا عن مجرد قولك بلا دليل أفته ولا برهان نصبتة وما نظن إلا أنك مجنون فيما تزعمه
وعندنا إنما أصابك هذا أن بعض آلهتنا غضب عليك فاصابك في عقاك فاعتراك جنون بسبب ذلك
وهو قولهم (إن تقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بري بما تشركون
من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون) وهذا نحمد منه لهم وتبر من آلهتهم وتنقص منه لها وبيان
أنها لا تنفع شيئاً ولا تضر وإنما جاد حكمها حكمه وفعلها فعله . فان كانت كما تزعمون من أنها تنبصر وتنفع
وتضر فما أنا بري منها لاعتن لها (فكيدوني ثم لا تنظرون) أنتم جميعاً بجميع ما يمكنكم أن تصلوا اليه
وتندروا عليه ولا تؤجروني ساعة واحدة ولا طرفة عين فإني لا أبالي بكم ولا أفكر فيكم ولا أنظر
اليكم (إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) أي
أنا متوكل على الله ومتأيّد به وواثق بجنابه الذي لا يضيع من لاذبه واستند اليه فلست أبالي مخلوقاً سواء
ولست أتوكل إلا عليه ولا أعبد إلا إياه * وهذا وحده برهان قاطع على أن هوداً عبد الله ورسوله وأنهم
على جهل وضلال في عبادتهم غير الله لأنهم لم يصلوا اليه بسوء ولا نالوا منه مكروها فدل على صدقه فيما
جاءهم به وبطلان ما هم عليه وفساد ما ذهبوا اليه * وهذا الدليل بيّنه قد استدلل به نوح عليه السلام قبله
في قوله (يا قوم إن كان كبير عليكم مقامى وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركائكم
ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم افضوا الي ولا تنظرون) . وهكذا قال الانليل عليه السلام (ولا أخاف
ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم
ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون .
الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على
قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * وقال الملائ من قومه الذين كفروا وكذبوا بقاء
الآخرة وأترفاهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون
ولئن أطعمتم بشرأ مثلكم إنكم إذا نخلاسرون . أيلدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون)
استبعدوا أن يبعث الله رسولا بشرياً وهذه الشبهة أدل بها كثير من جهلة الكفرة قديماً وحديثاً كما
قال تعالى (أكان للناس حجباً أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس) وقال تعالى (وما منع الناس أن
يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا . قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون
مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا) ولهذا قال لهم هود عليه السلام (أو عجبتهم أن جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم لينذرهم) أي ليس هذا بعجيب فان الله أعلم حيث يجعل رسالته وقوله
(أيلدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون . هيهات هيهات لما توعدون . إن هي إلا آياتنا
الدنيا تموت ومحي وما نحن بمبعوثين إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين * قال

ربى انصر فيهم استبدلوا المعاد وانكروا قيام الاجساد بعد صيرورتها تراباً وعظاماً وقالوا هيهات هيهات
 أى بعيد بعيد هذا الوعد إن هي إلا حيايتنا الدنيا نموت ونحى وما نحن بمبعوثين أى يموت قوم ونحى
 آخرون * وهذا هو اعتقاد الدهرية كما يقول بعض الجهلة من الزنادقة ارحام تدفع وأرض تبيع *
 وأما الدورية فهم الذين يمتدنون أنهم يمودون الى هذه الدار بعد كل ستة وثلاثين ألف سنة
 وهذا كله كذب وكفر وجهل وضلال وأقوال باطلة وخيال فاسد بلا برهان ولا دليل يستميل عقل
 الفجرة الكفرة من بنى آدم الذين لا يمتلون ولا يهتدون كما قال تعالى (ولتصنى اليه أفئدة الذين
 لا يؤمنون بالأخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون) وقال لهم فيما وعظهم به (أتبنون بكل ريع آية
 تُمشون وتتحذون مصانع لعلكم تتخلدون) يقول لهم أتبنون بكل مكان مرتفع بناء عظيماً هائلاً كالتصوير
 ونحوها تمشون بينها لأنه لا حاجة لكم فيه وما ذلك إلا لانهم كانوا يسكنون الخيام كما قال تعالى
 (ألم تريك فعل ربك بعاد إرم ذات العباد . التي لم يخلق مثلها في البلاد) فعاد إرم هم عاد الأولى الذين
 كانوا يسكنون الاعمدة التي تحمل الخيام *

ومن زعم أن إرم مدينة من ذهب وفضة وهي تنقل في البلاد قد غلط وأخطأ وقل ما لا دليل
 عليه * وقوله (وتتحذون مصانع) قيل هي التصور * وقيل بروج الحمام * وقيل ما أخذ الماء (لعلكم
 تتخلدون) أى رجاء منكم أن تمروا في هذه الدار أعماراً طويلة (واذا بطشتم بطشتم جبارين فاقتوا
 الله وأطيعون . واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون . أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون إنى أخاف عليكم
 عذاب يوم عظيم) وقالوا له بما قالوا (أجبثنا لنعبد الله وحده ونبذ ما كان يعبد آباؤنا فاننا
 بما تمدنا ان كنت من الصادقين) أى أجبثنا لنعبد الله وحده ونخالف آباءنا وأسلافنا وما كانوا عليه *
 فان كنت صادقاً فيما جئت به فأتنا بما تمدنا من العذاب والنكال فاننا لا نؤمن بك ولا نتبعك ولا
 نصدقك كما قالوا (سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين . إن هذا الاخلق الاولين . وما نحن
 بممذيين) أما على قراءة فتح الخلاء فالمراد به اختلاق الأولين أى ان هذا الذى جئت به الا اختلاق
 منك وأخذته من كتب الأولين * هكذا فسره غير واحد من الصحابة والتابعين * وأما على قراءة ضم
 الخلاء واللام فالمراد به الدين أى ان هذا الدين الذى نحن عليه الا دين الآباء والاجداد من أسلافنا ولن
 نتحول عنه ولا نغير ولا نزال متمسكين به . ويناسب كلا القراءتين الاولى والثانية قولهم (وما نحن
 بممذيين) قال (قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما
 نزل الله بها من سلطان فاتظروا انى معكم من المنتظرين) أى قد استحققت بهذه المقالة الرجس والغضب
 من الله أتمارضون عبادة الله وحده لا شريك له بعبادة أصنام أنتم تسمونها وسميتوها آلهة من تلقاء
 انفسكم اصطالحتم عليها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان أى لم ينزل على ما ذهبتم اليه دليلاً ولا

برهاناً وإذا أتيتم قبول الحق وتماذيتم في الباطل وسواء عليكم أنهيتمكم عما أنتم فيه أم لا فانتظروا
الآن عذاب الله الواقع بكم وبأسه الذي لا يرد ونكاله الذي لا يصد وقال تعالى (قال رب انصرني بما
كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فآخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غناء فبعداً للقوم الظالمين) وقال
تعالى (قالوا أحييتنا لنأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تمدنا ان كنت من الصادقين . قال انما العلم عند الله وأبلغكم
ما أرسلت به ولكنى اراكم قوماً تجهلون . فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا
بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم . تدمر كل شئ* بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم
كذلك تجزي القوم الجرمين) وقد ذكر الله تعالى خير اهلاككم في غير ما آية كما تقدم مجلاً ومنصلاً
كقوله (فأنجيناهم والذين آمنوا معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين) وكقوله (ولما
جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ . وتلك عاد جحدوا بآيات
ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة ألا ان عادا كفروا
ربهم الا بعداً لآمة قوم هود) وكقوله (فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غناء فبعداً للقوم الظالمين وقال
تعالى (فكذبوه فأهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لهو العزيز الرحيم)
وأما تفصيل إهلاكهم فلما قال تعالى (فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل
هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم) كان هذا أول ما ابتدأهم العذاب أنهم كانوا محطين مستئين فطلبوا
السقيا فرأوا عارضاً في السماء وظنوه سقياً رحمة فإذا هو سقياً عذاب . ولهذا قال تعالى (بل هو ما استعجلتم
به) أى من وقوع العذاب وهو قولهم (فأتنا بما تمدنا ان كنت من الصادقين) ومثلهما في الأعراف .
وقد ذكر المفسرون وغيرهم هنا الخبر الذي ذكره الامام محمد بن اسحق بن بشار قال فلما أورا الا الكفر
بالله عز وجل أمسك عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدم ذلك قال وكان الناس اذا جهدم أمر في ذلك
الزمان فطلبوا من الله الفرج منه إنما يطلبونه بجرمه ومكان يتسه وكان معروفاً عند أهل ذلك الزمان
وبه العالقي مقيمون وهم من سلالة علقم بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيدهم اذ ذاك رجلاً يقال له
معاوية بن بكر وكانت أمه من قوم عاد واسمها جلهدة ابنة الخليلي . قال فبعث عاد ونداً قريباً من سبعين
رجلاً ليستقوا لهم عند الحرم فرأوا بمعاوية بن بكر بظاهر مكة فنزلوا عليه فاقاموا عنده شهراً ينشرون
الحريفيهم الجرادتان قينتان لمعاوية وكانوا قد وصلوا اليه في شهر . فلما طال مقامهم عنده وأخذته
شقة على قومه واستحى منهم أن يأمرهم بالانصراف عمل شهراً فيعرض لهم بالانصراف وأمر القديين
أن تقنيم به قال

ألا يا قليل ويحك قم فبيم لعل الله يمنحنا سخماً
فيسقي أرض عاد ان عاداً قد امسوا لا يبيتون الكلاماً

من العيش الشديد فليس نرجو به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير قد أمست نساؤهم أياما
وإن الوحش يأتيهم جبارا ولا يخشى لمادي سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتيتتم نهائكم وليلكم تماما
فمبج وفدكم من وفد قوم ولا تقوا التبعة والسلاما

قال فعند ذلك تبه القوم لما جاءوا له فمضوا الى الحرم ودعوا قومهم فدعا داعيهم وهو قيل
ابن عنز فأنشأ الله سبحانه ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء اختر لنفسك ولقومك
من هذا السحاب فقال اخترت السحابة السوداء فأنها أكثر السحاب ماء فناداه اخترت رمادا رمدا
لا يتقي من عاد أحدا لا والداً يترك ولا ولداً . إلا جعلته همدا إلا بنى اللودية الهدا . قال وهو بطن من
عاد كانوا مقيمين بمكة فلم يصبهم ما أصاب قومهم قال ومن بقي من أنسابهم وأعقابهم هم عاد الآخرة
قال وساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بن عنز بما فيها من النعمة الى عاد حتى تخرج عليهم من
واد يقال له الميث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فيقول تعالى (بل هو ما استعجلتم
به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شئ بأمر ربها) أي كل شئ أمرت به فكان أول من ابصر ما فيها
وعرف أنها ريح فيها يذكرون أمرت من عاد يقال لها فهد فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صمعت . فلما
افاقت قالوا مارأيت يا فهد قالت رأيت ريحا فيها كشمب النار أملمها رجال يقودونها فبصرها الله
عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد أحدا إلا هلك قال وانزل هود
عليه السلام فيا ذكر لي في حظيرة هو ومن معه من المؤمنين ما يصيبهم الا ما يلين عليهم الجلود ويلتذ
الانفس وإنها تمر على عاد بالطنن فيما بين السماء والأرض وتدممهم بالحجارة * وذكروا تمام القصة

وقد روى الامام أحمد حديثا في مسنده يشبه هذه القصة فقال حدثنا زيد بن الحباب حدثني أبو
المنذر سلام بن سليمان النحوي حدثنا عاصم بن أبي النجود عن أبي واثل عن الحارث وهو ابن حسان
ويقال ابن يزيد البكري قال خرجت اشكو الصلابن الحضرمي الى رسول الله (ص) فررت بالريذة
فاذا مجوز من بني تميم منقطع بها فقالت لي يا عبد الله ان لي الى رسول الله (ص) حاجة فهل أنت مبلغني
اليه قال نعم فأتيت المدينة فاذا المسجد غاص بأهله واذا راية سوداء تنفق واذا بلال متقلد السيف
بين يدي رسول الله (ص) . بقلت ماشأن الناس قالوا يريد أن يمض عمرو بن العاص وجهها قال فجلست قال
فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فاذن لي فدخلت فسلمت فقال هل كان بينكم وبين بني تميم شئ
فقلت نعم وكانت لنا الديرة عليهم ومهرت بمجوز من بني تميم منقطع بها فسألته أن يحملها اليك وهامني
بالباب فاذن لها فدخلت فقلت يا رسول الله إن رأيت أن تجعل بيننا وبين بني تميم حاجزا فاجعل الدهنا

فاتها كانت لنا قال غميت العجوز واستوفزت وقالت يا رسول الله فإلى أين تضطر مضرك قال فقلت ان مثل
ما قال الاول (مزمى حملت حنتها) حملت هذه الأمة ولا أشعر أنها كانت لي خصماً أعود بالله ورسوله أن
أكون كوافد عاد قال هيه وما وافد عاد وهو أعلم بالحديث منه ولكن يستطعمه قلت ان عاداً قحطوا فبشوا
وفداهم يقال له قيل فر بماوية بن بكر فاقام عنده شهراً يسقيه الخمر ويفنيه جاريثان يقال لهما الجرادتان
فلما مضى الشهر خرج الى جبال تبهاة فقال اللهم انك تعلم أني لم اجي الى مريض فادأويه ولا الى اسير
فأفاديه . اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيه فمرت به سحابت سود فنودي منها اختر فأوى الى سحابة منها
سوداء فنودي منها خذا رماً رمداً لا تبق من عاد أحداً قال فما بلغني أنه بث عليهم من الريح الا
كقدر ما يجرى في خاتمي هذا من الريح حتى هلكوا . قال أبو وائل وصدق وكانت المرأة والرجل اذا
بشوا وفداهم قالوا لا تسكن كوافد عاد وهكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن زيد بن الحباب به
ورواه النسائي من حديث سلام أبي المنذر عن عاصم بن بهدلة ومن طريقه رواه ابن ملجه . وهكذا
أورد هذا الحديث وهذه القصة عند تفسير هذه القصة غير واحد من المفسرين كابن جرير وغيره *
وقد يكون هذا السياق لاهلاك عاد الآخرة فان ذكره ابن اسحاق وغيره ذكر لمسكة ولم تبين
الا بعد ابراهيم الخليل حين اسكن فيها هاجر وابنه اسماعيل فنزلت جرم عندهم كما سيأتي وعاد الأولى
قيل الخليل وفيه ذكر معاوية بن بكر وشعره وهو من الشعر المتأخر عن زمان عاد الأولى لا يشبه كلام
المتقدمين . وفيه أن في تلك السحابة شرر نار وعاد الأولى إنما أهلكوا بريح صرصر . وقد قال ابن
مسعود وابن عباس وغير واحد من أئمة التابعين هي الباردة والعاتية الشديدة المهبوب (سخرها عليهم
سبع ليال وثمانية أيام حسوما) أي كوامل متتابعات * قيل كان أولها الجمعة وقيل الاربعاء (فترى القوم
فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) شبههم بأعجاز النخل التي لا رؤس لها وذلك لأن الريح كانت تجيء
الى أقدام فتحمله وترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى جثة بلا رأس كما قال (إنا أرسلنا
عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر) أي في يوم نحس عليهم مستمر عذابه عليهم (تنزع الناس كأنهم
أعجاز نخل منقعر) ومن قال ان اليوم النحس المستمر هو يوم الاربعاء وتشام به لهذا الفهم فقد أخطأ
وخالف القرآن فانه قال في الآية الأخرى (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات) ومعلوم أنها ثمانية
أيام متتابعات فلو كانت نحسات في أنفسها لكانت جميع الأيام السبعة المندرجة فيها مشؤمة وهذا لا يقوله
أحد وانما المراد في أيام نحسات أي عليهم وقال تعالى (وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) أي التي
لا تنتج خيراً فان الريح المفردة لا تنثر سحاباً ولا تلقح شجراً بل هي عقيم لا تنتج خيراً لها ولهذا قال
(ما تذر من شيء إلا جعلته كارهيم) أي كالشيء البالي الفاني الذي لا ينتفع به بالكيفية * وقد
ثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس عن رسول الله (س) أنه

قال فصرت بالصبا وأهلك عاد بالذبور * وأما قوله تعالى (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) فالظاهر أن عاداً هذه هي عاد الأولى فإن سياقها شبيه بسباق قوم هود وهم الأولى. ويحتمل أن يكون المذكورون في هذه القصة هم عاد الثانية. ويدل عليه ما ذكرنا وما سيأتي من الحديث عن عائشة رضی الله عنها * وأما قوله (فلما رأوه عارضا مستقبلا أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) فإن عاداً لما رأوا هذا العارض وهو الناشئ في الجو كالسحاب ظنوه سحاب مطر فإذا هو سحاب عذاب اعتقدوه رحمة فإذا هو قمة رجوا فيه الخير فالوا منه غاية الشر قال الله تعالى (بل هو ما استعجلتم به) أي من العذاب ثم فسره بقوله (ريح فيها عذاب اليم) يحتمل أن ذلك العذاب هو ما أصابهم من الريح الصرصر العاتية الباردة الشديدة الهبوب التي استمرت عليهم سبع ليال بأيامها الثمانية فلم تبق منهم أحداً بل تتبعهم حتى كانت تدخل عليهم كهوف الجبال والغياب فتلفهم وتخرجهم وتهلكهم وتدمر عليهم البيوت المحكمة والقصور المشيدة فكما منوا بقوتهم وشدهم وقالوا من أشد منا قوة سلط الله عليهم ما هو أشد منهم قوة وأقدر عليهم وهو الريح العقيم * ويحتمل أن هذه الريح أثرت في آخر الأمر سبحانه من بقي منهم أنها سحابة فيها رحمة بهم وغياب لمن بقي منهم فأرسلها الله عليهم شرراً وناراً كما ذكره غير واحد ويكون هذا كما أصاب أصحاب الظلة من أهل مدين وجمع لهم بين الريح الباردة وعذاب النار وهو أشد ما يكون من العذاب بالاشياء المختلفة المتضادة مع الصيحة التي ذكرها في سورة قد أفصح المؤمنون والله أعلم *

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن يحيى بن الضريس حدثنا ابن فضال عن مسلم عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص)، ما فتح الله على عاد من الريح التي أهلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم فرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم بين السماء والأرض فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها (قالوا هذا عارض ممطرنا) فالقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة . وقد رواه الطبراني عن عبدان بن أحمد عن اسماعيل بن زكريا الكوفي عن أبي مالك عن مسلم الملائي عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول (ص)، ما فتح الله على عاد من الريح إلا مثل موضع الخاتم . ثم أرسلت عليهم البلى إلى الحضرة فلما رأها أهل الحضرة قالوا هذا عارض ممطرنا مستقبلا أوديتنا وكان أهل البوادي فيها فالتق أهل البادية على أهل الحاضرة حتى هلكوا قال عنت على خزائنها حتى خرجت من خلال الأبواب . قلت وقال غيره خرجت بنير حساب *

والمقصود أن هذا الحديث في رفته نظر . ثم اختلف فيه على مسلم الملائي وفيه نوع اضطراب والله أعلم * وظاهر الآية أنهم رأوا عارضا والمفهوم منه لمة السحاب كما دل عليه حديث الحارث بن حسان البكري إن جعلناه مفسراً لهذه القصة . وأصرح منه في ذلك ما رواه مسلم في صحيحه حيث قال

حدثنا أبو الطاهر حدثنا ابن وهب سمعت بن جريج يحدثنا عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة رضی الله عنها قالت كان رسول الله ص، إذا عصفت الريح قال (اللهم انى أسألك خيرا وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به) قالت وإذا عبيت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فإذا أمطرت سرى عنه فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال لعله يا عائشة كما قال قوم عاد (فلما رأود عارضا مستقبيل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) رواد الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ابن جريج *

طريق أخرى * قال الامام أحمد حدثنا هرون بن معروف أنبأنا عبد الله بن وهب أنبأنا عمرو وهو ابن الحارث أن أبا النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة أنها قالت مزأيت رسول الله ص، متجمعا ضاحكا قط حتى أرى منه لوانه إنما كان يتبسم . وقالت كذا إذا رأى غيا أو ريحا عرف ذلك في وجهه قالت يا رسول الله (الناس إذا رأوا النعم فرحوا فرجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيت عرف في وجهك الكراهية قتال يا عائشة ما يؤمنى أن يكون فيه عذاب . قد عذب قوم نوح بالريح . وقد رأى قوم العذاب قالوا هذا عارض ممطرنا * فهذا الحديث كالصريح في تغاير القصتين كما أشرنا اليه أولا . فعلى هذا تكون القصة المذكورة في سورة الاحقاف خبراً عن قوم عاد الثانية . وتكون بقية اسباقات

في القرآن خبراً عن عاد الأولى والله أعلم بالصواب * وهكذا رواه مسلم عن هارون

ابن معروف وأخرجه البخارى وأبو داود من حديث ابن وهب * وقدمنا حج

هود عليه السلام عند ذكر حج نوح عليه السلام . وروى عن أمير المؤمنين

على بن أبى طالب أنه ذكر صفة قبر هود عليه السلام في بلاد اليمن .

رذ ذكر آخرون أنه بدمشق وبجامعا مكان في حائنه القبلى

يزعم بعض الناس أنه قبر هود عليه السلام والله أعلم *

قصّة صالح بنى عمود عليه السلام

وهي قبيلة مشهورة يقال ثمود باسم جدّهم ثمود أخى جديس وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح وكانوا عرباً من العاربة يسكنون الحجر الذى بين الحجاز وتبوك . وقد مر به رسول الله ص، وهو ذاهب الى تبوك بمن معه من المسلمين كاسيأتى بيانه وكانوا بعد قوم عاد وكانوا يعبدون الأصنام كأولئك فبعث الله فيهم رجلاً منهم وهو عبد الله ورسوله صالح بن عبد بن ماسح (١) بن عبيد بن حاجر

(١) وفي نسخة عبيد بن ماشخ والذى في العرائس هو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد

ابن حاذر بن ثمود بن عابر بن إرم الخ نقل عن (محمود الأمام)

ابن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح فدعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن يخلعوا الاصنام والانداد ولا يشركوا به شيئاً فامنت به طائفة منهم وكفر جمهورهم ونلوا منه بالقتال والفعال وهموا بقتله وقتلوا الناقة التي جعلها الله حجة عليهم فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى في سورة الأعراف (والى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءكم بية من ربكم . هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم . واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تمتدون من سهولها قصورا وتنحتون من الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تمثروا في الأرض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قتلوا إنا بما أرسل به مؤمنون . قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون . ففعلوا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا باصالح اثنتا بما قدنا إنا كنت من المرسلين فاختفتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) وقال تعالى في سورة هود (والى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره . هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه إن ربى قريب مجيب . قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أئنما لنا أن نترك ما يعبد آباءنا وانا لفي شك مما تدعونا اليه صريب . قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربى وآتاني منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته فما يزيدونى غير تخسير . ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب . ففعلوا فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب . فلما جاء أمرنا نجحنا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ . إن ربك هو القوى العزيز . وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في دارهم جاثمين . كأن لم ينفوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بداء البتة) وقال تعالى في سورة الحجر (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين . وآتيناهم آبائنا فكتبوا عنها مرصين . وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين . فأخذتهم الصيحة مصبحين . فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) وقال سبحانه وتعالى في سورة سبحان (وما معنا أن نرسل بالآيات إلا أن نكذب بها الأولون . وآتيناهم ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) وقال تعالى في سورة الشعراء (كذبت ثمود المرسلين . اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى إلا على رب العالمين . أتتركون فيها هاهنا آمنين في جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين . فاتقوا الله وأطيعون . ولا تصياموا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا إنما أنت من المسرفين . ما أنت إلا بشر مثنا فأت باية إن كنت من الصادقين . قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم . ولا

تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب عظيم . فقروها فاصبحوا نادمين . فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم (وقال تعالى في سورة النمل (ولقد أرسلنا نوحاً وأخاه صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون . قال يا قوم لم تستمعوا بالسيرة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لملكتم ترحون . قالوا اطيرنا بك وبمن معك . قال طائرکم عند الله بل أنتم قوم تنفنون . وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون . ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون . فافظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين . فذلك بيوتهم خواوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يملون . وأنجينا الذين آمنوا وكأنا يتقون) وقال تعالى في سورة حم السجدة (وأما نوحاً فهدينا نوحاً فاستجيبوا العسى على الهدى فأخضت ساعة العذاب الهون بما كانوا يكسبون . ونجينا الذين آمنوا وكأنا يتقون) وقال تعالى في سورة اقتربت (كذبت نوحاً بالنذر . فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه (أنا إذا لنى ضلال وسعر . أتلقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر . سيعلمون غداً من الكذاب الأشر . أنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر . ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محضر . فنادوا صباحهم فتعاطى فقر فكيف كان عذابى ونذر . أنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال تعالى (كذبت نوحاً بطفوها إذ انبث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها . فكذبوه فقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها) . وكثيراً ما يقرن الله في كتابه بين ذكر عاد وثمود كما في سورة براءة وإبراهيم والفرقان وسورة (ص) وسورة (ق) والنجم والفجر * ويقال إن هاتين الأمتين لا يعرف خبرهما أهل الكتاب وليس لها ذكر في كتابهم التوراة ولكن في القرآن ما يدل على أن موسى أخبر عنها كما قال تعالى في سورة إبراهيم (وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لعفى حميد . ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح و عاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسالهم بالبينات) الآية . الطاهران هذا من تمام كلام موسى مع قومه ولكن لما كان هاتان الأمتان من العرب لم يضبطوا خبرهما جيداً ولا اعتنوا بحفظه وإن كان خبرها كان مشهوراً في زمان موسى عليه السلام * وقد تكلمنا على هذا كله في التفسير متقصباً والله الحمد والمنة *

والمقصود الآن . كركضتهم وما كان من أمرهم وكيف نبى الله نبيه صالحاً عليه السلام ومن آمن به وكيف قطع دابر القوم الذين ظلموا بكفرهم وعتومهم ومخالفتهم رسولهم عليه السلام * قد قدمنا أنهم كانوا عرباً وكانوا بعد عاد ولم يتيروا بما كان من أمرهم * ولهذا قال لهم نبيهم عليه السلام (أعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بيعة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله

ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم . واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض
تتخذون من سهولها قصوراً وتتحنون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تمشوا في الأرض مفسدين
أى إنما جعلكم خلفاء من بعدكم لتعتبروا بما كنتم أسرهم وتعملوا بخلاف علمهم وأبأ لكم هذه الأرض
تبنون في سهولها القصور وتتحنون من الجبال بيوتاً فارهين أى حاذقين في صنعها واتقانها وإحكامها
فقابلوا نعمة الله بالشكر والعمل الصالح والعبادة له وحده لا شريك له وإياكم ومخالفته والدول عن طاعته
فان عاقبة ذلك وخيمة ولهذا وعظهم بقوله (انتركون فيما همتنا آمين . في جنات وعميون وزرور ونخل
طلعها هضيم) أى متراكم كثير حسن بهى ناضج (وتتحنون من الجبال بيوتاً فارهين فاهتموا الله وأطميون
ولا تطيعوا أمر المسرفين . الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون) وقال لهم أيضاً (يا قوم اعبدوا الله
مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) أى هو الذى خلقكم فأنشأكم من الأرض
وجعلكم عمارها أى أعطاكم كورها بما فيها من ازروع والثمار فهو الخالق الرزاق فهو الذى يستحق العبادة
وحده لا سواه (فاستغفروه ثم توبوا اليه) أى أقبلوا عما أنتم فيه وأقبلوا على عبادته فانه يقبل منكم
ويتجاوز عنكم (إن ربى قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) أى قد كنا نرجو
أن يكون عقلك كاملاً قبل هذه المقالة وهى دعاؤك إيانا الى إفراد العبادة وترك ما كنا نعبد من
الانداد والدول عن دين الآباء والاجداد ولهذا قالوا (انتمانا أن نترك ما يعبد آباؤنا وإنا لنفى شك مما
تدعوننا اليه مريب - قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتأتى منه رحمة فمن ينصرنى من الله
إن عصيته فما تريدوننى غير تخسير) وهذا تطف منه لهم فى العبادة ولين الجانب وحسن تأت فى
الدعوة لهم الى الخير أى فما ظنكم إن كان الامر كما أقول لكم وأدعوك اليه ماذا عنكم عند الله وماذا
يخلصكم بين يديه وأنتم تطالبون منى أن اترك دعاءكم الى طاعته وأنا لا يمكننى هذا لانه واجب على
ولو تركته لما قدر أحد منكم ولا من غيركم أن يغيرنى منه ولا ينصرنى فأنالا أزال أدعوك الى الله وحده
لا شريك له حتى يحكم الله بينى وبينكم وقالوا له أيضاً (انما أنت من المسحرين) أى من المسحورين
يعنون مسحوراً لا تدرى ما تقول فى دعائك إيانا الى إفراد العبادة لله وحده وخلع مسواه من الأنداد
وهذا القول عليه الجمهور إن المراد بالمسحرين المسحورين * وقيل من المسحرين أى ممن له سحر . وهى
الرئة كانهم يقولون انما أنت بشر له سحر والأول أظهر لقولهم بعد هذا ما أنت إلا بشر مثلاً * وقولهم
(فأت باية إن كنت من الصادقين) سألوها منه أن يأتيهم بخارق يدل على صدق ما جاءهم (قال هذه ناقة
لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب عظيم) وقال (قد جاءكم بينة من
ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم) وقال تعالى
(وأتينا حمود الناقة مبصرة فظلموا بها) *

وقد ذكر المفسرون ان عمود اجتمعوا يوماني نلتهم فجاءهم رسول الله صالح فدعاهم الى الله
 وذكرهم وحذرهم ووعظهم وأمرهم فقالوا له ان أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة وأشاروا الى صخرة
 هناك ناقة من صفها كيت وكيت وذكروا اوصافا سموها ونبتوها ونعتوها فيها وأن تكون عشراء
 طوية من صفها كذا وكذا فقال لهم النبي صالح عليه السلام أرايتم ان أجيبتكم الى ما سألتهم على الوجه
 الذي طلبتم أن تؤمنون بما جئتمكم به وتصدقوني فيما أرسلت به . قالوا نعم فآخذهم عهدهم وموآثيقهم على
 ذلك ثم قام الى مصلاه فصلى لله عز وجل ما قدر له ثم دعا ربه عز وجل أن يبيحهم الى ما طلبوا فأمر الله
 عز وجل تلك الصخرة أن تنظر عن ناقة عظيمة عشراء على الوجه المطلوب الذي طلبوا أو على الصفة
 التي امتروا فلما عاينوها كذلك رأوا أمراً عظيماً ومنظراً هائلاً وقدرة باهرة ودليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً
 فأمن كثير منهم واستمرأ أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم ولهذا قال (فظلموا بها) أي جحدوا
 بها ولم يتبعوا الحق بسببها أي أكثرهم . وكان رئيس الذين آمنوا جندع بن عمرو بن محلاه بن لبيد بن
 جواس . وكان من رؤسائهم ومه بية الأشراف بالاسلام قصدهم ذؤاب بن عمر بن لبيد والحباب صاحبها
 أولادهم ورباب بن صمبر بن جلس ودعا جندع بن عمه شهاب بن خليفة وكان من اشرافهم فهم بالاسلام
 قهءاء أولئك قال الهم فقال في ذلك رجل من المسلمين يقال له مهرش بن غنمة بن الذميل رحمه الله

وكانت عصبة من آل عمرو الى دين النبي دعوا شهابا
 عزيزاً عموداً كلهم جميعاً فهم بان يجيب ولو أجابا
 لأصبح صالح قينا عزيزاً وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
 ولكن الثؤاة من آل حجر تولوا بدراً رشدهم ذاباً (١)

ولهذا قال لهم صالح عليه السلام (هذه ناقة الله لكم آية) أضافها لله سبحانه وتعالى اضافة تشرية
 وتعظيم كقوله بيت الله وعبد الله لكم آية أي دليلاً على صدق ما جئتمكم به فذروها تأكل في أرض الله
 ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) فاتفق الخال على أن تبقى هذه الناقة بين أظهرهم ترى حيث
 شامت من أرضهم وترد الماء يوما بعد يوم وكانت اذا وردت الماء تشرب ماء البئر يوماً ذلك فكانوا
 يرفضون حاجتهم من الماء في يومهم لغدهم ويقال إنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم ولهذا « قال لها
 شرب ولكم شرب يوم معلوم » ولهذا قال تعالى (إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم) أي اختباراً لهم يؤمنون
 بها أم يكفرون والله أعلم بما يتفلون (فارتقبهم) أي انتظر ما يكون من أمرهم (واصطبر) على أذامهم
 فسأيتك الخبير على جلية (ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر) فلما طال عليهم الحال هذا اجتمع
 ملزم واتفق رأيهم على أن يعقروا هذه الناقة ليستريحوا منها ويتوفر عليهم مؤثم وزين لهم الشيطان

(١) كذا بالأصل وفي المراتب ذبلاً وفي نسخة قولوا بدل تولوا .

أعمالهم (قال الله تعالى) فمقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين . وكان الذي تولى قتلها منهم رئيسهم قدار بن سالف بن جندع وكان أحمر أزرق أصهب وكان يقال انه ولد زانية ولد على فراش سالف وهو ابن رجل يقال له صيوان . وكان فعله ذلك باقيا جميعهم فلهدا نسب الفضل الى جميعهم كلهم *

وذكر ابن جرير وغيره من علماء المفسرين أن امرأتين من نمود اسم احدهما صدوق ابنة الحيا ابن زهير بن المختار وكانت ذات حسب ومال وكانت تحت رجل من أسلم فقارقه فدعت ابن عم لها يقال له مصرع بن مخرج بن الحيا وعرضت عليه نفسها ان هو عقر الناقة واسم الاخرى عذرة بنت غنيم بن مجاز وتكنى أم عثمان وكانت عجوزا كافرة لها بنات من زوجها ذؤاب بن عمرو احد الرؤساء فرضت بناتها الاربع على قدار بن سالف ان هو عقر الناقة فله أى بناتها شاء فالتب هذان الشابان لمقرها وسعوا في قومهم بذلك فاستجاب لهم سبعة آخرون فصاروا تسعة وهم المذكورون في قوله تعالى (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) وسعوا في هية القبيلة وحسنوا لهم عقرها فلجابوهم الى ذلك وطاعوهم في ذلك فانطلقوا يرصدون الناقة فلما صدرت من وردها كن لها مصرع فرماها بهم فانظم عظم ساقها وجاء النساء يزمرن القبيلة في قتلها وحسرن عن وجوههن ترغيبا لهم فابتدروهم قدار بن سالف فشد عليها بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرت ساقطة الى الارض ودرغت رغاء واحدة عظيمة تحذر ولها ثم طمن في ليتها فنجرها وانطلق سقتها وهو فصيلها فصمد جبلا منيعا ودعا ثلاثا *

وروى عبد الرزاق عن معمر عن سمع الحسن أنه قال يارب أين أمى ثم دخل في صخرة فغاب فيها ويقال بل اتبعوه فمقروه أيضا قال الله تعالى (فتنادوا صاحبه فتماطى فمقر فكيف كان عذابي ونذر) . وقال تعالى (اذ انبث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها) أى احذروها فكذبوه فمقروها فقدم عليهم ربهم بذنوبهم فسواها ولا يخاف عقابها) *

قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا هاشم هو أبو عذرة عن أبيه عبد الله بن زمة قال خطب رسول الله (ص) : فذكر الناقة وذكر الذى عقرها فقال (اذ انبثت أشقاها) انبث لما رجع من غارم عزيز منبثق في رهطه مثل أبي زمة . أخرجه من حديث هشام بن عارم أى شهيم عزيز أى رئيس منبثق أى مطاع في قومه * وقال محمد بن اسحاق حدثني يزيد بن محمد بن خيثم عن محمد بن كعب عن محمد بن خيثم عن يزيد عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله (ص) : لى ألا أحدنك بأشقى الناس قال بلى قال رجلان أحدهما احيمر نمود الذى عقر الناقة والذى يضربك يا على هذا يبنى قرنه حتى تبطل منه هذه يبنى لحيته . رواه ابن أبي حاتم . وقال تعالى (فمقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا

يصلح اثنا بما تمدنا ان كنت من المرسلين) فجمعوا في كلامهم هذابين كفر بليغ من وجوه. منها أنهم
 خالفوا الله ورسوله في ارتكابهم النهي الأكد في عقر الناقة التي جعلها الله لهم آية. ومنها أنهم
 استعجلوا وقوع العذاب بهم فاستحقوه من وجهين * أحدهما التشرط عليهم في قوله (ولا تمسوها بسوء
 فيأخذكم عذاب قريب) وفي آية عظيم وفي الاخرى اليم والسكل حق * والثاني استعجالهم على ذلك *
 ومنها أنهم كذبوا الرسول الذي قد قام الدليل القاطع على نبوته وصدقه وهم يعلمون ذلك علماً جازماً
 ولكن حملهم الكفر والضلال والعباد على استبعاد الحق ووقوع العذاب بهم * قال الله تعالى (فمقروها
 فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) وذكروا أنهم لما عقروا الناقة كان أول من
 سطا عليها تدار بن سالف لعنه الله فزعموا أنها سقطت الى الارض ثم ابتدروها باسياقهم يقطعونها فلما عين
 ذلك سقها وهو ولدها شرد عنهم فلما أعلى الجبل هناك ورغاً ثلاث مرات فلهاذا قال لهم صالح (تمتعوا
 في داركم ثلاثة أيام) أي غير يومهم ذلك فلم يصدقوه أيضاً في هذا الورد الأكد بل لما أمسوا هموا
 بقتله وأرادوا فيما يزعمون أن يلحقوه بالناقة (قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله) أي لنكيسنه في داره مع أهله
 فلنقتله ثم نجحنا قتلته وننكرن ذلك أن طالبنا أو لياؤه بدمه. ولهذا قالوا. (ثم لنقولن لوليه ماشهدنا
 مهلك أهله وإنا لصادقون) قال الله تعالى (ومكروا مكراً ومكروا مكراً وهم لا يشعرون. فانظر كيف كان
 عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين. فذلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون
 وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) وذلك أن الله تعالى أرسل على أولئك النفر الذين قصدوا قتل صالح
 حجارة رضحتهم سفناً وتمجيلاً قبل قومهم وأصبحت ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة
 ووجوههم مصفرة كما أنذرهم صالح عليه السلام فلما أمسوا نادوا باجهمم ألا قد مضى يوم من الأجل .
 ثم أصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل . وهو يوم الجمعة ووجههم حمرة فلما أمسوا نادوا ألا قد
 مضى يومان من الأجل . ثم أصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وهو يوم السبت ووجوههم مسودة
 فلما أمسوا نادوا ألا قد مضى الأجل فلما كان صبيحة يوم الأحد تجنطوا وتأهبوا وقصدوا ينتظرون
 ملأ ما يحل بهم من العذاب والنكال والتعنة لا يدرون كيف يفعل بهم ولا من أي جهة يأتيهم العذاب
 فلما أشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم ورجعة شديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح
 وزهت النفوس وسكنت الحركات وخشعت الأصوات وحقت الحقائق فاصبحوا في دارهم جائعين
 جثا لا أرواح فيها ولا حراك بها . قالوا ولم يبق منهم أحد إلا جارية كانت مقعدة واسمها كلبه ابنت
 السلق . ويقال لها الذريرة وكانت شديدة الكفر والمداوة لدالح عليه السلام فلما رأت العذاب أطلقت
 رجلاها فقامت تسمى كلسرع شئ فأتت حياً من العرب فلخبرتهم بما رأت وما حل بقومها واستسئتم
 ماء فلما شربت ماتت . قال الله تعالى (إن لم يننوا فيها) أي لم يقيموا فيها في سمة ورزق وغناه (الإن

ثمود كفروا ربهم الا بعداً لثمود). أى نادى عليهم لسان القدر بهذا*

قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر قال لما سر رسول الله (س)، بالحجر قال لاتسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فكانت بمعنى الناقة ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج (فتوا عن أمر ربهم فقروها). وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً فقروها فأخذتهم صيحة أهد الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله. فقالوا من هو يارسول الله قال هو أبو رغال. فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه. وهذا الحديث على شرط مسلم وليس هو في شئ من الكتب الستة والله أعلم*

وقد قال عبد الرزاق أيضاً قال معمر أخبرني اسماعيل بن أمية أن النبي (س)؛ سر قبر أبي رغال فقال أندرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم. قال هذا قبر أبي رغال رجل من ثمود كان في حرم الله فنعته حرم الله عذاب الله. فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فترز القوم فابتدروه بأسياهم فبحثوا عنه فاستخرجوا الغصن* قال عبد الرزاق قال معمر قال الزهري أبو رغال أبو تقيف* هذا مرسل من هذا الوجه* وقد جاء من وجه آخر متصلاً كما ذكره محمد بن اسحق في السيرة عن اسماعيل بن أمية عن بجير بن أبي بجير سمعت عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله (س)، يقول حين خرجنا معه الى الطائف فررنا بقبر فقال إن هذا قبر أبي رغال، وهو أبو تقيف. وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج منه أصابته النعمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب - إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه معه. فابتدروه الناس فاستخرجوا منه الغصن* وهكذا رواه أبو داود من طريق محمد بن اسحق به* قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي رحمه الله هذا حديث حسن عزيز. قلت فقد به بجير بن أبي بجير هذا ولا يعرف إلا بهذا الحديث ولم يرو عنه سوى اسماعيل ابن أمية* قال شيخنا فيحتمل أنه وهم في رفته وإنما يكون من كلام عبد الله بن عمرو من زاملته والله أعلم قلت لكن في المرسل الذي قبله وفي حديث جابر أيضاً شاهد له* والله أعلم. وقوله تعالى (تولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) إخبار عن صالح عليه السلام أنه خاطب قومه بعد هلاكهم وقد أخذ في الذهاب عن محلهم الى غيرها قائلاً لهم (يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم) أى جهدت في هدايتكم بكل ما أمكنتني وحرصت على ذلك بقولى وفعلى وبنيتي (ولكن لا تحبون الناصحين) أى لم تكن سجاياكم تقبل الحق ولا تريد هلهذا صرتم الى ما أنتم فيه من العذاب الأليم المستمر بكم المتصل الى الأبد وليس لى فيكم حيلة ولا لى بالدفع عنكم يدان والذي يجب على من أداء الرسالة والنصح لكم قد فعلته وبذلتكم ولكن الله يفعل ما يريد وهكذا خاطب النبي (س)، أهل قليب بدر بعد ثلاث ليال وقف عليهم وقد ركب راحلته وأمر بالرحيل

من آخر الليل فقال يا أهل القلب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا وقال لهم فيما قال يس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتوني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلموني ونصرني الناس فبئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم فقال له عمر يا رسول الله تخاطب أقواما قد جفوا فقال (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يجيبون) . وسيأتي بيانه في موضعه ان شاء الله * ويقال إن صالحا عليه السلام انتقل الى حرم الله فاقام به حتى مات *

قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا زعبة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال لما سر النبي (ص) بوادي عسفان حين حج قال يا أبا بكر أي واد هذا . قال وادي عسفان قال لقد سر به هود وصالح عليهما السلام على بكرات خطهما الليف أزرهم العباء وأردديتهم الثمار يلبون يحجون البيت العتيق * اسناد حسن * وقد تقدم في قصة نوح عليه السلام من رواية الطبراني وفيه نوح وهود و ابراهيم

رسول النبي بلاديان الحجر رس عمو وعام تبوك

قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول الله (ص) بالناس على تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فمجنوا منها ونصبوا القدور فامرهم رسول الله فاهراقوا القدور وعلفوا العجين الابل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عبدوا إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم * وقال أحمد أيضا حدثنا عفان حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله (ص) وهو بالحجر لا تدخلوا على هؤلاء المذنبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم * أخرجاه في الصحيحين من غير وجه * وفي بعض الروايات انه عليه السلام لما سر بتنازلهم قنع رأسه وأسرع راحلته ونهى عن دخول منازلهم الا أن تكونوا باكين وفي رواية فان لم تبكوا فبئس كوا خشية أن يصيبكم مثل ما أصابهم * صلوات الله وسلامه عليه *

وقال الامام احمد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا المسعودي عن اسمعيل بن اوسط عن محمد بن ابي كبشة الانباري عن أبيه واسمه عمرو بن سعد ويقال عامر بن سعد رضي الله عنه قال لما كان في غزوة تبوك فسارغ الناس الى أهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله (ص) فناده في الناس الصلاة جامعة قال فأتيت النبي (ص) وهو ممسك ببيره وهو يقول ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم فناده رجل فمجب منهم يا رسول الله قال أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك رجل من أنفسكم يفتنكم بما كان

قبلكم وما هو كان بدمكم فاستقيموا وسددوا فان الله لا يعبأ بذيابكم شيئاً وسيأتي قوم لا يدفنون عن أنفسهم شيئاً * إسناده حسن ولم يخرجوه . وقد ذكر أن قوم صالح كانت أعمارهم طويلة فكاتبوا يبنون البيوت من المدر فتخرب قبل موت الواحد منهم فتحنوا لهم بيوتاً في الجبال . وذكروا أن صالحاً عليه السلام لما سأله آية فأخرج الله لهم الناقة من الصخرة أمرهم بها وبالولد الذي كان في جوفها وحذرم بأس الله إن هم نالوها بسوء وأخبرهم أنهم سيعترونها ويكون سبب هلاكهم ذلك وذكروا لهم صفة عاقرها وأنه احمر أرزق أصهب فبثوا القوايل في البلد متى وجدوا مولوداً بهذه الصفة يقتلنه فكاتبوا على ذلك دهرًا طويلاً واهرض جيل وأن جيل آخر . فلما كان في بعض الأعصار خطب رئيس من رؤسائهم على ابنة بنت آخر مثله في الرياسة فزوجه فولد بينهما عاقر الناقة وهو قدار بن سالف فلم تتمكن القوايل من قتله لشرف أبيه وجديه فيهم فنشأ نشأة سرية فكان يشب في الجمعة كما يشب غيره في شهر حتى كان من أمره أن خرج مطاعاً فيهم رئيساً بينهم فسولت له نفسه عقر الناقة واتبعه على ذلك ثمانية من أشرفهم وهم التسعة الذين أرادوا قتل صالح عليه السلام . فلما وقع من أمرهم ما وقع من عقر الناقة وبلغ ذلك صالحاً عليه السلام جاءهم بأكياء عليها فلقوه يمتدرون اليه ويقولون إن هذا لم يقع عن ملائنا وإنما فعل هذا هؤلاء الأحداث فينا . فيقال إنه أمرهم باستدراك سقبها حتى يحسنوا اليه عوضاً عنها فذهبوا وراءه فصمد جبالاً هناك فلما تصاعدوا فيه وراءه تمالى الجبل حتى ارتفع فلا يناله الطير وبكى الفصيل حتى سالت دموعه . ثم استقبل صالحاً عليه السلام ودعا ثلاثاً فنسبها قال صالح تمتعوا في داركم ثلاثة أيام وذلك وعد غير مكذوب وأخبرهم أنهم يصبحون من غددهم صفراً ثم تحمر وجوههم في الثاني وفي اليوم الثالث تسود وجوههم * فلما كان في اليوم الرابع أتهم صيحة فيها صوت كل صاعقة فأخسنتهم فأصبحوا في دارهم جامعين * وفي بعض هذا السياق نظر ومخالفة لظاهر ما يفهم من القرآن في شأنهم وقصتهم كما قدمنا والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

قصة إبراهيم خليل الرحمن

هو إبراهيم بن تارخ « ٢٥٠ » بن ناحور « ١٤٨ » بن ساروخ « ٢٣٠ » بن راعو « ٢٣٩ » ابن فالغ « ٤٣٩ » بن عابر « ٤٦٤ » بن شالح « ٤٣٣ » بن أرفخشذ « ٤٣٨ » بن سام « ٦٠٠ » ابن نوح عليه السلام * هذا نص أهل الكتاب في كتابهم وقد أعلت على أعمارهم تحت أسمائهم بالهندى كما ذكره من المدد (١) وقدمنا الكلام على عمر نوح عليه السلام فأغنى عن إعادته * وحكى الحافظ

(١) تنبيه هذه الأرقام مواهقة لما في التوراة وأما الأسماء فكثرها مخالفة لما في التوراة * مثلاً أن

ابن عساكر في ترجمة ابراهيم الخليل من تاريخه عن اسحق بن بشر الكاهلي صاحب كتاب المبتدأ أن اسم أم ابراهيم أميلة * ثم اورد عنه في خبر ولادتها له حكاية طويلة وقال الكاهلي اسمها بونا بنت كرينا بن كرتي من بني أرغشند بن سام بن نوح *

وروى ابن عساكر من غير وجه عن عكرمة أنه قال كان ابراهيم عليه السلام يكنى أبا الضيفان قالوا ولما كان عمر تلخ خمساً وسبعين سنة ولد له ابراهيم عليه السلام وتلحور وهاران وولد لها ران لوط * وعندهم أن ابراهيم عليه السلام هو الأوسط وأن هاران مات في حياة أبيه في أرضه التي ولد فيها وهي أرض السكدانيين يعنون أرض بابل * وهذا هو الصحيح المشهور عند أهل السير والتواريخ والأخبار وصحح ذلك الحافظ ابن عساكر بمد ما روى من طريق هشام بن عمار عن الوليد عن سعيد ابن عبد العزيز عن مكحول عن ابن عباس قال ولد ابراهيم بنموطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل يقال له قاسيون * ثم قال والصحيح أنه ولد ببابل . وانما نسب اليه هذا المقام لانه صلى فيه إذ جاء مميئاً للوط عليه السلام . قالوا فتزوج ابراهيم سارة وتلحور ملكا ابنة هاران يعنون بانية أخيه قالوا وكانت سارة عاقراً لاتلد قالوا وانطلق تلخ بانية ابراهيم وامرأته سارة وابن أخيه لوط بن هاران فخرج بهم من أرض السكدانيين الى أرض الكنعانيين فنزلوا حران فمات فيها تلخ وله مائتان وخمسون سنة وهذا يدل على أنه لم يولد بحران وانما مولده بأرض السكدانيين وهي أرض بابل وما والاها * ثم ارتحلوا قاصدين أرض الكنعانيين * وهي بلاد بيت المقدس فاقاموا بحران وهي أرض الكشدانيين في ذلك الزمان وكذلك أرض الجزيرة والشام أيضاً وكانوا يعبدون الكواكب السبعة . والذين عمرو مدينة دمشق كانوا اعلى هذا الدين يستقبلون القطب الشمالي ويمدون الكواكب السبعة بأنواع من الفعال والمقال * ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكواكب منها ويمسكون لها أعياداً وقرايين * وهكذا كان أهل حران يعبدون الكواكب والأصنام وكل من كان على وجه الأرض كانوا كفاراً سوى ابراهيم الخليل وامرأته وابن أخيه لوط عليهم السلام وكان الخليل عليه السلام هو الذي أزال الله به تلك الشرور وأبطل به ذلك الضلال فان الله سبحانه وتعالى آتاه رشده في صغره وابعثه رسولا واتخذة خليلا في كبره قال تعالى (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) أي كان أهلاً لذلك وقال تعالى (و ابراهيم اذ قال لقمه اعبدوا الله واتموه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله آوثاناً وتخلقون فكأن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون . وان تكذبوا فقد كذب أمم من ما فيها تلخ بدل تسارخ وسروج بدل ساروغ . وفالج بدل فالج . وارفكشاد بدل أرغشند ورعو بدل راعو ووضعنا أرقام الاعمار بمد كل اسم *

قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين. أو لم يروا كيف يبدى الله الخلق ثم يمده ان ذلك على الله يسير. قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة. ان الله على كل شئ قدير يمدب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تفلون. وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير. والذين كفروا بآيات الله ولقائه اولئك يتسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب اليم. فما كان جواب قومه الا أن قولوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار. إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون. وقال انما اتخذتم من دون الله أولئنا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من نصرين. فآمن له لوط وقال إني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم. ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب. وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين) ثم ذكر تعالى مناظرته لآيه وقومه كما سئذكره ان شاء الله تعالى. وكان أول دعوته لآيه وكان أبوه ممن يعبد الأصنام لأنه أحق الناس بخلص النصيحة له كما قال تعالى (واذ كرم في الكتاب ابراهيم إنه كان صديقا نبيا. اذ قال لآيه. ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يفتي عنك شيئا. ياأبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا. ياأبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا. ياأبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتسكون للشيطان ولما. قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجنك واهجرني مليا. قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيوا واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ان لا أكون بدعاء ربي شقيا). فذكر تعالى ما كان بينه وبين آيه من المحاوراة والمجادلة وكيف دعا أباه الى الحق بالطف عبارة. وأحسن اشارة بين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان التي لا تسمع دعاء عابدها ولا تبصر مكانه فكيف تغنى عنه شيئا أو تفعل به خيرا من رزق أو نصر * ثم قال منها على ما أعطاه الله من الهدى والعلم النافع وإن كان أصغر سنا من آيه (ياأبت إنه قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا) أي مستقيا وانحما سهلا حنيفا يفضى بك الى الخير في دنياك وأخرتك فلما عرض هذا الرشد عليه وأهدى هذه النصيحة اليه لم يقبلها منه ولا أخذها عنه بل تهدده وتوعده قال (أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجنك) قيل بالمقال وقيل بالفعل (واهجرني مليا) أي واقطعني وأطل هجراني فعندها قال له ابراهيم (سلام عليك) أي لا يصلك مني مكروه ولا يئالك مني اذى بل أنت سالم من ناحيتي وزاده خيرا فقال (سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيوا) * قال ابن عباس وغيره أي لطيفا بمعنى في أن هداني لعبادته والاختصاص له ولهذا قال (واعترلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا). وقد استغفر له ابراهيم عليه السلام كما وعده في أذعته. فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه كما قال تعالى (وما كان استغفار ابراهيم لآيه الا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له

أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حلیم)

وقال البخاری حدثنا اسمعیل بن عبد الله حدثني اخي عبد الحمید عن ابن أبي ذئب عن سمید المقبري عن أبي هريرة عن النبي (ص)، قال (يلقى إبراهيم اباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قفرة وغبرة فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول له أبوه فاليوم لأعصيك فيقول إبراهيم يارب انك وعدتني أن لا تخزني يوم يمضون وأني خزي أخزى من أبي الأبد فيقول الله إني حرمت الجنة على الكافرين . ثم يقال بالبراهيم ما تحت رجلك فينظر فإذا هو بذيخ متلخخ فيؤخذ به فأتى في النار هكذا رواه في قصة إبراهيم منفردا *

وقال في التفسير وقال إبراهيم بن طهمان عن ابن أبي ذؤيب عن سميد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة * وهكذا رواه النسائي عن احمد بن حفص بن عبد الله عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان به . وقد رواه البزار من حديث حماد بن سلمة عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه . وفي سياقه غرابة . ورواه أيضا من حديث قتادة عن عقبة بن عبد الغافر عن أبي سميد عن النبي (ص) بنحوه وقال تعالى (واذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتخذ أصناما آلهة اتى آراك وقومك في ضلال مبين) هذا يدل على أن اسم أبي إبراهيم آزر وجمهور أهل النسب منهم ابن عباس على أن اسم أبيه تلوح وأهل الكتاب يقولون تلوح بالباء المعجمة قليل إنه لقب بصم كان يبده اسمه آزر *

وقال ابن جرير والصواب أن اسمه آزر ولعل له اسمان علمان أو أحدهما لقب والآخر علم . وهذا الذي قاله محتمل والله أعلم * ثم قال تعالى (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفان . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهْدني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اتقوا ربى ما تشركون . إني وحيى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتعاجبونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شئ علما أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأتى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم) . وهذا المقام مقام مناظرة لقومه وبيان لهم أن هذه الاجرام المشاهدة من الكواكب النيرة لا تصلح للالوهية ولا أن تعبد مع الله عز وجل لانها مخلوقة مرسوبة بمصنوعة مدبرة مسخرة تطلع تارة وتأفل أخرى فتنبئ عن هذا العالم والرب تعالى لا ينيب عنه شئ ولا تخفى عليه خافية بل هو الدائم الباقي بلا زوال لاله الا هو ولا رب سواه فيبين لهم أولا عدم

صلاحية الكواكب . قيل هو الزهرة لذلك ثم ترقى منها الى القمر الذي هو أضوأ منها وأبهى من حسننها . ثم ترقى الى الشمس التي هي أشد الاجرام المشاهدة ضياء وسناء وبهاء فبين انما مسخرة مسيرة مقدره مبروبة كما قال تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اباء تمبدون) ولهذا قال (فلما رأى الشمس بازغة) أى طالمة (قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم انى برى مما تشركون . انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حينئذ وما أنا من المشركين . وحاجه قومه قال أتأجورنى فى الله وقد هدان ولا أخاف ماتشركون به الا ان يشاء ربى شيئاً) . أى لست أبلى فى هذه الآلهة التى تعبدونها من دون الله فانها لاتنفع شيئاً ولا تسمع ولا تعقل بل هي مبروبة مسخرة كالكواكب ونحوها أو مصنوعة منحوتة منحورة *
والظاهر ان موعظه هذه فى الكواكب لأهل حران فانهم كانوا يعبدونها وهذا يرد قول من زعم أنه قال هذا حين خرج من الدرب لما كان صغيراً كما ذكره ابن اسحق وغيره وهو مستند الى أخبار اسرائيلية لا يوافق بها ولا سباً اذا خالفت الحق * وأما أهل بابل فكانوا يعبدون الاصنام وهم الذين نظروهم فى عبادتها وكسرها عليهم وأهانتها وبين بطلانها كما قال تعالى (وقال لئنما اتخذتم من دون الله آوتانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا . ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويمض ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) وقال فى سورة الانبياء (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وأبؤكم فى ضلال مبين . قالوا أجبنا بالحق أم أنت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى نظرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذاً الا كبرى لهم لهم ليه يرجون . قالوا من فعل هذا بأهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقاله ابراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لهم يشهدون . قالوا أنت فعلت هذا بأهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاستلوم إن كانوا ينطقون فرجوا الى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤسهم . لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال أتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . فلما ياتاكرونى بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخيرين) وقال فى سورة الشعراء (واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نبيد أصنامنا فنظل لما ناكفنين . قال هل يسمونكم اذ تدعون او ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفأنتم ما كنتم تعبدون أنتم وأبؤكم الأقدمون . فانهم عدولى الارب العالمين . الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطمئنى ويستين . واذا مرضت فهو يشفين . والذى يمينتى ثم يمين . والذى أطعم أن يفترلى خطيئتى يوم الدين

رب هب لي حكماً والحقني بالحقين). وقال تعالى في سورة الصافات (وان من شيعته لأبراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم . اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون . ائفكاً آلهة دون الله تريدون . فما خلنكم برب العالمين . فنظر نظرة في النجوم . فقال ائني سقيم . فتولوا عنه مدبرين . فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون مالكم لاتنطقون . فراغ عليهم ضرباً باليمين فأقبلوا إليه يزفون . قال أتعبدون ما ننحوتون . والله خلقكم وما تعملون . قالوا ابناؤه بنينا فالتقوه في الجحيم . فرادوا به كيدا ليجلناهم الاسفلين) يذبح الله تعالى عن ابراهيم خليله عليه السلام انه أنكر على قومه عبادة الأوثان وحرقها عندهم وصرفها وتنقصها فقال (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) أي متكفون عندها وخاضعون لها قالوا (وجدنا آباءنا لها عابدين) ما كان حجتهم إلا صنيع الآباء والاجداد وما كانوا عليه من عبادة الانداد (قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) كما قال تعالى (اذ قال لأبيه وقومه ما ذا تعبدون . ائفكاً آلهة دون الله تريدون . فما خلنكم برب العالمين) قال قتادة فما خلنكم به أنه فاعل بكم اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره وقال لهم (هل يسمونكم اذ تدعون أو ينغمونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) سدوا له أنبأ لا تسمع داعياً ولا تنفع ولا تضر شيئاً وإنما الحامل لهم على عبادتها الاقتداء بأسلافهم ومن هو مثلهم في الضلال من الآباء الجهال ولهذا قال لهم (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فتهم عدو لي الارب العالمين) وهذا برهان قاطع على بطلان آلهية ما ادعوه من الأصنام لأنه تبرأ منها وتنقص بها فلو كانت تضر لضرته أو تؤثر لأثرت فيه (قالوا أجمئنا بالحق أم أنت من اللاعبين) يقولون هذا الكلام الذي تقولنا لنا وتنقص به آلهتنا وتعلمن بسببه في آباءنا فتقوله محققاً جداً فيه أم لاعبا) قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) يعنى بل أقول لكم ذلك جداً محققاً وإنما إلهكم الله الذي لا إله الا هو ربكم ورب كل شئ فاطر السموات والارض الخالق لهما على غير مثال سبق فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له وأنا على ذلكم من الشاهدين . وقوله (ولتلكم لأكيدين أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) أقسم ليكيدين هذه الأصنام التي يعبدونها بعد أن تولوا مدبرين الى عيديم . قيل إنه قال هذا خفية في نفسه وقال ابن مسعود سمعهم بعضهم وكان لهم عيد يذهبون اليه في كل عام سنة الى ظاهر البلد فدعاه أبوه ليحضره فقال ائني سقيم كما قال تعالى (فنظر نظرة في النجوم . فقال ائني سقيم) . عرض لهم في الكلام -حق توصل الى مقصوده من إهانة أصنامهم ونفرة دين الله الحق في بطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي تستحق أن تكسر وأن تهان غيبة الإهانة فلما خرجوا الى عيديم واستقر هو في بلدهم (راغ الى آلهتهم) أي ذهب اليها سرعاً مستخفياً فوجد هاهنا بهو عظيم وقد وضروا بين أيديها أنواعاً من الاطعمة قرباناً اليها (فقال) لما على سبيل التهمك والازدراء . (ألا تأكلون . مالكم لاتنطقون . فراغ عليهم ضرباً باليمين) لأنها أقوى وأبطش وأسرع وأقهر فكرها بقدم في يده كما قال

صلاحية الكواكب . قيل هو الزهرة لذلك ثم ترقى منها الى القمر الذي هو أضوأ منها وأبهى من حسنها .
ثم ترقى الى الشمس التي هي أشد الاجرام المشاهدة ضياء وسناء وبهاء فبين انهما مسخرة مسيرة مقطرة مربوبة
كما قال تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا يسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي
خلقهن ان كنتم اباد تعبدون) ولهذا قال (فلما رأى الشمس بازغة) أى طالمة (قال هذا ربى هذا
أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض
حنيفا وما أنا من المشركين . وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدانا ولا أخاف ما تشركون به
الا ان يشاء ربى شيئاً) . أى لست أبالي في هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله فاتها لا تنفع شيئاً
ولا تسمع ولا تعقل بل هي مربوبة مسخرة كالكواكب ونحوها أو مصنوعة منحوتة منحورة *
والظاهر ان موعظه هذه في الكواكب لأهل حران فاتهم كانوا يعبدونها وهذا يرد قول من زعم
أنه قال هذا حين خرج من الدرب لما كان صغيرا كما ذكره ابن اسحق وغيره وهو مستند الى أخبار
اسرائيلية لا يوثق بها ولا سيما اذا خالفت الحق * وأما أهل بابل فكثرت عبادتهم الاصنام وهم الذين
نظروهم في عبادتها وكسرها عليهم وأهانها وبين بطلانها كما قال تعالى (وقال إنما اتخذتم من دون الله
أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا . ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا . ومآواكم النار
ومالكم من ناصرين) وقال في سورة الانبياء (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكننا به عالمين . اذ قال لأبيه
وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم
وأبؤكم في ضلال مبين . قالوا أجبنا بالحق أم أنت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات والأرض
الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لا أكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجلهم
جدا اذا الاكبريا لهم لعلهم اليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا قفى يذكرم
يقال له ابراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم . قال
بل فعله كبيرهم هذا فاستلومهم إن كانوا ينطقون فرجوا الى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا
على رؤسهم . لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال أتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف
لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا يا نار كوني
بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجلناهم الاخسرين) وقال في سورة الشعراء (واطل عليهم نبأ
ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد أصناما فنظل لما نكفون . قال هل يسمعونكم اذ
تدعون او ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفرايتم ما كنتم تعبدون
أنتم وأبؤكم الأقدمون . فاتهم عدو لى الارب العالمين . الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعننى
ويستين . واذا مرضت فهو يشفين . والذى يميتنى ثم يحيين . والذى أطعم أن يفترلى خطيئى يوم الدين

قال (قالوا حر قوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا يا بله كوني برداً وسلاماً على إبراهيم وأرادوا به كيداً فجلبناهم الأخرين) . وذلك أنهم شرعوا يجمعون حطباً من جميع ما يمكنهم من الأماكن فكثروا مدة يجمعون له حتى أن المرأة منهم كانت إذا مرضت تندر لأن عوفيت لتحملن حطباً لحريق إبراهيم * ثم عدوا إلى جوبة عظيمة فوضعوا فيها ذلك الحطب وأطلقوا فيه النار فاضطربت وتأنجت والتهبت وعللها شر لم ير مثله قط * ثم وضعوا إبراهيم عليه السلام في كفة منجنيق صنعه لهم رجل من الأكراد يقال له هزن وكان أول من صنع المجانيق فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ثم أخذوا يقيدونه ويكتفونه وهو يقول لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك فلما وضع الخليل عليه السلام في كفة المنجنيق مقيداً مكتوفاً ثم ألقوه منه إلى النار قال حسبنا الله ونعم الوكيل كما روى البخاري عن ابن عباس أنه قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين أتى في النار وقالها محمد حين قيل له (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً . وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فاهلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) الآية *

وقال أبو يعلى حدثنا أبو هشام الرفاعي حدثنا اسحق بن سليمان عن أبي جعفر الرازي عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال (س)، لما أتى إبراهيم في النار قال اللهم إنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك *

وذكر بعض السلف أن جبريل عرض له في الهواء فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا * وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة أنه قال جل ملك المطر يقول متى أومر فأرسل المطر فكان أمر الله أسرع (قلنا يا بله كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) قال علي بن أبي طالب أي لا تضريه وقال ابن عباس وأبو العالمة لولا أن الله قال وسلاماً على إبراهيم لأذى إبراهيم بردها * وقال كعب الأحمري لم ينتفع أهل الأرض يومئذ بنار ولم يحرق منه سوى وثقه * وقال الضحاك يروى أن جبريل عليه السلام كان معه يمسح العرق عن وجهه لم يصبه منها شيء غيره * وقال السدي كان معه أيضاً ملك الظل . وصار إبراهيم عليه السلام في ميل الجوبة حوله النار وهو في روضة خضراء والناس ينظرون إليه لا يقدرون على الوصول إليه ولا هو يخرج إليهم فمن أبي هريرة أنه قال أحسن كلمة قالها أبو إبراهيم إذ قال لما رأى ولده على تلك الحال نعم الرب ربك يا إبراهيم * وروى ابن عساکر عن عكرمة أن أم إبراهيم نظرت إلى ابنتها عليه السلام فنادته يا بني لني أريد أن أجي إليك فادع الله أن ينجيني من حر النار حولك . فقال نعم فأقبلت إليه لا يمساها شيء من حر النار . فلما وصلت إليه اعتنقته وقبلته ثم عادت * وعن المنهال بن عمرو أنه قال أخبرني أن إبراهيم مكث هناك إما أربعين يوماً وإما خمسين يوماً وأنه قال ما كنت أياماً وليالي أطيب عيشاً إذ كنت فيها ووددت أن عيشي وحياتي كلها مثل إذ كنت فيها صلوات الله وسلامه عليه

فأرادوا أن يتصرفوا فخذلوا وأرادوا أن يرتضوا فارتضوا وأرادوا أن يظلموا فظلموا . قال الله تعالى
(ر . وَا بِهِ كَيْدًا فَجْلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ) وفي الآية الأخرى (الأَسْفَلِينَ) فجازوا بالخسارة والسفال
هذا في الدنيا وأما في الآخرة فإن نلهم لا تكون عليهم بردا ولا سلاما ولا يقفون فيها تحية ولا سلاما
بل هي كما قال تعالى (إنها سمات مستقرا ومقاما) .

قال البخارى حدثنا عبد الله بن موسى أو ابن سلام عنه أنبأنا ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير
عن سعيد بن المسيب عن أم شريك أن رسول الله (ص) : أمر بقتل الوزغ وقال وكان يفتح على
ابراهيم * ورواه مسلم من حديث ابن جريج * وأخرجاه والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة
كلاهما عن عبد الحميد بن جبير بن شيبه به * وقال احمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ابن جريج أخبرني عبد
الله بن عبد الرحمن بن أبي أمية أن نفعنا مولى ابن عمر أخبره أن عائشة أخبرته أن رسول الله (ص) ،
قال اقبلوا الوزغ فإنه كان يفتح النار على ابراهيم . قال فكانت عائشة تهتلن * وقال احمد حدثنا اسماعيل
حدثنا أيوب عن نافع أن امرأة دخلت على عائشة فاذا ربح منسوب هتالت ما هذا الرمح قتالت هتلت
به الأوزاغ . ثم حدثت عن رسول الله (ص) ، أن ابراهيم لما ألقى في النار جعات الدواب كلها تطفى
عنه إلا الوزغ فإنه جعل يفتحها عليه * تفرد به أحمد من هذين الوجهين *

وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا جرير حدثنا نافع حدثتني سامة مولاة الفاكه بن المغيرة قالت دخلت

على عائشة فرأيت في يدها رمحا موضوعا فقلت يا أم المؤمنين ما تصنعين بهذا الرمح

قالت هذا لهذا الأوزاغ تهتلن به فإن رسول الله (ص) : حدثنا أن ابراهيم

حين ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا تطفى عنه النار غير الوزغ

كان يفتح عليه فأمرنا رسول الله (ص) : بقتله * ورواه ابن ماجه عن أبي

بكر بن أبي شيبه عن يونس بن محمد عن جرير بن حازم به .

وذكرنا نظرة الربيع الحميد مع منة (الروحي)

الربوبية وهو أحمدر العبد الضعفاء

قال الله تعالى (ألم تر إلى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آله الله الملك إذ قال ابراهيم ربي الذي
يحي ويميت قال أنا أحي وأميت . قال ابراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
فبهت الذي كفر . والله لا يهدي القوم الظالمين) . يذكر تعالى مناظرة خليله مع هذا الملك الجبار المتمرد

الذي ادعى لنفسه الربوبية فأبطل الخليل عليه السلام دليبه وبين كثرة جهله وقلة عقله وألجمه الحجج وأوضح له طريق الحقجة *

قال المفسرون وغيرهم من علماء النسب والأخبار وهذا الملك هو ملك بابل واسمه التمرد ابن كتمان بن كوش بن سام بن نوح قاله مجاهد . وقال غيره نمروذ بن فالخ بن عابر بن صالح بن أرغخذ ابن سام بن نوح قال مجاهد وغيره وكان أحد ملوك الدنيا فانه قد ملك الدنيا فيما ذكروا أربعة مؤمنان وكافران . فالؤمنان ذو القرنين وسليمان . والكافران التمرد ويختصر وذكروا أن نمروذ هذا استمر في ملكه أربع مائة سنة وكان قد طفا وبنا وتجر وعتا وآثر الحياة الدنيا * ولما دعاه ابراهيم الخليل الى عبادة الله وحده لا شريك له حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الصانع فخاج ابراهيم الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية . فلما قال الخليل ربى الذي يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت *

قال قتادة والسدى ومحمد بن اسحق يعنى أنه إذا أتى بالرجلين قد تحتم قتلها فإذا أسر بقتل أحدها وعفا عن الآخر فكأنه قد أحيى هذا وأمات الآخر . وهذا ليس بمعارضة للخليل بل هو كلام خارجى عن مقام المناظرة ليس يمنع ولا بمعارضة بل هو تشبيب محض وهو انقطاع في الحقيقة فان الخليل استدل على وجود الصانع بحدوث هذه المشاهدات من إحياء الحيونات وموتها على وجود فاعل ذلك الذى لا بد من استنادها الى وجوده ضرورة عدم قيامها بنفسها ولا بد من فاعل لهذه الحوادث المشاهدة من خلقها وتسخيرها وتسيير هذه الكواكب والرياح والسحاب والمطر وخلق هذه الحيونات التى توجد مشاهدة ثم إمامتها ولهذا (قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت) فتول هذا الملك الجاهل أنا أحيى وأميت إن عنى أنه الفاعل لهذه المشاهدات فقد كابر وعاند وإن عنى ما ذكره قتادة والسدى ومحمد بن اسحق فلم يقل شيئا يتعلق بكلام الخليل إذ لم يمنع مقدمة ولا عارض الدليل *

ولما كان انقطاع مناظرة هذا الملك قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم ذكر دليل آخر بين وجود الصانع وبطلان ما ادعاه التمرد واقطاعه جهرة (قال فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) أى هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها خالقها ومسيرها وقاهرها . وهو الله الذى لا إله إلا هو خالق كل شئ * فان كنت كما زعمت من أنك الذى يحيى ويميت فأت بهذه الشمس من المغرب فان الذى يحيى ويميت هو الذى يضل ما يشاء ولا يمنع ولا يقابل بل قد قهر كل شئ ودان له كل شئ فان كنت كما تزعم فاقبل هذا فان لم تفعله قلت كما زعمت وأنت تعلم وكل أحد أنك لا تقدر على شئ من هذا بل أنت أعمى وأقل من أن تخلق بموضة أو تنصر منها فبين ضلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه وبطلان ما سلكه وتبجح به عند جهلة قومه ولم يبق له كلام يجيب الخليل

به بل اسس وسكت ولهذا قال (فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين) *

وقد ذكر السدي أن هذه المناظرة كانت بين ابراهيم وبين النمرود يوم خرج من النار ولم يكن
 إجتمع به يومئذ فكانت بينهما هذه المناظرة * وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم
 أن النمرود كان عنده طعام وكان الناس يفتدون اليه للميرة فوفد ابراهيم في جملة من وفد للميرة فكان
 بينهما هذه المناظرة ولم يعط ابراهيم من الطعام كما أعطى الناس بل خرج وليس معه شيء من الطعام *
 فلما قرب من أهله عمد الى كتيب من التراب فلأ منه عدليه وقال أشغل أهلي إذا قدمت عليهم فلما
 قدم وضع رحاله وجاء فاتكأ فنام فقامت امرأته سارة الى العدلين فوجتسهما ملائكتين طعاماً طيباً فتملت
 منه طعاماً * فلما استيقظ ابراهيم وجد الذي قد أصلحوه فقال أتى لكم هذا قالت من الذي جئت به
 فعرف أنه رزق رزقهموه الله عز وجل * قال زيد بن أسلم وبث الله الى ذلك الملك الجبار ملكاً يأمره
 بالايمان بالله فأبى عليه . ثم دعاه الثانية فأبى عليه . ثم الثالثة فأبى عليه . وقال اجتمع جموعك
 وأجمع جموعى فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس فأرسل الله عليه ذباباً من
 البعوض بحيث لم يروا عين الشمس وسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم ودمائهم
 وتركهم عظاماً بادية ودخلت واحدة منها في منخر الملك فكشفت في
 منخرها أربعمائة سنة عنده الله تعالى بها فكان يضرب رأسه
 بالزراب في هذه المدة كلها حتى أهلكه الله عز وجل بها

صخرة الخليل التي بدو الاسم ثم الرباير المصرية واستقرت في الأرض المقدسة

قال الله (فآمن له لوط وقال إني مهاجر الى ربي إنه هو العزيز الحكيم . ووهبنا له اسحق ويعقوب
 وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب . وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين) وقال تعالى
 (ونجيناه لوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين . ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا
 صالحين . وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا
 عابدين) لما هجر قومه في الله وهاجر من بين أظهرهم وكانت امرأته عاقراً لا يولد لها ولم يكن له من الولد
 أحديبل معه ابن أخيه لوط بن هاران بن آزر وهبه الله تعالى بعد ذلك الأولاد الصالحين وجعل في ذريته
 النبوة والكتاب فكل بي وبث بدمه فهو من ذريته وكل كتاب نزل من السماء على نبي من الأنبياء من
 بدمه فعلى أحد نسله وعقبه خلقة من الله وكرامة له حين ترك بلاده وأهله وأقرباه وهاجر الى بلديتمكن

فيها من عبادة ربه عز وجل ودعوة الخلق اليه والأرض التي قصدتها بالمجرة أرض الشام وهي التي قال الله عز وجل (إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) قاله أبي بن كعب وأبو العالية وقتادة وغيرهم * وروى العوفي عن ابن عباس قوله (إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) مكة ألم تسمع إلى قوله (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين) .

وزعم كعب الأحبار أنها حران * وقد قدمنا عن قتل أهل الكتاب أنه خرج من أرض بابل هو وابن أخيه لوط وأخوه نلحور وامرأة ابراهيم سارة وامرأة أخيه ملكا فتزلوا حران فأتى أبو ابراهيم بها وقال السدي انطلق ابراهيم ولوط قبل الشام فلقى ابراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وقد طمعت على قومها في دينهم فتزوجها على أن لا يغيرها رواه ابن جرير وهو غريب * والمشهور أنها ابنت عمه هاران الغبي تنسب إليه حران ومن زعم أنها ابنة أخيه هاران أخت لوط كما حكاه السهيلي عن القتيبي والنقاش فقد أهد النبجة وقال بلا علم وادعى ان تزويج بنت الأخت كان اذ ذاك مشروعا فليس له على ذلك دليل . ولو فرض ان هذا كان مشروعا في وقت كما هو منقول عن الربانيين من اليهود فان الانبياء لا تتماطله والله أعلم * ثم المشهور ان ابراهيم عليه السلام لما هاجر من بابل خرج بسارة مهاجراً من بلاده كما تقدم والله أعلم . وذكر أهل الكتاب أنه لما قدم الشام أوحى الله إليه إني جاعل هذه الأرض خلفك من بعدك فابتغى ابراهيم مذبحاً لله شكراً على هذه النعمة وضرب قبته شرقي بيت المقدس ثم انطلق مرتحلاً إلى التيمن وأنه كان جوع أي قحط وشدة وغلاء فارتحلوا إلى مصر وذكروا قصة سارة مع ملكها وان ابراهيم قال لها قولي أنا أخته وذكروا خدام الملك اياها هاجر . ثم أخرجهم منها فرجعوا إلى بلاد التيمن يعني أرض بيت المقدس وما والاها ومعه دواب وعبيد وأموال *

وقد قال البخاري حدثنا محمد بن محبوب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة قال لم يكن ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتان منهن في ذات الله قوله (إني سقيم) وقوله (بل فسله كبيرم هذا) وقال بينا هو ذات يوم وسارة اذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له ههنا رجل معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه وسأله عنها فقال من هذه قال أختي فأتى سارة فقال يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألني فلخبرته أنك أختي فلا تكذبيني فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يفتاؤها بيده فأخذ فقال ادعى الله لي ولا أضرك فدعت الله فأطلق ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال ادعى الله لي ولا أضرك فلما مضى حجبته فقال إنك لم تأتني بانسان وانما أتيتني بشيطان فأخذها هاجر فأتمه وهو قائم يصلي فأوماً بيده مهم فقالت رد الله كيد الكافر أو الفاجر في بحر وأخدم هاجر * قال أبو هريرة فذلك أمكم يابني ماء السماء . تفرد به من هذا الوجه موقوفاً * وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار عن عمرو بن علي الفلاس عن عبد الوهاب الثقفي عن هشام بن حسان عن محمد

ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي (س)، قال إن إبراهيم لم يكذب قط الا ثلاث كذبات كل ذلك في ذات الله قوله (أني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرم هذا) وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة اذ نزل منزلا فأتى الجبار قبيل له إنه قد نزل ههنا رجل معه امرأة من أحسن الناس . فأرسل اليه فسأله عنها فقال إنها أختي فلما رجع اليها قال ان هذا سألتني عنك فقلت إنك أختي وإنه ليس اليوم مسلم غيري وغيرك وانك أختي فلا تكذبيني عنده فأطلق بها فلما ذهب يتناولها أخذ فقال ادعى الله لي ولا أضرك فدعت له فأرسل فذهب يتناولها فأخذ مثلها أو أشد منها . فقال ادعى الله لي ولا أضرك فدعت فارسا ثلاث مرات فدعا أدنى حشمه فقال إنك لم تأتني بانسان ولكن أتيتني بشيطان أخرجه وأعطها هاجر نجيات وإبراهيم قائم يصلي فلما أحس بها انصرف فقال مهيم فقالت كفى الله كيد الظالم وأخذني هاجر وأخرجه من حديث هشام * ثم قال البزار لا نعلم أسنده عن محمد عن أبي هريرة الا هشام ورواه غيره موقوفا *

وقال الامام احمد حدثنا علي بن حفص عن ورفاه هو ابن عمر الشكري عن ابى الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله (س)، لم يكذب إبراهيم الا ثلاث كذبات قوله حين دعى الى آلهتهم فقال (أني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرم هذا) وقوله لسارة (إنها أختي) قال ودخل إبراهيم قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة قبيل دخل إبراهيم الليلة باسراة من أحسن الناس قال فأرسل اليه الملك أو الجبار من هذه مملك قال أختي قال فأرسل بها قال فأرسل بها اليه وقال لا تكذبي قولي فني قد أخبرته أنك أختي إن على الارض مؤمن غيري وغيرك فلما دخلت عليه قام اليها فاقبلت توضأ وتصلى وتقول اللهم ان كنت تعلم انى آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجى الا على زوجى فلا تسلط على الكافر قال فقط حتى ركض برجله قال أبو الزناد قال أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة إنها قالت اللهم ان يمت يقال هي قامتة قال فأرسل قال ثم قام اليها قال قامت توضأ وتصلى وتقول (اللهم ان كنت تعلم انى آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجى إلا على زوجى فلا تسلط على الكافر) قال فقط حتى ركض برجله قال أبو الزناد وقال أبو سلمة عن أبي هريرة انها قالت اللهم ان يمت يقل هي قامتة قال فأرسل قال فقال في الثالثة أو الرابعة ما أرسلتم الى الا شيطانا ارجعوه الى إبراهيم وأعطوها هاجر قال فرجعت فقالت لإبراهيم أشمرت ان الله رد كيد الكافرين وأخدم وليدة * تفرد به احمد من هذا الوجه وهو على شرط لصحيح * وقد رواه البخارى عن أبى الهيثم عن شعيب بن أبى حمزة عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة عن النبي (س)، به مختصرا * وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابى حدثنا سفيان عن علي بن زيد ابن جهمان عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال قال رسول الله (س)، فى بكات إبراهيم الثلاث التي قال ما منها كلمة الا ما حل بها عن دين الله فقال إنى سقيم وقال بل فعله كبيرم هذا وقال للملك حين اراد امراته هي أختي فقوله فى الحديث هي أختي أى فى دين الله وقوله لما إنه ليس على وجه الارض مؤمن

غيرى وغيرك يعنى زوجين مؤمنين غيرى وغيرك ويتمين حمله على هذا لان لوطا كان معهم وهو نبي عليه السلام وقوله فالما رجعت اليه مهم معناه ما انطيرت قلت ان الله رد كيد الكافرين. وفي رواية الفاجر وهو الملك وأخدم جارية وكان ابراهيم عليه السلام من وقت ذهب بها الى الملك قام يصلى لله عز وجل ويسأله أن يدفع عن أهله وأن يرد بأس هذا الذى اراد اهله بسوء وهكذا فقلت هى ايضا فلما اراد عدو الله ان ينال منها أمراً قامت الى وضوئها وصلاتها ودعت الله عز وجل بما تقدم من الدعاء العظيم ولهذا قال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة) فمصمها الله وصاتها لعصمة عبده ورسوله وحبيبه وخليفه ابراهيم عليه السلام

وقد ذهب بعض العلماء الى نبوة ثلاث نسوة سارة وأم موسى ومريم عليهم السلام * والذى عليه الجمهور أنهم صدقات رضى الله عنهم وارضاهن * ورأيت فى بعض الآثار أن الله عز وجل كشف الحجاب فيما بين ابراهيم عليه السلام وبينها فلم يزل يراها منذ خرجت من عنده الى أن رجعت اليه وكان مشاهدا لها وهى عند الملك وكيف عصمها الله منه ليكون ذلك أطيب لقلبه وأقر لعينه وأشد لطمأنته فانه كان يحبها حبا شديدا لدينها وقرابتها منه وحسنها الباهر فانه قد قيل إنه لم تكن امرأة بعد حواء الى زمانها أحسن منها رضى الله عنها * والله الحمد والمنة *

وذكر بعض أهل التواريخ أن فرعون مصر هذا كان أخا للضحك الملك المشهور بالظلم وكان عاملا لآخيه على مصر * ويقال كان اسمه سينان بن علوان بن عبيد بن عويج بن عملاق بن لاود بن سام ابن نوح . وذكر ابن هشام فى التيجان أن الذى أرادها عمرو بن اسرى القيس بن مايلون (١) بن سبأ وكان على مصر قبله السهيلي فأنه أعلم *

ثم إن الخليل عليه السلام رجع من بلاد مصر الى أرض التيمن وهى الأرض المقدسة التى كان فيها ومعه أرقام وعبيد ومال جزيل وصحبتهم هاجر التبطينية المصرية ثم إن لوطا عليه السلام تزح بماله من الاموال الجزيلة بأمر الخليل له فى ذلك الى أرض الغور المعروف بنور زغر فتزل بمدينة سدوم وهى أم تلك البلاد فى ذلك الزمان وكان أهلها أشرا وأكفارا نجارا وأوحى الله تعالى الى ابراهيم الخليل فأمره أن يمد بصره وينظر شمالا وجنوبا وشرقا وغربا وبشره بان هذه الأرض كلها سأجعلها لك وخلقتك الى آخر الدهر وسأكثر ذريتك حتى يصيروا بمدد تراب الأرض * وهذه البشارة اتصلت بهذه الأمة بل ما كذبت ولا كانت أعظم منها فى هذه الأمة المحمدية * يؤيد ذلك قول رسول الله (ص)، ان الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربها وسيبلغ ملك أمى مازوى لى منها . قالوا ثم أن طائفة من الجبارين تسلطوا على لوط عليه السلام فأسروه وأخذوا أمواله واستاقوا انعامه فلما بلغ

(١) قوله مايلون كذا فى النسختين المصريتين والذى فى النسخة الخليلية مايلون

أمواله وقتل من أعداء الله ورسوله خلقا كثيرا وهزمهم وساق في آلهم حتى وصل الى شرق دمشق وعسكر بظاهرها عند برزة وأظن مقام ابراهيم اتماسمى لأنه كان موقف جيش الخليل والله أعلم .
ثم رجع مؤيداً منصوراً الى بلاده وتلقاه ملوك بلاد بيت المقدس معظمين له مكرمين خاضعين واستقر ببلاده صلوات الله وسلامه عليه *

ذكر مولد اسماعيل عليه السلام من هاجر

قال أهل الكتاب إن ابراهيم عليه السلام سأل الله ذرية طيبة وأن الله بشره بذلك وأنه لما كان لابراهيم ببلاد بيت المقدس عشرون سنة قالت سارة لابراهيم عليه السلام إن الرب قد أحرمني الولد فادخل على أمتي هذه لعل الله يرزقني منها ولدا فلما وهبتها له دخل بها ابراهيم عليه السلام فحين دخل بها حملت منه قالوا فلما حملت ارتفعت نفسها وتعاظمت على سيدتها ففارت منها سارة فشكت ذلك الى ابراهيم فقال لها افضلي بها ماشئت فخافت هاجر فهربت فنزلت عند عين هناك فقال لها ملك من الملائكة لا تخافي فإن الله جاعل من هذا الغلام الذي حملت خيراً وأمرها بالرجوع وبشرها أنها ستلد ابناً ونسبه اسماعيل ويكون وحش الناس يده على الكحل ويد الكحل به ويملك جميع بلاد إخوته فشكرت الله عزوجل على ذلك . وهذه البشارة إنما انطبقت على ولده محمد صلوات الله وسلامه عليه فانه الذي سادت به العرب وملكت جميع البلاد غربا وشرقا وأنها الله من العلم النافع والعمل الصالح مالم تؤت أمة من الأمم قبلهم وماذاك إلا بشرف رسولها على سائر الرسل وبركة رسالته وبمن بشارته وكاله فيما جاء به وعموم بعثته لجميع أهل الأرض . ولما رجعت هاجر وضعت اسماعيل عليه السلام قالوا وولده ولا ابراهيم من العمر ست وثمانون سنة قبل مولد اسحق بثلاث عشرة سنة * ولما ولد اسماعيل أوحى الله الى ابراهيم يبشره باسحق من سارة فخر الله ساجداً وقال له قد استجبت لك في اسماعيل وباركت عليه وكثرته ونميته جداً كثيرا ويولد له اثنا عشر عظيماً * وأجمله رئيساً لشعب عظيم وهذه ايضا بشارة بهذه الأمة العظيمة وهؤلاء الاثنا عشر عظيماً الخلفاء الراشدون الاثنا عشر المبشر بهم في حديث عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة عن النبي (ص) قال (يكون اثنا عشر أميراً) ثم قال كلمة لم افهمها فسألت أبي ما قال قال (كلهم من قريش) أخرجه في الصحيحين . وفي رواية لا يزال هذا الأمر قائماً في رواية عزيراً حتى يكون اثنا عشر خليفة كلهم من قريش . فهؤلاء منهم الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي . ومنهم عمر بن عبد العزيز ايضا . ومنهم بعض بني العباس وليس المراد أنهم يكونون اثني عشر فسقاً بل لا بد من وجودهم وليس المراد الأئمة الاثني عشر الذين يعتقد فيهم الراضية الذين أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم المنتظر بسرداب سامرا وهو محمد ابن الحسن العسكري فيما يزعمون فان أولئك لم يكن فيهم أنفع من

على وإبنة الحسن بن علي حين ترك القتال وسلم الأمر لمعاوية وأخذ نل الفتنة وسكن رحى الحروب بين المسلمين والباقون من جملة الرعايا لم يكن لهم حكم على الأمة في أمر من الأمور * وأما ما متقدونه سرداب سامرا فذاك هوس في الرؤس وهذيان في النفوس لاحقيقة له ولا عين ولا أثر *

والمقصود أن هاجر عليها السلام لما ولد لها اسماعيل اشتدت غيرة سارة منها وطلبت من الخليل أن ينيب وجهها عنها فذهب بها وبولدها فصار بهما حتى وضعهما حيث مكة اليوم ويقال إن ولدها كان إذ ذاك رضيعا فلما تركها هناك وولى ظهره عنها قامت إليه هاجر وتعلقت بئياه وقالت يا ابراهيم أين تذهب وتدعنا ههنا وليس معنا ما يكفيننا فلم يجبها فلما ألحت عليه وهو لا يجيبها قالت له الله أمرك بهذا قال نعم قالت فإذا لا يضيعنا * وقد ذكر الشيخ أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله في كتاب التوادر أن سارة تفضت على هاجر خلفت لتطمئن ثلاثة أعضاء منها فأمرها الخليل أن تتقب اذنيها وأن تخفضها فتبر قسما * قال السهيلي فكانت أول من اختن من النساء وأول من تمبت أذنها منهن وأول من طولت ذيلها *

فكرها حيرة ليلهم بانه السمايس وألته هاجر الجميل فالله وهما الرضى ملكة وبنائه البيت العتيق

قال البخارى قال عبد الله بن محمد هو أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرزاق حدثنا حمر عن أيوب السخيانى وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة يزيد أحدها على الآخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسماعيل اتخذت منطلقا لتعنى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبأبنا اسماعيل وهى ترضه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم فقى ابراهيم منطلقا فبعته أم اسماعيل فقالت يا ابراهيم أين تذهب وتركننا بهذا الوادى الذى ليس به أنس ولا شئ فقالت له ذلك مراراً وجمل لا يلتفت إليها فقالت له الله أمرك بهذا قال نعم قالت إذا لا يضيعنا . ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند

يتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثرات لعلمهم يشكرون) وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السماء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يلتوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف ذراعها ثم سمعت سعى الانسان المجهود حتى إذا جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات * قال ابن عباس قال النبي (ص) ، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صه تريد نفسها . ثم سمعت فسمعت أيضاً فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبعث بقمبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجلت تخوضه وتقول يدها هكذا وجعلت تقرف من الماء في سقاها وهي تفور بعد ما تترف * قال ابن عباس قال النبي (ص) ، (يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم) أو قال (لو لم تقرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا) فشربت وأرضت ولدها فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فان ههنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الأرض كالراية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رقعة من جرم أو أهل بيت من جرم مقبلين من طريق كذا فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عاثفاً فقالوا ان هذا الطائر ليدور على الماء لمهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا جريا أو جريين فلذا هم بالماء فرجعوا فآخبروهم بالماء فاقبلوا قال وأم اسمعيل عند الماء فقالوا تأذنين لنا ان نزل عندك نعم ولكن لاحق لكم في الماء قالوا نعم * قال عبد الله بن عباس قال النبي (ص) ، فالتى ذلك أم اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا وأرسلوا الى أهلهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل آيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجته امرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسأل امرأته فقالت خرج بيتي لنا . ثم سألتها عن عيشهم وهيتمهم فقالت نحن بشر في ضيق وشدة وشكت اليه * قال فإذا جاء زوجك اقرني عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كأنه آنس شيئاً فقال هل جاءكم من أحد فقالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسالنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة . قال فهل أوصاك بشي قالت نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك قال ذاك أبي وأمرني أن أفارقك فالحق بأهلك فطلقتها وتزوج منهم أخرى وليث عنهم ابراهيم ما شاء الله * ثم أتاهم بعد فلم يجدوه فدخل على امرأته فسالها عنه فقالت خرج بيتي لنا قال كيف أنتم وسألتها عن عيشهم وهيتمهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله فقال ما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء . قال اللهم برك لهم في اللحم والماء .

قال النبي (س)، ولم يكن لهم يومئذ حب . ولو كان لهم حب لسا لهم فيه فما لا يخلو عليها أحد (١)
 بين مكة الالم يواقاه قال فاذا جاء زوجك فاقرني عليه السلام ومر به يثب عتبة بابه فلما جاء اسميل
 قال هل آتاكم من أحد قالت نعم آتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فاخبرته فسألني كيف
 عيشنا فاخبرته أنا بخير قال فأوصاك بشي قالت نعم هو يقرأ عليك السلام وبأسرك أن تثبت عتبة بابك
 قال ذاك أبي وأمرني أن أمسكك * ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بمد ذلك واسميل يبرى بنباله تحت
 دوحه قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الولد بالوالد والوالد بالولد * ثم قال يا اسميل إن
 الله أمرني بأمر قال فاصنع ما أمرك به ربك قال وتعيني قال وأعينك قال فان الله أمرني ان أبني ههنا
 بيتا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فحمل اسميل يأتي بالحجارة
 وابراهيم يني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسميل يناوله الحجارة
 وهما يقولان (ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم) قال وجملا بينيان حتى يدورا حول البيت وهما
 يقولان (ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم) ثم قال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو عامر عبد الملك
 ابن عمرو حدثنا ابراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما كان من
 ابراهيم وأهله ما كان خرج باسميل وأم اسميل ومعهم شنة فيها ماء * وذكر تمامه بنحو ما تقدم وهذا
 الحديث من كلام ابن عباس وموشح يرفع بعضه وفي بعضه غرابة وكأنه مما تلقاه ابن عباس عن
 الاسرائيليات * وفيه أن اسميل كان رضيعا اذ ذاك * وعند أهل التوراه أن ابراهيم أمره الله بان يخن
 ولده اسميل وكل من عنده من العبيد وغيرهم فخنهم وذلك بعد مضي تسع وتسعين سنة من عمره فيكون
 عمر اسميل يومئذ ثلاث عشرة سنة وهذا امثال لاسر الله عز وجل في أهله فيدل على أنه فعله على وجه
 الوجوب ولهذا كان الصحيح من أقوال العلماء انه واجب على الرجال كما هو مقرر في موضعه

وقد ثبت في الحديث الذي رواه البخاري حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن
 القرشي عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال النبي (س)، اختن ابراهيم النبي عليه السلام
 وهو ابن ثمانين سنة بالقدم * تابعه عبد الرحمن بن اسحق عن أبي الزناد * تابعه مجلان عن أبي هريرة
 ورواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة * وهكذا رواه مسلم عن قتيبة به * وفي بعض الالفاظ
 اختن ابراهيم بسد ما أتت عليه ثمانون سنة واختن بالقدم والقدم نحو الآلة وقيل موضع وهذا

(١) قوله فيها لا يخلو عليها أحد الى قوله الالم يواقاه كذا بالأصول الشامية والمصرية وهو سقيم
 وفي مثل هذا الموضع من العرائس للثعلبي فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر لكانت مكة
 أكثر أرض الله برا وشعيروا وتمر انتهى عن (محمود الامام)

اللفظ لا يتناقى الزيادة على الثمانين . والله أعلم لما سيأتي من الحديث عند ذكر وفاته عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) ، أنه قال اختنن إبراهيم وهو ابن مائة وعشرين سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة رواه ابن حبان في صحيحه . وليس في هذا السياق ذكر قصة الذبيح وأنه اسميل ولم يذكر في قدماء ملأ إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث مرات أولاهن بعد أن تزوج اسميل بعد موت هاجر وكيف تركهم من حين صغر الولد على ما ذكر إلى حين تزويجه لا ينظر في حالهم . وقد ذكر أن الأرض كانت تطوى له وقيل إنه كان يركب البراق إذا سار إليهم فكيف يتخلف عن مطالعة حالهم وهم في غاية الضرورة الشديدة والحاجة الأكيدة * وكان بعض هذا السياق متلقى من الأسرئيليات ومطرز بشئ من المرفوعات ولم يذكر فيه قصة الذبيح وقد دللنا على أن الذبيح هو اسميل على الصحيح في سورة الصافات

قصة النزوح

قال الله تعالى (وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين . رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بنحام حلیم فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتلاه للجبين . وتلدنيان ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا هو البلاء المبين . وقدنيان بذي عظيم . وتركنا عليه في الاخرين . سلام على ابراهيم . كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه بأسحق نبيا من الصالحين . وبوركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) . يذكر تعالى عن خليله ابراهيم أنه لما هاجر من بلاد قومه سأل ربه ان يهب له ولدا صالحا فيبشره الله تعالى بنحام حلیم وهو اسماعيل عليه السلام لانه أول من ولد له على رأس ست وثمانين سنة من عمر الخليل . وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل الملل لأنه أول ولده وبكره وقوله (فلما بلغ معه السعي) أي شب وصار يسعى في مصالحه كما به قال مجاهد (فلما بلغ معه السعي) أي شب وارتحل وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل . فلما كان هذا رأى ابراهيم عليه السلام في المنام أنه يؤمر بذي عظيم ولده * هذا . وفي الحديث عن ابن عباس مرفوعا رؤيا الانبياء وحى * قاله عبيد ابن عمير أيضا وهذا اختبار من الله عز وجل لخليله في أن يذبح هذا الولد العزيز الذي جاءه على كبر وقد طمن في السن بعد ما أمر بان يسكنه هو وأمه في بلاد قهر وواد ليس به حسيس ولا أنيس ولا زرع ولا ضرع فلم يمتل أمر الله في ذلك وتركها هناك لله وتوكل عليه فبصل الله لهما فرجا ومخرجا ورزقها من حيث لا يحتسبان . ثم لما أمر بعد هذا كله بذي عظيم ولده هذا الذي قد أفرد عن امره وهو بكره ووحيدته الذي ليس له غيره أجاب ربه وامتل أمره وسارع إلى طاعته ثم عرض ذلك على ولده ليكون أطيب قلبه وأهون عليه من أن يأخذ قسرا ويذبحه قهرا (قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر

ماذا ترى) فبادر الغلام الحليم سر والده الخليل ابراهيم قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين * وهذا الجواب فى غاية السداد والطاعة للوالد ورب العباد قال الله تعالى (فلما أسلما وتله للجبين) قيل أسلما أى استسلما لأمر الله وعزما على ذلك . وقيل هذا من المقدم والمؤخر والمعنى تله للجبين أى ألقاه على وجهه . قيل أراد أن يذبحه من قناه لئلا يشاهده فى حال ذبحه قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقادة والضحاك . وقيل بل أضجمه كما تضعج الذبائح وبقي طرف جبينه لاصقا بالأرض وأسلما أى سعى ابراهيم وكبر وتشهد الولد للموت * قال السدى وغيره أمر السكين على حلقه فلم تقطع شيئا ويقال جعل بينها وبين حلقه صفيحة من نحاس والله أعلم . فعند ذلك نودى من الله عز وجل (أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أى قد حصل المقصود من اختبارك وطاعتك ومبادرتك الى أمر ربك وبذلك ولدك للقرآن كما سمحت بيدك للقرآن وكما مالك مبذول للضعفان ولهذا قال تعالى (إن هذا هو البلاء المبين) أى الاختبار الظاهر البين وقوله (وفديناه بذبح عظيم) أى وجعلنا فداء ذبح ولده مايسره الله تعالى له من الموضع عنه والمشهور عن الجمهور أنه كبش أبيض أعين أقرن رآه مربوطا بسرة فى ثبير . قال الثورى عن عبدالله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كبش قد رعى فى الجنة أربعين خريفا (١) وقال سعيد بن جبير كان يرتع فى الجنة حتى تشقق عنه ثبير وكان عليه عن أحمر . وعن ابن عباس هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له فناء فذبحه وهو الكبش الذى قربه ابن آدم فتقبل منه . رواه ابن أبى حاتم *

قال مجاهد فدبحه بمنى وقال عبيد بن عمير ذبحه بالمقام . فأما ما روى عن ابن عباس أنه كان وعلا وعن الحسن أنه كان تيسا من الأروى . واسمه جرير فلا يكاد يصح عنهما * ثم غالب ما هبنا من الآثار مأخوذ من الاسرائيليات * وفى القرآن كفاية عما جرى من الأمر العظيم والاختبار الباهر وأنه فدى بذبح عظيم وقد ورد فى الحديث أنه كان كبشا * قال الامام أحمد حدثنا سفيان حدثنا منصور عن خاله نافع عن صفية بنت شيبة قالت أخبرتنى امرأة من بنى سليم ولدت عامة أهل دارنا قالت أرسل رسول الله (ص) الى عثمان بن طلحة وقال مرة إنها سألت عثمان لم دعاك رسول الله (ص) قال إني كنت رأيت قرنى الكبش حين دخلت البيت فتسيت أن أمرك أن تخمرها فخرها فانه لا يذبح ، أن يكون فى البيت شئ يشغل المصلى قال سفيان لم تزل قرنا الكبش فى البيت حتى احترق البيت فاحترقا . وهذا روى عن ابن عباس أن رأس الكبش لم يزل معلقا عند ميزاب الكعبة قد ييس . وهذا وحده دليل على أن الذبيح اسميل لأنه كان هو المقيم بمكة . واسحق لا نعلم أنه قدمها فى حال صغره والله أعلم . وهذا هو الظاهر من القرآن بل كأنه نص على أن الذبيح هو اسميل لانه ذكر قصة الذبيح ثم قال

(١) وفى نسخة سبعين خريفا *

بده (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) ومن جملة حال فقد تكلف ومستنده أنه اسحق وإنما هو اسراييليات وكتابهم فيه تحريف ولا سيما ههنا قطعا لا محيد عنه فان عندهم أن الله أمر ابراهيم أن يذبح ابنه وحده وفي نسخة من العربية بكره اسحق فلفظة اسحق ههنا مقحمة مكذوبة مفتراة لانه ليس هو الوحيد ولا البكر . ذلك اسمعيل . وإنما حملهم على هذا حسد العرب فان اسمعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز الذين منهم رسول الله ص ، واسحق والد يعقوب وهو اسراييل الذين يتسبون اليه فارادوا أن يمحروا هذا الشرف اليمم فحرفوا كلام الله وزادوا فيه وهم قوم بهت ولم يقرأوا بان الفضل يد الله يؤتية من يشاء . وقد قال بانه اسحق طائفة كثيرة من السلف وغيرهم . وإنما أخذوه والله أعلم من كتب الاجاب أو صحف أهل الكتاب وليس في ذلك حديث صحيح عن المصوم حتى تترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز ولا يفهم هذا من القرآن بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التأمل على أنه اسمعيل . وما أحسن ما استدلل محمد بن كعب القرظي على أنه اسمعيل وليس باسحق من قوله فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحق يعقوب قال فكيف تقع البشارة باسحق وأنه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح اسحق وهو صغير قبل أن يولد له هذا لا يكون لانه يناقض البشارة المتقدمة والله أعلم *

وقد اعترض السهيلي على هذا الاستدلال بما حاصله أن قوله (فبشرناها باسحاق) جملة تامة وقوله (ومن وراء إسحاق يعقوب) جملة أخرى ليست في حيز البشارة . قال لانه لا يجوز من حيث العربية أن يكون مخفوضا إلا أن يمد معه حرف الجر فلا يجوز أن يقال مررت بزید ومن بده عمرو حتى يقال ومن بده بمر . وقال قهرله (ومن وراء إسحق يعقوب) منصوب بفعل مضمر تقديره (ووهبنا لاسحق يعقوب) وفي هذا الذي قاله نظر . ورجح أنه اسحاق واحتج بقوله (فلما بلغ معه السعي) قال واسماعيل لم يكن عنده انما كان في حال صفه هو وأمه بجبال مكة فكيف يبلغ معه السعي * وهذا أيضا فيه نظر لانه قد روى أن الخليل كان يذهب في كثير من الأوقات راكبا البراق الى مكة يطلع على ولده وابنه ثم يرجع والله أعلم * فنحكي القول عنه بأنه اسحق كعب الأخبار * وروى عن عمر والعباس وعلى وابن مسعود ومسروق وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والشعبى ومقاتل وعبيد بن عمر وأبي ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق والزهرى والقاسم وابن أبي بردة ومكحول وعثمان بن حاضر والسدى والحسن وقادة وأبي الهذيل وابن سابط وهو اختيار ابن جرير وهذا عجيب منه وهو إضحى الروايتين عن ابن عباس ولكن الصحيح عنه وعن أكثر هؤلاء أنه اسماعيل عليه السلام . قال مجاهد وسعيد والشعبى ويوسف بن مهران وعطاء وغير واحد عن ابن عباس هو اسماعيل عليه السلام وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني عمرو بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال المنذرى اسماعيل وزعمت اليهود أنه اسحق وكذبت اليهود * وقال عبد الله بن الأمام احمد

عن أبيه هو اسماعيل * وقال ابن أبي حاتم سألت أبي عن الذبيح فقال الصحيح أنه اسماعيل عليه السلام * قال ابن أبي حاتم وروى عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب وسعيد ابن جبير والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب وأبي جعفر محمد بن علي وأبي صالح أنهم قالوا الذبيح هو اسماعيل عليه السلام * وحكاه البغوي أيضا عن الربيع بن أنس والسكابي وأبي عمرو بن العلاء * قلت وروى عن معاوية وجاء عنه أن رجلا قال لرسول (ص)، يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله (ص)، وإليه ذهب عمر بن عبد العزيز ومحمد بن اسحاق بن يسار وكان الحسن البصري يقول لاشك في هذا وقال محمد بن اسحاق عن بريده عن سفيان بن فروة الاسلمى عن محمد بن كعب انه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كان معه بالشام يعنى استدلاله بقوله بعد العصمة فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فقال له عمر إن هذا الشيء ما كنت انظر فيه وإني لأراه كما قلت.

ثم أرسل الى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فأسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علمائهم قال فسأله عمر بن عبد العزيز أى ابني ابراهيم أمر بذبحه فقال اسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإن اليهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون أبائكم الذى كان من أمر الله فيه والفضل الذى ذكره الله منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه اسحق لأن اسحق أبوم * وقد ذكرنا هذه المسئلة مستقصاة بأدلتها وآثارها في كتابنا التفسير والله الحمد والمنة

سورة اسحاق

قال الله تعالى (وبشرناه باسحق نبياً من الصالحين . وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) * وقد كانت البشارة به من الملائكة لابراهيم وسارة لما مروا بهم محتارين ذاهبين الى مدائن قوم لوط ليدمروا عليهم لكنهم وغرورهم كما سيأتى بيانه في مرآة ان شاء الله تعالى قال الله تعالى (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فابلث ان جاء بمجل حنيد . فلما رأى أيديهم لا تصل اليهم نكرمهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكك فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب . قالت يا ويلقى أأل . وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً إن هنا لشيء عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) وقال تعالى (وبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون . قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم . قال أبشرتموني على أن مسنى الكبر فبم تبشرون . قالوا بشركنا بلحقنا فلا

تسكن من القانطين . قال ومن يقنط من رحمة ربه (إلا الضالون) وقال تعالى (هل أتاك حديث ضيف
 ابراهيم المكرم . إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون . فراغ الى أهله ثغاء بمجل
 سمين . فقربه اليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بنلام عليم . فأدات
 امرأته في صرة فضكت وجهها وقالت عجوز عقيم . قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم) يذكر
 تعالى أن الملائكة قالوا وكانوا ثلاثة حبريل وميكائيل واسرافيل لما وردوا على الخليل حسبهم أصيافا
 فمالمهم ماملة الضيوف شوى لهم عجلا سمينا من خيار بقره فلما قربه اليهم وعرض عليهم لم ير لهم
 الى الأكل بل كاية وذلك لأن الملائكة ليس فيهم قوة الحاجة الى الطعام (فكرهم) ابراهيم (وأوجس
 منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا الى قوم لوط) . أى لندمر عليهم فاستبشرت عند ذلك سارة غضبا لله
 عليهم وكانت قائمة على رؤس الأضياف كما جرت به عادة الناس من العرب وغيرهم فلما نضجت استشاراً
 بذلك قال الله تعالى (فبشرناها باسحق ومن وراءه اسحق يعقوب) أى بشرتها الملائكة بذلك (فاقلت
 امرأته في صرة) أى فى صرخة (فضكت وجهها) أى كما يفعل النساء عند التعجب) وقالت ياويلتى أألد
 وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً) أى كيف يلد مثلى وأنا كبيرة وعقيم ايضا وهذا بعلى أى زوجى نسياً
 تعجبت من وجود ولد والحالة هذه ولهذا قالت (إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله
 وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) وكذلك تعجب ابراهيم عليه السلام استبشاراً بهذه البشارة
 وتثبيتاً لها وفرحاً بها (قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فم تبشرون . قالوا بشرناك بالحق فلا تسكن
 من القانطين) أكدوا الخبر بهذه البشارة وقرروه معه فبشروها (بنلام عليم) . وهو اسحق وأخوه
 اسماعيل غلام حليم مناسب لمقامه وصبره وهكذا وصفه ربه بصدق الوعد والصبر . وقال فى الآية
 الأخرى (فبشرناها باسحق ومن وراءه اسحق يعقوب) وهذا بما استدلل به محمد بن كعب القرظى وغيره
 على أن الذبيح هو اسماعيل وأن اسحق لا يجوز أن يؤمر بذبحه بعد أن وقعت البشارة بوجوده ووجود
 ولده يعقوب المشتق من العقب من بعده *

وعند أهل الكتاب أنه أحضر مع العجل الحنيد وهو المشوى رغيفا من مكة فيه ثلاثة أكبا
 وسمن ولبن . وعندهم أنهم أكلوا وهذا غلط محض * وقيل كانوا يودون أنهم يأكلون والطعام
 يتلاشى فى الهواء . وعندهم أن الله تعالى قال لابراهيم أما سارا امرأتك فلا يدعى اسمها سارا ولكن
 اسمها سارة وأبارك عليها وأعطيتك منها ابنا وأباركه ويكون الشعوب وملوك الشعوب منه فخر ابراهيم
 على وجهه يعنى ساجدا ونحك قائلا فى نفسه أبعد مائة سنة يولد لى غلام أو سارة تلد وقد أنت عليها
 تسعون سنة . وقال ابراهيم لله تعالى ليت اسماعيل يعيش قدامك فقال الله لابراهيم بحق إن امرأتك سارة

فلك غلاما وتدعو اسمه اسحق الى مثل هذا المين من قابل واوتقه ميثاق الى الدهر ونخلفه من بعده وقد استجبت لك في اسما عيل وباركت عليه وكبرته ونميتة جدا كثيرا ويولد له اثنا عشر عظيما واجمله رئيسا لشعب عظيم * ومد تكلمنا على هذا بما تقدم والله أعلم. فقوله تعالى (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) دليل على انها تستمع بوجود ولدها اسحق ثم من بعده يولد ولده يعقوب أى يولد في حياتها لتقر أعينها به كما قررت بولده . ولو لم يرد هذا لم يكن لذكر يعقوب وتخصيص التنصيص عليه من دون سائر نسل اسحق فائدة ولما عين بالذكر دل على انها يتمتتان به ويسران بولده كما سرا بمولد أبيه من قبله وقال تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا) وقال تعالى (فلما اعتزلهم وما يبدون من دون الله ووهبنا له اسحق ويعقوب) وهذا ان شاء الله ظاهر قوى ويؤيده ما ثبت في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن ابراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أى مسجد وضع أول قال المسجد الحرام قلت ثم أى قال المسجد الأقصى . قلت كم بينهما قال أربعون سنة قلت ثم أى قال ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكانها مسجد . وعند أهل الكتاب أن يعقوب عليه السلام هو الذى اسس المسجد الأقصى وهو مسجد ايليا بيت المقدس شرفه الله . وهذا متجه ويشهد له ما ذكرناه من الحديث فلى هذا يكون بناء يعقوب وهو اسرائيل عليه السلام بد بناء الخليل وابنه اسما عيل المسجد الحرام بأربعين سنة سواء وقد كان بناؤها ذلك بعد وجود اسحق لأن ابراهيم عليه السلام لما دعا قال في دعائه كما قال تعالى (واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا البلدا آمنا وان اجنبتى وبني أن نعبد الأصنام . رب إنهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبقي فانه من عصائي فانك غفور رحيم . ربنا إني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون . ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شئ في الأرض ولا في السماء . الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسما عيل واسحق إن ربى لسبب الدعاء . رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللؤمنين يوم يقوم الحساب) . وما جاء في الحديث من أن سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلا لا ثلاثا كما ذكرناه عند قوله (رب اغفر لى ملكا لا ينبغي لاحد من بدى) وكما سنورده في قصته فالمراد من ذلك والله أعلم أنه جدد بناءه كما تقدم من أن بينهما أربعين سنة ولم يقل أحد إن بين سليمان و ابراهيم أربعين سنة - سوى ابن حبان في تقاسيه وأنواعه وهذا القول لم يوافق عليه ولا سبق اليه

بناء البيت القيصري

قال الله تعالى (واذ بواء ابراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذنى للناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) وقال تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا . والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا . ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) وقال تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن . قال إني جاعلك للناس اماما . قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين . واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والما كفين والركع السجود . واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامته قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا قبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا منا سكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) يذكر تعالى عن عبده ورسوله وصفيه وخليله إمام الخفاء ووالد الانبياء عليه أفضل صلاة وتسليم أنه بنى البيت العتيق الذى هو أول مسجد وضع لعموم الناس يبدون الله فيه وبوآه الله مكانه أى ارشده اليه ودله عليه * وقد روينا عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب وغيره أنه ارشد اليه بوحي من الله عز وجل . وقد قدمنا فى صفة خلق السموات أن الكعبة بجبال البيت المعمور بحيث أنه لو سقط لسقط عليها وكذلك معابد السموات السبع كما قال بعض السلف إن فى كل سماء بيتا يعبد الله فيه أهل كل سماء وهو فيها كالكعبة لأهل الأرض فأمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام أن يبنى له بيتا يكون لأهل الأرض كذلك المعابد للملائكة السموات وأرشدته الله الى مكان البيت المشيا له المعين لذلك منذ خلق السموات والأرض كما ثبت فى الصحيحين أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمه الله الى يوم القيامة ولم يجس في خير صحيح عن مصوم أن البيت كان مبنا قبل الخليل عليه السلام * ومن تمسك فى هذا بقوله مكان البيت فليس بناهض ولا ظاهر لأن المراد مكانه المقدر فى علم الله المقرر فى قدرته العظيم عند الانبياء موضعه من لدن آدم الى زمان ابراهيم * وقد ذكرنا أن آدم نصب عليه قبة وأن الملائكة قالوا له قد طهنا قبلك بهذا البيت وأن السفينة طافت به أربعين يوما أو نحو ذلك ولكن كل هذه الاخبار عن بنى اسرائيل * وقد قررنا أنها لاتصدق ولا تكذب فلا يحتاج بها فأما إن ردها الحق فهي مردودة . وقد قال الله (إن أول بيت وضع

للناس للذي بيكة مباركا وهدى للعالمين) أى أول بيت وضع لعموم الناس للبركة والهدى البيت الذي بيكة * قيل مكة وقيل محل الكعبة (فيه آيات بينات) أى على أنه بناء الخليل والدال انبياء من بعده وإمام الخفاء من ولده الذين يمتدون به ويتمسكون بسترته ولهذا قال (مقام إبراهيم) أى الحجر الذي كان يقف عليه قائما لما ارتفع البناء عن قامته فوضع له ولده هذا الحجر المشهور ليرتفع عليه لما تعالى البناء وعظم الفناء كما تقدم في حديث ابن عباس الطويل. وقد كان هذا الحجر ملصقا بمناط الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان الى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانخره عن البيت قليلا لئلا يشغل المصلين عنده الطائفين بالبيت واتبع عمر بن الخطاب رضى الله عنه في هذا فانه قد واقفه ربه في اشياء منها في قوله لرسوله (ص) لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقد كانت آثار قديمي الخليل باقية في الصخرة الى أول الإسلام وقد قال أبو طالب في قصيدته اللامية المشهورة.

وثورٍ ومن أرسى ثبيرا مكانه وراق لبرٍّ في حراء ونزل (١)
وبالبيت حق البيت من بطن مكة وباللَّهِ إنَّ الله ليس بنافيل
وبالحجر المسودَّ إذ يمسحونه إذا كتفوه بالضحي والأصائل
وموطئ إبراهيم في الصخرِ رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

يعنى أن رجله الكريمة غاصت في الصخرة فصارت على قدر قدمه حافية لا تتمتع. ولهذا قال تعالى (واذ يرفع إبراهيم التواعد من البيت واسماعيل) أى في حال قوطما (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) فهما في غاية الاخلاص والطاعة لله عز وجل وهما يسألان من الله السميع العليم أن يتقبل منهما ما هما فيه من الطاعة العظيمة والسعى المشكور (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم)

(١) قال في المعجم بعد بيان معنى ثور أنه الجبل الذي فيه النار. وقال أبو طالب عم النبي عليه السلام. أعوذ برب الناس من كل طاعن * علينا بشر أو ملح يباطل * ومن كاشح يسمى لنا بمجمة * ومن مغتر في الدين مالم يحاول * وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه * وعير وراق (١) في حراء ونزل. وقال الجوهري ثور جبل بمكة وفيه النار المذكور في القرآن الى أن قال صاحب المعجم أيضا وقد قيل إن بمكة أيضا جبل اسمه عير ويشهد بذلك بيت أبي طالب المذكور فانه ذكر جبال مكة وذكر فيها عيرا فيكون المعنى أن حرم المدينة مقدار ما بين عير الى ثور الذين بمكة أو حرم المدينة تحريم ما بين عير وثور بمكة بخذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه ووصف المصدر المحذوف الخ (١) قوله وعير وراق هكذا في المعجم. وما في القصيدة المطبوعة بالاستانة والاصول التي يأيد بنا وراق لبر. والبر العبادة

والمقصود أن الخليل بنى أشرف المساجد في أشرف البقاع في واد غير ذى زرع ودعا لاهلها بالبركة وأن يرزقوا من الثمرات مع قلة المياه وعدم الأشجار والزروع والثمار وأن يجعله حرماً محرماً وآمناً محمياً فاستجاب الله وله الحمد له مسألته ولبى دعوته وأنه طلبته فقال تعالى (أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويخطف الناس من حولهم) وقال تعالى (أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يبغى إليه ثمرات كل شئ رزقاً من لدنا) وسأل الله أن يعث فيهم رسولا منهم أى من جنسهم وعلى لغتهم الفصيحة البليغة النصيحة لتم عليهم نعمتان الدنيوية والدينية سعادة الأولى والأخرى. وقد استجاب الله له فيبعث فيهم رسولا وأى رسول ختم به انبياءه ورسله واكمل له من الدين ما لم يؤت احداً قبله وعم بدعوته أهل الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم في سائر الاقطار والأمصار والأعصار الى يوم القيامة. كان هذا من خصائصه من بين سائر الانبياء لشرفه في نفسه وبكال ما أرسل به وشرف بقعته وفصاحة لغته وبكال شفقتة على أمته ولطفه ورحمته وكريم محبته وعظيم مولده وطيب مصدره ومورده ولهذا استحق ابراهيم الخليل عليه السلام اذ كان بابي الكعبة لأهل الأرض أن يكون منصبه ومحله وموضعه في منازل السموات ورفيع الدرجات عند البيت المعمور الذى هو كعبة أهل السماء السابعة المبارك المبرور الذى يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة يتعدون فيه. ثم لا يعودون اليه الى يوم البعث والنشور وقد ذكرنا في التفسير من سورة البقرة صفة بناية البيت وما ورد في ذلك من الأخبار والآثار بما فيه كفاية فمن أراد فليراجعه ثم والله الحمد * فن ذلك مقال السدى لما أمر الله ابراهيم واسماعيل أن يبنيا البيت ثم لم يدريا اين مكانه حتى بعث الله ريحا يقال له الخبوج لها جناحان ورأس في صورة حية فكنتس لها محلول الكعبة عن اساس البيت الأول واتباعها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس وذلك حين يقول تعالى (واذ برأنا لبراهيم مكان البيت) فلما بلنا القواعد بنيا الركن قال ابراهيم لاسماعيل يا بنى اطلب لى الحجر الأسود من الهند وكان ابيض ياقوتة بيضاء مثل النعامة وكان آدم هبط به من الجنة فأسود من خطايا الناس فجاءه اسماعيل بحجر فوجده عند الركن. فقال يا أبتي من جاءك بهذا قال جاء به من هو انشط منك فبنيا وهما يدعوان الله (ربنا تقبل منّا) إنك أنت السميع العليم) وذكر ابن أبي حاتم أنه بناه من خمسة اجبل وأن ذا القرنين وكان ملك الأرض إذ ذاك مر بها وهما بينيانه فقال من أمركما بهذا فقال ابراهيم الله أمرنا به فقال وما يدرينى بما تقول فشهدت خمسة أكبش انه أمره بذلك فأمن وصدق *

وذكر الازرقى أنه طاف مع الخليل بالبيت وقد كانت على بناء الخليل مدة طويلة ثم بعد ذلك بنتها قريش فقصرت بها عن قواعد ابراهيم من جهة الشمال مما يلي الشام على ما هي عليه اليوم * وفي الصحيحين من حديث مالك عن ابن شهاب عن سالم أن عبد الله بن محمد بن أبى بكر اخبر بن عمر عن عائشة أن رسول الله ص: قال ألم ترى الى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم قلت يا رسول

الله الا تردھا على قواعد ابراهيم فقال لولا حدثان قومك وفي رواية لولا ان قومك حديث عهد بجاهلية
أو قال بكفر لا تقف كثر الكعبة في سبيل الله وجلست بلها بالارض ولا دخلت فيها الحجر وقد بناها
ابن الزبير رحمه الله في أيامه على ما أشار اليه رسول الله (س)، حسبما أخبرته خالته عائشة أم المؤمنين
عنه فلما قتلته الحجاج في سنة ثلاث وسبعين كتب الى عبد الملك بن مروان الخليفة ان ذلك فاعتقدوا ان
ابن الزبير انما صنع ذلك من تلقاء نفسه فامر بردها الى ما كانت عليه فنقضوا الحائط الشامي
وأخرجوا منها الحجر ثم سدوا الحائط وردموا الاحجار في جوف الكعبة فارفع بها
الشرقي وسدوا الغربي بالكعبة كما هو مشاهد الى اليوم ثم لما بلغتهم ان ابن الزبير
اتماضل هذا لما أخبرته عائشة أم المؤمنين قدموا على ما فعلوا وتأسفوا أن
لو كانوا تركوه وما تولى من ذلك ثم لما كان في زمن المهدي بن
المصور استشار الامام مالك بن أنس في ردها على الصفة التي
بناها ابن الزبير فقال له إني أخشى أن يتخذها الملوك
لدبة يعني كلما جاء ملك بناها على الصفة التي
يريد فاستقر الامر على ما هي عليه اليوم

وَلَمَّا نَسُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ الْكَرِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخَلَّفُوا

قال الله (واذ ابلى ابراهيم ربه بكلمات فأنمهن قال إني جاعلك للناس إماما . قال ومن ذريتي قال
لا ينال عهدي الظالمين) . لما وفي أمره ربه به من التكليف العظيمة جعله للناس اماما يقتدون به ويأتمون
بهديه وسأل الله أن تكون هذه الامامة متصلة بسببه وبقية في نسبة وخالصة في عقبه فأجيب الى ما سأل
ورام . وسلمت اليه الامامة بزمام واستثنى من نيلها الظالمون واختص بها من ذريته العلماء الماملون كما قال
تمالي (ووهبنا له اسحق ويعقوب . وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب . وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة
لمن الصالحين) * وقال تمالي (ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته
داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين . وذكرياً ويحيى وعيسى والياس
كل من الصالحين . واسمعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين . ومن آباءهم ودرجاتهم واخوانهم
واجتبيانهم وهديناهم الى صراط مستقيم) . فالضمير في قوله ومن ذريته عائد على ابراهيم على المشهور .
ولوط وان كان ابن أخيه الا أنه دخل في الذرية تظليماً . وهذا هو الحامل للقائل الآخر ان الضمير على نوح
كما قدمنا في قصته والله أعلم . وقال تمالي (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب)

الآية . فكل كتاب أنزل من السماء على نبي من الانبياء بمد ابراهيم الخليل فن ذريته وشيعته . وهذه خلعة سنية لا تضاهى ومترتبة عليه لا تباهى . وذلك أنه ولد له لصلبه ولدان ذكران عظيمان اسمعيل من هاجر ثم اء حق من سارة وولد لهذا يعقوب وهو اسرائيل الذى يتنسب اليه سائر أسباطهم فكانت فيهم النبوة و نذر واجداً بحيث لا يعلم عددهم الا الذى بشهم واختصهم بالرسالة والنبوة حتى ختموا بيبسى ابن مريم من بنى اسرائيل وأما اسمعيل عليه السلام فكانت منه العرب على اختلاف قبائلها كما سنينه فيما بعد ان شاء الله تعالى ولم يوجد من سلالة من الانبياء سوى خاتمهم على الاطلاق وسيدهم وغر بنى آدم فى الدنيا والآخرة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى المسمى ثم المدنى صلوات الله وسلامه عليه فلم يوجد من هذا الفرع الشريف والعصن النيف سوى هذه الجوهرة الباهرة والدرة الزاهرة وواسطة المقدم الفاتحة وهو السيد الذى يفخر به أهل الجمع وينبسطه الألوون والآخرون يوم القيامة . وقد ثبت عنه فى صحيح مسلم كما سنورده أنه قال (سأقوم مقاماً يرغب الى الخلق كلهم حتى ابراهيم) فمدح ابراهيم أباه مدحة عظيمة فى هذا السياق ودل كلامه على أنه أفضل الخلائق بعده عند الخلاق فى هذه الحياة الدنيا ويوم يكشف عن ساق *

وقال البخارى حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن منصور عن المهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله (ص) يعوذ الحسن والحسين ويقول أن أباً كما كان يعوذ بهما اسمعيل وإسحق . أعوذ بكلمات الله التامة . من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة . ورواه أهل السنن من حديث منصور به وقال تعالى (واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تبخى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيًا . وأعلم أن الله عزيز حكيم) ذكر المفسرون لهذا السؤال اسباباً بسطاتها فى التفسير . وقررها بأتم تقرير * والحاصل أن الله عز وجل أجابه الى ما سأله فأمره أن يصعد الى أربعة من الطيور واختلفوا فى تعيينها على اقوال والمقصود حاصل على كل تقدير فأمره أن يمزق لحومهن وريشهن ويخلط ذلك بمضه فى بعض ثم يقسمه قسمًا ويجعل على كل جبل منهن جزءاً ففعل ما أمر به ثم أمر أن يدعوهن باذن ربهن فلما دعاهن جعل كل عضو يطير الى صاحبه وكل ريشة تآتى الى أختها حتى اجتمع بدن كل طائر على ما كان عليه وهو ينظر الى قدرة الذى يقول للشئ كمن فيكون فأتين اليه سعيًا ليكون أئين له وأوضح لمشاهدته من أن يأتين طيرانا * ويقال إنه أمر أن يأخذ رؤسهن فى يده فخل كل طائر يأتى فيلقى رأسه فيترك على حشته كما كان فلا إله الا الله وقد كان ابراهيم عليه السلام يعلم قدرة الله تعالى على احياء الموتى علماً يقينياً لا يحتمل النقيض ولكن أحب أن يشاهد ذلك عياناً ويترقى من علم اليقين الى عين اليقين فلجابه الله الى سؤاله وأعطاها غاية مأموله * وقال تعالى (يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة

والانجيل الا من بعده افلا نعتلون. ها أنتم هؤلاء حاجبتم فيما لكم به علم. فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون. ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين. إن أولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) ينكر تعالى على أهل الكتاب من اليهود والنصارى في دعوى كل من الفريقين كون الخليل على ملتهم وطريقتهم قديرا الله منهم وبين كثرة جهلهم وقلة عقولهم في قوله (وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) أى فكيف يكون على دينكم وأنتم اتما شرع لكم ما شرع بعده بمدد متطاولة ولهذا قول (أفلا تعقلون) الى أن قال (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) فيبين أنه كان على دين الله الحنيف وهو القصد الى الاخلاص والانحراف وعمدا عن الباطل الى الحق الذى هو مخالف لليهودية والنصرانية والمشركية كما قال تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين. ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون. أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت لئن قال لنبىه ماتمبدون من بئى. قالوا نبىه الملك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق وإلهما واحدا ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون. وقالوا كرونو هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين. قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فاتموا فى شقاق فسيكفيكم الله وهو السميع العليم. صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون. قل أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون. أم يقولون إن ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل أنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون). فنزه الله عز وجل خليله عليه السلام عن أن يكون يهوديا أو نصرانيا وبين أنه إنما كان حنيفا مسلما ولم يكن من المشركين ولهذا قال تعالى (إن أولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه) يعنى الذين كانوا على ملته من أتباعه فى زمانه ومن تمسك بدينه من بعدهم (وهذا النبي) يعنى محمدا (ص)، فإن الله شرع له الدين الحنيف الذى شرعه للخليل وكفه الله تعالى له وأعطاه مالم يعط نبيا ولا رسولا قبله كما قال تعالى (قل إني هدى ربي الى صراط مستقيما قيا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين. قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) وقال تعالى إن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين. شاكر لا نعنه اجتباؤه وهداه الى صراط مستقيم. وآتيناه فى الدنيا حسنة وإنه

في الآخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين
وقال البخارى حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا هشام عن معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس
أن النبي (س) لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيت ورأى ابراهيم واسماعيل بايديهما
الأنزالام فقال قاتلهم الله والله إن يستقسما بالازللام قط (١) لم يخرجهم مسلم * وفي بعض الفاظ البخارى
قاتلهم الله لقد علموا أن شيخنا لم يستقسم بها قط . فقوله (أمة) أى قدوة إماما مهتديا داعيا الى الخير
يقتدى به فيه (قاتلنا الله) أى خاشعا له في جميع حالاته وحرركاته وسكناته (حنيفا) أى مخلصا على
بصيرة (ولم يك من المشركين . شاكر الأئمة) أى قائما بشكر ربه بجميع جوارحه من قلبه ولسانه
وأعماله (اجتباها) أى اختاره الله لنفسه واصطفاها لرسالاته واتخذها خليلا وجمع له بين خيرى الدنيا
والآخرة وقال تعالى (ومن أحسن ديننا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ
الله ابراهيم خليلا) يرغب تعالى في اتباع ابراهيم عليه السلام لأنه كان على الدين القويم والصراف
المستقيم وقد قام بجميع ما أمره به ربه ومدحه تعالى بذلك فقال (وابراهيم الذى وفى) ولهذا اتخذ الله
خليلا والخللة هى غاية المحبة كما قال بعضهم

قد تخلت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا

وهكذا نال هذه المنزلة خاتم الانبياء وسيد الرسل محمد صلوات الله وسلامه عليه كما ثبت في
الصحيحين وغيرهما من حديث جنذب البجلي وعبد الله بن عمرو وابن مسعود عن رسول الله (س)،
أنه قال أيها الناس إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا . وقال أيضا في آخر خطبة خطبها أيها الناس
لو كنت متخذنا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله . أخرجه من
حديث أبي سعيد وثبت أيضا من حديث عبد الله بن الزبير وابن عباس وابن مسعود . وروى البخارى
في صحيحه حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن عمرو بن
ميمون قال إن ماذا لما قدم اليمين صلى بهم الصبح قرأ واتخذ الله ابراهيم خليلا . فقال رجل من القوم
لقد قررت عين أم ابراهيم * وقال ابن مردويه حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن مسلم حدثنا اسمعيل بن أحمد
ابن اسيد حدثنا ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني بمكة حدثنا عبد الله الحنفي حدثنا زهبة بن صالح عن سامة
ابن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب رسول الله (س)، ينظرونه فخرج حتى
إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم وإذا بعضهم يقول عجب أن الله اتخذ من خلقه خليلا
فابراهيم خليله * وقد أخر ماذا بالعجب من أن الله كلم موسى تكليما . وقال آخر فيسبى روح الله وكتبته .
وقال آخر آدم اصطفاه الله . فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم ومحبكم أن ابراهيم خليل الله وهو

(١) قوله ان استقسما إن نافية . أى والله ما استقسما بالازللام قط محمود الامام

كذلك وموسى كليمه وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك . ألا وإنى حبيب الله ولا نخر ألا وإنى أول شافع وأول مشفع ولا نخر وأنا أول من يحرك حلقة باب الجنة فيفتحها الله فيدخلنيها ومعى قهراء المؤمنين وأنا أكرم الأولين والآخرين يوم القيامة ولا نخر * هذا حديث غريب من هذا الوجه وله شواهد من وجوه أخر والله أعلم * وروى الحاكم في مستدرکه من حديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال أنكروا أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين * وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمود بن خالد المسلمي حدثنا الوليد عن اسحاق بن بشار قال لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً الذى فى قلبه الوجع حتى أن كان خفقان قلبه ليسمع من بعد كما يسمع خفقان الطير فى الهواء وقال عبيد بن عمير كان إبراهيم عليه السلام يضيف الناس فخرج يوماً يلتمس إنساناً يضيفه فلم يجد أحداً يضيفه فرجع الى داره فوجد فيها رجلاً قائماً فقال يا عبد الله ما أدخلك دارى بغير إذنى قال دخلتها بأذن ربها * قال ومن أنت قال أنا ملك الموت أرسلنى ربى الى عبد من عباده أبشره بأن الله قد اتخذته خليلاً قال من هو فوالله إن أخبرتنى به ثم كان باقياً البلاد لا يتنه ثم لا يرج له جاراً حتى يفرق بيننا الموت قال ذلك العبد أنت قال أنا قال نعم قال فبم اتخذنى ربى خليلاً قال بأنك تعطى الناس ولا تسألهم . رواه ابن أبى حاتم * وقد ذكره الله تعالى فى القرآن كثيراً فى غير ما موضع بالثناء عليه والمدح له قبيل إنه مذكور فى خمسة وثلاثين موضعاً منها خمسة عشر فى البقرة وحدها وهو احد أولى العزم الخمسة المنصوص على اسمائهم تخصيصاً من بين سائر الانبياء فى آياتى الاحزاب والشورى وهما قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) وقوله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه) الآية . ثم هو أشرف أولى العزم بعد محمد (ص) ، وهو الذى وجهه عليه السلام فى السماء السابعة مستنداً ظهره بالبيت المعمور الذى يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون اليه آخر ما عليهم . وما وقع فى حديث شريك ابن أبى عمير عن انس فى حديث الاسراء من أن إبراهيم فى السادسة وموسى فى السابعة فما اتقده على شريك فى هذا الحديث والصحيح الأول *

وقال احمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) : إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم خليل الرحمن .
فرد به احد .

ثم مما يدل على أن إبراهيم أفضل من موسى الحديث الذى قال فيه (وأخبرت الثالثة ليوم يرغب الى انطلق كلهم حتى إبراهيم) رواه مسلم من حديث أبى بن كعب رضى الله عنه . وهذا هو المقام المحمود

التي أخبر عنه صلوات الله وسلامه عليه بقوله (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر) ثم ذكر استنفاع الناس بآدم ثم بنوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فكلمهم بمحمد عنها حتى يأثروا محمداً (س)، فيقول (أنا لها أنا لها) الحديث . وهكذا رواه البخارى في مواضع أخر ومسلم والنسائى من طريق عن يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله وهو ابن عمر العمرى به *

قال البخارى حدثنا على بن عبد الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبد الله حدثني سعيد عن أبيه عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله من أكرم الناس قال أتمامهم. قالوا ليس عن هذا نسألك قال فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله بن خليل الله. قالوا ليس عن هذا نسألك قال فمن معادن العرب تسألوني خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا قهوا * ثم قال البخارى قال أبو أسامة ومعتز عن عبيد الله عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي (س)، قلت وقد أسنده في موضع آخر من حديثها وحديث عبدة ابن سليمان والنسائى من حديث محمد بن بشر اربعتهم عن عبيد الله بن عمر عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي (س)، وقال أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (س)، إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم خليل الله . تفرد به احمد * وقال البخارى حدثنا عبدة حدثنا عبد الصمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن عمر عن النبي (س)، قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم . تفرد به من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر به * فاما الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا يحيى عن سفیان حدثني مغيرة بن النعمان عن سعيد ابن جبیر عن ابن عباس عن النبي (س)، « يحشر الناس حفاة عراة غرلا فأول من يكسى ابراهيم عليه السلام » ثم قرأ (كما بدأنا أول خلق نعيده) فالخرجاه في الصحيحين من حديث سفیان الثوري وشعبة بن الحجاج كلاهما عن مغيرة بن النعمان النخعي الكوفي عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس به . وهذه الفضيلة المعينة لا تقتضى الأفضلية بالنسبة الى ما قابلها مما ثبت لصاحب المقام المحمود الذى ينبطه به الأولون والآخرين * وأما الحديث الاخر الذى قال الامام أحمد حدثنا وكيع وأبو نعيم حدثنا سفیان هو الثوري عن مختار بن فلعل عن انس بن مالك قال قال رجل للنبي (س)، ياخير البرية فقال ذلك ابراهيم قد رواه مسلم من حديث الثوري وعبد الله بن إدريس وعلى بن مسهر ومحمد بن فضيل اربعتهم عن المختار بن فلعل * وقال الترمذى حسن صحيح * وهذا من باب الهضم والتواضع مع والده الخليل عليه السلام كما قال لا تفضلوني على الانبياء وقال لا تفضلوني على موسى فان الناس يصمقون يوم القيامة فاكون أول من يفتق فاجد موسى باطشا بقائمة العرش فلا أدري افاق قبلى أم جوزى بصفة الطور * وهذا كله لا يتنافى في ما ثبت بالترواتر عنه صلوات الله وسلامه عليه من أنه سيد ولد آدم يوم القيامة وكذلك

حديث أبي بن كعب في صحيح مسلم وأخرت الثالثة ليوم يرغب الى الخلق كلهم حتى ابراهيم . ولما كان ابراهيم عليه السلام أفضل الرسل وأولى العزم بعد محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أمر المصلي أن يقول في تشهده ماثبت في الصحيحين من حديث كعب بن عجرة وغيره قال قلنا . يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك « قال قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم إنك حميد مجيد » وقال تعالى (و ابراهيم الذي وفى) قالوا وفى جميع ما أمر به وقام بجميع خصال الايمان وشعبه وكان لا يشغله مراعاة الأمر الجليل عن القيام بمصلحة الأمر القليل ولا ينسيه القيام باعباء المصالح الكبار عن الصغار . قال عبد الرزاق أنا ما معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) قال ابتلاه الله بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد . في الرأس قص الشارب والمضمضة والسواك والاستنشاق وفرق الرأس وفى الجسد تقليم الاظفار وحلق العانة واخذ الختان وتنف الابط وغسل أثر النائط والبريل بالماء . رواه ابن أبي حاتم * وقال وروى عن سعيد بن المسيب ومجاهد والشعبي والنخعي وأبي صالح وأبي الجليل نحو ذلك قلت وفى الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي (س) : قال الفطرة خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار وتنف الابط * وفى صحيح مسلم وأهل السنن من حديث وكيع عن ذكر بن أبي زائدة عن مصعب بن شيبة البدرى المسكى الحجبي عن طلق بن حبيب العتري عن عبيد الله بن الزبير عن عائشة قالت قال رسول الله (س) : عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك وإستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم وتنف الابط وحلق العانة وإتقاص الماء . يعنى الاستنجاء وسيأتى فى ذكر مقدار عمره الكلام على اختتان * والمتصود أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يشغله القيام بالاخلاص لله عز وجل وخشوع العبادة العظيمة عن مراعاة مصلحة بدنه وإعطاء كل عضو ما يستحقه من الاصلاح والتحسين وإزالة ما يشين من زيادة شعر أو ظفر أو وجود قلع أو وسخ فهذا من جملة قوله تعالى فى جته من المدح العظيم و ابراهيم الذى وفى *

قصته فى الجنة

قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا احمد بن سنان القطان الواسطى ومحمد بن موسى القطان قالا حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن سماك عن عكرمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (س) : إن فى الجنة قصرا احسبه قال من لؤلؤة ليس فيه قصم ولا وهى أعده الله لخليفة ابراهيم عليه السلام نزل . قال البزار وحدثناه احمد بن جميل المروزى حدثنا النضر بن شميل حدثنا حماد بن سلمة عن سماك عن

عكرمة عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه ثم قال وهذا الحديث لا يلم رواه عن حماد بن سمة فاستدله الأيزيد بن هارون والنضر بن سميل وغيرهما يرويه موقوفاً قلت لولا هذه العلة لكاف على شرط الصحيح ولم يخرجوه *

صفحة ابراهيم عليه السلام

قال الامام احمد حدثنا يونس وحجين قالوا حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر عن رسول الله (ص) أنه قال عرض عليّ الانبياء فاذا موسى ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى ابن مريم فاذا أقرب من رأيت به شهباً عروة بن مسعود ورأيت ابراهيم فاذا أقرب من رأيت به شهباً دحية . تفرد به الامام احمد من هذا الوجه وبهذا اللفظ * وقال أحمد حدثنا اسود بن عامر حدثنا اسراييل عن عثمان يعني ابن المنيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) رأيت عيسى ابن مريم وموسى و ابراهيم فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر - وأما موسى فأدم جسيم . قالوا له فابراهيم قال انظروا الى صاحبكم يعني نفسه * وقال البخارى حدثنا بنان بن عمرو حدثنا النضر أبنان ابن عون عن مجاهد أنه سمع ابن عباس وذكروا له اللجال بين عيثة كافرين (ك ف ر) فقال لم اسمه ولكنه قال (ص) : أما ابراهيم فانظروا الى صاحبكم وأما موسى فجمد آدم على جبل احمر مخطوم بخبله كأنى أنظر اليه أنجد في الوادي . ورواه البخارى ايضا ومسلم عن محمد بن المثني عن ابن أبي عدي عن عبد الله بن عون به * وهكذا رواه البخارى ايضا في كتاب الحج وفي اللباس ومسلم جميعا عن محمد بن المثني عن ابن أبي عدي عن عبد الله بن عون به

وفاة ابراهيم وقيل في عمره

ذكر ابن جرير في تاريخه أن مولده كان في زمن النمرود بن كنعان وهو فيا قيل الضحاك الملك المشهور الذي يقال إنه ملك الف سنة وكان في غاية العشم والظلم * وذكر بعضهم أنه من بني راسب الذين بمث الهم نوح عليه السلام وأنه كان إذ ذلك ملك الدنيا . وذكروا أنه طلع نجم اخفى ضوء الشمس والقمر فهال ذلك أهل ذلك الزمان وفتح النمرود . فجمع الكهنة والمنجيين وسألهم عن ذلك فقالوا يولد مولود في رعيتك يكون زوال ملكك على يديه . فأمر عند ذلك بمنع الرجال عن النساء وأن يقتل المولودون من ذلك الحين فساكن مولد ابراهيم الخليل في ذلك الحين فخماه الله عز وجل وصانه من كيد الفجار وشب شبابا باهرا وانته الله نياتا حسنا حتى كان من أمره ماتم قدم وكان مولده بالسوس وقيل ببايل وقيل بالسواد من ناحية كوثى (١) وتقدم عن ابن عباس أنه ولد ببيزة شرقي دمشق فلما (١) قال في معجم البلدان (كوثى) بالضم ثم السكون والتاء مثلثة والف مقصورة تسكتب ببايه لأنها

أهلك الله نمرود على يديه وهاجر الى حران ثم الى أرض الشام وأقام ببلاد ايليا كما ذكرنا وولد له اسماعيل واسحق وماتت سارة قبله بقرية حبرون التي في أرض كنعان ولها من العمر مائة وسبع وعشرون سنة فيما ذكر أهل الكتاب فحزن عليها ابراهيم عليه السلام ورتلها رحما الله واشترى من رجل من بني حيث يقال له عفرون بن صخر مفاة بربع مائة مثقال ودفن فيها سارة هناك قالوا ثم خطب ابراهيم على ابنه اسحق فزوجه رقتانث بتوثيل بن ناحور بن تراح وبث مولاه فحملها من بلادها ومعها مرضعتها وجوارها على الابل قالوا ثم تزوج ابراهيم عليه السلام قنطورا فولدت له زمران ويقشان ومادان ومدين وشياق وشوح. وذكروا ما ولد كل واحد من هؤلاء أولاد قنطورا. وقد روى ابن عساکر عن غير واحد من السلف عن أخبار أهل الكتاب في صفة يحيى ملك الموت الى ابراهيم عليه السلام أخباراً كثيرة الله أعلم بصحتها وقد قيل إنه مات نجاة وكذا داود وسليمان والنبي ذكره أهل الكتاب وغيرهم خلاف ذلك. قالوا ثم مرض ابراهيم عليه السلام ومات عن مائة وخمس وسبعين * وقيل وتسعين سنة ودفن في المغارة المذكورة التي كانت بحبرون الحثي عند إسرائه سارة التي في مزرعة عفرون الحثي وتولى دفنه اسماعيل واسحاق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين * وقد ورد ما يدل أنه عاش مائتي سنة كما قاله ابن السكبي وقال أبو حاتم بن حبان في صحيحه أنبأنا المفضل بن محمد الجندي بمكة حدثنا علي بن زياد اللخمي حدثنا أبو قررة عن ابن جريج عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال اختن ابراهيم بالتقدم وهو ابن عشرين ومائة سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة وقد رواه الحافظ بن عساکر من طريق عكرمة بن ابراهيم وجعفر بن عون العمري عن يحيى ابن سعيد عن سعيد عن أبي هريرة موقوفا *

ثم قال ابن حبان ذكر الخبير المدحض قول من زعم أن رقم هذا الخبير وهم أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجنيد نيسب (١) حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن مجلان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال اختن ابراهيم حين بلغ مائة وعشرين سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة واختن بتقدم. وقد رواه الحافظ ابن عساکر من طريق يحيى بن سعيد عن ابن مجلان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي (ص) وقد أتت رابعة الاسم الى قوله (كوفي) في ثلاث مواضع بسواد العراق وفي أرض بابل وبمكة. الى قوله وكوفي العراق كوثيان أحدهما كوفي الطريق. والآخر كوفي ربي وبها مشهد ابراهيم الخليل عليه السلام. وبها مولده وها من أرض بابل وبها طرح ابراهيم في النار وها ناحتان الخ الخ راجع المعجم.

(١) قوله محمد بن عبد الله بن الجنيد نيسب كذا في نسخة وفي أخرى ابن الحداد (بندر كاتري والمعروف من اسماء الرجال في ترجمة قتيبة بن سعيد ان ممن روى عنه محمد بن عبد الله بن نمير وليس ممن روى عنه من سمي محمد بن عبد الله غيره ((محمود الامام))

عليه ثمانون سنة . ثم روى ابن حبان عن عبدالرزاق أنه قال القدم اسم القرية . قلت الذي في الصحيح أنه اختن وهدأت عليه ثمانون سنة * وفي رواية وهو ابن ثمانين سنة وليس فيها تعرض لما حاش به ذلك والله أعلم * وقال محمد بن اسماعيل الحسائي الراسطي زادني تفسير وكيع عنه فيما ذكره من الزيادات حدثنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال كان إبراهيم أول من تسرول وأول من فرق وأول من استحد وأول من اختن بالقدم وهو ابن عشرين ومائة سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة وأول من قرى الضيف وأول من شاب هكذا رواه موقوفا وهو أشبه بالرفوع خلافا لابن حبان والله أعلم *

وقال مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال كان إبراهيم أول من أضاف الضيف وأول الناس اختن وأول الناس قص شاربه وأول الناس رأى الشيب قتال يارب ما هذا قال الله « وقار » قتال يارب زدني وقارا وزاد غيرها وأول من قص شاربه وأول من استحد وأول من لبس السراويل * وقبره وقبر ولده اسحق وقبر ولد ولده يعقوب في المربة التي بناها سليمان بن داود عليه السلام ببلد حبرون وهو البلد المعروف بلليل اليوم وهذا تلقى بالتواتر أمة بعد أمة وجيل بعد جيل من زمن نبي اسرائيل والى زماننا هذا أن قبره بالمربة تحققت . فلما تميمته منها فليس فيه خبر صحيح عن معصوم فينبغي أن تراعى تلك المحلة وأن تحترم احترام مثلها وأن تبجل وأن تجل أن يداس في أرجائها خشية أن يكون قبر الخليل أو أحد من أولاده الأتباء عليهم السلام تحتها * وروى ابن عساکر بسنده لى : هب بن منبه قال وجد عند قبر إبراهيم الخليل على حجر كتابة خالفة *

ألمى جهولاً أمله يموت من جا أجله
ومن دنا من حنقه لم تعرف عنه حيله
وكيف يبقى آخر من مات عنه أوله
والمرء لا يصحبه في القبر إلا عمله

قوله ولله الحمد والفضل

أول من ولد له اسماعيل من هاجر القبطية المصرية ثم ولد له اسحق من سارة بنت عم الخليل ثم تزوج بعدها قنطورا بنت يعقوب الكنعانية فولدت له ستة مدین وزمران ومرج ويقشان ونشق ولم ييم السادس ثم تزوج بعدها حجون بنت امين فولدت له خمسة كيسان وسورج واميم ولوطان ونافس * هكذا ذكره أبو القاسم السهيلي في كتابه التعريف والاعلام .

ومما وقع في حياة إبراهيم الخليل من الأمد العظيمة قصة قوم لوط عليه السلام ومآلهم من النعمة

النبية وذلك أن لوطاً بن هاران بن تلح وهو آزر كما تقدم ولوط ابن أخى إبراهيم الخليل فإبراهيم
 وهاران ونحور اخوة كما قدمنا ويقال إن هاران هذا هو الذى بنى حران * وهذا ضيف لخالته مابأبدي
 أهل الكتاب والله أعلم * وكان لوط قد نزع عن محلة عمه الخليل عليهما السلام باسمه له وأذنه فنزل
 بمدينة سدوم من أرض غور زغر وكان أم تلك المحلة ولها أرض ومتملات وقرى وضاعة إليها ولها
 أهل من اجتر الناس واكفرهم واسوأهم طوية وأرداهم سريرة وسيرة يقطعون السبيل ويأتون في نديهم
 المنكر ولا يتناهون عن منكر فلوهم لبئس ما كانوا يفعلون ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بنى
 آدم وهى إتيان الذكور من العالمين وترك ما خلق الله من النسوان لمباده الصالحين فدعاهم لوط الى عبادة
 الله تعالى وحده لا شريك له ونهاهم عن تماطى هذه المحرمات والفواحش المنكرات والأفاعيل المستبحات
 قتادوا على ضلالهم وطفياهم واستمروا على تجورهم وكفرائهم فأحل الله بهم من البأس الذى لا يرد ما لم
 يكن فى خلدكم وحسبانهم وجعلهم مثلة فى العالمين وعبرة يتعظ بها الأبناء من العالمين ولهذا ذكر الله تعالى
 قصتهم فى غير ما موضع من كتابه المبين فقال تعالى فى سورة الأعراف (ولو لوطا إذ قال لقومه أتأتون
 الفاحشة ما سبقكم بها أحد من العالمين . أتئنكم لئن أتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون .
 وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون . فأجيبناه وأهله إلا امرأته
 كانت من النابرين . وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) وقال تعالى فى سورة هود
 (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم
 لا تصل اليهم نكروهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضكحت
 فبشرناها فاسحق ومن وراء اسحاق يعقوب . قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا
 لشيء عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد . فلما ذهب
 عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى تجادلنا فى قوم لوط إن إبراهيم لحليم أواه منيب . يا إبراهيم عرض
 عن هذا إنه قد جاء أمر ربك . وإنهم آتاهم عذاب غير مردود . وإما جاءت رسلنا لوطا سئ بهم وضاق
 بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب . وجاءه قومه يهرعون اليه . ومن قبل كانوا يملون السينات . قال
 يا قوم هؤلاء بناتى هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخرؤنى فى ضيقى اليس منكم رجل رشيد . قالوا لقد
 عدت ما لنا فى بناتك من حق وإنك لتعلم ما تريد . قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى زكن شديد . قالوا
 يالوط إنا نرسل ربك لن يصلوا اليك فليس باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا إسرائيل إنك إنك
 مصيبها ما أصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح قريب . فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا
 عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وماهى من الظالمين يبعيد) وقال تعالى فى سورة الحجر
 (ونبئهم عن ضيف إبراهيم إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجعلون قال لا توجل إنا نبشرك

بعلام عليم . قال ابشرتموني على أن مسنى الكبر فم تبشرون قالوا بشرناك بلحق فلا تكن من الغافلين
قال ومن يمتن من رحمة ربه الا الضالون . قال فما خطبكم أيها المرسلون . قالوا إنا أرسلنا الى قوم مجرمين .
الا آل لوط إنا لمنجهم أجمعين . إلا امرأته قدرنا أنها لمن الغابرين . فلما جاء آل لوط المرسلون قال
إنكم قوم منكرون . قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وآتيناك بلحق وإنا لصادقون . فانس باهلك
بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر
أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين . وجاء أهل المدينة يستبشرون . قال إن هؤلاء ضغي فلا تفضحون .
واتقوا الله ولا تخزون . قالوا أولم نهك عن العالمين . قال هؤلاء بتاني إن كنتم فاعلين . لمعرك إتهم
لنى سكرتهم يعمهون . فاخذتهم الصيحة مشرقين . فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل .
إن فى ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم . إن فى ذلك لآية للذميين (وقال تعالى فى سورة
الشعراء) كذبت قوم لوط المرسلين * اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله
وأطيعون وما أسألكم عليه من اجر إن أجرى إلا على رب العالمين * أتأتون الذكر ان من العالمين .
وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون * قالوا لئن لم تنته يالوط لتكرن من
المخرجين * قال إني لمعلمك من القالين * رب نجني وأهلى مما يملون * فنجيناه وأهله أجمعين *
إلا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين * وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين * إن فى ذلك لآية
وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم (وقال تعالى فى سورة النمل) ولوطاً إذ قال
لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون . أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون *
فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون فانجيناها وأهله
إلا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين . (وقال تعالى فى سورة
العنكبوت) ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين * أنكم لتأتون
الرجال وتطمعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر * فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتناهمذاب
الله إن كنت من الصادقين . قال رب انصرنى على القوم المفسدين * ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى
قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية * إن أهلها كانوا ظالمين * قال إن فيها لوطاً نحن أعلم بمن فيها
لنتنجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين * ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سعى بهم وضاق بهم ذرعاً
وقالوا لا تحف ولا تحزن انا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين * إنا منزلون على أهل
هذه القرية رجراً من السماء بما كانوا يفسقون * ولقد تركنا منها آية يئسة لقوم يعقلون (وقال تعالى فى
سورة الصافات) وإن لوطاً لمن المرسلين * إذ نجيناها وأهله أجمعين . إلا عجوزا فى الغابرين * ثم دمرنا
الآخرين * وإنكم لترون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون (وقال تعالى فى التاريات بسد قصة

ضيف إبراهيم وبشارتهم إياه بسلام عليم (قال فما خطبكم أيها المرسلون * قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين * لترسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للسافرين * فأنخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين . وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) وقال في سورة الانشقاق (كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر . نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر * ولقد أنذرهم بطشتنا فمأروا بالنذر * ولقد راودوه عن ضيفه ففلسنا أعينهم فذوقوا عذابنا ونذر ولقد صبغهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابنا ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر *) وقد تكلمنا على هذه القصص في أما كتبنا من هذه السورة في التفسير * وقد ذكر الله لوطاً وقومه في مواضع أخر من القرآن تقدم ذكرها مع قوم نوح وعاد وثمود * والمقصود الآن إيراد ما كان من أمرهم وما أحل الله بهم مجزوعاً من الآيات والآثار والله المستعان * وذلك أن لوطاً عليه السلام لما دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطي ما ذكر الله عنهم من الفواحش فلم يستجيبوا له ولم يؤمنوا به حتى ولا رجل واحد منهم ولم يتركوا ما عندهم من أموالهم ولم يرتدعوا عن غيرهم وضلالهم وهموا بالخروج رسولهم من بين ظهرانيهم وما كان حاصل جوابهم عن خطابهم إذ كانوا لا يقولون إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم انهم أناس يتطهرون فجلوا غاية المدح ذما يقتضى الاخراج وما حلهم على مقاتلتهم هذه الا العناد واللجاج فطهره الله وأهله الا امرأته وأخرجهم منها أحسن اخراج وتركرم في محلهم خالدين لكن بعد ما صيرها عليهم بحرة منته ذات أمواج لكتبنا عليهم في الحقيقة نار تأجيج وحر يوهج وماؤها ملح أجاج وما كان هذا جوابهم الا لما نهاهم عن الطاعة المعطى والناحشة الكبرى التي لم يسبقهم إليها احد من اهل الدنيا * ولهذا صاروا مثلة فيها وعبرة لمن عليها وكانواع ذلك يقطعون الطريق ويخونون الرفيق ويأتون في ناديهم وهو مجتمهم ومحل حسدبهم وسمرهم المنكر من الأقوال والأفعال على اختلاف أصنافه حتى قيل انهم كانوا يتضارطون في مجالسهم ولا يستحيون من مجالسهم وربما وقع منهم الفعلة العظيمة في المحافل ولا يستنكفون ولا يرعون لوعظ واعظ ولا نصيحة من عاقل وكانوا في ذلك وغيره كالأنعام بل أضل سبيلاً ولم يقلعوا عما كانوا عليه في الحاضر ولا يندموا على ما سلف من الماضي ولا راموا في المستقبل تحويلاً فآخذهم الله أخذاً ويلاً وقالوا له فيما قالوا (اتننا بئذ الله إن كنت من الصادقين) فطلبوا منه وقرع ما حذرهم عنه من العذاب الأليم وحلول البأس العظيم فندد ذلك دعا عليهم نبيهم الكريم فسأل من رب العالمين وإله المرسلين أن ينصره على القوم المنسدين فبأمر الله لتغيرته وغضب لفضيبته واستجاب لدعوتيه واجابه الى طلبته وبث رسله الكرام وملائكته المقام فروا على الخليل إبراهيم وبشروه بالسلام العليم وأخبروه بما جازا له من الأمر الجسيم والخطب العميم (قال فما خطبكم أيها المرسلون . قالوا انا ارسلنا إلى قوم مجرمين . لترسل

عليهم حجارة من طين . مسومة عند ربك للسرفين) وقال (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين . قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بما لتنجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين) وقال الله تعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروح وجاءته البشري يجادلنا في قوم لوط) . وذلك انه كان يرجو ان ينيبوا ويسلوا ويقلوا ويرجعوا . ولهذا قال تعالى (ان ابراهيم لطيم اواه منيب . يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك ولهم آتيم عذاب غير مردود) أى اعرض عن هذا وتكلم في غيره فانه قد حتم امرهم ووجب عذابهم وتدميرهم وهلاكهم انه قد جاء امر ربك أى قد امر به من لا يرد امره ولا يرد بأسه ولا معقب لحكمه ولهم آتيم عذاب غير مردود .

وذكر سعيد بن جبير والسدى وقتادة ومحمد بن اسحق أن ابراهيم عليه السلام جعل يقول * (أنهم لكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن قالوا لا قال فأتا مؤمن قالوا لا قال فاربعمون مؤمنا قالوا لا قال فاربعة عشر مؤمنا قالوا لا) قال ابن اسحق الى أن قال (أفرايتم إن كان فيهم مؤمن واحد قالوا لا) قالوا إن فيها لوطاً قالوا نحن اعلم بما فيها) الاية وعند أهل الكتاب أنه قال يارب أهلهم وفيهم خمسون رجلاً صلحاً فقال الله لا أهلهم وفيهم خمسون صالحاً ثم تنازل الى عشرة فقال الله (لا أهلهم وفيهم عشرة صالحون) قال الله تعالى (وقال ولما جاءت رسلنا لوطاً سبيهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب) قال المنسرون لما فصلت الملائكة من عند ابراهيم وهم جبريل وميكائيل واسرافيل أقبلوا حتى أتوا أرض سدوم في صور شبان حسان اختبأراً من الله تعالى لقوم لوط وإقامة للحجة عليهم فاستضافوا لوطاً عليه السلام وذلك عند غروب الشمس فحشى إن لم يضيفهم يضيفهم غيره وحسبهم بشراً من الناس وسبي بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب *

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومحمد بن اسحق شديد بلاؤه وذلك لما يعلم من مدافنته الليلة عنهم كما كان يصنع بهم في غيرهم وكانوا قد اشترطوا عليه أن لا يضيف احداً ولكن رأى من لا يمكن الحيد عنه * وذكر قتادة أنهم وردوا عليه وهو في أرض له يعمل فيها فتضيفوا فاستحى منهم وانطلق امامهم وجعل يرض لهم في الكلام لهم ينصرفون عن هذه القرية وينزلوا في غيرها فقال لهم فيما قال ياهولاء ما أعلم على وجه الارض اهل بلد ابخيت من هؤلاء ثم مشى قليلاً ثم اعاد ذلك عليهم حتى كرره اربع مرات قال وكانوا قد امروا ان لا يهلكوهم حتى يشهد عليهم نبيهم بذلك *

وقال السدى خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قوم لوط فأثوما نصف النهار فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها وكانت له ابنتان اسم الكبرى ريثا والصغرى ذرعا فقالوا لها يا جارية هل من منزل فالت لهم مكانكم لا تدخلوا حتى آتاكم فرقت عليهم من قومها فالت اباهما

قالت يا أبا جهم إرادك فتيان على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم قط هي أحسن منهم لا يأخذهم قومك
 فيفضحهم وقد كان قومه بهوه أن يضيف رجلاً فجاء بهم فلم يعلم أحد إلا أهل البيت فخرجت امرأته
 فأنبرت قوماً قالت إن في بيت لوط رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قط فجاءه قومه يهرعون إليه . وقوله
 (ومن قبل كانوا يصلون السينات) . أي هذا مع ما ساف لهم من الذنوب العظيمة الكبيرة . الكثيرة
 (قال يا قوم هؤلاء بناتي من أظهر لكم) يرشدهم إلى غشيان نسائهم وهن بناته شرعاً لأن النبي للأمة
 بمنزلة الوالد كما ورد في الحديث وكما قال تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وفي
 قول بعض الصحابة والسلف وهو أب لهم . وهذا كقوله (أتأتون الذكرا من العالمين . وتذرون
 ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) وهذا هو الذي نص عليه مجاهد وسعيد بن جبير
 والربيع بن أنس وقتادة والسدي ومحمد بن اسحق وهو الصواب . والقول الآخر خطأ مأخوذ من
 أهل الكتاب وقد تصحف عليهم كما أخطأوا في قولهم إن الملائكة كانوا إثنين وإنهم تمشوا عنده وقد
 خبط أهل الكتاب في هذه القصة تحييطاً عظيماً وقوله (فاتقوا الله ولا تخزون في ضيقي أليس منكم
 رجل رشيد) نهى لهم عن تعاطي مالا يليق من الفاحشة وشهادة عليهم بأنه ليس فيهم رجل له مسكة
 ولا فيه خير بل الجميع سفهاء . فجرة أقوياء . كفرة أغبياء . وكان هذا من جملة ما أراد الملائكة أن يسمعو
 منه من قبل أن يسألوه عنه . فقال قومه عليهم لعنة الله الحميد الحميد . بجمعين لتبهم فيما أمرهم به من الأمر
 السديد (قد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما تريد) يقولون عليهم لعائن الله لقد علمت بالوط
 إنه لا أرب لنا في نسائنا وإنك لتعلم مرادنا وغرضنا . واجهوا بهذا الكلام القبيح رسولهم الكريم
 ولم يخافوا سطوة العظيم ذي العذاب الأليم . ولهذا قال عليه السلام (لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن
 شديد) ود أن لو كان له بهم قوة أو له منعة وعشيرة ينصرونه عليهم ليحل بهم ما يستحقونه من العذاب
 على هذا الخطاب * وقد قال الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً (نحن أحق
 بالشك من إبراهيم ورحم الله لوطاً لقد كان يأوى إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف
 لأجبت الداعي) ورواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة * وقال محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي
 سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال رحمة الله على لوط لقد كان يأوى إلى ركن شديد يعني الله
 عز وجل فما بث الله بده من نبي إلا في ثروة من قومه . وقال تعالى (جاء أهل المدينة يستبشرون
 قال إن هؤلاء ضيقي فلا تفضحون . واتقوا الله ولا تخزون . قالوا أولم نهك عن العالمين . قال هؤلاء
 بناتي إن كنتم فاعلين) فأمرهم بقربان نسائهم وحذرهم الاستمرار على طريقتهن وسياتهن هذا وهم في
 ذلك لا يتفهمون ولا يعرفون بل كما لهم يبالغون في تحصيل هؤلاء الضيفان ويجرضون . ولم يعلموا ما حم

به القدر مما هم اليه صارتون. وصبيحة ليلتهم اليه متقلون(١) ولهذا قال تعالى: «تسبوا بحياة نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه (لمرك لهم لفي سكرتهم يعمهون) وقال تعالى (ولقد أنذرهم بطشتنا قتياروا بالندر. ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد أصبحهم بكرة عذاب مستقر) ذكر المفسرون وغيرهم أن نبي الله لوطا عليه السلام جعل يمانع قومه النخول ويدافنهم والباب معلق وهم يرمون فتحة وولوجه وهو يعظم وينهاهم من وراء الباب وكل ما لهم في الجاهج والماج فلما ضاق الأمر وعسر الحال قال * لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد لأحلت بكم النكال * قالت الملائكة (يا لوط إنا أرسل ربك لن يصلوا اليك) وذكروا أن جبريل عليه السلام خرج عليهم فضرب وجوههم خفقة بطرف جناحه فطمست أعينهم حتى قيل لهن غارت بالكفاية ولم يبق لها محل ولا عين ولا أثر فرجعوا يتجسسون مع الحيطان. ويتوعدون رسول الرحمن. ويقولون إذا كان الغد كان لنا وله شأن قال الله تعالى (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد أصبحهم بكرة عذاب مستقر) فذلك أن الملائكة تقدمت إلى لوط عليهم السلام آمريين له بأن يسرى هو وأهله من آخر الليل ولا يلتفت منكم أحد يعني عند سماع صوت العذاب إذا حل قومه وأمره أن يكون سيره في آخرهم كالساقا لهم * وقوله (إلا امرأتك) على قراءة النصب يحتمل أن يكون مستثنى من قوله فاسر باهلك كأنه يقول إلا امرأتك فلا تسر بها. ويحتمل أن يكون من قوله ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك أي فاتها ستلتفت فيصيبها ما أصابهم. ويقوى هذا الاحتمال قراءة الرفع ولكن الأول أظهر في المعنى والله أعلم *

قال السهيلي واسم امرأة لوط والهة واسم امرأة نوح والفة. وقالوا له مبشرين بهلاك هؤلاء البغاة العتاة الملعونين النظراء والأشباه الذين جعلهم الله سلفاً لكل خائن مرير (إن موعدهم الصبح ليس الصبح قريب) فلما خرج لوط عليه السلام بأهله وهم ابنتاه ولم يبقه منهم رجل واحد ويقال إن امرأته خرجت معه فأنه أعلم. فلما خلصوا من بلادهم وطلعت الشمس فكان عند شروقها جاءهم من أمر الله ما لا يرد. ومن البأس الشديد ما لا يمكن أن يصد * وعند أهل الكتاب أن الملائكة أمروه أن يصد إلى رأس الجبل الذي هناك فاستبده وسأل منهم أن يذهب إلى قرية قريبة منهم فقالوا اذهب فانا نتظرك حتى تصير إليها وتستقر فيها ثم نحل بهم العذاب فذكروا أنه ذهب إلى قرية صغرى التي يقول الناس غور زغر فلما اشرفت الشمس نزل بهم العذاب قال الله تعالى (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين بعيد) قالوا اقتلهم جبريل بطرف

جناحه من قرارهن وكن سبع مدن بمن فيهن من الامم قتلوا منهم كانوا أربع مائة نسمة . وقيل أربعة آلاف نسمة وما معهم من الحيوانات وما يتبع تلك المدن من الاراضي والا ماكن والمعتملات فرجع الجميع حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة أصوات ديكهم ونباح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها قال مجاهد فكان أول ما سقط منها شرقتها (وأعطنا عليهم حجارة من سجيل) والسجيل فارسي معرب وهو الشديد الصلب القوي (منضود) أى يتبع بعضها بعضا في نزولها عليهم من السماء (مسومة) أى مملعة مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذى يهبط عليه فيدمغه كما قال (مسومة عند ربك للسرفين) وكما قال تعالى (وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) وقال تعالى (والؤنفة أهوى . فنشاها ماغشى) يعنى قلبها فأهوى بها منكسة عاليها سافلها وغشاها بمطر من حجارة من سجيل متتابعة مرقومة على كل حجر اسم صاحبه الذى سقط عليه من الحاضرين منهم في يدمم والغائبين عنها من المسافرين والنازحين والشاذين منها * ويقال إن امرأة لوط مكثت مع قومها ويقال إنها خرجت مع زوجها وبنتها ولكنها لما سمعت الصيحة وسقوط البلدة التفتت الى قومها وخالفت أمر ربها قديما وحديثا وقالت واقوماه فسقط عليها حجر فدهنها وألقها بقومها اذ كانت على دينهم وكانت عينا لهم على من يكون عند لوط من الضيفان كما قال تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) أى خانتاهما في الدين فلم يتبماهما فيه . وليس المراد أنهما كانتا على فاحشة حاشا وكلاهما . فان الله لا يقدر على نبي أن تبغى امرأته كما قال ابن عباس وغيره من أئمة السلف والخلف ما بنت امرأة نبي قط * ومن قال خلاف هذا فقد اخطأ خطأ كبيرا . قال الله تعالى في قصة الإفك لما انزل براءة أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لما أهل الإفك ما قولوا فأتب الله المؤمنين وانب وزجر ووعظ وحذر وقال فيما قال (اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم) أى سبحانك أن تكون زوجة نبيك بهذه المثابة * وقوله ههنا (وماهى من الظالمين يعيد) أى وما هذه العقوبة بعيدة بمن أشبههم في فعلهم . ولهذا ذهب من ذهب من العلماء إلى أن اللائط يرجم سواء كان محصنا أولا نص عليه الشافعي وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من الأئمة واحتجوا أيضا بما رواه الامام أحمد وأهل السنن من حديث عمرو بن أبى عمرو عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) وذهب أبو حنيفة الى أن اللائط يلقي من شاهق جيسل ويتبع بالحجارة كما فعل قوم لوط لقوله تعالى (وماهى من الظالمين يعيد) . وجعل الله مكان تلك البلاد بحرة منتنة لا ينتفع بانها

ولا بما حولها من الاراضى المتاخمة لفنائها لردائتها وذلتها فصارت عبرة ومثلة وعظة وآية على قدرة الله تعالى وعظمته وعزته فى انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسله واتبع هواه وعصى مولاة . ودليلا على رحمته بعباده المؤمنين فى انجائهم إياهم من المهلكات . واخراجه إياهم من النور الى الظلمات كما قال تعالى (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وان ربك لهُوَ العزيز الرحيم) وقال تعالى (فلخذلهم الصيحة مشرقين . فجعلنا غالبها ساقطها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل . إن فى ذلك لآيات للمتوسمين وإنها لبسبيل مقيم . ان فى ذلك لآية للمؤمنين) أى من نظر بين الفراسة والتوسم فيهم كيف غير الله تلك البلاد وأهلها وكيف جعلها بدم ما كانت أهلة عامرة . هالكة غامرة . كما روى الترمذى وغيره مرفوعا (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) ثم قرأ (ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) وقوله (وإنها لبسبيل مقيم) أى لبطريق مهيب مسلوك الى الآن كما قال (وإنكم لترون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون) وقال تعالى (ولقد تركناها آية بينة لقوم يعقلون) وقال تعالى (فاتخذوا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) أى تركناها عبرة وعظة لئلا يخاف عذاب الآخرة وخشى الرحمن بالتيب وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فاتزجر عن محارم الله وترك مآصيه وخاف أن يشابه قوم لوط (ومن تشبه قوم فهو منهم) وإن لم يكن من كل وجه فمن بعض الوجوه كما قال بعضهم فإن لم تكونوا قوم لوط بينهم فما قوم لوط منكم بعيد فالعاقلة اللبيب الخائف من ربه الفاهم يمتثل ما أمره الله به عز وجل ويقبل ما ارشده اليه رسول الله من إتيان ما خلق له من الزوجات الحلال . والجوارى من السراى ذوات الجلال . وإياه أن يتبع كل شيطان مريد . فيحقق عليه الوعيد . ويدخل فى قوله تعالى (وماهى من الظالمين بعيد)

قصّة لوط بن قوت شعيب عليه السلام

قال الله تعالى فى سورة الاعراف بعد قصة قوم لوط (والى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من آله غيره قد جائتكم بينة من ربكم فافروا السكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين . ولا تعجلوا بكل صراط توعدون . وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثرتكم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين . وان كل طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا ملك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أو لو كنا كارهين . قد أقرتنا على الله كذبا ان عدنا

في ملككم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نفرد فيها إلا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً .
على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين . وقال الملائكة الذين كفروا من قومه
لئن انبتم شعيباً لما كنتم اذنا غلاسرون . فانخسهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين . الذين كذبوا شعيباً
كأن لم يفتوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الغاسرين . فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات
ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين) . وقال في سورة هود بعد قصة قوم لوط أيضاً .
(والى مدين اخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني
أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محبط . ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقيسط ولا تبخسوا الناس
اشيائهم ولا تنموا في الأرض مفسدين . بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين . وما أنا عليكم بحفيظ .
قالوا يا شعيب أصلوتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نعمل في أمورنا مائشاء . إنك لانت الحليم
الرشيد . قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي ورزقي منه رزقا حسناً وما أريد ان أخالفكم الى
ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أئيب .
ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصبىكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط
مشكم يميد . واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود . قالوا يا شعيب ما نعته كثيراً بما تقول ولما
لترك فينا ضميغاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز . قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله
واتخذتموه ورائكم ظهرياً إن ربي بما تعملون محيط . ويا قوم اعلوا على مكاتكم إني عامل سوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارقبوا إني معكم رقيب . ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين
آمنوا معه برحمة منا وأخفنا الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين . كأن لم يفتوا فيها إلا بئداً
لمدين كما بدت نمود) . وقال في الحجر بعد قصة قوم لوط أيضاً . (وإن كان اصحاب الأيكة للظالمين
فانتمنا منهم وانهم بالامام ميين) وقال تعالى في الشراء بعد قصتهم (كذب أصحاب الأيكة المرسلين
اذ قال لهم شعيب ألا تمتقون إني لكم رسول امين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن
اجرى إلا على رب العالمين . اوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين وزنوا بالتسطاس المستقيم . ولا تبخسوا
الناس اشيائهم ولا تنموا في الأرض مفسدين . واتقوا الله الذى خلقكم والجيله الأولين . قالوا انما أنت
من السحرة وما أنت إلا بشر مثنا وإن قلنا لمن الكاذبين . فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت
من الصادقين . قال ربي أعلم بما تعملون . فكذبوه فأخذهم عذاب يوم نقلة إله كان عذاب يوم عظيم
إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم)

كل أهل مدين قوما عربا يسكنون مدينتهم مدين التي هي قرية من أرض ممان من أطراف الشام
بما على ناحية الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوط . وكانوا بدمم بلدة قرية . ومدين قبيلة عرفت بهم القبيلة

وهم من بني مدين بن مديان بن ابراهيم الخليل وشعيب بنهم هو ابن ميكيل (١) بن يشجن (٢) ذكره ابن اسحاق قال ويقال له بالسريانية بنزون (٣) وفي هذا نظر ويقال شعيب بن يشجن بن لاوي بن يعقوب ويقال شعيب بن نوب بن عيفا (٤) بن مدين بن ابراهيم ويقال شعيب بن ضيفور بن عيفا (٥) بن ثابت بن مدين بن ابراهيم وقيل غير ذلك في نسبة .

قال ابن عساكر ويقال جدته ويقال أمه بنت لوط وكان من آمن بابراهيم وهاجر معه ودخل معه دمشق وعن وهب ابن منبه أنه قال شعيب وملثم من آمن بابراهيم (٦) يوم أحرق بالنار وهاجرا معه الى الشام فزوجها بنتي لوط عليه السلام . ذكره ابن قتيبة * وفي هذا كله نظر أيضا والله أعلم .

وذكر أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة سلمة بن سعد العنزي قدم على رسول الله (ص) فأسلم وانتسب الى عنزة فقال نعم الحى عنزة مبنى عليهم منصورون قوم شعيب وأختان (٧) موسى فلو صح هذا لدل على أن شعيبا من موسى وأنه من قبيلة من العرب العاربة يقال لهم عنزة لا أنهم من عنزة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فان هؤلاء بملء بدهر طويل والله أعلم .

وفي حديث أبي ذر الذي في صحيح ابن حبان في ذكر الأنبياء والرسل قال (أرجمت من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر) وكان بعض السلف يسمى شعيبا خطيب الأنبياء يعنى لفصاحته وعلو عبارته وبلاغته في دعاية قومه الى الايمان برسائه * وقد روى ابن اسحاق بن بشر عن جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال كان رسول الله (ص) اذا ذكر شعيبا قال (ذاك خطيب الأنبياء) وكان أهل مدين كفاراً يقطعون السيل ويخيفون المارة ويمسدون الأيكة وهى شجرة من الأيك حولها غيضة ملتفة بها وكانوا من أسوء الناس معاملة بينخسون المسكيات والميزان ويففون فيها يأخذون بلائد ويدفون بالناقص فيعت الله فيهم رجلا منهم وهو رسول الله شعيب عليه السلام فدعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطى هذه الأفاعيل القبيحة من نجس الناس أشياءهم واخافتهم لهم في سبلهم وطرقاتهم فآمن به بعضهم وكفر أكثرهم حتى أحل الله بهم البأس الشديد . وهو الولي الحميد . كما قال تعالى (وإلى مدين أخاهم شعيبا . قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) أى دلالة وحجة واضحة وبرهان قاطع على صدق ما جئتكم به وانه أرسلنى وهو ما أجرى الله على يديه من المعجزات التى لم تنقل لنا تفصيلا وان كان هذا اللفظ قد دل عليها إجمالا

(١) وفي الطبرى ميكائيل (٢) في نسخة يشخر (٣) في نسخة يثرون كما في الطبرى (٤) في الطبرى عنقا (٥) في نسخة صيغور وفي الطبرى صيغون (٦) عبارة الطبرى وانما هو من ولد بعض من آمن بابراهيم وهاجر معه الى الشام (٧) قوله واختان موسى كذا بالأصول والذي في الاستيعاب وأخبار موسى

(فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم) (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) أمرهم بالعدل ونههم عن الظلم وتوعدهم على خلاف ذلك فقال (ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ولا تعملوا بكل صراط) (أى طريق (توعدون) أى تتوعدون الناس بأخذ أموالهم من مكوس وغير ذلك وتخيفون السبل * قال السدى فى تفسيره عن الصحابة (ولا تفعدوا بكل صراط توعدون) أنهم كانوا يأخذون الشور من أموال المارة * وقال اسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال كانوا قوما طناة بناء يجاسون على الطريق (يبخسون الناس) يعنى يمشرونهم وكانوا أول من سن ذلك (وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبعونها عوجا) فهام عن قطع الطريق الحسية الدنيوية والمعنوية الدينية (واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) ذكرهم بنعمة الله تعالى عليهم فى تكثيرهم بعد القلة وحذرهم نعمة الله بهم إن خلفوا ما أرشدهم اليه ودلهم عليه كما قال لهم فى القصة الأخرى (ولا تقصوا الكيال والميزان إنى أراكم بخير وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط) أى لا تركبوا ما أنتم عليه وتستروا فيه فيحق الله بركة ما فى أيديكم ويقركم ويذهب ما به ينينكم وهذا مضاف إلى عذاب الآخرة ومن جمع له هذا وهذا فقد باه بالصقعة الخاسرة فهام أولا عن تعاطى ما يلبق من التلطيف وحذرهم سلب نعمة الله عليهم فى دنياهم وعذابه الأليم فى آخرهم وعنفهم أشد تخفيف . ثم قال لهم أمرا بدم ما كان عن ضده زاجرا (ويا قوم أوفوا الكيال والميزان بالتقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تتعوا فى الأرض مفسدين بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ) قال ابن عباس والحسن البصرى (بقيت الله خير لكم) أى رزق الله خير لكم من أخذ أموال الناس * وقال ابن جرير ما فضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس بالتلطيف . قال وقد روى هذا عن ابن عباس وهذا الذى قاله وحكاه حسن وهو شبيه بقوله تعالى (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث) يعنى أن القليل من الحلال خير لكم من الكثير من الحرام فإن الحلال مبارك وأن قل والحرام محقق وأن أكثر كما قال تعالى يحق الله الربا ويربى الصدقات وقال رسول الله (ص) (ان الربا وإن أكثر فإن مصيره الى قتل) رواه أحمد أى الى قلة وقال رسول الله (ص) (اليمان بختيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبيننا بورك لهما فى يبعها وإن كتما وكذبا محتمت بركة يبعها * والمقصود أن الربح الحلال مبارك فيه وأن قل والحرام لا يجدى وأن أكثر ولهذا قال نبى الله شبيب (بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين) وقوله (وما أنا عليكم بحفيظ) أى افضل ما أمركم به ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه لا لأراكم أنا وغيرى (قالوا يا شبيب أصلوتك تأمرك أن تترك ما يبعد أبونا أو أن تفعل فى أمورنا ما نشاء انك لأنت الجليل الرشيد) يقولون هذا على سبيل الاستهزاء والتقص والتهمك أصولتك هذه التى تصلبها هى الأمرة لك بأن تحجر علينا فلا تنبذ الا إهلك

وترك ما يعبد آباؤنا الأقدمون وأسلافنا الأولون أو أن لا تتعامل الا على الوجه الذي ترضيه أنت وترك المعاملات التي تأبها وان كنا نحن نرضاها (انك لأنك اخليم الرشيد) قال ابن عباس وميمون ابن مهران وابن جريج وزيد بن اسلم وابن جرير يقولون ذلك اعداء الله على سبيل الاستهزاء (قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بيعة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد ان أخالفكم الى ما أنما كم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيق الا بالله عليه توكلت واليه أئيب) هذا تطف مضم في العبارة ودعوة لهم الى الحق ايبين اشارة يقول لهم أرأيتم أيها المكذبون (ان كنت على بيعة من ربي) أي على أمرين من الله تعالى أنه أرسلني اليكم (ورزقني منه رزقا حسنا) يعني النبوة والرسالة يعني وعى عليكم معرفتها في حيلة لي بكم . وهذا كما تقدم عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه سواء وقوله (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنما كم عنه) أي لست أمركم بالأمر الا وأنا أول فاعل له واذا نهيتكم عن الشيء فانا أول من يتركه وهذه هي الصفة المحمودة العظيمة وضدها هي المردودة الذميمة كما تلبس بها علماء بني اسرائيل في آخر زمانهم وخطباؤهم الجاهلون * قال الله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) وذكر عندها في الصحيح عن رسول الله (س) أنه قال يؤتى بالرجل فيلقى في النار فتندلق اقطاب بطنه أي تخرج أعضاؤه من بطنه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية * وهذه صفة مخالفي الانبياء من الفجار والاشقياء فلما السادة من النجباء والالباء من العلماء الذين يمشون ربهم بالغيب فخلمهم كما قال نبي الله شعيب (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنما كم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت) أي ما أريد في جميع أمري إلا الاصلاح في القتال والمقاتل بجهدي وطاقتي (وما توفيق) أي في جميع أحوالي (إلا بالله عليه توكلت واليه أئيب) أي عليه أتوكل في سائر الأمور واليه مرجعي ومصيري في كل أمري وهذا مقام ترغيب . ثم انتقل الى نوع من الترهيب فقال (وما قوم لا يجرمكم شقائي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط . منكم يبعيد) أي لا تخمانكم مخالفتي وبغضكم ما جشتم به على الاستمرار على ضلالكم وجهلكم ومخالفتكم فيجعل الله بكم من العذاب والنكال نظير ما احله بنظر ائمتكم وأشباهمكم من قوم نوح وقوم هود وقوم صالح من المكذبين المخالفين . وقوله (وما قوم لوط منكم يبعيد) قيل معناه في الزمان أي ما بالمهد من قدم مما قد بلغكم ما أحل بهم على كفرهم وعتومهم * وقيل معناه وما هم منكم يبعيد في الحلة والسكان . وقيل في الصفات والأفعال المستقبجات من قطع الطريق وأخذ أموال الناس جبرة وخفية بأنواع الخيل والشبهات والجمع بين هذه الأقوال ممكن فأنهم لم يكرهوا بعبدين منهم لا زمانا ولا مكانا ولا صفات ثم مزج الترهيب بالترغيب فقال (واستغفروا ربكم ثم توبوا

إليه إن ربي رحيم ودود) أى ألقوا عما أنتم فيه وتوبوا إلى ربكم الرحيم الودود فإنه من تلب إليه تلب عليه فإنه رحيم بعباده أرحم بهم من الوالدة بولدها ودود وهو الحبيب ولو بد التوبة على عبده ولو من المواقف المظلم (قلوا يا شعيب ما فقهه كثيرا مما تقول وإنما لتركنا فينا ضميما) روى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والثوري أنهم قالوا كان ضرير البصر * وقد روى في حديث مرفوع أنه بكى من حب الله حتى عمى فرد الله عليه بصره . وقال يا شعيب أتبكي خوفا من النار أو من شوقك إلى الجنة فقال بل من محبتك فإذا نظرت إليك فلا أبالي ماذا يصنع بي فأوحى الله إليه هنيئا لك يا شعيب لتأني فلذلك أهدمتك موسى ابن عمران كليبي * رواه الواحدى عن أبي الفتح محمد بن علي الكوفي عن علي بن الحسن بن بندار عن أبي عبد الله محمد بن اسحق التريلى (١) عن هشام بن عمار عن اسمعيل بن عباس عن يحيى بن سعيد عن شداد بن أمين عن النبي (ص) بنحوه وهو غريب جداً وقد ضعفه إنطيطيب البغدادي * وقولهم (ولولا رهطك لرجناك وما أنت علينا بمرزبن) وهذا من كفرهم البديع وعنادهم الشيع حيث قالوا (ما فقهه كثيرا مما تقول) أى ما فهمه ولا تتغله لأننا لنحبه ولا نزيدة وليس لنا همة إليه ولا إقبال عليه وهو كما قال كنفار قريش لرسول الله (ص) (وقالوا قلونا في أى كنة ما تدعوننا إليه وفى آذاننا قر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون) وقولهم (وانا لتركنا فينا ضميما) أى مضطهداً مهجوراً (ولولا رهطك) أى قبيلتك وعشيرتك فينا (لرجناك وما أنت علينا بمرزبن) أى مضطهداً أعز عليكم من الله أى تخافون قبيلتي وعشيرتي وترعونى ببيهم ولا تخافون جنبه الله ولا تراعونى لأنى رسول الله فصار رهطى أعز عليكم من الله (واتخذتموه وراءكم ظهرا أى جانب الله وراء ظهوركم) (إن ربي بما تعملون محيط) أى هو عليم بما تعملونه وما تصنعونه محيط بذلك كله وسيجزىكم عليه يوم ترجعون إليه (ويا قوم اعلوا على مكاتبتكم إنى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارثبوا إلى معكم رقيب) وهذا أسر تهديد شديد ووعيد اكيد بان يستمروا على طريقهم ومنهجهم وشاكتهم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار . ومن يحمل عليه الملاك والبوار (من يأتيه عذاب يخزيه) أى فى هذه الحياة الدنيا (ويحمل عليه عذاب مقيم) أى فى الآخرة (ومن هو كاذب) أى منكم فىما أخبر وبشر وحذر (وارثبوا إلى معكم رقيب) وهذا كقولهم (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . قال الملاء الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا ملك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أو لو كنا كلهمين . قد افترينا على الله كذبا إن عدما فى ملكم بعد إذ نجمانا الله منها وما يكون لنا أن نورد فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ عداء على الله توكانا ربنا اتضح

(١) قوله التريلى وفى نسخة الرملى فليحرره عن محمود الامام

بيننا وبين هومنا بلحق وأنت خير الفاتحين) طلبوا بزعمهم أن يردوا من آمن منهم الى ملتهم فانتصب شبيب للمحاجة عن قومه فقال (أولو كنا كارهين) أى هؤلاء لا يعودون اليكم اختياراً وإنما يعودون اليه إن عادوا اضطاراً مكرهين وذلك لان الايمان إذا خالطه بشاشة القلوب لا يسخطه أحد ولا يرتد أحد عنه ولا محيد لأحدمه. ولهذا قال (قد أفترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علماً على الله توكلنا) أى فهو كافينا وهو العاصم لنا واليه ملجأؤنا في جميع أمرنا ثم استفتح على قومه واستنصر ربه عليه في تعجيل ما يستحقونه اليهم فقال (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بلحق وأنت خير الفاتحين أى الحاكمين) فدعا عليهم والله لا يرد دعاء رسله إذا استنصروه على الذين جحدوه وكفروه ورسوله خالفوه. ومع هذا صموا على ما هم عليه مشتملون. وبه متلبسون (وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذا غلاسرون قال الله تعالى. فاخذتهم الرجعة فاصبحوا في دارهم جاثمين) ذكر في سورة الأعراف أنهم أخذتهم رجعة أى رجفت بهم أرضهم وزلزلت زلالاً شديداً أرهقت أرواحهم من أجسادها وصيرت حيوانات أرضهم كجمادها واصبحت جثثهم جائية لا أرواح فيها ولا حركات بها ولا حواس لها * وقد جمع الله عليهم أنواعاً من العقوبت وصنوفاً من المئات وأشكالاً من البليات وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات سلط الله عليهم رجعة شديدة أسكنت الحركات وصيحة عظيمة أخذت الأصوات وظلة أرسل عليهم منها شرر النار من سائر أرجائها والجهات. ولكنه تعالى أخبر عنهم في كل سورة بما يناسب سياقها ويوافق طباقها في سباق قصة الاعراف ارجفوا نبي الله وأصحابه وتوعدوهم بالخراج من قريتهم أو ليعودن في ملتهم راجعين فقال تعالى (فاخذتهم الرجعة فاصبحوا في دارهم جاثمين) فقابل الارجفاف بالرجعة والاخافة بالخيفة وهذا مناسب لهذا السياق ومتعلق بما تقدمه من السباق * وأما في سورة هود فذكر أنهم أخذتهم الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين وذلك لأنهم قالوا لنبي الله على سبيل الحكم والاستهزاء والتقصص (أصواتك تأمرك أن تترك ما يعبد أبؤنا أو أن نعمل في أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد) فناسب أن يذكر الصيحة التي هي كالاجر عن تعاطي هذا الكلام القبيح الذي واجهوا به هذا الرسول الكريم الأمين الفصيح بغيرهم صيحة أسكتهم مع رجعة أسكتهم. وأما في سورة الشعراء فذكر أنه أخذهم عذاب يوم الظلة. وكان ذلك إجابة لما طلبوا. وتقرينا الى ما اليه رغبوا. فاتهم قالوا (إنما أنت من المسحرين وما امت إلا بشر مثنا وإن نفلك لمن الكاذبين فسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين. قال رب أعلم بما تعملون) قال الله تعالى (وهو السميع العليم فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) ومن زعم من المفسرين كفتادة وغيره أن أصحاب الأيكة أمة أخرى غير أهل مدين فقوله ضيف وإما

عنتهم شيئا أحدهما أنه قال (كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب) ولم يقل أخوهم كما قال والى مدين أخاهم شعيبا . والثاني أنه ذكر عذابهم بيوم الظلة وذكر في أولئك الرجعة أو الصيحة والجواب عن الأول أنه لم يذكر الأخوة بعد قوله (كذب أصحاب الأيكة المرسلين) لانه وصفهم بعبادة الأيكة فلا يناسب ذكر الأخوة هنا ولما نسبهم الى القبيلة شاع ذكر شعيب بأنه أخوهم * وهذا الغرر من الغرائب اللطيفة العريضة الشريفة * وأما احتجاجهم بيوم الظلة فان كان دليلا بمجرده على أن هؤلاء أمة أخرى فليكن تعداد الانتقام بالرجعة والصيحة دليلا على انهما أمتان أخريان وهذا لا يقوله أحد يفهم شيئا من هذا الشأن * فأما الحديث الذي أورده المحافظ ابن عساكر في ترجمة النبي شعيب عليه السلام من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن معاوية بن هشام عن هشام بن سعد عن شقيق بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً (إن مدين وأصحاب الأيكة أمتان بث الله اليهما شعيبا النبي عليه السلام) فانه حديث غريب وفي رجاله من تكلم فيه * والأشبه أنه من كلام عبد الله بن عمرو مما أصابه يوم اليرموك من تلك الزامتين من أخبار بني اسرائيل والله أعلم * ثم قد ذكر الله عن أهل الأيكة من المذمة ما ذكره عن أهل مدين من التطفيف في المكيال والميزان فدل على أنهم أمة واحدة اهلكوا بأنواع من العذاب * وذكر في كل موضع ما يناسب من الخطاب . وقوله (فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) ذكروا أنهم أصابهم حديد وأسكن الله هبوب الهوا عنهم سبعة أيام فكان لا ينفعمهم مع ذلك ماء ولا ظل ولا دخولهم في الأسراب فهربوا من محلتهم الى البرية فاظلمت سحابة فاجتمعوا تحتها ليستظلوا بظلمها فلما تكاملوا فيه أرسلها الله ترميهم بشرر وشهب ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة من السماء فازهقت الارواح وخربت الاشباح فاصبحوا في دارهم جائعين الذين كذبوا شعيبا كأن لم ينشوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الغاسرين . ونجى الله شعيبا ومن معه من المؤمنين) كما قال تعالى وهو أصدق القائلين (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جائعين . كأن لم ينشوا فيها إلا بدماء مدين كما بدت ثمود) . وقال تعالى (وقال الملائكة من قومه لئن اتبعت شعيبا إنكم إذا غاسرون . فأخذتهم الرجعة فأصبحوا في دارهم جائعين الذين كذبوا شعيبا كأن لم ينشوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الغاسرين) وهذا في مقابلة قولهم (لئن اتبعت شعيبا إنكم إذا غاسرون) ثم ذكر تعالى عن نبيهم أنه فنام الى انفسهم موبخاً ومؤذناً ومقرعاً فقال تعالى (يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين) أى عرض عنهم موليا عن محلتهم بمد هلكتهم قائلاً (يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) أى قد أدت ما كان واجباً على من البلاغ التام والنصح الكامل وحرصت على هدايتكم بكل ما أقدر عليه وأتوصل اليه فلم

ينفكم ذلك لأن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين فلست أتأسف بمد هذا عليكم لأنكم لم تكونوا تقبلون النصيحة ولا تخافون يوم النضيجة ولهذا قال فكيف آسى أى احزن على قوم كافرين أى لا تقبلون الحق ولا ترجعون اليه ولا تلتفتون اليه فخل بهم من بأس الله الذى لا يرد مالا يدافع ولا يمانع ولا يحيد لاحد أريد به عنه ولا مناص منه *

وقد ذكر الحافظ بن عساكر فى تلويحه عن ابن عباس أن شعيبا عليه السلام كان بمد يوسف عليه السلام . وعن وهب بن منه أن شعيبا عليه السلام مات بمكة ومن معه من المؤمنين وقبورهم غربى الكعبة بين دار الندوة ودار نبي مهم

باب قرية ابراهيم

قد قدمنا قصته مع قومه وما كان من أمرهم وما ال اليه امره عليه السلام والتحية والأكرام وذكرا ما وقع فى زمانه من قصة قوم لوط . وأتبعنا ذلك بقصة مدين قوم شيب عليه السلام لأنها قرينتها فى كتاب الله عز وجل فى مواضع متعددة فذكر تعالى بمد قصة قوم لوط قصة مدين وم أصحاب الأيكة على الصحيح كما قدمنا فذكر لها تبعها لها إقتداء بالقرآن العظيم * ثم نشرع الآن فى الكلام على تفصيل قرية ابراهيم عليه السلام لأن الله جل فى ذريته النبوة والكتاب فكل نبي أرسل بعده فن ولد *

اسماعيل عليه السلام

وقد كان للخليل بنون كما ذكرنا ولكن اشهرهم الأخوان النبيان العظامان الرسولان أسنهما وأجلهما الذى هو الذبيح على الصحيح اسماعيل بكر ابراهيم الخليل من هاجر القبطية المصرية عليها السلام من العظيم الجليل * ومن قال إن الذبيح هو اسحق فأبما نأقاه من قلة بنى اسرائيل الذين بدلوا وحرفو وأولوا التوراة والانجيل وخالقوا ما بأيديهم فى هذا من التنزيل * فان ابراهيم أمر بذبح ولده البكر * وفى رواية الوحيد وأبما كان فهو اسماعيل بنص الدليل فى نص كتابهم إن اسماعيل ولد لابراهيم من العمر ست وثمانون سنة * وإنما ولد اسحق بعد ماضى مائة سنة من عمر الخليل فالعاجل هو البكر لا محالة وهو الوحيد صورة ومعنى على كل حيلة * أما فى العصوره فلانه كان وحده ولده أزيد من ثلاثة عشر سنة وأما أنه وحيد فى المعنى فانه هو الذى هاجر به أبوه ومعه أمه هاجر وكان صغيراً رضيعاً فبقيل فوضعا فى وهاد جبال فاران وهى الجبال التى حول مكة نعم المليل وتركها هنالك ليس معها من الزاد والماء الا القليل وذلك تمه بالله وتوكلا عليه . فخطبها الله تعالى بمنابته وكفايته فعم الحسب والسكافى والوكيل

والكفيل فهذا هو الولد الوحيد في الصورة والمعنى ولكن أين من يتفطن لهذا السر وابن من يحل بهذا الحل والمعنى لا يدركه ويحيط بعلمه الا كل نبيه نبيل * وقد أثنى الله تعالى عليه ووصفه بالحلم والصبر وصدق الوعد والمحافظة على الصلاة والأمر بها لأهلده ليقبهم العذاب مع ما كان يدعو اليه من عبادة رب الأرباب * قال تعالى (فبشرناه بنحلام حلیم فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) فطواع أباه على ما اليه دعاه . ووعده بان سيصبر فوفى بذلك وصبر على ذلك . وقال تعالى (واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) وقال تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار . إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار . واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار) وقال تعالى (واسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إثمهم من الصالحين) وقال تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) الآية . وقال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل اليه وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط) الآية . وتفسيرتها من السورة الأخرى . وقال تعالى (أم يقولون إن ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل أنتم أعلم أم الله) الآية فذكر الله عنه كل صفة جميلة وجعله نبيه ورسوله وبرأه من كل مانسب اليه الجاهلون . وأمر بأن يؤمن بما أنزل عليه عباده المؤمنون . وذكر علماء النسب وإيام الناس أنه أول من ركب الخليل وكانت قبل ذلك وحوشاً فانسأ وركبها . وقد قال سعيد بن يحيى الأموي في مغازيه حدثنا شيخ من قريش حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر أن رسول الله (ص) قال (اتخذوا الخليل واعتبوا بها قاتها مراث أيكم اسماعيل) وكانت هذه العراب وحشا فدعا لها بدعوته التي كان أعطى فاجابته وإنه أول من تكلم بالعربية الفصحى البديعة * وكان قد تعلمها من العرب العاربة الذين نزلوا عندهم بمكة من جرهم والماليق وأهل اليمن من الأمم المتقدمين من العرب قبل الخليل .

قال الاموي حدثني علي بن المغيرة حدثنا أبو عبيدة حدثنا مسعم بن مالك عن محمد بن علي ابن الحسين عن آبائه عن النبي (ص) أنه قال « أول من فتق لسانه بالعربية البينة اسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة » فقال له يونس صدقت يا أبا سيار هكذا أبو جري حدثني . وفد قدمنا فأنه تزوج ما شب من الماليق امرأة وأن أباه أمره بفراقها ففارقها * قال الاموي هي عمارة بنت سعد بن أسامة بن أكيل المالقي * ثم نكح غيرها فامرته أن يستمر بها فاستمر بها وهي السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرمي

وقيل هذه ثلاثة فولدت له إثني عشر ولدا ذكرا . وقد سماهم محمد بن اسحق رحمه الله وهم ثابت وقيدر (١) وازبل وميشي ومسمع وماش ودوصا وارر ويطور ونش وطيا وقيدما * وهكذا ذكرهم أهل الكتاب في كتابهم . وعندهم أنهم الاثنا عشر عظيمي الم بشر بهم المتقدم ذكرهم . وكذبوا في تأويلهم ذلك وكان اسماعيل عليه السلام رسولا الى أهل تلك الناحية وما والاها من قبائل جرهم والماليق وأهل اليمن صلوات الله وسلامه عليه * ولما حضرته الوفاة أوصى الى أخيه اسحق وزوج ابنته نسبة من ابن أخيه العيص بن اسحق فولدت له الروم . ويقال لهم بنو الاصفر لصفرة كانت في العيص * وولدت له اليونان في أحد الاقوال * ومن ولد العيص الاشبان قيل منها ايضا * وتوقف ابن جرير رحمه الله .

ودفن اسماعيل نبي الله بالحجر مع أمه هاجر وكان عمره يوم مات مائة وسبعا وثلاثين سنة * وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال شكى اسماعيل عليه السلام الى ربه عز وجل حر مكة فأوحى الله اليه آتى ساذج لك بابا الى الجنة الى الموضع الذي تدفن فيه تجرى عليك روحها الى يوم القيامة .

وعرب الحجاز كلهم ينتسبون الى ولديه ثابت وقيدار * وستكلم على أحياء العرب وبطونها وعمازها وقبائلها وعشايرها من لدن اسماعيل عليه السلام الى زمان رسول الله (ص) * وذلك اذا اتهمنا الى أيامه الشريفة وسيرته المنيفة بعد الفراغ من أخبار انبياء بني اسرائيل الى زمان

عيسى بن مريم خاتم انبيائهم ومحقق أنبائهم * ثم نذكر ما كان في زمن نبي اسرائيل * ثم من وقع في أيام الجاهلية ثم ينتهي الكلام الى سيرة نبينا رسول الله الى العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم من الأمم إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم

اسحاق بن ابراهيم عليه السلام والصلوة والسلام

قد قدمنا أنه ولد ولأبيه مائة سنة بعد أخيه اسماعيل بأربع عشر سنة . وكان عمر أمه سارة حين بشرت به تسعين سنة قال الله تعالى (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما بحسن وظالم لنفسه مبين) * وقد ذكره الله تعالى بالثناء عليه في غير ما آية من كتابه العزيز * وقدمنا في حديث أبي هريرة عن رسول الله (ص) أن الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم

(١) قوله قيذر في نسخة قيذار وقوله وميشي وفي نسخة منبسي قوله وارر في نسخة وادر وفي

أخرى وارر صوره ويطور في نسخة ودرارر قوله وطيا في نسخة وطيا

يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم . وذكر أهل الكتاب أن اسحق لما تزوج رها بنت بتوايل في حيات أبيه كان عمره أربعين سنة وأنها كانت عاقراً فدعا الله لها فحملت فولدت غلامين توأمين أولهما سموه عيصو وهو الذي نسيه العرب العيص وهو والد الروم * والثاني خرج وهو آخذ بمقب أخيه فسموه يعقوب وهو اسرائيل الذي ينتسب اليه بنو اسرائيل قالوا وكان اسحق يحب العيصو أكثر من يعقوب لانه بكره وكانت أمهما رها تحب يعقوب أكثر لأنه الأصغر قالوا فلما كبر اسحق وضمف بصره اشتغى على ابنه العيص طاماً وأمره أن يذهب فيصطاد له صيداً ويطبخه له ليبارك عليه ويدعو له وكان العيص صاحب صيد فذهب يتتبع ذلك فاصرت رها ابنها يعقوب أن يذبح جديدين من خيار غنمه ويصنع منهما طاماً كما اشتهاه أبوه ويأتي إليه به قبل أخيه ليدعو له فقامت فألبسته ثياب أخيه وجعلت على ذراعيه وعتقه من جلد الجديدين لأن العيص كان أشمر الجسد ويعقوب ليس كذلك فلما جاء به وقربه إليه قال من أنت قال ولدك فضه اليه وجسه وجعل يقول أما الصوت فصوت يعقوب وأما الجس والثياب فالعيص فلما أكل وفرغ دعا له أن يكون أكبر إخوته قدراً وكنيته عليهم وعلى الثوب بده وأن يكثر رزقه وولده *

فلما خرج من عنده جاء أخوه العيص بما أمره به والده فقربه اليه فقال له ما هذا يا بني قال هذا الطعام الذي اشتهيته فقال أما جئتني به قبل الساعة وأكأنت منه ودعوت لك فقال لا والله وعرف أن أخاه قد سبقه إلى ذلك فوجد في نفسه عليه وجداً كثيراً . وذكروا أنه تواعده بالقتل اذا ملت أبوها وسأل أباه فدعا له بدعوة أخرى وأن يجعل لذريته غليظ الأرض وأن يكثر أرزاقهم وثمارهم فلما سمعت أمها ما تواعده به العيص أخاه يعقوب أمرت ابنها يعقوب أن يذهب إلى أخيها لابان الذي بأرض حران وأن يكون عنده إلى حين يسكن غضب أخيه عليه وأن يتزوج من بناته . وقالت لزوجها اسحق أن يأمره بذلك ويوصيه ويدعو له ففعل فخرج يعقوب عليه السلام من عندهم من آخر ذلك اليوم فأدركه المساء في موضع فنام فيه أخذ حجراً فوضعه تحت رأسه ونام فرأى في نومه ذلك معراجاً منصوباً من السماء إلى الأرض وإذا الملائكة يصعدون فيه وينزلون والرب تبارك وتعالى يخاطبه ويقول له إنى سأبارك عليك وأكثر ذريتك واجعل لك هذه الأرض ولعقبك من بعدك . فلما هب من نومه فرح بما رأى ونذر الله لأن يرجع إلى أهله سالماً ليتبين في هذا الموضع مبدء الله عز وجل وأن جميع ما يرزقه من شئ يكون لله عشره ثم عمد إلى ذلك الحجر فجعل عليه دهناً يتعرفه به وسمى ذلك الموضع بيت إيل أي بيت الله وهو موضع بيت المقدس اليوم الذي بناه يعقوب بعد ذلك كما سيأتي قالوا فلما قدم يعقوب على خاله أرض حران اذا له ابنتان اسم الكبرى ليا واسم الصغرى راحيل وكانت أحسنهما وأجملها فاجابه الى ذلك بشرط أن رعى على غنمه سبع سنين فلما مضت المدة على خاله لابان صنع طاماً وجمع الناس عليه وزف اليه ليلا

ابنته الكبرى ليا وكانت ضعيفة العينين قبيحة المنظر . فلما أصبح يعقوب اذا هي ليا فقال لخاله لم غنرت بي وأنت اتما خطبت اليك راحيل فقال لانه ليس من سنتنا أن تزوج الصغرى قبل الكبرى فان احببت اختمها فاعمل سبع سنين أخرى وازوجكها فعمل سبع سنين وادخلها عليه مع أختها وكان ذلك سائفا في ملتهم ثم نسخ في شريعة التوراة * وهذا وحده دليل كاف على وقوع النسخ لان فعل يعقوب عليه السلام دليل على جواز هذا واباحته لأنه معصوم * ووهب لابان لكل واحدة من ابنتيه جارية فوهب لليا جارية اسمها زلني ووهب لراحيل جارية اسمها بلهي * وجبر الله تعالى ضعف ليا بان وهب لها أولاداً فكان أول من ولدت ليعقوب روييل ثم شمعون ثم لاوى ثم يهوذا ففارت عند ذلك راحيل وكانت لا تحبل فوهبت ليعقوب جاريته بلهي فوطئها فحملت وولدت له غلاماً سمته دان وحملت وولدت غلاماً آخر سمته نفتالي فحملت عند ذلك ليا فوهبت جاريته زلني من يعقوب عليه السلام فولدت له جاد (١) وأشير غلامين ذكرين ثم حملت ليا أيضاً فولدت غلاماً خامساً منها وسمته ايساخ (٢) * ثم حملت وولدت غلاماً سادساً سمته زابلون ثم حملت وولدت بنتاً سمته دينا فصار لها سبعة من يعقوب * ثم دعت الله تعالى راحيل وسألته أن يهب لها غلاماً من يعقوب فسمع الله نداءها وأجاب دعائها فحملت من نبي الله يعقوب فولدت له غلاماً عظيماً شريفاً حسناً جميلاً سمته يوسف كل هذا وهم مقيمون بارض حران (٣) وهو يرى على خاله غنمه بعد دخوله على البنيتين ست سنين أخرى فصار مدة مقامه عشرين سنة فطلب يعقوب من خاله لابان أن يسرحه ليرى إلى أهله فقال له خاله انى قد بورك لى بسبيك فسألنى من مالى ما شئت فقال تعطينى كل حمل يولد من غنمك هذه السنة أبيع وكل حمل ملمع أبيض بسواد وكل أملح بيباض وكل أجلح أبيض من المزع قال نعم فعهد بنوه فبرزوا من غنم أبيهم ما كان على هذه الصفات من التيوس لتلا يولد شئ من الحملان على هذه الصفات وساروا بها مسيرة ثلاثة أيام عن غنم أبيهم قالوا فهد يعقوب عليه السلام إلى قضبان رطبة يبيض من لوز وولب فكان يقشرها بلقا وينصبها في مساقى الغنم من المياه لينظر الغنم اليها فتزع وتمتدح أولادها في بطونها فتصير ألوان حملاتها كذلك وهذا يكون من بلب خوارق العادات ويتنظم في سلك المعجزات فصار ليعقوب عليه السلام أغانم كثيرة ودواب وعبيد وتمير له وجه خاله وبنيه وكانهم انحصروا منه وأوحى الله تعالى الى يعقوب أن يرجع الى بلاد أبيه وقومه ووعدته بأن يكون معه فرض ذلك على أهله فاجابوه بمبادرين الى طاعته فتحمل بأهله وماله وسرقت راحيل أصنام أبيها فلما جاوزوا وتميزوا عن بلادهم لحقهم لابان وقومه فلما اجتمع لابان بيعقوب عاتبه في خروجه بنير علمه وهلا أعله فيخرجهم في فرح ومزاهر وطبول وحتى يودع بناته وأولادهن ولم أخذوا أصنامهم معهم ولم يكن عند

(١) فى النسخة الحلبية حاذ (٢) فى نسخة انساخر (٣) فى الطبرى بارض بابل

يعقوب علم من أصنامهم فانكر أن يكون أخذوا له اصناما فدخل بيوت بناته وامانهن يفتش فلم يجد شيئا وكانت راحيل قد جعلتهن في بردعة الحمل وهي تحتها فلم تهم وأعتدت بأنها طامث فلم يقدر عليهن فصد ذلك وتواتروا على راية هناك يقال لها جلماذ على أنه لا يهين بناته ولا يتزوج عليهن ولا يجاوز هذه الراية الى بلاد الأخر لا لابان ولا يعقوب وعملا طاماما وأكل القوم معهم وتودع كل منهما من الآخر وتفرقوا راجعين الى بلادهم فلما اقترب يعقوب من أرض ساعير تلقته الملائكة يبشرونه بالتقدم وبث يعقوب البرد الى أخيه العيصو يترفق له ويتواضع له فرجعت البرد وأخبرت يعقوب بان العيص قد ركب اليك في أربعائة راجل فخشى يعقوب من ذلك ودعا الله عز وجل وصلى له وقصرع اليه وتمسك لديه ونأشده عهدته ووعدته الذي وعده به وسأله أن يكف عنه شر أخيه العيص وأعد لآخيه هدية عظيمة وهي مائتا شاة وعشرون تيساً ومائتا نعجة وعشرون كبشا وثلاثون لحة وأربعون بقرة وعشرة من الثيران وعشرون أتاناً وعشرة من الحمر وأمر عبيده أن يسوقوا كلانا من هذه الأصناف وحده وليكن بين كل قطيع وقطيع مسافة فاذا لقيهم العيص فقال للأول لمن أنت ولمن هذه معك فليقل لبعديك يعقوب أهداها لسيدى العيص وليقل الذي بعده كذلك وكذا الذي بعده ويقول كل منهم وهو جأى بدنا وتأخر يعقوب بزوجته وأمنته وبنيه الأحد عشر بصد الكحل بليتين وجعل يسير فيهما ليلا ويكون نهارا فلما كان وقت الفجر من الليلة الثانية تبدا له ملك من الملائكة في صورة رجل فظنه يعقوب رجلا من الناس فأتاه يعقوب ليصارعه وينال به فظهر عليه يعقوب فيما يرى إلا أن الملك أصاب وركه فمرج يعقوب فلما أضاء الفجر قال له الملك ما اسمك قال يعقوب قال لا ينبغي أن تدعى بعد اليوم إلا اسراييل فقال له يعقوب ومن أنت وما اسمك فذهب عنه فلم أنه ملك من الملائكة وأصبح يعقوب وهو يمرح من رجائه فلذلك لا يأكل بنوا اسراييل عرق النساء ورفع يعقوب عينيه فاذا أخوه عيصو قد أقبل في أربعائة راجل فتقدم أمام أهله فلما رأى أخاه العيص سجد له سبع مرات وكانت هذه تحميتهم في ذلك الزمان وكان مشروعا لهم كما سجدت الملائكة لآدم تحية له وكما سجد أخوه يوسف وأبواه له كما سيأتي فلما رآه العيص تقدم اليه وأحتضنه وقبله وبكى ورفع العيص عينيه ونظر الى النساء والصبيان فقال من أين لك هؤلاء فقال هؤلاء الذين وهب الله لبعديك فدنت الأمتان وبنوهما فسجدوا له ودنت ليا وبنوها فسجدوا له ودنت راحيل وابنها يوسف فخراً سجداً له وعرض عليه أن يقبل هديته وألح عليه قبلها ورجع العيص يتقدم أمامه ولحقه يعقوب بأهله وما معه من الانعام والمواشى والسيب قاصدين جبال ساعير فلما مر بساحور ابنتى له بيتا ولدوا به ظلالات ثم مر على أورشليم قرية شخيم فنزل قبل القرية واشترى مزراعة شخيم بن حمور بمائة نعجة فضرب هنالك فسطاطه وابنتى ثم مذبحاً فسماه إيل إله اسراييل وأمر الله بيناته ليستعلن له فيه * وهو بيت المقدس اليوم الذى جده بعد ذلك سليمان بن داود عليه السلام.

السلام وهو مكان الصخرة التي أعلمها بوضع الدهن عليها قبل ذلك كما ذكرنا أولاً
 وذكر أهل الكتاب هنا قصة دينا بنت يعقوب بنت ليا وما كان من أمرها مع شخيم بن جهور
 الذي قهرها على نفسها وأدخلها منزله ثم خطبها عن أبيها وأخوتها فقال إخوتها إلا أن تختنوا كلكم
 فنصاهرهم وتصاهرونا فانا لا نصاهر قوماً غلغلاً فأجابوهم إلى ذلك واختنوا كلهم فلما كان اليوم الثالث
 واشتد وجعهم من ألم الختان مال عليهم بنوا يعقوب فقتلهم عن آخرهم وقتلوا شخيا وأباه جهور لقبيح
 ما صنعوا اليهم مضافاً إلى كفرهم وما كانوا يبعدونه من أصنامهم فلماذا قتلهم بنوا يعقوب وأخذوا
 أموالهم غنيمة *

ثم حملت راحيل فولدت غلاماً وهو بنيامين الا أنها جهدت في طلقها به جهداً شديداً وماتت عقبه
 فدفنها يعقوب في أفرات وهي بيت لحم وصنع يعقوب على قبرها حجراً وهي الحجارة المعروفة بقبر راحيل
 الى اليوم * وكان أولاد يعقوب المذكور اثني عشر رجلاً فمن ليا روييل وشمعون ولاوى ويهوذا
 وايساخر وزايون ومن راحيل يوسف وبنيامين ومن أمة راحيل دان ونفالي
 ومن أمة ليا حاد واشير عليهم السلام وجاء يعقوب الى أبيه اسحاق فأقام عنده
 بقرية حبرون التي في أرض كنعان حيث كان يسكن ابراهيم ثم مرض
 اسحاق ومات عن مائة وثمانين سنة ودفنه ابناه العيص ويعقوب
 مع أبيه ابراهيم الخليل في المغارة التي اشتراها كما قدمنا

ما وقع من العجز العجيب في حياة الرسول

فمن ذلك قصة يوسف بن راحيل وقد أنزل الله عز وجل في شأنه وما كان من أمره سورة من
 القرآن العظيم ليتدبر مأثيها من الحكم والمواعظ والآداب والأمر الحكيم . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
 (بسم الله الرحمن الرحيم الرآتلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . نحن
 هص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن ولان كنت من قبله لمن الناقلين) قد تكلمنا
 على الحروف المقطعة في أول تفسير سورة البقرة فمن أراد تحقيقه فلينظره ثم * وتكلمنا على هذه
 لسورة مستقصى في موضعها من التفسير ونحن نذكر ههنا بنأاً مما هناك على وجه الايجاز والنجاز *
 وجملة القول في هذا المقام أنه تعالى يمدح كتابه العظيم الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم
 بلسان عربي فصيح بين واضح جلي يفهمه كل عاقل ذكي زكي فهو اشرف كتاب نزل من السماء أنزله
 أشرف الملائكة على أشرف الخلق في اشرف زمان ومكان . بأفصح لغة وأظهر بيان . فان كان السياق
 في الاخبار الماضية أو الآتية ذكر أحسنها وأبينها وأظهر الحق بما اختلف الناس فيه ودفع الباطل وزيفه

ورده وإن كان في الأوامر والنواهي فأعدل الشرائع وأوضح المناهج وأبين حكما وأعدل حكما فهو كما قال تعالى (وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا) . يعني صدقا في الأخبار عدلا في الأوامر والنواهي ولهذا قال تعالى (نحن نحص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) أي بالنسبة إلى ما أوحى إليك فيه كما قال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) . وقال تعالى (كذلك حص عليك من أنباء ما قد سبق . وقد آتيناك من لدنا ذكرا . من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا . خالدن فيه وساء لهم يوم القيامة حملا) . يعني من أعرض عن هذا القرآن واتبع غيره من الكتب فانه يناله هذا الوعيد كما قال في الحديث المروي في المسند والترمذي عن أمير المؤمنين علي مرفوعا وموقوفا (من ابغى الهدى في غيره أضله الله) . وقال الامام أحمد حدثنا سريج بن النعمان حدثنا هشام أبنا خالد عن الشعبي عن جابر (أن عمر بن الخطاب أتى النبي :س، بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب قرأه على النبي :س، قال فضضب وقال أتتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جشتم بها يضاء هية لا تسألوم عن شيء فيخبرونكم بحق فتكذبونه أو يباطل فتصدقونه والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني) اسناد صحيح . ورواه أحمد من وجه آخر عن عمرو فيه فقال رسول الله :س، (والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم ابتموه وتركتموني لضلالم) إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين) وقد أوردت طرق هذا الحديث وألفاظه . أول سورة يوسف . وفي بعضها أن رسول الله :س، خطب الناس فقال في خطبته (أيها الناس إني قد أتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لي اختصارا ولقد أتيتكم بها يضاء هية فلا تهوكونا ولا يفرنكم المهوكون . ثم أمر بتلك الصحيفة فحيت حرفا حرفا (إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين . قال يابني لا تصمص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للانسان عدو مبين . وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك علم حكيم) قد قدمنا أن يعقوب كان له من البنين اثنا عشر ولدا ذكرا وسمينام واليهم تنسب أسباط بني اسرائيل كلهم وكان أشرفهم وأعظمهم وأعظمهم يوسف عليه السلام وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أنه لم يكن فيهم نبي غيره وباقى اخوته لم يوح اليهم . وظاهر ما ذكر من فضلم ومقالم في هذه القصة يدل على هذا القول * ومن استدلل على نبوتهم بقوله (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط) وزعم أن هؤلاء هم الأسباط فليس استدلاله بقوى

لأن المراد بالأسيباط شعوب بني إسرائيل وما كان يوجد فيهم من الأنبياء الذين ينزل عليهم الوحي من السماء والله أعلم *

ومما يؤيد أن يوسف عليه السلام هو المختص من بين إخوته بالرسالة والنبوة أنه نص على واحد من إخوته سواء فدل على ما ذكرناه ويستأنس لهذا بما قال الامام أحمد (حدثنا) عبد الصمد حدثنا عبد الرحمن عن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر أن رسول الله (ص)، قال الكريم بن الكريم ابن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم « افرد به البخاري » فرواه عن عبد الله ابن محمد وعبد بن عبد الصمد بن عبد الوارث به * وقد ذكرنا طرفة في قصة ابراهيم بما أغنى عن اعادته هنا والله الحمد والمنه * قال المفسرون وغيرهم رأى يوسف عليه السلام وهو صغير قبل أن يحتمل كأن (أحد عشر كوكبا) وهم إشارة الى بقية اخوته (والشمس والقمر) وهما عبارة عن أبويه قد سجدوا له فباله ذلك فلما استيقظ قصصا على أبيه ففرغ أبوه أنه سينال منزلة عالية ورفعة عظيمة في الدنيا والآخرة بحيث يخضع له أبواه واخوته فيها فأمره بكتابتها وأن لا يقصها على إخوته كيلا يحسدوه ويغفروا له الفوائض ويكيدوه باتواع الحيل والمكر وهذا يدل على ما ذكرناه * ولهذا جاء في بعض الآثار (استمعنوا على قضاء حوائجكم بكتابتها فان كل ذى نعمة محسود) ، وعند أهل الكتاب أنه قصصا على أبيه واخوته مما وهو غلط منهم (وكذلك يجتنيك ربك) أى وكأراك هذه الرضا العظيمة فاذا كتبتها (يجتنيك ربك) أى يخلصك باتواع اللطف والرحمة (ويملك من تأويل الأحاديث) أى يفهمك من معاني الكلام وتعبير المنام مالا يفهمه غيرك (ويم نعمته عليك) أى بالوحي اليك (وعلى آل يعقوب) أى بسبيك ويحصل لهم بك خير الدنيا والآخرة (كما أنمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق) أى ينعم عليك ويحسن اليك بالنبوة كما أعطاهما أبك يعقوب وجدك اسحق ووالد جدك ابراهيم الخليل (إن ربك عليم حكيم كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) *

لهذا قال رسول الله (ص)، لما سئل أى الناس أكرم قال (يوسف بنى الله ابن نبي الله ابن خليل الله) وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما وأبو يعلى والبزار في مسنديهما من حديث الحكم بن ظهير وقد ضعفه الأئمة عن السدى عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر قال (أتى النبي (ص)، رجل من اليهود يقال له بستانة اليهودى فقال يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف أنها ساجدة له ما أسأؤها . قال فسكت النبي (ص)، فلم يجبه بشئ ونزل جبريل عليه السلام بسلامها قال بمث اليه رسول الله فقال هل أنت مؤمن إن أخبرتك بسلامها قال نعم فقال هي جريان (١) والطارق . والديال وذو السكتان . وقابس . ووثب . وعردان (٢) والفيق . والمصبح . والضروح . وذو الفرع .

(١) في نسخة خرثان (٢) وفي نسخة عمودان .

والضياء . والنور) فقال اليهودى أى والله إنها لاساؤها . وعند أبى يعلى فلما قصها على أبيه قال هذا أمر مشتت يجمعه الله والشمس أبوه والقمر أمه . (لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين . إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبنا منا ونحن عصبة إن أبانا لى ضلال مبين . اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أئكم وتكونوا من بعده قوما صالحين . قال قائل منهم لانتلوا يوسف وأقوده فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين)

بئنه تعالى على ما فى هذه القصة من الآيات والحكم والدلالات والمواعظ والبيانات . ثم ذكر حسد إخوة يوسف له على محبة أئيه له ولأخيه يعنون شقيقه لأنه بئامين أكثر منهم وهم عصبة أى جماعة يقولون فكنا نحن أحق بالمحبة من هذين (إن أبانا لى ضلال مبين) أئى بتقديمه جماعلينا * ثم اشتوروا فيما بينهم فى قتل يوسف أو إيماده الى أرض لا يرجع منها ليخلو لهم وجه أئبهم أى لتتمحض محبته لهم وتتوفر عليهم وأضمرُوا التوبة بعد ذلك فلما تمالؤا على ذلك وتواقروا عليه (قال قائل منهم) قال مجاهد هو شمون * وقال السدى هو يهودا * وقال قتادة ومحمد بن اسحق هو أكبرهم رويى (لانتلوا يوسف وأقوده فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة) أى المارة من المسافرين (إن كنتم فاعلين) ماتقولون لامحالة فليكن هذا الذى أقول لكم فهو أقرب حالا من قتله أو فئيه وتغريبه فاجموا رأئهم على هذا فئند ذلك قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون . قال إئى ليجزئنى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون . قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا اذا نلناسرون (طلبوا من أئبهم أن يرسل معهم أخاهم يوسف وأظهروا له أنهم يريدون أن يرعى معهم وأن يلعب وينسط وقد أضمرُوا له ما الله به عليم فاجابهم الشيخ عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم . يا بئى يشق على أن أفارقه ساعة من النهار ومع هذا أخشى أن تشتتوا فى لبكم وما أنتم فيه فىأى الذئب فىأى كاله ولا يقدر على ذفنه عنه لصغره وغفلتكم عنه .) قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا اذا نلناسرون (أئى لئن عدا عليه الذئب فأى كاله من بيننا أو ائتملنا عنه حتى وقع هذا ونحن جماعة إنا اذا نلناسرون أئى عاجزون هالكون .

وعند أهل الكتاب أنه أرسله وراهم يتبعهم فضل عن الطريق حتى أرشده رجل اليهم . وهذا أيضا من غلظهم وخطئهم فى التعريب فان يعقوب عليه السلام كان أحرص عليه من أن يمته معهم فكيف يمته وحده (فلما ذهبوا به واجموا ان يجملوه فى غيابة الجب وأوحينا اليه لنبتئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وجزاؤا أبام عشاء يكون قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأى كاله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . وجزاؤا على قئصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل . والله المستعان على ما تصفون) لم يزالوا بأئبهم حتى يمته معهم فما كان الا أن غابوا عن

عينه فجعلوا يشتمونه ويهينونه بالفمال والمقال واجمعوا على القائه في غيايت الجب أى في قعره على راعوفته وهى الصخرة التى تكون فى وسطه يقف عليها المائح وهو الذى ينزل ليلى الدلاء إذا قل الماء والذى يرفها بنخل يسمى المائح فلما ألقوه فيه أوحى الله إليه أنه لا بد لك من فرج ومخرج من هذه الشدة التى أنت فيها ولتخبرن أخوتك بصنيعهم هذا فى حال أنت فيها عزيز وهم محتاجون اليك خائفون منك وهم لا يشعرون .

قال مجاهد وقادة وهم لا يشعرون بإيحاء الله اليه ذلك * وعن ابن عباس وهم لا يشعرون أى لتخبرنهم بأمرهم هذا فى حال لا يعرفونك فيها * رواه ابن جرير عنه * فلما وضعوه فيه ورجعوا عنه أخذوا قيصه فلطخوه بشئ من دم ورجعوا الى أبيهم عشاء وهم يكون أى على أخيمهم . ولهذا قال بعض السلف لا يفرنك بكاء المظلم فرب ظالم وهو بك وذكرك بكاء إخوة يوسف وقد جاءوا اباهم عشاء يكون أى فى ظلمة الليل ليكون أمشى لنديرهم (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا) أى ثيابنا (فأكله الذئب) أى فى غيبتنا عنه فى استباقنا وقولهم (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) أى وما أنت بمصدق لنا فى الذى أخبرناك من أكل الذئب له ولو كنا غير متهمين عندك فكيف وأنت تهمنا فى هذا فانك خشيت أن يأكله الذئب وضنا لك أن لا يأكله لكثرتنا حوله فصرنا غير مصدقين عندك فعدود أنت فى عدم تصديقك لنا والحالة هذه . (وجازا على قيصه بدم كذب) أى مكذوب مفتعل لانهم عمدوا الى سخله ذبحوها فآخذوا من دمه فوضعوه على قيصه ليوهوا أنه أكله الذئب قالوا ونسوا ان يخرقوه وآفة الكذب النسيان * ولما ظهرت عليهم علامن الربيع لم يرج صنيعهم على أبيهم فانه كان يفهم عداوتهم له وحسداهم اياه على محبته له من بينهم أكثر منهم لما كان يتوسم فيه من الجلالة والمهابة التى كانت عليه فى صغره لما يريد الله أن يخصه به من نبوته * ولما راودوه عن أخذه فبمجرد ما أخذوه أعدموه وغيبوه عن عينيه جازا وهم يتباكون وعلى ماتما لئلا عليه يتواطون ولهذا (قال بل سولت لكم انفتحكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)

وعند أهل الكتاب أن رويل أشار بوضعه فى الجب ليأخذه من حيث لا يشعرون ويرده الى أبيه فنافلوه وباعوه لتلك القافلة . فلما جاء رويل من آخر النار ليخرج يوسف لم يجده فصاح وشق ثيابه وعمد أو لتلك الى جدى فذبحوه ولطخوا من دمه جية يوسف . فلما علم يعقوب شق ثيابه ولبس منزرا أسود وحزن على ابنه أياما كثيرة . وهذه الركاكة جاءت من خطتهم فى التعبير والتصوير (وجماعت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه . قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون . وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين . وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته كرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا . وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل

الاحاديث . والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ولما بلغ أشده آتيناها حكما وعلمنا وكذلك نجزي المحسنين) . يخبر تعالى عن قصة يوسف حين وضع في الجب أنه جلس ينتظر فرج الله ولطفه به فجاءت سيارة أى مسافرون *

قال أهل الكتاب كانت بضاعتهم من الفستق والصنوبر والبطم قاصدين ديار مصر من الشام فاسلوا بعضهم ليستوا من ذلك البئر فلما أكل أحدهم ذلوه تملق فيه يوسف فلما رآه ذلك الرجل (قال يا بشرى) أى يا بشرتى (هذا غلام واسروه بضاعة) أى أوهموا أنه معهم غلام من جملة متجرهم (والله عليم بما يعملون) أى هو عالم بما تملأ عليه أخوته وبما يسره واجدوه من أنه بضاعة لهم ومع هذا لا يغيره تعالى لاله فى ذلك من الحكمة العظيمة . والقدر السابق والرحمة باهل مصر بما يجرى الله على يدي هذا الغلام الذى يدخلها فى صورة اسير رقيق ثم بمد هذا يملكه أزمة الأمور وينفهم الله به فى دنياهم وأخراهم بما لا يحد ولا يوصف . ولما استشر إخوة يوسف بأخذ السيارة له لحقوهم وقالوا هذا غلامنا أبق منا فاشتروه منهم * بشن بخس أى قليل نزر وقيل هو الزيف (دراهم ممدودة وكانوا فيه من الزاهدين) . قال ابن مسعود وابن عباس ونوف اليكالى والسدى وقناة وعطية العوفى باعوه بشرين درهما اقتسوها درهين درهين . وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما . وقال عكرمة ومحمد ابن اسحق أربعون درهما فله أعلم (وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته اكرمى مشواه) أى أحسنى اليه (عسى أن ينفعنا أو يتخذه ولدا) وهذا من لطف الله به ورحمته واحسانه اليه بما يريد أن يؤهله له ويعطيه من خيرى الدنيا والآخرة . قالوا وكان الذى اشتراه من أهل مصر عزيزها وهو الوزير بها الذى الخزانة مسلة اليه * قال ابن اسحق واسمه اطفير (١) بن روجيب قال وكان ملك مصر يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق قال واسم امرأة العزيز راعيل بنت رعايل (٢) . وقال غيره كان اسمها زليخا والظاهر أنه لقبها . وقيل فسكا بنت ينوس رواه الثعلبى عن ابى هشام (٣) الرفاعى . وقال محمد بن اسحق عن محمد بن السائب عن أبى صالح عن ابن عباس كان اسم الذى باعه بمصر يعقوب الذى جلبه اليها مالك ابن ذعر بن نوب بن عقق (٤) بن مديان بن ابراهيم فله أعلم .

وقال ابن اسحق عن أبى عبيدة عن ابن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة عزيز مصر حين قال لامرأته اكرمى مشواه والمرأة التى قالت لأبيها عن موسى (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين) وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنها .

ثم قيل اشتراه العزيز بشرين ذنبارا . وقيل بوزنه مسكا ووزنه حريرا ووزنه ورقا . فله أعلم وقوله (وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض) أى وكما قبضنا هذا العزيز وامرأته يحسنان اليه ويتنيان

(١) فى نسخة قطفير (٢) فى نسخة رعايل (٣) فى نسخة ابن هشام (٤) فى نسخة بن عتقاء

به مكنا له في أرض مصر (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) أى فهمها . وتعبير الرؤيا من ذلك (والله غالب على أمره) أى اذا أراد شيئا فانه يقيض له أسبابا وامورا لا يهتدى اليها العباد ولهذا قال تعالى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ولما بلغ أشده آتيناها حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين) . فدل على أن هذا كله كان وهو قبل بلوغ الأشد . وهو حد الأربعين الذى يوحى الله فيه الى عباده النبيين عليهم الصلاة والسلام من رب العالمين .

وقد اختلفوا في مدة العمر الذى هو بلوغ الأشد فقال مالك وريمة وزيد بن أسلم والشعبي هو الحلم . وقال سعيد بن جبير ثمانى عشرة سنة . وقال الضحاك عشرون سنة وقال عكرمة خمس وعشرون سنة . وقال السدى ثلاثون سنة . وقال ابن عباس ومجاهد وقادة ثلاث وثلاثون سنة . وقال الحسن أربعون سنة . ويشهد له قوله تعالى حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة . (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب . وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون . ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والنيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بهلك سوا إلا أن يسجن أو عذاب أليم . قال هى راودتني عن نفسى وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين . وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين) . يذكر تعالى ما كان من سراودة امراة العزيز ليوسف عليه السلام عن نفسه وطلبها منه مالا يليق بحاله ومقامه وهى فى غاية الجمال والمال والمنصب والشباب وكيف غلقت الابواب عليها وعليه وتسيأت له وتصنعت ولبست أحسن ثيابها وأغر لباسها وهى مع هذا كله امراة الوزير * قال ابن اسحق وبنت أخت الملك (١) الريان بن الوليد صاحب مصر . وهذا كله مع أن يوسف عليه السلام شاب بديع الجمال والبهاء إلا أنه نبى من سلالة الانبياء فصصه ربه عن الفحشاء . ووجه عن مكر النساء . فهو سيد السادة النجباء السبعة الاقياء . المذكورين فى الصحيحين عن خاتم الانبياء . فى قوله عليه الصلاة والسلام من رب الأرض والسماء (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل . ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه . ورجل ملق قلبه بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه . ورجلان تمحبا فى الله إجتمعا عليه وتفرقا عليه . ورجل تصدق بصدقة فأتهاها حتى لا تعلم شماله ماتتق يمينه وشاب نشأ فى عبادة الله . ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله)

والمقصود أنها دعته اليها وحرصت على ذلك أشد الحرص فقال (معاذ الله إنه ربي) يعنى زوجها

(١) فى النسختين الموجودتين بالمكتبة المصرية أنخ الملك .

صاحب المنزل سيدي (أحسن مثنوى) أى أحسن الى وأكرم مقامى عنده (إبه لا يفلح الظالمون) وقد تكلمنا على قوله (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) بما فيه كفاية ومقتع في التفسير وأكثر أقوال المفسرين ههنا متلقى من كتب أهل الكتاب فلاعراض عنه أولى بنا * والذى يجب أن يعتقد أن الله تعالى عصمه وبرأه ونزعه عن الفاحشة وجماه عنها وصاله منها * ولهذا قال تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين - واستبقا الباب) أى هرب منها طالباً الى الباب ليخرج منه فراراً منها فاتبعته في أثره (والفيا) أى وجدا (سيدها) أى زوجها لدى الباب فبدرته بالكلام وحرضته عليه (قالت لاجزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب اليم) - اتهمته وهى التهمة وبرأت عرضها ونزعت ساحتها فلماذا قال يوسف عليه السلام (هى راودتني عن نفسى) إحتاج الى أن يقول الحق عند الحاجة (وشهد شاهد من أهلها) قيل كان صغيراً فى المهد قاله ابن عباس * وروى عن أبى هريرة وهلال بن يساف والحسن البصرى وسعيد بن جبير والضحاك واختاره ابن جرير - وروى فيه حديثاً مرفوعاً عن ابن عباس ووقفه غيره عنه * وقيل كان رجلاً قريباً الى أطفيح ببلها - وقيل قريباً اليها * ومن قال إنه كان رجلاً ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة والسدى ومحمد بن اسحاق وزيد بن أسلم فقال (إن كان قيصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين) أى لأنه يكون قد راودها فداغته حتى قدت مقدم قيصه (وإن كان قيصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) أى لأنه يكون قد هرب منها فاتبعته وتلمقت فيه فانتشيت قيصه لذلك وكذلك كان - ولهذا قال تعالى (فلما رأى قيصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم) أى هذا الذى جرى من مكركن أنت راودته عن نفسه * ثم اتهمته بالباطل ثم ضرب ببلها عن هذا صفتاً فقال (يوسف أعرض عن هذا) أى لا تذكره لأحد لأن كتمان مثل هذه الأمور هو الأليق والأحسن وأسرهما بالاستتغار لذنبها الذى صدر منها والتوبة الى ربها فان العبد اذا تلب الى الله تلب الله عليه - وأهل مصر وإن كانوا يبدون الأصنام إلا أنهم يعلمون أن الذى يغفر الذنوب ويؤاخذ بها هو الله وحده لا شريك له فى ذلك * ولهذا قال لها ببلها وعذرها من بعض الوجوه لأنها رأت مالا يصبر لها على مثله إلا أنه عفيف تزيه برى العرض سليم الناحية فقال (استغفرى لذنبك إنك كنت - الخاطئين - وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حيا اتا لراها فى ضلال مبين - فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكاً وآمت كل واحدة منهن سكيناً وقالت اخرج عليهن - فلما رأينه أكبرنه وقطنن إيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم - قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فلستصمم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين - قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين - فاستجاب

له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم) * يذكر تعالى ما كان من قبل نساء المدينة من نساء الأسماء وبنات الكبراء في الطعن على امرأة العزيز وغيبتها والتشجيع عليها في مراودتها فتاها وحبها الشديد له تعين وهو لا يساوى هذا لانه مولى من الموالى وليس مثله أهلا لهذا ولهذا قلن (إنا لفرأها في ضلال مبين) أى فى وضعها الشئى فى غير محله (فلما سمعت بمكرهن) أى بتشجيعهن عليها والتقص لها والاشارة اليها بالعيب والمذمة بحب مولايها وعشق فتاها فاظهرون ذما وهى معذورة فى نفس الامر فلقد أحببت أن تبسط عندها عندهن وتبين أن هذا الفتى ليس كما حسين ولا من قبيل مالدسين . فارسلت اليهن نجسهن فى منزلها . واعتدت لمن ضيافة مثلهن وأحضرت فى جملة ذلك شيئا مما يقطع بالسكاكين كالترج ونحوه وأنت كل واحدة منهن سكيناً وكانت قد هيات يوسف عليه السلام وألبسته أحسن الثياب وهو فى غاية طراوة الشباب وأمرته بالخروج عليهن بهذه الحالة . فخرج وهو أحسن من البدر لاجلته (فلما رأته أكبرنه) أى اعظمته وأجلته وهبته وماظن أن يكون مثل هذا فى بنى آدم وبهر من حسنه حتى اشتغلن عن أنفسهن وجعلن يمززن فى أيديهن تلك السكاكين ولا يشعرن بلجراح (وقلن حاش لله ما هذا شرا إن هذا إلا ملك كريم) . وقد جاء فى حديث الاسراء (فررت بيوسف واذا هو قد أعطى شطر الحسن)

قال السهيلي وغيره من الائمة معناه أنه كان على النصف من حسن آدم عليه السلام لأن الله تعالى خلق آدم بيده وفتح فيه من روحه فكان فى غاية نهايات الحسن البشرى ولهذا يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم وحسنه ويوسف كان على النصف من حسن ادم ولم يكن بينهما أحسن منهما كما أنه لم تكن أثنى بد حواء أشبه بها من سارة امرأة التليل عليه السلام .

قال ابن مسعود وكان وجه يوسف مثل البرق وكان اذا أتمته امرأة طلجة غطى وجهه * وقال غيره كان فى الغالب مبرقما لثلا يراه الناس ولهذا لما قام عنده امرأة العزيز فى محبتها لهذا المعنى المذكور وجرى لمن وعليهن ماجرى من تقطيع أيديهن بجراح السكاكين وما كهن من المهابة والدهش عند رؤيته ومما يتنه (قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) ثم مدحته بالمصمة التامة فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أى امتنع (ولئن لم يفضل ما أمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين) وكان بقية النساء حرصنه على السمع والطاعة لسيدته فأبى أشد الآباء . ونأى لانه من سلالة الأنبياء ودعا فقال فى دعائه لرب العالمين (رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين) يعنى إن وكلتنى الى نفسى فليس لى من نفسى الا السجز والضعف ولا أملك لنفسى قضا ولا ضرا إلا ماشاء الله فانا ضعيف الا ما قوتيتى وعصمتنى وحفظتنى بحولك وقوتك ولهذا قال تعالى (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم . ثم بداهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه)

حتى حين . ودخل معه السجنتان . قال احدهما إني أراي أعصر خمرا . وقال الآخر إني أراي أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبتنا بتأويله إنا ترك من الحسين . قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نباتكما بتأويله قيل أن يأتيكما ذلكما مما علفي ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالأخرة هم كفرون . وابتعت ملة آباءي ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون . ياصاحبي السجنتان أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ماتسبدون من دونه إلا أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ياصاحبي السجنتان أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذي فيه تستفتيان .) يذكر تعالى عن العزيز وامرأته أمهم بدا لهم أي ظهر لهم من الرأي بمد ما علموا براءة يوسف أن يسجنوه الى وقت ليكون ذلك أقل لكلام الناس في تلك القضية وأخذ لأمرها وليظهروا أنه راودها عن نفسها فسجن بسببها فسجنوه ظلما وعدوانا . وكان هذا مما قدر الله له ومن جملة ما عصى به فانه أبسده عن معاشرتهم ومخالطهم * ومن ههنا استنبط بعض الصوفية ما حكاه عنهم الشافعي أن من العصية أن لا تجده قال الله (ودخل معه السجنتان) قيل كان أحدهما ساقى الملك واسمه فيما قيل بنو . والآخر خبازه يعنى الذى يلى طعامه وهو الذى يقول له الترك (الجاشنكير) واسمه فيما قيل مجلث كان الملك قد اتهمهما في بعض الامور فسجنهما * فلما رأيا يوسف في السجنت أعجبا سمته وهديه ودله وطريقته وقوله وفضله وكثرة عبادته ربه واحسانه الى خلقه فرأى كل واحد منهما رؤيا تناسبه * قال أهل التفسير رأيا في ليلة واحدة * أما الساقى فرأى كأن ثلاث قضبان من حبلته وقد أوردت وأينعت عنقيد العنب فانخذها فاعتصرها في كأس الملك وسقاه * ورأى الخباز على رأسه ثلاث سلال من خبز وضواى الطيور تأكل من السلال الاعلى قصصها عليه وطلبا منه أن يعبرها مما وقال (إنا ترك من الحسين) فخبيرها أنه علم بتعبيرها خبير بأمرها (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نباتكما بتأويله قيل أن يأتيكما) * قيل معناه معهما رأينا من حلم فاقى أعبره لكم قيل وقوعه فيكون كما أقول * وقيل معناه إني أخبركما بما يأتيكما من الطعام قبل مجيئه حلوا أو حامضا كما قال عيسى (وانبتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) وقال لها إن هذا من تعليم الله ابلى لاني مؤمن به موحد له متبع ملة آباءي الكرام ابراهيم لئليل واسحاق ويعقوب (ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا) أى بأن هدانا لهذا (وعلى الناس) أى بأن أمرنا أن ندعوم اليه ونرشدهم وندلهم عليه وهو في فطرم مركز وفي جبلتهم مغرور (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) * ثم دعاهم الى التوحيد وضم عبادة ما سوى الله عز وجل وصغر أمر الأوثان وحرقها وضمف أمرها فقال (ياصاحبي السجنتان أأرباب متفرقون خير أم الله

الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله) أى هو المتصرف فى خلقه البعال لما يريد الذى يهدى من يشاء ويضل من يشاء (أمر أن لا تعبدوا إلا إياه) أى وحده لا شريك له و (ذلك الدين القيم) أى المستقيم والصراط القويم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى فهم لا يهتدون اليه مع وضوحه وظهوره وكانت دعوته لها فى هذه الحال فى غاية السكال لأن نفوسها معظمة له منبعثة على تلقى ما يقول بالقبول فناسب أن يدعوها الى ما هو الأضع لها مما سألا عنه وطلبا منه * ثم لما قام بما وجب عليه وارشده الى ما أرشد اليه قال (يا صاحبي السجن أما أحدكم فيسقى ربه خمرا) قالوا وهو الساقى (وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه) قالوا وهو الخباز (قضى الأمر الذى فيه تستفتيان) أى وقع هذا لا محالة ووجب كونه على حالة ولهذا جاء فى الحديث (الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقتت).

وقد روى عن بن مسعود ومجاهد وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (أنها قالوا لم تر شيئا) فقال لها (قضى الأمر الذى فيه تستفتيان . وقال للذى ظن أنه ناج منها اذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين) . يخبر تعالى أن يوسف عليه السلام قال للذى ظننه ناجيا منها وهو الساقى (أذكرنى عند ربك) يعنى اذكر أمرى وما أنا فيه من السجن بخير جرم عند الملك * وفى هذا دليل على جواز السعى فى الاسباب * ولا ينافى ذلك التوكل على رب الأرباب . وقوله (فأنساه الشيطان ذكر ربه) أى فأنسى الناجى منها الشيطان أن يذكر ما وصاه به يوسف عليه السلام * قاله مجاهد ومحمد بن اسحق وغير واحد وهو الصواب وهو منصوص أهل الكتاب (فلبث يوسف فى السجن بضع سنين) والبضع ما بين الثلاث الى التسع * وقيل الى السبع * وقيل الى الخمس * وقيل مادون المشرة . حكاهما الثعلبى * ويقال بضع نسوة وبضعة رجال * ومنع الفراء استعمال البضع فيما دون العشر قال وإنما يقال نيف . وقال الله تعالى (فلبث فى السجن بضع سنين) وقال تعالى فى بضع سنين) وهذا رد لقوله * قال الفراء ويقال بضعة عشر وبضعة وعشرون الى التسعين ولا يقال بضع ومائة وبضع والف وخالف الجوهري فيما زاد على بضعة عشر فنع أن يقال بضعة وعشرون الى تسعين * وفى الصحيح (الإيمان بضع وستون) وفى رواية وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله إلا الله وأدناها إمالة الأذى عن الطريق ومن قال إن الضير فى قوله (فأنساه الشيطان ذكر ربه) عائدا على يوسف فقد ضيف ما قاله وان كان قد روى عن ابن عباس وعكرمة والحديث الذى رواه ابن جرير فى هذا الموضع ضيف من كل وجه * تفرد بإسناده إبراهيم بن يزيد الخولوى (١) المسكى وهو مقروك . ومرسل الحسن وقتادة لا يقبل ولا ههنا بطريق الأولى والأخرى والله أعلم .

(١) فى نسخة خوذى وفى أخرى خورى والصواب الخولوى .

فما قول ابن جبان في صحيحه ذكر السبب الذي من أجله لبث يوسف في السجن ما لبث اخبرنا الفضل بن الحباب الجمعي ثنا مسدد بن مسرهد ثنا خالد بن عبد الله ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قالها اذ كرفي عند ربك لبث في السجن ما لبث ورحم الله لوطا أن كان لياوي الى ركن شديد إذ قال قوموه لو أن لي بكم قوة أو آوى الى ركن شديد قال فما لبث الله نبيا بعده إلا في ثروة من قومه . فانه حديث منكر من هذا الوجه ومحمد بن عمرو بن علقمة له اشياء ينفرد بها وفيها نكارة وهذه اللفظة من أنكرها وأشدّها . والذي في الصحيحين يشهد بطلها والله أعلم . (وقال الملك إنى أرى سبع قمرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات . يا أيها الملائة أفتوى في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون . قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين . وقال الذي نجا منها وادكر بعد أمة أنا أنبيكم بتأويله فأرسلون . يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع قمرات عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرحم إلى الناس لعلمهم يعلمون . قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبلة إلا قليلا مما تأكلون . ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما تقدمت لهن إلا قليلا مما تحصنون . ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه ينفث الناس وفيه يمضون) هذا كان من جملة اسباب خروج يوسف عليه السلام من السجن على وجه الاحترام والاكرام وذلك أن ملك مصر وهو الريان بن الوليد بن ثروان بن اراشه (١) بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح رأى هذه الرؤيا . قال أهل الكتاب رأى كأنه على حافة نهر وكأنه قد خرج منه سبع قمرات سمان فنجمن يرتعن في روضة هناك فخرجت سبع هزال ضفاف من ذلك النهر فرتعن مهن ثم ملن عليهن فأكلهن فاستيقظ مذعورا . ثم نام فرأى سبع سنبلات خضر في قصبة واحدة واذا سبع أخر دقاق يابسات فأكلهن فاستيقظ مذعورا . فلما قصها على ملته وقومه لم يكن فيهم من يحسن تفسيرها بل (قالوا أضغاث أحلام) أى أخلاط أحلام من الليل لعلها لا تعبیر لها ومع هذا فلا خيرة لنا بذلك ولهذا قالوا (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) فعند ذلك تذكر الناجي منها الذى وصاه يوسف بأن يذكره عند ربه فنسبه الى حينه هذا . وذلك عن تقدير الله عز وجل وله الحكمة في ذلك فلما سمع رؤيا الملك ورأى عجز الناس عن تفسيرها تذكر أمر يوسف وما كان أوصاه به من التذكار . ولهذا قال تعالى (وقال الذى نجا منها وادكر) أى تذكر (بعد أمة) أى بعد مدة من الزمان وهو بضع سنين وقرأ بعضهم كما حكى عن ابن عباس وعكرمة والضحاك (وادكر بعد أمة) أى بعد نسيان وقرأها مجاهد (بعد أمة) بالسكان الميم وهو النسيان أيضا يقال أمة الرجل يأمة أمها وأمها اذا نسي قال الشاعر .

(١) في النسخة الحلبية ابن ارامية

امته وكنت لا أنسى حديثاً كذلك الدهر يزرى بالعقول

قال لقومه وللملك (أنا أنبئكم بتأويله فأرسلوني) أي فأرسلوني إلى يوسف فجاهه فقال (يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يا كلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلني أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون) وعند أهل الكتاب أن الملك لما ذكره له الساقى استدعاه إلى حضرته وقص عليه ما رآه ففسره له وهذا غلط والصواب ما قصه الله في كتابه القرآن لا ما عره هؤلاء الجهلة الثيران من قرأى وربان . فينزل يوسف عليه السلام ما عنده من العلم بلا تأخر ولا بشرط ولا طلب الخروج سرهما بل أجابهم إلى ما سألوا وعبر لهم ما كان من منام الملك الدال على وقوع سبع سنين من الخصب وبعثها سبع جلدب . (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يفتأ الناس) يعني يأتيهم الفيث والخصب والرافهية (وفيه يعصرون) يعني ما كانوا يعصرونه من الاقصاب والاعناب والزيتون والسسم وغيرها ضرب لهم . وعلى الخير دهم وأرشدهم إلى ما يستمدونه في حالتي خصبهم وجدبهم وما يفعلونه من ادخار حبوب سنى الخصب في السبع الأول في سنبله الا ما يرصد بسبب الأكل ومن تقليل البذر في سنى الجلب في السبع الثانية اذ الغالب على الظن أنه لا يرد البذر من الحقل * وهذا يدل على كمال العلم وكامل الرأي والفهم .

(وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بيدهن عليم . قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين . ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيث وأن الله لا يهدي كيد الخائنين * وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم) . لما أحاط الملك علماً بكامل علم يوسف عليه الصلاة والسلام وتمام عقله ورأيه السيد وفيه أمر باحضاره إلى حضرته ليكون من جملة خاصته فلما جاءه الرسول بذلك أحب أن لا يخرج حتى يتبين لكل أحد أنه حبس ظلماً وعدواناً وأنه برئ الساحة مما نسبوه إليه بهتاناً (قال ارجع إلى ربك يعني الملك) فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بيدهن عليم) قيل معناه إن سيدى العزيز يعلم براءتى مما نسب إلى أى فر الملك فليسألن كيف كان امتناعى الشديد عند مراودتهن إياي وحشهن لى على الأمر الذى ليس برشيد ولا سديد . فلما سئل عن ذلك أعرفن بما وقع من الأمر وما كان منه من الأمر الحميد (وقلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء) ففند ذلك (قالت امرأة العزيز) وهى زليخا (الآن حصحص الحق) أى ظهر وتبين ووضح والحق أحق أن يتبع (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) أى فيما يقوله من انه برئ وإنه لم يراودنى وأنه حبس ظلماً وعدواناً وزوراً وبهتاناً . وقوله (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيث وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) قيل إنه من كلام يوسف أى انما

طلبت تحقيق هذا ليلى المرزوقى لم آخه بظهر النيب . وقيل إنه من تمام كلام زليخا أى إنما اعترفت بهذا ليلى زوجى أى لم آخه فى نفس الامر وإنما كان مراده لم يقع معها فعل فاحشة وهذا القول هو الذى نصره طائفة كثيرة من أئمة المتأخرين وغيرهم ولم يحك ابن جرير وابن أبى حاتم سوى الاول . (وما ابرى نفسى ان النفس لأماره بالسوء إلا مارحم ربي إن ربي غفور رحيم) قيل إنه من كلام يوسف وقيل من كلام زليخا وهو مفرع على القولين الاولين . وكونه من تمام كلام زليخا أظهر وأنسب وأقوى والله أعلم (وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسى فلما كله قال إنك اليوم لدينا مكين أمين . قال اجعلنى على خزائن الارض أى حفيظ علم . وكذلك مكننا ليوسف فى الارض يتبوا منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين . ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) . لا ظهر للملك براءة عرضه وتزاهة ساحته عما كانوا أظهروا عنه مما نسبوه اليه (قال ائتوني به استخلصه لنفسى) أى أجهل من خاصتى ومن أكبر دولتى ومن أعيان حاشيتى فلما كله وسمع مقاله وتبين حاله (قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) أى ذومكانة وأمانة (قال اجعلنى على خزائن الارض أى حفيظ علم) طلب أن يولى النظر فيما يتعلق بالاهراء لما يتوقع من حصول الخلل فيما بعد مضى سبع سنين انخسب لينظر فيها بما يرضى الله فى خلقه من الاحتياط لهم والرفق بهم وأخبر الملك إنه حفيظ أى قوى على حفظ ما لديه أمين عليه علم بضبط الاشياء ومصالح الاهراء وفى هذا دليل على جواز طلب الولاية لمن علم من نفسه الأمانة والكفاءة * وعند أهل الكتاب أن فرعون عظم يوسف عليه السلام جدا وسلطه على جميع أرض مصر وألبسه خاتمه وألبسه الحريوطة الذهب وحمله على مركبه الثانى ونودى بين يديه أنت رب وسلط وقال له لست أعظم منك إلا بالكرسى . قالوا وكان يوسف اذ ذاك ابن ثلاثين سنة وزوجه امرأة عظيمة الشأن .

وحكى الشطبي أنه عزل قطغير عن وظيفته وولاهها يوسف . وقيل إنه لما ماتت زوجته إمرأته زليخا فوجدتها عذراء لأن زوجها كان لا يأتى النساء فولدت ليوسف عليه انسلام رجلين وهما أفرام ومنشا قال واستوتق ليوسف ملك مصر وعمل فيهم بالعدل فأحبه الرجال والنساء .

وحكى أن يوسف كان يوم دخل على الملك عمره ثلاثين سنة وأن الملك خاطبه بسبعين لغة وكل ذلك يجاوبه بكل لغة منها فاجبه ذلك مع حداثة سنه فأنه أعلم * قال الله تعالى (وكذلك مكننا ليوسف فى الأرض يتبوا منها حيث يشاء) أى بعد السجن والضيق والحصر صار مطلق الركاب بديار مصر (يتبوا منها حيث يشاء) أى أين شاء حل منها مكرماً محسوداً معظماً (نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) أى هذا كله من جزاء الله وثوابه للمؤمن مع ما يندخر له فى آخرته من الخير الجزيل والثواب الجميل . ولهذا قال (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) ويقال إن أطفير زوج

زليخا كان قد مات فولاه الملك مكانه وزوجه إسرائيل زليخا فكان وزير صدق .
 وذكر محمد بن اسحق أن صاحب مصر الوليد بن الريان أسلم على يدي يوسف عليه السلام فأنه
 أعلم . وقد قال بعضهم

وراء مضيق الخوف متسع الأمن وأول مفروح به غاية الحزن
 فلا تأسس فأنه ملك يوسف خزانته بعد انطلاص من السجن

(وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فرفرهم وهم له منكرون . ولما جهزهم ببهازم قال اثنتونى بأخ
 لكم من أيكم ألا ترون أنى أوف الكيل وأنا خير المتزين . فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى
 ولا تقربون . قالوا سترأود عنه أباه وإنا لفاعلون . وقال لفتياته إجماعوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها
 اذا اقبلوا الى أهلهم لعلهم يرجعون) يتخير تعالى عن قدوم إخوة يوسف عليه السلام الى الديار المصرية
 يمتارون طعاما وذلك بعد إتيان سقى الجلب وعمومها على سائر البلاد والعباد . وكان يوسف عليه السلام
 اذ ذلك الحاكم فى أمور الديار المصرية دينيا ودنيا . فلما دخلوا عليه عرفهم ولم يعرفوه لأنهم لم يخطر
 ببالهم ماصار اليه يوسف عليه السلام من المسكاة والعظمة فلماذا عرفهم وهم له منكرون

وعند أهل الكتاب أنهم لما قدموا عليه سجدوا له فرفرهم وأراد أن لا يعرفوه فأغلظ لهم فى القول
 وقال أنتم جواسيس جئتم لتأخذوا خبر بلادى . فقالوا معاذ الله إنما جئنا نتمار لقومنا من الجهد والجوع
 الذى أصابنا ونحن بنو أب واحد من كنعان ونحن اثنا عشر رجلا ذهب منا واحد وصغير نلعد أينا فقال
 لا بد أن أستمع أمركم * وعندهم أنه حبسهم ثلاثة أيام ثم أخرجهم وأحتبس شمعون عنده لياتوه بالأخ
 الآخر . وفى بعض هذا انظر . قال الله تعالى (فلما جهزهم ببهازم) أى أعطاهم من الميرة ما جرت به
 عادته فى إعطاء كل انسان حمل بميرلا يزيد عليه (قال اثنتونى بأخ لكم من أيكم) وكان قد سلمهم عن
 حالهم وكهم فقالوا كنا اثنى عشر رجلا فذهب منا واحد وبقى شقيقه عند أينا فقال اذا قدمتم من
 العام المقبل فأتونى به معكم (ألا ترون أنى أوف الكيل وأنا خير المتزين) أى قد أحسنت نزلكم
 وقراكم فرغهم لياتوه به ثم رههم إن لم يأتوه به قال (فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا
 تقربون) أى فلست أعطيك ميرة ولا أقربكم بالكليّة عكس ما أسدى اليهم أولا فلجهد فى إحضاره معهم
 ليل شوقه منه بالترغيب والترهيب (قالوا سترأود عنه أباه) أى سنجهد فى مجيئه معنا وإتيانه اليك
 بكل ممكن (وإنا لفاعلون) أى وانا لقادرون على تحصيله . ثم أمر فتياته أن يضعوا بضاعتهم وهم ما جاؤا
 به يتعمضون به عن الميرة فى أمتهم من حيث لا يشعرون بها (لعلهم يعرفونها اذا اقبلوا الى أهلهم
 لعلهم يرجعون) قيل أراد أن يردوها اذا وجدوها فى بلادهم . وقيل خشى أن لا يكون عندهم ما يرجعون
 به مرة ثانية . وقيل تدمم أن يأخذ منهم عوضا عن الميرة .

وقد اختلف المفسرون في بضاعتهم على أقوال سيأتي ذكرها * وعند أهل الكتاب أنها كانت صرراً من ورق وهو أشبه والله أعلم بزاد فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإننا له لحافظون . قال هل آمنكم عليه إلا كما آمنكم على أخيه من قبل فإله خير حافظا وهو أرحم الراحمين . ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم . قالوا يا أبانا ما بنى هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا وتزداد كيل بعير ذلك كيل يسير . قال لن أرسله معكم حتى تؤتوني موثماً من الله لتأمنن به إلا أن يحاط بكم . فلما أتوه موثمهم قال الله على ما هول وكيل . وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون . ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

يذكر تعالى ما كان من أمرهم بعد رجوعهم إلى أبيهم * وقولهم له (منع منا الكيل) أي بعد عامنا هذا إن لم ترسل معنا أخانا فإن أرسلته معنا لم يمنع منا (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما بنى) أي أي شيء زبرد وقد ردت إلينا بضاعتنا (ونمير أهلنا) أي ننتار لهمم ونأتيهم بما يصلحهم في سنتهم ومحلمهم (ونحفظ أخانا وتزداد) بسببه (كيل بعير) قال الله تعالى (ذلك كيل يسير) أي في مقابلة ذهاب ولده الآخر وكان يعقوب عليه السلام أضن شيء بولده بنيامين لأنه كان يشم فيه رائحة أخيه ويتسلى به عنه ويتعوض بسببه منه فلماذا قال (لن أرسله معكم حتى تؤتوني موثماً من الله لتأمنن به إلا أن يحاط بكم) أي إلا أن تطلبوا كاسمكم عن الاتيان به (فلما أتوه موثمهم قال الله على ما هول وكيل) أكد الموائيق وقرر الصمود واحتاط لنفسه في ولده ولن يغني حذر من قدر . ولولا حاجته وحاجة قومه إلى الميرة لما بث الولد العزيز ولكن الأقدار لها أحكام والرب تعالى يقدر ما يشاء ويختار ما يريد ويحكم ما يشاء وهو الحكيم العليم . ثم أمرهم أن لا يدخلوا المدينة من باب واحد ولكن يدخلوا من أبواب متفرقة . قيل أراد أن لا يصيبهم أحد بالعين ، ذلك لأنهم كانوا أشكالا حسنة وصورا بديمة قاله ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وقتادة والسدي والضحاك * وقيل أراد أن يتفرقوا عنهم يبعدون خيراً ليوسف أو يحدوثون عنه بأثر . قاله إبراهيم النخعي . والأول أظهر ولهذا قال (وما أغنى عنكم من الله من شيء) وقال تعالى (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء) الحاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وعند أهل الكتاب أنه بث معهم هدية إلى العزيز من التستق واللوز والصنوبر والبطم والعسل وأخذوا الدرهم الأولى وعوضا آخر (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إنا أنا أخوك فلا تبتسب بنا كانوا يعلمون . فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذون أيها العبر إنكم

لسارقون . قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تقدمون . قالوا فقد صواع الملك ولن جاء به حل بعير وأنا بزعم . قالوا والله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين . قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين . فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم . قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون . قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدا منا مكانه إنا نراك من المحسنين قال ماذا الله أن تأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون)

يدكر تعالى ما كان من أمرهم حين دخلوا بأخيهم بنيامين على شقيقه يوسف وأورثه إليه وإخباره له سرا عنهم بأنه أخوه وأمره بكنم ذلك عنهم وسلاهما عما كان منهم من الإساءة إليه * ثم احتال على أخذه منهم وتركه إياه عنده دونهم فأمر فتياته بوضع سقايته . وهي التي كان يشرب بها ويكيل بها للناس الطعام عن غرته في متاع بنيامين . ثم أعلمهم بأنهم قد سرقوا صواع الملك ووعدهم جملة على رده حل بعير وضمنه المتنادي لهم فأقبلوا على من آثمهم بذلك فأنبوه وهجنوه فيما قاله لهم (قالوا والله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين) يقولون أنتم تعلمون منا خلاف ما رميتونا به من السرقة (قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين . قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين) . وهذه كانت شريعتهم أن السارق يدفع إلى المسروق منه ولهذا قالوا (كذلك نجزي الظالمين) . قال الله تعالى (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه) ليكون ذلك أبعدهم عنهم وأبلغ في الحيلة ثم قال الله تعالى (كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) أي لولا اعتراضهم بأن جزاءه من وجد في رحله فهو جزاؤه لما كان يقدر يوسف على أخذه منهم في سياسة ملك مصر (إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء) أي في العلم (وفوق كل ذي علم عليهم) وذلك لأن يوسف كان أعلم منهم وأتم رأيا وأقوى عزما وحزما وإتقان فعل ما فعل عن أمر الله له في ذلك لأنه يترتب على هذا الأمر مصلحة عظيمة بعد ذلك من قدوم أبيه وقومه عليه ووفودهم إليه فلما عاينوا استخراج الصواع من حل بنيامين (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) يمتنون يوسف * قيل كان قد سرق صنم جده أبي أمه فكسره . وقيل كانت عمته قد علفت عليه بين ثيابه وهو صغير منطقة كانت لاسحق ثم استخرجوها من بين ثيابه وهو لا يشعر بما صنعت وإنما أرادت أن يكون عندها وفي حضانتها لحبها له . وقيل كان يأخذ الطعام من البيت فيطعمه الفقراء . وقيل غير ذلك فلماذا (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه) وهي كئيبه بدها وقوله (أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون) أجابهم سرا لاجهر احلما وكرما وصبطا وغفوا فدخلوا معه في الترقق والتعطف فقالوا (يا أيها العزيز إن له أبا

شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين قال ماذا الله أن تأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون) أى إن أطلقنا المهمل وأخذنا البرى. هذا مالا فعله ولا نسمح به وإنما تأخذ من وجدنا متاعنا عنده .

وعند أهل الكتاب أن يوسف تعرف اليهم حينئذ وهذا مما غلطوا فيه ولم يفهموه جدا (فلما استنأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبى أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين . إرجعوا إلى أبيكم تقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين . وأسأل القرية التي كنا فيها والمير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون . قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم . وتولى عنهم وقال يا أسنى على يوسف وأيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا والله تفتؤ تذكرك يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين . قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون . يا بئى إذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون)

يقول تعالى مخبرا عنهم أنهم لما استنأسوا من أخذه منه خلصوا يتناجون فيما بينهم قال كبيرهم وهو روييل (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله لتأتينى به إلا أن يحاط بكم) لقد أخذتم عهده وفرطتم فيه كما فرطتم في أخيه يوسف من قبله فلم يبق لي وجه أقابله به (فلن أبرح الأرض) أى لا أزال مقبها ههنا (حتى يأذن لي أبى) فى القيد عليه (أو يحكم الله لي) بأن يقدرنى على رد أخى إلى أبى (وهو خير الحاكمين . إرجعوا إلى أبيكم تقولوا يا أبانا إن ابنك سرق) أى أخبروه بما رأيتم من الأمر فى لظاهر المشاهدة (وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين . وأسأل القرية التي كنا فيها والمير التي أقبلنا فيها) أى فان هذا الذى أخبرناك به من أخذهم أخانا لأنه سرق أمر اشتهر بمصر وعلمه السير التي كنا نحن وهم هناك (وانا لصادقون قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل) أى ليس الأمر كما ذكركم لم يسرق فانه ليس سجية له ولا خلقه وإنما سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل قال ابن اسحق وغيره لما كان التفريط منهم فى بنيامين مترتبا على حنينهم فى يوسف قال لهم ما قال وهذا كما قال بعض السلف إن من جزاء السيئة السيئة بعدها ثم قال (عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) معنى يوسف وبنيامين وروييل (إنه هو العليم) أى بحالى وما أنا فيه من فراق الأعبة (الحكيم) فيما يقدره ويفعله وله الحكمة البالغة والحجة القاطمة (وتولى عنهم) أى عرض عن بنيه (وقال يا أسنى على يوسف) ذكره حزنه الجديد بالحزن القديم وحرك ما كان كمننا كما قال بعضهم .

قلَّه فَوَأَدَّكَ حَيْثُ شَفَّتْ مِنَ الْمَوَى مَا الْحَبِّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

وقال آخر

قَدَّ لَأَمْنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبَيْكَا زَفَيْتِي لِنُدْرَانِ السَّمْعِ السَّوَاطِكِ
 قَالَتْ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ لِقَبْرِ نُوَيْ بَيْنَ اللَّوِيِّ فَالِدِ كَلْبِكِ
 قُلْتُ لَهُ إِنَّ الْأَسَى يَبْعَثُ الْأَسَى فَدُعَيْتِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

وقوله (وابيضت عيناه من الحزن) أى من كثرة البكاء (فهو كظيم) أى مكظم من كثرة حزنه وأسفه وشوقه الى يوسف فلما رأى بنوه ما يقاسيه من الوجد وألم الفراق (قالوا) له على وجه الرحمة له والرأفة به والحرص عليه (تالله تفتؤن ذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين) يقولون لا تزال تذكره حتى تنحل جسدك وتضمف قوتك فلورقت بنفسك كان أول بك (قال) انما أشكو شئ وحزنى الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون) يقول لبنيه لست أشكو اليكم ولا الى أحد من الناس ما أنا فيه انما أشكو الى الله عز وجل وأعلم أن الله سيجمع لى مما أنا فيه فرجا ومخرجا وأعلم أن رؤيا يوسف لا بد أن تقع ولا بد أن أسجد له أنا وأنتم حسب ما رأى ولهذا قال (واعلم من الله مالا تعلمون) ثم قال لهم محرضا على تطلب يوسف وأخيه وأن يبحثوا عن أمرهما. (يا بنى اذهبوا فتحسبوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون) أى لا تيأسوا من الفرج بعد الشدة فانه لا يأس من روح الله وفرجه وما يقدره من المخرج فى المضائق إلا القوم الكافرون (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين. قال هل علمتم ما فعلتم يوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون. قالوا أئنتك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين. قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين. قال لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. لاذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتوني بهلكم أجمعين) يخبر تعالى عن رجوع إخوة يوسف إليه وقدوههم عليه ورغبتهم فيما لديه من الميرة والصدقة عليهم رد أخيهم بنيامين اليهم (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) أى من الجلب وضيق الحال وكثرة العيال (وجئنا ببضاعة مزجاة) أى ضعيفة لا يقبل مثلها منا إلا أن يتجاوز عنه. قيل كانت دراهم رديئة. وقيل قليلة وقيل حب الصنوبر وحب البطم ونحو ذلك. وعن ابن عباس كانت خلق الغرائر والحيال ونحو ذلك (فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين) قيل بقبولها قاله السدى. وقيل برد أخينا لنا قاله ابن جرير. وقال سفيان بن عيينة إننا حرمت الصدقة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونزع بهذه الآية رواه ابن جرير. فلما رأى ما هم فيه من الحال وما جاؤا به مما لم يبق عندهم سواه من ضعيف المسال تعرف اليهم وعطف عليهم قائلا لهم عن أمر ربهم وربهم.

وقد حسر لهم عن جبينه الشريف وما يحويه من الخلال فيه الذى يعرفون (هل علمتم ما فعلتم يوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون . قالوا) ونعجبوا كل العجب وقد تردوا اليه سرارا عديدة وهم لا يعرفون أنه هو (أنتك لآنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى) يعنى أنا يوسف الذى صنعت مع ما صنعتهم وسلف من أمرهم فيه ما فرطتم وقوله (وهذا أخى) تأكيد لما قل وتنبه على ما كانوا أضروا لها من الحسد وعلوا فى أمرها من الاحتيال ولهذا قال (قد من الله علينا) أى بإحسانه اليها وصدقته علينا وإيوائه لنا وشده معاقب عزنا وذلك بما أسلفنا من طاعة ربنا وصبرنا على ما كان منكم اليها وطاعتنا وبرنا لأننا ومحبتة الشديدة لنا وشقتة علينا (لأنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين . قالوا لله لقد آثرك الله علينا) أى فضلك وأعطاك ما لم نعطنا (وإن كنا غاططين) . أى فيما أسدينا اليك وما نحن بين يديك (قال لا تتريب عليكم اليوم) أى لست أعاقبكم على ما كان منكم بعد يومكم هذا ثم زادهم على ذلك فقال (اليوم ينفر الله لكم وهو أرحم الراحمين).

ومن زعم أن الوقف على قوله لا تتريب عليكم وابتدأ بقوله اليوم ينفر الله لكم قوله ضعيف والصحيح الاول. ثم أمرهم بان يذهبوا بقميصه وهو الذى يلى جسده فيضعوه على عيني أبيه فانه يرجع اليه بصره بعد ما كان ذهب باذن الله وهذا من خوارق العادات ودلائل النبوات وأكبر المعجزات * ثم أمرهم أن يتحلوا بأهلهم أجمعين الى ديار مصر الى الخيبر والدمعة وجمع الشمل بعد الفارقة على أكل الوجوه وأعلى الأمور (فما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون . قالوا لله إنك لنى ضلالك القديم . فلما أن جاء البشير أقاء على وجهه فارتد بصيرا . قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون . قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين . قال سوف استغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم).

قال عبد الرزاق أنبأنا اسرائيل عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل سمعت ابن عباس يقول فلما فصلت العير قال لما خرجت العير هاجت ريح نجفات يعقوب بريح قميص يوسف (فقال إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) قال فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام. وكذا رواه الثورى وشعبة وغيرهم عن أبي سنان به . وقال الحسن البصرى وابن جرير المسكى كان بينهما مسيرة ثمانين فرسخا وكان له منذ فارقته ثمانون سنة وقوله (لولا أن تفندون) أى تقولون انما قلت هذا من الغند وهو الخرف وكبر السن . قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وقادة تفندون تستفنون . وقال مجاهد أيضا والحسن تهرمون (قالوا لله إنك لنى ضلالك القديم) قال قتادة والسدى قالوا له كلمة غليظة . قال الله تعالى (فلما أن جاء البشير أقاء على وجهه فارتد بصيرا) أى بمجرد ما جاء ألقى القميص على وجه يعقوب فرجع من فوره بصيرا بعد ما كان ضريرا وقال لبيبة عند ذلك (ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا

تعلون) أى أعلم أن الله سيجمع شملى بيوسف وستقر عيني به وسيربني فيه ومنه ما يسرني فمئذ ذلك (قالوا يا آباءنا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين). طلبوا منه أن يستغفر لهم الله عز وجل عما كانوا فعلوا ونلوا منه ومن ابنه وما كانوا عزموا عليه . ولما كان من بينهم التوبة قبل الفعل وقهم الله للاستغفار عند وقوع ذلك منهم فاجابهم أبوهم الى ما سألوا وما عليه عولوا قائلا (سوف استغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم). قال ابن مسعود وابراهيم التيمي وعمر بن قيس وابن جريج وغيرهم أرجأهم الى وقت السحر قال ابن جرير حدثني أبو السائب حدثنا ابن اديس سمعت عبد الرحمن بن سحقي يذكر عن محارب بن دثار قال كان عمر يأتى المسجد فسمع انسانا يقول (اللهم دعوتى فأجبت وأمرتني فاطمت وهذا السحر فاغفر لي) قال فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود فسأل عبد الله عن ذلك قال إن يعقوب أخر بنبيه الى السحر بقوله (سوف أستغفر لكم ربى) وقد قال الله تعالى (والمستغفرين بالاسحار) وثبت في الصحيح عن رسول الله (ص) قال (ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول هل من تائب فأتوب عليه هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له) وقد ورد في حديث (أن يعقوب أرجأ بنبيه الى ليلة الجمعة) قال ابن جرير حدثني المثنى . ثنا سليمان بن عبد الرحمن بن أيوب الدمشقي حدثنا الوليد أبا نا ابن جريج عن عطاء وعكرمة عن ابن عباس عن رسول الله (ص) (سوف أستغفر لكم ربى) يقول حتى تأتى ليلة الجمعة وهو قول أخى يعقوب لبنيه . وهذا غريب من هذا الوجه . وفي رضى فظرو والأشبه أن يكون موقوفا على ابن عباس رضى الله عنه . (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمين ورفع ابويه على العرش وخرخوا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربى حقا وقد احسن بي اذ اخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين أخوتى إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم . رب قد آتيتنى من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض انت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين) .

هذا إخبار عن حال إجتماع المتعابين بعد الفرقة الطويلة التى قبل انها ثمانون سنة وقيل ثلاث وثمانون سنة وها روايتان عن الحسن . وقيل خمس وثلاثون سنة قاله قتادة . وقال محمد بن اسحاق ذكروا أنه غاب عنه ثمانى عشرة سنة * قال وأهل الكتاب يزعمون أنه غاب عنه أربعين سنة وظاهر سباق القصة يرشد الى تحديد المدة تقريبا فلان المرأة راودته وهو شاب ابن سبع عشرة سنة فيها فانه غير واحد فامتنع فكان فى السجن بضع سنين وهى سبع عند عكرمة وغيره . ثم أخرج فكانت سنوات الخصب السبع ثم لما عمل الناس فى السبع البواقي جاء إخوتهم يمتارون فى السنة الأولى وحدهم وفى الثانية ومعهم أخوه بنيامين . وفى الثالثة تعرف اليهم وأمرهم بالحضار أهلهم أجمعين فجأوا كلهم (فلما دخلوا

عليه آوى إليه ابويه) اجتمع بهما خصوصا وحدهما دون إخوته (وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) قيل هذا من المقدم والمؤخر تقديره ادخلوا مصر وآوى إليه ابويه . وضعفه ابن جرير وهو معذور * قيل تلقاهما وآواهما في منزل الخيام . ثم لما اقتربوا من باب مصر (قال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) قاله السدي . ولو قيل إن الأمر لا يحتاج الى هذا ايضا وانه ضمن قوله ادخلوا معنى اسكنوا مصر أو اقيموا بها (إن شاء الله آمنين) لكان صحيحا مليحا أيضا .

وعند أهل الكتاب أن يعقوب لما وصل الى أرض جاشر وهي أرض بليس خرج يوسف لتلقيه وكان يعقوب قد بعث ابنه يهوذا بين يديه مبشرا بقدمه وعندهم أن الملك أطلق لهم أرض جاشر يكونون فيها ويقيمون بها بنعمهم ومواسيهم * وقد ذكر جماعة من المفسرين أنه لما أرف قدمي نبي الله يعقوب وهو اسراييل أراد يوسف أن يخرج لتلقيه فركب معه الملك وجنوده خدمة ليوسف وتمظيلا لنبي الله اسراييل وأنه دعا للملك وأن الله رفع عن أهل مصر بقية سنى الجذب ببركة قدمه اليهم فأنهم أعلم وكان جملة من قدم مع يعقوب من بنيه وأولادهم فيما قاله أبو اسحاق السبيعي عن ابى عبيدة عن ابن مسعود ثلاثة وستين انسانا * وقال موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن عبد الله بن شداد كانوا ثلاثة وثمانين انسانا . وقال أبو اسحاق عن مسروق دخلوا وهم ثلثمائة وتسعون انسانا . قالوا وخرجوا مع موسى وهم أزيد من ستمائة الف مقاتل * وفي نص أهل الكتاب أنهم كانوا سبعين فسا وسهم . قال الله تعالى (ورفع ابويه على العرش) قيل كانت أمه قد ماتت كما هو عند علماء التوراة . وقال بعض المفسرين فأحياها الله تعالى وقال آخرون بل كانت خالته ليا والخاللة بمنزلة الام . وقال ابن جرير وآخرون بل ظاهر القرآن يقتضى بقاء حياة أمه الى يومئذ فلا يمول على أهل الكتاب فيما خالفه وهذا أقوى والله أعلم . ورفعهما على العرش أى اجلسهما معه على سريره (وخروا له سجدا) أى سجد له الابوان والاخوة الأحد عشر تمظيلا وتكريما وكان هذا مشروعا لهم ولم يزل ذلك معمولا به في سائر الشرائع حتى حرم في ملتنا . (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) أى هذا تفسير ما كنت قصصته عليك من رؤياي الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر حين رأيتهم لي ساجدين وأمرتنى بكتامها ووعدتنى ما وعدتنى عند ذلك (قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى إذ أخرجتنى من السجن) أى بدد لهم والضيق جعلنى حيا كما نافذ الكامة في الديار المصرية حيث شئت (وجاء بكم من البدر) أى البادية وكانوا يسكنون أرض العربات من بلاد الخليل (من بعد أن نزع الشيطان بينى وبين إخوتى) أى فيما كان منهم الى من الأمر الذى تتمم وسبق ذكره * ثم قال (إن ربى لطيف لما يشاء) أى إذا أراد شيئا هيا أسبابه ويسرها وسهلها من وجوه لا يهتدى اليها المباد بل يقدرها ويسرها بلطيف صنمه وعظيم قدرته (إنه هو العليم) أى يجيب الأمور (الحكيم) فى خلقه وشرعه وقدره .

وعند أهل الكتاب ان يوسف باع أهل مصر وغيرهم من الطعام الذي كان تحت يده - بأموالهم كلها من الذهب والفضة والمقار والأثاث وما يملكونه كله حتى باعهم بأنفسهم فصاروا أرقاء * ثم أطلق لهم أرضهم وأعتق رقابهم على أن يعملوا ويكون خمس ما يشتغلون من زرعهم وثمارهم للملك فصارت سنة أهل مصر بعده .

وحكى الثعلبي أنه كان لا يشبع في تلك السنين حتى لا ينسى الجيمان وأنه انما كان يأكل أكلة واحدة نصف النهار : قال فمن ثم اقتدى به الملوك في ذلك * قلت وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يشبع بطنه عام الرمادة حتى ذهب الجذب وأنى الخصب .

قال الشافعي قال رجل من الأعراب لعمر بعد ما ذهب عام الرمادة (لقد أنجبت عنك وإنك لابن حرة) . ثم لما رأى يوسف عليه السلام نعمته قد تمت وشمله قد اجتمع عرف أن هذه الدار لا يقربها قرار وأن كل شيء فيها ومن عليها فان . وما بعد التمام الا التصان فغند ذلك أثنى على ربه بما هو أهله واعترف له بعظيم إحسانه وفضله . وسأل منه وهو خير المسؤولين أن يتوفاه أي حين يتوفاه على الاسلام . وأن يلحقه بعباده الصالحين . وهكذا كما يقال في الدعاء (اللهم احينا مسلمين وتوفنا مسلمين) أي حين نتوفانا ويحتمل أنه سأل ذلك عند احتضاره عليه السلام كما سأل النبي (س) : عند احتضاره أن يرفع روحه الى الملا الأعلى والرفقاء الصالحين من النبيين والمرسلين كما قال (اللهم في الرفيق الأعلى ثلاثاً ثم قضى)

ويحتمل أن يوسف عليه السلام سأل الوفاة على الاسلام منجزاً في صحة بدنه وسلامته وأن ذلك كان سائماً في ملتهم وشرعتهم كما روى عن ابن عباس أنه قال ماتني نبي قط الموت قبل يوسف . فأما في شريعتنا فقد نهى عن الدعاء بالموت الا عند الفتن كما في حديث معاذ في الدعاء الذي رواه أحمد (وإذا أردت قوم فتنه فتوفنا اليك غير مفتونين) وفي الحديث الآخر (ابن آدم الموت خير لك من الفتنه) وقالت سرير عليها السلام (يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) وتسمى الموت على بن أبي طالب لما تفاقمت الأمور وعظمت الفتن واشتد القتال وكثر القيل والقال وتمنى ذلك البخاري أبو عبد الله صاحب الصحيح لما اشتد عليه الحال ولقي من مخالفته الأهوال .

فأما في حال الإفاهية فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله (س) : (لا يتمي احدكم الموت لضر نزل به إما محسناً فيزداد وإما مسيئاً فلعلمه يستعقب ولكن ليقبل اللهم احبتي ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيراً لي) والمراد بالضر ههنا ما يخص البدن في بدنه من مرض ونحوه لا في دينه * والظاهر أن نبي الله يوسف عليه السلام سأل ذلك إما عند احتضاره أو إذا كان ذلك أن يكون كذلك .

وقد ذكر ابن اسحق عن أهل الكتاب أن يعقوب أقام بديار مصر عند يوسف سبع عشرة سنة ثم توفي عليه السلام وكان قد أوصى إلى يوسف عليه السلام أن يدفن عند أبويه إبراهيم واسحق . قال السدي فصبر وسيره إلى بلاد الشام فدفننه بالمدارة عند أبيه اسحق وجده الخليل عليهم السلام . وعند أهل الكتاب أن عمر يعقوب يوم دخل مصر مائة وثلاثون سنة . وعندهم أنه أقام بأرض مصر سبع عشرة سنة ومع هذا قالوا فكان جميع عمره مائة وأربعين سنة * هذا نص كتابهم وهو غلط إما في النسخة أو منهم أو قد اسقطوا الكسر وليس بمادتهم فيما هو أكثر من هذا فكيف يستعملون هذه الطريقة ههنا وقد قال تعالى في كتابه العزيز (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون) يوصي بنيه بالإخلاص وهو دين الإسلام الذي بعث الله به الأنبياء عليهم السلام . وقد ذكر أهل الكتاب أنه أوصى بنيه واحداً واحداً وأخبرهم بما يكون من أمرهم وبشرهم وبماذا يخرج نبي عظيم من نسله تطيعه الشعوب وهو عيسى بن مريم والله أعلم .

وذكروا أنه لما مات يعقوب بكى عليه أهل مصر سبعين يوماً وأمر يوسف الأهل بالعبادة فطليبه به بطيب وبكث فيه أربعين يوماً ثم استأذن يوسف ملك مصر في الخروج مع أبيه ليدفنه عند أهله فأذن له وخرج معه أكبر مصر وشيوخها فلما وصلوا حبرون دفنوه في المغارة التي كان يشتراها إبراهيم الخليل من عفرون بن صخر الحثي وعلوا له عزاء سبعة أيام قالوا ثم رجعوا إلى بلادهم وعزى إخوة يوسف ليوسف في أيهم وترفقوا له فأكرمهم وأحسن منقلبهم فأقاموا ببلاد مصر . ثم حضرت يوسف عليه السلام الوفاة فأوصى أن يحمل معهم إذا خرجوا من مصر فيدفن عند آباءه فخطوه ووضعوه في تابوت فكان بمصر حتى أخرجه معه موسى عليه السلام فدفننه عند آباءه كما سيأتي . قالوا فات وهو ابن مائة سنة وعشر سنين * هذا في رأيهم وفيما حكاه ابن جرير أيضاً . وقال مبارك بن فضالة عن الحسن أثنى يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وغاب عن أبيه ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة . ومات وهو ابن مائة سنة وعشرين سنة * وقال غيره أوصى إلى أخيه يهوذا صلوات الله عليه وسلامه .

قصّة نبي الله أيوب

قال ابن اسحق كان رجلاً من الروم وهو أيوب بن موص بن زراح بن العيص بن اسحق ابن إبراهيم الخليل . وقال غيره هو أيوب بن موص بن رهويل بن العيص بن اسحق بن يعقوب وقيل غير ذلك في نسبه . وحكى ابن عساکر أن أمه بنت لوط عليه السلام . وقيل كان أبوه ممن آمن بإبراهيم

عليه السلام يوم ألقى في النار فلم تحرقه والمشهور الأول لأنه من ذرية إبراهيم كما قررنا عند قوله تعالى (ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون) الآية من أن الصحيح أن الضمير عائد على إبراهيم دون نوح عليهما السلام. وهو من الأنبياء المنصوص على الإيحاء إليهم في سورة النساء في قوله تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب) الآية فالصحيح أنه من سلالة العيص بن إسحق وإسراة قيل اسمها ليا بنت يعقوب. وقيل رحمة بنت أفرائيم. وقيل منشا بن يوسف بن يعقوب، وهذا أشهر قلهاذا ذكرناه هاهنا. ثم نطفت بذكر أنبياء بني إسرائيل بعد ذكر قصته ان شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان. قال الله تعالى (وأيوب اذ نادى ربه أتى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكري لالعابدين) وقال تعالى في سورة ص (واذ كر عبدنا أيوب اذ نادى: يا أي مسنى الشيطان بنصب وعذاب. أركض برجلك هذا مقتسل بارد وشراب. وهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكري لأولى الألباب. ونخذ يديك ضمناً فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب) وروى ابن عساکر من طريق الكلبى أنه قال أول نبى بمث لإدريس. ثم نوح. ثم إبراهيم. ثم إسماعيل. ثم إسحق. ثم يعقوب. ثم يوسف. ثم لوط. ثم هود. ثم صالح. ثم شعيب. ثم موسى وهرون. ثم الياس. ثم اليسع. ثم عرفى (١) بن سويلخ بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب. ثم يونس بن متى من بنى يعقوب. ثم أيوب بن زراح (٢) بن أموص بن ليفرز بن العيص بن إسحق بن إبراهيم. وفى بعض هذا الترتيب نظر فان هوداً وصالحاً المشهور أنهما بعد نوح. وقبل إبراهيم والله أعلم.

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم كان أيوب رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه من الانعام والعبيد والمواشى والأراضى المتسعة بأرض البثينة من أرض حوران.

وحكى ابن عساکر أنها كلها كانت له وكان له أولاد وأهلون كثير فسلب من ذلك جميعه واجلى فى جسده بأنواع البلاء ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه. يذكر الله عز وجل بها بهى فى ذلك كله صابر محتسب ذا كره عز وجل فى ليله ونهاره وصباحه ومساءه. وطال مرضه حتى عافاه الجليس وأوحش منه الأتيس وأخرج من بلده وألقى على مزبلة خارجها واقطع عنه الناس ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته كانت ترمى له حقه وتمرف قديم إحسانه إليها وشفتته عليها فكانت تتردد اليه فتصلح من شأنه وتعينه على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته. ووضف حالها وقل ما لها حتى كانت تخدم الناس بالأجر لتعلمه وتقوم بأوده رضى الله عنها وأرضاها وهى صابرة معه على ما حل بها من فراق

(١) فى نسخة عربي. (٢) فى نسخة راذح.

المال والولد وما يختص بها من المصيبة بالزوج وضيق ذات اليد وخدمة الناس بمد السعادة والنسمة والخدمة والحرمه فانا لله وإنا اليه راجعون . وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله (س) قال (أشد الناس بلائاً الانبياء . ثم الصالحون . ثم الامثل فالأمثل يتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابه زيد في بلائه) . ولم يزد هذا كله أيوب عليه السلام الاصبرا واحتسابا وحمداً وشكراً حتى أن المثل ليضرب بصبره عليه السلام ويضرب المثل أيضا بما حصل له من أنواع البلايا * وقد روى عن وهب ابن منبه وغيره من علماء بني اسرائيل في قصة أيوب خبر طويل في كيفية ذهاب ماله وولده وبلائه في جده والله أعلم بصحته * وعن مجاهد أنه قال كان أيوب عليه السلام أول من أصابه الجدري وقد اختلفوا في مدة بلواه على أقوال فزعم وهب أنه ابتلى ثلاث سنين لا تزيد ولا تنقص . وقال أنس ابتلى سبع سنين وأشهرأ وألقى على مزبلة لبني اسرائيل تختلف الدواب في جسده حتى فرج الله عنه وعظم له الاجر وأحسن الثناء عليه .

وقال حميد مكث في بلواه ثمانية عشرة سنة . وقال السدي تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم والمصّب فكانت امرأته تأتيه بالرماد تفرشه تحته فلما طال عليها قالت (يا أيوب لو دعوت ربك لفرج عنك فقال قد عشت سبعين سنة صحيحاً فهو قليل لله أن أصبر له سبعين سنة) فجزعت من هذا الكلام وكانت تحلم الناس بالأجر وتطمم أيوب عليه السلام .

ثم إن الناس لم يكونوا يستخدمونها لهمم أنها امرأة أيوب خوفاً أن ينالهم من بلائه أو تسيئهم بمخالطته فلما لم يجد أحداً يستخدمها عملت قباعت لبعض بنات الاشراف احدى ضفيرة تها بطعام طيب كثير فأنت به أيوب فقال من أين لك هذا وانكره فقالت خدمت به أنا فلما كان اللند لم يجد أحداً قباعت الضفيرة الأخرى بطعام فأنته به فانكره أيضا وحلف لا يأكله حتى تجبره من أين لها هذا الطعام فكشفت عن رأسها حمارها فلما رأى رأسها مخلوقاً قال في دعائه (انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال كان لأيوب اخوان فغابوا يوماً فلم يستطيعوا ان يدنو امنه من ريحه فقاما من بعيد فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم من أيوب خيراً ما ابتلاه بهذا فجزع أيوب من قولها جزعاً لم يجزع من شيء قط قال (اللهم ان كنت تعلم انى لم أبت ليلة قط شيعانا وأنا أعلم مكان جائع فصدقتى فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم انى لم يكن لى قيصان قط وأنا أعلم مكان عار فصدقتى فصدق من السماء وهما يسمعان) ثم قال اللهم بجزتك وخر ساجداً فقال اللهم بجزتك لا أرفع رأسى أبداً حتى تكشف عنى فأرفع رأسه حتى كشف عنه .

وقال ابن أبي حاتم وابن جرير جميعاً حدثنا يونس بن عتبة الأعلی انبتنا ابن وهب أخبرني

نفع بن يزيد عن عقيل عن الزهري عن أنس بن مالك أن النبي (ص)، قال: (إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من اخوانه كانا من أخص اخوانه له كانا يقدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه يعلم الله لقد أذنب أيوب ذنبا ما ذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وما ذاك قال منذ ثمانى عشر سنة لم يرحمه ربه فيكشف مابه . فلما راحا اليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب لا أدري ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم أى كنت أمر على الرجلين بُتنازعان فيذكران الله فارجع الى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا فى حق . قالوا كان حرج فى حاجته فاذا قضاهما أمسكت امرأته بيده حتى يرجع فلما كان ذات يوم أبصت عليه فأوحى الله الي أيوب فى مكانه (أن أركض برجلك هذا منتسل بارد وشراب) فاستبطأته فتلقته تنظر وأقبل عليها قد أذهب الله مابه من البلاء وهو على أحسن ما كان فلما رأته قالت أى برك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبلى فوالله على ذلك مارأيت رجلا أشبه به منك اذ كان صحيحاً قال فأنى أنا هو . قال وكان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعت الله صحابيين فلما كانت أحدهما على اندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وافرغت الأخرى فى اندر الشعير الورق حتى فاض . هذا لفظ ابن جرير وهكذا رواه بهامة ابن جبان فى صحيحه عن محمد بن الحسن بن قتيبة عن حرمة عن ابن وهب به . وهذا غريب رفضه جدا . والأشبه أن يكون موقوفاً . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا موسى بن اسميل حدثنا حماد ابنتنا على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال وألبسه الله حلة من الجنة فتحنى أيوب وجلس فى ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت يا عبد الله هذا المبلى الذى كان ههنا لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب وجعلت تكلمه ساعة قال و لعل أنا أيوب قالت أتسخر منى يا عبد الله فقال ويحك أنا أيوب قد رد الله على جسدي .

قال ابن عباس ورد الله عليه ماله وولده باعياهم ومثلهم معهم . وقال وهب بن منبه . أوحى الله اليه قد رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم فاعتسل بهذا الماء فان فيه شفاك وقرب عن صحابك قربانا واستغفر لهم فاتهم قد عصوني فيك رواه ابن أبي حاتم . وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا همام عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة عن النبي (ص)، قال لما عافى الله أيوب عليه السلام أمطر عليه جراداً من ذهب فجعل يأخذ يده ويجعل فى ثوبه قال قيل له يا أيوب أما تشيع . قال يارب ومن يشيع من رحمتك وهكذا رواه الامام أحمد عن ابى داود الطيالسى وعبد الصمد عن همام عن قتادة به . ورواه ابن جبان فى صحيحه . عن عبد الله بن محمد الأزدي عن اسحق بن راهويه عن عبد الصمد به ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب وهو على شرط الصحيح فوالله أعلم .

وقال الامام أحمد ثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أرسل على أيوب رجل من جراد من ذهب فجعل يقبضها في ثوبه فقيل يا أيوب ألم يكفك ما أعطيناك قال أي رب ومن يستغنى عن فضلك . هذا موقوف . وقد روى عن أبي هريرة من وجه آخر مرفوعا .

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله (ص) ، (ينا أيوب ينتقل عرياناخر عليه جزاد من ذهب فجعل أيوب يمحى في ثوبه فناداه ربه عز وجل (يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى) قال بلى يارب ولكن لاغنى لي عن بركتك . رواه البخارى من حديث عبد الرزاق به وقوله (أركض برجلك) أى اضرب الأرض برجلك فامتثل ما أمر به فانبع الله له عينا باردة الماء وأمر أن ينتقل فيها ويشرب منها فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى والسقم والمرض الذى كان في جسده ظاهرا وباطنا وأبد له الله بعد ذلك كله عمة ظاهرة وباطنة وجمالا ثما ومالا كثيرا حتى صب له من المال صبا مطرا عظيما جزادا من ذهب واخلف الله له أهله كما قال تعالى (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قبيل أحياهم الله باعيانهم . وقيل أجره فيمن سلف وعرضه عنهم في الدنيا بدلهم وجمع له شمله بكلهم في الدار الآخرة . وقوله (رحمة من عندنا) أى رخصنا عنه شدة (وكشفنا ما به من ضر) رحمة منا به ورأفة واحسانا (وذكرى للعابدين) أى تذكرة لمن ابتلى في جسده أو ماله أو ولده فه أسوة بنى الله أيوب حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب حتى فرج الله عنه .

ومن فهم من هذا اسم امرأته قال هى رحمة من هذه الآية قد اهد النجفة واغرق النزع . وقال انسحاق عن ابن عباس رد الله اليها شبابها وزادها حتى ولدت له ستة وعشرون ولدا ذكرا . وعاش أيوب بعد ذلك سبعين سنة بارض الروم على دين الحنيفة ثم غيروا بصدده دين ابراهيم . رقبه (خذ يديك ضغنا فاضرب به ولا تحث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) هذه رخصة من الله تعالى لعبده ورسوله أرب عليه السلام فيما كان من خلفه ليضربن امرأته مائة سوط فقيل خلفه تلك ليبيها ضغائرها . وقيل لأنه عرضها الشيطان فى صورة طيب يصف لها دواء لأيوب فاتته خبرة فرف أنه الشيطان خلف ليضربها مائة سوط . فلما عاهاه الله عز وجل أفتاه أن يأخذ ضغنا وهو كالمشكال الذى يجمع الشارخ فيجمعها كلها ويضربها به ضربة واحدة ويكون هذا منزلا منزلة الضرب بمائة سوط ويبر ولا يمحث . وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأطاعه ولا سبى فى حق امرأته الصابرة المحتسبة المكابدة الصديقة البارة الراشدة رضى الله عنها . ولهذا عقب الله هذه الرخصة وعلها بقوله (إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) وقد استعمل كثير من الفقهاء هذه الرخصة فى باب الايمان والنذور وتوسع آخرون فيها حتى وضعوا كتاب الحيل فى التخلص من الايمان وصدروه بهذه الآية الكريمة

وأتوا فيه بأشياء من العجائب والثرائب * وسنذكر طرفاً من ذلك في كتاب الأحكام عند الوصول إليه إن شاء الله تعالى .

وقد ذكر ابن جرير وغيره من علماء التاريخ أن أيوب عليه السلام لما توفي كان عمره ثلاثاً وتسعين سنة . وقيل إنه عاش أكثر من ذلك . وقد روى ليث عن مجاهد مأمناه أن الله يحنج يوم القيامة بسليمان عليه السلام على الأغنياء ويوسف عليه السلام على الأرقاء وبأيوب عليه السلام على أهل البلاء رواه ابن عساکر بمنه وأنه أوصى إلى ولده حومل وقام بالأمر بعده ولده بشر بن أيوب وهو الذي يزعم كثير من الناس أنه ذو الكفل فالله أعلم . ومات ابنه هذا وكان نبياً فيما يزعمون وكان عمره من السنين خمساً وسبعين * ولندكر ههنا قصة ذي الكفل إذ قال بعضهم إنه ابن أيوب عليهما السلام *

قصه ذي الكفل

الذي زعم قوم أنه ابن أيوب * قال الله تعالى بعد قصة أيوب في سورة الأنبياء (واسماعيل) وأدريس وذا الكفل كل من الصابرين . وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين) وقال تعالى بعد قصة أيوب أيضاً في سورة ص (وإذ كرمنا إبراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار . إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار . وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار . وإذ كرمنا إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار) فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي عليه من ربه الصلاة والسلام وهذا هو المشهور . وقد زعم آخرون أنه لم يكن نبياً وإنما كان رجلاً صالحاً وحكماً مقسطاً عادلاً * وتوقف ابن جرير في ذلك فلهذا أعلم *

وروى ابن جرير وابن أبي نجيب عن مجاهد أنه لم يكن نبياً وإنما كان رجلاً صالحاً وكان قد تكفل لبني قومه إن يكفيه أمرهم ويقضى بينهم بالعدل فسمى ذا الكفل . وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق داود بن أبي هند عن مجاهد أنه قال لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أظفر كيف يعمل فجعل الناس فقال من يقبل لي بثلاث استخلفه . يصوم النهار ويقوم الليل ولا يفتضب . قال فقام رجل تزديه العين فقال أنا فقال أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تفتضب قال نعم . قال فردم ذلك اليوم وقال مثلها اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا . فاستخلفه قال فجعل إبليس يقول للشياطين عليكم بلان فاعياهم ذلك فقال دعوني وإياه فأثمه في صورة شيخ كبير فقير وأثمه حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومه فتق الباب فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم * قال فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال إن بني وبين قومي خصومة وأنهم ظلموني وفضلوا بي وفضلوا حتى حضر الرواح وذهبت القائلة وقال إذا رحمت فأنتي آخذ

لك بمحك فانطلق وراح . فكان في مجلسه فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتبعه فلما كان عند
 جبل يقضى بين الناس ويتنظره فلا يراه . فلما رجع الى القاعة فأخذ مضجعه أتاه فدىق الباب فقال من
 هذا قال الشيخ الكبير المفلوم ففتح له فقال ألم أقل لك اذا قلت فأنتي فقال إنهم أخبث قوم اذا
 عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نمطيك حنك واذا قت جحدوني قال فانطلق فاذا رحلت فأنتي قال فقامته
 القائلة فراح فجعل ينتظر فلا يراه وشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب
 حتى أتكم فأتى قد شق على النوم . فلما كان تلك الساعة جاء فقال له الرجل وراك وراك قال إني قد
 أتيتك أسر قد كرت له أمرى فقال لا والله لقد أمرنا أن لا ندع أحدا يقربه فلما أعياه نظر فرأى كوة
 في البيت فتدور منها فاذا هو في البيت واذا هو يدق الباب من داخل قال فاستيقظ الرجل فقال يا فلان
 ألم أمرك قال أما من قبلي والله فلم توت فانظر من اين أتيت قال فقام الى الباب فاذا هو منلق كما أغلقته
 واذا الرجل معه في البيت فرفه فقال أعدو الله قال نعم أعيتني في كل شيء فقلت ماترى لأغضبنيك
 فبما الله ذا الكفل لانه تكفل بأمر فوفيه .

وقد روى ابن أبي حاتم أيضا عن ابن عباس قريبا من هذا السياق . وهكذا روى عن عبد الله
 ابن الحارث وعبد بن قيس وابن حجرية الأكبر وغيرهم من السلف نحو هذا . وقال ابن أبي حاتم
 حدثنا أبي حدثنا أبو الجاهر أنبأنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن كنانة بن الأخنس قال سمعت الأشمري
 يعني أبا موسى رضى الله عنه وهو على هذا المنبر يقول ما كان ذو الكفل نبيا ولكن كان رجلا
 صالحا يصلى كل يوم مائة صلاة فتكفل له ذو الكفل من بمله يصلى كل يوم مائة صلاة فسمى ذا الكفل
 ورواه ابن جرير من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة . قال قال أبو موسى الأشمري قد كره
 متقطعا . فلما الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الاعمش عن عبد الله بن
 عبد الله عن سعد مولى طلحة عن ابن عمر قال سمعت من رسول الله (ص) حديثا لو لم أسمعه الا مرة
 أو مرتين حتى عد سبع مرار ولكن قد سمعته أكثر من ذلك قال كان الكفل من بني اسرائيل لا
 يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فلصطها ستين دينارا على أن يطأها فلما قصد منها مقعد الرجل من
 أسرته ارددت وبكت فقال لها ما يبكيك أكرهتك قالت لا ولكن هذا عمل لم أعلم قط وانما جئتني
 عليه الحاجة قال فتملين هذا ولم تقلبيه قط . ثم نزل فقال اذهبي بالنانير لك . ثم قال والله لا يصح
 الله الكفل أبدا فأت من ليلته فاصبح مكتوبا على بابه قد غفر الله لكفل . ورواه الترمذى من حديث
 الاعمش به وقال حسن . وذكر ان بعضهم رواه فوقفه على ابن عمر فهو حديث غريب جدا . وفي اسناده
 نظر فان سمعا هذا قال أبو حاتم لا أعرفه الا بحديث واحد ووقفه ابن حبان ولم يروه عنه سوى عبد
 الله بن عبد الله الرازى هذا فآله أعلم

باب فُكِّرَ رَمِيَهُمُ أَهْلُكُوا لِبَعَائَةِ

وذلك قبل نزول التوراة بدليل قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى الآية) . كما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والبزار من حديث عوف الاعرابي عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال ما أهلك الله قوماً بمذاب من السماء أو من الأرض بعد ما أنزلت التوراة على وجه الأرض غير القرية التي مسخوها قردة . ألم تر أن الله تعالى يقول (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) ورفعه البزار في رواية له . والاشبه والله أعلم وقفه فدل على أن كل أمة أهلكت بعامه قبل موسى عليه السلام . فمنهم أصحاب الرس قال الله تعالى في سورة الفرقان (وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيراً . وكلا ضربناه بالأمثال وكلا تبرنا تنبيراً) . وقال تعالى في صورة ق (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد) وهذا السياق والذي قبله يدل على أنهم أهلكوا ودمروا وتبروا وهو الهلاك . وهذا يرد اختيار ابن جرير من أنهم أصحاب الاخذود الذين ذكروا في سورة البروج لان أولئك عند ابن اسحق وجاعة كانوا بعد المسيح عليه السلام وفيه نظر أيضا . وروى ابن جرير قال قال ابن عباس أصحاب الرس أهل قرية من قرى ثمود وقد ذكر الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر في أول تاريخه عند ذكر بناء دمشق عن تاريخ أبي القاسم عبد الله بن عبد الله بن جرداد (١) وغيره أن أصحاب الرس كانوا بحضور فبعث الله اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه فسار عاد ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح بولده من الرس فنزل الاحقاف وأهلك الله أصحاب الرس وانتشروا في اليمن كلها وفشوا مع ذلك في الأرض كلها حتى نزل جيرون بن سعد بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح دمشق وبنى مدينتها وسماها جيرون وهي ارم ذات العباد وليس أعمدة الحجارة في موضع أكثر منها بدمشق فبعث الله هود بن عبد الله بن رياح بن خالد بن الحلو بن عاد الى عاد يعني أولاد عاد بالاحقاف فكذبوه وأهلكهم الله عز وجل فهذا يقتضي أن أصحاب الرس قبل عاد بدهور متطاولة فأنه أعلم . وروى ابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي عاصم عن أبيه عن شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال الرس بئر بأذربيجان . وقال الثوري عن أبي بكر عن عكرمة قال الرس بئر رسوا فيها يبيهم أي دفنوه فيها . ويقال بن جرير قال عكرمة أصحاب الرس بئج وهم أصحاب ياسين . وقال

(١) المعروف ابن جراد .

قتادة فليح من قرى اليمامة قلت فان كانوا أصحاب ياسين كما زعمه عكرمة فقد أهلكوا بإمارة قال الله تعالى في قصتهم (إن كانت الاصيحة واحدة فاذا هم خامدون) وستأتي قصتهم بده هؤلاء وان كانوا غيرهم وهو الظاهر فقد أهلكوا أيضا وتبروا * وعلى كل تقدير فيتأني ما ذكره ابن جرير وقد ذكر أبو بكر محمد ابن الحسن النقاش أن أصحاب الرس كانت لهم بئر ترويههم وتكنى أرضهم جميعها وكان لهم ملك عادل حسن السيرة فلما مات وجدوا عليه وجدا عظيما فلما كان بعد أيام تصور لهم الشيطان في صورته وقال إني لم أمت ولكن قويت عنكم حتى أرى صنيعكم فرحوا أشد الفرح وأمر بضرب حجاب بينهم وبينه وأخبرهم أنه لا يموت أبدا فصدق به أكثرهم واقتنوا به وعبدوه فبعث الله فيهم نبيا وأخبرهم أن هذا شيطان يخاطبهم من وراء الحجاب وتهاهم عن عبادته وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له *

قال السهيلي وكان يوحى اليه في النوم وكان اسمه حنظلة بن صفوان فدوا عليه فقتلوه والقوه في البئر فنار ملؤها وعطشوا بعد ربههم ويبيت أشجارهم واقطعت ثمارهم وخرت ديارهم وتبدلوا بعد الأنس بالوحشة وبعد الاجتماع بالفرقة وهلكوا عن آخرهم وسكن في مساكنهم الجن والوحوش فلا يسمع بقاعهم إلا عزيف الجن وزئير الاسد وصوت الضباع . فلما مارواه اعنى ابن جرير عن محمد بن حميد عن سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن كعب القرظي قال قال رسول الله (س) : (إن أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الاسود) وذلك أن الله تعالى بعث نبيا الى أهل قرية فلم يؤمن به من أهلها إلا ذلك الاسود . ثم إن أهل القرية عدوا على النبي فحفروا له بئرا فلقوه فيها ثم أطبقوا عليه بحجر أصم قال فكان ذلك العبد يذهب فيحخطب على ظهره ثم يأتي بحطبه فيبيعه ويشترى به طعاما وشرا با ثم يأتي به الى ذلك البئر فيرفع تلك الصخرة ويمينه الله عليها ويدلى اليه طعامه وشرا به ثم يردا كما كانت قال فكان كذلك ماشاء الله أن يكون * ثم إنه ذهب يوما يحخطب كما كان يصنع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ منها فلما أراد أن يجتمها وجد سنة فاضطجع ينام فضرب الله على أذنه سبع سنين فلما ثم إنه هب فتمطى ونحول لثقه الآخر فاضطجع فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى ثم إنه هب واحتمل حزمته ولا يحسب أنه نام الا ساعة من نهار فجاء الى القرية فباع حزمته ثم اشترى طعاما وشرا با كما كان يصنع * ثم إنه ذهب الى الحفرة الى موضوعها الذي كانت فيه فالتسه فلم يجده وقد كان بدا لقومه فيه بداء فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه * قال فكان بينهم يسألهم عن ذلك الأسود ما فعل فيقولون له ماتدرى حتى قبض الله النبي عليه السلام وأهب الأسود من نومه بعد ذلك فقال رسول الله (س) : إن ذلك الأسود لأول من يدخل الجنة . فانه حديث مرسل ومثله فيه نظر . ولعل بسط قصته من كلام محمد ابن كعب القرظي والله أعلم .

ثم قد رده ابن جرير نفسه وقال لا يجوز أن يحمل هؤلاء على أنهم أصحاب الرس المذكورون في القرآن

قال لأن الله أخير عن أصحاب الرس انه أهلكتهم وهؤلاء قد بداهم فآمنوا بنبهم . اللهم إلا أن يكون حدثت لهم أحداث آمنوا بالنبي بعد هلاك آياتهم والله أعلم . ثم اختار أنهم أصحاب الأخدود وهو ضيف لما تقدم ولما ذكر في قصة أصحاب الأخدود حيث توعدوا بالعذاب في الآخرة إن لم يتوبوا ولم يذكر هلاكهم وقد صرح بهلاك أصحاب الرس والله أعلم

قصص قوم يس وهم أصحاب القرية

قال الله تعالى (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون . إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون . قالوا ما أنتم إلا بشر مثنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون . قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون . وما علينا إلا البلاغ المبين . قالوا إنا تطيرنا بكم لننم لئن لم تنتهوا لنرجنكم ولينسنك منا عذاب اليم . قالوا طائركم معكم إن ذكركم بل أنتم قوم مسرفون وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا ما لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون . أتأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئا ولا ينقدون . إني إذا لقي ضلال مبين . إني آمنت بربكم فاسمعون . قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين . وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين . إن كانت الاصيحة واحدة فاذا هم خامدون)

اشتهر عن كثير من السلف واختلف أن هذه القرية انطاكية . رواه ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وكب الاحبار ووهب بن منبه وكذا روى عن بريدة بن الحصيب وعكرمة وقادة والزهرى وغيرهم قال ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وكب ووهب أنهم قالوا وكان لها ملك اسمه انطيوخس بن انطيوخس وكان يعبد الاصنام فبعث الله اليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وصدوق وشلوم فكذبهم *

وهذا ظاهر أنهم رسل من الله عز وجل وزعم قتادة أنهم كانوا رسلا من المسيح . وكذا قال ابن جرير عن وهب عن بن سليمان عن شعيب الجبائي كان اسم المرسلين الاولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولس والقرية انطاكية .

وهذا القول ضعيف جدا لان أهل انطاكية لما بعث إليهم المسيح ثلاثة من الخواريين كانوا أول

(١) في نسخة منهم أصحاب القرية .

مدينة أنتت بالمسيح في ذلك الوقت ولهذا احدى كانت المدن الاربع التي تكون فيها بتاركة النصرى ومن أنطاكية والقدس واسكندرية ورومية ثم بعدها الى القسطنطينية ولم يهلكوا وأهل هذه القرية المذكورة في القرآن أهلكوا كما قال في آخر قصتها بسد قتلهم صديق المرسلين (إن كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون) لكن إن كانت الرسل الثلاثة المذكورون في القرآن بشوا الى أهل أنطاكية قديما فكذبوهم وأهلكهم الله ثم عمرت بسد ذلك . فلما كان في زمن المسيح آمنوا برسله اليهم فلا يمنع هذا والله أعلم .

فاما القول بأن هذه القصة المذكورة في القرآن هي قصة أصحاب المسيح فضعيف لما تقدم ولأن ظاهر سياق القرآن يقتضى أن هؤلاء الرسل من عند الله . قال الله تعالى (وأضرب لهم مثلا) يعنى لقومك يا محمد (أصحاب القرية) يعنى المدينة (اذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فوزنا بثالث) أى أيديها بثالث في الرسالة (فقالوا إنا اليكم مرسلون) فردوا عليهم بأنهم بشر مثلهم كما قالت الأمم الكافرة لرسلهم يستبعدون أن يبعث الله نبياً بشرياً فاجابوهم بأن الله يعلم أنا رسله اليكم ولو كنا كذبا عليه لما قبنا وأنتقم منا أشد الانتقام (وما علينا إلا البلاغ المبين) أى إنما علينا أى نبلغكم ما أرسلنا به اليكم والله هو الذى يهتدى من يشاء ويضل من يشاء (قالوا إنا تطيرنا بكم) أى تشائمنا بما جئتمونا به (لننم تنهوا لرجنكم) بالقتال وقيل بالفضال ويؤيد الأول قوله (وليسكنكم منا عذاب اليم) فوعدهم بالقتل والاهانة . (قالوا طائركم معكم) أى مردود عليكم (أن ذكركم) أى بسبب أنا ذكركم بلهدى ودعونا كم اليه تواعدتمونا بالقتل والاهانة (بل أنتم قوم مسرفون) أى لا تقبلون الحق ولا تريدونه . وقوله تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) يعنى لنصرة الرسل وأظهار الايمان بهم (قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) أى يدعو نكم الى الحق المحض بلا أجرة ولا جماله . ثم دعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن عبادة ماسواه مما لا ينفع شيئا لاف الدنيا ولا فى الآخرة (إني إذا لقي ضلال مبين) أى إن تركت عبادة الله وعبدت معه ماسواه * ثم قال مخاطبا للرسل (إني أنتت بربكم فاسمعون) قيل فاستمعوا مقالتي واشهدوا لي بها عند ربكم . وقيل معناه فاسمعوا يا قومي ايمانى برسل الله جهرة . فمئذ ذلك قلوه . قيل رجما . وقيل عضا وقيل وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه * وحكى ابن اسحق عن بعض أصحابه عن ابن مسعود قال وطئوه بارجلهم حتى أخرجوا قصبتهم .

وقد روى الثورى عن عاصم الاحول عن ابي بجزل كان اسم هذا الرجل حبيب بن سرى * ثم قيل كان نجارا وقيل جبلا . وقيل إسكافا . وقيل قصارا وقيل كان يتعبد فى غار هناك فأنه أعلم وعن ابن عباس كان حبيب النجار قد أسرع فيه الجذام وكان كثير الصدقة قلته قومه . ولهذا قال تعالى

(إدخال الجنة) يعني لما قتله قومه أدخله الله الجنة فلما رأى فيها من انفضرة والسرور (قال ياليت قومي يملون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) يعني ليؤمنوا بما آمنت به فيحصل لهم ما حصل لي قال ابن عباس نصح قومه في حياته (يا قوم اتبعوا المرسلين) وبعد عماته (ياليت قومي يملون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) رواه ابن أبي حاتم وكذلك قال قتادة لا يلقى المؤمن الا نصحا لا يلقى غاشا لما عين ما عين من كرامة الله (ياليت قومي يملون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) تمنى والله أن يعلم قومه بما عين من كرامة الله وملهو عليه قال قتادة فلا والله ما عاتب الله قومه بمد قتله (ان كانت الاصيحة واحدة فاذا هم خامدون) وقوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين) أي ما احتجنا في الانتقام منهم الى انزال جنود من السماء عليهم. هذا معنى ما رواه ابن اسحق عن بعض أصحابه عن ابن مسعود * قال مجاهد وقاتدة وما أنزل عليهم جندا أي رسالة أخرى قال ابن جرير والأول أولى قلت وأقوى ولهذا قال (وما كنا منزلين) أي وما كنا نحتاج في الانتقام الى هذا حين كذبوا رسلنا وقتلوا ولينا (إن كانت الاصيحة واحدة فاذا هم خامدون).

قال المفسرون بعث الله اليهم جبريل عليه السلام فأخذ بمضادتي الباب الذي لبلدهم ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خامدون أي قد أخذت أصواتهم وسكنت حركاتهم ولم يبق منهم عين تطرف . وهذا كله مما يدل على أن هذه القرية ليست أنطاكية لأن هؤلاء أهل كوا بتكذيبهم رسل الله اليهم وأهل أنطاكية آمنوا واتبعوا رسل المسيح من الحواريين اليهم فلماذا قيل إن أنطاكية أول مدينة آمنت بالمسيح * فأما الحديث الذي رواه الطبراني من حديث حين الأشقرى عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي (ص) قال (السبق ثلاثة فالسابق الى موسى يوشع بن نون والسابق الى عيسى صاحب يس والسابق الى محمد على ابن أبي طالب) فانه حديث لا يثبت لأن حسيننا هذا متروك وشيخي من الغلاة وتفرد به هذا مما يدل على ضعفه بالكلية والله أعلم *

قصّة يونس

قال الله تعالى في سورة يونس (فلولا كانت قرية آمنت فنعمنا ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتنعموا الى حين) وقال تعالى في سورة الانبياء (وذا النون اذ ذهب مضابيا فلن أن لن ندر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله الا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيته من الغم وكذلك تنجي المؤمنين) وقال تعالى في سورة الصافات (وإن يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون. فسام فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين لبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالراء وهو سقيم وانبثنا عليه شجرة من يقطين

وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا ففتنناهم الى حين). وقال تعالى في سورة نون (فأصاب لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم) لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين). قال أهل التفسير بث الله يونس عليه السلام الى أهل نينوى من أرض الموصل فدعاهم الى الله عز وجل فكذبوه وتمردوا على كفرهم وعنادهم فلما طال ذلك عليه من أمرهم خرج من بين أظهرهم ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث .

قال ابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد من السلف والخلف فلما خرج من بين ظهرانهم وتحققوا نزول العذاب بهم قذف الله في قلوبهم التوبة والابانة وندموا على ما كان منهم الى نبيهم فلبسوا المسوح وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ثم عجوا الى الله عز وجل وصرخوا وتضرعوا اليه وتمسكتوا لديه وبكى الرجال والنساء والبنوت والبنات والأهباب وجأرت الأنعام والدواب والمواشي فرغت الأبل وفصلانها وخارت البقر وأولادها وثنت الغنم وحملاتها وكانت ساعة عظيمة هائلة فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذي كان قد اتصل بهم بسببه ودار على رؤسهم كقطع الليل المظلم ولهذا قال تعالى (فلولا كانت قرية آمنت فنفسها ايمانا) أى هلا وجدت فيما سلف من القرون قرية آمنت بكاملها فدل على أنه لم يقع ذلك بل كما قال تعالى (وما أرسلنا في قرية من نبي الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون). وقوله (الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتنعمنا الى حين) أى آمنوا بكاملهم .

وقد اختلف المفسرون هل يتنعمهم هذا الايمان في الدار الآخرة فيقتدم من العذاب الأخرى كما أقدم من العذاب الدينى على قولين الأظهر من السياق نعم والله أعلم كما قال تعالى (لما آمنوا) وقال تعالى (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا ففتنناهم الى حين). وهذا المتاع الى حين لا يفتنى أن يكون معه غيره من رفع العذاب الأخرى والله أعلم .

وقد كانوا مائة الف لاجمالة واختلفوا في الزيادة فمن مكحول عشرة آلاف * وروى الترمذى وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زهير عن سمع أبا العالية حدثني أبي بن كعب أنه شال رسول الله (ص) عن قوله (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) قال يزيدون عشرين ألفا فلولا هذا الرجل المبهم لكان هذا الحديث فاصلا في هذا الباب * وعن ابن عباس كانوا مائة الف وثلاثين ألفا وعنه وبضعة وثلاثين ألفا . وعنه وبضعة وأربعين ألفا وقال سعيد بن جبير كانوا مائة ألف وسبعين ألفا .

واختلفوا هل كان إرساله اليهم قبل الحوت أو بعده أو هما أمتان على ثلاثة أقوال هى مبسطة في التفسير * والمقصود أنه عليه السلام لما ذهب مغاضبا بسبب قومه ركب سفينة في البحر فلجحت بهم واضطربت وملجت بهم وهملت بما فيها وكادوا يفرقون على ما ذكره المنسرون * قالوا فاشتدوا فيها

فيا ينهم على أن يقتروا فمن وقت عليه القرعة ألقوه من السفينة ليمحفظوا منه . فلما اقتروا وقت القرعة على نبي الله يونس فلم يسبحوا به فأعادوها ثانية فوقت عليه أيضا فشر ليطلع ثيابه ويلقى بنفسه فأبوا عليه ذلك . ثم أعادوا القرعة ثالثة فوقت عليه أيضا لما يريد الله به من الأمر العظيم . قال الله تعالى (وان يونس لمن المرسلين : اذ أبى الى الفلك المشحون . فسام فكان من المدحضين . فالتقمه الحوت وهو مليم) . وذلك أنه لما وقت عليه القرعة ألقى في البحر وبث الله عز وجل حوتا عظيما من البحر الأخضر فالتقمه وأمره الله تعالى أن لا يأكل له لحما ولا يهشم له عظما فليس لك برزق فأخذته فطاف به البحار كلها وقيل إنه ابتلع ذلك الحوت حوت آخر أكبر منه * قالوا ولما استقر في جوف الحوت حسب أنه قد مات فحرك جوارحه فتحرك فلذا هو حي فخر الله ساجدا وقال يارب أنقذت لك مسجدا لم يملك أحد في مثله .

وقد اختلفوا في مقدار لبثه في بطنه . فقال مجاهد عن الشعبي التمه ضحى ولفظه عشية * وقال قتادة مكث فيه ثلاثا وقال جعفر الصادق سبعة أيام ويشهد له شعر أمية بن أبي الصلت .

وَأَنْتَ بِفَضْلِ مَنْكَ نَجَّيْتَ يُونُسًا وَقَدْ بَاتَ فِي أَصْفَادِ حُوتٍ لَيَالِيَا

وقال سيد بن أبي الحسن وأبو مالك مكث في جوفه أربعين يوما والله أعلم كم مقدار ما لبث فيه والمقصود أنه لما جعل الحوت يطوف به في فرار البحار اللبية ويقنم به بلجج الموج الأجاجي فسمع تسييح الحيتان للرحمن وحتى سمع تسييح الحصى لفاثق الحب والنوى ورب السواب السبع والأرضين السبع وما بينها وما تحت الثرى * فمد ذلك وهناك قال مقال بلسان الحال والمقال كما أخبر عنه ذو العزة والجلال الذي يعلم السر والنجوى ويكشف الضر والبالوى سامع الأصوات وان ضعفت وعالم الخفيات وان دقت ومجيب الدعوات وان عظمت حيث قال في كتابه المبين المنزل على رسوله الامين وهو أصدق القائلين ورب العالمين وإله المرسلين (وذالتون إذ ذهب) الى أهله (مناضا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نتجى المؤمنين . فظن أن لن نقدر عليه) أن نضيق * وقيل معناه قدر من التقدير وهي لغة مشهورة قدر وقدّر كما قال الشاعر .

فَلَا عَائِدَ ذَلِكَ إِزْمَانُ الَّذِي مَضَى تَبَارَكْتَ مَا يَقْدَرُ بِكَ فَلَكَ الْأَمْرُ

(فنادى في الظلمات) قال ابن مسعود وابن عباس وعمرو بن نيمون وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والحسن وقاتادة والضحاك غلظة الحوت وغلظة البحر وغلظة الليل وقال سالم بن أبي الجعد ابتلع الحوت حوت آخر فصار غلظة الحوتين مع غلظة البحر . وقوله تعالى (فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون) قيل معناه لولا أنه سبح الله هناك وقال ما قال من التهليل والتسبيح

والاعتراف لله بالخضوع والتوبة اليه والرجوع اليه للبت هنالك الى يوم القيامة . وليست من جوف ذلك الحوت . هذا معنى ما روى عن سعيد بن جبير في إحدى الروايتين عنه . وقيل مضاه (فلولا انه كان) من قبل أبجد الحوت له (من المسبحين) أي المطيعين المصلين الناكرين الله كثيرا قاله الضحاك بن قيس وابن عباس وأبو العالية ووهب بن منبه وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وعطاء بن السائب والحسن البصرى وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير ويشهد لهذا ما رواه الامام أحمد وبعض أهل السنن عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال لي (يا غلام إني مملكك ككاث إحفظ الله يحفظك الله يحفظ الله تجده تجاهك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة) وروى ابن جرير في تفسيره والبراز في مسنده من حديث محمد بن اسحاق عن حده عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله (ص) : « لا أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله الى الحوت أن خذ ولا تخدش لحما ولا تكسر عظما » فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فأوحى الله اليه وهو في بطن الحوت إن هذا تسبيح دواب البحر * قال فسيح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا (يا ربنا إنا نسمع صوتا بأرض غريبة) قال ذلك عسدي يونس عصافى فخبسته في بطن الحوت في البحر * قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم * قال فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فهدفه في الساحل كما قال الله (وهو سقيم) هذا لفظ ابن جرير إسناداً ومتناً * ثم قال البراز لافعله يروى عن النبي (ص) إلا بهذا الاسناد كذا قال . وقد قال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن أخى ابن وهب حدثنا عمى حدثني أبو صخر أن يزيد الرقاشي حدثه سمعت أنس بن مالك ولا أعلم إلا أن أنساً يرفع الحديث الى رسول الله (ص) ان يونس النبي عليه السلام حين بداه أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت قال (اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فقبلت الدعوة تمن بالعرش فقالت الملائكة يارب صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال أما تعرفون ذلك . قالوا يارب . ومن هو قال عبدى يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عملاً مقبلاً ردعوة مجابة قالوا ياربنا أولاً ترحم ما كان يصنعه في الرخاء فنتجيه من البلاء قال يلى فامر الحوت فطرحه في الماء * ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب به زاد ابن أبي حاتم * قال أبو صخر حميد بن زياد فخيرني ابن قسيط وأنا أحدثه هذا الحديث أنه سمع أبا هريرة يقول طرح بالمرء وابنت الله عليه اليقطينة قلنا يا أبا هريرة وما اليقطينة قال شجرة الدباء قال أبو هريرة وهيا الله له أردية وحشية فأكل من خشاش الارض أو قال هشاش الارض . قال فتشخ عليه قرويه من لبنها كل عشية ويكره حتى يبت وقال أمية ابن أبي الصلت في ذلك بيتاً من شعره .

فَأَبَّتْ يَاقِيناً عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ أَصْبَحَ ضَاوِياً

وهذا غريب أيضا من هذا الوجه ويزيد الرقائبي ضعيف ولكن يتقوى بحديث أبي هريرة المتقدم كما يتقوى ذلك بهذا والله أعلم . وقد قال الله تعالى (فنبتناه) أى القيناه (بالمرأه) وهو المكان القفر الذى ليس فيه شئ من الأشجار بل هو عار منها (وهو سقيم) أى ضيف البدن * قال ابن مسعود كهية الفرخ ليس عليه ريش * وقال ابن عباس والسدى وابن زيد كهية الضبي حين يولد وهو المنفرش ليس عليه شئ * وابتنا عليه شجرة من بقطين * قال ابن مسعود وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير ووهب ابن منبه وهلال بن يساف وعبد الله بن طائوس والسدى وقتادة والضحاك وعطاء الخرساني وغير واحد هو القرع * .

قال بعض العلماء فى انبات القرع عليه حكم حجة . منها أن ورقه فى غاية النعومة وكثير وظليل ولا يعر به ذباب ويؤكل ثمره من أول طلوعه الى آخره نيا ومطبوخا وبشره وبزره أيضا وفيه نفع كثير وتقوية للدماغ وغير ذلك وتقدم كلام أبي هريرة فى تسخير الله تعالى له تلك الادوية التى كانت ترضه لبها وترعى فى البرية وتأتية بكرة وعشية . وهذا من رحمة الله به ونعمته عليه وإحسانه اليه ولهذا قال تعالى (فاستجبنا له فنحننا من النعم) أى الكرب والضيق الذى كان فيه (وكذلك نتجى المؤمنين) أى وهذا صنيعنا بكل من دعانا واستجار بنا * قال ابن جرير حدثنى عمران بن بكار الكلاعى حدثنا يحيى ابن صالح حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن حدثنى بشر بن منصور عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن مالك وهو ابن أبى وقاص يقول سمعت رسول الله (س) يقول اسم الله الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى قال فقالت يارسول الله هى ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين قال هى ليونس خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها . ألم تسمع قول الله تعالى (فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نتجى المؤمنين) فهو شرط من الله لمن دعاه به . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن كثير بن زيد عن المطلب بن حنطب * قال أبو خالد أحسبه عن مصعب بن عمير عن ابن مسعود عن سعد . قال قال رسول الله (س) (من دعا بدعاء يونس أستجب له) قال أبو سعيد الأشج يريد به (وكذلك نتجى المؤمنين) وهذان طريقان عن سعد . وثالث أحسن منهما .

قال الامام أحمد حدثنا اسماعيل بن عمر حدثنا يونس بن أبى اسحق الهذلي حدثنا ابراهيم بن محمد ابن سعد حدثنى والذى محمد عن أبيه سعد وهو ابن أبى وقاص قال مررت ببثان بن عثمان فى المسجد فسلمت عليه فلا عينيه منى ثم لم يرد على السلام فأثيت عمر بن الخطاب فقلت يا أمير المؤمنين هل حدث فى السلام شئ قال لا وماذا قلت لا إلا أنى مررت ببثان فى المسجد فسلمت عليه فلا عينيه منى ثم لم يرد على السلام . قال فارسل عمر الى عثمان فدعاه فقال ما عنك أن لا تكون رددت

على أخيك السلام . قال ما ضلت . قال سعد قلت بلى حتى حلف وحلفت . قال ثم إن عثمان ذكر فقال بلى وأستغفر الله وأتوب إليه إنك مررت بي وأنا أحدث نفسي بكلمة سمعتها من رسول الله (ص) . لا والله ما ذكرتها قط الا تشفى بصرى وقلبي غشاوة . قال سعد فانا أنبتك بها إن رسول الله (ص) ذكر لنا أول دنوة ثم جاء أعرابي فشفله حتى قام رسول الله (ص) . فاقبمته فلما اشقت أن يسبقني الى منزله ضربت بقدمي الأرض فالتفت الى رسول الله (ص) . فقال من هذا أبو اسحق قال قلت نعم يا رسول الله قال فيه قلت لا والله إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة . ثم جاء هذا الاعرابي فشتك . قال نعم دعوة ذى النون إذ هو في بطن الحوت (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فإنه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له ورواه الترمذي والنسائي من حديث ابراهيم بن محمد بن سعد به *

فضل يونس

قال الله تعالى (وإن يونس لمن المرسلين) وذكره تعالى في جملة الانبياء الكرام في سورتي النساء والانعام عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام * وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله (ص) : (لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) ورواه البخارى من حديث سفيان الثوري به * وقال البخارى أيضا حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس عن النبي (ص) . قال ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى ونسبه الى أبيه . ورواه أحمد ومسلم وأبو داود من حديث شعبة به قال شعبة فيها حكاة أبو داود عنه لم يسمع قتادة من أبي العالية سوى أربعة أحاديث هذا احدها * وقد رواه الامام أحمد عن عفان عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن النبي (ص) . قال (وما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) تفرد به أحمد ورواه الحافظ أبو القاسم الطبراني * حدثنا محمد بن الحسن بن كيسان حدثنا عبد الله بن رجاء أنانا اسراييل عن أبي يحيى العتاب عن مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله (ص) . قال (لا ينبغي لأحد أن يقول أنا عند الله خير من يونس بن متى) إسناده جيد ولم يخرجوه *

وقال البخارى حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن سعد بن ابراهيم سمعت حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي (ص) . قال (لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) وكذا رواه مسلم من حديث شعبة به وفي البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن الفضل عن عبد الرحمن بن هرم عن الاعرج عن أبي هريرة في قصة المسلم الذي لطم وجه اليهودي حين قال لا والذي اصطفى موسى على

العالمين . قال البخارى فى آخره (ولا أقول إن أحداً خير من يونس بن متى) أى ليس لاحد أن يفضل نفسه على يونس * والقول الآخر لا يبنى لاحد أن يفضلنى على يونس بن متى كما قد ورد فى بعض الأحاديث لا تفضلونى على الانبياء ولا على يونس بن متى * وهذا من باب المضم والتواضع منه صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر انبياء الله والمرسلين

قصة موسى العظيم

وهو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن سحق بن ابراهيم عليهم السلام قال تعالى (واذا ذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا . ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا) وقد ذكره الله تعالى فى مواضع كثيرة متفرقة من القرآن * وذكر قصته فى مواضع متتدة مبسطة مطولة وغير مطولة وقد تكلمنا على ذلك كله فى مواضعه من التفسير وسنورد سيرته ههنا من إبتدائها الى آخرها من الكتاب والسنة وما ورد فى الآثار المنقولة من الاسرائيليات التى ذكرها السلف وغيرهم إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان * قال الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين تلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساهم إنه كان من المفسدين . وزيد أن ممن على الذين أستضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) يذكر تعالى ملخص القصة ثم يبسطها بعد هذا فقد ذكر أنه يتلو على نبيه خير موسى وفرعون بالحق أى بالصدق الذى كان سامعه مشاهد للامر سامين له (ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا) أى تيجر وعتا وطنى وبنى وآثر الحياة الدنيا وأعرض عن طاعة الرب الأعلى وجعل أهلها شيعا أى قسم رعيته الى أقسام وفرق وأنواع يستضعف طائفة منهم وهم شعب بنى اسرائيل الذين هم من سلالة نبي الله يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الله وكانوا إذ ذاك خيار أهل الأرض * وقد سلط عليهم هذا الملك الظالم الناشم الكافر الفاجر يستعبدهم ويستخدمهم فى أخس الصنائع والحرف وارداها وأذلها ومع هذا (يذبح أبناءهم ويستحى نساهم إنه كان من المفسدين) وكان الجامل له على هذا الصنيع القبيح أن بنى اسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما يثرونه عن ابراهيم عليه السلام من أنه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه وذلك والله أعلم حين كان جرى على سارة امرأة الخليل من ملك مصر من إرادته إياها على السوء وعصمة الله لها * وكانت هذه البشارة مشهورة فى بنى اسرائيل

فتحدث بها القبط فيما بينهم ووصلت الى فرعون فذكرها له بعرض امراته واساوره وهم يسرون عنده
فامر عند ذلك بقتل أبناء بني إسرائيل حذراً من وجود هذا الغلام ولن يبقى حذر من قدر .
وذكر السدي عن أبي صالح وأبي مالك عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أنس من
الصحابة أن فرعون رأى في منامه كأن فلاناً قد أقبلت من نحو بيت المقدس فلحقت دور مصر وجميع
القبط ولم تضر بني إسرائيل * فلما استيقظ هاله ذلك فجمع الكهنة والحزاة والسحرة وسألهم عن ذلك
فقالوا هذا غلام يولد من هؤلاء يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه فلهدأ أمر بقتل الغلمان وترك
النسوان ولهذا قال الله تعالى (وتريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض) وهم بنو إسرائيل
(وننجيهم أئمةً وننجيهم أوارين) أي الذين يؤل ملك مصر وبلادها اليهم (ونمكن لهم في الأرض
ورى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) أي سنبجل الضعيف قويا والمقهور قادراً
والذليل عزيزاً وقد جرى هذا كله لبني إسرائيل كما قال تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارك الأرض ومنازلها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا الآية)
وقال تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل) وسيأتي
تفصيل ذلك في موضعه إن شاء الله .

والمقصود أن فرعون احتراز كل الاحتراز أن لا يوجد موسى حتى جعل رجلا وقوايل يدورون
على الجبال ويصلون ميقات وضعهن فلا تلد امرأة ذكراً إلا ذبحه أولئك الذابحون من ساعته * وعند
أهل الكتاب أنه إنما كان يأمر بقتل الغلمان لتضعف شوكة بني إسرائيل فلا يقاومونهم إذا غالبهم أو
قاتلهم . وهذا فيه نظر بل هو باطل وإنما هذا في الأمر بقتل الولدان بعد بثه موسى كما قال تعالى
(فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) ولهذا قالت بنو
إسرائيل لموسى (أودينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) فالصحيح أن فرعون إنما أمر بقتل الغلمان
أولاً حذراً من وجود موسى . هذا والتقدير يقول يا أيها ذا الملك الجبار المنور بكثرة جنوده وسلطة
بأسه واتساع سلطانه قد حكم العظيم الذي لا يغالب ولا يمانع ولا يخالف أقداره ان هذا المولود الذي
تحتزم منه وقد قتلت بسببه من النفوس مالا يمد ولا يحصى لا يكون سر به إلا في دارك وعلى فراشك
ولا ينفى إلا بهامك وشراك في منزلك وأنت الذي تتبناه وتربيه وتمتداه ولا تطلع على سر معناه
ثم يكون هلاكك في دنياك وأخرأك على يديه لخالفتك ما جاءك به من الحق المبين وتكذيبك ما أوحى
إليه لتعلم أنت وسائر الخلق أن رب السموات والأرض هو الصالح لما يريد وأنه هو القوى الشديد
ذو البأس العظيم والحول والقوة والمشقة التي لا مرد لها .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن القبط شكوا الى فرعون قلة بني إسرائيل بسبب قتل

ولدانهم الذكور وخشى أن تتغافى الكبار مع قتل الصغار فيصيرون هم الذين يكونون ما كان بنو إسرائيل
 يبالغون فامر فرعون بقتل الأبناء عاباً وأن يتركوا عاباً فذكروا أن هرون عليه السلام ولد في عام
 المساحة عن قتل الأبناء وأن موسى عليه السلام ولد في عام قتلهم فضاعت أمه به ذرعاً واحترزت من
 أول ما حبلت ولم يكن يظهر عليها مخاض الجبل. فلما وضعت الهمت أن اتخذت له تابوتاً فربطته في جبل
 وكانت دارها متاخمة للنيل فكانت ترضعه فإذا خشيت من أحد وضعت في ذلك التابوت فأرسلته في
 البحر وأمسكت طرف الجبل عندها فإذا ذهبوا أسترجمته إليها به . قال الله تعالى (وأوحينا إلى أم
 موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فآلئيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين
 فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة
 فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون) هذا الوحي وحى
 الهام وإرشاد كما قال تعالى (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يعرشون
 ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللاً الآية) وليس هو بوحى نبوة كما زعمه ابن حزم وغير
 واحد من المتكلمين بل الصحيح الأول كما حكاه أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة .

قال السهيلي واسم أم موسى أبارخا . وقيل أياذخت^(١) * والمقصود أنها أرشدت إلى هذا الذي
 ذكرناه والتي في خلدتها وروعها أن لا تخافي ولا تحزني فإنه ان ذهب فإن الله سيرده إليك وان الله سيجعل
 نبياً مرسلًا يعلى كلمته في الدنيا والآخرة فكانت تصنع ما أمرت به فأرسلته ذات يوم وذهلت أن تربط
 طرف الجبل عندها فذهب مع النيل فر على دار فرعون (فالتقطه آل فرعون) قال الله تعالى (ليكون
 لهم عدواً وحزناً) قال بعضهم هذه لام العاقبة وهو ظاهر ان كان متعلقاً بقوله فالتقطه * وأما ان جعل
 متعلقاً بمضمون الكلام وهو أن آل فرعون قيصوا لا يتقاطه ليكون لهم عدواً وحزناً صارت اللام معطلة
 كغيرها والله أعلم * ويقوى هذا التفسير الثاني قوله (إن فرعون وهامان) وهو الوزير السوء (وجنودهما)
 المتباين لها (كانوا خاطئين) أى كانوا على خلاف الصواب فاستحقوا هذه العقوبة والحسرة .

وذكر المفسرون أن الجوارى التقطته من البحر في تابوت معلق عليه فلم يتجاسرن على فتحه حتى
 وضعت بين يدي امرأة فرعون آسية بنت مزاحم بن عبد بن الريان بن الوليد الذى كان فرعون مصر
 في زمن يوسف * وقيل انها كانت من بنى اسرائيل من سبط موسى * وقيل بل كانت عمته حكاه
 السهيلي قاله أعلم .

وسياتى متبعها والثناء عليها في قصة مريم بنت عمران وأنها يكونان يوم القيامة من أزواج رسول

(١) والذي في تفسير القرطبي عن الثعلبي لوخا بنت هانئ بن لاوا بن يعقوب . وفي بعض التفاسير

صلى الله عليه وسلم في الجنة * فلما فتحت الباب وكشفت الحجاب رأته وجهه يتلألأ بتلك الأنوار النبوية والجلالة الموسوية فلما رأته ووقع نظرها عليه أحبته حباً شديداً جداً * فلما جاء فرعون قال ما هذا وأسر يذبجه فاسترته منه ودفعت عنه (وقالت قرة عين لي ولك) فقال لها فرعون أما لك فنعيم وأمالى فلا أى لاحتاجة لي به (والدلاء موكل بالملطق) . وقولها (عسى أن ينفعنا) وقد أنعم الله علينا ما رجعت من النفع أما في الدنيا فهدها الله به وأما في الآخرة فأسكنها جنته بسببه (أو تتخذها ولداً) وذلك أنها تبنياه لأنه لم يكن يولد لها ولد . قال الله تعالى (وم لا يشعرون) أى لا يدرون ماذا يريد الله بهم أن يقضهم لالتقاطه من القمة العظيمة بفرعون وجنوده . (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وم لا يشعرون وحرمتا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه إلى أمه كي تفر عينها ولا تحزن وتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو عبيدة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً أى من كل شئ من أمور الدنيا إلا من موسى إن كادت لتبدي به أى لتظهر أسره وتسال عنه جهره (لولا أن ربطنا على قلبها) أى صبرناها وثبتناها (لتكون من المؤمنين) وقالت لاخته وهي ابنتها الكبيرة قصيه أى اتبى أثره واطلبي له خبره فبصرت به عن جنب * قال مجاهد عن بعد * وقال قتادة جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريد * ولهذا قال (وم لا يشعرون) وذلك لأن موسى عليه السلام لما استقر بدار فرعون أرادوا أن ينفذوه برضاة فلم يقبل ثدياً ولا أخذ طعاماً فخاروا في أسره واجتهدوا على تنفيذته بكل ممكن فلم يفلح . كما قال تعالى (وحرمتا عليه المراضع من قبل) فإرساله مع القوايل والنساء إلى السوق لئلا يجدوا من يوافق رضاعته فينضمم وقوف به والناس عكوف عليه اذ بصرت به اخته فلم تظهر أنها تفرقه بل قالت (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) * قال ابن عباس لما قالت ذلك قالوا لها ما يدريك بنصحتهم وشققهم عليه فقالت رغبة في صهر الملك ورجاء منفعة فاطلقوها وذهبوا معها إلى منزلهم فأخذته أمه فلما أرضته التقم ثديها وأخذ يمتصه ويرتضعه ففرحوا بذلك فرحاً شديداً وذهب البشير إلى آسية يملأها بذلك فلستدعتها إلى منزلها وعرضت عليها أن تكون عندها وأن تحسن إليها فأبى عليها وقالت إن لي بلاءً وأولاداً ولست أقدر على هذا إلا أن ترسله معي فأرسلته معها ورثت لها رواتب وأجرت عليها النفقات والكساوى والهبات فرجعت به تموزة إلى رحلها وقد جمع الله شمله بشملها . قال الله تعالى (فرددناه إلى أمه كي تفر عينها ولا تحزن وتعلم أن وعد الله حق) أى كما وعدناها برده ورساله فهذا رده وهو دليل على صدق البشارة برسائه (وليسكن أكثرهم لا يعلمون) وقد امتن الله على موسى بهذا ليلة فلهذا قال له (ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ

أوحينا إلى أمك ما يوحى أن اقتنيه في الثابوت فاقتديه في اليم فليقله اليم بالساحل يأخذه عدولى وعدو له وأتيت عليك بحجة منى ولتصنع على عيني) إذ قال قتادة وغير واحد من السلف أى تطعم وترفه ويتذى باطبيب الماء كل وتلبس أحسن الملابس بمراى منى وذلك كله بمحظى وكلاثنى لك فيها صنعت بك لك وقدرته من الأمور التى لا يقدر عليها غيرى (إذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فردناك إلى أمك كي تترعينا ولا تحزن وقتلت نفساً فنجيناك من النعم وقتناك فترواً) وسنورد حديث الفتون في موضعه بعد هذا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان .

(ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين . ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يمتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى قضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين * قال رب أبى ظلمت نفسى فاغفرلى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم * قال رب بما أنمت على فلن أكون ظهيراً للمجرمين) لما ذكر تعالى أنه أنعم على أمه برده لها وإحسانه بذلك وإيمانه عليها شرع في ذكر أنه لما بلغ أشده واستوى وهو إحكام الخلق والخلق وهو سن الأربعين في قول الأكرمين آله الله حكماً وعلماً وهو النبوة والرسالة التى كان بشرها أمه حين قال (إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) ثم شرع في ذكر سبب خروجه من بلاد مصر وذهابه إلى أرض مدين وإقامته هناك حتى كمل الأجل واهضى الأمد وكان ما كان من كلام الله له واكرامه بما أكرمه به كما سيأتى . قال تعالى (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة وعكرمة وقاتدة والسدى وذلك نصف النهار * وعن ابن عباس بين المشائين (فوجد فيها رجلين يمتلان) أى يتضاربان ويتهاوشان (هذا من شيعته) أى إسرائيلى (وهذا من عدوه) أى قبلى قاله ابن عباس وقاتدة والسدى ومحمد بن اسحاق (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه) وذلك أن موسى عليه السلام كانت له بديار مصر صولة بسبب فسجة إلى تبنى فرعون له وتربيته في بيته وكانت بنو إسرائيل قد عزوا وصارت لهم وجاهاً وارفعت رؤسهم بسبب أنهم أَرْضَمُوهُ وهم أخواله أى من الرضاغة فلما استغاث ذلك الاسرائيلى موسى عليه السلام على ذلك القبلى أقبل إليه موسى (فوكزه) * قال مجاهد أى طمته بجمع كنه * وقال قتادة بمصا كانت منه (قضى عليه) أى فات منها * وقد كان ذلك القبلى كافراً مشركاً بالله العظيم ولم يرد موسى قتله بالكافية وإنما أزداد جرحه وردعه ومع هذا (قال) موسى (هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين . قال رب أبى ظلمت نفسى فاغفرلى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم . قال رب بما أنمت على) أى من التز والجاه (فلن أكون ظهيراً للمجرمين . فاصبح في المدينة خائفاً يترقب فإذا الذى استنصره بالأمر يستصرخه قال له موسى إنك لتوى مبين . فلما أراد أن يبطش بالذى هو عدو لها قال يا موسى .

أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وماتريد أن تكون من المصلحين . وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى إن الملائكة يأمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين)

ينجز تعالى أن موسى أصبح بمدينة مصر خائفاً أى من فرعون وملأه أن يعلموا أن هذا القتل الذى رفع اليه أمره إنما قتله موسى فى فصرة رجل من بنى إسرائيل فتقوى ظنونهم أن موسى منهم ويترتب على ذلك أمر عظيم فصار يسير فى المدينة فى صبيحة ذلك اليوم (خائفاً يترقب) أى يلتفت فينا هو كذلك إذا ذلك الرجل الاسرائيلى الذى استنصره بالأمس يستصرخه أى يصرخ به ويستغيثه على آخر قد قتله ففتنه موسى ولامه على كثرة شره ومخاصمته قال له إنك لغوى مبين * ثم أراد أن يبطش بذلك القبطى الذى هو عدو لموسى وللإسرائيلى فيردعه عنه ويخلصه منه فلما عزم على ذلك وأقبل على القبطى (قال ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً فى الأرض وماتريد أن تكون من المصلحين) قال بعضهم إنما قال هذا الكلام الاسرائيلى الذى إطلع على ما كان صنع موسى بالأمس وكانه لما رأى موسى مقبلاً الى القبطى إعتقد أنه جاء اليه لمسا عنه قبل ذلك بقوله إنك لغوى مبين فقال ما قال لموسى وأظهر الأمر الذى كان وقع بالأمس فذهب القبطى فاستمدى موسى الى فرعون . وهذا الذى لم يذكر كثير من الناس سواء . ويمتثل أن قاتل هذا هو القبطى وأنه لما رآه مقبلاً اليه خافه ورأى من سببته إنتصاراً جيداً للإسرائيلى فقال ما قال من باب الظن والفراسة إن هذا لعله قاتل ذلك القتل بالأمس أوله فهم من كلام الاسرائيلى حين أستصرته عليه مادله على هذا والله أعلم .

والمقصود أن فرعون بلنه أن موسى هو قاتل ذلك المقتول بالأمس . فإرسل فى طلبه وسبقهم رجل ناصح عن طريق أقرب (وجاء من أقصى المدينة) ساعياً اليه مشقاً عليه فقال (ياموسى إن الملائكة يأمرون بك ليقتلوك فاخرج) أى من هذه البلده (انى لك من الناصحين) أى فيما أقوله لك قال الله تعالى (فخرج منها خائفاً يترقب) أى فخرج من مدينة مصر من فوره على وجه لا يهتدى الى طريق ولا يعرفه قاتلاً (رب نجنى من القوم الظالمين . ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسعون ووجد من دونهم امراةين تزدوران قال ما خطبكما قالتا لانسق حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير) . ينجز تعالى عن خروج عبده ورسوله وكمليه من مصر خائفاً يترقب أى يفتت خشية أن يدركه أحد من قوم فرعون وهو لا يدري أين يتوجه ولا الى أين يذهب وذلك لأنه لم يخرج من مصر قبلها (ولما توجه تلقاء مدين) أى اتجه له طويق يذهب فيه (قال عسى ربى أن يهدينى

سواء السبيل). أى عسى أن تكون هذه الطريق موصلة الى المقصود * وكذا وقع أو صلته الى مقصود
وأى مقصود (ولما ورد ماء مدين) وكانت بئرا يستقون منها * ومدين هى المدينة التى أهلك الله فيها
أصحاب الأيكة * وهم قوم شعيب عليه السلام * وقد كان هلاكهم قبل زمن موسى عليه السلام فى أحد
قولى العلماء * (ولما ورد الماء) المذكور (وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين
تذودان) أى تكفكفان غنمهما أن تختلط بغم الناس * وعند أهل الكتاب أنهن كن سبع بنات .
وهذا أيضاً من الغلط وكأنه كن سبعا ولكن إنما كان تسقى إئتمنان منهن . وهذا الجمع ممكن ان كان ذلك
محفوظا والا فالظاهر أنه لم يكن له سوى بنتان (قال ما خطبكما قالتا لا تسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا
شيخ كبير) أى لا تقدر على ورود الماء إلا بسند صدور الرعاء لضغنا وسبب مباشرتنا هذه الرعية
ضغف أينا وكبره قال الله تعالى (فسقى لها).

قال المفسرون وذلك أن الرعاء كانوا اذا فرغوا من ورددهم وضعوا على فم البئر صخرة عظيمة
فتجى هاتان المرأتان فيشرعان غنمهما فى فضل أغنام الناس فلما كان ذلك اليوم جاء موسى فرفع تلك
الصخرة وحده . ثم استقى لها وسقى غنمها ثم رد الحجر . كما كان * قال أمير المؤمنين عمر وكان لا يرفعه
إلا عشرة وإنما استقى ذنوبا واحدا فكفاها . ثم تولى الى الظل قالوا وكان ظل شجرة من السر * روى
ابن جرير عن ابن مسعود أنه رآها خضراء ترف (قال رب إني لما أنزلت الى من خير فقير) قال ابن
عباس سار من مصر الى مدين لم يأكل إلا البقل وورق الشجر وكان حافياً فسقطت فعلا قدميه من
الحفاء وجلس فى الظل وهو صفوة الله من خلقه وان بطنه لاصق بظهره من الجوع وإن خضرة البقل
لترى من داخل جوفه وأنه محتاج الى شق تمرة * قال عطاء بن السائب لما (قال رب إني لما أنزلت الى
من خير فقير) اسمع المرأة (فجاءته احداها تمشى على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما
سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين . قالت احداها يا أبت
إستأجره إن خير من إستأجرت القوى الامين . قال إني أريد أن انكحك إحدى ابنتي هاتين على
أن تأجرنى ثمانى حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من
اله الحين . قال ذلك بينى وبينك أيا الاجلين قضيت فلا عدوان على الله على ماقول وكيل) لما
جلس موسى عليه السلام فى الظل و (قال رب إني لما أنزلت الى من خير فقير) سمعته المرأتان فيا قيل
فذهبتا الى أبيهما فيقال إنه استنكر سرعة رجوعهما فأنخبرناه ما كان من أمر موسى عليه السلام فأمر
احداها أن تذهب اليه فتدعوه فجاءته إحداها تمشى على استحياء أى مشى الحرير قالت إن أبى يدعوك
ليجزيك أجر ما سقيت لنا * صرحت له بهذا للتلا يوم كلامها ربية . وهذا من تمام حياتها وصياتها
فلما جاءه وقص عليه القصص وأخبره خبره وما كان من أمره فى خروجه من بلاد مصر فرارا من

فزعونها (قال له) ذلك الشيخ (لأنخف نجوت من القوم الظالمين) أى خرجت من سلطاتهم فلست
في دولهم

وقد اختلفوا في هذا الشيخ من هو قبيل هو شعيب عليه السلام . وهذا هو المشهور عند كثيرين
ومن نص عليه الحسن البصرى ومالك بن أنس . وجاء مصرحاً به في حديث ولكن في إسناده نظر
وصرح طائفة بان شعيبا عليه السلام عاش عمراً طويلاً بعد هلاك قومه حتى أدركه موسى عليه السلام
وتزوج بانيته . وروى ابن أبي حاتم وغيره عن الحسن البصرى أن صاحب موسى عليه السلام هذا اسمه
شعيب وكان سيد الماء ولكن ليس بالنبي صاحب مدين * وقيل إنه ابن أخى شعيب * وقيل ابن عمه *
وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب * وقيل رجل اسمه يثرون هكذا هو في كتب أهل الكتاب يثرون
كاهن مدين أى كبيرها وعالمها * قال ابن عباس وأبو عبيدة بن عبد الله اسمه يثرون : زاد أبو عبيدة
وهو ابن أخى شعيب . زاد ابن عباس صاحب مدين .

والمقصود أنه لما أضافه وأكرم مثواه وقص عليه ما كان من أمره بشره بأنه قد نجى فعند ذلك
قالت إحدى البنين لا يها يا أبت إستأجره أى لرعى غنمك ثم مدحته به قوى أمين قال عمرو ابن
عباس وشرح القاضى وأبو مالك وقادة ومحمد بن اسحق وغير واحد لما قالت ذلك قال لها أبوها
وما عليك بهذا فقالت إنه رفع صخرة لا يطبق رفسها إلا عشرة . وأنه لما جئت معه تدمت امامه قال
كونى من ورأى فإذا اختلف الطريق فاخذ فى لى بمحصة أعلم بها كيف الطريق .

قال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة * صاحب يوسف حين قال لامرأته أكرمى مثواه * وصاحبة
موسى حين قالت يا أبت إستأجره إن خير من إستأجرت القوى الأمين * وأبو بكر حين أستخلف
عمر بن الخطاب (قال إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فان أتممت
عشرافن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) استدلت بهذا جماعة من
أصحاب أبى حنيفة رحمه الله على صحة ما اذا باعه أحد هذين البيدين أو الثوين ونحو ذلك أنه يصح لقوله
أحدى ابنتى هاتين * وفي هذا نظر لأن هذه مراوضة لا مفاوضة والله أعلم .

واستدلت أصحاب أحمد على صحة الايجار بالطمة والكسوة كما جرت به العادة وأستأنسوا بالحديث
الذى رواه ابن ماجه فى سننه مترجماً فى كتابه (باب إستجار الاجير) على طعام بطنه حدثنا محمد
ابن الصفى الحمصى حدثنا بية بن الوليد عن مسلمة بن على عن سيد بن أبى أيوب عن الحارث بن يزيد
عن على بن رباح قال سمعت عتبة بن الدرد يقول كنا عند رسول الله (ص) قرأ طس حتى اذا بلغ قصة
موسى قال ان موسى عليه السلام أجر نفسه ثمانى سنين أو عشرة على عنة فرجه وطعام بطنه وهذا من
هذا الوجه لا يصح لأن مسلمة بن على الحنفى اليمشقى البلاطى ضعيف عند الأئمة لا يمتنع بفرده ولكن

قد روى من وجه آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكر حدثني ابن لهيعة (ح) وحدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الله بن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن النُدُر السلمي صاحب رسول الله (ص) يحدث أن رسول الله قال إن موسى عليه السلام آجر نفسه لعة فرجه وطعمة بطنه * ثم قال تعالى (ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ والله على ما هول وكيل) يقول إن موسى قال لصهره الأمر على ما قلت فإيهما قضيت فلا عدوان عليّ والله على ما هول وكيل عليّ عليك ومع هذا فلم يقض موسى إلا أكل الأجلين وأتمهما وهو العشر سنين كواحل تامه .

قال البخاري حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا مروان بن شجاع عن سالم الأقطس عن سعيد بن جبير قال سألت يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى قلت لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى أكلهما وأطيهما إن رسول الله إذا قال قل . تفرد به البخاري من هذا الوجه وقد رواه النسائي في حديث الفنون كما سيأتي من طريق القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير وقد رواه ابن جرير عن أحمد بن محمد الطوسي وابن أبي حاتم عن أبيه كلاهما عن الهيمدي عن سفيان بن عيينة حدثني إبراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال سألت جبريل أي الأجلين قضى موسى قال أتمهما وأكلهما * وإبراهيم هذا غير معروف إلا بهذا الحديث . وقد رواه البزار عن أحمد بن أبان القرشي عن سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن أعين عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي (ص) فذكره وقد رواه سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد مرسلًا أن رسول الله سأل عن ذلك جبريل فسأل جبريل إسرائيل فسأل إسرائيل الرب عز وجل قال أبرها وأوفها . وبنحوه رواه ابن أبي حاتم من حديث يوسف بن سرح مرسلًا ورواه ابن جرير من طريق محمد بن كعب أن رسول الله (ص) سئل أي الأجلين قضى موسى قال أوفها وأتمها . وقد رواه البزار وابن أبي حاتم من حديث عويد بن أبي عمران الجوني وهو ضعيف عن أبيه عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر أن رسول الله (ص) سئل أي الأجلين قضى موسى قال أوفها وأبرها قال وإن سئلت أي المرأتين تزوج قتل الصغرى منهما . وقد رواه البزار وابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح عن عتبة بن النُدُر أن رسول الله قال إن موسى آجر نفسه بقة فرجه وطعام بطنه * فلما وفي الأجل قيل يا رسول الله أي الأجلين قال أبرها وأوفها * فلما أراد فراق شعيب سأل امرأته أن تسأل أبلعا أن يطعها من غنمه ما يبشون به فأعطاها ما ولت من غنمه من قالبون من ولد ذلك العام وكانت غنمه سودا فاعطاهم موسى عليه السلام

الى عصا قسمها من طرفها * ثم وضعها في أدنى الحوض ثم أوردتها فسقاها ووقف موسى عليه السلام بإزاء الحوض فلم يصدر منها شاة الا ضرب جنبها شاة شاة قال فاتممت وأنت (١) ووضعت كلها قلوب الوان إلا شاة أو شاتين ليس فيها فشوش ولا ضبوب ولا عزوز ولا ثعول ولا كوش تفوت السكف قال النبي (ص) لو أقتحمت الشام وجدتم بقايا تلك الغنم وهي السامرية . قال ابن هليمة الفشوش واسعة السخب والضبوب طويلة الضرع تجره والعزوز ضيقة السخب والثعول الصغيرة الضرع كالحلثتين والكوش التي لا يحكم السكف على ضرعها لصغره وفي صححة رفع هذا الحديث نظر * وقد يكون موقوفا كما قال ابن جرير حدثنا محمد بن المثني حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة حدثنا أنس بن مالك قال لما دعا نبي الله موسى صاحبه الى الأجل الذي كان بينهما قال له صاحبه كل شاة ولدت على لونها فلك ولدها فصد فوضع خيالا على الماء فلما رأته اغتيال فزعت فجالت جولة فولدت كاهن بلقا الاشارة واحدة فذهب بارولادهن ذلك العام وهذا إسناد رجاله ثقات والله أعلم .

وقد تقدم عن قتل أهل الكتاب عن يعقوب عليه السلام حين فارق خاله لابان أنه أطلق له ما يولد من غنمه بلقا فضل نحو ما ذكر عن موسى عليه السلام بالله أعلم . (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آفس من جانب الطور نورا قال لأهله أمكنوا إني آفست نورا لعل آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما آتاه نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين . وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب . ولم يعقب يمسك أقبيل ولا تخف إنك من الآمنين . أسلك يدك في جيبك تخرج يضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذاتك برهانان من ربك الى فرعون وملأه إهم كانوا قوماً فسقين) . تقدم أن موسى قضى أتم الأجلين وأكلها وقد يؤخذ هذا من قوله (فلما قضى موسى الأجل) وعن مجاهد أنه أكل عشراً وعشراً بعدها . وقوله (وسار بأهله) أي من عند صهره ذاهبا فيما ذكره غير واحد من المفسرين وغيرهم أنه اشتاق الى أهله فقصد زيارتهم ببلاد مصر في صورة مخنف فلما سار بأهله ومعه ولدان منهم وغنم قد استفادها مدة مقامه قالوا واتفق ذلك في ليلة مظلمة باردة وناهوا في طريقهم فلم يهتدوا الى السلوك في الدرب المألوف وجعل يورى زفاده فلا يورى شيئا واشتد الظلام والبرد فبينما هو كذلك اذ أبصر عن بعد نورا تأجج في جانب الطور وهو الجبل الغربي منه عن يمينه فقال لأهله أمكنوا إني آفست نورا وكأنه والله أعلم رآها دونهم لأن هذه النار هي نور في الحقيقة ولا يصلح رؤيتها لكل أحد (لعل آتيكم منها بخبر) أي لعل أستعلم من عندها عن الطريق (أو جذوة من النار لعلكم تصطلون) فدل على أنهم كانوا قد ناهوا عن الطريق في ليلة باردة ومظلمة لقوله في الآية الأخرى (وهل آتاك

(١) هكذا بالنسخة الحلبية . وفي النسخة المصرية فاغتت وانبتت فليحدر

حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نورا لعل آتيكم منها قبس أو أجد على النار هدى) فدل على وجود الظلام وكونهم تاهوا عن الطريق * وجمع الكل في سورة النمل في قوله (إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سأتيكم منها بخير أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطوبون). وقد أتاهم منها بخير وأى خير ووجد عندها هدى وأى هدى واتيس منها نورا وأى نور. قال الله تعالى (فلما أتاهم نودي من شاطئ الوادى الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إني أنا الله رب العالمين). وقال في النمل (فلما جاء هانودى أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين) أى سبحان الله الذى يفعل مايشاء ويحكم مايريد (ياموسى إله أنا الله العزيز الحكيم) وقال في سورة طه (فلما أتاهم نودى ياموسى إني أنا ربك فاطلع فمليك إنك بالوادى المقدس طوى. وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إني أنا الله لا إله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى). فلا يصدقك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى). قال غير واحد من المفسرين من السلف واختلف لما قصد موسى الى تلك النار التى رآها فاتمى إليها وجدها تأنج في شجرة خضراء من العوسج وكل ما لتلك النار في اضطرام وكل ما لتلك الشجرة في اذدياد فوق متعجبا وكانت تلك الشجرة في لطف جبل غربى منه عن يمينه كما قال تعالى (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين) وكان موسى في واد اسمه طوى فكان موسى مستقبل القبلة وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب فناداه ربه بالواد المقدس طوى فأمر أولا بخلع عليه تمظيلا وتكريمًا وتوقيرًا لتلك البقعة المباركة ولا سيما في تلك الليلة المباركة.

وعند أهل الكتاب أنه وضع يده على وجهه من شدة ذلك التور مهابة له وخوفا على بصره ثم خاطبه تعالى كما يشاء قائلا له (إني أنا الله رب العالمين * إني أنا الله لا إله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكري) أى أنا رب العالمين الذى لا إله الا هو الذى لا تصلح العبادة واقامة الصلاة إلا له. ثم أخبره أن هذه الدنيا ليست بدار قرار وإنما الدار الباقية يوم القيامة التى لا بد من كونها وجودها (لتجزى كل نفس بما تسعى) أى من خير وشر. وحضه وحشه على العمل لها وبجانبة من لا يؤمن بها من عمى مولاه واتبع هواه ثم قال له مخاطبا ومؤانسا ومبينًا له أنه القادر على كل شئ الذى يقول للشئ كن فيكون. (وما تلك يمينك ياموسى) أى أما هذه عصاك التى عرفها منذ صحبتها (قال هى عصاى أتوكثر عليها وأهش بها على غنىمى ولى فيها ما رب أخرى). أى بل هذه عصاى التى أعرفها وأتبعها (قال التها ياموسى فاقها فإذا هى حية تسعى). وهذا خارق عظيم وبرهان قاطع على أن الذى يكلمه يقول للشئ كن فيكون وأنه الفاعل بالاختيار *

وعند أهل الكتاب أنه سأل برهانا على صدقه عند من يكذب من أهل مصر فقال له الرب

عز وجل ما هذه التي في يدك قال عصاى قال القها الى الارض (فالتقاها فاذا هي حية تسمى) فهرب موسى من قدامها فامر الرب عز وجل أن يبسط يده ويأخذها بذنها فلما استمكن منها ارتدت عصا في يده وقد قال الله تعالى في الآية الاخرى (وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب) أى قد صارت حية عظيمة لها ضخامة هائلة وأنياب تصك وهي مع ذلك في سرعة حركة الجبان وهو ضرب من الحيات * يقال الجبان والجبان وهو لطيف ولكن سريع الاضطراب والحركة جدا فهذه جمعت الضخامة والسرعة الشديدة فلما عاينها موسى عليه السلام (ولى مدبراً) أى هاربا منها لان طبيعته البشرية تقتضى ذلك (ولم يعقب) أى ولم يلتفت (فناداه ربه) قائلا له (يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين فلما رجع أمره الله تعالى أن يمسكها . قال خذها ولا تخف سعيدها سيرتها الاولى) . فيقال إنه هابها شديدا فوضع يده في كم مدرعته ثم وضع يده في وسط فها * وعند أهل الكتاب بذنها فلما استمكن منها اذا هي قد عادت كما كانت عصا ذات شعبتين فسبحان التقدير العظيم رب المشرقين والمغربين ثم أمره تعالى بلدخال يده في جيبه . ثم أمره بنزعها فاذا هي تتلأأ كالقمر يابضا من غير سوء أى من غير برص ولا بهق . ولهذا قال (لاسلك يدك في جيبك تخرج يابضا من غير سوء واضمم اليك جناحك من الريب) قيل معناه اذا خفت فضع يدك على فؤادك يسكن جأشك . وهذا وإن كان خاصا به الا أن بركة الايمان به حتى بأن يتبع من استعمل ذلك على وجه الاقتداء بالانبياء وقال في سورة النمل (وأدخل يدك في جيبك تخرج يابضا من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين) أى هاتان الآيتان وهما العصا واليد وهما البرهانان المشار اليهما في قوله (فذاتك برهانان من ربك الى فرعون وملأه إنهم كانوا قوماً فاسقين) ومع ذلك سبع آيات أخر فذلك تسع آيات بينات وهي المذكورة في آخر سورة سبحان حيث يقول تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات فسأل بنى إسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون إني لاطنك يا موسى مسحورا . قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والأرض بصائر وإني لاطنك يا فرعون مشهورا) وهي المبسوطة في سورة الاعراف في قوله (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون . وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين . فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والسم آيات مفضلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين) كما سيأتى الكلام على ذلك في موضعه وهذه التسع آيات غير العشر الكلمات فان التسع من كلمات الله التندرية والعشر من كلماته الشرعية وانما بنهنا على هذا لانه قد اشبه أمرها على بعض الرواة فظن أن هذه هي هذه كما قررنا ذلك في تفسير آخر سورة بنى إسرائيل .

والمقصود أن الله سبحانه لما أمر موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون (قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون). وأخى هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي رداً يصدقني إني أخاف أن يكذبون. قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لك سلطاناً فلا يصلون إليك بآياتنا أنما ومن اتبعكم الغالبون). يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى عليه السلام في جوابه لربه عز وجل حين أمره بالذهاب إلى عدوه الذي خرج من ديار مصر فراراً من سطوته وظلمه حين كان من أمره ما كان في قتل ذلك التبطي ولهذا (قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون). وأخى هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي رداً يصدقني إني أخاف أن يكذبون). أي اجعله معي مميماً ورداً ووزيراً يساعدي ويميني على أداء رسالتك إليهم فإنه أفصح مني لساناً وأبلغ بيانه قال الله تعالى يجيباً له إلى سؤاله (سنشد عضدك بأخيك ونجعل لك سلطاناً) أي برهانا (فلا يصلون إليك) أي فلا يتناولون منك مكرها بسبب قيامك بآياتنا. وقيل ببركة آياتنا (أنما ومن اتبعكم الغالبون) وقال في سورة طه (اذهب إلى فرعون انه طغي. قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يقمها قولي) قيل إنه أصابه في لسانه لثمة بسبب تلك الحجر التي وضعا على لسانه التي كان فرعون أراد إختبار عقله حين أخذ بلحيته وهو صغير فهم يقتله مخافت عليه آسية وقالت إنه طفل فاختبره بوضع ثمرة وجمرة بين يديه فهم باخذ الثمرة فصرف الملك يده إلى الحجر فأخذها فوضعا على لسانه فاصابه لثمة بسببها فسأل زوال بعضها بمقدار ما يفهمون قوله ولم يسأل زوالها بالكافية.

قال الحسن البصري والرسول إنما يسألون بحسب الحاجة ولهذا قيلت في لسانه بقية ولهذا قال فرعون قبحه الله فيما زعم إنه يعيب به الكلم (ولا يكاد بين) أي يفصح عن مراده ويمبر عما في ضميره وفؤاده ثم قال موسى عليه السلام (واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي أشد به أزرى وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً. قال قد أوتيت سؤالك يا موسى) أي قد أجبتك إلى جميع ما سألت وأعطيتك الذي طلبت وهذا من وجاهته عند ربه عز وجل حين شفح أن يوحى الله إلى أخيه فأوحى إليه وهذا جاء عظيم قال الله تعالى (وكان عند الله وجيهاً) وقال تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبياً) وقد سمعت أم المؤمنين عائشة رجلاً يقول لأتس وهم سائرون طريق الحج (أي أخ أمن على أخيه) فسكت القوم فقالت عائشة لمن حول هودجها هو موسى بن عمران حين شفح في أخيه هرون فأوحى إليه قال الله تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبياً) قال تعالى في سورة الشعراء (وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون الايتقون. قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هرون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون. قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون. فأتيا فرعون قهولاً إنا رسول رب العالمين أن أرسل

معنا بني إسرائيل . قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفلت فلنك التي فلت وأنت من الكافرين) تحدير الكلام فإياه قالوا له ذلك وبلغناه ما أرسلنا به من دعوة الى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وأن يكفرك أسارى بني إسرائيل من قبضته وقهره وسلطوته وتركهم يعبدون ربهم حيث شاؤوا ويفترغون لتوحيدهم ودعائه والتضرع لديه فتكبر فرعون في نفسه وعنا وطنى ونظر الى موسى بين الازدراء والتقص قائلا له (ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين) أى اما أنت الذى ربنا فى منزلنا وأحسننا اليه وأضعنا عليه مدة من الدهر وهذا يدل على أن فرعون الذى بعث اليه هو الذى فر منه خلافاً لما عند أهل الكتاب من أن فرعون الذى فر منه مات فى مدة مقامه بمدين وأن الذى بعث اليه فرعون آخر . وقوله (وفلت فلنك التي فلت وأنت من الكافرين) أى وقتلت الرجل القبطى وفررت منا وجحدت نعمتنا (قال فلعلنا اذا وأنا من الضالين) أى قبل أن يوحى الى وينزل على (فررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربي حكما وجعلنى من المرسلين) ثم قال مجيباً لفرعون عما امتن به من التريسة والاحسان اليه وتلك نعمة تمنها على أن عبت بني إسرائيل أى وهذه النعمة التى ذكرت من أنك أحسنت الى وأنا رجل واحد من بني إسرائيل تقابل ما استخدمت هذا الشعب العظيم بكاله واستعبدتهم فى أعمالك وخدمتك وأشغالك (قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الأولين . قال إن رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تقولون) .

يذكر تعالى ما كان بين فرعون وموسى من المناورة والمحاورة والمناظرة وما أقامه الكليم على فرعون القيم من الحججة العقلية المبنية على الحسية . وذلك أن فرعون قبحه الله أظهر جحد الصانع تبارك وتعالى . وزعم أنه الاله (تخشى فنادى فقال أنا ربكم الأعلى) * وقال بإيها الملائم ما علمت لكم من اله غيرى) . وهو فى هذه المقالة ما ندم يعلم أنه عبد مرهوب وأن الله هو الخالق البارئ المصور الاله الحق كما قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلواً فانظر كيف كانت عاقبة المفسدين) ولهذا قال لموسى عليه السلام على سبيل الانكار لرسالته والاطهار أنه ما هم رب ارسله (وما رب العالمين) لاهما قال له (إنا رسول رب العالمين) فكأنه يقول لها ومن رب العالمين الذى ترعمان أنه أرسلكما وابشكنا فليجبه موسى قائلا (رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين) يعنى رب العالمين خالق هذه السموات والأرض المشاهدة وما بينهما من المخلوقات المتجددة من السحاب والرياح والمطر والنبات والحيوانات التى يعلم كل موقن أنها لم تخلق بانفسها ولا بد لها من موجد ومحدث وخالق وهو الله الذى لا اله الا هو رب العالمين . (قال) أى فرعون لمن حوله من امرائه ومرأسته ووزرائه

على سبيل التهمم والتقص لما قرره موسى عليه السلام ألا تسمعون أى كلامه هذا قال موسى مخاطباً له ولهم (ربكم ورب آباءكم الاولين) أى هو الذى خلقكم والذين من قبلكم من الآباء والاجداد والقرون السالفة فى الآباد فان كل احد يعلم أنه لم يخلق نفسه ولا أبوه ولا أمه ولم يحدث من غير محدث وإنما أوجده وخلقته رب العالمين. وهذان المقامان هما المذكوران فى قوله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) ومع هذا كله لم يستفق فرعون من رقدته ولا تزع عن ضلالته بل استمر على ظنيانه وعناده وكفرانه (قال إن رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون. قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعلمون) أى هو المسخر لهذه الكواكب الزاهرة. المسير للأفلاك الدائرة. خالق الظلام والضياء. ورب الأرض والسماء رب الاولين والآخرين خالق الشمس والقمر والكواكب السائرة والثوابت الخائرة خالق الليل بظلامه والنهار بضيايه والسكل تحت قهره وتسخيره وتسييره ساترون وفلك يسبحون يتعاقبون فى سائر الأوقات ويدورون فهو تعالى انخالق المالك المتصرف فى خلقه بما يشاء. فلما قامت الحجج على فرعون واقطعت شبهه ولم يبق له قول سوى العناد عدل الى استعمال سلطانه وجاهه وسطوته (قال لئن اتخذت إلهاً غيرى لاجلنك من المسجوين. قال أولو جنتك بشئى مينين. قال فأت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مابين وزرع يده فاذا هى بيضاء للناظرين) وهذان هما البرهانان. اللذان أيده الله بهما وهما البصا واليد. وذلك مقام أظهر فيه الخارق العظيم الذى بهر به العقول والأبصار حين ألقى عصاه فاذا هى ثعبان مابين. أى عظيم الشكل بديع فى الضخامة والهمول والمنظر العظيم الفظيع الباهر حتى قيل إن فرعون لما شاهد ذلك وعانيه أخذه رهب شديد وخوف عظيم بحيث انه حصل له إسهال عظيم أكثر من أربعين مرة فى يوم وكان قبل ذلك لا يتبرز فى كل أربعين يوماً إلا مرة واحدة فانكس عليه الخلال * وهكذا لما أدخل موسى عليه السلام يده فى جيبه واستخرجها أخرجها وهى كفتحة القمر تتلألأ نوراً بهر الأبصار فاذا أعادها إلى جيبه رجعت الى صفتها الاولى ومع هذا كله لم ينتفع فرعون لعنه الله بشئ من ذلك بل استمر على ما هو عليه وأظهر أن هذا كله سحر وأراد ممارضته بالسحرة فارسل يجمعهم من سائر مملكته ومن رعيته وتحت قهره ودولته كما ساقى بسطه وبيانه فى موضعه من اظهار الله الحق المبين والحجة الباهرة القاطمة على فرعون وملانه وأهل دولته وملته والله الحمد والمث. وقال تعالى فى سورة طه (قلبت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى واصطنعتك لنفسى إذهب أنت وأخوك باأتى ولا تنيا فى ذكرى إذهب الى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى قالاربتنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إتنى ممكاً أسمع وأرى).

يقول تعالى مخاطباً لموسى فيما كله به ليلة أوحى اليه وأتمم بالنبوة عليه وكلمه منه اليه قد كنت مشاهداً

لك وأنت في دار فرعون وأنت تحت كنفى وحفظى ولطفى ثم أخرجتك من أرض مصر الى أرض
 مدين بمشيتى وقدرتى وتديرى فلبت فيها سنين (ثم جئت على قدر) أى منى لذلك فوافق ذلك
 تديرى وتسيرى (واصطمتك لنفسى) أى اصطفتك لنفسى برسالتى وبكلامى (اذهب أنت وأخوك
 بأبى ولا تنيا في ذكرى) يعنى ولا تقرا في ذكرى اذ قديما عليه ووفدتما اليه فان ذلك عون لكما
 على مخاطبته ومجاوبته وإهداء النصيحة اليه وإقامة الحجة عليه . وقد جاء في بعض الأحاديث يقول الله
 تعالى (إن عبدي كل عبدي الذى يذكركنى وهو ملائق قرنه) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم
 فئة فابتنوا واذكروا الله كثيرا الآية) ثم قال تعالى (اذها الى فرعون إبه لطفى قولا له قولا لينا لعله
 يتذكر أو يخشى) وهذا من حلمه تعالى وكرمه ورأفته ورحمته بخلقه مع علمه بكفر فرعون وعتوه وتجييره
 وهو اذ ذلك أردى خلقه وقد بث اليه صفوته من خلقه في ذلك الزمان ومع هذا يقول لها وبأسرها أن
 يدعوا اليه بالتي هي أحسن برفق ولين وبمعاملة من يرجو أن يتذكر أو يخشى كما قال رسوله « أدع
 الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » وقال تعالى (ولا تجادلوا أهل
 الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم الآية) قال الحسن البصرى (قولا له قولا لينا)
 أعذرا اليه قولا له ان لك ربا ولك معادا وإن بين يديك جنة ونارا . وقال وهب بن منبه قولا له إني
 الى العفو والمغفرة أقرب منى الى الغضب والعقوبة . قال يزيد الرقاشى عند هذه الآية يامن يتجنب الى
 من يمايه فكيف بمن يتولاها ويتأديه (فالارينا إنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى) وذلك أن فرعون
 كان جباراً عنيداً وشيطانا مريدا له سلطان في بلاد مصر طويل عريض وجاه وجنود وعساكر وسطوة
 فهاياه من حيث البشرية وخافا أن يسطوا عليهما في بلادى الأمر فثبتهما تعالى وهو العلى الأعلى فقال
 (لا تخافا إني ممكنا أسمع وأرى) كما قال في الآية الأخرى (إنا معكم مستمعون . فاتياه قولا إنا
 رسولا ربك فارسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بأية من ربك والسلام على من اتبع
 الهدى . إنا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى) يذكّر تعالى أنه أمرها أن يذها الى فرعون
 فيدعوا الى الله تعالى أن يعبد وحده لا شريك له وأن يرسل معهم بنى إسرائيل ويطلقهم من أسرهم
 وقهرهم ولا يذبهم (قد جئناك بأية من ربك) وهو البرهان العظيم في المعنى واليد (والسلام على من
 اتبع الهدى) تقيده مفيد بليغ عظيم . ثم تهديده وتوعده على التكذيب قائلا (إنا قد أوحى الينا أن
 العذاب على من كذب وتولى) أى كذب بلحق بقلبه وتولى عن العمل بقاله .

وقد ذكر السدى وغيره أنه لما قدم من بلاد مدين دخل على أمه وأخيه هرون وهما يشيان
 من طعام فيه الطشيل وهو اللفت فأكل منهما • ثم قال يهرون إن الله أمرنى وأمرك أن ندعو
 فرعون الى عبادة قم مى قماما يقصدان بلب فرعون فاذا هو مطلق قال موسى للبايين والحجة

أعلموه أن رسول الله بالباب فجلوا يسخرون منه ويستهزؤن به .

وقد زعم بعضهم أنه لم يؤذن لها عليه إلا بعد حين طويل . وقال محمد بن اسحق أذن لها بسد ستين لأنه لم يك أحد يتجاسر على الاستئذان لها فأنه أعلم * ويقال إن موسى تقدم إلى الباب فطره بمصاه فاتزعج فرعون وأمر باحضارهما فوقنا بين يديه فدعواه إلى الله عز وجل كما أمرها .

وعند أهل الكتاب أن الله قال لموسى عليه السلام إن هرون اللاوي يعنى من نسل لاوى بن يعقوب سيخرج ويتلثاك وأمره أن يأخذ معه مشايخ بنى إسرائيل إلى عند فرعون وأمره أن يظهر ما أتاه من الآيات * وقال له سأقضى قلبه فلا يرسل الشعب وأكثر آياتي وأعاجيبى بأرض مصر * وأوحى الله إلى هرون أن يخرج إلى أخيه يتلقاه بالبرية عند جبل حوريب فلما تلقاه أخبره موسى بما أمره به ربه * فلما دخل مصر جمعا شيوخ بنى إسرائيل وذهبا إلى فرعون فلما بلغناه رسالة الله قال من هو الله لا أعرفه ولا أرسل بنى إسرائيل . وقال الله مخبراً عن فرعون (قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الأرض مهديا وسلك لكم فيها سبيلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى . منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) .

يقول تعالى مخبراً عن فرعون إنه أنكر اثبات الصانع تعالى قائلا (فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) أى هو الذى خلق الخلق وقدر لهم أعمالا وأرزاقا وأجالا * وكتب ذلك عنده فى كتابه اللوح المحفوظ ثم هدى كل مخلوق إلى ما قدره له فطابق عمله فيهم على الوجه الذى قدره وعلمه لكامل علمه وقدرته وقدره وهذه الآية كقوله تعالى (سبح اسم ربك الأعلى . الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى) أى قدر قدرأ وهدى الخلائق إليه (قال فما بال القرون الأولى) يقول فرعون لموسى فإذا كان ربك هو الخالق المقدر المادى الخلائق لما قدره وهو بهذه المثابة من أنه لا يستحق العبادة سواء قلم عبد الاولون غيره وأشركوا به من الكواكب والانداد ما قدر علمت فهلا إهدى إلى ما ذكرته القرون الأولى (قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى) أى هم وإن عبدها غيره فليس ذلك بمجبة لك ولا يبدل على خلاف ما أقول لأنهم جهلة مثلك كل شئ فعلوه مستطع عليهم فى الزبر من صغير وكبير وسيجزئهم على ذلك ربى عز وجل ولا يظلم أحدا متقال ذرة لأن جميع أعمال العباد مكتوبة عنده فى كتاب لا يضل عنه شئ ولا ينسى ربى شيئا . ثم ذكر له عظمة الرب وقدرته على خلق الأشياء وجعله الأرض مهديا والسماء سقفا محفوظا وتسخيره السحاب والأمطار لرزق العباد وداويهم وأنعامهم كما قال (كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى) أى لتدوى القول

الصحيحة المستقيمة والفطر القويمة غير السقيمة فهو تعالى الخالق الرازق . وكما قال تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فلخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) ولما ذكر أحياء الأرض بالمطر واهتزازها باخراج نباتها فيه به على المعاد فقال (منها) أى من الأرض خلقناكم (وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) كما قال تعالى (كما بدأكم تعودون) وقال تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) ثم قال تعالى (ولقد أريناكم آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجبنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بغيره فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى . قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس نحى) .

يخبر تعالى عن شقاء فرعون وكثرة جهله وقلة عقله فى تكذيبه بآيات الله واستكباره عن إتباعها وقوله لموسى إن هذا الذى جئت به سحر ونحن نمارضك بمثله ثم طلب ممن موسى أن يواعده الى وقت معلوم ومكان معلوم وكان هذا من أكبر مقاصد موسى عليه السلام أن يظهر آيات الله وحججه وبراهينه جبرة بمحضرة الناس ولهذا قال (موعدكم يوم الزينة) وكان يوم عيد من أعيادهم ومجتمعت لهم (وأن يحشر الناس نحى) أى من أول النهار فى وقت اشتداد ضياء الشمس فيكون الحق أظهر وأجلى ولم يطلب أن يكون ذلك ليلاً فى ظلام كما يروج عليهم محالاً وباطلاً بل طلب أن يكون نهراً جبرة لانه على بصيرة من ربه ويقين أن الله سيظهر كلمته ودينه وإن رغمت أنوف القبط . قال الله تعالى (فتولى فرعون فججمع كيدته ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لا تقفروا على الله كذباً فيستحكم بظناب وقد خاب من افترى فتنزعوا أسرهم بينهم وأسروا النجوى . قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبوا بطريقكم المثلئ فأجمعوا كيدكم ثم أمثوا صفاً وقد أفلح اليوم من استملئ) .

يخبر تعالى عن فرعون أنه ذهب فججمع من كان يبلاده من السحرة وكانت بلاد مصر فى ذلك الزمان مملوءة سحرة فضلاء فى فهم غاية فجموا له من كل بلد ومن كل مكان فاجتمع منهم خلق كثير وجهم غفير فقيل كانوا ثمانين ألفاً قاله محمد بن كعب * وقيل سبعمائة ألفاً قاله القاسم بن أبى بردة . وقال السدى بضمة وثلاثين ألفاً . وعن أبى أمامة تسعة عشر ألفاً وقال محمد بن اسحاق خمسة عشر ألفاً . وقال كعب الأجار كانوا إثني عشر ألفاً * وروى ابن أبى حاتم عن ابن عباس كانوا سبعمائة رجلاً وروى عنه أيضاً أنهم كانوا أربعين غلاماً من بنى إسرائيل أسرهم فرعون أن يذهبوا الى العرفاء فيتعلموا السحر ولهذا قالوا وما أكرهتنا عليه من السحر وفى هذا نظر .

وحضر فرعون وأمرأؤه وأهل دولته وأهل بلده عن بكرة أبيهم . وذلك أن فرعون نادى فيهم أن

يحضروا هذا الموقف العظيم فخرجوا وهم يقولون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين . وتقدم موسى عليه السلام الى السحرة فوعظهم وزجرهم عن تماطى السحر الباطل الذى فيه مفاضة لايات الله وحججه فقال (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحقكم بمذاب وقدخاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم) قيل معناه أنهم اختلفوا فيما بينهم فقاتل يقول هذا كلام نبى وليس بساحر وقاتل منهم يقول بل هو ساحر فالله أعلم * وأسروا التناجى بهذا وغيره (قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما) يقولون إن هذا وأخاه هرون ساحران عليان مطبقان متقنان لهذه الصناعة ومرادهم أن يجتمع الناس عليهما ويصولا على الملك وحاشيته ويستأصلاكم عن آخركم ويستأصرا عليكم بهذه الصناعة (فأجمعوا كيدكم ثم اتوا صفاً وقد أفلح اليوم من أستملى)* وإنما قالوا الكلام الأول ليتدبروا ويتواصوا ويتأثروا بجميع ما عندهم من المكيدة والمكر والخديعة والسحر والبهتان . وهيهات كذبت والله الظنون واخطأت الآراء . أنى يمرض البهتان . والسحر والبهتان . خوارق العادات التى أجزاها الدين . على يدى عبده الكليم . ورسوله الكريم المؤيد بالبرهان الذى يبهز الابصار وتحار فيه العقول والأذهان وقولهم (فأجمعوا كيدكم) أى جميع ما عندهم (ثم اتوا صفاً) أى جملة واحدة ثم حضوا بعضهم بعضا على التقدم فى هذا المقام لان فرعون كان قد وعدهم ومناهم وما يهدم الشيطان إلا غرورا (قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى قال بل القوا فلذا جبالهم وعصيم يخيل اليه من سحرهم أنها تسمى فأوجس فى نفسه خيفة موسى . قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى واللقى يميناك تلقف ما صنعوا إما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) .

لما اصطف السحرة ووقف موسى وهرون عليهما السلام تجاهم قالوا له إما أن تلقى قبلنا وإما أن تلقى قبلك (قال بل القوا) أنتم وكانوا قد عدوا الى جبال وعصى فاودعوها الزئبق وغيره من الآلات التى تضطرب بسببها تلك الجبال والعصى اضطرابا يخيل للرائى أنها تسمى باختيارها * وإنما تتحرك بسبب ذلك . فعند ذلك سحروا أعين الناس واسترهبوهم وألقوا جبالهم وعصيم وهم يقولون بركة فرعون إنما لنحن الغالبون . قال الله تعالى (قلنا ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) . وقال تعالى (فاذا جبالهم وعصيم يخيل اليه من سحرهم أنها تسمى . فأوجس فى نفسه خيفة موسى) أى خاف على الناس أن يفتنوا بسحرهم ومحالمهم قبل أن يلقى ما فى يده فانه لا يوضع شيئا قبل أن يؤمر فأوحى الله اليه فى الساعة الراهنة (لا تخف إنك أنت الأعلى وألقى يميناك تلقف ما صنعوا إما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) فعند ذلك ألقى موسى عصاه وقال ما جئتم به السحران الله سيطله إن الله لا يصلح عمل المسدين (ويحقى الله الحق بكلماته ولو كره الجرمون) . وقال تعالى (فألقى موسى) عصاه فاذا هى تلقف ما أفكرون فوق الحفى وبطل ما كانوا يعملون *

فطلبوا هناك وأقبلوا صاغرين . وألقى السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهرون .
 وذلك أن موسى عليه السلام لما اتقاها صارت حية عظيمة ذات قوائم (فيا ذكره غير واحد من علماء
 السلف) وعنق عظيم وشكل هائل مزعج بحيث أن الناس انمازوا منها وهربوا سراعا وتأخروا عن
 مكانها وأقبلت هي على ما أقوره من الحبال والمعى فجلت تلقفه واحدا واحدا في أسرع ما يكون من
 الحركة والناس ينظرون إليها ويتعجبون منها . واما السحرة فاتهم رأوا ماهاهم وحيرهم في أسرهم
 واطلموا على أمر لم يكن في خلدوم ولا باهم ولا يدخل تحت صناعاتهم وأشغالهم . فشد ذلك وهنالك تحقروا
 بما عندهم من العلم أن هذا ليس بسحر ولا شبيثة ولا محلل ولا خيال ولا زور ولا بهتان ولا ضلال بل
 حق لا يقدر عليه إلا الحق الذي ابتمت هذا المؤيد به للحق وكشف الله عن قلوبهم غشاوة الغفلة وانارها بما
 خلق قها من الهدى وازاح عنها التسوة وانابوا الى ربهم وخروا له ساجدين وقالوا جبهة للحاضرين ولم
 يخشوا عقوبة ولا بلوى (آمنا برب موسى وهرون) كما قال تعالى (فألقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب
 هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلا تقطن أيديكم وأرجلكم
 من خلاف ولا صلبنكم في جذوع النخل ولتملن أينا أشد عذاباً وأبقى . قالوا لننؤثرك على ما جاءنا من
 البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا لنغفر لنا خطايانا وما
 أكرهنا عليه من السحر والله خير وأبقى إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى .
 ومن يأت مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك هم الدرجات العلى . جنات عدن تجري من تحتها الأنهار
 خالدن فيها وذلك جزاء من تركن)

قال سعيد بن جبير وعكرمة والقاسم بن أبي بردة والاوزاعي وغيرهم لما سجد السحرة رأوا منازلهم
 وقصورهم في الجنة تهيأ لهم وترخرف لقدمهم ولهذا لم يلتفتوا الى تهويل فرعون وتهديده ووعيده
 وذلك لأن فرعون لما رأى هؤلاء السحرة قد أسلوا واشهروا ذكروا موسى وهرون في الناس على هذه
 الصفة الجميلة أفزع ذلك ورأى أمرا بهره وأعمى بصيرته وبصره وكان فيه كيد ومكر وخداع وصنعة
 بليغة في الصد عن سبيل الله قتال مخاطبا للسحرة بحضرة الناس (آمنتم له فهل ان آذن لكم) أي هلا
 شاودتموني فيما صنعت من الأمر الفظيع بحضرة رعتي ثم تهدد وتوعد وبارق وكدب فابعد قاتلا
 (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر) وقال في الآية الأخرى (إن هذا لمكر مكتموه في المدينة
 لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون) . وهذا الذي قاله من البهتان يعلم كل فرد عاقل ما فيه من الكفر
 والكذب والهذيان بل لا يروج مثله على الصبيان فإن الناس كلهم من أهل دولته وغيرهم يعلمون أن
 موسى لم يره هؤلاء يوما من الدهر فكيف يكون كبيرهم الذي علمهم السحر * ثم هو لم يجمعهم ولا علم
 باجتماعهم حتى كان فرعون هو الذي إستدعاهم واجتباهم من كل فج عميق ووادسحيق ومن حواضر بلاد

مصر والاطراف ومن المدن والأرياف . قال الله تعالى في سورة الأعراف ﴿ثم بشنا من بدم موسى
بآياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عقبة المنسدين . وقال موسى يا فرعون إني رسول من
رب العالمين . حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل
قال إن كنت جئت بآية فات بها إن كنت من الصادقين فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين . وتزع يده
فإذا هي بيضاء للناظرين . قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم . يريد أن يخرجكم من أرضكم
فإذا تأمرون . قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين . يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة
فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين قالوا يا موسى إما أن تلقى
وإما أن نكون نحن الملقين . قال القوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس وأستهبوم وجازوا بسحر عظيم
وأوحينا الى موسى أن القى عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون . فقلبوا
هنالك واقلبوا صاغرين . وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهرون قال فرعون
أنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لكم مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون . لا تطعن
أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لا صلبنكم أجمعين . قالوا إنا الى ربنا متقبلون . وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات
ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ﴿ وقال تعالى في سورة يونس ﴿ثم بشنا من بدم
موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين . فلما جاءهم الحق من عندنا
قالوا إن هذا لسحر مبين . قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحروا ولا يفلح الساحرون . قالوا
أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لنا الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين . وقال
فرعون إئتوني بكل ساحر عليم . فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى
ما جئتم به السحر إن الله سيبدل الله إن الله لا يصلح عمل المفسدين . ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ﴿
وقال تعالى في سورة الشعراء ﴿قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجلنك من المسجونين . قال أولو جنتك
بشيء مبين . قال فأت به إن كنت من الصادقين . فلقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين . وتزع يده فإذا
هي بيضاء للناظرين قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فإذا
تأمرون . قالوا أرجه وأخاه وأبعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم . فجمع السحرة لميقات
يوم معلوم . وقيل للناس هل أنتم مجتمعون . لعلنا تتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين . فلما جاء السحرة
قالوا لفرعون إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين قال لهم موسى
ألقوا ما أنتم ملقون . فألقوا جبالهم وحصبهم وقالوا بركة فرعون إنا لنحن الغالبون . فلقى موسى عصاه
فإذا هي تلقف ما يأفكون . فلقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون * قال أنتم
له قبل أن آذن لكم إله كبيركم الذي علمكم السحر فسوف تعلمون . لا تعذب أيديكم وأرجلكم من

خلاف ولأصلبكم أجمعين . قالوا لاضير إنا الى ربنا متقبلون إنا نضع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين) .

والمقصود أن فرعون كذب وافترى وكفر غاية الكفر في قوله إنه لكبيركم الذى علمكم السحر وأتى بهتان يعلمه العالمون بل العالمون في قوله (إن هذا المكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون) وقوله (لا تظنن أيديكم وأرجلكم من خلاف) يعنى يقتلع اليد اليمنى والرجل اليسرى وعكسه (ولأصلبكم أجمعين) أى ليجعلهم مثلة ونكالا لئلا يقتدى بهم أحد من رعيته وأهل ملته ولهذا قال (ولأصلبكم في جذوع النخل) أى على جذوع النخل لأنها أعلى وأشهر (وتعلمن أننا أشد عذابا وأبقى) يعنى في الدنيا (قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من بينات) أى لن نطعمك ونترك ما أوقر في قلوبنا من بينات والدلائل القاطعات (والذى فطرنا) قيل معطوف . وقيل قسم (فاقض ما أنت قاض) أى فافصل ما قدرت عليه (إنما قضى هذه الحياة الدنيا) أى إنما حكمت علينا في هذه الحياة الدنيا فاذا أتقلنا منها الى الدار الآخرة صرنا الى حكم الذى أسلنا له واتبعنا رسله (إنا آمننا ربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى) أى وثوابه خير مما وعدتنا به من التقریب والترغيب وأبقى أى وأدوم من هذه الدار الفانية وفي الآية الاخرى (قالوا لاضير إنا الى ربنا متقبلون إنا نضع أن يغفر لنا ربنا خطايانا) أى ما اجترمناه من الماثم والمخارم أن كنا أول المؤمنين) أى من القبط بموسى وهرون عليهما السلام * وقالوا له أيضاً (وما تنقم منا إلا أن آمننا بآيات ربنا لما جاءتنا) أى ليس لنا عندك ذنب إلا إيماننا بما جاءنا به رسولنا واتباعنا آيات ربنا لما جاءتنا (ربنا أفرغ علينا صبراً) أى نبنتنا على ما أبتلنا به من عقوبة هذا الجبار العنيد والسلطان الشديد بل الشيطان المرید (وتوفنا مسلمين) وقالوا أيضاً يعظونه ويخوفونه بأس ربه العظيم (إنه من بات بجر ما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) يقولون له فبايك أن تكون منهم فكان منهم (ومن يأتهم مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) أى المنازل العالية (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) فلحرص أن تكون منهم فحالت بينه وبين ذلك الأقدار التي لا تقالب ولا تمنع وحكم العلى العظيم بان فرعون لعنه الله من أهل الجحيم لياشر العذاب الأليم يصب من فوق رأسه الحميم * ويقال له على وجه التقرير والتوبيخ وهو المقذوح المنبوذ والذميم الذمير (ذق إنك أنت العزيز الكريم) والظاهر من هذه السياقات أن فرعون لعنه الله صلهم وعذبهم رضى الله عنهم . قال عبد الله بن عباس وعبيد بن عمير كانوا من أول النهار سخرة فصاروا من آخره شهداء بررة * ويؤيد هذا قولهم (ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين .)

قصة الأنبياء

ولما وقع ما وقع من الأمر العظيم وهو الغلب الذي غلبته القبط في ذلك الموقف الهائل وأسلم السحرة الذين استنصروا ربهم لم يزدكم ذلك إلا كفراً وعباداً وبعداً عن الحق. قال الله تعالى بعد قصص ما تقدم في سورة الأعراف. (وقال الملا من قوم فرعون أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك. قال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون. قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. قالوا أودينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما- بمئتنا. قال عسى ربكم أن يهلك عدوك ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) يخبر تعالى عن الملا من قوم فرعون وهم الأمراء والكبراء أنهم حرضوا لمكهم فرعون على أذية نبي الله موسى عليه السلام ومقابلته بدل التصديق بما جاء به بالكفر والرد والأذى قالوا (أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك) يعنون قبهم الله أن دعوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له والتهى عن عبادة ما سواه فساد بالنسبة إلى اعتقاد القبط لعنهم الله. وقرأ بعضهم (ويذرك وآلهتك) أى وعبادتكم ويحتمل شيئين أحدهما يذرك دينك وتقريبه القراءة الأخرى. الثانى يذرك يعبدك فإنه كان يزعم أنه إله لعنه الله (قال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم) أى لثلاثا يكثر مقاتلتهم (وإنا فوقهم قاهرون) أى غالبون (وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) أى إذا هموا هم بأذيتكم بالقتل بكم فاستعينوا أنتم بربكم واصبروا على بليتكم (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) أى فكروا أنتم المتقين لتكون لكم العاقبة كما قال في الآية الأخرى (وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فليسه توكوا إن كنتم مساهين. فقالوا على الله توكنا ربنا لا نجعلنا فتنة للقوم الظالمين. ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) وقولهم (قالوا أودينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) أى قد كانت الأبناء قتل قبل مجيئك وبعد مجيئك الينا (قال عسى ربكم أن يهلك عدوك ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) وقال الله تعالى في سورة حم المؤمن (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) وكان فرعون الملك وهامان الوزير. وكان قارون إسرائيلياً من قوم موسى الا أنه كان على دين فرعون وملائمه وكان ذاملاً جزيل جداً كما ستأتى قصته فيما بعد إن شاء الله تعالى: (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحووا نساءهم وما كيد الكافرين إلا فى ضلال) وهذا القتل للممان من بعد بئته موسى إيماناً كان على وجه الاهانة والاذلال والتقليل للمؤمنين اسراييل لثلاثا يكون لهم شوكة يتنعمون بها ويصلون على القبط بسببها وكانت القبط منهم يخذرون فلم

ينضمهم ذلك ولم يرد عنهم قدر الذى يقول للشئ كن فيكون (وقال فرعون خرونى أقل موسى وليدع ربه
إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد) . ولهذا يقول الناس على سبيل التهمك
(صار فرعون مذكرا) وهذا منه فان فرعون فى زعمه يخاف على الناس أن يضلهم موسى عليه السلام .
(وقال موسى إنى عدت ربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) أى عدت بالله وجات اليه
بجنايه من أن يسطر فرعون وغيره على بسوء وقوله (من كل متكبر) أى جبار عنيد لا يعرعى ولا
يتهى ولا يخاف عذاب الله وعقابه لأنه لا يعتقد ماداً ولا جزءاً . ولهذا قال (من كل متكبر لا يؤمن
بيوم الحساب) . وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم
بالبينات من ربكم وان يك كاذباً فليبه كذبه وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذى يمدكم إن الله لا يهدي
من هو مسرف كذاب . يا قوم لكم اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا
قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيلا وهذا الرجل هو ابن عم فرعون وكان
يكتم إيمانه من قومه خوفاً منهم على نفسه . وزعم بعض الناس أنه كان اسراييليا وهو بعيد ومخالف لسياق
الكلام لفظاً ومعنى والله أعلم .

قال ابن جرير قال ابن عباس لم يؤمن من القبط بموسى إلا هذا والذى جاء من أقصى المدينة
واسراة فرعون . رواه ابن أبي حاتم * قال الدارقطني لا يعرف من اسمه شيمان بالثين المعبدة إلا مؤمن
آل فرعون * حكاه السهيلي * وفى تلخيص الطبراني أن اسمه خير فلهذا أعلم . والمتصود أن هذا الرجل
كان يكتم إيمانه فلما هم فرعون لعنه الله بقتل موسى عليه السلام وعزم على ذلك وشاور ملاءه فيه خاف
هذا المؤمن على موسى فنطق فى رد فرعون بكلام جمع فيه الترهيب والترهيب فقال على وجه
المشورة والرأى وقد ثبت فى الحديث عن رسول الله .س . أنه قال أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان
جائر . وهذا من أعلى مراتب هذا المقام فان فرعون لأشد جوراً منه وهذا الكلام لا أعدل منه لأن
فيه عصية نبى * ويحتمل أنه كاشرهم بإظهار إيمانه وصرح لهم بما كان يكتمه والأول أظهر والله أعلم
قال (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) أى من أجل أنه قال ربي الله فقتل هذا لا يقابل بهذا بل بالأكرام
والاحترام والمواودة وترك الانتقام يعنى لأنه (قد جاءكم بالبينات من ربكم) أى بالنوارق التى دلت
على صدقه فيما جاء به عن أمره فهذا إن وادعتوه كتم فى سلامة لأنه (إن يك كاذباً فليبه كذبه)
ولا يضركم ذلك (وان يك صادقاً) وقد تعرضتم له (يصيبكم بعض الذى يمدكم) أى وأنتم تمشقون أن
ينالكم أسير جزاءهما يتوعدكم به فكيف بكم إن حل جميعه عليكم .

وهذا الكلام فى هذا المقام من أعلى مقامات التلطف والاحترام والمقل التام . وقوله (يا قوم
لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض) يحذروهم أن يسلبوا هذا الملك الميزقاه ما تعرض الدول للدين

الاسلوبوا ملكهم وذلوا بيد عزم وكذا وقع لآل فرعون مازالوا في شك وريب وخالفه ومغاندة لما جاءهم موسى به حتى أخرجهم الله مما كانوا فيه من الملك والأملك والدور والقصور والنسعة والحبور ثم حولوا الى البحر مهانين وقتلت أرواحهم بمدالمو والرفضة الى أسفل السافلين . ولهذا قال هذا الرجل المؤمن المصدق البار الراشد التابع للحق الناصح لقومه السكامل العقل (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض) أي عالين على الناس حاكين عليهم (فن ينصرون من بأس الله ان جاءنا) أي لو كنتم أضاف ما أتم فيه من العدد والعدة والقوة والشدة لما غشنا ذلك ولاردنا بأس ملك الممالك . (قال فرعون) أي في جواب هذا كله (ما أريكم إلا ما أرى) أي ما أقول لكم إلا ما عندي (وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) وكذب في كل من هذين القولين وهاتين المقدمتين فانه قد كان يتحقق في بطنه وفي نفسه أن هذا الذي جاء به موسى من عند الله لا محالة وإنما كان يظهر خلافه بغيًا وعدوانًا وعتورًا وكفرانًا قال الله تعالى اخبراً عن موسى (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الرب السموات والأرض بصائر وإني لا أظنك يا فرعون مشبوراً فأراد أن يستفهم من الارض فأغرقتاه ومن معه جميعاً . وقتلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لنفيقن) وقال تعالى (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين . وجعلوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وأما قوله (وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) . فقد كذب أيضاً فانه لم يكن على رشاد من الأمر بل كان على سفه وضلال وخبل وخيال فكان أولاً ممن يعبد الاصنام والامثال . ثم دعا قومه لجهلة الضلال الى أن اتبعوه وطاوعوه وصدقوه فيما زعم من السكر الخيال في دعواه أنه رب تعالى الله ذو الجلال . قال الله تعالى (ونادي فرعون في قومه قال يا قوم ليس لي ملك مصر . وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلو لا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فاطاعوه أنهم كانوا قوماً فاسقين . فلما آسفونا امتنعنا منهم فأغرقتناهم أجمعين . نجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين) وقال تعالى فأراه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم أذبر يسى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذته الله نكال الآخرة والأولى . ان في ذلك لعبرة لمن يخشى) وقال تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين . الى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة فأوردتهم النار وبئس الورد المورود . وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود) .

والمقصود يان كذبه في قوله (ما أريكم إلا ما أرى) وفي قوله (وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) وقال النبي آمن يا قوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد . ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد . يوم تولون مدبرين ما لكم من

الله من عاصم ومن يضل الله فإله من هاد. ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتكب . الذين يجادلون في آيات الله بنير سلطان أنهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) يحذرهم ولي الله إن كذبوا برسول الله موسى أن يحل بهم ما حل بالأسم من قبلهم من النقامات والمثلات مما تواتر عندهم وعند غيرهم ما حل بقوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم إلى زمتهم ذلك مما أقام به الحجج على أهل الأرض قاطبة في صدق ما جاءت به الأنبياء لما أنزل من النعمة بمكذبهم من الأعداء وما أنجى الله من اتبعهم من الأولياء وخوفهم يوم القيمة وهو يوم التناد أي حين يتنادى الناس بعضهم بعضاً حين يولون أن قدروا على ذلك ولا إلى ذلك سبيل. (يقول الانسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر) وقال تعالى (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان. فأبى آلاء ربك أن تكذبان يرسل عليكم شعوطاً من نور ونحاس فلا تنصرا فأبى آلاء ربك أن تكذبان) وقرأ بعضهم (يوم التناد) بتشديد الدال أي يوم الفرار ويحتمل أن يكون يوم القيامة ويحتمل أن يكون يوم يحل الله بهم البأس فيردون الفرار ولات حين مناص (فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون) لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترقتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون) ثم أخبرهم عن نبوة يوسف في بلاد مصر ما كان منه من الإحسان إلى الخلق في دنياهم وأخراهم وهذا من سلالته وذريته ويدعو الناس إلى توحيد الله وعبادته وأن لا يشركوا به أحداً من بريته وأخبر عن أهل الديار المصرية في ذلك الزمان أي من سجنهم التكذيب بالحق ومخالفة الرسل ولهذا قال (فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلم لن يبعث الله من بعده رسولا) أي وكذبتم في هذا ولهذا قال (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتكب . الذين يجادلون في آيات الله بنير سلطان أنهم) أي يريدون حجج الله وبراهينه ودلائل توحيدة بلا حجة ولا دليل عندهم من الله فإن هذا أمر يعقته الله غاية المقت أي يفيض من تلبس به من الناس ومن اتصف به من الخلق (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قرئ بالأضافة والتبعية وكلاهما متلازم أي هكذا إذا خالفت القلوب الحق ولا تخالفه إلا بالبرهان فإن الله يطبع عليها أي يحتم عليها . (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلني أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب) كذب فرعون موسى عليه السلام في دعواه أن الله أرسله وزعم فرعون لقرمه ما كذبه واقترأه في قوله لهم (ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلني أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) وقال ههنا (لعلني أبلغ الأسباب أسباب السموات) أي طرقها ومسالكها (فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) ويحتمل هذا معنيين أحدهما وإني لأظنه

كاذبا في قوله إن العالم ربا غيرى والثاني في دعواه أن الله أرسله . والأول أشبه بظاهر حال فرعون فانه كان ينكر ظاهرا اثبات الصانع والثاني أقرب الى اللفظ حيث قال (فاطم الى إله موسى) أى فأسأله هل أرسله أم لا (وإني لأظنه كاذبا) أى في دعواه ذلك . وإنما كان مقصود فرعون أن يصد الناس عن تصديق موسى عليه السلام وأن يحثهم على تكذيبه قال الله تعالى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) وقرئ (وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب) قال ابن عباس ومجاهد يقول الا في خسار أى باطل لا يحصل له شئ من مقصود الذي رامه فانه لا سبيل للبشر أن يتوصلوا بقوام الى نيل السماء أبداً أعنى السماء الدنيا فكيف بما بعدها من السموات العلى وما فوق ذلك من الارتفاع الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل . وذكر غير واحد من المفسرين أن هذا الصرح وهو القصر الذي بناه وزيره هامان له لم يربناه أعلى منه وان كان مبنياً من الآجر المشوى بالنار ولهذا قال (فأوقد لي يا هامان على الخابن فاجعل لي صرحا) .

وعند أهل الكتاب أن بنى إسرائيل كانوا يسخرون في ضرب اللبن وكان مما حملوا من التكاليف الفرعونية أنهم لا يساعدون على شئ مما يحتاجون اليه فيه بل كانوا هم الذين يجمون ترابه وتبته وماءه ويطلب منهم كل يوم قسط معين إن لم يفعلوه والا ضربوا وأهينوا غاية الاهانة وأوذوا غاية الأذية . ولهذا قالوا لموسى (أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) فوعدهم بأن العاقبة لهم على القبط وكذلك وقع وهذا من دلائل النبوة * ولترجع الى نصيحة المؤمن وموعظته واحتجابه قال الله تعالى (وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بنير حساب) يدعوهم رضى الله عنه الى طريق الرشاد والحق وهي متابعة نبي الله موسى وتصديقه فيما جاء به من ربه ثم زهدهم في الدنيا الدينية الفانية المتقضية لاحالة ودرغهم في طلب الثواب عند الله الذي لا يضيع عمل عامل لديه . التقدير الذي ملكوت كل شئ بيديه الذى يعطى على القليل كثيراً ومن عدله لا يجازى على السيئة الا مثلها . وأخبرهم أن الآخرة هي دار القرار التي من وافها مؤمنا قد عمل الصالحات فلهم الجنات العاليات والترف الآمات والخيرات الكثيرة العاقبات والارزاق الدائمة التي لا تبيد . والخير الذى كل ما لهم منه في مزيد .

ثم شرع في إبطال ما هم عليه وتخويفهم مما يصيرون اليه فقال (ويا قوم ما لي أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لا كفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار . لاجرم أن ما تدعوننى اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب

النار فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله إن الله بصير بالعباد . فوqاه الله سيئات ما مكروا وحق qال فرعون سوء العذاب . النار يمرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) كان يدعوهم الى عبادة رب السموات والأرض الذى يقول للشئى كن فيكون وهم يدعونهم الى عبادة فرعون الجاهل الضال الملمون ولهذا قال لهم على سبيل الانكار (ويا قوم ما لى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لا كفر بالله وأشرك به ما لى لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) ثم بين لهم بطلان ما هم عليه من عبادة ما سوى الله من الأنداد والأوثان وأنها لا تملك من نفع ولا اضرار قتال (لاجرم أنما تدعوننى اليه لى لى له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار) أى لا تملك تصرفا ولا حكما فى هذه الدار فكيف تملكه يوم القرار * وأما الله عز وجل فانه الخالق الرازق للإبرار والنجار وهو الذى أحيا العباد ويميتهم ويدخل طائفتهم الجنة وعاصيتهم الى النار .

ثم توعدهم إن هم استمروا على العناد بقوله (فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله إن الله بصير بالعباد) قال الله (فوqاه الله سيئات ما مكروا) أى بانكاره سلم بما أصابهم من العقوبة على كفرهم بالله ومكروهم فى صدمهم عن سبيل الله مما أظهرها للعامة من الخيالات والحالات التى ألبسوا بها على عوامهم وطغافهم ولهذا قال (وحق) أى أحاط (بال فرعون سوء العذاب . النار يمرضون عليها غدوا وعشيا) أى تمرض ارواحهم فى برزخهم صباحا ومساء على النار (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وقد تكلمنا على دلالة هذه الآية على عذاب القبر فى التفسير والله الحمد والمقصود أن الله تعالى لم يهلكهم إلا بعد إقامة الحجج عليهم وإرسال الرسول اليهم وإزاحة الشبه عنهم وأخذ الحجة عليهم منهم فبالترهيب تارة والترغيب أخرى كما قال تعالى . (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين وهص من الثمرات لهمم يذكرون . فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه إلا إنما طائرت عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون . وقالوا مهما تأتنا به من آية أن نسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين . فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) .

يخبر تعالى أنه ابتلى آل فرعون وهم قومه من القبط بالسنين وهى أعوام الجلب التى لا يستغل فيها زرع ولا يتنفع بضرع وقوله (وهص من الثمرات) وهى قلة الثمار من الأشجار (لهمم يذكرون) أى فلم يتنصوا ولم يرعوا بل تمردوا واستمروا على كفرهم وعنادهم (فإذا جاءتهم الحسنة) والخصب ونحوه (قالوا لنا هذه) أى هذا الذى نستحقه وهذا الذى يليق بنا (وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) أى يقولون هذا بشؤمهم أصابنا هذا ولا يقولون فى الأول أنه بركتهم وحسن مجاورتهم ولكن

قلوبهم منكراً مستكبرة نافرة عن الحق إذا جاء الشر استدوه اليه وإن رأوا خيراً ادعوه لأفهمهم . قال الله تعالى (ألا إنما طأرهم عند الله) أى الله يميزهم على هذا أوفر الجزاء (ولكن أكرم لا يعلمون . وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) أى مهما جئتنا به من الآيات وهى الخوارق للمادات فلسنا نؤمن بك ولا تتبعك ولا نطيعك ولو جئتنا بكل آية . وهكذا أخبر الله عنهم فى قوله (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) قال الله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين) أما الطوفان فمن ابن عباس هو كثرة الأمطار المتلفة للزرع والثمار . وبه قال سعيد بن جبيرة وقادة والسدى والضحاك * وعن ابن عباس وعطاء هو كثرة الموت * وقال مجاهد الطوفان الماء والطاعون على كل حال * وعن ابن عباس أمرطاف بهم * وقد روى بن جرير وابن مردويه من طريق يحيى بن يمان عن المنهال بن خليفة عن الججاج عن الحكم بن مينا عن عائشة عن النبي (س) : الطوفان الموت وهو غريب * وأما الجراد فعروف * وقد روى أبو داود عن أبي عثمان عن سلمان الفارسي قال مثل رسول الله عن الجراد قتال أكثر جنود الله لا آكله ولا أحرمه وترك النبي (س) ، أكله إنما هو على وجه التقدير له كما ترك أكل الضب وتنزه عن أكل البصل والثوم والكراث لما ثبت فى الصحيحين عن عبد الله بن أبي أوفى قال غزونا مع رسول الله (س) سبع غزوات تأكل الجراد . وقد تكلمنا على ماورد فيه من الأحاديث والآثار فى التفسير . والمقصود أنه استاق خضراءهم فلم يترك لهم زرعاً ولا ثماراً ولا سبداً ولا لبداً . وأما القمل فمن بن عباس هو السوس الذى يخرج من الحطنة وعنه انه الجراد الصغار الذى لا أجنحة له . وبه قال مجاهد وعكرمة وقادة . وقال سعيد بن جبيرة والحسن هو دواب سود صفار * وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هى البراغيث * وحكى ابن جرير عن أهل المرية أنها الحنمان وهو صفار القردان (فرق القمامة) فدخل معهم البيوت والغرش فلم يقر لهم قرار ولم يمكنهم معه الغمض ولا العيش . وفسره عطاء بن السائب بهذا القمل المعروف وقرأها الحسن البصرى كذلك بالتخفيف . وأما الضفادع فمروقة لبسهم حتى كانت تسقط فى أطعمتهم وأوائهم حتى إن أحدهم إذا فتح فمه لطعام أو شراب سقطت فيه ضفدعة من تلك الضفادع . وأما الدم فكان قد مزج ماؤهم كله به فلا يستقون من النيل شيئاً إلا وجدوه دماً عبيطاً ولا من نهر ولا بئر ولا شئ إلا كان دماً فى الساعة الزاهنة . هذا كله لم ينل بئى إسرائيل من ذلك شئ بالكيفية . وهذا من تمام المعجزة الباهرة والحجة القاطنة أن هذا كله يحصل لهم من فضل موسى عليه السلام فينالهم عن آخرهم ولا يحصل هذا لاحد من بئى إسرائيل وفى هذا أدل دليل . قال محمد بن اسحق فرجع عدو الله فرعون حين أمنت السحرة مغلوباً مغلوباً ثم أبى إلا الإقامة على الكفر والتلذذ فى الشر

وتابع الله عليه بالآيات فأخذه بالسنين فأرسل عليه الطوفان ثم الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم
 آيات مفصلات فأرسل الطوفان وهو الماء ففاض على وجه الأرض ثم ركذ . لا يقدر على أن يخرجوا
 ولا أن يهاوا شيئاً حتى جهدوا جوعاً فلما بلغهم ذلك (قالوا يا موسى أدع لنا ربك بما عهد عندك
 لأن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل) فدعا موسى ربه فكشفه عنهم فلما لم
 يفوا له بشئ فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر فيما بلغنى حتى أن كان لياً كل مسامير الأبواب من
 الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم فقالوا مثل ما قالوا فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشئ مما قالوا
 فأرسل الله عليهم القمل فذكر لى أن موسى عليه السلام أمر أن يمشی الى كتيب حتى يضربه بمصاه فمشى
 الى كتيب أهيل عظيم فضربه بها فأتال عليهم قلا حتى غلب على البيوت والاطعمة ومنهم النوم
 والقرار فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا له فدعا ربه فكشف عنهم فلما لم يفوا له بشئ مما قالوا أرسل
 الله عليهم الضفادع فلأت البيوت والاطعمة والآنية فلم يكشف أحد ثوباً ولا طعاماً إلا وجد فيه الضفادع
 قد غلب عليه فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا بشئ مما قالوا فأرسل
 الله عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دماً لا يستقون من بشر ولا نهر يفترقون من إناء الاعاد دماً عبيطاً
 وقال زيد بن أسلم المراد بالدم الأعراف رواه ابن أبي حاتم . قال الله تعالى (ولما وقع عليهم الرجز قالوا
 يا موسى أدع لنا ربك بما عهد عندك لأن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل فلما
 كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون . فاتقمتنا منهم فافترقناهم في المم باهم كذبوا باياتنا
 وكانوا عنها غافلين]

يخبر تعالى عن كفرهم وعتوهم واستمرارهم على الضلال والجهل والاستكبار عن إتباع آيات الله
 وتصديق رسوله مع ما أتدبه من الآيات العظيمة الباهرة والحجج البليغة القاهرة التى أراهم الله إياها عياناً
 وجعلها عليهم دليلاً وبرهاناً وكلما شاهدوا آية وعانيتها وجهدهم وأضنكمهم حلفوا وعاهدوا موسى لأن
 كشف عنهم هذه ليؤمنن به وليرسان معه من هو من حزبه فكلمنا رقت عنهم تلك الآيات عادوا الى
 شر مما كانوا عليه وأعرضوا عما جاءهم به من الحق ولم يلتفتوا اليه فيرسل الله عليهم آية أخرى هى أشد
 مما كانت قبلها وأقوى فيقولون فيكذبون . ويدعون ولا يفون لأن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن
 معك بنى إسرائيل فيكشف عنهم ذلك العذاب الويل . ثم يعودون الى جهلهم العريض الطويل . هذا
 والعظيم الحليم التقدير ينظرهم ولا يعجل عليهم ويؤخرهم ويتقدم بالوعيد اليهم ثم أخذهم بعد إقامة الحجة
 عليهم والانداز اليهم أخذ عزيز مقتدر فحملهم عبرة ونكلاً وسلفاً لمن أشبههم من الكافرين ومثلاً
 لمن اتعظ بهم من عباده المؤمنين كما قال تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين فى سورة حم والكتاب
 المبين (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملأه وقال لى رسول رب العالمين . فلما جاءهم باياتنا اذا

هم منها يضحكون . وماتريهم من آية إلا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالذاب لعلمهم يرجعون . وقالوا يا أيها الساحر أدع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون . فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكتون . ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين . فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فاطاعوه لئهم كانوا قوما فاسقين . فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين . فخلطناهم سلفاً ومثلاً للآخرين .

يذكر تعالى إرساله عبده الكليم الكريم الى فرعون الخسيس الهميم وأنه تعالى أيد رسوله بآيات بينات واضحات تستحق أن تقابل بالتمظيم والتصديق وأن يرددوا عمام فيه من الكفر ويرجعوا الى الحق والصراط المستقيم فاذا هم منها يضحكون وبها يستهزئون وعن سبيل الله يصدون وعن الحق يصدون فارسل الله عليهم الآيات تترى يتبع بعضها بعضا وكل آية أكبر من التي تتلوها لأن التوكيد أبلغ مما قبله (وأخذناهم بالذاب لعلمهم يرجعون . وقالوا يا أيها الساحر أدع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون) لم يكن لفظ الساحر في زمنهم قصا ولا عيبا لأن علماءهم في ذلك الوقت هم السحرة ولهذا خاطبوه به في حال احتياجهم اليه وضرعتهم لديه قال الله تعالى . (فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكتون) ثم أخبر تعالى عن تبجح فرعون بملكه وعظمة بلده وحسنها وتخرق الأنهار فيها * وهي الخلبانات التي يكسرونها أمام زيادة النيل ثم تبجح بنفسه وحليته وأخذ يتقص رسول الله موسى عليه السلام ويزدر به بكونه (لا يكاد يبين) يعني كلامه بسبب ما كان في لسانه من قبيحة تلك اللغة التي هي شرف له وجمال وجمال ولم تكن مانعة له أن كله الله تعالى وأوحى اليه وأنزل بعد ذلك التوراة عليه وتقص فرعون لعنه الله بكونه لأساور في بدنه ولازينة عليه وإنما ذلك من حلية النساء لا يليق بشهامة الرجال فكيف بالرسول الذين هم أكمل عقلا وأتم معرفة وأعلى هممة وأزهد في الدنيا وأعلم بما أعد الله لأوليائه في الآخرة وقوله (أو جاء معه الملائكة مقترنين) لا يحتاج الأمر الى ذلك إن كان المراد أن تعظمه الملائكة فالملائكة يعظمون ويتواضعون لمن هو دون موسى عليه السلام بكثير كما جاء في الحديث إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع فكيف يكون تواضعهم وتمظيمهم لموسى الكليم عليه الصلاة والتسليم والتكريم * وإن كان المراد شهادتهم له بالرسالة فقد أيد من المعجزات بما يدل قطعا لنوى الأنبياء ولمن قصد الى الحق والصواب ويعنى عما جاء به من البينات والحجج الواضحات من نظر الى القشور وترك لب اللباب وطبع على قلبه رب الأرباب وختم عليه بما فيه من الشك والارتياب كما هو حال فرعون القبطى الذى الكذاب قال الله تعالى (فاستخف قومه فاطاعوه) أى استخف عن قولهم ودرجهم من حال الى حال الى أن صدقوه في دعواه الربوبية لعنه الله وقبحهم (لئهم كانوا قوما فاسقين

فلما آسفونا) أى أغضبونا (اتقمنا منهم) أى بالفرق والاهانة وسلب المز واتبدل بالذل وبالغتاب
 بد النعمة والموان بد الرفاهية والنار بد طيب العيش عياداً بالله العظيم وسلطانه القديم من ذلك
 (فجملناهم سلفاً) أى لمن اتبهم فى الصفات (ومثلاً) أى لمن اتفظ بهم وخاف من وييل مصرهم
 من بله جليسة خبرهم وما كان من أمرهم كما قال الله تعالى . (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما
 هذا إلا سحر مقترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين . وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالمدى من عنده
 ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون . وقال فرعون ياها مان ابن لى صرحا لى أطلع الى الله
 موسى وانى لاظنه من السكاذبين واستكبر هو وجنوده فى الأرض بشير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون
 فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين . وجملناهم أمة يدعون الى النار ويوم
 القيمة لا ينصرون وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين) يخبر تعالى أنهم لما
 استكبروا عن اتباع الحق وادعى ملكهم الباطل وواقروه عليه واطاعوه فيه اشتد
 غضب الرب التقدير العزيز الذى لا يتالب ولا يمانع عليهم فانقم منهم أشد الانتقام
 واغرقه هو وجنوده فى صبيحة واحدة فلم يفلت منهم أحد ولم يبق منهم دينار
 بل كل قد غرق فدخل النار وأتبعوا فى هذه الدار لعنة بين العالمين
 ويوم القيمة بش الرافد المرفود ويوم القيمة هم من المقبوحين .

صدق فرعون وجنوده

لما تهادى قبط مصر على كفرهم وعترهم وعنادهم متابة لملكهم فرعون ومخالفة لنبى الله ورسوله
 وكابه موسى بن عمران عليه السلام وأقام الله على أهل مصر الحجج العظيمة القاهرة وأرام من
 خوارق العادات ملهبر الابصار وحير القول وهم مع ذلك لا يرجعون ولا يتوبون ولا يفرعون ولا يرجعون
 ولم يؤمن منهم إلا التليل . قيل ثلاثة وهم امرأة فرعون ولا علم لأهل الكتاب بخبرها ومؤمن آل
 فرعون الذى تقدم حكاية مواعظه ومشورته وحجته عليهم والرجل الناصح الذى جاء يسى من أقصى
 المدينة فقال يا موسى إن الملا يأترون بك ليقتلوك فاخرج إلى لك من الناصحين قاله ابن عباس فبا
 رواه ابن أبى حاتم عنه ومراده غير السحرة فانهم كانوا من القبط وقيل بل آمن طائفة من القبط من
 قوم فرعون والسحرة كلهم وجميع شعب بنى إسرائيل . ويدل على هذا قوله تعالى (فأ آمن لموسى إلا
 ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأهم أن يشنهم وإن فرعون لسل فى الأرض وإنه لمن
 المسرفين) فالضير فى قوله (إلا ذرية من قومه) عائد على فرعون لان السياق يدل عليه . وقيل على
 موسى لقربه والأول أظهر كما هو مقرر فى التفسير وإيمانهم كان خفية لخافتهم من فرعون وسلطوته

وجبروته وسلطته ومن ملامتهم أن ينموا عليهم اليه فيفتنهم عن دينهم قال الله تعالى مخبرا عن فرعون
وكفى بالله شهيداً (وإن فرعون لعال في الارض) أي جبار عنيد مستعل بغير الحق (وإنه لمن السرفين)
أي في جميع أمورده وشغونه واحواله ولكنه جرثومة قد حان إنبصافها وثمره خيشة قد آن قطفها
ومهجة ملعونة قد حتم اتلافها . وعند ذلك قال موسى (يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فليبه توكلوا إن كنتم
مسلمين . فقالوا على الله توكانا ربنا لا تبجلنا فتنة للقوم الظالمين . ونجنا برحمتك من القوم الكافرين)
يأسرهم بالترك على الله والاستمالة به والاتجاه إليه فآثموا بذلك فجعل الله لهم مما كانوا فيه فرجاً
ومخرجاً . (وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتاً واجلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة
وبشر المؤمنين) أوحى الله تعالى إلى موسى وأخيه هارون عليهما السلام أن يتخذوا قومها بيوتاً
متبيزة فينا بينهم عن بيوت القبط ليكونوا على أهبة في الرحيل إذا أمروا به ليرف بعضهم بيوت
بعض وقوله (واجلوا بيوتكم قبلة) قيل مساجد وقيل معناه كثرة الصلاة فيها قاله مجاهد وابومالك
وابراهيم النخعي والربيع والضحاك وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن وغيرهم . ومعناه على هذا الاستمالة
على ما هم فيه من الضر والشدة والضييق بكثرة الصلاة كما قال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة) وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى . وقيل معناه أنهم لم يكونوا حينئذ يقدرون على إظهار
عبادتهم في مجتمعاتهم ومعاييدهم فأمروا أن يصلوا في بيوتهم عوضاً عما قاتهم من إظهار شعار الدين الحق
في ذلك الزمان الذي اقتضى حالهم إخفاء خوفهم من فرعون وملأه . والمعنى الاول أقوى بقوله (وبشر
المؤمنين) وإن كان لا يتأني الثاني أيضاً والله أعلم . وقال سعيد بن جبير (واجلوا بيوتكم قبلة) أي متباينة
وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموراً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا
(أطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم . قال قد أجيبست دعوتسكا
فاستميا ولا تتبعان سبيل الذين لا يهلون) هذه دعوة عظيمة دعابها كليم الله موسى على عدو الله فرعون
غضباً لله عليه لتكبره عن اتباع الحق وصدده عن سبيل الله ومساندته وعتوه وتمرده واستمراره على
الباطل ومكابرتة الحق الواضح الجلي الحسى والمنوى والبرهان القطعى قال (ربنا إنك آتيت فرعون
وملأه) يعنى قومه من القبط ومن كان على ملته ودان بدينه (زينة وأموراً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن
سبيلك) أى وهذا يفتنه من يظلم أمر الدنيا فيحسب الجاهل أنهم على شئ لكون هذه الاموال وهذه
الزينة من اللباس والمرابك الحسنة الهنية والدور الأنيقة والقصور المبنية والمأكلة الشهية والمناظر البهية
والملك العزيز والتمسكين والجاه الرخيص في الدنيا لا الدين (ربنا أطمس على أموالهم) قال ابن عباس
ومجاهد أى أهلكها وقال أبو العالية والربيع بن أنس والضحاك اجلها حجارة منقوشة كهيئة ما كانت
وقال قتادة بلتنا أن زروعهم صارت حجارة . وقال محمد بن كعب جعل سكرهم حجارة وقال أيضاً صارت

أموالهم كلها حجارة . ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال عمر بن عبد العزيز للامام قم ايتني بكيس فجاءه بكيس فاذا فيه حصص ويض قد حول حجارة رواه ابن أبي حاتم . وقوله (واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) قال ابن عباس أى اطبع عليها وهذه دعوة غضب الله تعالى ولدينه ولبراهيمه فاستجاب الله تعالى لها وحققها وقبيلها كما استجاب لنوح في قومه حيث قال (رب لا تذر على الارض من الكافرين ذرياء. إنك إن تدرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) ولهذا قال تعالى مخاطباً لموسى حين دعا على فرعون وملائه وأمن أخوه هارون على دعائه فنزل ذلك منزلة الداعي أيضاً) قال قد أحييت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) قال المفسرون وغيرهم من أهل الكتاب استأذن بنو اسرائيل فرعون في الخروج إلى عيسد لهم فاذن لهم وهو كاره ولكنهم تجهزوا للخروج وتأهبوا له وإنما كان في نفس الامر مكيده فرعون وجنوده ليخلصوا منهم ويخرجوا عنهم واسمهم الله تعالى فيما ذكره أهل الكتاب أن يستمروا حلياً منهم فصاروهم شيئاً كثيراً فخرجوا بليل فساروا مستمرين ذاهبين من فورهم طالبين بلاد الشام فلما علم بذهابهم فرعون حنق عليهم كل الحنق واشتد غضبه عليهم وشرع في استحثاث جيشه وجمع جنوده ليحرقهم ويمحقهم قال الله تعالى (وأوحينا إلى موسى أن أسر بباعدى. انكم متبعون. فارسل فرعون في المدائن حاشرين. إن هؤلاء لشرذمة قليلون . وإنهم لنا لغائظون وإنما لجميع حاذون فخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأوردنا ما بنى اسرائيل فاتبعوهم مشرقين . فلما ترامى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون . قال كلا إن ممن ربى سيدين . فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانقلب فكان كل فرق كالطود العظيم . وأزلفنا ثم الآخرين . وأنجينا موسى ومن معه أجمعين . ثم أغرقنا الآخرين . إن في ذلك لآية وما كان أكرم مؤمنين . وإن ربك هو العزيز الرحيم) قال علماء التفسير لما ركب فرعون في جنوده طالباً بنى اسرائيل يقتلهم كان في جيش كثيف عرمرم حتى قيل كان في خيوله مائة ألف نخل آدمم وكانت عدة جنوده تزيد على ألف ألف وسبعمائة ألف فأنه أعلم . وقيل إن بنى اسرائيل كانوا نحو آمن ستمائة ألف مقاتل غير الذرية وكان بين خروجهم من مصر صحبة موسى عليه السلام ودخولهم إليها صحبة أبيهم اسرائيل أربع مائة سنة وستة وعشرين سنة شمسية :

والمقصود أن فرعون لحقهم بالجنود فأدركهم عند شروق الشمس وترامى الجمعان ولم يبق ثم ريب ولا لبس وعابن كل من الفريقين صاحبه وتحققه وراه ولم يبق إلا المقاتلة والمجادلة والحماة فمنداها قال أصحاب موسى وهم تخافون إنا لمدركون وذلك لأنهم اضطروا في طريقهم الى البحر فليس لهم طريق ولا حيد الاسلوكة وخوضه . وهذا ما لا يستطيعه أحد ولا يقدر عليه والرجال عن يسرتهم وعن أيمانهم وهم شاهقة منيفة وفرعون قد خالقهم وواجههم وعابنوه في جنوده وجيوشه وعدده وعدده وهم مسته في غاية

الطوف والذعر لما قسوا في سلطانه من الالهانة والمنكر فشكروا الى نبي الله ما هم فيه بما قد شاهدوه وعايروه .
 فقال لهم الرسول الصادق المصدوق (كلا إن معي ربي سيهدين) وكان في الساقية فتقدم الى المقدمة ونظر
 الى البحر وهو يتلاطم بأمواجه ويتزايد زبد اجاجه وهو يقول ههنا أمرت ومعه أخوه هرون وبوشع بن
 نون وهو يومئذ من سادات بني إسرائيل وعلماهم وعبادهم الكبار وقد أوحى الله اليه وجعله نبيا
 بعد موسى وهرون عليهما السلام كما سنذكره فيما بعد إن شاء الله * ومعهم أيضا مؤمن آل فرعون وهم
 وقوف وبنو إسرائيل بكاملهم عليهم عكوف * ويقال إن مؤمن آل فرعون جعل يقتحم بفرسه مراراً في
 البحر هل يمكن سلوكه فلا يمكن ويقول موسى عليه السلام يا نبي الله أهنا أمرت . فيقول نعم . فلما تقادم
 الأمر وضائق الحال واشتد الأمر واقرب فرعون وجنوده في جدم وحدهم وحديدهم وغضبهم
 وحقنهم وزاغت الأبصار . وبلغت القلوب الحناجر فمئذ ذلك أوحى الحليم العظيم القدير رب العرش
 الكريم الى موسى الكليم (أن اضرب بمصاك البحر) فلما ضربه يقال إنه قال له أطلق باذن الله
 ويقال إنه كناه بابي خلد فأنه أعلم (قال الله تعالى فلو حينا الى موسى أن اضرب بمصاك البحر فاطلق
 فسكان كالفرق كالطود العظيم) ويقال إنه انطلق اثنتي عشرة طريقا لكل سبط طريق يسرون فيه
 حتى قيل إنه صار أيضا شبايك ليرى بعضهم بعضا وفي هذا نظر لأن الماء جرم شفاف اذا كان من
 ورائه ضياء حكاه . وهكذا كان ماء البحر قائما مثل الجبال مكفورا بالقدرة العظيمة الصادرة من الذي
 يقول للشيء كن فيكون وأمر الله ريح الدبور فلقحت حال البحر فذهبت حتى صار يابسا لا يعلق في
 سنايك الخيول والدواب . قال الله تعالى (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا
 في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى . فاتبعهم فرعون يمجوده فغشيهم من اليم مانعشيم وأضل فرعون
 قومه وما هدى) والمعسود أنه لما آل أمر البحر الى هذه الحال باذن الرب العظيم الشديد الحال أمر موسى
 عليه السلام أن يجوزه ببني إسرائيل فأنجبروا فيه مسرعين مستبشرين مبادرين وقد شاهدوا من الأمر
 العظيم ما يحير الناظرين ويهدي قلوب المؤمنين فلما جاوزوه وجاوزه وخرج آخرهم منه وانفصلوا عنه كان
 ذلك عند قدم أول جيش فرعون اليه ووفودهم عليه فأراد موسى عليه السلام أن يضرب البحر بمصاه
 ليرجع كما كان عليه لئلا يكون لفرعون وجنوده وصول اليه . ولا سبيل عليه فامر القدير ذو الجلال أن يترك
 البحر على هذه الحال كما قال وهو الصادق في القتال (ولقد فتنا قلبهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم أن
 أدوا الى عباد الله إني لكم رسول أمين . وان لا تعلموا على الله إني آتيكم بسلطان مبين . واني عدت بربي
 وربكم أن ترجون . وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون . فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون . فأسر بعبادي ليلا إنكم
 متبعمون واترك البحر رهوا إنهم جند مقرقون . كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا
 فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوما آخرين . فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين . ولقد

نجينا بني اسرائيل من العذاب المين . من فرعون إنه كان عالما من المشرقين . ولقد اخترناهم على علم على العالمين وأتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) قوله تعالى (وأترك البحر رهواً) أى ساكنا على هيئته لا تغيره عن هذه الصفة . قاله عبد الله بن عباس ومجاهد وعكرمة والريبع والضحاك وقادة وكب الاحبار وسماك بن حرب وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم * فلما تركه على هيئته وحالته واتمى فرعون فرأى مارأى وعابن ما عابن هاله هذا المنظر العظيم وتمتق ما كان يتحققه قبل ذلك مع أن هذا من فعل رب العرش الكريم فاحجم ولم يتقدم وقدم في نفسه على خروجه في طلبهم والحالة هذه حيث لا يتفه التدم لكنه أظهر لجنوده تبيدا وعاملهم معاملة المدا وحملته النفس الكافرة والسببية الفاجرة على أن قال لمن استخفهم فأطاعوه وعلى باطله تابوه أظفروا كيف انحسر البحر لى لأدرك عبيدى الآبقين من يدى الظالمين عن طاعتى وبلدى وجعل يورى في نفسه أن يذهب خلفهم ويرجو أن ينجو وهيئات ويقدم تارة ويحجم ترات . فذكروا أن جبريل عليه السلام تبدى في صورة فارس راكب على رمكة حايل فرين يدى غل فرعون لعنه الله فحجم إليها وأقبل عليها وأسرع جبريل بين يديه فاقحم البحر واستبق الجواد وقد أجاد فبادر مسرعا هذا وفرعون لا يملك من نفسه ضرا ولا نغما فلما رآه الجنود قد سلك البحر اقتحموا وراه مسرعين فخصاوا فى البحر أجمعين أكتمين أبصين حتى هم أولهم بالخروج منه فمتد ذلك أمر الله تعالى كايه فيما أوحاه اليه أن يضرب البحر بصاه ففصره فارتد عليهم البحر كما كان فلم ينج منهم انسان قال الله تعالى (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين . ثم أغرقنا الآخرين إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لهو العزيز الرحيم) أى فى انجائه أوليائه فلم يفرق منهم أحد واغراقه أعداءه فلم يخلص منهم أحد آية عظيمة وبرهان قاطع على قدرته تعالى العظيمة وصدق رسوله فيما جاء به عن ربه من الشريعة الكريمة والمناهج المستقيمة وقال تعالى (وجاوزنا بينى إسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بنيا وعدوا حتى اذا ادركه الفرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . فاليوم نتجيك يدنك لتكون لمن خلقك آية وأن كثيرا من الناس عن آياتنا لنافلون) يخبر تعالى عن كيفية غرق فرعون زعيم كفره القبط وأنه لما جلت الأمواج تخفضه تارة وترفه أخرى وبنو إسرائيل ينظرون إليه وإلى جنوده ماذا أحل الله به وبهم من البأس العظيم والخطب الجسيم ليكون أقر لآعين بنى إسرائيل وأشفى لنفوسهم فلما عابن فرعون الملكة وأحيط به وبأشر سكرات الموت أناب حينئذ وتاب وآمن حين لا ينفع نفسا إيمانها كما قال تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاهتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) وقال تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون) وهكذا دعا

موسى على فرعون وملائته أن يطمس على أمرهم ويشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الاليم) أى حين لا ينفعهم ذلك ويكون حسرة عليهم وقد قال تعالى لها أى لموسى وهرون حين دعوا
بهذا (قد أجيبت دعوتكما) فهذا من اجابة الله تعالى دعوة كاييه وأخيه هرون عليهما السلام. ومن
ذلك الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن
يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص)، لما قال فرعون (آمنت أنه لا إله إلا الذى
آمنت به بنو إسرائيل) قال قال لى جبريل لو رأيتنى وقد أخذت من حال البحر فدمستته فى فيه مخافة
أن تناله الرحمة ورواه الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم عند هذه الآية من حديث حماد بن سلمة
وقال الترمذى حديث حسن . وقال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة عن على بن ثابت وعطاء بن
السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): قال لى جبريل لو رأيتنى وأنا أخذ
من حال البحر فدمست فى فيه فرعون مخافة أن يناله الرحمة ورواه الترمذى وابن جرير من حديث شعبة
وقال الترمذى حسن غريب صحيح وأشار ابن جرير فى رواية الى وقته . وقال ابن أبى حاتم حدثنا
أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمر بن عبد الله بن يعلى الثقفى عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال لما أغرق الله فرعون أشار باصبعه ورفع صوته (آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو
إسرائيل) قال مخاف جبريل أن تسبق رحمة الله فيه غضبه فجعل يأخذ الحبال بمجناحيه فيضرب به وجهه
فيرمسه * ورواه ابن جرير من حديث أبى خالد به . وقد رواه ابن جرير من طريق كثير بن زاذان
وليس بمعروف وعن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص): قال لى جبريل يا محمد لو
رأيتنى وأنا أغطه وأدس من الحلال فى فيه مخافة أن تدركه رحمة الله فيضفر له . وقد أرسله
غير واحد من السلف كإبراهيم التيمي وقناة وميمون بن مهران ويقال إن الضحاك بن قيس خطب
به الناس . وفى بعض الرويات إن جبريل قال ما بغضت احدا بغضى لفرعون حين قال أبا ربكم الأعلى
ولقد جعلت أوس فى فيه الطين حين قال ما قال . وقوله تعالى (الآن وقد عصيت قبل وكنت من
المفسدين) إستفهام إنكار ونص على عدم قبوله تعالى منه ذلك لأنه والله أعلم لورد الى الدنيا ما كان
لما كان عليه كما أخبر تعالى عن الكفار اذا عاينوا النار وشاهدوها أنهم يقولون (بالتناز
ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين) قال الله (بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل ولو
ردوا لمادوا لما نهوا عنه وإهم لكانذبون) وقوله (فاليوم نتجيك يدتك لتكون لمن خلفك آية)
قال ابن عباس وغير واحد شك بعض بنى إسرائيل فى موت فرعون حتى قال بعضهم إنه لا يموت فامر
الله البحر فرفضه على سرتفع . قيل على وجه الماء وقيل على نجمة من الارض وعليه درعه التى يرفونها
من ملابسه ليتحققوا بذلك هلاكه ويملوا قدرة الله عليه . ولهذا قال (فاليوم نتجيك يدتك) أى

مصاحباً درعك المعروفة بك (لتكون) أى أنت آية (من خلقك) أى من بنى إسرائيل دليلاً على قدرة الله الذى أهلكه . ولهذا قرأ بعض السلف لتكون لمن خلقك آية (١) . ويحتمل أن يكون المراد نتيجك مصاحباً لتكون درعك علامة لمن ورائك من بنى إسرائيل على معرفتك وإنك هلكت والله أعلم . وقد كان هلاكه وجنوده فى يوم عاشوراء . كما قال الامام البخارى فى صحيحه حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء فقالوا هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون قال النبي صلى الله عليه وسلم (أنتم أحق بموسى منهم فصوموا) . وأصل هذا الحديث فى الصحيحين وغيرهما والله أعلم .

أمر بنى إسرائيل بعد صدرك فرعون

قال الله تعالى (فأتمتنا منهم فآغرقتهم فى اليم باهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين . وأوردنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يمشون . وجاوزنا بنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يكفون على أصنام لهم . قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبنك إلهاً وهو فضلكم على العالمين . واذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء لمن ربكم عظيم) يذكر تعالى ما كان من أمر فرعون وجنوده فى غرقهم وكيف سلهم عزم ومالمهم وأنفسهم وأورد بنى إسرائيل جميع أموالهم وأملأهم كما قال (كذلك وأوردنا بنى إسرائيل) وقال (وتريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) وقال ههنا (وأوردنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يمشون) أى أهلك ذلك جميعه وسلهم عزم العزيز العريض فى الدنيا وهلك الملك وحاشيته وأمرأؤه وجنوده ولم يبق ببلد مصر سوى العامة والراعىا . فذكر ابن عبد الحكم فى تلويح مصر أنه من ذلك الزمان تسلط نساء مصر على رجالها بسبب أن نساء الامراء والكبراء تزوجن بنى دونهن من العامة فكانت هن السطوة عليهم واستمرت هذه سنة نساء مصر الى يومك هذا .

وعند أهل الكتاب أن بنى إسرائيل لما أسروا بالخروج من مصر جعل الله ذلك الشهر أول سنتهم وأسروا أن يذبح كل أهل بيت حملاً من النعم فان كانوا لا يحتاجون الى حمل فليشترك الجار وجاره فيه

(١) بالطاق أى وتكون خلافتك آية كسائر آياته .

فاذا ذبحوه فليضحوا من دمه على اعتبار آبائهم ليكون علامة لهم على بيوتهم ولا يأكلونه مطبوخا
 ولكن مشويا برأسه وأكراعهم وبطنه ولا يبقوا منه شيئا ولا يكثروا له عظام ولا يخرجوا منه شيئا إلى
 خارج بيوتهم وليكن خبزهم فطيرا سبعة أيام ابتداءها من الرابع عشر من الشهر الأول من سنتهم
 وكان ذلك في فصل الربيع فاذا أكلوا فلتكن أوساطهم مشدودة وخفافهم في أرجلهم وعصيمهم في
 أيديهم وليأكلوا بسرعة قياما . ومهما فضل عن عشايمهم فما بقي إلى الند فليحرقوه بالنار وشرع لهم
 هذا عيدا لاعتقابهم مادامت التوراة معمولا بها فاذا نسخت بطل شرعها وقد وقع . قالوا وقتل الله عز
 وجل في تلك الليلة أبكار القبط وأبكار دوابهم ليشغلوا عنهم وخرج بنو إسرائيل حين اتصف التهار
 وأهل مصر في منحة عظيمة على ابكار أولادهم وأبكار أمواتهم ليس من بيت الاوفيه عويل . وحين
 جاء الوحى الى موسى خرجوا مسرعين فحملوا العجين قبل اختاره وحلوا الازواد في الأردية والقوها
 على عواتهم * وكانوا قد استعاروا من أهل مصر حليا كثيرا فخرجوا وهم ستمائة ألف رجل سوى
 الدرارى بما معهم من الانعام وكانت مدة مقامهم بمصر أربع مائة سنة وثلاثين سنة . هذا نص كتابهم .
 وهذه السنة عندهم تسمى سنة الفسخ وهذا العيد الفسخ . ولهم عيد الفطير وعيد الحمل وهو أول السنة *
 وهذه الاعياد الثلاثة أكد أعيادهم منصوص عليها في كتابهم . ولما خرجوا من مصر أخرجوا معهم تابوت
 يوسف عليه السلام وخرجوا على طريق بحر سوف . وكانوا في النهار يسرون والسحاب بين أيديهم
 يسير أمامهم فيه عامود نور وبالليل أمامهم عامود نار فاتمى بهم الطريق إلى ساحل البحر فزولوا هناك
 وادركهم فرعون وجنوده من المصريين وهم هناك حلول على شاطئ اليم فقلق كثير من بني إسرائيل
 حتى قال قائلهم كان بقاؤنا بمصر احب الينا من الموت بهذه البرية . وقال موسى عليه السلام لمن قال
 هذه المقالة لا تخشوا فان فرعون وجنوده لا يرجعون الى بلادهم بعد هذا . قالوا وامر الله موسى عليه السلام
 أن يضرب البحر بعصاه وأن يقسمه ليدخل بنو إسرائيل في البحر واليس . وصار الماء من ههنا وههنا
 كالجبلين وصار وسطه ينسأ لان الله سلط عليه ريح الجنوب والسموم فجاز بنو إسرائيل البحر واتبعهم
 فرعون وجنوده فلما توسطوه أمر الله موسى فضرب البحر بعصاه فرجع الماء كما كان عليهم . لكن
 عند أهل الكتاب أن هذا كان في الليل وأن البحر ارتطم عليهم عند الصبح وهذا من غلظهم وعدم
 فهمهم في تعريبهم والله أعلم . قالوا ولما أغرق الله فرعون وجنوده حينئذ سبح موسى وبنو إسرائيل
 بهذا التسبيح للرب وقالوا (تسبح الرب الهى الذى قهر الجنود ونفذ فرسانها فى البحر المنيع المحمود) وهو
 تسبيح طويل . قالوا وأخذت مريم النبية أنت هارون دفا يدها وخرج النساء فى أثرها كلهن بدفوف
 وطبول وجعلت مريم ترتل لمن وتقول سبحان الرب القهار الذى قهر النجول وركبائها لإلقاء فى البحر
 هكذا رأيت فى كتابهم . ولعل هذا هو من الذى حمل محمد بن كعب القرظى على زعمه أن مريم بنت

عمران أم عيسى هي أخت هرون وموسى مع قوله يا أخت هرون * وقد بينا غلظه في ذلك وان هذا لا يمكن أن يقال ولم يتابه أحد عليه بل كل واحد خالفه فيه ولو قدر أن هذا محفوظ فهذه مريم بنت عمران أخت موسى وهرون عليها السلام وأم عيسى عليها السلام واقتهما في الأسم واسم الأب واسم الأخت لأنهم كما قال رسول الله (س)، للعفيرة بن شعبة لما سأله أهل نجران عن قوله يا أخت هرون فلم يدر ما يقول لهم حتى سأل رسول الله (س)، عن ذلك فقال أما علمت أنهم كانوا يسمون باسماء أبنائهم رواه مسلم . وقولهم النبوة كما يقال للمرأة من بيت الملك ملكة ومن بيت الإمرة أميرة وان لم تكن مباشرة شيئاً من ذلك فكذا هذه استعارة لها لا أنها نية حقيقة يوحى اليها وضربها بالدف في مثل هذا اليوم الذي هو أعظم الأعياد عندهم دليل على أنه قد كان شرع من قبلنا ضرب الدف في العيد * وهذا مشروع لنا أيضاً في حق النساء لحديث الجاريتين اللتين كانتا عند عائشة يضربان بالدف في أيام منى ورسول الله (س)، مضطجع مولى ظهره اليهم ووجهه الى الحائط فلما دخل أبو بكر زجرهن وقال اعزموا الشيطان في بيت رسول الله (س)، فقال دعهن يا أبا بكر فان لكل قوم عيداً وهذا عيدنا . وهكذا يشرع عندنا في الاعراس ولقدوم الغياب كما هو مقرر في موضعه والله أعلم . وذكروا أنهم لما جاوزوا البحر وذهبوا قاصدين الى بلاد الشام مكثوا ثلاثة أيام لا يجدون ماء فشكوا من تسكلم منهم بسبب ذلك فوجدوا ماء زعاقاً اجاباً لم يستطيعوا شربه فامر الله موسى فاخذ خشبة فوضها فيه فغلا وساغ شربه وعلمه الرب هناك فرائض وسنا ووصاه وصايا كثيرة . وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز المهين على ما عدها من الكتب (وجاوزنا بيني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الهماً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون. إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) . قالوا هذا الجهل والضلال وقد عاينوا من آيات الله وقدرته ما دلهم على صدق ما جاءهم به رسول ذى الجلال والاكرام وذلك أنهم مروا على قوم يعبدون أصناماً قيل كانت على صور البقر فكانهم سألوم لم يبدونها فزعموا لهم أنها تنفعهم وتضرهم ويسترزقون بها عند الضرورات فكان بعض الجهال منهم صدقوهم في ذلك فسألوا نبهم الكلم الكريم العظيم أن يجعل لهم آلهة كما لا وتلك آلهة فقال لهم مبيهاً لهم أنهم لا يقولون ولا يهتدون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . ثم ذكروهم بعبادة الله عليهم في تفضيله لإياهم على عالمي زمانهم بالعلم والشرع والرسول الذي بين أظهرهم وما أحسن به اليهم وما امتن به عليهم من أنجائهم من قبضة فرعون الجبار العنيد وإهلاكه إياه وهم ينتظرون وتوريته إياهم ما كان فرعون وملاؤه يجمعونه من الاموال والسادة وما كانوا يمشون وبين لهم أنه لا تصلح العبادة الا لله وحده لا شريك له لانه انطلق الرزق القهار وليس كل بني إسرائيل سأل هذا السؤال بل هذا الضمير عائد على الجنس في قوله (وجاوزنا بيني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يكفون

على أصنامهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة (أى قال بعضهم كما فى قوله) وحشرتهم فلم تقادر منهم أحداً وعرضوا على ربك صفاتك جثمتونا كما خفقتناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً) فالذين زعموا هذا بض الناس لا كلهم وقد قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن سنان بن أبي سنان الدبلى عن أبي واقد الليثى قال خرجنا مع رسول الله (س)، قبل حين فررنا بسدرة قتلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة ويمكنون حولها قال النبي الله (س)، الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة انكم تكونون سنن الذين من قبلكم. ورواه النسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به. ورواه الترمذى عن سعيد بن عبد الرحمن الخزومى عن سفيان بن عيينة عن الزهري به. ثم قال حسن صحيح. وقد روى ابن جرير من حديث محمد بن اسحق وميمر وعقيل عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثى أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله (س)، الى خيبر قال وكان للكفار سدرة يمكنون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط قال فررنا بسدرة خضراء عظيمة قال قتلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال قلم والذى فنى يده كما قال قوم موسى لموسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون. إن هؤلاء متبرماهم فيه وباطل ما أتوا يملون). والمقصود أن موسى عليه السلام لما انفصل من بلاد مصر وواجه بلاد بيت المقدس وجد فيها قوماً من الجبارين من الحيثانيين والفراريين والسكنانيين وغيرهم فامرهم موسى عليه السلام بالتحول عليهم ومقاتلتهم واجلائهم اياهم عن بيت المقدس فان الله كتبه لهم ووعدهم لياه على لسان ابراهيم الخليل او موسى الكليم الجليل فابوا ونكلوا عن الجهاد فسلط الله عليهم الخوف والقاهم فى التيه ويسرون ويحلون ويرتحلون ويذهبون ويحيثون فى مدة من السنين طويلة هى من العدد اربعون كما قال الله تعالى (وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فىكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين. يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا تردوا على أدباركم فتقلبوا خاسرين قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإن لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داحلون قال درجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما أدخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين. قالوا يا موسى إن لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون. قال رب إنى لأملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين. قال فأنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض فلا تأس على القوم الفاسقين). يذكركم نبي الله نعمة الله عليهم احسانه عليهم بالنعم الدينية والدنيوية وياسرهم بالجهاد فى سبيل الله ومقاتلة أعدائه فقال (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا تردوا على أدباركم) أى تنكسوا على أعقابكم وتاكلوا على قتال أعدائكم

(فتقلبوا خاسرين) أى ففخسروا بعد الرجح وتقصوا بعد الكمال (قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين) أى عتاة كفرة متردين (وإنان ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا فانا داخلون) خافوا من هؤلاء الجبارين وقد عابنوا هلاك فرعون وهو أجبر من هؤلاء وأشد بأساً وأكثر جماً وأعظم جنداً وهذا يدل على أنهم ملومون في هذه المقالة ومذمومون على هذه الحالة من التلة عن مصالوة الأعداء ومقاومة المردة الأشقياء .

وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا آثراً فيها مجازفات كثيرة باطلة يدل العقل والنقل على خلافها من أنهم كانوا أشكلاً هائلة ضخاماً جداً حتى إنهم ذكروا أن رسل بني اسرائيل لما قدموا عليهم تلقاهم رجل من رسل الجبارين فجعل يأخذهم واحداً واحداً ويلقيهم في أكلمه وحجزة سراويله وهم اثنا عشر رجلاً فجاء بهم ففترهم بين يدي ملك الجبارين فقال ماهؤلاء ولم يعرف أنهم من بني آدم حتى عرفوه وكل هذه هذيانات وخرافات لا حقيقة لها وأن الملك بث معهم عنياً كل عنية تكفى الرجل وشيئا من ثمارهم ليعلموا ضخامة اشكالهم وهذا ليس بصحيح . وذكروا ههنا أن عوج بن عنق خرج من عند الجبارين الى بنى اسرائيل ليهلكهم وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة ذراع وثلاثين ذراعاً وثلث ذراع هكذا ذكره البغوى وغيره وليس بصحيح كما قدمنا بيانه عند قوله (س) (إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعاً) ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن قالوا فصد عوج الى قة جبل فاقتلها ثم أخذها بيديه ليقبها على جيش موسى فجاء طائر فنقر تلك الصخرة فخرقها فصارت طوقاً في عنق عوج بن عنق . ثم عمد موسى اليه فوثب في الهواء عشرة أذرع وطوله عشرة أذرع ويده عصاه وطولها عشرة أذرع فوصل الى كعب قدمه فقتله . يروى هذا عن عوف البكالى وقوله ابن جرير عن ابن عباس وفي استاده اليه نظر ثم هو مع هذا كاه من الاسرائيليات وكل هذه من وضع جهال بنى اسرائيل فان الاخبار الكذبة قد كثرت عندهم ولا تميز لهم بين صحتها وباطلها . ثم لو كان هذا صحيحاً لسكان بنو اسرائيل منذورين في النكول عن قتالهم وقد ذمهم الله على نكولهم وعاقبهم بالتبه على ترك جهادهم ومخالفتهم رسولهم وقد أشار عليهم رجلاً صالحاً منهم بالاقدام ونهياهم عن الاحجام . ويقال إنها يوشع بن نون وكالب بن يوقنا قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطية والسدى والربيع بن افس وغير واحد (قال رجلان من الذين يخافون) أى يخافون الله وقرأ بعضهم يخافون أى يهابون (أنعم الله عليهما) أى بالاسلام والايان والطاعة والشجاعة (ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون . وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) أى إذا توكلتم على الله واستعتم به وبتائم اليه نصرتم على عدوكم وأيدكم عليهم وأخفركم بهم . (قالوا يا موسى إنان ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) ففسم ملازم على النكول عن الجهاد ووقع أمر عظيم ووهن كبير . فيقال إن يوشع وكالب لما سمعا هذا

الكلام شقائيهما وإن موسى وهرون سجدا إعظاما لهذا الكلام وغضباً لله عز وجل وشقة عليهم من وييل هذه المقالة (قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) قال ابن عباس (أقضى بيني وبينهم). (قال فلها محرمة عليهم أربعين سنة يتوبون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين) عوقبوا على نكولهم بالتيهان في الأرض يسرون إلى غير مقصد ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءً ويقال إنه لم يخرج أحد من التيه من دخله بل ماتوا كلهم في مدة أربعين سنة ولم يبق إلا ذراريهم سوى يونس وكالب عليهما السلام. لكن أصحاب محمد (س.) يوم بدر لم يقولوا له كما قال قوم موسى لموسى بل لما استشارهم في الذهاب إلى النضير تكلم الصديق فالحسن وغيره من المهاجرين ثم جعل يقول أشيروا علي حتى قال سعد بن معاذ كأنك تعرض بنا لرسول الله فوالذي بئسك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن يلي بنا عدونا غدا إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تهرب به عينك فسر بنا على بركة الله. فسر رسول الله (س.) بقول سعد وبسطه ذلك. وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن مخارق ابن عبد الله الاحمسي عن طارق هو ابن شهاب أن المقداد قال لرسول الله (س.) يوم بدر يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إننا معكم مقاتلون * وهذا إسناد جيد من هذا الوجه وله طرق أخرى. قال أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا إسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال قال عبد الله بن مسعود لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إلى مما عدل به أتى رسول الله (س.) وهو يدعو على المشركين قال والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكننا قاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت وجه رسول الله (س.) يشرق لذلك وسر بذلك رواه البخاري في التفسير والمغازي من طرق عن مخارق به. وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا علي بن الحسن بن علي حدثنا أبو حاتم الرازي حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري حدثنا حميد عن أنس أن رسول الله (س.) لما سار إلى بدر استشار المسلمين فأشار عليه عمر ثم استشارهم فقالت الانصار يا مشر الانصار إياكم يريد رسول الله (س.) قالوا إذا لا نقول له (كما قال بنو إسرائيل لموسى) (إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) والذي بئسك بالحق إن ضربت أكبادها إلى برك النهاد لا تبعناك رواه الامام أحمد عن عبيدة بن حميد عن حميد الطويل عن أنس به ورواه النسائي عن محمد بن المثني عن خالد بن الحارث عن حميد عن أنس به نحوه وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي يعلى عن عبد الاعلى بن حماد عن متمر عن حميد عن أنس به نحوه *

وقول نبى اسرائيل عليه السلام وعافيه من اللوز المحببه

قد ذكرنا نكول بنى اسرائيل عن قتال الجبارين وأن الله تعالى عاقبهم بالتيه وحكم باتهم لا يخرجون منه الى أربعين سنة ولم ار فى كتاب أهل الكتاب قصة نكولهم عن قتال الجبارين ولكن فيها أن يوشع جهزه موسى لقتال طائفة من الكفار وأن موسى وهرون وخور جلسوا على رأس أكمة ورفع موسى عصاه فكلما رفضها اتصر يوشع عليهم وكما مالت يده بها من تعب أو نحوه غلبهم أولئك وجعل هرون وخور يدعمان يديه عن يمينه وشماله ذلك اليوم الى غروب الشمس فاتصر حزب يوشع عليه السلام وعندما أن ينرون كهن مدين وختن موسى عليه السلام بلنه ما كان من أمر موسى وكيف أظفروه الله بلنوه فرعون فقدم على موسى مسلما ومعه ابنته صفورا زوجة موسى وابناها منه جرشون وعازر فلتقاء موسى وأكرمته واجتمع به شيوخ بنى اسرائيل وعظموه وأجلوه . وذكروا أنه رأى كثرة اجتماع بنى اسرائيل على موسى فى الخصومات التى تقع بينهم فلما اشار على موسى أن يجعل على الناس رجلا أمناء أقباء أعفاه يفيضون الرشاء والخيانة فيجعلهم على الناس رؤس أوف رؤس مئين ورؤس خمسين ورؤس عشرة فيقتضوا . بين الناس فاذا أشكل عليهم أمر جاؤك ففصلت بينهم ما أشكل عليهم ففعل ذلك موسى عليه السلام . قالوا ودخل بنو اسرائيل البرية عند سيناء فى الشهر الثالث من خروجهم من مصر وكان خروجهم فى أول السنة التى شرعت لهم وهى أول فصل الربيع فكانهم دخلوا التيه فى أول فصل الصيف والله اعلم . قالوا ونزل بنو اسرائيل حول طور سيناء وصعد موسى الجبل فكلمه ربه وأمره أن يذكر بنى اسرائيل ما أفضم الله به عليهم من أنجائه إياهم من فرعون وقومه وكيف حملهم على مثل جناحى نسر من يده وقبضته وأمره أن يأمر بنى اسرائيل بأن يتطهروا ويغتسلوا ويغسلوا ثيابهم وليستمدوا الى اليوم الثالث فاذا كان فى اليوم الثالث فليجتمعوا حول الجبل ولا يقترب أحد منهم اليه فمن دنا منه قتل حتى ولا شئ من البهائم ماداموا يسمعون صوت القرن فاذا سكن القرن فقد حل لكم أن ترهوه فسمع بنو اسرائيل ذلك وأطاعوا واغتسلوا وتنظفوا وتطيبوا فلما كان اليوم الثالث ركب الجبل غمامة عظيمة وفيها أصوات وبروق وصوت الصور شديد جداً فترجع بنو اسرائيل من ذلك فرعا شديداً وخرجوا قماموا فى سفح الجبل وغشى الجبل دخان عظيم فى وسطه عمود نور وتزلزل الجبل كله زلزلة شديدة واستمر صوت الصور وهو البوق واشتد وموسى عليه السلام فوق الجبل والله يكلمه ويناجيه وأمر الرب عز وجل موسى أن ينزل فأمر بنى اسرائيل أن يقتربوا من الجبل ليسمعوا وصية الله . ويأمر الاحبار وهم علمائهم أن يدنوا فيصعدوا الجبل ليتقدموا بالقرب وهذا نص فى كتابهم على وقوع

النسخ لا محالة قال موسى يارب إنهم لا يستطيعون أن يصمدوه وقد نهيتهم عن ذلك فأمره الله تعالى أن يذهب فيأتي منه باخيه هرون وليكن الكهنة وهم العلماء والشعب وهم بقية بني إسرائيل غير بيد فضل موسى وكله ربه عز وجل فأمره حينئذ بالمشركيات .

وعندم أن بنى إسرائيل سمعوا كلام الله ولكن لم يفهموا حتى فتمهم موسى وجعلوا يقولون لموسى بلقنا أنت عن الرب عز وجل فانا نخاف أن نموت فبلغهم عنه فقال هذه العشر الكليات وهي الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له . والنهي عن الحلف بالله كاذباً . والأمر بالمحافظة على السبت . ومعناه تفرغ يوم من الاسبوع للعبادة * وهذا حاصل يوم الجمعة الذي نسخ الله به السبت . أكرم أبك وأمك ليطول عرك في الارض الذي يعطيك الله ريك . لا تقتل . لا تزني . لا تسرق . لا تشهد على صاحبك شهادة زور لا تمتد عينك الى بيت صاحبك . ولا تشته امرأة صاحبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً من الذي لصاحبك . ومعناه النهي عن الحسد . وقد قال كثير من علماء السلف وغيرهم مضمون هذه العشر الكليات في آيتين من القرآن وهما قوله تعالى في سورة الانعام (قل تعالوا أنزل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تفلحون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده . وأوفوا الكيل والميزان بالقيسط لا تكلف نفساً إلا وسعها واذا قلم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه الآية) وذكروا بد العشر الكليات وصايا كثيرة وأحكاماً متفرقة عزيزة كانت فزالت وعملت بها حيناً من الدهر * ثم طرأ عليها عصيان من المكافئين بها ثم عدوا اليها فبدلوا وحرفوها وأولوها . ثم بذلك كله سلبوها فصارت منسوخة بمبدلة بد ما كانت مشروعة مكلمة فله الأمر من قبل ومن بعد وهو الذي يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد الاله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين . وقد قال الله تعالى (يا بنى إسرائيل قد أجمعناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تظفوا فيه فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى . وإنى لنتار لمن قلب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) يذكر تعالى منته وإحسانه الى بنى إسرائيل بما أجمعهم من أعدائهم وخلصهم من الضيق والخرج وأنه وعدم حمية فيهم الى جانب الطور الايمن أى منهم لينزل عليه أحكاماً عظيمة فيها مصلحة لهم في دنياهم وأخراهم وأنه تعالى أنزل عليهم في حال شدتهم وضرورتهم في سفرهم في الارض التي ليس فيها زرع ولا ضرع مناً من السماء يصبحون فيجدونه خلال بيوتهم فيأخذون منه قدر حاجتهم في ذلك اليوم الى مثله من القند ومن ادخر منه لا أكثر من ذلك فسد . ومن أخذ منه قليلاً كفاه أو كثيراً لم يفضل عنه فيصنعون منه مثل الخبز وهو

في غاية اليسار. والجلادة فإذا كان من آخر النهار غشيم طير السلوى فيقتنصون منه بلا كلفة ما يحتاجون
 إليه حسب كثافتهم لتمامه. وإذا كان فصل الصيف ظلل الله عليهم الغمام وهو السحاب الذي يستر عنهم
 حر الشمس وضوؤها الباهر. كما قال تعالى في سورة البقرة (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت
 عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون. وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم ولا تكونوا أول
 كفرة ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون) إلى أن قال (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم
 سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم. وإذ فرقنا بكم البحر
 فأنجيناكم وأفرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون. وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم أخذنم العجل من يده
 وأنتم ظالمون. ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون. وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم
 تهتدون. وإذ قال موسى لقوم إنكم ظلمتم أنفسكم بأخذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم
 ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم. وإذ قلتم يا موسى لن تؤمن لك حتى
 نرى الله جبراً فخذتكم الساعة وأنتم نظررون. ثم بثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون. وظلنانا عليكم
 الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظللنا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)
 إلى أن قال (وإذ استسقى موسى لقومه قلنا اضرب بمصاك الحجر فانجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم
 كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تمشوا في الأرض مفسدين. وإذ قلتم يا موسى لن
 نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها
 قال أنتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم القالة
 والمسكنة وأبوا فنضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما
 عصوا وكانوا يعتدون) فذكر تعالى إتمامه عليهم وإحسانه إليهم بما يسر لهم من المن والسلوى طعامين
 شهيين بلا كلفة ولا سعى لهم فيه بل ينزل الله المن بأكرام ويرسل عليهم طير السلوى عشياً وأنبع الماء لهم
 بضرب موسى عليه السلام حجراً كانوا يحملونه معهم بالمصا فنجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين
 منه تنبجس ثم تنفجر ماءً زلالاً فيستقون ويستقون دولبهم ويدخرون كفاتهم. وظلل عليهم الغمام من
 الحر. وهذه نعم من الله عظيمة وعطيات جسيمة فأرعوها حق رعايتها ولا قاموا بشكرها وحق
 عبادتها ثم ضجر كثير منها وتبرموا بها وسألوا أن يستبدلوا منها يبدلها مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها
 وفومها وعدسها وبصلها. فصرهم الكليم ووبخهم وأنبهم على هذه المقالة وعنفهم قائلاً (أنتستبدلون
 الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم) أي هذا الذي تطالبونه وتريدونه بدل
 هذه النعم التي أنعم فيها حاصل لأهل الأمصار الصغار والكبار موجود بها وإذا هبطتم إليها أي وتزلم
 عن هذه المرتبة التي لا تصلح لمنصبها تجددوا بها ما تشتمون وما ترومون بما ذكرتم من المآكل الدنية

والاغذية الردية ولكفى لست أجيبكم الى سؤال ذلك ههنا ولا أبلغكم ما تعتمد به من المني وكل هذه الصفات المذكورة عنهم الصادرة منهم تدل على أنهم لم يتهموا عما نهوا عنه كما قال تعالى (ولا تظنوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) أى فقد هلك وحق له والله الهلاك والدمار وقد حل عليه غضب الملك الجبار ولكنه تعالى مزج هذا الوعيد الشديد بالرجاء لمن أناب وتاب ولم يستمر على متابعة الشيطان المرید فقال (وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل عمالاً ثم اهتدى)

سؤال الرؤية

قال تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بشهر قم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين . ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أقلبك قال لن تراني ولكن أظفر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صقاً . فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين . قال يا موسى إنى اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين . وكتبنا له في الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلاً لكل شئ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنا سأريكم دار الفاسقين سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق . وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلاً . ذلك بهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين . والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجوزون الا ما كانوا يعملون) . قال جماعة من السلف منهم ابن عباس ومسروق ومجاهد الثلاثون ليلة هي شهر ذى القعدة بكلمة وآتمت أربعين ليلة بشهر ذى الحجة فعلى هذا يكون كلام الله له يوم عيد النحر وفي مثله أكل الله عز وجل لمحمد رس . دينه وأقام حجته وبراهينه . والمقصود أن موسى عليه السلام لما استكمل الميقات وكان فيه صاعاً يقال إنه لم يستطع الطعام فلما كمل الشهر أخذ لما شجرة فضغه ليطيب ريح فيه فامر الله أن يمكث عشر آخرة فصارت أربعين ليلة . ولهذا ثبت في الحديث أن خلوف الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فلما عزم على الذهاب استخلف على شعب بنى اسرائيل أخاه هرون المحب الميحل الجليل وهو ابن أمه وأبيه ووزيره في الدعوة الى مصطفية فرصاه وأمره وليس في هذا لعل منزلته في نبوته مناقاة قال الله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا) أى في الوقت الذى أمر بالحي فيه (وكلمه ربه) أى كلمه الله من وراء حجاب الا أنه أسمعته انطلاب فناداه ونجاه وقرهه وأذناه وهذا مقام رفيع ومقتل منيع ومنصب شريف ومنزل منيف فصوات الله عليه تفرى وسلامه عليه في الدنيا والآخرة * ولما أعطى هذه المنزلة

العلية والمرتبة السنية وسمع الخطاب سأل رفع الحجاب فقال للمظيم الذى لا تدركه الابصار القوى البرهان (ربى أرى أظنر اليك قال لى ترى). ثم بين تعالى أنه لا يستطيع أن يثبت عند تجليه تبارك وتعالى لان الجبل الذى هو أقوى وأكبر ذاتاً وأشد ثباتاً من الانسان لا يثبت عند التجلى من الرحمان ولهذا قال (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترى)

وفى الكتب المقدمة أن الله تعالى قال له يا موسى إنه لا يرانى حتى إلا ملت ولا يابس إلا تدهده وفى الصحيحين عن أبى موسى عن رسول الله (س)، انه قال حجاب النور . وفى رواية النار لو كشفه لاحت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه . وقال ابن عباس فى قوله تعالى (لا تدركه الابصار) ذلك نوره الذى هو نوره اذا تجلى لشيء لا يقوم له شيء ولهذا قال تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين). قال مجاهد (ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترى) فانه أكبر منك وأشد خلقا فلما تجلى ربه للجبل فنظر الى الجبل لا يمالك وأقبل الجبل فدك على أوله ورأى موسى ما يصنع الجبل فخر صعقا * وقد ذكرنا فى التفسير ما رواه الامام احمد والترمذى وصححه ابن جرير والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت . زاد ابن جرير وليث عن أنس أن رسول الله (س)، قرأ (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) قال هكذا باصبعه ووضع النبي (س)، الابهام على الفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل لفظ ابن جرير . وقال السدى عن عكرمة وعن ابن عباس ما تجلى يعنى من العظمة الا قدر الخنصر فجعل الجبل دكا قال ترابا (وخر موسى صعقا) أى منشيا عليه وقال قتادة ميتا . والصحيح الأول لقوله (فلما أفاق) فان الافاقة انما تكون عن غشى قال (سبحانك) تنزيه وتعظيم واجلال أن يراه بظلمته أحد (تبت إليك) أى فلست أسأل بدهذا الرؤية (وأنا أول المؤمنين) أنه لا يراك حتى إلا ملت ولا يابس إلا تدهده . وقد ثبت فى الصحيحين من طريق عمرو بن يحيى بن عمارة بن ابى حسن المازنى الأنصارى عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله (س)، (لا تخيرونى من بين الانبياء فان الناس يصتقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلى أوجوزى بصمعة الطور) لفظ البخارى وفى أوله قصة اليهودى الذى لطم وجهه الأنصارى حين قال لا والذى اصطفى موسى على البشر فقال رسول الله (س) (لا تخيرونى من بين الانبياء) . وفى الصحيحين من طريق الزهري عن أبى سلمة وعبد الرحمن الاعرج عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وفيه (لا تخيرونى عنى موسى) وذكر تمامه . وهذا من باب المضم والتواضع أو نهى عن التفضيل بين الانبياء على وجه الغضب والمصيبة أو ليس هذا إليكم بل الله هو الذى رفع بعضهم فوق بعض درجات وليس يتال هذا بمجرد الرأى بل بالتوقيف . ومن قال ان هذا قاله قبل أن يعلم أنه أفضل ثم نسخ باطلاعه على افضليته

عليهم كلهم ففي قوله نظر لأن هذا من رواية أبي سعيد وأبي هريرة وما هاجر أبو هريرة الأعمام حين متأخرا فيبعد أنه لم يعلم بهذا الأبعد هذا والله أعلم ولا شك أنه صلوات الله وسلامه عليه أفضل البشر بل الخليقة . قال الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وما كلوا الا بشرف نبيهم وبت بالتواتر عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولاخبر) ثم ذكر اختصاصه بالمقام المحمود الذي يتبطه به الاولون والآخرين الذي تجمده عنه الانبياء والمرسلون حتى أولو العزم الا كآكون نوح و ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم . وقوله (س) ، (فأكون أول من يفوق فأجد موسى باطشا قائمة العرش) أى آخذاً بها (فلا أدري أفلق قبلي أم جوزى بصعقة الطور) دليل على أن هذا الصعق الذي يحصل للخلائق في عرصات القيامة حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين عباده فيصمتون من شدة الهيبة والعظمة والجلال فيكون أولهم إفاقة محمد خاتم الانبياء ومصطفى رب الأرض والسما على سائر الانبياء فيجد موسى باطشا قائمة العرش قال الصادق المصدوق (لا أدري أصعق فافلق قبلي) أى كانت صعقته خفيفة لأنه قد نله بهذا السبب في الدنيا صعق أو جوزى بصعقة الطور يعنى فلم يصعق بالكلية وهذا فيه شرف كبير لموسى عليه السلام من هذه الخيثة . ولا يازم تفضيله بها مطلقا من كل وجه * ولهذا نبه رسول الله (س) ، على شرفه وفضيلته بهذه الصفة لان المسلم لما ضرب وجه اليهودى حين قال (لا والذى اصطفى موسى على البشر) قد يحصل في نفوس المشاهدين لذلك هضم بجناب موسى عليه السلام فيبين النبي (س) ، فضيلته وشرفه . وقوله تعالى (قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) أى في ذلك الزمان لا ما قبله لأن ابراهيم الخليل أفضل منه كما تقدم بيان ذلك في قصة ابراهيم ولا ما بعده لأن محمداً (س) ، أفضل منهما كما ظهر شرفه ليلة الاسراء على جميع المرسلين والانبياء وكما ثبت أنه قال (سأقوم مقاماً يرغب الى الخلق حتى ابراهيم) وقوله تعالى فخذما آتيتك وكن من الشاكرين (أى فخذ ما أعطيتك من الرسالة والكلام ولا تسأل زيادة عليه وكن من الشاكرين على ذلك . قال الله تعالى (وكتبنا له في الاالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ) وكانت الاالواح من جوهر فليس فى الصحيح أن الله كتب له التوراة بيده وفيها مواعظ عن الآلام وتفصيل لكل ما يحتاجون إليه من الحلال والحرام (فخذها بقوة) أى بزم ونية صادقة قوية (وأمر قومك بأخذوا بأحسنها) أى يضعوها على أحسن وجوها وأجل محاملها (سار يكم دار الفاسقين) أى ستروا عاقبة الخارجين عن طاعتى الخالفين لامرئى المكذبين لرسلئى . (سأصرف عن آياتئى) عن فهمها وتدبرها وتمقل معناها الذى أريد منها ودل عليه مقتضاها (الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أى ولو شاهدوا معها شاهدوا من الخوارق والمعجزات لا يتقادوا لاتباعها (وإن يروا سبيلا الرشدا لا يتخذوه سبيلا) أى لا يسلكوه ولا يتبعوه (وإن يروا سبيلا الذى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) أى صرفناهم

عن ذلك لتكذيبهم بآياتنا وتناقلهم عنها واعراضهم عن التصديق بها والتفكير في معناها وترك العمل بمقتضاها (والذين تدبوا بآياتنا والآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) .

قصة عجا و آتم العجل في غيبة موسى

قال الله تعالى (واخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خواراً لم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين . ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرجعنا ربنا ويفر لنا لنكونن من الخاسرين . ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفاً قال بشما خلفتموني من بسدى أعجلتم أمر ربكم والتي الاالواح واخذ برأس أخيه يجره اليه قال يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين . قال رب اغفر لي ولأخي وادخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين . إن الذين أخذوا العجل اتخذوا العجل سينا لهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك يجزي المغترين . والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لنفور رحيم ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الاالواح وفي نسخها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) وقال تعالى (وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أترى وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان أسفاً قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أنظال عليكم العهد أم أردتم أن يجعل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي قالوا ما أخلفنا موعداً بملكنا ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم فتذفناها فكذلك أتى السامري فأخرج لهم عجلاً جسداً له خواراً قالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرراً ولا فناء * ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما فتنم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى . قال ياهرون مامنك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعن أفصبت أمرى قال بيا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بمالم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي . قال فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا ماساس وإن لك موعداً لن يخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنتحرقت ثم لنفسه في اليم فسفاً إنما الهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً) يذكر تعالى ما كان من أمر بني اسرائيل حين ذهب موسى عليه السلام الى ميقات ربه فمكث على الطور يتناجى ربه ويسأله موسى عليه السلام عن أشياء كثيرة وهو تعالى يجيبه عنها فمد رجل منهم يقال له هرون السامري فلخذ ما كان استماره من الحلى فصاغ منه عجلاً وألقى فيه قبضة من التراب . كان أخذها من أثر فرس جبريل حين رآه يوم أغرق الله فرعون على يديه فلما اتاها فيه خار كما

بخور العجل الحقيقي . ويقال إنه استحبال عجلا جسداً أى لحماً ودماً حياً يخور . قاله قتادة وغيره
وقيل بل كانت الريح اذا دخلت من دبره خرجت من فيه فيخور كما تخور البقرة فيرقصون حوله
ويفرحون (قالوا هذا الحكم وإله موسى قنسى) أى قنسى موسى ربه عندنا وذهب يتطلبه وهو هنا
تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وتقدس أسماؤه وصفاته وتضاعفت آلاؤه وعداته . قال الله تعالى
ميينا ما ذهبوا اليه وما عولوا عليه من الهية هذا الذى قصاره أن يكون حيواناً بهياً وشيطاناً
رجياً (أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نقماً) وقال (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا
يديهم سيلاً اتخذوه وكاتوا ظالمين) فذكر أن هذا الحيوان لا يتكلم ولا يرد جواباً ولا يملك ضراً
ولا نقماً ولا يهدى الى رشد اتخذوه وهم ظالمون لانفسهم عالمون فى انفسهم بطلان مام عليه من الجبل
والضلال (ولما سقط فى أيديهم) أى ندموا على ما صنعوا (ورواوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحننا ربنا
ويضرب لنا لنكونن من الخاسرين) . ولما رجع موسى عليه السلام اليهم ورأى مام عليه من عبادة
العجل ومعه الاواح المتضمنة التوراة القاها فيقال إنه كسرهما . وهكذا هو عند أهل الكتاب وإن الله
أبدله غيرها وليس فى اللفظ القرآنى ما يدل على ذلك إلا أنه القاها حين عين ما بين . وعند أهل الكتاب
أنهما كانا لوحين وظاهر القرآن أنها الواح متعددة ولم يتأثر بمجرد انشرب من الله تعالى عن عبادة العجل
فأمره بما ياتى ذلك . ولهذا جاء فى الحديث الذى رواه الامام أحمد وابن حبان عن ابن عباس قال قال
رسول الله (ص) (ليس انشرب كالماينة) ثم أقبل عليهم فنعنهم ووبخهم وهجنهم فى صنيعهم هذا القبيح
فاعتذروا اليه بما ليس بصحيح (قالوا إنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فخذناها فكذلك أتى السامرى)
تخرجوا من تملك حلى آل فرعون وهم أهل حرب وقد أمرهم الله بأخذه وأباح لهم ولم يتخرجوا بجملهم
وقلة علمهم وعقلهم من عبادة العجل الجسد الذى له خوار مع الواحد الاحد الفرد الصمد التبار . ثم
أقبل على أخيه هرون عليهما السلام قائلاً له (ياهرون ما نملك اذ رأيتهم ضلوا أن لا تبين) أى هلالاً
رأيت ما صنعوا اتبعنى فاعلمتى بما فعلوا فقال (إني خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل) أى
تركهم وجبتنى وأنت قد استخلفتى فيهم (قال رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم
الراحمين) وقد كان هرون عليه السلام نهماً عن هذا الصنيع الفظيع أشد النهى وزجرهم عنه ثم الزجر
قال الله تعالى (وقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما فتنتم به) أى إنما قدر الله أمر هذا العجل وجعله
يخور فتنة واختباراً لكم (وإنذركم الرحمن) أى لا هذا (فاتبعونى) أى فيما أقول لكم (وأطيعوا
أمرى . قالوا لن نبرح عليه صاكفين حتى يرجع الينا موسى) يشهد الله ل هرون عليه السلام (وكفى بالله
شهيداً أنه نهماً وزجرهم عن ذلك فلم يعطوه ولم يتبعوه ثم أقبل موسى على السامرى (قال ما خطبك
بلسامرى) أى ما حلك على ما صنعت (قال بصرت تالم يمسروا به) أى رأيت جبرائيل وهو راكب

فرساً (قبضت قبضة من أثر الرسول) أي من أثر فرس جبريل . وقد ذكر بعضهم أنه رآه وكلا وطقت
بحوافها على موضع اخضر وأعشب فأخذ من أثر حافرها فلما القاه في هذا العجل المصنوع من الذهب
كان من أمره ما كان ولهذا قال (فبنتها وكذلك سولت لي هسي . قال فذهب فان لك في الحياة أن
تقول لا مساس) وهذا دعاء عليه بأن لا يمسه أحد أما عاقبة له على مسه ما لم يكن له مسه . هذا معاقبة له في
الدنيا ثم توعده في الاخرى فقال (وإن لك موعداً لن تخلفه) وقرئ لن تخلفه (واظنر الى الملك الذي
ظلت عليه كما نأحرقت ثم لنفسه في اليم نسفاً) قال فصد موسى عليه السلام الى هذا العجل فخرقه بالنار
كما قاله قتادة وغيره . وقيل بلبارد كما قاله علي وابن عباس وغيرها وهو نص أهل الكتاب ثم خراه في
البحر وأمر بني اسرائيل فشرّبوا فمن كان من عابديه علق على شفاهم من ذلك الرماد منه ما يدل عليه
وقيل بل اصفرت ألوامهم ثم قال تعالى اخبراً عن موسى أنه قال لهم (إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا
هو وسع كل شيء علماً) وقال تعالى (إن الذين آمنوا والعجل سینا لهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا
وكذلك نجزي المفترين) وهكذا وقع وقد قال بعض السلف (وكذلك نجزي المفترين) مسجلة لكل
صاحب بدعة الى يوم القيمة . ثم أخبر تعالى عن حمله ورحمته بخلقه وإحسانه على عبده في قبوله توبة
من تلب اليه بتوجه عليه فقال (والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور
رحيم) لكن لم يقبل الله توبة عابدي العجل إلا بالقتل كما قال تعالى (وإذا قال موسى لقومه يا قوم إنكم
ظالمتم أنفسكم بأخذكم العجل فخرّبوا الي بارئكم فاقبلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم
إنه هو التواب الرحيم) فيقال إنهم أصبحوا يوماً وقد أخذ من لم يبد العجل في أيديهم السيوف والقي
الله عليهم ضباباً حتى لا يعرف القريب قريبه ولا النسيب نسيبه . ثم مالوا على عابديه فقتلهم وحصدوهم
فيقال إنهم قتلوا في صيحة واحدة سبعين ألفاً . ثم قال تعالى (ولما سكنت عن موسى الغضب أخذ الألواح
ولي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) استدل بعضهم بقوله وفي نسختها على أنها تكسرت
وفي هذا الاستدلال نظر وليس في اللفظ ما يدل على أنها تكسرت والله أعلم . وقد ذكر ابن عباس
في حديث الثورن كما سيأتي أن عبادتهم العجل كانت على أثر خروجهم من البحر وما هو يبعد لأنهم
حين خرجوا (قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) .

وهكذا عند أهل الكتاب فان عبادتهم العجل كانت قبل مجيئهم بلاد بيت المقدس وذلك أنهم
لما أمروا بقتل من عبد العجل قتلوا في أول يوم ثلاثة آلاف . ثم ذهب موسى يستغفر لهم فغفر لهم بشرط
أن يدخلوا الأرض المقدسة . (واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو
شئت أهلكتهم من قبل وإيائي أهلكنا بماضل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي
من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين . واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة

إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدهونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) ذكر السدي وابن عباس وغيرهما أن هؤلاء السبعين كانوا علماء بني إسرائيل ومعهم موسى وهرون ويوشع وناداب وإيهو ذهبوا مع موسى عليه السلام ليعتدروا عن بني إسرائيل في عبادة من عبد منهم المعجل وكانوا قد أسروا أن يعطيوها ويظهروا ويتسلوا فلما ذهبوا معه واقتربوا من الجبل وعليه النمام وعمودان نور ساطع وصعد موسى الجبل فذكر بنو إسرائيل أنهم سمعوا كلام الله وهذا قد وافقهم عليه طائفة من المفسرين وحلوا عليه قوله تعالى (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما نقلوه وهم يعلمون) وليس هذا بلازم لقوله تعالى (فأجره حتى يسمع كلام الله) أي مبلغاً وهكذا هؤلاء سمعوه مبلغاً من موسى عليه السلام وزعموا أيضاً أن السبعين رأوا الله وهذا غلط منهم لأنهم لما سألوا الرؤية أخذتهم الرجفة كما قال تعالى (واذ قلتم يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فلأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بشناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) وقال ههنا (فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإي الأية) قال محمد بن اسحق اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً الخبير فالخير . وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه بما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم الى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه إلا باذن منه وعلم فطلب منه السبعون أن يسمعوا كلام الله فقال أفضل فلما دعا موسى من الجبل وقع عليه عمود النمام حتى تشبى الجبل كله ودنا موسى فدخل في النمام وقال قوم أدنوا وكان موسى اذا كلفه الله وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه ففرب دونه بلحجاب ودنا القوم حتى اذا دخلوا في النمام وقوا سجوداً فسمعوه وهو يكلمهم موسى بأمر وينهاهم افضل ولا تغفل * فلما فرغ الله من أمره وانكشف عن موسى النمام أقبل اليهم قالوا لن تؤمن لك حتى نرى لله جهرة فلأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فالتقت أرواحهم فتأتوا جميعاً فقام موسى ينشأ ربه ويدعوه ويرغب اليه ويقول (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإيأى أهلكتنا بما فعل السفهاء منا) أي لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء الذين عبدوا المعجل منا فالتبرأ مما عملوا . وقال ابن عباس ومجاهد وقادة وابن جرير إنما أخذتهم الرجفة لأنهم لم ينهوا قومهم عن عبادة المعجل وقوله (إن هي إلا فتنتك) أي اختبارك وإبلاؤك وامتحانك قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وأبو العالية والربيع بن أنس وغير واحد من علماء السلف والخلف . يعني أنت الذي قدرت هذا وخلقته ما كان من أمر المعجل إخباراً مختبرهم

به (قال لهم هرون من قبل يقوم إنما قنتم به) أى أختبرتم ولهذا قال (فضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) أى من شئت أضلته باختبارك إياه ومن شئت هديته * لك الحكم والمشقة ولا مانع ولا راد لما حكمت وقضيت (أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك) أى تبنا اليك ورجعنا وأبنا قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو العالية وإبراهيم التيبى والضحاك والسدى وقتادة وغير واحد وهو كذلك فى اللغة . (قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ) أى أنا أعذب من شئت بما أشاء من الأمور التى أخلقها وأقدرها (ورحمتي وسعت كل شئ) كما ثبت فى الصحيحين عن رسول الله (س) أنه قال (ان الله لما فرغ من خلق السموات والأرض كتب كتابا فهو موضوع عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي) فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) أى فسأوحها حتما لمن يتصف بهذه الصفات (الذين يتبعون الرسول النبى الامى الاية) وهذا فيه تنويه بذكر محمد (س) وامته من الله لموسى عليه السلام فى جملة ما نجاه به وأعلمه وأطلمه عليه * وقد تكلمنا على هذه الآية وما بعدها فى التفسير بما فيه كفاية ومقتنع والله الحمد والمنة . وقال قتادة قال موسى يارب أجد فى الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر رب اجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد فى الألواح أمة هم الآخرون فى انطلق السابقون فى دخول الجنة رب اجعلهم أمتى . قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد فى الألواح أمة أنجيلهم فى صدورهم يقرأونها وكان من قبلهم يقرأون كتابهم نظراً حتى إذا رضوها لم يحفظوا شيئاً ولم يعرفوه وان الله اعطاكم آيتها الامة من الحفظ شيئاً لم يعط احداً عن الامم قال رب اجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال رب إني أجد فى الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاؤون فصول الضلالة حتى يقاثلوا الاعور الكذاب فاجعلهم أمتى . قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد فى الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها فى بطونهم ويؤجرون عليها وكان من قبلهم اذا تصدق بصدقة قبلت منه بث الله عليها نكراً فأكلتها وان ردت عليه تركت فناكلها السباع والطير وان الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم قال رب اجعلهم أمتى . قال تلك أمة أحمد . قال رب فإني أجد فى الألواح أمة اذا هم أحدم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر امثالها الى سبعمائة ضعف قال رب اجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال رب إني أجد فى الألواح أمة هم المشغون المشغوع لهم فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد * قال قتادة قد ذكر لنا أن موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال اللهم اجعلني من أمة أحمد . وقد ذكر كثير من الناس ما كان من مناجاة موسى عليه السلام وأوردوا شيئاً كثيرة لأصل لها ونحن نذكر ما تيسر ذكره من الاحاديث والآثار بغير الله وتوفيقه وحسن هدايته ومعرته وتأيدته .

قال الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان في صحيحه ذكر سؤال كليم الله ربه عز وجل عن اهل الجنة وأرضهم منزلة أخبرنا عمر بن سعيد الطائي بمسج حدثنا حامد بن يحيى البلخي حدثنا سفيان حدثنا مطرف بن طريف وعبد الملك بن ابجر شيخنا صالحان سمعا الشعبي يقول سمعت المتغيرة بن شعبة يقول على المنبر عن النبي (ص) إن موسى عليه السلام سال ربه عز وجل أي أهل الجنة أدنى منزلة فقال رجل يحيى بعد ما يدخل أهل الجنة الجنة فيقال أدخل الجنة فيقول كيف أدخل الجنة وقد نزل الناس منازلهم واخذوا إخاذاتهم فيقال له ترضى أن يكون لك من الجنة مثل ما كان ملك من ملوك الدنيا . فيقول نعم أي رب فيقال لك هذا ومثله ومثله فيقول أي رب رضيت فيقال له لك مع هذا ما اشتيت فسك ولنت عينك وسأل ربه أي أهل الجنة ارفع منزلة قال ساحتك عنهم غرست كرامتهم يدي وخنت عليها فلا عين رأيت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ومصدق ذلك في كتاب الله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين الآية) وهكذا رواه مسلم والترمذي كلاهما عن ابن أبي عمير عن سفيان وهو ابن عيينة به ولفظ مسلم (فيقال له اترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله فيقول في الخامسة رضيت رب فيقال هذا لك وعشرة امثاله ولك ما اشتيت فسك ولنت عينك فيقول رضيت رب قال رب فاعلام منزلة قال أولئك الذين اردت غرس كرامتهم يدي وخنت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر قال ومصدقه من كتاب الله (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وقال الترمذي حسن صحيح . قال ورواه بعضهم عن الشعبي عن المتغيرة فلم يرفسه والمرفوع أصح . وقال ابن حبان (ذكر سؤال الكليم ربه عن خصال سبع) حدثنا عبد الله بن محمد بن مسلم بيت المقدس حدثنا حرملة بن يحيى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن أبا السرح حدثه عن ابن حنبل عن أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال (سألت موسى ربه عز وجل عن ست خصال كان يظن أنها له خالصة والسابعة لم يكن موسى يجها . قال يارب أو عبادك اتقى . قال الذي يذكر ولا ينسى قال فأى عبادك أهدي قال الذي يتبع الهدى قال فأى عبادك احكم قال الذي يحكم للناس كما يحكم لنفسه . قال فأى عبادك أعلم قال عالم لا يشبع من العلم يجمع علم الناس الى علمه . قال فأى عبادك أعز . قال الذي اذا قدر غفر قال فأى عبادك أغنى قال الذي يرضى بما يؤتى قال فأى عبادك أقهر قال صاحب مقنوص . قال رسول الله (ص) : (ليس الغنى عن ظهر إيمان الغنى غنى النفس) وإذا أراد الله ببعد خيرا جعل غناه في نفسه وتقاه في قلبه . وإذا أراد ببعد شرأ جعل فقره بين عينيه . قال ابن حبان قوله صاحب مقنوص يريد به مقنوص حالته يستقل مأوتى ويطلب الفضل . وقد رواه ابن جرير في تذييله عن ابن حميد عن يعقوب التيمي عن هرون بن عبيدة عن أبيه عن ابن عباس قال سألت موسى ربه عز وجل فذكر نحوه وفيه قال (أي رب فأى عبادك أعلم قال الذي يتقى علم الناس

الى علمه عسى أن يجد كفة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى . قال أى رب فهل فى الارض أحد أعلم
منى قال نعم الخضر فسأل السبيل الى لقيه فكان ماسنذ كره بمد إن شاء الله وبه الثقة

حديث آخر بمعنى ما ذكره ابن حبان

قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد
الخدري عن النبي (ص): أنه قال إن موسى قال أى رب عبدك المؤمن مقتر عليه فى الدنيا . قال فتتح له
باب من الجنة فنظر اليها قال ياموسى هذا ما أعددت له . قال موسى يارب وعزتك وجلالك لو كان مقطع
اليدين والرجلين يسحب على وجهه منذ يوم خلقته الى يوم القيامة وكان هذا مصيره لم ير يوماً قط قال
ثم قال أى رب عبدك الكافر موسع عليه فى الدنيا . قال فتتح له باب الى النار فيقول ياموسى هذا
ما أعددت له فقال أى رب وعزتك وجلالك لو كانت له الدنيا منذ يوم خلقته الى يوم القيامة وكان هذا
مصيره لم ير خيراً قط . فترد به احمد من هذا الوجه . وفى صحته نظر والله أعلم . وقال ابن حبان (ذكر
سؤال كليم الله به جل وعلا أن يعلمه شيئاً يذكره به) حدثنا ابن سلمة حدثنا حرمة بن يحيى حدثنا ابن
وهب أخبرنى عمرو بن الحارث إن دراجاً حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن النبي (ص)، أنه قال قال
موسى (يارب علمنى شيئاً أذكرك به وأدعوك به) قال قل ياموسى (لا إله إلا الله) قال يارب كل
عبادك يقول هذا . قال قل لا إله إلا الله . قال إنما أريد شيئاً تخصنى به . قال ياموسى لو أن أهل السموات
السبع والأرضين السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة مالت بهم لا إله إلا الله . ويشهد لهذا الحديث
حديث البطاقة . وأقرب شئ الى معناه الحديث المروى فى السنن عن النبي (ص)، أنه قال أفضل الدعاء
دعاء عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو
على كل شئ قدير) وقال ابن أبى حاتم عند تفسير آية الكرسي حدثنا احمد بن القاسم بن عطية . حدثنا
احمد بن عبد الرحمن الدسكى حدثنى أبى عن أبيه حدثنا أشعث بن اسحق عن جعفر بن أبى المتيرة
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن بنى إسرائيل قالوا لموسى هل ينال ربك قال أقروا الله فتاداه ربه
ياموسى سألوك هل ينال ربك فخذ زجاجتين فى يديك قسم الليل فضل موسى فلما ذهب من الليل ثلث
نفس فوقع لركبته ثم أتمش فضبطهما حتى اذا كان آخر الليل نفس فسقطت الزجاجتان فانكسرتا .
قال ياموسى لو كنت أنام لسقطت السموات والأرض فهلكن كما هلكت الزجاجتان فى يديك . قال
وأنزل الله على رسوله آية الكرسي . وقال ابن جرير حدثنا اسحق بن أبى إسرائيل حدثنا هشام بن
يوسف عن أمية بن شبل عن الح. كم بن إبان عن عكرمة عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله (ص)،
يحكى عن موسى عليه السلام على المنبر قال وقع فى نفس موسى عليه السلام هل ينال الله عز وجل فترسل

الله اليه ملكا فارتقه ثلاثا ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما قال فجعل ينام وكانت يدها تلتقيان فيستقيظ فيجس إحداهما على الأخرى حتى نام نومة فاصطقت يدها فانكسرت القارورتان قال ضرب الله له مثلا أن لو كان ينام لم يستمسك السماء والأرض . وهذا حديث غريب رضى . والأشبه أن يكون موقوفاً . وأن يكون أصله إسرائيليا . وقال الله تعالى (واذ أخذنا ميثاقكم ورضنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون . ثم توليتهم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين) وقال تعالى (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون) قال ابن عباس وغير واحد من السلف لما جاءهم موسى بالأنواح فيها التوراة أمرهم بقبولها والأخذ بها بقوة وعزم فقالوا أنشرها علينا فان كانت أوامرنا ونواهيها سهلة قبلناها فقال بل اقبلوها بما فيها فراجعوه سراراً فامر الله الملائكة فرفعوا الجبل على رؤسهم حتى صار كأنه ظلة أى غمامة على رؤسهم وقيل لهم إن لم تقبلوها بما فيها وإلا سقط هذا الجبل عليكم قبلوا ذلك وأسرخوا بالسجود فسجدوا فجعلوا ينظرون الى الجبل بشق وجوههم فصارت سنة لليهود الى اليوم يقولون لاسجدة أعظم من سجدة رفت عنا العذاب . وقال سنيد بن داود عن حجاج بن محمد عن أبي بكر بن عبد الله قال فلما نشرها لم يبق على وجه الأرض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فليس على وجه الأرض يهودى صغير ولا كبير تقرأ عليه التوراة إلا اهتز وفض لها رأسه . قال الله تعالى (ثم توليتهم من بعد ذلك) أى ثم بعد مشاهدة هذا الميثاق العظيم والأمر الجسيم فكنتم عهدكم ومواثيقكم (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) بان تدارككم بالارسل اليكم وانزال الكتب عليكم (لكنتم من الخاسرين)

قصص بقرة بني إسرائيل

قال الله تعالى (واذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة . قالوا اتخذنا هزوا قال أعود بالله ان أكون من الجاهلين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لافراض ولا بكر ثموان بين ذلك فاقبلوا ماتؤمرون . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول ثبير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها . قالوا الآن جئت بلحق فذبحوها وما كادوا يفعلون . واذ قلتم نفساً فادار أثم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون . قلنا اضربوه يمضها كذلك يحيى الله الموتى ويريمكم آياته لعلكم تتقون) قال ابن عباس وعبيدة السلماني وأبو العالية ومجاهد والسدي وغير واحد من السلف كان رجل في بني إسرائيل كثير المال وكان شيخاً كبيراً وله

بنوا أخ وكاتوا يمتنون موته ليرثوه فصد أحدكم قتلته في الليل وطرحه في جمع الطرق ويقال على باب رجل منهم فلما أصبح الناس اختصموا فيه وجاء ابن أخيه فجعل يصرخ ويتظلم فقالوا مالك تختصمون ولا تأتون نبي الله فجاء ابن أخيه فشكى أمره إلى رسول الله موسى (س) قال موسى عليه السلام أنشد الله رجلا عنده علم من أمر هذا القليل إلا أعلننا به فلم يكن عند أحد منهم علم منه وسأله أن يسأل في هذه القضية ربه عز وجل فسأل ربه عز وجل في ذلك فامر الله أن يأمرهم بذيخ بقرة فقال (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أنتخذنا هزواً) يمتنون نحن نسألك عن أمر هذا القليل وأنت تقول هذا (قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) أي أعوذ بالله أن أقول عنه غير ما أوحى إلى . وهذا هو الذي أجابني حين سأله عما سألتوني عنه أن أسأله فيه . قال ابن عباس وعبيدة ومجاهد وعكرمة والسدي وأبو المالية وغير واحد فلو أنهم عمدوا إلى أي بقرة فذبحوها لحصل المقصود منها ولكنهم شددوا فشدد عليهم وقد ورد فيه حديث مرفوع . وفي إسناده ضعف فسألوا عن صفتها ثم عن لونها ثم عن سننها فاجيبوا بما عز وجوده عليهم وقد ذكرنا في تفسير ذلك كله في التفسير . والمقصود أنهم أمروا بذيخ بقرة عوان وهي الوسط بين النصف الفارض وهي الكبيرة والبكر وهي الصغيرة قاله ابن عباس ومجاهد وأبو المالية وعكرمة والحسن وقادة وجماعة . ثم شددوا وضيقوا على أنفسهم فسألوا عن لونها فأمروا بصفراء فاقع لونها أي مشرب بجمرة تسر الناظرين * وهذا اللون عزيز . ثم شددوا أيضا (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون) ففي الحديث المرفوع الذي رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه لولا أن نبي إسرائيل استنوا لما أعطوا وفي صحته نظر والله أعلم (قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها . قالوا الآن جئت بلحق فذبحوها وما كادوا يفعلون) وهذه الصفات أضيق مما تقدم حيث أمروا بذيخ بقرة ليست بالذلول وهي المذلة بالحرثة وسقى الأرض بالسانية مسلمة وهي الصحيحة التي لا عيب فيها قاله أبو المالية وقادة . وقوله (لاشية فيها) أي ليس فيها لون يخالف لونها بل هي مسلمة من السيوب ومن مخالطة سائر الألوان غير لونها فلما حددوا بهذه الصفات وحصرها بهذه السمات والأوصاف (قالوا الآن جئت بلحق) ويقال إنهم لم يجدوا هذه البقرة بهذه الصفة إلا عند رجل منهم كان براء بابه فطلبوها منه فابى عليهم فأرغبوه في ثمنها حتى أعطوه فيما ذكره السلي بوزنها ذهباً فابى عليهم حتى أعطوه بوزنها عشر سرات فباعها منهم فأمرهم نبي الله موسى بذيخها (فذبحوها وما كادوا يفعلون) أي وهم يرددون في أمرها . ثم أمرهم عن الله أن يضربوا ذلك القليل ببعضها . قيل بلحم فخذها . وقيل بلعظم الذي على الفصوف . وقيل بلبضمة التي بين الكتفين فلما ضربوه ببعضها أحياء الله تعالى مقام وهو يشخب أوداجه فسأله نبي الله من تلك قال قلني ابن أخي . ثم عاد ميتا كما كان قال الله تعالى

كذلك يحيى الله الموتى ويريبكم آياته لعلكم تتقون) أى كما شاهدتم إحياء هذا
القتيل عن أمر الله له كذلك أمره فى سائر الموتى اذا شاء إحياءهم أحياءم فى
ساعة واحدة كما قال (ما خلقكم ولا بشكم إلا كنفس واحدة الآية)

قصص موسى والخضر عليهما السلام

قال الله تعالى (وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا فلما بلغنا مجمع
بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سيده فى البحر سربا . فلما جاوزا قال لفتهاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا
نصباً . قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فأنى نسيت الحوت وما أنساينه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ
سيده فى البحر عجبا . قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثرهما قسصا . فوجدوا عبداً من عبادنا آتياه
رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً . قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمنى مما علت رشحاً . قال إنك
لن تستطيع معى صبراً . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً . قال ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى
لك أمراً . قال فان اتبعتى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكراً . فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة
خرقها . قال آخرتها لتتفرق أهلها لقد جئت شيئا امرا . قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبراً . قال
لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى امرا . فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما قتلته قال أقتلت نفسا
زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا . قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبراً قال إن سألتك
عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطاعا أهلها فأبوا
أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن يتقض فأقامه قال لو شئت لأتخذت عليه أجرا . قال هذا فراق
بينى وبينك سأنتبك بأوويل ما لم تستطع عليه صبراً أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت
أن أعيبها وكان وراهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا . وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما
طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً . وأما الجدار فكان لفلانين يبيعان فى
المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغنا أشدهما ويستخرجنا كنزهما رحمة من
ربك وما فلتت عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً)

قال بعض أهل الكتاب إن موسى هذا الذى رحل الى الخضر هو موسى بن ميثان بن يوسف بن
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل وناصبهم على ذلك بعض من يأخذ من صحفهم وينقل عن كتبهم منهم
نوف بن فضالة الحيرى الشاهى البكالى . ويقال إنه دمشقى وكانت أمه زوجة كعب الأحماسى والصحيح
الذى دل عليه ظاهر سياق القرآن ونص الحديث الصحيح الصريح المتفق عليه أنه موسى بن عمران
صاحب بنى إسرائيل . قال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفیان حدثنا عمر بن دينار أخبرنى سعيد بن

جبر قال قلت لابن عباس إن نوحا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب نبي
 إسرائيل . قال ابن عباس كذب عدو الله . حدثنا أبي بن كعب أنه سمع رسول الله (ص) يقول إن موسى
 قام خطيبا في بني إسرائيل فمثل أي الناس أعلم فقال أنا فقتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه
 إن لي عبداً بجميع البحرين هو أعلم منك . قال موسى يارب وكيف لي به . قال تأخذ مملوك حوتا فتجعله
 بمكثل فخيماً فهدت الحوت فهو ثم . فأخذ حوتا فخيمه بمكثل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون
 حتى إذا أتيا الصخرة وضما رؤسهما فناما واضطرب الحوت في المكثل فخرج منه فسقط في البحر وأخذ
 سبيله في البحر سريرا . وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نفى صاحبه
 أن يخبره بالهوت فانطلقا بية يومها وليلتهما حتى إذا كان من الغد (قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد
 لقينا من سفرنا هذا نصبا) ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به (قال) له فراه
 (رأيت إذ أوينا إلى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر
 عجيا) قال فكان للحوت سريرا ولموسى وفتاه عجيا (قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا قال
 فرجا بقصان أثرهما حتى أتيا إلى الصخرة فلذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى قال الخضر واني
 بارضك السلام قال أنا موسى قال موسى نبي إسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً (قال إنك
 لن تستطيع معي صبرا) يا موسى إني على علم من علم الله علمته الله لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم
 الله علمه الله لا أعلمه فقال (ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا) قال له الخضر فان اتبعني
 فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا يمسيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلهم ان
 يحملونهم فمروا بالخضر فخلوهم بغير نول . فلما ركبوا في السفينة لم ينجبا الا والخضر قد قلع لوحا من الواح
 السفينة بالندوم فقال له موسى قوم حملوا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها (لتفريق أهلها لقد جئت
 شيئا امرا . قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا . قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري
 عسر) قال وقال رسول الله (ص) وكانت الأولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف
 السفينة فنقر في البحر فتره قال له الخضر ما علمي وعلمك في علم الله الا مثل ما قصي هذا العصفور من هذا
 البحر . ثم خرجا من السفينة فيبناهما يمسيان على الساحل إذ بصير الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ
 الخضر رأسه بيده فاقلمه بيده فقتله فقال له موسى (أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا
 قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا) قال وهذه أشد من الأولى (قال إن سألتك عن شيء
 بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطاعوا أهلها فأبوا أن
 يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) قال ماثل قال الخضر بيده (فأقامه) قال موسى قوم
 أتيناكم فلم يعلمونا ولم يضيفونا (لو شئت لاتخذت عليه أجرا . قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل

مالم تستطع عليه صبراً) قال رسول الله (س)، وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرها
 قال سعيد بن جبيرة فكان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما
 الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين . ثم رواه البخاري أيضا عن قتبية عن سفیان بن عيينة بإسناده
 نحوه . وفيه فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون ومعهما الحوت حتى انتهيا إلى الصخرة فزلا عندها
 قال فوضع موسى رأسه فنام قال سفیان وفي حديث غير عمرو قال وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة
 لا يصيب من مائها شيء إلا حي فأصاب الحوت من ماء تلك العين قال فتحرك وانسل من المكمل ودخل
 البحر فلما استيقظ (قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا) وساق الحديث وقال وقع عصفور على حرف
 السفينة فتمس مقاره في البحر فقال انخضر لموسى ماعلى وعلك وعلم الخلاق في علم الله إلا مقدار ما غمس
 هذا العصفور مقاره وذكر تمام الحديث . وقال البخاري حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن
 يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال أخبرني يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار عن سعيد بن جبيرة يزيد أحدهما
 على صاحبه . وغيرها قد سمعته يحدثه عن سعيد بن جبيرة قال إنا لعند ابن عباس في بيته إذ قال سلوى
 قتلت أبا عباس جعلني الله فداك بالكوفة رجل قاص يقال له نوف يزعم أنه ليس بموسى بنى
 إسرائيل أما عمرو فقال لي قال قد كذب عدو الله وأما يعلى فقال لي قال ابن عباس حدثني أبي بن كعب
 قال قال رسول الله (س)، موسى رسول الله قال ذكر الناس يوماً حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب
 ولى فأدركه رجل فقال أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك قال لا فتب الله عليه إذ لم يرد العلم
 إلى الله * قيل بلى قال أي رب فأين قال بجميع البحرين قال أي رب اجعل لي عالماً أعلم ذلك به قال لي
 عمرو قال حيث يفارقك الحوت وقال لي يعلى قال خذ حوتاً ميتاً حيث يفتخ فيه الروح فخذ حوتاً فجعله في
 مكمل فقال لفتاه لا أكافك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت قال ما كلفت كبيراً فذلك قوله (وإذ قال
 موسى لفتاه) يوشع بين نون . ليست عن سعيد ابن جبيرة قال فيها هو في ظل صخرة في مكان ثريان إذ
 تضرب الحوت وموسى تأم فقال فتاه لا أوقظه حتى إذا استيقظ نفسي أن يخبره وتضرب الحوت حتى
 دخل البحر فامسك الله عنه جريه البحر حتى كأن أثره في حجر قال لي عمرو هكذا كان أثره في حجر
 وخلق بين ابهاميه واللتين تليان (لقد لتينا من سفرنا هذا نصبا) قال وقد قطع الله عنك النصب ليست هذه
 عن سعيد أخبروه فرجاً فوجدوا خضرا قال لي عثمان بن أبي سليمان على طنفسة خضراء على كبد البحر قال
 سعيد مسجى بثوبه قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه فلم عليه موسى فكشف عن وجهه
 وقال هل بارض من سلام من أنت قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم قال فأشأ بك قال جئتك
 (تعلمني ماعلمت رشداً) قال أما يكفيك أن الترداة بيدك وأن الوحى يأتيك يا موسى إن لي علما لا ينبى
 لك أن تعلمه وإن لك علما لا ينبى لي أن أعلمه فاختلطائر بمنقاره من البحر فقال والله ماعلى وعلك

في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر (حتى إذا ركبا في السفينة) وجدا معا بصغارا
نحمل أهل هذا الساحل إلى أهل هذا الساحل الآخر عرفوه فقالوا عبد الله الصالح. قال قتلنا سميد (خضر)
قال نعم. لا نحملة بأجر (فخرتها) ووتد فيها وتدا (قال) موسى (أخرقتها لتترق أهلها لقد جئت شيئا إمرأ)
قال مجاهد منكرا (قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا) كانت الأولى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة
عدا (قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا. فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما قتلته) قال يعلى
قال سميد وجد غلاما يلعبون فأخذ غلاما كافرا ظريفا فاضجمه ثم ذبحه بالسكين (قال أنتلت نفسا زكية)
لم تعمل بالخبث * ابن عباس قرأها زكية زكية مسلمة كقولك غلاما زكيا (فانطلقا فوجدوا فيها جدارا
يريد أن يتنقض فأقامه) قال يده هكذا ورفع يده فاستقام قال يعلى حسب أن سميداً قال فسبحه يده
فاستقام (قال لو شئت لا تخذت عليه أجرا) قال سميد أجرا أنا كله (وكان وراهم) وكان أمامهم قرأها ابن
عباس أمامهم. ملك يزعمون عن غير سميد أنه هدد بن يدد والغلام المقتول يزعمون جيسور (ملك يأخذ
كل سفينة غصبا) فإذا هي مرت به يدعها بسبها فإذا جاوزوا أصلحها فامتصوا بها. منهم من يقول
سدوها بقرورة ومنهم من يقول بالقار (كان أبواه مؤمنين) وكان كافرا (فخشينا أن يرهقها طليانا
وكفرا) أي يحميها حبه على أن يتأباه على دينه (فأردنا أن يبدلها ربهما خيرا منه زكاة) لقوله أقتلت
نفسا زكية (وأقرب رحما) هما به أرحم منهما بالأول التي قتل خضر * وزعم سميد بن جبير أنه ابن
لا جارية وأما داود بن أبي عاصم فقال عن غير واحد أنها جارية * وقد رواه عبدالرزاق عن مسهر عن أبي
اسحق عن سميد بن جبير عن ابن عباس قال خطب موسى بنى اسرائيل فقال ما أحد أعلم بالله وبأسره
منى فأمر أن يلقى هذا الرجل. قد كرموا ما تقدم وهكذا رواه محمد بن اسحق عن الحسن بن عمارة عن
الحكم بن عينة عن سميد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله (ص) كنهوا ما تقدم
أيضا ورواه العوفي عنه موقوفا * وقال الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه تمارى
هو والحريين قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى فقال ابن عباس هو خضر فربها أبي بن كعب
فدعاه ابن عباس فقال إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقيه فهل
سمعت من رسول الله فيه شيئا قال نعم وذكر الحديث وقد تمصينا طرق هذا الحديث والقائه في تفسير
سورة الكهف والله الحمد. وقوله (وأما الجدار فكان لنالامين يقيمون في المدينة) قال السبيل وهما
أمرم وصرم ابنا كاشع. (وكان تحته كنز لهما) قيل كان ذهباً قاله عكرمة وقيل عدا قاله ابن عباس
والأشبه أنه كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه علم قال البزار حدثنا إبراهيم بن سميد الجوهري حدثنا بشر
ابن المنذر حدثنا الحرث بن عبد الله اليمصبي عن عياش بن عباس الضماني عن بن حزيمة عن أبي ذر رفته
قال إن الكنز الذي ذكر الله في كتابه لوح من الذهب مصمت. عجبت لمن أيقن بالقدر كيف نصب وعجبت

لمن ذكر النار لم نضحك وعجبت لمن ذكر الموت كيف غفل لا إله إلا الله . وهكذا روى عن الحسن البصرى .
وعمر مولى عفرة وجمهر الصادق نحو هذا وقوله (وكان أبوهما صالحا) وقد قيل إنه كان الأب السابع
وقيل العاشر . وعلى كل تقدير فيه دلالة على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته فآله المستعان . وقوله (رحمة
من ربك) دليل على أنه كان نبياً وأنه ما فعل شيئاً من تلقاء نفسه بل بأمر ربه فهو نبي وقيل رسول
وقيل ولي وأغرب من هذا من قال كان ملكا قلت وقد أغرب جدا من قال هو ابن فرعون وقيل
إنه ابن ضحاك الذى ملك الدنيا ألف سنة . قال ابن جرير والذى عليه جمهور أهل الكتاب أنه كان في
زمن أفريديون ويقال إنه كان على مقدمة ذى القرنين الذى قيل إنه كان أفريديون وذو الفرس هو الذى
كان في زمن الخليل . وزعموا أنه شرب من ماء الحيوة فخلد وهو باق الى الآن . وقيل إنه من ولد
بعض من آمن بأبراهيم وهاجر معه من ارض بابل وقيل اسمه ملكان وقيل أرميا بن خفيا وقيل كان
نبيا في زمن سباسب بن طراسب قال ابن جرير وقد كان بين أفريديون وبين سباسب دهور طويلة لا يجلبها
أحد من أهل العلم بالأنسب قال ابن جرير والصحيح أنه كان في زمن أفريديون واستمر حيا إلى أن أدركه
موسى عليه السلام وكانت نبوة موسى في زمن منوشهر الذى هو من ولد ابرج بن أفريديون أحد ملوك
الفرس وكان إليه الملك بعد جده أفريديون لهده وكان عادلا وهو أول من خندق الخنادق وأول من جعل
في كل قرية دهقاناً وكانت مدة ملكه قريبا من مائة وخمسين سنة ويقال إنه كان من سلالة اسحاق بن ابراهيم
وقد ذكر عنه من اخطب الحسان والكليم البليغ النافع الفصيح ما يهز القل ويحير السامع وهذا يدل
على أنه من سلالة الخليل . والله أعلم . وقد قال الله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جائكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم الآية)

فأخذ الله ميثاق كل نبي على أن يؤمن بمن يجي بعده من الانبياء وينصره فلو كان الخضر حيا في
زمانه لما وسعه إلا اتباعه والاجتماع به والقيام بنصره ولما كان من جملة من تحت لوائه يوم بدر كما كان
تحتها جبريل وسادات من الملائكة وقصارى الخضر عليه السلام أن يكون نبيا وهو الحق
أورسولا كما قيل أو ملكا فيا ذكر وأيا ما كان فخير من رئيس الملائكة وموسى أشرف
من الخضر ولو كان حيا لوجب عليه الايمان بمحمد ونصرته فكيف ان كان
الخضر ولما كما يقوله طوائف كثيرون فأولى أن يدخل في عموم البعثة وأحرى
ولم ينقل في حديث حسن بل ولا ضيف يمتد أنه جاء يوما واحدا
الى رسول الله (ص) . ولا اجتمع به وما ذكر من حديث التعزية
فيه وان كان الحاكم قد رواه فاستاده ضيف والله أعلم
وستفرد الخضر ترجمة على حدة بد هذا

حَدِيثُ الْقَتُونَ وَالْمَقْتَمِينَ وَصَلَاةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَفَرَسِهَا

قال الامام ابو عبد الرحمن النسائي في كتاب التفسير من سننه عند قوله تعالى في سورة طه (وقتل نفسا فنجيناك من الغم وقتناك فتونا) (حديث القتون) حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا اصبح بن زيد حدثنا القاسم بن أبي أيوب اخبرني سعيد بن جبير قال سألت عبد الله بن عباس عن قول الله تعالى (وقتناك فتونا) فسأله عن القتون ما هو فقال استأف النهار يا ابن جبير فان لها حديثا طويلا فلما أصبحت غدوت الى ابن عباس لا تتجز منه ما وعدني من حديث القتون فقال تذكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد ابراهيم عليه السلام أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكا فقال بعضهم إن بني اسرائيل ينتظرون ذلك ما يشكون فيه وكانوا يظنون انه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا كان وعد ابراهيم فقال فرعون فكيف ترون فاتهموا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا مهم الشفار يطوفون في بني اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه ففعلوا ذلك فلما رأوا أن الكبار من بني اسرائيل يموتون بأجلهم والصغار يذبحون قالوا توشكون أن تقتلوا بني اسرائيل فتصيروا الى أن تباشروا من الاعمال والخدمة الذي كانوا يكتفونكم فقتلوا عاماً كل مولود ذكر فقتل بناتهم ودعوا عاماً فلا تمتلوا منهم أحداً فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار فاتهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فخافوا مكائرتهم إياكم ولن تقتلوا بمن تقتلون وتحتاجون اليهم فاجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا تقتل فيه الغلمان فولدته حلانية آمنة . فلما كان من قابل حملت بموسى عليه السلام فوقع في قلبها الهم والحزن وذلك من القتون .

يا ابن جبير ما دخل عليه في بطن أمه مما يراد فوحى الله اليها أن لا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فامرها اذا ولدت أن تجعله في تابوت وتلقيه في اليم فلما ولدت فملت ذلك فلما توارى عنها ابناها أكلها الشيطان فقالت في نفسها ما فعلت يا بني لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب الي من أن اتقيه الى دواب البحر وحيثانه فانتهى الماء به حتى أوفى عند فريضة تستقي منها جوارى امرأة فرعون فلما رأته أخذته فضمن أن يتحنن التابوت فقال بعضهم ان في هذا مالا وإنا إن فحطنا لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه فحملته كهيته لم يخرج من منه شيئا حتى دفننه اليها فلما فتحت رأت فيه غلاما فالتقى عليه منها محبة لم تلق منها على أحد قط وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً .

ذكر كل شيء إلا من ذكر موسى . فلما سمع الذبابون بأمره أقبلوا بشغارهم الى امرأة فرعون ليذبحوه وذلك من القتون يا ابن جبير فقالت لهم أقروه فان هذا الواحد لا يزيد في بني اسرائيل حتى آتى فرعون

فاستوهبه منه فان وهبه منى كنتم قد أحسنتم وأجملتم وان أمر بذيجه لم أملك فأتت فرعون فقالت (قرة عين لي ولك) فقال فرعون يكون لك فأما لي فلا حاجة لي فيه فقال رسول الله (س)، (والذي يخلف به لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له كما أقرت امرأته لهداه الله كما هداها ولكن حرمه ذلك) فأرسلت الى من حولها الى كل امرأة لمالأن تختار ظئرا فجعل كما أخذته امرأة منهن لترضه لم يقبل على ثديها حتى أشقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فامرت به فأخرج الى السوق وجمع الناس ترجو أن تجد له ظئرا يأخذه منها فلم يقبل وأصبحت أم موسى والهالما فقالت لاخنته قصي أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحى لىنى أم قد أكلته الدواب ونسيت ما كان الله وعدا فيه فبصرت به أخته عن جنب وهم لايشعرون والجنب أن يسمو بصر الانسان الى شئ بعيد وهو الى جنبه لايشعر به فقالت من الفرح حين أعيام الظئرات أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فقالوا ما يدريك ما فصحهم هل يعرفونه حتى شكوا في ذلك . وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت نصحهم له وشقتهم عليه ورغبهم في صهر الملك ورجاء منعة الملك فأرسلوها فانطلقت الى أمها فأخبرتها الخبر فجاءت أمه فلما وضعت في حجرها نزا الى ثديها فمصه حتى امتلأ جنبها ربا وانطلق البشير الى امرأة فرعون يبشرها أن قد وجدنا لابنك ظئرا فأرسلت اليها فأتت بها وبه . فلما رأت ما يصنع بها قالت أ مكئى ترضى ابني هذا فاقى لم أحب شيئا حبه قط قالت أم موسى لا أستطيع أن أترك بتي وولدى فيضيع فان طابت نفسك أن تمطينيه فأذهب به إلى بتي فيكون معى لا آله خيرا فقلت فاقى غير تاركة بتي وولدى وذكرت أم موسى ما كان الله وعدا فتماسرت على امرأة فرعون وايقنت أن الله منجز موعوده فرجعت الى بيتها من يومها وأنته الله نباتا حسنا وحفظ لما قد قضى فيه فلم يزل بنو اسرائيل وم فى ناحية القرية ممتنعين من السخرة والظلم ما كان فيهم فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لام موسى أرئبى ابني فوعدها يوما تريها اياه فيه وقالت امرأة فرعون نلزانها وظهورها وقهارمتها لايقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية وكرامة لارى ذلك فيه وأنا باعثة أمينا يحصى كل ما يصنع كل انسان منكم فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه الى أن دخل على امرأة فرعون . فلما دخل عليها نحلته وأكرمته فرحت به ونحلت أمه بمس أثرها عليه . ثم قالت لا آتين به فرعون فلينحلته وليكرمه فلما دخلت به وعليه جملة فى حجره فتناول موسى حلية فرعون فهداها الى الارض فقال الفتوة من أعداء الله لفرعون ألا ترى ما وعد الله ابراهيم نبيه أنه زعم أن يرثك ويملوك ويصرعك فأرسل الى الذباحين ليذبحوه . وذلك من الفتون يا ابن جبير بسد كل بلاه ابتلى به وأريد به فجاءت امرأة فرعون تسعى الى فرعون فقالت ما بدالك فى هذا الغلام الذى وهبته لي فقال ألا تريه زعم أنه يعصرغى ويملوى فقالت اجعل بتي وبينك أمرا تعرف فيه الحق أنت بيجرتين ولؤلؤتين قهرهن اليه فان بطش باللؤلؤتين

واجتنب الجرئين عرفت أنه يعقل وان تناول الجرئين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحدا لا يؤثر الجرئين على اللؤلؤتين وهو يعقل يقرب اليه فتناول الجرئين فانزعجها منه مخافة أن يحرقا يده فقالت المرأة الأترى فصرفه الله عنه بعد ما كان هم به وكان الله بالعافية أمره . فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بني اسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع . فيينا موسى عليه السلام يمشي في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتلان أحدها فرعوى والآخر اسرائيلي فاستغاثه الاسرائيلي على الفرعوى فغضب موسى غضبا شديدا لأنه تناوله وهو يعلم منزله من بني اسرائيل وحفظه لهم مالم يطلع عليه غيره فوكر موسى الفرعوى قتلته وليس يراها أحد إلا الله عز وجل والاسرائيلي قال موسى حين قتل الرجل (هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين) ثم قال (رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للعجمين فاصبح في المدينة خائفا يترقب) الاخبار فأتى فرعون قبيل له إن بني اسرائيل تناووا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فقال ابترى قاتله من يشهد عليه فان الملك وان كان صفوه مع قومه لا ينبغي له أن يقتل بغير بيعة ولا ثبت فاطلبوا الى علم ذلك أخذ لكم بحقكم فيينا هم يطوفون لا يجدون بيعة اذا موسى من الغد قد رأى ذلك الاسرائيلي يقاتل رجلا من آل فرعون آخر فاستغاثه الاسرائيلي على الفرعوى فصادف موسى قد ندم على ما كان منه وكره الذي رأى فغضب الاسرائيلي وهو يريد أن يبسط بالفرعوى فقال للاسرائيلي لما فعل بالاسم واليوم (انك لغوى مبين) فنظر الاسرائيلي الى موسى بعد ما قال له ما قال فاذا هو غضبان كغضبه بالاسم الذي قتل فيه الفرعوى فخاف أن يكون بعد ما قال له إنك لغوى مبين أن يكون إياه أراد ولم يكن أرادها إنما أراد الفرعوى فخاف الاسرائيلي * وقال موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالاسم وانما قال له مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقنته فتنازكا وانطلق الفرعوى فاخبرهم بما سمع من الاسرائيلي من الخبر حين يقول أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالاسم فلا رسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى فأخذ رسل فرعون الطريق الاعظم يمشون على هيتهم يطلبون موسى وهم لا يخافون ان يفوتهم فجاء رجل من شيعة موسى من اقصى المدينة فاخصر طريقا حتى سبقهم الى موسى فأخبره . وذلك من الفتون يا ابن جبير فخرج موسى متوجها نحو مدين لم يلق بلاء قبيل ذلك وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه عز وجل فانه قال (عسى ربي ان يهديني سواء السبيل . ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراةين تذودان) يعنى بذلك حابستين غنمهما قال لهما (ما خبطكما) معتزلتين لاسقيان مع الناس قالتا ليس لنا قوة تراحم القوم وإنما ننظر فضول حياضهم فسقى لهما فجعل يعرف من اللوامه كثيرا حتى كان أول الرعاء وانصرفتا فغنمهما الى أبيهما وانصرف موسى فاستظل بشجرة (وقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير) واستنكر أبوها سرعة صدورهما فغنمهما حثلا بطانا فقال ان لكما اليوم لثانا فاخبرناه بما

صنع موسى فامر احدهما أن تدعوه فانت موسى فدعته فلما كمل قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ليس
 لفرعون ولا قومه علينا من سلطان ولسنا في مملكتك (قالت احدهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت
 القوي الأمين) فاحتمته الغيرة على أن قال لها ما يدريك ما قوته وما أماته فقالت أما قوته فما رأيت منه
 في الدلو حين سقى لنا لم أر رجلا قط أقوى في ذلك السقي منه . وأما الامانة فانه نظر الى حين أقبلت اليه
 وشخصت له فلما علم أنى امرأة صوب رأسه فلم يرفعه حتى بلقته رسالتك . ثم قال لي امشي خلفي وافقني الى
 الطريق فلم يفعل هذا إلا وهو أمين فسرى عن أيها وصدقها وظن به الذي قالت فقال له هل لك (إن
 أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرتي ثمانى حجج فان اتهمت عشرا فن عندك وما أريد ان اشق
 عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) ففعل فسكانت على نبي الله موسى ثمان سنين واجبة وكانت
 الستان عدة منه قضى الله عنه عدته فاتها عشرا . قال سعيد هو ابن جبير فلقيني رجل من أهل النصرانية
 من علمائهم قال هل تدري أى الأجلين قضى موسى قلت لا وأنا بومئذ لا أدري فلقيت ابن عباس فذكرت
 ذلك له فقال أما علمت أن ثمانية كانت على نبي الله واجبة لم يكن نبي الله لينقص منها شيئا وتعلم أن الله
 كان قاضيا عن موسى عدته التى وعدة فانه قضى عشر سنين فلقيت النصرانى فاخبرته ذلك فقال الذى
 سألته فانخبرك أعلم منك بذلك قلت أجل وأولى فلما سار موسى بأهله كان من أمر النار والمعنى وبه
 ما قص الله عليك فى القرآن فشكا الى الله تعالى ما يتخوف من آكل فرعون فى التبتيل وعقدة لسانه فانه
 كان فى لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يمينه بلخيه هرون يكون له رداً ويتكلم عنه
 بكثير مما لا يفصح به لسانه فاتاه الله عز وجل وحل عقدة من لسانه وأوحى الله الى هرون فامرته أن يقامه
 فاندفع موسى بمصاه حتى لقي هرون فانطلقا جميعا الى فرعون فاقاما على بابه حين لا يؤذن لها . ثم أذن
 لها بمد حجاب شديد قالوا إنا رسولا ربك فقال فمن ربك فاخبره بالذى قص الله عليك فى القرآن قال
 فما تريدان وذكره التبتيل فاعتذر بما قد سمعت قال أريدان تؤمن بالله وترسل معى بنى إسرائيل فأبى
 عليه وقال أئت باية إن كنت من الصادقين فالتقى عصاه فاذا هى ثعبان عظيمة فاغرة فاها مسرعة الى
 فرعون فلما رأى فرعون قاصدة اليه خافها وأقبحم عن سريره وأستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل . ثم
 أخرج يده من جيبه فراهها يبيض من غير سوء . معنى من غير برص . ثم ردها فمادت ال لونها الأول
 فاستشار الملأ حوله فيما رأى فقالوا له (هذان ساحران يريدان أن يخرجاك من أرضكم بسحرهما ويذهبا
 بطريقتك المثلى) معنى مملكمم الذى هم فيه والعيش وأبوا على موسى أن يعطوه شيئا مما طلب وقتلوا له إجماع
 السحرة فانهم بلوضك كثير حتى تغلب بسحرك سحرهما فارسل الى المدائن فحشر له كل ساحر متعلم فلما
 أتوا فرعون قالوا بم يعمل السحر قالوا يعمل بالحيات قالوا فلا والله ما احد من الارض يعمل السحر
 بالحيات والحبال والمعنى الذى نعمل وما أجرنا إن نحن غلبنا قال لهم أنتم أقاربي وخاصتى وأنا صانع

اليكم كل شئ أحببتم فتواعدوا يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى) قال سعيد الخدثي ابن عباس أن يوم الزينة اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة هو يوم عاشوراء فلما اجتمعوا في صعيد قال الناس بعضهم لبعض اطلقوا فلنحضر هذا الامر لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين يمتنون موسى وهرون استهزاء بهما فقالوا يا موسى بعد تريهم بسحرم (إما أنت تلقى وإما أن نكون نحن الملقين) قال بل أتوا فالتوا بحبلهم وعصيمهم وقالوا بمرزة فرعون إنا لنحن الغالبون فرأى موسى من سحرم ما أوجس في نفسه خيفة فأوحى الله إليه أن الق عصاك فلما القاها صارت ثعبانا عظيمة فاغرة فاها فجعلت العصى تلتبس بالحبال حتى صارت جرزاً على الثعبان أن تدخل فيه حتى ما أقت عصا ولا حبلا إلا ابتلته فلما عرف السحرة ذلك قالوا لو كان هذا سحرا لم تبلع من سحرنا كل هذا ولكنه أمر من الله تعالى آمنا بالله وبما جاء به موسى وتوب الى الله بما كنا عليه فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه وظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك واقتلوا صاغرين وامرأة فرعون بارزة مبتدلة تدعوا لله بالنصر لموسى على فرعون وأشياعه فن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما ابتدأت للشقة على فرعون وأشياعه وإنما كان حزنها وهما لموسى فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة كلما جاء بآية وعده عندها أن يرسل معه بنى إسرائيل فإذا مضت أخلف من غده وقال هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا فأرسل الله على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه ويواقفه على أن يرسل معه بنى إسرائيل فإذا كف ذلك عنه أخلف بوعدة ونسك عهده حتى أسر موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلا فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا أرسل في المداين حاشرين فتبعه بمجنود عظيمة كثيرة وأوحى الله الى البحر اذا ضربك موسى عبدي بعصاه فانقلب اثنتي عشرة فرقة حتى يجوز موسى ومن معه ثم التقي على من بقي بعد من فرعون واشياعه فنتسى موسى أن يضرب البحر بالعصى واتهى الى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصيا لله عز وجل فلما ترائى الجمعان وتقاربا قال أصحاب موسى إنا لمدركون إفضل ما أمرك به ربك فإنه لم يكذب ولم تكذب قال وعدنى ربى اذا أتيته البحر انفرق اثنتي عشرة فرقة حتى أجاوزه ثم ذكر بعد ذلك العصى فضرب البحر بعصاه حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى فانفرك البحر كما أمره ربه وكما وعد موسى فلما جاوز موسى وأصحابه كلهم البحر ودخل فرعون وأصحابه التقي عليهم البحر كما أمر فلما جاوز موسى قال أصحابه إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ولا تؤمن بهلاكه فدعا ربه فاخرجه له بيدنه حتى استيقنوا بهلاكه ثم سر وا بعد ذلك على قوم يكفون على أصنامهم (قالوا يا موسى اجعل لنا إلهة كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) قد رأيت من العبر وسعتم ما يكفبكم ومضى فانزلهم موسى منزلا

وقال أطيموا هارون فان الله قد استخلفه عليكم فاني ذاهب الى ربى واجلهم ثلاثين يوماً ان يرجع اليهم فيها فلما أتى ربه عز وجل وأراد أن يكلمه في ثلاثين يوماً وقد صامهن ليلين ونهارهن وكره ان يكلم ربه وريح فيه فم الصائم فتناول موسى شيئاً من نبات الارض فمضغه فقال له ربه حين أتاها لم أفطرت وهو أعلم بالذي كان قال يارب إني كرهت أن أكلمك الا وفي طيب الريح. قال او ما علمت يا موسى ان ريح فم الصائم أطيب من ريح المسك إرجع فمض عشرين ثم اثنتي ففضل موسى ما أمره به ربه فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع اليهم في الاجل ساءم ذلك وكان هارون قد خطبهم فقال إنكم خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندهم عوارى وودائع ولكم فيها مثل ذلك وانا أرى ان تحتسبوا مالكم عندهم ولا أحل لكم وديمة استودعتموها ولا عارية ولنسنا برادين اليهم شيئاً من ذلك ولا ممسكية لانسنا فخر حفيرا وأمر كل قوم عندهم من ذلك متاع أو حلية أن يقذفوه في ذلك الحفير. ثم أوقد عليه النار فاحرقه فقال لا يكون لنا ولا لهم * وكان السامري من قوم يمدون البقر جيران لبني اسرائيل ولم يكن من بني اسرائيل فاحتمل مع موسى وبني اسرائيل حين احتملوا قضي له أن رأى اثراً قبض منه قبضة فر بهارون قتاله هارون ياسامري الا تلقى مافي يدك وهو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك فقال هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ولا القىها لشيء الا أن تدعو الله اذا ألقىها أن يكون ما أريد فالتقاها ودعا له هارون فقال أريد أن تكون مجللاً فاجتمع ما كان في الحفرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار مجللاً أجوف ليس فيه روح له خوار قال ابن عباس لا والله ما كان فيه صوت قط إنما كانت الريح تدخل من دبره وتخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك ففرق بنو اسرائيل فرقا فصالت فرقة ياسامري ماهذا وأنت أعلم به قال هذا ربكم ولسكن موسى اضل الطريق وقالت فرقة لا نكذب بهذا حتى يرجع الينا موسى فان كان ربنا لم نسكن ضيمناه وعجزنا فيه حتى رايناه وان لم يكن ربنا فانا تتبع قول موسى وقالت فرقة هذا من عمل الشيطان وليس ربنا ولا تؤمن به ولا تصدق واشرب فرقة في قلوبهم الصديق بما قال السامري في العجل وأعلنوا التكذيب به فقال لهم هارون عليه السلام يا قوم إنا نعلمكم به وان ربكم الرحمن ليس هذا قالوا فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوماً ثم اخلفنا. هذه أربعون يوماً قد مضت قال سفهاؤهم اخطأ ربه فهو يطلبه ويتغيبه فلما كالم الله موسى وقال له ما قال سببه بما لقي قومه من بده فرجع الى قومه غضبان أسفا فقال لهم ما سمعتم ما في القرآن (وأخذ برأس أخيه يجره) اليه وألقى الاواح من النضيب ثم إنه عذر أخاه بذره واستغفر له فانصرف الى السامري فقال له ما حالك على ما صنعت (قال قبضت قبضة من أثر الرسول) وطلنت لها وعميت عليكم ففقدتها (وكذلك سولت لي نفسى قال فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا ماساس وإن لك موعداً لن يخلفه وانظر الى الهلك التي ظلت عليه عا كنا لنحرقه ثم لنسفنه في اليم نسفاً) ولو كان إلهاً لم يخلص الى ذلك منه فاستيقن بنو اسرائيل بالفتنة واغضب

الذين كان رأيهم فيه مثل رأى هرون قالوا لجامعهم ياموسى سل لنا أن يفتح لنا باب توبة فنصنعها فتكفر
عنا ما فعلنا فاختر موسى قومه سبعين رجلاً لذلك لا يألوا الخبير خيار بنى اسرائيل ومن لم يشرك في الحق
فاطلق بهم يسأل لهم التوبة فرجفت بهم الأرض فاستحيا نبي الله عليه السلام من قومه ومن وفده حين
فل بهم ما فعل قال لو شئت لاهلككم من قبل وإياى أهلكنا بما فعل السفهاء منا وفيهم من كان الله
اطلع منه على ما أشرب قلبه من حب العجل وإيمان به فلذلك رجفت بهم الأرض فقال (رحمتى وسعت كل
شئ فسأ كتبنا للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمى
الذى يجدهونه مكتوباً عندم في التوراة والانجيل) فقال يارب سألتك التوبة تقوى قلت إن رحمتى كتبها
لقوم غير قومي فليتك أخرتني حتى تخرجني في أمة ذلك الرجل المرحوم فقال له إن توبتهم أن يقتل كل
رجل من لقي من والد وولد فيقتله بالسيف لا يبالى من قتل في ذلك الموطن . وتلب أولئك الذين كان
خفى على موسى وهرون واطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا وغفر الله للقاتل والمتقول
ثم سار بهم موسى عليه السلام متوجها نحو الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعد ما سكنت عنه الغضب
فأمرهم بالذى أمر به من الوظائف ففعل ذلك عليهم وأبوا أن يقرأوها وتقى الله عليهم الجبل كأنه ظلة
ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم وأخذوا الكتاب بايمانهم وهم مصفون ينظرون الى الجبل والكتاب
بايديهم وهم من وراء الجبل مخافة أن يقع عليهم ثم مضوا حتى أتوا الأرض المقدسة فوجدوا مدينة فيها
قوم جبارون خلقهم خلق منكر وذكر من ثمارهم أسراراً عجيبة من عظمها قالوا ياموسى إن فيها قوماً جبارين
لا طاقة لنا بهم ولا ندخلها ماداموا فيها فان يخرجوا منها فانا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون
قيل ليزيد هكذا قراه قال نعم من الجبارين آمننا بموسى وخرجنا اليه قالوا نحن أعلم بقومنا إن كنتم إنما
تخافون ما رأيتم من أجسامهم وعددهم قاتم لا قلوب لهم ولا منة عندهم فادخلوا عليهم الباب فاذا
دخلتموه فانكم غالبون ويقول أناس إنهم من قوم موسى فقال الذين يخافون من بنى اسرائيل (قالوا
ياموسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) فغضبوا موسى فدعا
عليهم وسامهم فاستقن ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المصيبة وإساءتهم حتى كان يومئذ فاستجاب
الله م وسامهم كما سأم فاستقن فخرمها عليهم أربعين سنة يقيمون في الأرض يصبحون كل يوم فيسبرون ليس
لهم قرار ثم ظلل عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المن والسوى وجعل لهم ثياباً لا تبلى ولا تتسخ
وجعل بين ظهرانيهم حجراً مرعباً وأمر موسى فضربه بعصاه فأنجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل
نحية ثلاثة أعين وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها فلا يرتحلون من محله إلا وجدوا ذلك الحجر
بالمكان الذى كان فيه بالاسم * رفع ابن عباس هذا الحديث الى النبي (ص) وصدق ذلك عندى أن
معاوية سمع ابن عباس هذا الحديث فانكر عليه أن يكون الفرعونى الذى أفتى على موسى أمر القتل الذى

قتل فقال كيف يفشى عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الاسرائيلي الذي حضر ذلك فضضب ابن عباس فاخذ ييد معاوية فانطلق به الى سعد بن مالك الزهري فقال له ياأبا اسحق هل تذكر يوم حدثنا رسول الله (ص) عن قتيل موسى الذي قتل من آل فرعون . الاسرائيلي الذي أفشى عليه ام الفرعوني قال إنما أفشى عليه الفرعوني بما سمع الاسرائيلي الذي شهد ذلك وحضره هكذا ساق هذا الحديث الامام النسائي وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما من حديث يزيد بن هرون والاشه والله أعلم أنه موقوف وكونه سرفوعا فيه نظر وغالبه متلقى من الاسرائيليات وفيه شيء يسير مصرح برفضه في أثناء الكلام وفي بعض ما فيه نظر ونسكارة والاغلب أنه كلام كعب الاحبار وقد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني يقول ذلك والله أعلم

بناء قبّة الزمان

قال أهل الكتاب وقد أمر الله موسى عليه السلام بعمل قبة من خشب الشمشار ووجود الانعام وشعر الاغنام وأمر بزيتها بالحرير المصبغ والذهب والفضة على كيفيات مفصلة عند أهل الكتاب ولها عشر سرادقات طول كل واحد ثمانية وعشرون ذراعا وعرضه أربعة أذرع ولها أربعة أبواب وأطواب من حرير ودمقس مصبغ وفيها رفوف وصفائح من ذهب وفضة ولكل زاوية بيان وأبواب أخر كبيرة وستود من حرير مصبغ وغير ذلك مما يطول ذكره وبعمل تابوت من خشب الشمشار يكون طوله ذراعين ونصفا وعرضه ذراعين وأرتفاعه ذراعا ونصفا ويكون مضيئا بذهب خالص من داخله وخارجه وله أربع حلق في أربع زواياه ويكون على حافته كرويان من ذهب يعنون صفة ملكين باجنحة وهما متقابلان صفة رجل اسمه بصليال وأمره أن يعمل مائة من خشب الشمشار طولها ذراعا وعرضها ذراع ونصف لها ضباب ذهب واكليل ذهب بشعة مرتفعة باكليل من ذهب واربع حلق من نواحيها من ذهب معدرة في مثل الزمان من خشب ملبس ذهباً واعمل صحافاً ومصافى وقصاعاً على المائة واصنع منارة من الذهب حلى فيها ست قصبات من ذهب من كل جانب ثلاثة . على كل قصبة ثلاث سرج وليسكن في المنارة أربع قناديل وتسكن هي وجميع هذه الآنية من قنطار من ذهب صنع ذلك بصليال أيضا وهو الذي عمل المذبح أيضا ونصب هذه القبة أول يوم من سنتهم وهو أول يوم من الربيع ونصب تابوت الشهادة وهو والله أعلم المذكور في قوله تعالى (ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) وقد بسط هذا الفصل في كتابهم مطولا جداً وفيه شرائع لهم وأحكام وصفة قرباتهم وكيفيته وفيه ان قبة الزمان كانت موجودة قبل عبادتهم المعجل الذي هو متقدم على مجيئ بيت المقدس وانما كانت لهم كالقبة

يصلون فيها واليهما ويتقربون عندها وأن موسى عليه السلام كان إذا دخلها يقفون عندها وينزل
 عمود النعام على بابها فيخرون عند ذلك سجدا لله عز وجل ويكلم الله موسى عليه السلام من ذلك العمود
 النعام الذي هو نور ويخطبه ويناجيه ويأمره ويهاه وهو واقف عند التابوت صامدا إلى ما بين الكرويين
 فإذا فصل الخطاب يخبر بني إسرائيل بما أوحاه الله عز وجل إليه من الأوامر والنواهي وإذا تكلموا إليه
 في شيء ليس عنده من الله فيه شيء يجيئ إلى قبة الزمان ويقف عند التابوت ويصعد لما بين ذينك الكرويين
 فيأتيه الخطاب بما فيه فصل تلك الحكمة وقد كان هذا مشروعا لهم في زمانهم أعنى استعمال الذهب
 والحري المصنوع والآلئ في معبدهم وعند مصلام فإما في شريعتنا فلا بل قد نهينا عن زخرفة المساجد وتزيينها
 لئلا تشغل المصلين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما وسع في مسجد رسول الله (ص) للذي وكاه
 على عمارته ابن للناس ما يكنهم وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس * وقال ابن عباس لنزخرفها كما
 زخرفت اليهود والنصارى كنتاجهم وهذا من باب التشريف والتكريم والتزينة فهذه الأمة غير مشابهة
 من كان قبلهم من الأمم إذ جمع الله همهم في صلاحهم على التوجه إليه والاقبال عليه وصان ابصارهم
 وخراطهم عن الاشتغال والتفكر في غير ما هم بصده من العبادة العظيمة فله الحمد والمنة وقد كانت قبة
 الزمان هذه مع بني إسرائيل في التيه يصلون إليها وهي قبلتهم وكتبهم وكتبهم وإمامهم كليم الله موسى عليه
 السلام ومقدم القريان أخوه هارون عليه السلام * فلما مات هارون ثم موسى عليهما السلام استمرت بنو
 هارون في الذي كان يليه أبوم من أسر القريان وهو فيهم إلى الآن وقام بأعباء النبوة بمد موسى وتدير
 الأمر بعده فتاه يوشع بن نون عليه السلام وهو الذي دخل بهم بيت المقدس كما سيأتي بيانه والمقصود هنا
 أنه لما استقرت يده على البيت المقدس نصب هذه القبلة على صخرة بيت المقدس فكانوا يصلون إليها فلما بادت
 صلوا إلى محلها وهي الصخرة فلماذا كانت قبلة الأنبياء بعده إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
 صلى إليها رسول الله (ص) قبل الهجرة وكان يجعل الكعبة بين يديه * فلما هاجر أمر
 بالصلاة إلى بيت المقدس فصلى إليها ستة عشر * وقيل سبعة عشر شهرا * ثم حوت
 القبلة إلى الكعبة وهي قبلة إبراهيم في شعبان سنة ثنتين في وقت صلاة العصر
 وقيل الظهر كما بسطنا ذلك في التفسير عند قوله تعالى سيقول السفهاء
 من الناس ما ولاءهم عن قبلتهم التي كانوا عليها إلى قوله قد نرى
 قلب وجبهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول
 وجهك شطر المسجد الحرام . الآيات

قصة قارون مع موسى عليه السلام

قال الله تعالى (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم . وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون . فحسبنا به وبداره الأرض فما كان له من فقه ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . واصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) قال الاعمش عن المنهال بن عمرو ابن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان قارون بن عم موسى وكذا قال ابراهيم النخعي وعبد الله ابن الحرث بن نوفل وسماك بن حرب وقتادة ومالك ابن دينار وابن جريج وزاد فقال هو قارون بن يصهر بن قاهث وموسى بن عمران بن هافث . قال ابن جريج وهذا قول أكثر أهل العلم أنه كان ابن عم موسى . ورد قول ابن اسحاق إنه كان عم موسى قال قتادة وكان يسمى النور لحسن صوته بالثوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فاهلكه البغي لكثرة ماله . وقال شهر بن حوشب زاد في ثيابه شبرا طولا ترفضا على قومه . وقد ذكر الله تعالى كثرة كنوزه حتى أن مفاتيحه كان يتحمل حملها على القيام من الرجال الشداد وقد قيل إنها كانت من الجلود وإنها كانت تحمل على ستين بغلا فله أعلم وقد وعظه النصحاء من قومه قائلين لا تفرح أى لا تبطر بما أعطيت وتفتخر على غيرك (ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) يقولون لتكن همتك مسروقة لتحصيل ثواب الله في الدار الآخرة فانه خير وأبقى ومع هذا (لا تنس نصيبك من الدنيا) أى وتناول منها بما لك ما أحل الله لك فتمتع لنفسك بالبلاد العلية الحلال (واحسن كما أحسن الله إليك) أى واحسن الى خلق الله كما أحسن الله خالقهم وبإمرتهم إليك (ولا تبغ الفساد في الأرض) أى ولا تنسى الهم ولا تفسد فيهم فتقابلهم ضد ما أمرت فيهم فيما قبك ويسلبك ما وهبك (ان الله لا يحب المفسدين) فما كان جواب قومه . لهذه النصيحة الصحيحة الصريحة الفصيحة إلا أن (قال إنما أوتيته على علم عندي) يعنى أنا لا أحتاج الى استعمال ما ذكرتم ولا الى ما اليه أشرتم فان الله إنما أعطاني هذا لعله أتى أستحقه وأنى أهل له ولولا أنى حبيب اليه وحظى عنده لما

أعطاني ما أعطاني قال الله تعالى ردا عليه ما ذهب اليه (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون) أي قد أهلكنا من الامم الماضين بذنوبهم وخطاياهم من هو أشد من قارون قوة وأكثر أموالا وأولادا فلو كان ما قال صحيحا لم نقاب أحدا من كان أكثر مالا منه ولم يكن ماله دليلا على محبتنا له واعتنائنا به كما قال تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا بل لا يشعرون) وهذا الرد عليه يدل على صحة ما ذهبنا اليه من معنى قوله (إنما أوتيته على علم عندى) وأما من زعم أن المراد من ذلك أنه كان يعرف صنعة الكيمياء أو أنه كان يحفظ الاسم الاعظم فاستعمله في جمع الاموال فليس بصحيح لان الكيمياء تخييل وصيغة لا تخيل الحقائق ولا تشابه صنعة الخالق والاسم الاعظم لا يصعد الدعاء به من كافر به وقارون كان كافرا في الباطن منافقا في الظاهر . ثم لا يصح جوابه لهم بهذا على هذا التقدير ولا يبق بين الكلامين تلازم وقد وضعنا هذا في كتابنا التفسير والله الحمد . قال الله تعالى (فخرج على قومه في زينته) ذكر كثير من المفسرين أنه خرج في تجمل عظيم من ملابس وسراكب وخدم وحشم فلما رآه من يعظم زهرة الحياة الدنيا تمنوا أن لو كانوا مثله وغبطوه بما عليه وله فلما سمع مقالهم العلماء ذوو الفهم الصحيح الزهاد الالباء قالوا لهم (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا) أي ثواب الله في الدار الآخرة خير وأبقى وأجل وأعلى قال الله تعالى ولا يلقاها إلا الصابرون أى وما يلقى هذه النصيحة وهذه المقالة وهذه الهمة السامية الى الدار الآخرة العلية عند النظر الى زهرة هذه الدنيا الدنية إلا من هدى الله قلبه وثبت فؤاده وأيد له وحق مراده ومأحسن ما قال بعض السلف إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات والمقل الكامل عند حلول الشهوات . قال الله تعالى نخسفنا به وبداره الارض فما كان له من قوة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . لما ذكر تعالى خروجه في زينته واختياله فيها وغفره على قومه بها قال نخسفنا به وبداره الارض كما روى البخارى من حديث الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي (س) قال ينار رجل يجر ازاره إذ خسف به فهو يتجلبج في الارض الى يوم القيامة . ثم رواه البخارى من حديث جرير بن زيد عن سالم عن أبي هريرة عن النبي (س) نحوه . وقد ذكر ابن عباس والسدي أن قارون أعطى امرأة بني مالا على أن تقول لوسى عليه السلام وهو في ملأ من الناس إنك ضلت بي كذا وكذا فيقال إنها قالت له ذلك فارعد من الفرق وصلى ركعتين . ثم أقبل عليها فاستحلفها من ذلك على ذلك وما حلك عليه فذكرت أن قارون هو الذى حملها على ذلك واستغفرت الله وثابت اليه فتد ذلك خر موسى لله ساجدا ودعا الله على قارون فأوحى الله اليه انى قد أمرت الارض أن تطيعك فيه فامر موسى الارض أن تبتمه وداره فكان ذلك فالله أعلم وقد قيل إن قارون لما خرج على قومه في زينته سر

بجحفله وبناله وملابسه على مجلس موسى عليه السلام وهو يذكر قومه بإيام الله فلما رآه الناس انصرفت وجوه كثير من الناس ينظرون اليه فدعا موسى عليه السلام فقال له ما حملك على هذا فقال يا موسى أما لئن كنت فضلت على بالنبوة فلقد فضلت عليك بلال ولئن شئت لتخرجن فلتدعون على ولأدعون عليك فخرج وخرج قارون في قومه فقال له موسى تدعو أو أدعو قال ادعوا أنا فدعى قارون فلم يجب في موسى فقال موسى ادعوا قال نعم فقال موسى اللهم سر الأرض فلتطنى اليوم فوحي الله اليه إني قد ضلت فقال موسى يا أرض خذنيهم فانخذتهم الي أقدامهم ثم قال خذنيهم فانخذتهم الي ركبهم ثم الي مناكبهم ثم قال اقبلى بكنوزهم وأموالهم فأقبلت بها حتى نظروا اليها ثم أشار موسى بيده فقال اذهبوا بني لاوى فاستوت بهم الأرض . وقد روى عن قتادة أنه قال يخسف بهم كل يوم قامة الي يوم القيامة . وعن ابن عباس أنه قال خسف بهم الي الأرض السابعة . وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا إسرئيليات كثيرة اضربنا عنها صفحاً وتركناها قصداً . وقوله تعالى (فإنا كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) لم يكن له ناصر من نفسه ولا من غيره كما قال (فاله من قوة ولا ناصر) ولما حل به ما حل من الخسف وذهاب الاموال وخراب الدار واهلاك النفس والاهل والمقار ندم من كان تمنى مثل ما أوتى وشكروا . الله تعالى الذى يدبر عياده بما يشاء من حسن التدبير المحزون ولهذا قالوا (لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويك انه لا يفلح الكافرون) وقد تكلمنا على لفظ ويك في التفسير وقد قال قتادة ويكأن بمعنى ألم تران وهذا قول حسن من حيث المعنى والله أعلم . ثم أخبر تعالى (أن الدار الاخرة) وهى دار القرار وهى الدار التى يغبط من أعطيها ويعزى من حرما لها هى سعدة للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فسادا . فالملو هو التكبر والفخر والاشتر والبطر والفساد هو عمل المعاصى اللازمة والمتمدية من أخذ أموال الناس وافساد ما يشبههم والاساءة اليهم وعدم النصيح لهم ثم قال تعالى (والمأبىة للعتيقين) وقصة قارون هذه قد تكون قبل خروجهم من مصر لقوله فخسفنا به وبداره الأرض فان الدار ظاهرة فى البنيان وقد تكون بعد ذلك فى التيه وتكون الدار عبارة عن الحلة التى تضرب فيها الخيل كما قال عترة .

يادَارُ عِبَلَةَ بِالْجَوَارِ نَكَلِي * * * وَعَمِي صَباحاً دَارَ عِبَلَةَ وَأَسْلِي

والله أعلم . وقد ذكر الله تعالى مذمة قارون فى غير ما آية من القرآن . قال الله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الي فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) وقال تعالى فى سورة النجىوت بعد ذكر عاد وثمود . وقارون وفرعون وهامان (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات فاستكبروا فى الأرض وما كانوا سابقين فسكلا اخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) فالذى خسف به

الارض قارون كما تقدم والذى أغرق فرعون وهامان وجنودهما أنهم كانوا خاطئين . وقد قال الامام احمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد حدثنا كعب بن علقمة عن عيسى بن هلال الصدقي عن عبد الله بن عمرو عن النبي (س)، أنه ذكر الصلاة يوماً فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف . انفرذ به احمد رحمه الله .

باب فضائل موسى عليه السلام وشمائله وصفاته ووفائه

قال الله تعالى (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا). وقال تعالى قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) . وتقدم في الصحيحين عن رسول الله (س)، أنه قال لا تفضلوني على موسى فان الناس يصعدون يوم القيامة فاكون أول من يفيق فاجد موسى باطنا بقائمة المرش فلا أدري أصمق فالفاق قبلي أم جوزى بصمقة الطور . وقدمنا أنه من رسول الله (س)، من باب الهضم والتواضع وإلا فهو صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم في الدنيا والاخرة قطعا جزما لا يمحتمل النقيض . وقال تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والانسباط) الى أن قال (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم قصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكفروا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها) قال الامام أبو عبد الله البخارى حدثنا اسحق بن ابراهيم بن روح بن عباد عن عرف عن الحسن ومحمد وخلاس عن أبي هريرة قال قال رسول الله (س)، إن موسى كان رجلا حيا ستيلا يبرى جلده شئ استحياء منه فأذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر الامن عيب بجلده إما برص أو أدرة واما آفة وأن الله عز وجل أراد أن يبرأه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر * ثم اغتسل فلما فرغ اقبل على ثيابه ليأخذها وأن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى الى ملا من بني اسرائيل فرأوه عرباناً احسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بصاه فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً قال فذلك قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها) . وقد رواه الامام احمد من حديث عبيد الله بن شقيق وهام بن منبه عن أبي هريرة به وهو في الصحيحين من حديث عبدالرزاق عن معمر عن همام عنه به ورواه مسلم من حديث هبذ الله بن شقيق العميلي عنه *

قال بعض السلف كان من وجاهته أنه شفع في أخيه عند الله وطلب منه أن يكون معه وزيراً فأجابته الله إلى سؤاله وأعطاه طلبته وجعله نبياً كما قال (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبياً) ثم قال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة حدثنا الأعمش سألت أبا وائل قال سمعت عبد الله قال قال قسم رسول الله (س) قسماً فقال رجل إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فأتيت النبي (س) ففضض حتى رأيت الفضض في وجهه * ثم قال يرحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر . وكذا رواه مسلم من غير وجه عن سليمان بن مهران الأعمش به . وقال الامام أحمد حدثنا أحمد بن حجاج سمعت اسرائيل ابن يونس عن الوليد بن أبي هاشم مولى لممدان عن زيد بن أبي زائد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله (س) لا يحبه لا يبلغني أحد عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر قال وأتى رسول الله (س) مال قسمته قال فررت برجلي وأحدهما يقول لصاحبه والله ما أراد محمد بقسته وجه الله ولا الدار الآخرة فثبت حتى سمعت ما قال . ثم أتيت رسول الله فقلت يا رسول الله إنك قلت لنا لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً وإني سررت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا فاحر وجه رسول الله (س) وشق عليه . ثم قال دعنا منك فقد أودى موسى أكثر من ذلك فصبر . وهكذا رواه أبو داود والترمذي من حديث اسرائيل عن الوليد بن أبي هاشم وفي رواية للترمذي ولأبي داود من طريق ابن عبد عن اسرائيل عن السدي عن الوليد به وقال الترمذي غريب من هذا الوجه . وقد ثبت في الصحيحين في أحاديث الاسراء أن رسول الله (س) مر بموسى وهو قائم يصلي في قبره . ورواه مسلم عن أنس . وفي الصحيحين من رواية قتادة عن أنس عن مالك بن صمعة عن النبي (س) أنه مر ليلة أسرى به بموسى في السماء السادسة فقال له جبير يل هذا موسى فسلم عليه قال فسلمت عليه فقال مرحباً بالنبي الصالح والآخر الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكى لأن غلاماً بث بلسي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي . وذكر ابراهيم في السماء السابعة . وهذا هو المحفوظ وما وقع في حديث شريك ابن أبي نمر عن أنس من أن ابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله فقد ذكر غير واحد من الحفاظ أن الذي عليه الجمادة أن موسى في السادسة و ابراهيم في السابعة وأنه مسند ظهره إلى البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يمودون إليه آخر ما عليهم . واثبتت الروايات كلها على أن الله تعالى لما فرض على محمد (س) وأمه حسين صلاة في اليوم والليلة فمر بموسى قال ارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك فإني قد عاجلت بني اسرائيل قبلك أشد المعالجة وإن امتك اضف اسماعا وابصارا وافئدة فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل ويخفف عنه في كل مرة حتى صارت إلى خمس صلوات في اليوم والليلة وقال الله تعالى هي خمس وهي خمسون أي بالمضاعفة فجزى الله عنا محمداً (س) خيراً وجزى الله عنا موسى عليه السلام خيراً . وقال البخاري حدثنا مسدد حدثنا حصين

ابن عمير عن حصين بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج علينا رسول الله (ص) يوماً فقال عرضت على الأمم ورأيت سواداً كثيراً سد الاقنق قليل هذا موسى في قومه . هكذا روى البخارى هذا الحديث هنا مختصراً وقد رواه الامام أحمد مطولاً فقال حدثنا شريح حدثنا هشام حدثنا حصين بن عبد الرحمن . قال كنت عند سعيد بن جبير فقال أبكم رأى الكوكب الذى اقضى البارحة قلت أنا ثم قلت إلى لم أكن فى صلاة ولكن لدغت . قال وكيف فعلت قلت استقرت . قال وما حملك على ذلك قال قلت حديث حدثناه الشعبي عن بريدة الاسلمى أنه قال لا رقية الا من عين أوحه قال سعيد يعنى ابن جبير قد أحسن من انتهى الى ما سمع ثم قال حدثنا ابن عباس عن النبي (ص) قال عرضت على الامم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي معه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد اذ فرغ لى سواد عظيم فقلت هذه أمى قليل هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الاقنق فاذا سواد عظيم ثم قيل انظر الى هذا الجانب فاذا سواد عظيم قليل هذه أمتك ومهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض رسول الله (ص) فدخل فحاض القوم فى ذلك فقالوا من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم لهم الذين صحبوا النبي (ص) . وقال بعضهم لهم الذين ولدوا فى الاسلام ولم يشرکوا بالله شيئاً قط وذكروا أشياء فخرج اليهم رسول الله (ص) فقال ما هذا الذى كنتم تخوضون فيه فأخبروه بمقاتلتهم فقال هم الذين لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطرون وعلى ربهم يتوكلون قام عكاشة بن محيصة الاسدى قال أنا منهم يا رسول الله قال أنت منهم ثم قام آخر فقال أنا منهم يا رسول الله فقال سبقك بها عكاشة . وهذا الحديث له طرق كثيرة جداً وهو فى الصحاح والحسان وغيرها وسنوردها إن شاء الله تعالى فى باب صفة الجنة عند ذكر احوال القيامة وأهوالها . وقد ذكر الله تعالى موسى عليه السلام فى القرآن كثيراً واثني عليه واورد قصته فى كتابه العزيز مراراً وكررها كثيراً مطولة ومبسوطة ومختصرة واثني عليه بليغاً . وكثيراً ما يقترنه الله ويذكره ويذكر كتابه مع محمد (ص) وكتابه كما قال فى سورة البقرة (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم بنذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يملون) وقال تعالى (ألم الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام) وقال تعالى فى سورة الانعام (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس ليجعلونه قرأليس تبدونها وتحفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباءكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون . وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولئنئذ ام القرى ومن حوزلما والذين يؤمنون بلاخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) فائقى تعالى على التوراة ثم مدح

القرآن العظيم مدحاً عظيماً وقال تعالى في آخرها (ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة لعلمهم بلقاء ربهم يؤمنون . وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) وقال تعالى في سورة المائدة (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أساءوا للذين هادوا والريانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتنا قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) إلى أن قال (وليحكم أهل الأنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون . وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيناً عليه الآية) فجعل القرآن حاكماً على سائر الكتب غيره وجعله مصدقاً لها ومبيناً ما وقع فيها من التحريف والتبديل فإن أهل الكتاب استحفظوا على ما بأيديهم من الكتب فلم يقدرُوا على حفظها ولا على ضبطها وصورها فلهدأ دخلها ما دخلها من تغييرهم وتبديلهم لسوء فهمهم وقصورهم في علومهم وردائهم قصودهم وخيانتهم لمعبودهم عليهم لعائن الله المتتامة إلى يوم القيامة ولهذا يوجد في كتبهم من الخطأ البين على الله وعلى رسوله ما لا يجد ولا يوصف وما لا يوجد مثله ولا يعرف . وقال تعالى في سورة الأنبياء (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياءً وذكرى للمتقين . الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشتقون . وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفانتم له منكرون) وقال الله تعالى في سورة القصص (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون . قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منها أتبعه إن كنتم صادقين) . فأتى الله على السكتانيين وعلى الرسولين عليهما السلام . وقالت الجن لقومهم إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى . وقال ورقة بن نوفل لما قص عليه رسول الله (ص) ، خبر ما رأى من الأول الوحي وتلا عليه (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) قال سبوح سبوح هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران . وبالجملة فشرية موسى عليه السلام كانت عظيمة وامته كانت أمة كثيرة ووجد فيها أنبياء وعلماء وعباد وزهاد وأبباء وملوك وأمراء وسادات وكبراء . لكنهم كانوا فيادوا وتبدلوا كما بدلت شريعتهم ومسخوا قرده وخنازير ثم نسخت بعد كل حساب ملتهم وجرت عليهم خطوب وأموز يطول ذكرها ولكن سنورد ما فيه مقنع لمن أراد أن يلفه خبرها إن شاء الله هو به الثقة وعليه التكلان

عجته عليه السلام الى البيت الحرام

قال الامام احمد حدثنا هشام حدثنا داود بن أبي هند عن أبي العالية عن ابن عباس أن رسول الله (ص) مر بوادي الازرق قال أي واد هذا . قالوا وادي الازرق . قال كافي أنظر الى موسى وهو هابط من الثنية وله جزار الى الله عز وجل بالثنية حتى أتى على ثنية هرشاء . فقال أي ثنية هذه قالوا هذه ثنية هرشاء قال كافي أنظر الى يونس بن متى على ناقه حمراء عليه جبة من صوف خطام ناقته خلبة . قال هشيم يعني ليقاً وهو يلي . أخرجه مسلم من حديث داود بن أبي هند به . وروى الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً إن موسى حج على ثور أحر وهذا غريب جداً . وقال الامام احمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن ابن عون عن مجاهد قال كنا عند ابن عباس فذكروا الدجال فقال إنه مكتوب بين عينيه (ك ف ر) قال ما يقولون قال يقولون مكتوب بين عينيه (ك ف ر) فقال ابن عباس لم أسمعه قال ذلك ولكن . قال أما ابراهيم فانظروا الى صاحبكم . وأما موسى فرجل آدم جمده الشعر على جل أحر مخطوم بخلبة كافي أنظر اليه وقد أهدر من الوادي يلي قال هشيم الخليفة ثم رواه الامام احمد عن أسود عن إسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) رأيت عيسى بن مريم وموسى و ابراهيم فلما عيسى فايض جمده عريض الصدر . وأما موسى فآدم جسم . قالوا فابراهيم قال أنظروا الى صاحبكم . وقال الامام احمد حدثنا يونس حدثنا شيان قال حدث قتادة عن أبي العالية حدثنا ابن عم نبيكم ابن عباس قال قال نبي الله (ص) رأيت ليسة أسرى بي موسى بن عمران رجلاً طوالاً جسداً كأنه من رجال شنؤة ورأيت عيسى بن مريم مبروع انطلق الى الحجرة والبياض سبط الرأس وأخرجاه من حديث قتادة به . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر قال الزهري وأخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) حين أسرى به لقيت موسى فتمته فقال رجل قال حسبته قال مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنؤة . ولقيت عيسى . فتمته رسول الله (ص) . فقال ربة أحر كأنما خرج من ديماس يعني حماما قال ورأيت ابراهيم وأنا أشبه ولد . به الحديث . وقد تقدم غالب هذه الاحاديث في ترجمة الخليل

ذكر وفاة عليه السلام

قال البخاري في صحيحه (وفاة موسى عليه السلام) حدثنا يحيى بن موسى حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال أرسل ملك الموت الى موسى عليه السلام فلما جاءه

صكه فرجع الى ربه عز وجل فقال أرسلتني الى عبد لا يريد الموت قال ارجع اليه قتل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شجرة سنة . قال أى رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فلا آن قال فسأل الله عز وجل أن يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر . قال أبو هريرة قال رسول الله (س) لو كنت سمع لأريتك قبره الى جانب الطريق عند الكئيب الاحمر . قال وأبنا معا من هام عن أبي هريرة عن النبي (س) نحوه . وقد روى مسلم الطريق الاول من حديث عبد الرزاق به ورواه الامام أحمد من حديث حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة مرفوعا وسيأتي . وقال الامام أحمد حدثنا الحسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو يونس يعنى سليم بن جبير عن أبي هريرة قال الامام أحمد لم يرفسه . قال جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام فقال أجب ربك فطمع موسى عين ملك الموت فقأها . فرجع الملك الى الله فقال إنك بنتنى الى عبد لك لا يريد الموت . قال وقد قأ عيني قال فرد الله عينه وقال ارجع الى عبدى قتل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فسا وارت يدك من شجرة فانك تعيش بها سنة قال ثم قال ثم الموت قال فلا آن يارب من قريب . نفرد به احمد وهو مرفوع بهذا اللفظ . وقد رواه ابن حبان فى صحيحه من طريق معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال معمر وأخبرنى من سمع الحسن عن رسول الله فذكره ثم استشكاه ابن حبان وأجاب عنه بما حاصله أن ملك الموت لما قال له هذا لم يعرفه لمجيئه له على غير صورة يعرفها موسى عليه السلام كما جاء جبريل فى صورة أعرابي وكا وددت الملائكة على ابراهيم ولوط فى صورة شباب فلم يعرفهم ابراهيم ولا لوط أولا وكذلك موسى لعلمه لم يعرفه لذلك ولطمه فقأ عينه لانه دخل داره بنير أذنه وهذا موافق لشريعتنا فى جواز فقء عين من نظر اليك فى دارك بشير اذن * ثم أورد الحديث من طريق عبد الرزاق عن معمر عن هام عن أبي هريرة قال قال رسول الله (س) جاء ملك الموت الى موسى ليقبض روحه قال له أجب ربك فطمع موسى عين ملك الموت فقأ عينه وذكر تمام الحديث كما أشار اليه البخارى ثم تأوله على أنه لما رفع يده ليطلمه قال له أجب ربك وهذا التأويل لا يتمشى على ماورد به اللفظ من تعقيب قوله أجب ربك بلطمه ولو أستمر على الجواب الاول لتشبه له وكأنه لم يعرفه فى تلك الصورة ولم يجعل قوله هذا على أنه مطابق اذ لم يتحقق فى الساعة الراحة أنه ملك كريم لانه كان يرجو أمورا كثيرة كان يحب وقوعها فى حياته من خروجه من التيه ودخولهم الارض المقدسة وكان قد سبق فى قدرة الله أنه عليه السلام يموت فى التيه بد هرون أخيه كما سنيته إن شاء الله تعالى . وقد زعم بعضهم أن موسى عليه السلام هو الذى خرج بهم من التيه ودخل بهم الارض المقدسة . وهذا خلاف ما عليه أهل الكتاب وجهود المسلمين . وبما يدل على ذلك قوله لما اختار الموت رب أدنى الى الارض المقدسة رمية بحجر . ولو كان قد دخلها لم يسأل ذلك ولكن لما كان مع قومه بالتية وحانت وفاته عليه

السلام أحب أن يتقرب إلى الأرض التي هاجر إليها وحث قومه عليها ولكن حال بينهم وبينها التقدر رمية بحجر ولهذا قال سيد البشر . ورسول الله إلى أهل الوبر والمدن . فلو كنت ثم لاريتكم قبوره عند الكنيث الأحمر . وقال الامام حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا ثابت وسليمان التيمي عن أنس بن مالك إن رسول الله (ص) ، قال لما أمرى بنى مررت بموسى وهو قائم يصلى في قبوره عند الكنيث الأحمر ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به وقال السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة قالوا ثم إن الله تعالى أوحى إلى موسى بنى متوفى هرون قائم به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فاذا هم بشجرة لم تر شجرة مثلها واذا هم بيت مبني وإذا هم بسيرير عليه فرش وإذا فيه ريح طيبة فلما نظر هرون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه قال يا موسى إنى أحب أن أنام على هذا السيرير قال له موسى قم عليه قال إنى أخاف أن يأترب هذا البيت فيغضب على قال له لا ترهب أنا أ كفيك رب هذا البيت قم . قال يا موسى ثم معى فان جاء رب هذا البيت غضب على وعلى جميعاً . فلما نلما أخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خذتني فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السيرير به إلى السماء فلما رجع موسى إلى قومه وليس معه هرون قالوا فان موسى قتل هرون وحده حب بنى إسرائيل له وكان هرون أكف عنهم والبن لهم من موسى وكان في موسى بعض الغلظة عليهم فلما بلغه ذلك قال لهم ويحكم كذا أنخى أفتروني أقتله . فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل السيرير حتى نظر وأكأ إليه بين السماء والأرض . ثم إن موسى عليه السلام ينأ هو يمشى ويوشع فتاه اذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر إليها يوشع ظن أنها الساعة فالتزم موسى وقال تقوم الساعة وأنا ملتزم موسى نبي الله فاستل موسى عليه السلام من تحت القميص وترك القميص في يدي يوشع . فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو إسرائيل وقالوا قتل نبي الله . فقال لا والله ما قتلته ولكنني أسئل منى فلم يصدقوه وأرادوا قتله . قال فاذا لم تصدقوني فآخروني ثلاثة أيام فدعا الله فأتى كل رجل ممن كان يحرسه في المنام فأخبر أن يوشع لم يقتل موسى وإنما قد رفضناه لينا فتركوه ولم يبق احد ممن أبى أن يدخل قرية الجبارين مع موسى الامت ولم يشهد الفتح وفي بعض هذا السياق نكارة وغرابة والله أعلم . وقد قدمنا أنه لم يخرج احد من التيه ممن كان مع موسى سوى يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وهو زوج مريم أخت موسى وهرون وهما الرجلان المذكوران فيما تقدم اللذان أشارا على ملائكة بنى إسرائيل بالنحول عليهم وذكر وهب بن منبه أن موسى عليه السلام مر بملأ من الملائكة يحفرون قبوراً فلم يرا حسن منه ولا أنفسر ولا أبهج فقال يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا العبد من عباد الله كريم فان كنت تحب أن تكون هذا العبد فادخل هذا القبر وتمدد فيه وتوجه إلى ربك وتنفس أسهل تنفس فعمل ذلك فأت صلوات الله

وسلامه عليه فصلت عليه الملائكة ودفنوه* وذكر أهل الكتاب وغيرهم أنه مات وعمره مائة وعشرون سنة وقد قال الامام أحمد حدثنا أمية بن خالد ووفس قالوا حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عن النبي (ص)، قال يونس رفع هذا الحديث الى النبي (ص)، قال كان ملك الموت يأتي الناس عياناً قال فأتى موسى عليه السلام فلطمه ففلقاً عينه فأتى ربه فقال يارب عبدك موسى فأعيفي ولولا كرامته عليك لميتت عليه . وقال يونس لشقتك عليه . قال له اذهب الى عبدى . قل له فليضع يده على جلد (أو) مسأك ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة فانه قال له فقال ما بعد هذا قال الموت قال فلان قال فشمه شمة قبض روحه . قال يونس فرد الله عليه عينه وكان يأتي الناس خفية * وكذا زواه ابن جرير عن أبي كريب عن مصعب بن المقدم عن حماد بن سلمة به فرضه أيضا

نبوة يوشع وقبائه باجما، بنى السيل بعزموكا وهزوجة

هو يوشع بن نون بن أفراتيم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام واهل الكتاب يقولون يوشع بن عمود وقد ذكره الله تعالى في القرآن غير مصرح باسمه في قصة الخضر كما تقدم من قوله (وإذ قال موسى لئن كان من قبلي نبي لآتاني آية من ربي ولو أجد عند الله خزائنا أو كن ذا حظ أو بالية) وقد مر في رواية أبي ابن كعب رضى الله عنه عن النبي (ص)، من أنه يوشع بن نون وهو متفق على نبوته عند أهل الكتاب فان طائفة منهم وهم السامرة لا يقرون بنبوة أحد بعد موسى الا يوشع بن نون لانه مصرح به في التوراة ويكفرون بما وراءه وهو الحق من ربهم فمليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة .

واما ما حكاه ابن جرير وغيره من المفسرين عن محمد بن اسحق من أن النبوة حولت من موسى الى يوشع في آخر عمر موسى فكان موسى يلقي يوشع فيسأله ما احدث الله من الاوامر والنواهي حتى قال له يا كليم الله انى كنت لا اسألك عما يوحى الله اليك حتى تخبرني انت ابتداء من تلقاء نفسك فمستد ذلك كره موسى الحياة واحب الموت ففى هذا نظر لأن موسى عليه السلام لم يزل الأمر والوحى والتشريع والكلام من الله اليه من جميع أحواله حتى توفاه الله عز وجل ولم يزل مرزاً مكرماً مدللاً وجيهاً عند الله كما قدمنا فى الصحيح من قصة قتله عين ملك الموت ثم بثه الله اله ان كان يريد الحياة فليضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة يمشيها قال ثم ماذا قال الموت قال فلان يارب وسأل الله أن يدنيه الى بيت المقدس رمية بحجر وقد احبب الى ذلك صلوات الله وسلامه عليه

فهذا الذي ذكره محمد بن اسحق إن كان إنما يقوله من كتب أهل الكتاب ففي كتابهم الذي يسمونه التوراة أن الوحي لم ينزل على موسى في كل حين يحتاجون إليه إلى آخر مدة موسى كما هو المعلوم من سياق كتابهم عند تابوت الشهادة في قبة الزمان . وقد ذكروا في السفر الثالث أن الله أمر موسى وهاورن أن يمدّ ابني إسرائيل على أسباطهم وإن يجعلوا على كل سبط من الاثني عشر أميراً وهو القتيب وما ذاك إلا ليأهبوا للقتال قتال الجبارين عند الخروج من التيه وكان هذا عند اقتراب اقضاء الاربعين سنة . ولهذا قال بعضهم إنما قُتِلَ موسى عليه السلام عين ملك الموت لأنه لم يعرفه في صورته تلك ولأنه كان قد أمر بأمر كان يرتجى وقوعه في زمانه ولم يكن في قدر الله أن يقع ذلك في زمانه بل في زمان قتاه يوشع بن نون عليه السلام كما أن رسول الله (ص) كان قد أراد غزو الروم بالشام فوصل إلى تبوك ثم رجع عامه ذلك في سنة تسع . ثم حج في سنة عشر ثم رجع فجهز جيش أسامة إلى الشام طليعة بين يديه ثم كان على عزم الخروج إليهم امتثالاً لقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ولما جهز رسول الله جيش أسامة توفي عليه الصلاة والسلام واسامة نخيم بلجرف فتغذته صديقه وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم لما لم تمش جزيرة العرب وما كان دهمي من أمر أهلها وعاد الحق إلى نصابه جهز الجيوش بمنة ويسرة إلى العراق أصحاب كسرى ملك الفرس وإلى الشام أصحاب قيصر ملك الروم ففتح الله لهم ومكن لهم وبهم وملسكم نواصي أعدائهم كما سنورده عليك في موضعه إذا انتهينا إليه مفصلاً إن شاء الله بمره وتوفيقه وحسن إرشاده * وهكذا موسى عليه السلام كان الله قد أمره أن يجند بني إسرائيل وأن يجعل عليهم قباء كما قال تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبشئنا منهم اثني عشر قبياً) وقال الله (إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزددتموه وأقرضتم الله قرضاً حسناً لا كفرن عنكم سياستكم ولا دخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) يقول لهم لئن قمتم بما أوجبت عليكم ولم تتكلموا عن القتال كما نكتم أول مرة لاجل نواب هذه مكفراً لما وقع عليكم من عقاب تلك كما قال تعالى لمن تخلف من الأعراب عن رسول الله (ص) في غزوة الحديبية « قل للمخلفين من الأعراب سستدعون إلى قوم أولى بأس شديد فتقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتسكم الله أجراً حسناً وإن تولوا كما توليت من قبل يذبكم عذاباً أليماً » وهكذا قال تعالى لبني إسرائيل (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) ثم ذمهم تعالى على سوء صنيعهم وقضيم موافقهم كما ذم من بدد من النصارى على اختلافهم في دينهم وأديانهم . وقد ذكرنا ذلك في التفسير مستقصى والله الحمد .

والمقصود أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يكتب أسماء المقاتلة من بني إسرائيل ممن يحمل

السلح ويقاقل ممن بلع عشرين سنة فصاعدا وأن يجعل على كل سبط قهيا منهم . السبط الاول سبط روييل لانه بكر يعقوب كان عدة المقاتلة منهم ستة وأربعين الفا وخمسةائة . وقيهم منهم وهو اليصور ابن شديثورا . السبط الثاني سبط شمعون وكاتوا تسمة وخسين الفا وثلاثمائة . وقيهم شلوميئيل بن هوريشداى . السبط الثالث سبط يهوذا وكانوا أربعة وسبعين الفا وستائة . وقيهم نحشون بن عيناداب . السبط الرابع سبط ايساخر وكانوا أربعة وخسين الفا وأربعمائة وقيهم نشائيل بن صوغر . السبط الخامس سبط يوسف عليه السلام وكانوا أربعين الفا وخمسةائة وقيهم يوشع بن نون . السبط السادس سبط ميشا وكانوا أحدا وثلاثين الفا ومائتين وقيهم جليئيل بن فدهصور . السبط السابع سبط بنيامين وكانوا خمسة وثلاثين الفا وأربعمائة وقيهم أيدين بن جدعون . السبط الثامن سبط حاد وكانوا خمسة وأربعة الفا وستائة وخمسين رجلا وقيهم الياساف بن رعوثيل . السبط التاسع سبط أشير وكانوا أحدا وأربعين الفا وخمسةائة وقيهم فجيئيل بن عكرن . السبط العاشر سبط دان وكانوا إثنين وستين الفا وسبعمائة وقيهم أخيعزر ابن عمشداى . السبط الحادى عشر سبط نفتالى وكانوا ثلاثة وخمسين الفا وأربعمائة . وقيهم أخيرع بن عين السبط الثانى عشر سبط زبولون وكانوا سبعة وخمسين الفا وأربعمائة وقيهم الباب بن حيلون . هذا نص كتابهم الذى بأيديهم والله أعلم . وليس منهم بنو لاوى فامر الله موسى أن لايدمهم مهم لانهم موكلون بحمل قبة الشهادة وضربها ونصبها وحملها اذا ارتحلوا وهم سبط موسى وهرون عليهما السلام وكانوا اثنين وعشرين الفا من ابن شهر فما فوق ذلك * وهم فى أنفسهم قبائل الى كل قبيلة طائفة من قبة الزمان يحرسونها ويحفظونها ويقومون بمصالحها ونصبها وحملها وهم كلهم حولها ينزلون ويرتحلون أمامها ويمنتها وشالها ووراءها . وجملة ما ذكر من المقاتلة غير بنى لاوى خمسةائة الف وأحد وسبعون الفا وستائة وستة وخمسون لكن قالوا فكان عدد بنى إسرائيل ممن عمره عشرون سنة فما فوق ذلك من حمل السلح ستةائة الف وثلاثة الآف وخمسةائة وخمسة وخمسين رجلا سوى بنى لاوى وفى هذا نظر فان جميع الجمل المتقدمة إن كانت كما وجدنا فى كتابهم لا تطابق الجملة التى ذكرها والله أعلم . فكان بنو لاوى الموكلون بحفظ قبة الزمان يسرون فى وسط بنى إسرائيل وهم القلب ورأس الميمنة بنو روييل ورأس الميسرة بنوران وبنو نفتالى يكونون ساقه وهو قرر موسى عليه السلام بأمر الله تعالى له الكفاة فى بنى هرون كما كانت لايبهم من قبلهم وهم ناداب وهو بكره وأيهو والغازر ويشر . والمقصود أن بنى إسرائيل لم يبق منهم أحد ممن كان نكل عن دخول مدينة الجبارين الذين قالوا (فاذهب أنت وربك فتاتلا إنا ههنا قاعدون) قاله الثورى عن أبى سعيد عن عكرمة عن ابن عباس وقاله قتادة وعكرمة ورواه السدى عن ابن عباس وابن مسعود ونس من الصحابة حتى قال ابن عباس وغيره من علماء السلف واختلف ومات موسى وهرون قبله كلاهما فى التيه جميعا وقد زعم ابن اسحق أن الذى فتح بيت المقدس

هو موسى وإعما كان يوشع على مقدمته وذكر في سروره إليها قصة بلعام بن باعور الذي قال تعالى فيه ﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمُ بَنَى الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ . ذَلِكَ مِثْلَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ . سَاءَ مِثْلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسِهِمْ كَانُوا يَظْهَرُونَ﴾ وقد ذكرنا قصته في التفسير وأنه كان فيما قاله ابن عباس وغيره يعلم الاسم الأعظم وأن قومه سألوه أن يدعو على موسى وقومه فامتنع عليهم ولما حلوا عليه ركب حمارة له . ثم سار نحو معسكر بني إسرائيل فلما أشرف عليهم ربيضت به حمارته فضربها حتى قامت فسارت غير بعيد وربضت فضربها ضرباً أشد من الأول قامت ثم ربيضت فضربها قتالت له يابلعام أين تذهب أما ترى الملائكة أمأى تردى عن وجهي هذا أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم ينزع عنها فضربها حتى سارت به حتى أشرف عليهم من رأس جبل حسيان . ونظر إلى معسكر موسى وبني إسرائيل فاخذ يدعو عليهم فجعل لسانه لا يطعمه إلا أن يدعو لموسى وقومه ويدعو على قوم نفسه فلاموه على ذلك فاعتذر إليهم بأنه لا يجرى على لسانه إلا هذا وأندلع لسانه حتى وقع على صدره وقال لقومه ذهب مني الآن الدنيا والآخرة ولم يبق إلا المسكر والحليلة . ثم أمر قومه أن يزينوا النساء ويمشوهن بالامتنع يعين عليهم ويتعرض لهم حتى لعلهم يقعون في الزنا فانه متى زفي رجل منهم كفيتموهم ففعلوا وزينوا نساءهم وبعثوهن إلى المعسكر فمرت امرأة منهم اسمها كستي برجل من عظمة بني إسرائيل وهو زمري بن شلوم . يقال إنه كان رأس سبط بني شمعون بن يعقوب فدخل بها قبتة فلما خلاها أرسل الله الطاعون على بني إسرائيل فجعل يحوس فيهم فلما بلغ الخبر إلى فتخاص بن الززار بن هرون أخذ حربته وكانت من حديد فدخل عليها القبة فاتظمها جميعاً فيها ثم خرج بهما على الناس والحربة في يده وقد اعتمد على خاصرته وأسندها إلى لحيته ورفضها نحو السماء وجعل يقول اللهم هكذا فعلت بمن يمصبك ورفعت الطاعون فكان جملة من مات في تلك الساعة سبعين الفا والمقتل يقول عشرين الفا وكان فتخاص بكر أبيه الززار ابن هرون فلهدا يجبل بنو إسرائيل لولد فتخاص من الذبيحة الالية والذراع واللقى ولهم البكر من كل أمواهم وأنفسهم . وهذا الذي ذكره ابن اسحق من قصة بلعام صحيح قد ذكره غير واحد من علماء السلف لكن لعله لا أراد موسى دخول بيت المقدس أول مقدمته من الديار المصرية ولعله مراد ابن اسحاق ولكنه ما فهمه بعض الناقلين عنه وقد قدمنا عن نص التوراة ما يشهد لبعض هذا والله أعلم . ولعل هذه قصة أخرى كانت في خلال سيرهم في التيه فان في هذا السياق ذكر حسيان وهي بيضة عن أرض بيت المقدس أو لعله كان هذا جيش موسى الذين عليهم يوشع بن نون حين خرج بهم من التيه قاصداً بيت المقدس كما صرح به السدي . والله أعلم . وعلى كل تقدير فالذي عليه الجمهور أن هرون توفى بالتية

قبل موسى أخيه بنحو من سنتين . وبعده موسى في التيه أيضا كما قدمنا وانه سأل ربه أن يقرب إلى بيت المقدس فأجيب إلى ذلك فكان الذي خرج بهم من التيه وقصد بهم بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام فذكر أهل الكتاب وغيرهم من أهل التاريخ أنه قطع بني اسرائيل نهر الاردن واتي إلى أريحا وكانت من أحصن المدائن سوراً واعلاها قصوراً واكثرها أهلاً فحاصرها ستة أشهر . ثم إنهم أحاطوا بها يوماً وضربوا بالقرون يمين الابواب وكبروا تكبيرة رجل واحد فضخ سورها وسقط وجبة واحدة فدخلوها وأخذوا ما وجدوا فيها من الغنائم وقتلوا اثني عشر ألفاً من الرجال والنساء وحاربوا ملوكاً كثيرة . ويقال إن يوشع ظهر على أحد وثلاثين ملكاً من ملوك الشام . وذكروا أنه انتهى محاصرته لها إلى يوم جمعة بعد العصر . فلما غربت الشمس أو كادت تنزب ويدخل عليهم السبت الذي جعل عليهم وشرع لهم ذلك الزمان قال لما إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على فحسبها الله عليه حتى تتمكن من فتح البلد وأسر القمر فوقف عند الطلوع وهذا يقتضى أن هذه الليلة كانت الليلة الرابعة عشرة من الشهر والاول وهو قصة الشمس المذكورة في الحديث الذي سأذكره . وأما قصة القمر فمن عند أهل الكتاب ولاننا في الحديث بل فيه زيادة تستناد فلا تصدق ولا تكذب ولكن ذكرهم أن هذا في فتح اريحا فيه نظر والاشبه والله أعلم أن هذا كان في فتح بيت المقدس الذي هو المقصود الأعظم وفتح اريحا كان وسيلة اليه والله أعلم .

قال الأمام احمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا أبو بكر عن هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله (س) : إن الشمس لم تجبس لبشر إلا ليوشع ليالى سار إلى بيت المقدس . افرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط البخارى . وفيه دلالة على أن الذي فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام لا موسى وان جبس الشمس كان في فتح بيت المقدس لا اريحا كما قلنا . وفيه أن هذا كان من خصائص يوشع عليه السلام فيدل على ضعف الحديث الذي روينا أن الشمس رجعت حتى صلى على بن أبي طالب صلاة العصر بعد ما قاتته بسبب نوم النبي (س) على ركبته فسأل رسول الله أن يردها عليه حتى يصلى العصر فرجعت . وقد صححه على بن صالح المصرى ولكنه منكر ليس في شيء من الصحاح ولا الحسان وهو مما تتوفر الدواعى على نقله وقررت بنقله امرأة من أهل البيت بمجولة لا يعرف حاملها والله أعلم . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال قال رسول الله (س) : غرا نبى من الانبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل قد ملك بضم امرأة وهو يريد أن يتبع بها ولما بين . ولا آخر قد بنى بيانا ولم يرفع سقفا ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينظر أولادها فغزا فدنا من القرية حين صلى العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على شيطان فحبست عليه حتى فتح الله عليه فجمعوا ما غنموا فأتت النار لتأكله فابت أن تظلمه

قال فيكم غلول فليبايعني من كل قبيلة رجل فيبايعوه فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول وتبايعني قبيلتك فبايعته قبيلته فلصق يد رجلين أو ثلاثة فقال فيكم الغلول أنتم غلالم فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب قال فوضوه بالمال وهو بالصعيد فاقبلت النار فأكلته فلم تحمل الغنائم لاحد من قبلنا ذلك بأن الله رأى ضعفنا ومجزنا فطفيها لنا . انفرد به مسلم من هذا الوجه . وقد روى البزار من طريق مبارك بن فضالة عن عبيد الله عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي (س) نحوه . قال ورواه محمد بن مجلان عن سعيد المقبري قال ورواه قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي (س) . والمقصود أنه لما دخل بهم باب المدينة أسروا أن يدخلوها سجداً أي ركعا متواضعين شاكرين لله عز وجل على ما من به عليهم من الفتح العظيم الذي كان الله وعدم إياه وإن يقولوا حال دخولهم حطة أي حط عنا خطيئنا التي سلفت من نكولنا الذي تقدم منا . ولهذا لما دخل رسول الله (س) مكة يوم فتحها دخلها وهو راكب ناقته وهو متواضع حامد شاكر حتى أن عشوته وهو طرف لحيته ليس بمورك رحله بما يطأطي رأسه خضماً فأنه عز وجل ومعه الجنود والجيوش ممن لا يرى منه إلا الحدق ولا سب السكتية الخضراء التي فيها رسول الله (س) ثم لما دخلها اغتسل وصلى ثمانين ركعات وهي صلاة الشكر على النصر على المنصور من قولي العلماء . وقيل إنها صلاة الضحى وما حمل هذا القائل على قوله هذا إلا لأنها وقتت وقت الضحى . وأما بنو إسرائيل فأنهم خالفوا ما أسروا به قولاً وفعلاً دخلوا الباب يزحفون على استاهم يقولون حبة في شعرة وفي رواية حنطة في شعرة . وحاصله أنهم بدلوا ما أسروا به واستهزؤا به كما قال تعالى حاكياً عنهم في سورة الاعراف وهي مكة (وإذا قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً فنفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأسلنا عليهم رجلاً من السماء بما كانوا يظلمون) وقال في سورة البقرة وهي مدينة مخاطباً لهم (وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة فنفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجلاً من السماء بما كانوا يفسقون) . وقال الثوري عن الأعمش عن المهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وادخلوا الباب سجداً قال ركعا من باب صغير . رواه الحاكم وابن جرير وابن أبي حاتم وكذا روى البغوي عن ابن عباس وكذا روى الثوري عن ابن إسحاق عن البراء . قال مجاهد والسدي والضحاك والباب هو باب حطة من بيت إيلياء بيت المقدس . قال ابن مسعود فدخلوا مقتني رؤوسهم ضد ما أسروا به وهذا لا ينافي قول ابن عباس أنهم دخلوا يزحفون على استاهم . وهكذا في الحديث الذي سنورده بعد فتحهم دخلوا يزحفون وهم مقتنوا رؤوسهم . وقوله وقولوا حطة الواو هنا حالية لا عاطفة أي ادخلوا سجداً في حال قولكم حطة . قال ابن عباس وعطاء والحسن و قتادة والربيع

أمروا أن يستغفروا * قال البخارى حدثنا محمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن بن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي (س)، قال قيل لبي اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على استاهم فبدلوا وقالوا حطة حبة في شجرة . وكذا رواه النسائي من حديث ابن المبارك يعضه ورواه عن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم عن ابن مهدي به موقوفا . وقد قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله (س) : قال الله لبي اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على استاهم فقالوا حبة في شجرة . ورواه البخارى ومسلم والترمذي من حديث عبد الرزاق وقال الترمذي حسن صحيح . وقال محمد بن اسحاق كان تبديلهم كما حدثني صالح بن كيسان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة وعن لا اتهم عن ابن عباس أن رسول الله (س)، قال دخلوا الباب الذي أمروا أن يدخلوا فيه سجدا يزحفون على استاهم وهم يقولون حنطة في شجرة . وقال اسباط عن السدي عن مرة عن ابن مسعود قال في قوله (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) قال قالوا (هطل سقاها ازمة مزيا) فهي في الرمية (حبة حنطة حمراء متعوية فيها شجرة سوداء) وقد ذكر الله تعالى أنه عاقبهم على هذه المخالفة بإرسال الرجز الذي أنزله عليهم وهو الطاعون كما ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن عامر بن سعد ومن حديث مالك عن محمد بن المنكدر وسالم أبي النضر عن عامر بن سعد عن أسامة بن زيد عن رسول الله (س)، أنه قال إن هذا الوجع (أو) السقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم وري النسائي وابن أبي حاتم وهذا لفظه من حديث الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن ابراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه وأسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت قالوا قال رسول الله (س)، الطاعون رجز عذاب عذب به من كان قبلكم وقال الضحاك عن ابن عباس الرجز العذاب . وكذا قال مجاهد وابو مالك والسدي والحسن وقتادة وقال أبو العالية هو القصب . وقال الشعبي الرجز إما الطاعون وإما البرد . وقال سعيد بن جبير هو الطاعون . ولما أستقرت يد بني اسرائيل على بيت المقدس أستمروا فيه وبين أظهرهم نبي الله يوشع يحكم بينهم بكتاب الله التوراة حتى قبضه الله اليه وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة فكان مدة حياته بد موسى سبعا وعشرين سنة

قصص الخضر والكس علىهما السلام

أما الخضر فقد تقدم أن موسى عليه السلام رحل اليه في طلب ماعنده من العلم اللدني وقص الله من خبرها في كتابه العزيز في سورة الكهف وذكرنا في تفسير ذلك هنالك وأوردنا هنا ذكر الحديث

المصرح بذكر الخضر عليه السلام وأن الذي رحل إليه هو موسى بن عمران نبي بني إسرائيل عليه السلام الذي أنزلت عليه التوراة .

وقد اختلف في الخضر في اسمه ونسبه ونبوته وحياته الى الآن على أقوال ساذ كر هالك ههنا إن شاء الله وبحوله وقوته * قال الحافظ ابن عساكر يقال إنه الخضر بن آدم عليه السلام لصلبه ثم روى من طريق الدارقطني حدثنا محمد بن النسخ القلانسي حدثنا العباس بن عبد الله الرومي حدثنا رواد بن الجراح حدثنا مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس قال الخضر ابن آدم لصلبه ونسب له في أجله حتى يكذب السجال وهذا منقطع وغريب . وقال أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني سمعت مشيختنا منهم أبو عبيدة وغيره قالوا إن أطول بني آدم عمراً الخضر وإسمه خضرون بن قاييل بن آدم قال وذكر ابن اسحق أن آدم عليه السلام لما حضرته الوفاة أخبر بنيه أن الطوفان سيقم بالناس وأوصاهم إذا كان ذلك أن يحملوا جسد معهم في السفينة وأن يدفنوه في مكان عينه لهم . فلما كان الطوفان حملوه معهم فلما هبطوا الى الأرض أمر نوح بنيه أن يذهبوا بيده فيدفنوه حيث أوصى فقالوا إن الأرض ليس بها أنيس وعليها وحشة فحرضهم وحثم على ذلك . وقال إن آدم دعان على دفنه بطول العمر فهاجروا المسير الى ذلك الموضع في ذلك الوقت فلم يزل جسد عندهم حتى كان الخضر هو الذي تولى دفنه وأنجز الله ما وعده فهو يحيى الى ما شاء الله له أن يحيى . وذكر ابن قتيبة في المعارف عن وهب بن منبه أن اسم الخضر بلياء ويقال ايليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرغشذ بن سام بن نوح عليه السلام . وقال اسماعيل بن أبي أويس اسم الخضر فيما بلغنا والله أعلم المعبر بن مالك بن عبد الله بن نصر بن لازد . وقال غيره هو خضرون بن عميايل بن اليزيد بن العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل . ويقال هو أرميا بن خلقيا فأنه أعلم . وقيل إنه كان ابن فرعون صاحب موسى ملك مصر وهذا غريب جدا . قال ابن الجوزي رواه محمد بن أيوب عن ابن لهيعة وهما ضعيفان . وقيل إنه ابن مالك . وهو أخو الياس قاله السدي كما سيأتي . وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين . وقيل كان ابن بعض من آمن براهيم الخليل وهاجر معه وقيل كان نبياً في زمن بشناسب بن هراسب

قال ابن جرير والصحيح أنه كان متقدماً في زمن أفريدون ابن اثنيان حتى أدركه موسى عليهما السلام . وروى الحافظ ابن عساكر عن سعيد بن المسيب أنه قال الخضر أمه رومية وأبوه فارسي

وقد ورد ما يدل على أنه كان من بني إسرائيل في زمان فرعون أيضا . قال أبو زرعة في دلائل النبوة حدثنا صفوان بن صالح المشقي حدثنا الوليد حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ص أنه ليلة أسرى به وجد رائحة طيبة فقال يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة قال هذه ريح قبر الماشطة وأبنتها وزوجها وقال وكان يده ذلك أن الخضر كان من

أشرف بنى إسرائيل وكان عمره براهب في صومته فتطلع عليه الراهب فعلمه الاسلام فلما بلغ الخضر
 زوجه أبوه امرأة فعلها الاسلام وأخذ عليها أن لا تعلم أحدا وكان لا يقرب النساء ثم طلقها ثم زوجه
 أبوه باخرى فعلها الاسلام وأخذ عليها أن لا تعلم أحدا ثم طلقها فكنمت إحداهما وأفتت عليه
 الاخرى فانطلق هاربا حتى أتى جزيرة في البحر فاقبل رجلان يحيطان فرأياه فكنتم أحدهما وأفتى
 عليه الآخر قال قد رأيت العزقييل ومن رآه ملك قال فلان فستل فكنتم وكان من دينهم انه من
 كذب قتل قتل وكان قد تزوج الكاتمة المرأة الكاتمة قال فينهاى تمشطت بنت فرعون اذ سقط المشط
 من يدها فقالت نعم فرعون فاخبرت أباهم وكان للمرأة ابنا وزوج فارسل اليهم فرأود المرأة وزوجها
 أن يرجعا عن دينهما فإيا فقال إني قاتلكما قتالا احسان منك الينا إن أنت قتلتنا أن تجعلنا في قبر
 واحد فجعلهما في قبر واحد فقال وما وجدت ريحا أطيب منهما وقد دخلت الجنة وقد تقدمت قصة
 مائلة بنت فرعون وهذا المشط في أسر الخضر قد يكون مدرجا من كلام أبي بن كعب أو عبد الله بن
 عباس والله أعلم . وقال بعضهم كنيته أبو العباس والاشبه والله أعلم أن الحضرة لقب غلب عليه . قال
 البخارى رحمه الله حدثنا محمد بن سعيد الاصبهاني حدثنا ابن المبارك عن معمر عن همام عن أبي هريرة
 عن النبي (س) . قال إنما سمي الخضر لانه جلس على فروة يضاء فاذا هي تهتز من خلفه خضراء تفرد به
 البخارى وكذلك رواه عبد الرزاق عن معمر به . ثم قال عبد الرزاق الفروة الحشيش الايض وما أشبهه
 يعنى المشيم اليابس . وقال الخطابي وقال أبو عمر الفروة الأرض البيضاء التي لانبات فيها وقال غيره هو
 المشيم اليابس شبهه بالفروة ومنه قيل فروة الرأس وهي جلده بما عليها من الشعر كما قال الراعي .

وَقَدْ تَرَى الْحَشِيشَ حَوْلَ يَبُوتِنَا جَدِيلًا إِذَا مَاتَلَّ يَوْمًا مَا كَلَا
 جِدًّا أَصْلَكَ كُلِّ سَفْرُورَةٍ رَأَيْتَ فَأَنْبَتَ بِجَانِبَاهُ فَلَقَلَّا

قال الخطابي إنما سمي الخضر خضرا لحسنه واشراق وجهه * قلت هذا لا يتناقى ما ثبت في الصحيح
 فان كان ولا بد من التعليل بإحدها فما ثبت في الصحيح أولى وأقوى بل لا يلتفت الى ما عدها وقد
 روى الحافظ ابن عساکر هذا الحديث أيضاً من طريق اسماعيل بن حفص بن عمر الاطلي حدثنا عثمان
 وأبو جزى وهمام بن يحيى عن قتادة عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن ابن عباس عن النبي (س) ،
 قال إنما سمي الخضر خضرا لانه صلى على فروة يضاء فاهتزت خضراء . وهذا غريب من هذا الوجه
 وقال قبيصة عن الثوري عن منصور عن مجاهد قال إنما سمي الخضر لانه كان اذا صلى اخضر ماحوله
 وتقدم أن موسى ويوشع عليهما السلام لما رجعا يقصان الاثر وجداه على طنفسة خضراء على كبد البحر
 وهو مسجى بثوب قد جعل طرفاه من تحت رأسه وقدميه فسلم عليه السلام فكشف عن وجهه فردوا قال
 أتى بلرذك السلام من أنت قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم فكان من أسرها ما قصة

الله في كتابه عنهما .

وقد دل سباق القصة على نبوته من وجوه . أحدها قوله تعالى (فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلماها من من لدنا علماً) الثاني قول موسى له (هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً . قال إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خيراً . قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً . قال فإن أتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً) فلو كان ولياً وليس نبي لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة ولم يرد على موسى هذا الرد بل موسى إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه فلو كان غير نبي لم يكن معصوماً ولم تكن لموسى وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة كبير رغبة ولا عظيم طلبه في علم ولي غير واجب العصمة ولما عزم على الذهاب إليه والتفتيش عليه ولو أنه يمضي حقاً من الزمان قبل ثمانين سنة ثم لما اجتمع به تواضع له وعظمة واتبعه في صورة مستفيد منه دل على أنه نبي مثله يوحى إليه كما يوحى إليه وقد خص من العلوم اللدنية والاسرار النبوية بما لم يطلع الله عليه موسى الكليم نبي بني إسرائيل الكريم وقد احتج بهذا المسلك بينه الرماني (١) على نبوة الخضر عليه السلام . الثالث أن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام وما ذلك إلا للوحى إليه من الملك العلام * وهذا دليل مستقل على نبوته . وبرهان ظاهر على عصمته لان الولي لا يجوز له الاقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقى في خلدته لان خاطره ليس بواجب العصمة اذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق . ولما أقدم الخضر على قتل ذلك الغلام الذي لم يبلغ الحلم علماً منه بأنه اذا بلغ يكفر ويحمل أبويه عن الكفر لشدة محبتهما له فيتأبانه عليه في قتله مصلحة عظيمة تربو على بقاء مهجته صيانة لأبويه عن الوقوع في الكفر وعقوبته دل ذلك على نبوته وانه مؤيد من الله بعصمته . وقد رأيت الشيخ أبا الفرج ابن الجوزي طرق هذا المسلك بينه في الاحتجاج على نبوة الخضر وصححه . وحكى الاحتجاج عليه الرماني أيضاً . الرابع أنه لما فسر الخضر تأويل تلك الافاعيل لموسى ووضح له عن حقيقة أسرته وجلى قال بعد ذلك كاه (رحمة من ربك وماضلة من أسرى) يعني ماضلة من تلقاء نفسى بل أمرت به وأوحى الى فيه فدلّت هذه الوجوه على نبوته * ولا ينافي ذلك حصول ولايته بل ولا رسالته كما قاله آخرون . وأما كونه ملكاً من الملائكة فغريب جداً . واذا ثبتت نبوته كما ذكرناه لم يبق لمن قال بولايته وان الولي قد يطلع على حقيقة الامور دون أرباب الشرع الظاهر مستند يستندون اليه ولا معتمد يعتمدون عليه .

وأما الخلاف في وجوده الى زماننا هذا فالجمهور على انه باق الى اليوم . قيل لانه دفن آدم بعد خروجهم من الطوفان فقاتله دعوة أبيه آدم بطول الحياة . وقيل لانه شرب من عين الحياة فحي .

وذكروا أخباراً استشهدوا بها على بقائه إلى الآن وسنوردها إن شاء الله تعالى وبه الثقة وهذه
 وصيته لموسى حين (قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئكم بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) روى في ذلك
 آثار منقطعة كثيرة . قال البيهقي أنبأنا أبو سعيد بن أبي عمرو حدثنا أبو عبد الله الصغار حدثنا أبو بكر
 ابن أبي الدنيا حدثنا اسحاق بن اسماعيل حدثنا جرير حدثني أبو عبد الله الملقب قال لما أراد موسى أن
 يفارق الخضر قال له موسى أوصني قال كن فاعماً ولا تكن ضراراً . كن بشاشاً ولا تكن غضباناً . ارجع
 عن البهاجة ولا تمش في غير حاجة . وفي رواية من طريق أخرى زيادة (ولا تضحك إلا من عجب) . وقال
 وهب بن منبه قال الخضر ياموسى ان الناس معذبون في الدنيا على قدر همومهم بها وقال بشر بن الحارث
 الحنفي قال موسى للخضر أوصني فقال يسر الله عليك طاعته . وقد ورد في ذلك حديث مرفوع رواه
 ابن عساکر من طريق ذكره ابن ينجي الوفاة إلا أنه من الكذابين الكبار . قال قرئ على عبد الله بن
 وهب وأنا أسمع قال الثوري قال مجالد قال أبو الوداك قال أبو سعيد الخدري قال عمر بن الخطاب قال
 قال رسول الله (ص) قال أخى موسى يارب ذكر كلمته فاته الخضر وهو فتى طيب الريم حسن رياض
 الثياب مشرهما فقال السلام عليك ورحمة الله ياموسى بن عمران إن ربك يقرأ عليك السلام . قال موسى
 هو السلام واليه السلام والحمد لله رب العالمين الذى لا أحصى نعمه ولا أقدر على أداء شكره إلا بموته
 ثم قال موسى أريد أن توصيني بوصية يتغنى الله بها بعدك . فقال الخضر ياطالب العلم ان القائل اقل
 ملامة (١) من المستمع فلا تمل جلساءك اذا حدثتهم واعلم ان قلبك وعاء فانظر ماذا تحشو به وعاءك . واعرف
 من الدنيا وابذها ورائك . فاتها ليست لك بدار ولا لك فيها محل قرار . وإنما جعلت بلغة للعباد والتزود منها
 ليوم المآد . ورض نفسك على الصبر تخلص من الأثم * ياموسى تفرغ للعلم ان كنت تريد فاقم العلم لمن تفرغ
 له * ولا تكن مكتناراً للعلم مهذاراً فان كثرة المنطق تشين العلماء وتبدي مساوى السخفاء . ولكن عليك
 بالاعتصام فان ذلك من التوفيق والسداد * وأعرض عن الجهال وماظلمهم واحلم عن السفهاء فان ذلك فعل
 الحكماء وزين العلماء اذا شتمك الجاهل فاسكت عنه حلماً . وجانبه حزماً . فان مايق من جهله عليك
 وسبه نيك أكثر وأعظم * يا ابن عمران ولا ترى أنك أوتيت من العلم إلا قليلاً * فان الاندلاث والتسلف
 من الاقتران والتكافؤ * يا ابن عمران لا تفتحن بابا لا تدرى ماغلقه ولا تفتحن بابا لا تدرى مافتح * يا ابن
 عمران من لا ينتهى من الدنيا نهته ولا تنقضى منها رغبته ومن يحقر حاله ويتمم الله فيما قضى له كيف
 يكون زاهداً . هل يكف عن الشهوات من غلب عليه هواه . أو يتغنى طلب العلم والجهل قد حواه لان
 سعيه الى آخرته وهو مقبل على دنياه * ياموسى تعلم ما تعلمت لتعمل به ولا تعلمه لتحدث به فيكون عليك
 بواره ولنيرك نور * ياموسى بن عمران اجعل الزهد والتقوى لباسك والعلم والذكر كلامك واستكثر
 من الحسنات فانك مصيب السينات وزعزع بالخوف قلبك فان ذلك برضى ربك واعمل خيراً فانك لا بد

عامل سوء . قد وعظت أن حفظت * قال فتولى الخضر وبقى موسى محزوناً مكروباً يبكي .
لا يصح هذا الحديث وأظنه من صنعة ذكرى بن يحيى الوقاد المصرى كذبه غير واحد من الأئمة
والمعجب أن الحافظ بن عساكر سكت عنه * وقال الحافظ أبو نعيم الإصبهاني حدثنا سليمان بن أحمد بن
أيوب الطبراني ثنا عمرو بن اسحاق بن إبراهيم بن الملاء الحمصي حدثنا محمد بن الفضل بن عمران الكندي
حدثنا بقية بن الوليد عن محمد بن زياد عن أبي امامة أن رسول الله (ص) قال لا صحابه إلا أحدثكم عن
الخضر قالوا بلى يا رسول الله قال بينا هو ذات يوم يمشي في سوق بني إسرائيل ابصره رجل مكاتب فقال
تصدق على بارك الله فيك فقال الخضر آمنت بالله ما شاء الله من أمر يكون ما عندي من شيء أعطيكه
فقال المسكين أسألك بوجه الله لا تصدقت على فاني نظرت الى السماء في وجهك ورجوت البركة عندك
فقال الخضر آمنت بالله ما عندي من شيء أعطيكه إلا أن تأخذني فتبينني فقال المسكين وهل يستقيم
هذا قال نعم الحق أقول لك لقد سألتني بامر عظيم أما أني لا أخيبك بوجه ربي يعني قال قدمه الى السوق
فباعه بأربعمائة درهم فكث عند المشتري زماناً لا يستعمله في شيء فقال له انك ابتعتني التماس خير عندي
فاوضني بمل قال أكره أن أشق عليك انك شيخ كبير ضعيف . قال ليس يشق على . قال فانقل هذه
الحجارة وكان لا ينقلها دون ستة نفر في يوم فخرج الرجل لبعض حاجاته ثم انصرف وقد قل الحجارة في
ساعة . قال أحسنت وأجملت وأطقت مالم أرك تطيقه . ثم عرض للرجل سفر فقال إني أحسبك أميناً
فانخفي في أهلي خلافة حسنة قال فاوضني بمل قال إني أكره أن أشق عليك قال ليس تشق على قال
فاضرب من الابن لبيتي حتى أقدم عليك فمضى الرجل لسفره فرجع وقد شيد بناؤه فقال أسألك بوجه الله
ماسبيك وما أسرك فقال سألتني بوجه الله والسؤال بوجه الله أوتعتني في العبودية سأخبرك من أنا أنا الخضر
الذي سمعت به سألتني مسكين صدقة فلم يكن عندي من شيء أعطيه فسألني بوجه الله فامكنته من رقبتي
فباعني وأخبرك أنه من سئل بوجه الله فرد سائله وهو بقدر وقف يوم القيامة جلده للاحم له ولا عظم
يتمقع . فقال الرجل آمنت بالله شققت عليك يا نبي الله ولم أعلم قال لا بأس أحسنت وأقيت . فقال الرجل
يا نبي وأمي يا نبي الله أحكم في أملي ومالي بما أراك الله أو أخبرك فخلني سبيك فقال أحب أن تخلني سبيلي
فاعبد ربي فخلني سبيله فقال الخضر الحمد لله الذي أوتعتني في العبودية ثم نجاني منها . وهذا حديث رفته
خطأ والأشبه أن يكون موقوفاً في رجاله من لا يعرف فأنه أعلم .

وقد رواه ابن الجوزي في كتابه بحالة المنتظر في شرح حال الخضر من طريق عبد الوهاب بن
الضحاك وهو متروك عن بقية . وقد روى الحافظ بن عساكر بسناده الى السدي أن الخضر والياس كانا
أخوين وكان أبوهما ملكاً فقال الياس لايه إن أخى الخضر لا رغبة له في الملك فلو أنك زوجته لعله
يحيى منه ولد يكون الملك له فزوجه أبوه بامرأة حسنة بكر فقال لما الخضر إنه لا حاجة لي في النساء فان

شئت اطلقت سراحك وان شئت أقت مى تعبدن الله عز وجل وتكتمين على سرى قتالت نعم
وأقامت معه سنة . فلما مضت السنة دعاها الملك فقال إنك شابة وابنى شاب فابن الولد قتالت إنما الولد
من عند الله ان شاء كان وان لم يشأ لم يكن فامرہ أبوہ فطلتها وزوجه باخرى ثيبا قد ولد لها فلما زفت
اليه قال لها كما قال لتي قبلها فلجابت الى الاقامة عنده . فلما مضت السنة سأها الملك عن الولد قتالت إن
ابنك لا حاجة له بالنساء فتطلبه أبوہ فهرب فارسل وراءه فلم يقدروا عليه . فيقال إنه قتل المرأة الثانية
لكونها أقتت سره فهرب من أجل ذلك وأطاق سراح الاخرى فاقامت تعبد الله في بعض نواحي
تلك المدينة فمر بها رجل يوما فسمعه يقول بسم الله قتالت له أنى لك هذا الاسم فقال إني من أصحاب
الخنزر فتزوجته فولدت له أولاداً . ثم صار من أمرها أن صارت ماشطة بنت نزعون فيينا هي يومًا تمسحها
إذ وقع المشط من يدها قتالت بسم الله قتالت ابنة فرعون أبى قتالت لا ربى وربك ورب أيك الله
فأعلمت أباها فامر بنقرة من نحاس فاحميت ثم أمر بها فالتقت فيه فلما عاينت ذلك تقاعست أن تقع
فيها فقال لها ابن مميها صغير يا أمه أصبرى فانك على الحق فالتقت نفسها في النار فات رحمتها الله * وقد
روى ابن عساکر عن أبى داود الاعمى قبيح وهو كذاب وضاع عن أنس بن مالك ومن طريق كثير
ابن عبد الله بن عمرو بن عوف وهو كذاب أيضا عن أبيه عن جده أن الخضر جاء ليلة فسمع النبي
(ص) وهو يدعو ويقول اللهم أعنى على ما ينتجني مما خوفني وارزقني شوق الصالحين الى ماشوقهم
اليه فبعث اليه رسول الله أنس بن مالك فسلم عليه فرد عليه السلام وقال قل له ان الله فضلك على الانبياء
كما فضل شهر رمضان على سائر الشهور وفضل أمتك على الامم كما فضل يوم الجمعة على غيره الحديث
وهو مكذوب لا يصح سنداً ولا متنأ كيف لا يتثل بين يدي رسول الله (ص) ويحى بنفسه . مسلما
ومتعلما وهم يذكرون في حكاياتهم وما يسندونه عن بعض مشايخهم أن الخضر يأتي اليهم ويسلم عليهم
ويعرف أسماءهم ومنازلهم ومحالمهم وهو مع هذا لا يعرف موسى بن عمران كليم الله الذي اصطفاه الله في
ذلك الزمان على من سواه حتى يتعرف اليه بأنه موسى بنى اسرائيل . وقد قال الحافظ أبو الحسين بن
المنادى بعد ايراده حديث أنس هذا وأهل الحديث متفقون على أنه حديث منكر الاستناد سقيم المتن
يتبين فيه أثر الصنعة . فلما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي قائلا أخبرنا أبو عبد الله الحافظ
أخبرنا أبو بكر بن بالويه حدثنا محمد بن بشر بن مطر حدثنا كامل بن طلحة حدثنا عباد بن عبد الصمد
عن أنس بن مالك قال لما قبض رسول الله (ص) : أحلق به أصحابه فبكوا حوله واجتمعوا فدخل رجل
أشهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكى ثم التفت الى أصحاب رسول الله (ص) فقال ان في الله
عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فالى الله فانيبوا واليه فارغبوا ونظر اليكم
في البلاء فانظروا فان المصاب من لم يجير وانصرف فقال بعضهم لبعض تعرفون الرجل فقال أبو بكر وعلى

نعم هو أخو رسول الله (ص)، انظر عليه السلام . وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن كامل بن طلحة به وفي
 متنه مخالفة لسياق البيهقي ثم قال البيهقي عباد بن عبد الصمد ضعيف وهذا منكر بكرة قلت عباد بن عبد
 الصمد هذا هو بن ميمر البصرى . روى عن أنس نسخة قال ابن حبان والقبيلي أكثرها موضوع *
 وقال البخارى منكر الحديث . وقال أبو حاتم ضعيف الحديث جداً منكره . وقال بن عدى عامة ما يرويه
 في فضائل على وهو ضعيف غال في التشيع . وقال الشافى في مستنده أخبرنا القاسم بن عبد الله بن
 عمر عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده على بن الحسين قال لما توفى رسول الله (ص)، وجاءت التعزية
 سمعوا قائلاً يقول إن في الله عزاء من كل مسمية وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائمة فبالله فقوا
 وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب . قال على بن الحسين أتدرون من هذا . هذا الخضر * شيخ
 الشافى القاسم العمري متروك . قال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يكذب . زاد أحمد ويضع الحديث
 ثم هو مرسل ومثله لا يعتمد عليه ههنا والله أعلم . وقد روى من وجه آخر ضعيف عن جعفر بن محمد
 عن أبيه عن جده عن أبيه عن على . ولا يصح . وقد روى عبد الله بن وهب عن حدثه عن محمد بن
 عجلان عن محمد بن المنكدر أن عمر بن الخطاب بينما هو يصلى على جنازة إذ سمع هاتفا وهو يقول لا
 تسبقنا رحمك الله فانتظره حتى لحق بالصف فذكر دعاءه للبيت إن تمذه فكثيراً عصاك وإن تغفر له فقبر
 الى رحمتك * ولما دفن قال طوبى لك يا صاحب القبر إن لم تكن عريفاً أو جانياً أو خازناً أو كاتباً أو
 شرطياً فقال عمر خذوا الرجل نسأله عن صلاته وكلامه عن هو . قال فتوارى عنهم فنظروا فإذا أثر قدمه
 ذراع . فقال عمر هذا والله الخضر الذى حدثنا عنه رسول الله (ص)، . وهذا الاثر فيه مبهم وفيه اقطاع
 ولا يصح مثله .

وروى الحافظ بن عساكر عن الثورى عن عبد الله بن محرز عن يزيد بن الاصم عن على بن
 أبي طالب قال دخلت الطواف في بعض الليل فإذا أنا برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول يا من لا يمنه
 سمع من سمع ويا من لا تفلطه المسائل ويا من لا يبرمه الحاح الملحدين ولا مسألة السائلين أرزقنى برد عفوك
 وحلاوة رحمتك قال قلت أعد على ما قلت فقال لى أو سمعته قلت نعم فقال لى والذى نفس الخضر بيده
 قال وكان هو الخضر لا يقو لها عبد خلف صلاة مكتوبة إلا غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل ذبذبة البحر
 وورق الشجر وعدد النجوم لنفرها الله له . وهذا ضعيف من جهة عبد الله بن محرز فانه متروك
 الحديث ويزيد بن الاصم لم يدرك علياً ومثل هذا لا يصح والله أعلم . وقد رواه أبو اساميل الترمذى
 حدثنا مالك بن اساميل حدثنا صالح بن أبي الاسود عن محفوظ بن عبد الله الخضرى عن محمد بن يحيى
 قال بينما على بن أبي طالب يطوف بالكعبة إذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول يا من لا يشغله
 سمع عن سمع ويا من لا يفلطه السائلون ويا من لا يتبرم بالحاح الملحدين أرزقنى برد عفوك وحلاوة رحمتك

قال قتال له على يا عبد الله أعد دعاءك هذا قال وقد سمعته قال ثم قال فادع به في دبر كل صلاة فوالذي
نفس الخضر بيده لو كان عليك من الذنوب عدد نجوم السماء ومطرها وحصباء الأرض وترابها لغفر
لك أسرع من طرفة عين . وهذا أيضا منقطع وفي اسناده من لا يهروم والله أعلم .

وقد أورد ابن الجوزي من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا حدثنا يعقوب بن يوسف حدثنا مالك بن
اسماعيل فذكر نحوه . ثم قال وهذا إسناد مجهول منقطع وليس فيه ما يلبس على أن الرجل الخضر . وقال
الحافظ أبو القاسم ابن عساکر أنبأنا أبو القاسم بن الحصين أنبأنا أبو طالب محمد بن محمد أنبأنا أبو اسحق
المزكي حدثنا محمد بن اسحق بن خزيمة حدثنا محمد بن احمد بن يزيد أملاه علينا ببادان أنبأنا عمرو بن
عاصم حدثنا الحسن بن زريق عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال ولا أعلمه إلا مرفوعا إلى
النبي (ص) قال يلتقي الخضر والياس كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفرقان
عن هؤلاء الكلمات بسم الله ماشاء الله لا يسوق الخير إلا الله ماشاء الله لا يصرف الشر إلا الله ماشاء الله
ما كان من نعمة فمن الله ماشاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله . قال وقال ابن عباس من قاله حين يصبح
وحين يمسي ثلاث مرات آمنه الله من العرق والحرق والسرق قال وأحسبه قال ومن الشيطان والسايطان
والحية والمقرب .

قال الدار القطنى في الافراد هذا حديث غريب من حديث ابن جريج لم يحدث به غير هذا
الشيخ عنه يعنى الحسن بن زريق هذا * وقد روى عنه محمد بن كثير العبدى أيضا ومع هذا قال فيه
الحافظ أبو أحمد بن عدى ليس بالمعروف * وقال الحافظ أبو جعفر العقبلى مجهول وحديثه غير محفوظ .
وقال أبو الحسن بن المنادى هو حديث واه بالحسن بن زريق . وقد روى ابن عساکر نحوه من طريق
على بن الحسن الجهمضى وهو كذاب عن ضمرة بن حبيب المقدسى عن أبيه عن العلاء بن زياد القشبرى
عن عبد الله بن الحسن عن أبيه عن جده عن على بن أبي طالب مرفوعا قال يجمع كل يوم عرفة بعرفات
جبريل وميكائيل وإسرافيل * والخضر وذو كرم حديثنا طويلا موضوعا تركنا إيراد قصدا والله الحمد .
وروى ابن عساکر من طريق هشام ابن خالد عن الحسن بن يحيى الخشقى عن ابن أبي رواد قال الياض
والخضر يصومان شهر رمضان بيت المقدس ويحجان في كل سنة ويشربان من ماء زمزم شربة واحدة
تكفيهما إلى مثلها من قابل . وروى ابن عساکر أن الوليد بن عبد الملك بن مروان أبى جامع دمشق
أحب أن يتعبد ليلة في المسجد فامر القومة أن يخلوه له ففعلوا فلما كان من الليل جاء من باب الساعات
فدخل الجامع فاذا رجل قائم يصلى فيما بينه وبين باب الخضر . فقال للقومة ألم أمركم أن تخلوه فقالوا
يا أمير المؤمنين هذا الخضر يحيى كل ليلة يصلى ههنا . وقال ابن عساکر أيضا أنبأنا أبو القاسم بن اسماعيل
ابن أحمد أنبأنا أبو بكر بن الطبرى أنبأنا أبو الحسين بن الفضل أنبأنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب هو

ابن سفيان الفسوي حدثني محمد بن عبد العزيز حدثنا حمزة عن السري بن يحيى عن رباح بن عبيدة قال رأيت رجلا يمشي عمر بن عبد العزيز ممتدا على يديه قلت في نفسي إن هذا الرجل حافي قال فلما انصرف من الصلاة قلت من الرجل الذي كان ممتدا على يدك أفنا قال وهل رأيته يارباح قلت نعم قال ما أحسبك إلا رجلا صالحاً ذلك أبا الخضر بشرى أنى سأل وأعدل . قال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي الرملي مجروح عند العلماء * وقد قدح أبو الحسين بن المنادي في ضرة والسري ورباح . ثم أورد من طرق آخر عن عمر بن عبد العزيز أنه اجتمع بالخضر وضمها كلها . وروى ابن عساكر أيضاً أنه اجتمع بأبراهيم التيمي وسفيان بن عيينة وجماعة يطول ذكركم . وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب الى حياته الى اليوم وكل من الاحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الاسناد * وقصاراها أنها صحيحة الى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره لانه يميز عليه الخطأ والله أعلم . وقال عبد الرزاق أن أبا نعيم عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا سعيد قال حدثنا رسول الله (ص) ، حديثاً طويلاً عن الدجال وقال فيما يحدثنا يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل قباب المدينة فيخرج اليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خيره فيقول أشهد أنك أنت الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله (ص) ، بحديثه فيقول الدجال أرايتم إن قلت هذا ثم أحييته أتشكون في الامر فيقولون لا فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحيى والله ما كنت أشد بصيرة فيك مني لأن قال فيريد قتله الثانية فلا يسلب عليه قال معمر بلغنى أنه يجمل على حلقة صحيفة من نحاس وبلغنى أنه الخضر الذي يقتله الدجال ثم يحييه وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري به وقال أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن سفيان القمي الراوي عن مسلم الصحيح أن يقال إن هذا الرجل الخضر وقول معمر وغيره بلغنى ليس فيه حجة وقد ورد في بعض الفاظ الحديث فيأتي بشاب ممتلئ شباباً فيقتله وقوله الذي حدثنا عنه رسول الله (ص) ، لا يقتضى المشافهة بل يكفى التواتر . وقد تصدى الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله في كتابه بحالة المنتظر في شرح حالة الخضر للاحاديث الواردة في ذلك من المرفوعات فبين أنها موضوعات ومن الآسار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم فبين ضعف أسانيدها ببيان أحوالها وجهالة رجالها وقد أجاد في ذلك وأحسن الاقتاد * وأما الذين ذهبوا الى أنه قدمت ومنهم البخاري وابراهيم الحاربي وأبو الحسين بن المنادي والشيخ أبو الفرج بن الجوزي وقد اتصرت لذلك والف فيه كتابا سماه بحالة المنتظر في شرح حالة الخضر فيحتج لهم بأشياء كثيرة * منها قوله (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) فالخضر إن كان بشراً قد دخل في هذا المصوم لاحتماله ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح انتهى والاصل عدمه حتى يثبت ولم يذكر ما فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله . ومنها أن الله تعالى قال (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب

وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقرتم وأخذتم على ذلك إسرئ قالوا
 أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين قال ابن عباس ما بثت الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن
 بثت محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه. وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بثت محمد وهم أحياء ليؤمنن
 به وينصرنه. ذكره البخاري عنه فالخضر إن كان نبياً أو ولياً فقد دخل في هذا الميثاق فلو كان حياً في زمن
 رسول الله (ص)، لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه يؤمن بما أنزل الله عليه وينصره أن يصل
 احد من الاعداء اليه لأنه إن كان ولياً فالصديق أفضل منه وإن كان نبياً فموسى أفضل منه وقد روى
 الامام أحمد في مسنده حدثنا شرح بن النعمان حدثنا هشيم أنبأنا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله
 أن رسول الله (ص) قال والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ماوسمه إلا أن يتبعني . وهذا الذي
 يقطع به ويعلم من الدين علم الضرورة . وقد دلت عليه هذه الآية الكريمة أن الانبياء كلهم لو فرض
 أنهم أحياء مكلفون في زمن رسول الله (ص) لكانوا كلهم أتباعا له وتحت أوامره وفي عموم شرعه
 كما أنه صلوات الله وسلامه عليه لما اجتمع معهم ليلة الاسراء رفع فوقهم كاهم ولما هبطوا معه الى
 بيت المقدس وحانت الصلاة أمره جبريل عن أمر الله أن يؤمهم فصلى بهم في محبل ولايتهم ودار
 اقامتهم فدل على أنه الامام الاعظم والرسول الخاتم المبجل المقدم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم
 أجمعين . فاذا علم هذا وهو معلوم عند كل مؤمن علم أنه لو كان الخضر حياً لكان من جملة أمة محمد
 (ص) . ومن يقتدى بشرعه لا يسعه إلا ذلك * هذا عيسى بن مريم عليه السلام اذا نزل في آخر الزمان
 يحكم بهذه الشريعة المطهرة لا يخرج منها ولا يجحد عنها وهو أحد أولى العزم الخمسة المرسلين وخاتم انبياء
 بني إسرائيل والمعلوم أن الخضر لم يتقل بسند صحيح ولا حسن تسكن النفس اليه أنه أجمع برسول الله
 (ص) . في يوم واحد ولم يشهد معه قتالا في مشهد من المشاهد وهذا يوم بدر يقول الصادق المصدوق
 فيما دعا به لربه عز وجل واستنصره واستنصحه على من كفره اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتبعد بها في
 الارض وتلك العصابة كان تحتها سادة المسلمين يومئذ وسادة الملائكة حتى جبريل عليه السلام كما قال
 حسان بن ثابت في قصيدة له في بيت يقال إنه أقر بيت قالته العرب

وَتَبِيْرٌ بِدْرِ اَدْرِدٍ وُجُوْهِهِمْ جِبْرِيلٌ تَحْتَ لَوَائِنَا وَمَحْدٌ

فلو كان الخضر حياً لكان وقوفه تحت هذه الراية أشرف مقاماته وأعظم غزواته . قال القاضي
 أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي مثل بعض أصحابنا عن الخضر هل مات فقال نعم قل وبلغني
 مثل هذا عن أبي طاهر بن العباري قال وكان يمتنع بأنه لو كان حياً بلقاء الى رسول الله (ص) . قاله ابن
 الجوزي في العجالة * فان قيل فهل يقال إنه كان حاضراً في هذه المواطن كلها ولكن لم يكن أحد يراه .
 فالجواب أن الاصل عدم هذا الاحتمال البعيد الذي يلزم منه تخصيص العمومات بمجرد التوهمات .

ثم ما الجاصل له على هذا الاختفاء وظهوره أعظم لاجره وأعلى في مرتبته وأظهر لمجزته . ثم لو كان باقيا بعده لكان قبله عن رسول الله (س) ، الاحاديث النبوية والآيات القرآنية وانكاره لما وقع من الاحاديث المكذوبة والروايات المقلوبة والآراء البديعية والاهواء العصبية وقاتله مع المسلمين في غزواتهم وشهوره جمعهم وجماعاتهم وفضه أيام ودفنه الضرر عنهم من سوامم وتسيده العلماء والحكام وتقريره الادلة والاحكام أفضل ما يقال عنه من كونه في الامصار . وجوبه الفياق والاقطار . واجتماعه بباد لا يعرف أحوال كثير منهم وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم ، وهذا الذي ذكرناه لا يتوقف احد فيه بعد التفهيم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين وغيرها عن عبد الله بن عمر أن رسول الله (س) ، صلى ليلة المشاء ثم قال أرايتم ليلتكم هذه فانه الى مائة سنة لا يبقى ممن هو على وجه الارض اليوم أحد . وفي رواية عين تطرف . قال ابن عمر قَوْلُ هَلْ النَّاسُ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ (س) ؛ هذه وإنما أراد أنجرام قرنه . قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبانا معمر عن الزهري قال أخبرني سالم بن عبد الله وأبو بكر بن سليمان ابن أبي خيثة أن عبد الله بن عمر قال صلى رسول (س) ، ذات ليلة المشاء في آخر حياته فلما سلم قام فقال أرايتم ليلتكم هذه فان على رأس مائة سنة لا يبقى ممن على ظهر الارض أحد وأخرجه البخاري ومسلم من حديث الزهري * وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن سليمان التيمي عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول (س) ، قبل موته بقليل أو بشهر مامن نفس منفوسة أو مامنكم من نفس اليوم منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي يومئذ حية وقال أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا بن طيمية عن أب الزبير عن جابر عن النبي (س) ، أنه قال قبل أن يموت بشهر يسألونني عن الساعة وإنما علمها عند الله أقسم بالله ماعلى الارض نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة . وهكذا رواه مسلم من طريق أبي نضرة وأبي الزبير كل منهما عن جابر بن عبد الله به نحوه . وقال الترمذي حدثنا عباد حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال رسول (س) ، ماعلى الارض من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة . وهذا أيضا على شرط مسلم * قال ابن الجوزي فهذه الاحايث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر * قالوا فالخضر إن لم يكن قد أدرك زمان رسول الله (س) ، كإهل المظنون الذي يترقى في القوة الى التقطع فلا إشكال وإن كان قد أدرك زمانه فهذا الحديث يقتضى أنه لم يش بعد مائة سنة فيكون الآن . مقوداً لا موجوداً لانه داخل في هذا العموم والاصل عدم التخصص له حتى يثبت بدليل صحيح يجب قبوله والله أعلم . وقد حكى الحافظ أبو القاسم السهيلي في كتابه التعريف والاعلام عن البخاري وشيخه أبي بكر بن العربي أنه أدرك حياة النبي (س) ، ولكن مات بعده لهذا الحديث وفي كون البخاري رحمه الله يقول بهذا وأنه بقى الى زمان النبي (س) ، نظر * ورجح السهيلي بقائه وحكاه عن الاكثرين * قال وأما اجتماعه

مع النبي (ص) وقزيت له أهل البيت بعده فروى من طرق صحاح ثم ذكر ماتمدم بما ضفناه ولم يورد
أسانيدها والله أعلم

ورثا الياس عليه السلام

قال الله تعالى بعد قصة موسى وهرون من سورة الصافات (وإن الياس بن المرسلين. اذ قال لقومه
ألا تتقون. أتدعون بلأ وتذرون أحسن الخالقين. الله ربكم ورب آبائكم الاولين. فكذبوه قههم
لمحضرون. إلا عباد الله المخلصين. وتركنا عليه في الآخريين. سلام على الياسين. إنا كذلك نجزي
المحسنين. إنا من عبادنا المؤمنين) قال علماء النسب هو الياس النشبي * ويقال ابن ياسين بن فنحاص
ابن العيزار بن هرون * وقيل الياس بن العازر بن العيزار بن هارون بن عمران. قالوا وكان ارساله الى
أهل بلبك غربي دمشق فدعاهم الى الله عز وجل وأن يتركوا عبادة صنم لهم كانوا يسمونه بلأ. وقيل
كانت امرأة اسمها بل والأول أصح. ولهذا قال لهم (ألا تتقون. أتدعون بلأ وتذرون أحسن
الخالقين. الله ربكم ورب آبائكم الاولين) فكذبوه وخالفوه وأرادوا قتله فيقال إنه هرب منهم واختفي
عنهم * قال أبو يعقوب الأدرعي عن يزيد بن عبد الصمد عن هشام بن عمار قال وسمت من يذكر عن
كعب الاحبار أنه قال إن الياس اختفى من ملك قومه في الغار الذي تحت الدم عشر سنين حتى أهلك
الله الملك وولى غيره فاته الياس فرض عليه الاسلام فأسلم وأسلم من قومه خلق عظيم غير عشرة آلاف
منهم فامر بهم فقتلوا عن آخرهم. وقال ابن أبي الدنيا حدثني أبو محمد القاسم بن هاشم حدثنا عمر بن
سعيد الدمشقي حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن بعض مشيخة دمشق قال أقام الياس عليه السلام هاربا من
قومه في كهف جبيل عشرين ليلة أو قال أربعين ليلة تأتيه القرى برزقه. وقال محمد بن سعد كاتب
الواقدي أنبأنا هشام بن محمد بن السائب الكلابي عن أبيه قال أول نبي بعث إدريس ثم نوح ثم ابراهيم
ثم اسماعيل واسحق ثم يعقوب ثم يوسف ثم لوط ثم هود ثم صالح ثم شعيب ثم موسى وهارون ابنا
عمران ثم الياس النشبي بن العازر بن هارون بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق
ابن ابراهيم عليهم السلام هكذا قال وفي هذا الترتيب نظر * وقال مكحول عن كعب أربعة أنبياء أحياء
اثنتان في الأرض الياس والخضر واثنتان في السماء إدريس وعيسى. وقد قدمنا قول من ذكر أن
الياس والخضر يجتمعان في كل عام في شهر رمضان بيت المقدس وأنها يجبان كل سنة ويشربان
من زمزم شربة تكفيهما الى مثلها من العام المقبل * وأوردنا الحديث الذي فيه أنهما يجتمعان بمرقات
كل سنة وبيننا أنه لم يصح شيء من ذلك وأن الذي يقوم عليه الدليل أن الخضر مات وكذلك الياس
عليهما السلام. وما ذكره وهب بن منبه وغيره أنه لما دعا ربه عز وجل أن يقبضه اليه لما كذبوه وآذوه

بجاءته دابة لونها لون النار فركبها وجعل الله له ريشا وألبسه النور وقطع عنه لثة المطعم والمشرب وصار ملكيا بشريا سماويا أرضيا وأوصى الى اليسع بن أخطوب ففى هذا فطر وهو من الاسراييلات التى لا تصدق ولا تكذب بل الظاهر أن صحتها بيده والله أعلم .

فلما الحديث الذى رواه الحافظ أبو بكر البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنى أبو س. أحمد ابن سعيد المعدانى يخار حدثنا عبد الله بن محمود حدثنا عبدان بن سنان حدثنى أحمد بن عبد الله البرقى حدثنا يزيد بن يزيد البلوى حدثنا أبو اسحاق الفزارى عن الاوزاعى عن مكحول عن أنس بن مالك قال كنا مع رسول الله (س) فى سفر قزلنا منزلا فاذا رحل فى الوادى يقول اللهم اجعلنى من أمة محمد (س) المرحومة المغفورة المتاب لما قال فأشرفت على الوادى فاذا رجل طوله أ كثر من ثلاثمائة ذراع فقال لى من أنت قتلت أنس بن مالك خادم رسول الله (س) . قال فأين هو قلت هو ذا يسمع كلامك قال فأنه فأقره السلام وقل له أخوك الياس يقرئك السلام قال فابتيت النبى (س) فاخبرته بجاه حتى لقيه فهاقه وسلم ثم قعدا يتحدثان قاله يارسول الله إني ما آكل فى سنة إلا يوما وهذا يوم فطرى فأكل أنا وأنت قال قزلت عليهما مائة من السماء عليهما خبز وحوت وكرفس فأكلا وأطعماني وصلينا المصر ثم ودعه ورأيت مر فى السحاب نحو السماء . فقد كفانا البيهقى أمره وقال هذا حديث ضيف بكرة والمجب أن الحاكم أبا عبد الله النيسابورى أخرجه فى مستدركه على الصحيحين وهذا مما يستدرك به على المستدرك فانه حديث موضوع مخالف للأحاديث الصحاح من وجوه . ومعناه لا يصح أيضا فقد تقدم فى الصحيحين أن رسول الله (س) قال لى أن الله خلق آدم طوله ستون ذراعا فى السماء الى أن قال ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن وفيه أنه لم يأت الى رسول الله (س) حتى كان هو الذى ذهب اليه . وهذا لا يصح لانه كان أحق بالسمى الى بين يدي خاتم الانبياء . وفيه أنه يأكل فى السنة مرة وقد تقدم عن وهب أنه سلبه الله لثة المطعم والمشرب وفيما تقدم عن بعضهم أنه يشرب من زمزم كل سنة شربة تكفيه الى مثلها من الحول الآخر . وهذه أشياء متعارضة وكلها باطلة لا يصح شئ منها . وقد ساق ابن عساكر هذا الحديث من طريق أخرى واعترف بضعفها وهذا يجب منه كيف تكلم عليه فانه أورده من طريق حسين بن عرقه عن هانى بن الحسن عن بقية عن الاوزاعى عن مكحول عن وائلة عن ابن الاسقع فذكر نحو هذا مطولا وفيه أن ذلك كان فى غزوة تبوك وأنه بعث اليه رسول الله (س) . أنس بن مالك وحذيفة بن اليمان قالا فلذا هو أعلى جسما بنذراعين أو ثلاثة واعتذر بدم قدرته لثلاثين الابل وفيه أنه لما اجتمع به رسول الله (س) . أكلا من طعام الجنة وقال إن لى فى كل أربعين يوما أكلة وفى المائة خبز ورمان وعتب وموز ورطب وقل ماعدا الكراث وفيه أن رسول الله (س) . سأله عن الخضر قال عهدى به عام أول وقال لى إنك ستقاه قبلى فأقرته منى السلام . وهذا يدل على أن الخضر

والياس بتقدير وجودها وصحة هذا الحديث لم يجتمعا به إلى ستة قسح من الهجرة وهذا لا يسوغ شرعاً
 وهذا موضوع أيضاً . وقد أورد ابن عساكر طرفاً فيمن اجتمع بالياس من البلاد وكلها لا يفرح بها
 لضعف إسنادها أو لجهالة المستداليه فيها * ومن أحسنها ما قال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني بشر بن معاذ
 حدثنا حماد بن واقد عن ثابت قال كنا مع مصعب بن الزبير بسواد الكوفة فدخلت حائطاً أصلي فيه
 ركعتين فافتحت (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
 ذي الطول) . فإذا رجل من خلفي على بئنة شبيه عليه مقطعات يمنية فقال لي إذا قلت غافر الذنب قتل
 يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي * وإذا قلت قابل التوب قتل يا قابل التوب تقبل توبتي . وإذا قلت شديد
 العقاب قتل يا شديد العقاب لا تماقبي . وإذا قلت ذي الطول قتل يا ذا الطول تطول علي برحمة فالتفت
 فإذا لا أحد وخرجت فسألت من بكى رجل على بئنة شبيه عليه مقطعات يمنية فقالوا ما سر بنا أحد فكأنوا
 لا يرون إلا أنه الياس . وقوله تعالى . (فكذبوه قلمهم لمحضرون) أي للذئاب إما في الدنيا والآخرة
 أو في الآخرة والأول أظهر على ما ذكره المنسرون والمؤرخون . (وقوله إلا عباد الله المخلصين) أي
 إلا من آمن منهم وقوله (وتركنا عليه في الآخرين) أي ابتينا بسده ذكر آ حسناً له في العالمين فلا
 يذكر إلا بخير ولهذا قال (سلام على ياسين) أي سلام على الياس . العرب تلحق النون في أسماء كثيرة
 وتبدلها من غيرها كما قالوا اسماعيل واسماعيل واسرائيل واسرائين والياس والياسين . ومن قرأ سلام
 على آل ياسين أي على آل محمد وقرأ ابن مسعود وغيره سلام على ادرايين . ونقل عنه من طريق
 اسحاق عن عبيدة بن ربيعة عن ابن مسعود أنه قال الياس هو ادريس واليه ذهب الضحاك بن
 مزاحم وحكاة قتادة ومحمد بن اسحاق والصحيح أنه غيره كما تقدم والله أعلم . *



بحمد الله تعالى قد تم الجزء الاول من كتاب البداية والنهاية ويليه الجزء الثاني وأوله
(ذكر جماعة من أنبياء بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام)

فهرست الجزء الاول

من كتاب البداية والنهاية

صفحة	صاحبة
٣	٥٥ - باب خلق الجنان وقصة الشيطان
٤	٦٨ - باب خلق آدم عليه السلام
٨	٨١ - احتجاج آدم وموسى عليها السلام
٩	٨٥ - الاحاديث الواردة في خلق آدم
١٣	٩٢ - قصة قابيل وهابيل
١٤	٩٨ - وفاة آدم ووصيته الى ابنه شيث
١٥	٩٩ - ادريس عليه السلام
١٨	١٠٠ - قصة نوح عليه السلام
٢٢	١١٨ - ذكر شيء من اخبار نوح عليه السلام
٢٨	١١٨ - صومه عليه السلام
٢٩	١١٩ - حجته عليه السلام
من الآيات	١١٩ - وصيته لولده
أ - الاجماع على ان السموات مستديرة	١٢٠ - قصة هود عليه السلام
ب - حديث سب الدهر	١٣٠ - قصة صالح نبي ثمود عليه السلام
ج - اليونانيون ودمشق	١٣٧ - ذكر أبي رغال من بني ثمود
د - هاروت وماروت	١٣٨ - مرور النبي يورادي الحجر
٣٨ - المعجزة وقوس مزج	من أرض ثمود عام تبرك
٤٠ - باب ذكر خلق الملائكة وصفاتهم	١٣٩ - قصة ابراهيم خليل الرحمن
٤٩ - فصل	١٤٧ - ذكر مناظرة ابراهيم الخليل مع من ادعى
٥٤ - فصل	الربوبية وهو احد العميد الضمفاه

. صفحة

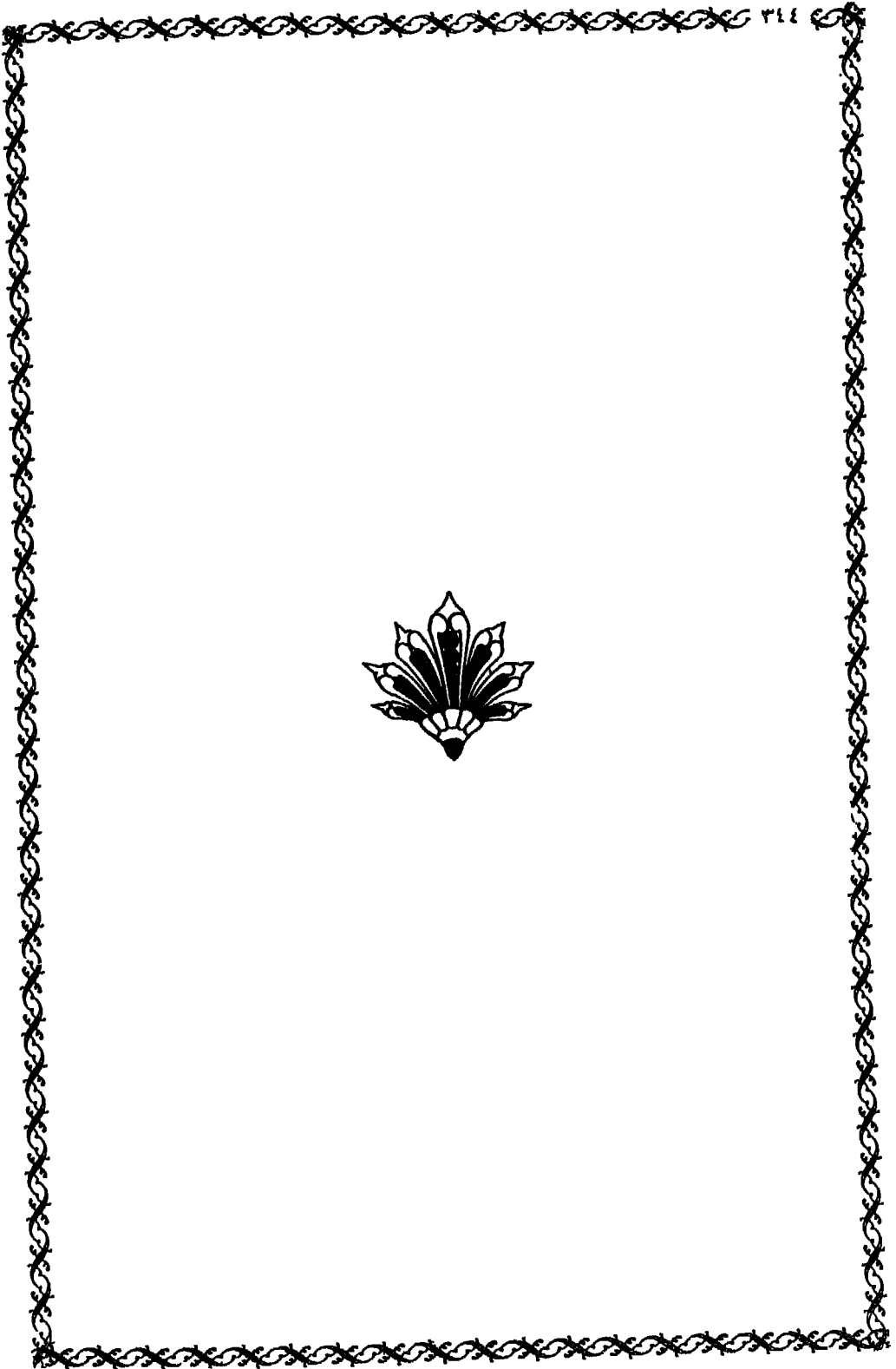
- ١٤٩ - هجرة الخليل الى بلاد الشام ثم الديار
المصرية واستقراره في الارض المقدسة
- ١٥٣ - ذكر مولد اسماعيل من هاجر
- ١٥٤ - ذكر مهاجرة ابراهيم بابنه اسماعيل وامه
الى جبال فاران وهي ارض مكة
وبنائها البيت العتيق
- ١٥٧ - قصة الذبيح
- ١٦٠ - مولد اسحاق
- ١٦٣ - بناء البيت العتيق
- ١٦٦ - ذكر ثناء الله ورسوله الكريم على
عبده وخليله ابراهيم .
- ١٧٢ - قصره في الجنة
- ١٧٣ - صفة ابراهيم عليه السلام
- ١٧٣ - وفاة ابراهيم وما قيل في عمره
- ١٧٥ - ذكر اولاد ابراهيم الخليل
- ١٨٣ - قصة مدّين قوم شعيب عليه السلام
- ١٩١ - باب ذرية ابراهيم
- ١٩١ - اسماعيل عليه السلام
- ١٩٣ - اسحاق بن ابراهيم عليها الصلاة والتسليم
- ١٩٧ - ما وقع من الامور المجيبة
في حياة اسرائيل .
- ٢٢٠ - قصة نبي الله ايوب
- ٢٢٥ - قصة ذي الكفل
- ٢٢٧ - باب ذكر أم اهلكوا بعامة
- ٢٢٩ - قصة قوم يس وم اصحاب القرية

. صفحة

- ٢٣٨ - قصة يونس
- ٢٣٦ - فضل يونس
- ٢٣٧ - قصة موسى الكليم
- ٢٥٩ - فصل
- ٢٦٨ - ملك فرعون وجنوده
- ٢٧٤ - امر بني اسرائيل بعد هلاك فرعون
- ٢٨٠ - دخول بني اسرائيل التيه وما
فيه من الامور المجيبة
- ٢٨٣ - سؤال الرؤية
- ٢٨٦ - قصة عبادتهم العجل في غيبة كلم الله عنهم
- ٢٩٢ - حديث آخر يعنى ما ذكره ابن حبان
- ٢٩٣ - قصة بقرة بني اسرائيل
- ٢٩٥ - قصة موسى والخضر عليها السلام
- ٣٠٠ - حديث الفتون المتضمن قصة موسى مفصلا
من اولها الى آخرها
- ٣٠٧ - بناء قبة الزمان
- ٣٠٩ - قصة قارون مع موسى عليه السلام
- ٣١٢ - باب فضائل موسى عليه السلام وشماله
وصفاته ووفاته
- ٣١٦ - حجته عليه السلام الى البيت العتيق
- ٣١٦ - وفاته عليه السلام
- ٣١٩ - نبوة يوشع وقيامه بأعباء بني اسرائيل بعد
موسى وهارون . (الاسباط - بلعام -
وفاته موسى وهارون - فتح اريحا)

صفحة	صفحة
٣٣٧ - واما الياس طيه السلام	٣٢٥ - قصتنا الخضر والياس عليها السلام
٣٤٠ - فهرست الجزء الاول	٣٢٦ - ذكر الاختلاف في اسم الخضر ونسبه وزمن وجوده ونبوته ، وحياته الى الآن ، مفصلا





الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ

الْبُدَائِيَّةُ وَالنَّهَائِيَّةُ

لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذيلت بشروح
قامت بها هيئة بإشراف الناشر

الطبعة الثانية ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م
بيروت - لبنان

مكتبة المعارف
ص. ب. ١٧٦١ - ١١
بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَاحِبَةُ سُرِّيَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعَرْتُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

ثم تتبهم بذكر داود وسليمان عليهما السلام . قال ابن جرير في تاريخه لاخلاف بين أهل العلم بأخبار الماضين وأموال السابقين من أمتنا وغيرهم أن القائم بأمر بني إسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا يعني أحد أصحاب موسى عليه السلام وهو زوج أخته مريم وهو أحد الرجلين الذين ممن يخافون الله وهما يوشع وكالب وهما القتالان لبني إسرائيل حين نكحوا عن الجهاد (أدخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتروكلوا إن كنتم مؤمنين) قال ابن جرير ثم من بعده كان القائم بأمر بني إسرائيل حزقييل بن بوذي وهو الذي دعا الله فأحيا الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت

قصة حزقييل

قال الله تعالى (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) . قال محمد بن اسحاق عن

وهب بن منبه إن كالب بن يوفنا لما قبضه الله إليه بسد يوشع خلف في بني إسرائيل حزقييل بن بوذي
 وهو ابن العجوز وهو الذي دعا للقوم الذين ذكروا الله في كتابه فبنا (لم تر إلى الذين خرجوا من
 ديارهم وهم ألوف حذر الموت) قال ابن إسحاق فروا من الولاء قتلوا بصعيد من الأرض فقال لهم الله
 موتوا فاتوا جيما فحظروا عليهم حظيرة دون السباع فضت عليهم دهور طريفة فرهبهم حزقييل عليه
 السلام فوقف عليهم متفكرا قبيل له أحب أن يمضهم الله وأنت تنظر فقال فم فأمر أن يدعوا تلك
 المظالم أن تكنسى لحما وأن يتصل المصب بفضه يعض فناداهم عن أمر الله له بذلك قيام القوم أجمعون
 وكبروا متكبرة رجل واحد . وقال أسباط عن السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس
 وعن مرة عن ابن مسعود وعن أنس من الصحابة في قوله . (لم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم
 ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحيام) قالوا كانت قرية يقال لها داوردان قبيل واسط وقع
 بها الطاعون فهرب عامة أهلها قتلوا نحية منها فهلك من بقي في القرية وسلم الآخرون فلم يمت منهم
 كثير فلما ارتفع الطاعون رجوا سالمين فقال الذين بقوا أصحابنا هؤلاء كانوا أحمز منا له صنعا كما صنعوا
 بقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم فوقع في قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفا حتى نزلوا
 ذلك المسكان وهو واد أفصح فناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه أن موتوا فماتوا حتى إذا
 هلكوا وقبت أجسادهم مر بهم نبي يقال له حزقييل فلما رآهم وقف عليهم فجلس يفكر فيهم ويلوى
 شديقه وأصابه فوحى الله إليه تريد أن أريك كيف أحيهم قال نعم وإنما كان تفكره أنه تعجب من
 قدرة الله عليهم قبيل له ناد فنادى يا أيها المظالم إن الله يأمرك أن تجنحى فجلت المظالم يطير بعضها
 إلى بعض حتى كانت أجسادهم عظام ثم أوحى الله إليه إن ناد يا أيها المظالم إن الله يأمرك أن تكنسى
 لحما فآ كنتس لحما وحما وثيابها التي ماتت فيها . ثم قبيل له ناد فنادى أيها الأجساد إن الله يأمرك أن
 تومي قماموا . قال أسباط فزعم منصور عن مجاهد أنهم قالوا حين أحيوا (سبحانك اللهم وبحمدك
 لا إله إلا أنت) فوجدوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا
 يلبسون ثوبا إلا عادرسا حتى ماتوا لأجسامهم التي كتبت لهم . وعن ابن عباس أنهم كانوا أربعة آلاف
 وعنه ثمانية آلاف وعن أبي صالح قسمة آلاف وعن ابن عباس أيضا كانوا أربعين ألفا . وعن سعيد
 ابن عبد العزيز كانوا من أهل أذرعات . وقال ابن جريج عن عطاء هذا مثل معنى أنه سبق مثلا مينا
 أنه لن يعنى حذر من قدر وقول الجمهور أقوى أن هذا وقع . وقد روى الامام أحمد وصاحبنا الصحيح
 من طريق الزهري عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبد الله بن الحارث بن نوفل
 عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان يسرع فقيه أسراء الاجناد
 أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فخبروه أن الولاء وقع بالشام فذكر الحديث معنى في مشاورته المهاجرين

والأنصار فآخلفوا عليه فجاءه عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا ببعض حاجته قال إن عندي من هذا علما سمعت رسول الله (ص) يقول إذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه فحمد الله عمر ثم انصرف . وقال الامام حدثنا حجاج ويزيد الملقى (١) قال حدثنا ابن أبي ذؤيب عن الزهري عن سالم عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عبد الرحمن بن عوف أخبر عمر وهو في الشام عن النبي (ص) : أن هذا السقم عذب به الأمم قبلكم فإذا سمعتم به في أرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه قال فرجع عمر من الشام . وأخرجه من حديث مالك عن الزهري بنحوه *

قال محمد بن اسحاق ولم يذكر لنا مدة لبث حزقيل في بني إسرائيل * ثم إن الله قبضه إليه * فلما قبض نسي بنو إسرائيل عهد الله إليهم وعظمت فيهم الأحداث وعبدوا الأوثان وكان في جملة ما يعبدونه من الأصنام صنم يقال له بل فبعث الله إليهم الياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون ابن عمران * قلت وقد قدمنا قصة الياس تبعا لقصة الخضر لأنهما يقرنان في الذكر غالبا ولاجيل أنها بد قصة موسى في سورة الصافات فتمعلنا فضته لذلك والله أعلم . قال محمد بن اسحاق فيما ذكره عن وهب ابن منبه قال ثم تبأ فيهم بسد الياس وصيه اليسع بن أخطوب عليه السلام وهذه *

قصة اليسع عليه السلام

وقد ذكره الله تعالى مع الانبياء في سورة الأنعام في قوله (واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين) وقال تعالى في سورة ص (واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الإختيار) قال اسحاق بن بشر أبو حذيفة أنبأنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال كان بسد الياس اليسع عليهما السلام فكث ماشاء الله أن يمكث يدعوهم الى الله مستمسكا بمنهاج الياس وشريعته حتى قبضه الله عز وجل اليه ثم خلف فيهم الخلوف وعظمت فيهم الأحداث واخطايا وكثرت الجبابرة وقتلوا الانبياء وكان فيهم ملك عنيد طاغ * ويقال إنه الذي تكفل له ذو الكفل إن هو تلب ورجع دخل الجنة فسمى ذا الكفل *

قال محمد بن اسحاق هو اليسع بن أخطوب . وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في حرف الياء من تاريخه اليسع وهو الأسباط بن عدي بن شوتلم بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم الخليل * ويقال هو ابن عم الياس النبي عليهما السلام . ويقال كان مستخفيا معه بجبل قاسيون من ملك بابل ثم ذهب معه اليها فلما رفع الياس خلفه اليسع في قومه ونبأه الله بسده . ذكر ذلك عبد المنعم بن

(١) هو يزيد بن أبي حبيب قال ابن سعد كان مفتي أهل مصر في زمانه وكان حلييا عاقلا وكان أول من أظهر العلم بمصر .

ادريس عن أبيه عن وهب بن منبه . قال وقال غيره وكان ياناس . ثم ذكر ابن عساكر قراءة من قرأ
 اليسع بالتخفيف وبالتشديد ومن قرأ واليسع وهو اسم واحد لهن من الأنبياء * قلت قد قدسنا قصة
 ذا الكفل بد قصة أيوب عليهما السلام لأنه قد قيل إنه ابن أيوب فآله أعلم

قصة بني إسرائيل

قال ابن جرير وغيره ثم سرج أسر بني إسرائيل وعظمت منهم الخطوب والخطايا وقتلوا من قتلوا
 من الأنبياء وسلط الله عليهم بدل الأنبياء ملوكاً جبارين يظلمونهم ويسفكون دماءهم وسلط الله عليهم
 الأعداء من غيرهم أيضاً وكانوا إذا قاتلوا أحداً من الأعداء يكون مهم تلبت الميثاق الذي كان في قبة
 الزمان كما تقدم ذكره فكانوا ينصرون ببركته وبما جعل الله فيه من السكينة والبقية مما ترك آل موسى
 وآل هارون فلما كان في بعض حروبهم مع أهل غزة وعقلان غلبهم وقهرهم على أخذه فأنزعه من
 أيديهم فلما علم بذلك ملك بني إسرائيل في ذلك الزمان مالت عنقه فمات كنداً وبني إسرائيل كالغلم
 بلا راع حتى بث الله فيهم نبياً من الأنبياء يقال له شمويل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكاً ليقاتلوا به
 الأعداء فكان من أمرهم ما سئذ ذكره مما قص الله في كتابه . قال ابن جرير فكان من وفاة يوشع بن
 نون إلى أن بث الله عز وجل شمويل بن بلي أربعاً مائة سنة وستون سنة * ثم ذكر تفصيلها بمدد الملوك
 الذين ملكوا عليهم ومبهم واحداً واحداً تركنا ذكرهم قصداً *

قصة شمويل وفيها بدء أمر داود وعليهما السلام

﴿ وفيها بدأ أمر داود عليه السلام ﴾

هو شمويل ويقال له أشمويل بن بلي بن حلقمة بن برخام بن اليبوس بن تهب بن صوف بن علقمة
 ابن ماحث بن عمرو بن عزريا * قال مقاتل وهو من ورثة هارون وقال مجاهد هو أشمويل بن هلفاقا
 ولم يرفع في نسبه أكثر من هذا فآله أعلم *

حكى السدي باسناده عن ابن عباس وابن مسعود وأبى من الصحابة والتعليق وغيرهم أنه لما غلبت
 العمالة من أرض غزة وعقلان على بني إسرائيل وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وسبوا من ابنائهم جماً كثيراً
 واقطعت النبوة من سبط لاوي ولم يبق فيهم إلا امرأة حبلى فجعلت تدعو الله عز وجل أن يرزقها
 ولداً ذكرأ فولدت غلاماً فسمته أشمويل ومعناه بالعبرانية إسماعيل أي سمع الله دعائها فلما ترعرع بثته
 إلى المسجد وأسلمته عند رجل صالح فيه يكون عنده ليتعلم من خيره وعبادته فكان عنده فلما بلغ أشده
 بينا هو ذات ليلة نائم إذا صوت يأتيه من نلحية المسجد فأنبه مذعوراً فظننه الشيخ يدعو فساله أذعنني

فكره أن يفزعه فقال نعم نعم فنام . ثم ناداه الثانية فكذلك ثم الثالثة فلذا جبريل يدعوه فجاءه فقال إن ربك قد بعثك إلى قومك فكان من أمره معهم ما قص الله في كتابه قال الله تعالى في كتابه العزيز (ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابث لنا ملكا فقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلون قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين . وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم . وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينتة من ربكم وبقية مما ترك آله موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين . فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين . ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزمهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين)

قال أكثر المفسرين كان نبي هؤلاء التوهم المذكورين في هذه القصة هو شموييل . وقيل شمعون وقيل هما واحد وقيل يوشع وهذا بعيد لما ذكره الامام أبو جعفر بن جرير في تلخيصه أن بين موت يوشع وبشته شموييل أربع مائة سنة وستين سنة فانه أعلم .

والمقصود أن هؤلاء القوم لما أنهكهم الحروب وقهرهم الأعداء سألوا نبي الله في ذلك الزمان وطلبوا منه أن ينصب لهم ملكا يكونون تحت طاعته ليقاتلوا من ورائه ومعه وبين يديه الأعداء فقال لهم (هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلون قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله) أى وأى شئ يمننا من القتال وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) يقولون نحن محروبون موتودون فتحقق لنا أن نقاتل عن أبنائنا المهجورين المستضعفين فيهم المسورين في قبضتهم . قال تعالى (فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين) كما ذكر في آخر القصة أنه لم يجاوز النهر مع الملك إلا القليل والباقيون رجعوا ونكسوا عن القتال (وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا) قال الثعلبي وهو طالوت بن قيش بن أفييل بن حارون بن نحورت بن أفيح بن أئيس بن بنيامين بن يمتوب بن إسحاق ابن إبراهيم الخليل .

قال عكرمة والسدى كان سقاهما وقال وهب بن منبه كان دبانا. وقيل غير ذلك فلهذا أعلم ولهذا (قالوا
) أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) وقد ذكروا أن النبوة كانت في
 سبط لاوى وأن الملك كان في سبط يهوذا فلما كان هذا من سبط بنيامين فزوا منه وطعنوا في إمارته
 عليهم وقالوا نحن أحق بالملك منه وذكروا أنه قدير لاسعة من المال معه فكيف يكون مثل هذا ملكا .
 (قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم) . قيل كان الله قد أرحى إلى شمول أن أى
 بنى إسرائيل كان طولهُ على طول هذه العصا وإذا حضر عنيدك يفور هذا القرن الذى فيه من دهن
 القدس فهو ملكهم فنجلبوا يدخلون ويقسبون أنفسهم بتلك العصا فلم يكن أحد منهم على طولها سوى
 طالوت ولما حضر عند شمويل فار ذلك القرن فدهنه منه وعينه الملك عليهم وقال لهم (إن الله اصطفاه
 عليكم وزاده بسطة في العلم) قيل في أمر الحروب وقيل بل مطلقا (والجسم) قيل الطول وقيل الجمال
 والظاهر من السياق أنه كان أجملهم وأعلمهم بمد فيهم عليه السلام) والله يؤتى ملكه من يشاء) فله الحكم
 وله الخلق والأمر (والله واسع عليم وقال لهم فيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم
 وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة) إن في ذلك لآية لکم إن كنتم مؤمنين) وهذا
 أيضا من بركة ولاية هذا الرجل الصالح عليهم ويمنه عليهم أن يرد الله عليهم التابوت الذى كان سلب منهم
 وقهرم الأعداء عليه وقد كانوا يتصرفون على أعدائهم بسببه (فيه سكينه من ربكم) قيل طشت من
 ذهب كان ينسل فيه صدور الأعداء . وقيل السكينه مثل الريح الخجوج . وقيل صورتها مثل المرة إذا
 صرخت في حال الحرب أيقن بنو إسرائيل بالنصر (وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون) قيل كان
 فيه رصاص الأنواع وشئ من المن الذى كان نزل عليهم باليه (تحمله الملائكة) أى تأتيكم به الملائكة
 يحملونه وأنتم ترون ذلك عيانا ليكون آية لله عليكم وحجة باهرة على صدق ما أقوله لكم وعلى صحة ولاية
 هذا الملك الصالح عليكم ولهذا قل (إن في ذلك لآية لکم إن كنتم مؤمنين) وقيل إنه لما غلب العاقبة
 على هذا التابوت وكان فيه ما ذكر من السكينه والبقية المباركة . وقيل كان فيه التوراة أيضا فلما استقر في
 أيديهم وضموه تحت منم لهم بأرضهم فلما أصبحوا إذا التابوت على رأس الصنم فوضموه تحته فلما كان
 اليوم الثانى إذا التابوت فوق الصنم فلما تكرر هذا علموا أن هذا أمر من الله تعالى فأخرجوه من بلد
 وجبلوه في قرية من قرام فأخذهم داء في رقابهم فلما طال عليهم هذا جبلوه في عجلة وربطوها في قبرتین
 وارسلوهما فيقال إن الملائكة ساقتهما حتى جازاها ملا بنى إسرائيل وهم ينظرون كما أخبرهم نبيهم
 بذلك فلهذا أعلم على أى صفة جاءت به الملائكة والظاهر أن الملائكة كانت تحمله بأنفسهم كما هو المفهوم بالجنود
 من الآية والله أعلم * وإن كان الأول قد ذكره كثير من المفسرين أو أكرمهم (فلما فصل طالوت قال
 إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فله منى إلا من اغترف غرفة يسده) .

قال ابن عباس وكثير من المفسرين هذا النهر هو نهر الاردن وهو المسمى بالشريعة فكان من أمر طالوت بجنوده عند هذا النهر عن أمر نبي الله له عن أمر الله له إختباراً وامتحاناً أن من شرب من هذا النهر فلا يصحبنى في هذه النزوة ولا يصحبنى إلا من لم يطمعه إلا غرفة في يده . قال الله تعالى (فشربوا منه إلا قليلاً منهم) .

قال السدى كان الجيش ثمانين ألفاً فشرب منه ستة وسبعون ألفاً فبقى معه أربعة آلاف كذا قال * وقد روى البخارى في صحيحه من حديث إسرائيل وزهير والثورى عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا بضعة عشر وثلاثه مؤمن . وقول السدى أن عدة الجيش كانوا ثمانين ألفاً فيه نظر لأن أرض بيت المقدس لا تحتمل أن يجتمع فيها جيش مقاتلة يبلغون ثمانين ألفاً والله أعلم . قال الله تعالى (فلما جاوزه هم والذين آمنوا معه قالوا لا طاقه لنا اليوم بجالوت وجنوده) أى استقلوا أنفسهم واستضعفوها عن مقاومة أعدائهم بالنسبة الى قلوبهم وكثرة عدد عدوهم (قال الذين يظنون أنهم ملأوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) يعنى بها الفرسان منهم . والفرسان أهل الايمان والايقان الصابرون على الجلال والجدال والظلمان . (ولسا برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) طلبوا من الله أن يفرغ عليهم الصبر أى يفرمهم به من فوقهم فتستقر قلوبهم ولا تفتاق وأن يثبت أقدامهم في مجال الحرب ومترك الابطال وحومة الوغى والدعاء الى النزال فسألوا التثبيت الظاهر والباطن وأن ينزل عليهم النصر على أعدائهم وأعدائهم من الكافرين الجاحدين بآياته وآلائه فاجابهم العظيم القدير السميع البصير الحكيم الخبير الى فاسألوا وأنا لهم ما اليه فيه رغبوا ولهذا قال (فهزموهم باذن الله) أى بحول الله لا بحولهم وبقوة الله ونصره لا بقوتهم وعددهم مع كثرة أعدائهم وكال عددهم كما قال تعالى (ولقد نصركم الله بسدر وأتمم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) وقوله تعالى (وتقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء) فيه دلالة على شجاعة داود عليه السلام وأنه قتله قتلاً أذل به جنده وكسره ولا أعظم من غزوة يقتل فيها ملك عدوه فينم بسبب ذلك الأموال الجزيلة ويأسر الابطال والشجعان والأقرباء وتعلو كلمة الايمان على الأوثان ويدال لاولياء الله على أعدائه . ويظهر الدين الحق على الباطل واوليائه * وقد ذكر السدى فيما يرويه أن داود عليه السلام كان أصغر أولاد أبيه وكانوا ثلاثة عشر ذكراً كان سميع طالوت ملك بنى إسرائيل وهو يحرص بنى إسرائيل على قتل جالوت وجنوده وهو يقول من قتل جالوت زوجته بابنتي وأشركته في ملكي وكان داود عليه السلام يرمى بالقدافة وهو المتلاع رمياً عظيماً فيبنا هو سائر مع بنى إسرائيل إذ ناداه جبر أن خذنى فان بنى جالوت فاختبئتم

حجر آخر كذلك ثم آخر كذلك فأخذ الثلاثة في غلته فلما تواجه الصفتان برز جالوت ودعا الى نفسه فتقدم اليه داود فقال له ارجع فاني أكره قتلك فقال لكني أحب قتلك وأخذ تلك الأحجار الثلاثة فوضعا في القذابة ثم أدارها فصارت الثلاثة حجراً واحداً. ثم رمى بها جالوت فلق رأسه وفرجيشه منهزماً فوفى له طالوت بما وعده فزوجه ابنته وأجرى حكمه في ملكه وعظم داود عليه السلام عنه نبي إسرائيل وأحبوه ومالوا اليه أكثر من طالوت فذكروا أن طالوت حسده وأراد قتله واحتال على ذلك فلم يصل اليه وجعل العلماء يهون طالوت عن قتل داود فتسلط عليهم فقتلهم حتى لم يبق منهم إلا القليل. ثم حصل له توبة وندم واقلاع عما سلف منه وجعل يبكي من البكاء ويخرج الى الجبابة فيبكي حتى يسيل الثرى بدموغه فنودي ذات يوم من الجبابة أن يا طالوت قتلنا ونحن أحياء وآذبتنا ونحن أموات فإزداد لذلك بكاءه وخوفه واشتد وجهه ثم جعل يسأل عن عالم يسأله عن أسرته وهل له من توبة قبيل له وهل أقيمت عالماً حتى دل على امرأة من العابدات فأخذته فذهبت به الى قبر يوشع عليه السلام قالوا فدعت الله فقام يوشع من قبره فقال أقامت القيامة فقالت لا ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة فقال نعم ينخلم من الملك ويذهب فيقاتل في سبيل الله حتى يقتل. ثم عاد ميتاً فترك الملك لداود عليه السلام وذهب ومعه ثلاثة عشر من أولاده فقاتلوا في سبيل الله حتى قتلوا قالوا فذلك قوله (وأتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء) هكذا ذكره ابن جرير في تزيينه من طريق السدي بإسناده. وفي بعض هذا نظر ونكارة والله أعلم.

وقال محمد بن اسحق النبي الذي بث فاختبر طالوت بوجوبه هو اليسع بن أخطوب حكاه ابن جرير أيضاً. وذكر الثعلبي انها أمت به الى قبر اشمويل فتابه على ما صنع يده من الامور وهذا أنسب. ولعله انما رآه في النوم لا أنه قام من التبرحيا فان هكذا انما يكون معجزة لنبي وتلك المرأة لم تكن نبيه والله أعلم * وزعم أهل التوراة أن مدة ملك طالوت الى أن قتل مع أولاده أربعون سنة فلهذا أعلم *

قصه داود وما كاره في ربابه منه قصصاً لسمايله واولاد نبوته والصلوة

هو داود بن ايشا بن عويد بن جابر بن سلون بن نحشون بن عويناذب بن ارم بن حصرون بن فارص ابن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عبد الله ونبيه وخليفته في أرض بيت المقدس * قال

محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه كان داود عليه السلام قصيرا أزرق العينين قليل الشعر طاهر القلب وقهيه . تقدم أنه لما قتل جالوت وكان قتله له فيما ذكر ابن عساكر عند قصر أم حكيم قرب مرج الصفر فأحبتة بنو إسرائيل ومالوا إليه وإلى ملكه عليهم فكان من أمر طالوت ما كان وصار الملك إلى داود عليه السلام وجمع الله له بين الملك والنبوة بين خير الدنيا والآخرة وكان الملك يكون في سبط والنبوة في آخر فاجتمع في داود هذا وهذا كما قال تعالى (وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) أي لولا إقامة الملوك حكاما على الناس لأكل قوى الناس ضعيفهم . ولهذا جاء في بعض الآثار (السلطان ظل الله في أرضه) . وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان (إن الله لينزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) . وقد ذكر ابن جرير في تاريخه أن جالوت لما يبرز طالوت فقال له أخرج إلى واخرج إليك فندب طالوت الناس فاندب داود فقتل جالوت . قال وهب بن منبه قال الناس إلى داود حتى لم يكن لطالوت ذكر وخلصوا طالوت وولوا عليهم داود * وقيل إن ذلك عن أمر شمويل حتى قال بعضهم إنه ولاء قبل انقصة . قال ابن جرير والذي عليه الجمهور أنه إنما ولي ذلك بعد قتل جالوت والله أعلم * وروى ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز أن قتله جالوت كان عند قصر أم حكيم وإن النهر الذي هناك هو المذكور في الآية فأنه أعلم * وقال تعالى (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وأنا له الحديد أن اعمل سابقات وقدر في السرد واعلموا صالحا إنى بما تعملون بصير) وقال تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين . وعلناه صنعة لبوس لكم لنحفظنكم من أبسكم فهل أنتم شاكرون) . أعانه الله على عمل الدروع من الحديد ليحصن المقاتلة من الأعداء وارشده إلى صنعها وكيفيتها فقال (وقدر في السرد) أي لا تدق المسار فينلق ولا تنقله فيفدم قاله مجاهد وقادة والحكم وعكرمة .

قال الحسن البصرى وقادة والاعشى كان الله قد ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده لا يحتاج إلى نار ولا مطرقة . قال قادة فكان أول من عمل الدروع من زرد وإنما كانت قبل ذلك من صفائح قال ابن شاذب كان يسل كل يوم درعا يبيها بستة آلاف درهم وقد ثبت في الحديث أن أطيبي ما أكل الرجل من كسبه وإن نبى الله داود كان يأكل من كسبه يده وقال تعالى (واذ كر عبدا ذا الأيد أنه أواب . أنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والأشراق والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفضل الخطاب) قال ابن عباس ومجاهد الأيد القرة في العلاءة يعنى ذا قوة في العبادة والعمل الصالح قال قادة اعطى قوة في العبادة وقها في الإسلام قال وقد ذكر لنا أنه كان يقوم الليل ويعصم نصف الدهر . وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله (ص) قال (أحب الصلاة إلى الله صلاة داود

وأحب الصيام الى الله صيام داود) كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سُدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفتر اذا لاقى . وقوله (انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالمشى والاشراق والظلمة محشورة كل له أواب) كما قال (يا جبال أوبى معه والظلمة) أى سبحى معه قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد فى تفسير هذه الآية (انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالمشى والاشراق) أى عند آخر النهار وأوله وذلك أنه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحداً بحيث انه كان اذا ترنم بقراءة كتابه يقف الظلمة فى الهواء يُرجع بترجيحه ويسبح بتسبيحه وكذلك الجبال تهجيه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيا صلوات الله وسلامه عليه . وقال الاوزاعى حدثنى عبد الله بن عامر قال اعطى داود من حسن الصوت ما لم يعط أحد قط حتى أن كان الظلمة والوحش ينمكف حوله حتى يموت عطشاً وجوعاً وحتى ان الانهار لتقف . وقال وهب بن منبه كان لا يسمعه احد الا جعل كهيئة الرقص وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الاذان بمثله فيمكف الجن والانس والظلمة والدواب على صوته حتى يهلك بعضها جوعاً وقال أبو عروانة الاسفرايينى حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا محمد بن منصور الطوسى سمعت صبيحاً أنبأنا برادح قال ابو عروانة وحدثنى أبو العباس المدنى حدثنا محمد بن صالح العدوى حدثنا سيار هو ابن حاتم عن جعفر عن مالك قال كان داود عليه السلام اذا أخذ فى قراءة الزبور فتنتت المذارى وهذا غريب . وقال عبد الرزاق عن ابن جريج سألت عطاء عن القراءة على النساء فقال وما بأس بذلك سمعت عبيد بن عمر يقول كان داود عليه السلام يأخذ المزقة فيضرب بها فيقرأ عليها فتد عليه صوته يريد بذلك أن يبيكى وتبيكى . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا مسمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت سمع رسول الله اس صوت أبى موسى الأشعري وهو يقرأ فقال لقد أوتى أبو موسى من مزامير آل داود وهذا على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه وقال احمد حدثنا حسن حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمر عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله اس قال لقد أعطى أبو موسى من مزامير داود على شرط مسلم وقد روينا عن أبى عثمان الترمذى أنه قال لقد سمعت البربط والمزامير فسمعت صوتاً أحسن من صوت أبى موسى الأشعري . وقد كان مع هذا الصوت الرخيم سريع القراءة لكتاب الزبور كما قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا مسمر عن همام عن أبى هريرة قال قال رسول الله اس خفف على داود القراءة فكان يأمر بدأبته فتسرج فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته وكان لا يأكل الا من حصل يديه وكذلك رواه البخارى

مفرداً به عن عبد الله بن محمد عن عبد الرزاق به ولفظه خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوا به
فتسرح فيقرأ القرآن قبل أن تسرح دوابه ولا يأكل الا من عمل يديه . ثم قال البخاري ورواه موسى
ابن عقبة عن صفوان هو ابن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي (ص) وقد أسنده
ابن عساكر في ترجمة داود عليه السلام في تاريخه من طرق عن ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة
ومن طريق أبي عاصم عن أبي بكر السبيري عن صفوان بن سليم به .

والمراد بالقرآن ههنا الزبور الذي انزله عليه وأوحاه اليه وذكروا به أشبه أن يكون محفوظاً فانه
كان ملكاً له اتباع فكان يقرأ الزبور بمقدار ما تسرح الدواب وهذا أمر سريع مع التدبر وانترنم
والتعنى به على وجه التشخيص صلوات الله وسلامه عليه وقد قال الله تعالى (وآتينا داود زبوراً) والزبور
كتاب مشهور وذكروا في التفسير الحديث الذي رواه أحمد وغيره أنه أنزل في شهر رمضان وفيه من
المواعظ والحكم ما هو معروف لمن نظرفيه * وقوله (وشددنا ملكه وآتينا الحكمة وفصل الخطاب)
أى أعطينا ملكاً عظيماً وحكماً نافذاً . روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن رجلين
تداعيا الى داود عليه السلام في قبر ادعى أحدهما على الآخر أنه اغتصبها منه فانكر المدعى عليه فارجأ
أمرها الى الليل فلما كان الليل أوحى الله اليه أن يقتل المدعى فلما أصبح قال له داود ان الله قديأوحى الى
أن أقتلك فانا قاتلك لا محالة فإخبارك فيما ادعيت على هذا قال والله يا نبي الله انى لمحق فيما ادعيت
عليه ولكنى كنت اغتلت أباه قبل هذا فأمر به داود فقتل فمظم أمر داود في بنى اسرائيل جدا
وخضوعاً له خضوعاً عظيماً . قال ابن عباس وهو قوله تعالى (وشددنا ملكه) وقوله تعالى (وآتينا
الحكمة) أى النبوة (وفصل الخطاب) قال شريح والشعبي وقتادة وأبو عبد الرحمن السلمي وغيرهم
فصل الخطاب الشهود والأيمان يمتون بذلك اليه على المدعى واليمين على من أنكر . وقال مجاهد
والسدى هو اصابة القضاء وفهمه . وقال مجاهد هو الفصل في الكلام وفي الحكم واختاره ابن جرير
وهذا لا يناقى ما روى عن أبي موسى أنه قال (اما بعد) . وقال وهب بن منبه لما كثر الشر وشهادات
الزور في بنى اسرائيل أعطى داود سلسلة لفصل القضاء فكانت ممدودة من السماء الى صخرة بيت
القدس وكانت من ذهب فاذا تشاجر الرجلان في حق فأيهما كان محقاً نالها والآخراً يصل اليها فلم
ترل كذلك حتى اودع رجل رجلاً لؤلؤة فجحدها منه واتخذ عكازاً وأودعها فيه فلما حضرا عند
الصخرة تناولها المدعى فلما قبيل للآخر خذها يدك عمد الى العكاز فأعطاه المدعى وفيه تلك اللؤلؤة
وقال اللهم انك تعلم أى دفعتها اليه ثم تناول السلسلة فنالها فأشكلك أمرها على بنى اسرائيل . ثم
رفت سريراً من بينهم . ذكره بمناء غير واحد من المفسرين . وقد رواه اسحق بن بشر عن ادريس
ابن سنان عن وهب به بمناء (وهل أتاك نبؤانلصم اذ تسوروا الهراب اذ دخلوا على داود ففرغ منهم

قالوا لا تخف خصمان بنى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط إن هذا أخى له تسع وتسعون نسبة ولى نسبة واحدة فقال أكفانيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نسبتك الى فاجبه وإن كثيرا من الظلماء ليبنى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنهما قتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأتاب . ففغرنا له ذلك وإن له عندنا لزني وحسن مآب .

وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والظلف ههنا قصصا وأخبارا أكثرها اسرائيليات ومنها ما هو مكذوب لا محالة تركنا ايرادها في كتابنا قصدا اكتفاء واقتصارا على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ..

وقد اختلف الأئمة في سجدة ص هل هي من عزائم السجود أو انما هي سجدة شكر ليست من عزائم السجود على قولين * قال البخارى حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام قال سألت مجاهدا عن سجدة ص فقال سألت ابن عباس من أين سجدت قال أو ما تقرأ (ومن ذريته داود وسليمان) (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) فكان داود عن أمر نبيكم (ص) أن يقتدى به فسجدها داود عليه السلام فسجدها رسول الله (ص) . وقد قال الامام أحمد حدثنا اسمعيل هو ابن هلية عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال في السجود في ص ليست من عزائم السجود . وقد رأيت رسول الله (ص) يسجد فيها . وكذا رواه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائي من حديث أيوب وقال الترمذى حسن صحيح وقال النسائي أخبرني ابراهيم بن الحسن المقسى حدثنا ججاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبسير عن ابن عباس أن النبي (ص) سجد في ص وقال سجدها داود توبة وفسجدها شكرا تفرد به أحمد ورجاله قات وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدري قال قرأ رسول الله (ص) وهو على المنبر ص فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد معه الناس فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشرف الناس للسجود فقال انما هي توبة نبي ولكن رأيتمكم تشركم قنزل وسجده . تفرد به أبو داود واستاده على شرط الصحيح . وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حميد حدثنا بكر هو ابن عمر وأبو الصديق الناجي أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رأى رؤيا أنه يكتب ص فلما بلغ الى التي يسجد بها رأى الدواة والقلم وكل شيء بمحضرة اقلب ساجدا قال قصصها على النبي (ص) فلم يزل يسجد بها بعد * تفرد به أحمد وروى الترمذى وابن ماجه من حديث محمد بن يزيد بن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد قال قال لي ابن جريج حدثني جديك عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي (ص) قال يا رسول الله انى

رأيت فيها يرى الثائم كأي أصل خلف شجرة قرأت السجدة فسجدت الشجرة بسجودى فسمتها تقول
وهي ساجدة (اللهم اكتب لي بها عندك أجرا واجعلها لي عندك ذخراً وضع عني بها وزراً واقبلها مني
كما قبلت من عبدك داود) وقال ابن عباس فرأيت النبي (ص)، قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمته يقول
وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة . ثم قال الترمذي غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه .
وقد ذكر بعض المفسرين أنه عليه السلام مكث ساجداً أربعين يوماً وقاله مجاهد والحسن وغيرهما
وورد في ذلك حديث مرفوع لكنه من رواية يزيد الرقاشي وهو ضعيف متروك الرواية * قال الله تعالى
(فغفرنا له ذلك وان له عندنا لذني وحسن مآب) . اي ان له يوم القيامة لذني وهي القرية التي يقربه الله
بها وبدنيه من حظيرة قدسه بسببها كما ثبت في حديث (المسقطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكاننا
يديه يمين الذين يقسطون في أهلهم وحكمهم وما ولوا) . وقال الامام أحمد في مسنده حدثنا يحيى بن
آدم حدثنا فضيل عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (ص)، ان أحب الناس الى الله
يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا امام عادل وان أبغض الناس الى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا امام جائر
وهكذا رواه الترمذي من حديث فضيل بن مرزوق الاغربي وقال لا نعرفه مرفوعا الا من هذا
الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان
سمعت مالك بن دينار في قوله (وان له عندنا لذني وحسن مآب) قال يقوم داود عليه السلام يوم القيامة
عند سائر الهة فيقول الله يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني في
الدنيا فيقول وكيف وقد سلبتني فيقول اني أردته عليك اليوم قال فيرفع داود بصوت يستفرغ فيه
أهل الجنان (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن
سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) هذا خطاب من الله
تعالى مع داود والمراد ولاية الامور وحكام الناس وأمرهم بالعدل واتباع الحق المنزل من الله لاما سواه
من الآراء والاهواء وتوعد من سلك غير ذلك وحكم بغير ذلك وقد كان داود عليه السلام هو المقتدى
به في ذلك الوقت في العدل وكثرة العبادة وأنواع القربات حتى إنه كان لا يمضي ساعة من آناه الليل
وأطراف النهار إلا وأهل بيته في عبادة ليلا ونهاراً كما قال تعالى (اعملوا آل داود شكراً وقليل من
عبادي الشكور) قال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا اسمعيل بن ابراهيم بن بسام حدثنا صالح المزني عن
أبي عمران الجوني عن أبي الجليل قال قرأت في مسألة داود عليه السلام أنه قال يا رب كيف لي أن
أشكرك وأنا لا أصل الى شكرك إلا بنعمتك قال فآله الوحي « أن يا داود أأنت تعلم أن الذي بك
من النعم مني قال بلى يارب قال فاني أرضى بذلك منك » وقال البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو
بكر بن بلويه حدثنا محمد بن يونس القرشي حدثنا روح بن عباد حدثني عبد الله ابن لاحق عن ابن

شهاب قال قال داود الحمد لله ما بنى لكرم وجهه وعز جلاله فاحس الله اليك أنتجت الخنفة يا داود » ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن علي بن الجعد عن الثوري مثله وقال عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد أنبأنا سفيان الثوري عن رجل عن وهب بن منبه قال ان في حكمة آل داود حق على العاقل أن لا يفضل عن أربع ساعات ساعة يتاجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفتنى فيها الى إخوته الذين يغيرونه بعبه ويمدقونه عن نفسه وساعة يخطى بين نفسه وبين لذاتها فيما يعمل ويحفظ فان هذه الساعة عون على هذه الساعات واجام فقلوب وحق على العاقل أن يعرف زمانه ويحفظ لسانه ويقبل على شأنه * وحق على العاقل أن لا يظن إلا في إحدى ثلاث زاد لماله ومرة لماله ولقة في غير محرم وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن أبي بكر بن أبي خيثمة عن ابن مهدي عن سفيان عن أبي الاغر عن وهب بن منبه فذكره . ورواه أيضا عن علي بن الجعد عن عمر بن المهيم الزقاني عن أبي الاغر عن وهب بن منبه فذكره وأبو الاغر هذا هو القى أبهه ابن المبارك في روايته . قاله ابن عساكر وقال عبد الرزاق أنبأنا بشر بن رافع حدثنا شيخ من أهل صنعاء يقال له أبو عبد الله قال سمعت وهب بن منبه فذكر مثله . وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة داود عليه السلام أشياء كثيرة مليحة منها قوله كن اليتيم كالأب الرحيم * واعلم أنك تاتزح كذلك تمجد . وروى بسند غير مرفوعا قال داود بلزراع السيات أنت تصد شوكها وحسبها وعن داود عليه السلام أنه قال مثل الخطيب الاحق في نلى القوم كمثل المغنى عند رأس الميت . وقال أيضا ما أقبح القتر بعد القى وأقبح من ذلك الضلالة بعد الهدى وقال انظر ماتسركه أن يذكرك عنك في نلى القوم فلا تضله اذا خلوت . وقال لا تمدن أخاك بما لا تنجزه له فان ذلك عداوة ما بينك وبينه . وقال محمد بن سعد أنبأنا محمد بن عمر الواقدي حدثني هشام بن سعد عن عمر مولى حفرة قال قالت يهود لما رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج النساء انظروا الى هذا القى لا يشبع من الطعام ولا والله ما له همة الا الى النساء حسدوه لكثرة نسائه وعابوه بذلك قالوا لو كان نبيا ما رغبت في النساء وكان أشد من ذلك حين ين أخطب فأكذبهم الله وأخبرهم بفضل الله وسنته على نبيه صلوات الله عليه وسلامه فقال (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) يعنى بالناس رسول الله صلى الله عليه وسلم (صد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) يعنى ما أتى الله سليمان ابن داود كانت له الف امرأة سبعمائة مهيبة وثلاثمائة سرية وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة منهن امرأة أوربا أم سليمان بن داود التي تزوجها بعد الفتنة هذا أكثر مما لمحمد صلى الله عليه وسلم . وقد ذكر الكلبي نحو هذا وأنه كان لداود عليه السلام مائة امرأة وسليمان الف امرأة منهن ثلاثمائة سرية

(١) وروى الحافظ في تزيينه في ترجمة صدقة الهمشي الذي يروي عن ابن عباس من طريق الفرج

(١) من هنا لآخر القصة لم يوجد في النسخين الموجودتين بالمكتبة المصرية .

ابن فضالة الحمصي عن أبي هريرة الحمصي عن صدقة الدمشقي أن رجلا سأل ابن عباس عن الصيام فقال لأجدنك بمحدث كان عندي في البحث (١) مخزونا إن شئت أبأنتك بصوم داود فإنه كان صواما قواما وكان شجاعا لا يفر إذا لاقى وكان يصوم يوما ويخط يوما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صيام داود وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتا يكون فيها وكانت له ركة من الليل يركي فيها نفسه ويركي بيكاته كل شيء ويصرف بصوته الموموم والموموم * وإن شئت أبأنتك بصوم ابنه سليمان فإنه كان يصوم من أول الشهر ثلاثة أيام ومن وسطه ثلاثة أيام ومن آخره ثلاثة أيام يستفتح الشهر بصيام ووسطه بصيام ويختمه بصيام . وإن شئت أبأنتك بصوم ابن العذراء البتول عيسى بن مريم فإنه كان يصوم الدهر . ويأكل الشعير . ويلبس الشعر يأكل ما وجد ولا يسأل عما قد ليس له ولد يموت ولا يت يعرب وكان أيضا أدركه الله . اصفين بين قدميه وقام يصلي حتى يصبح وكان راميا لا يفوته صيد يريد . وكان يمر بمجالس بني اسرائيل فيقضي لهم حوائجهم .

وإن شئت أبأنتك بصوم أمه مريم بنت عمران فإنها كانت تصوم يوما وتخط يومين .

وإن شئت أبأنتك بصوم النبي العربي الامي محمد (ص) فإنه كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ويقول إن ذلك صوم الدهر . وقد روى الامام احمد عن أبي النصر عن فرج بن فضالة عن أبي هرم عن صدقة عن ابن عباس مرفوعا في صوم داود *

كَيْفَةُ حَيَاةٍ وَكَيْفِيَّةُ وِفَاةٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قد تقدم في ذكر الاحاديث الواردة في خلق آدم أن الله لما استخرج ذريته من ظهره فرأى فيهم الانبياء عليهم السلام ورأى فيهم رجلا يزهو فقال أي رب من هذا قال هذا ابنك داود قال أي رب كم عمره قال ستون عاما قال أي رب زد في عمره قال لا الا أن أزيده من عرك وكان عمر آدم ألف عام فزاده أربعين عاما فلما انتهى عمر آدم جاءه ملك الموت فقال تقي من عهري أربعون سنة وفي آدم ما كان وهبه لولده داود فأنما الله لا آدم الف سنة ولداود مائة سنة رواه احمد عن ابن عباس والترمذي وصححه عن أبي هريرة وابن خزيمة وابن حبان . وقال الحاكم على شرط مسلم . وقد تقدم ذكر طرقة والناظرة في قصة آدم * قال ابن جرير وقد زعم بعض أهل الكتاب أن عمر داود كان سبعا وسبعين سنة . قلت هذا غلط مردود عليهم قالوا وكان مدة ملكه أربعين سنة وهذا قد يقبل فله لأنه ليس عندنا ما ينافية ولا ما يقتضيه

واما وقته عليه السلام قال الامام احمد في مسنده حدثنا قبيصة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن
 محمد بن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أبي هريرة أن رسول الله (س) قال: كان داود عليه السلام
 فيه غيرة شديدة فكان اذا خرج أغلق الابواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع قال فخرج ذات يوم
 وغلقت الدار فاقبلت امرأته تطلع الى الدار فلذا رجل قائم وسط الدار فقالت لمن في البيت من أين دخل
 هذا الرجل والدور متلقة والله لتفتضحن بداود فجاء داود فلذا الرجل قائم في وسط الدار فقال له داود
 من أنت قال أنا الذي لا أحب الملك ولا أمتع من الحجاب قال داود أنت والله إذن ملك الموت
 مرحبا بأمر الله ثم مكث حتى قبضت روحه فلما غسل وكفن وفرغ من شأنه طلعت عليه الشمس قال
 سليمان للطير أنطلي على داود فاطلته الطير حتى اطلت عليه الأرض قال سليمان للطير اقبضى جناحا
 قال قال أبو هريرة فطقق رسول الله (س) يرينا كيف فلت الطير وقبض رسول الله (س) يده
 وغلبت عليه يومئذ المضرحة . انفرد بإخراجه الامام احمد واسناده جيد قوى رجاله ثقات ومعنى قوله
 وغلبت عليه يومئذ المضرحة أى وغلبت على التظليل عليه الصقور الطوال الاجنحة واحدها مضرحة
 قال الجوهري وهو الصقر الطويل الجناح وقال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال مات داود
 عليه السلام فجأة وكان بيت وكانت الطير تظله . وقال السدي أيضاً عن أبي مالك وعن سعيد بن
 جبير قال مات داود عليه السلام يوم السبت فجأة . وقال اسحاق بن بشر عن سعيد بن أبي عروبة عن
 قتادة عن الحسن قال مات داود عليه السلام وهو ابن مائة سنة ومات يوم الارباء فجأة . وقال أبو الحسن
 المبحر عن ابراهيم الخليل فجأة وداود فجأة وابنه سليمان فجأة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين رواه ابن
 عساكر وروى عن بعضهم أن ملك الموت جاءه وهو نازل من محرابه قال له دعنى أنزل أو أصعد قال
 يابى الله قد خنت السنون والشهور والآثار والارزاق . قال فخر ساجداً على مرقاة من تلك المراتق قبضه
 وهو ساجد . وقال اسحاق بن بشر (١) انبأنا واقر بن سليمان عن أبي سليمان الفيلسفي عن وهب بن
 منبه قال إن الناس حضروا جنازة داود عليه السلام فجلسوا في الشمس في يوم صائف قال وكان قد شيع
 جنازته يومئذ اربعمائة الف راهب عليهم البرانس سوى غيرهم من الناس ولم يمت في بني اسرائيل بعد
 موسى وهرون أحد كانت بنو اسرائيل أشد جزعاً عليه منهم على داود قال فآذاهم الحر فنادوا سليمان
 عليه السلام أن يسل لهم وقاية لما اصابهم من الحر فخرج سليمان فنادى الطير فاجابت فلما رأى أن تظل
 الناس فراض بعضها الى بعض من كل وجه حتى استمسكت الريح فكاد الناس أن يهلكوا غماً فصاحوا
 (١) هو اسحاق بن بشر بن حذيفة البغدادي صاحب كتاب المبتدا والفتوح وتركه وكذبه علي بن
 المديني وقال ابن حبان لا يحمل حديثه الا على جهة التمجيد وقال الدارقطني متروك وقوله واقر بن سليمان
 كذا بالنسخة الحلبية .

الى سليمان عليه السلام من القم فخرج سليمان فنادى الطير أن أظلي الناس من ناحية الشمس وتجنني عن ناحية الريح ففعلت فكان الناس في ظل وتهب عليهم الريح فكان ذلك أول مارأوه من ملك سليمان . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع حدثني الوليد بن مسلم عن المهيم بن حميد عن الوضين بن عطاء عن نصر بن علقمة عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال قال رسول الله (س) لقد قبض الله داود من بين أصحابه ما فتنوا ولا بدلوا ولقد مكث أصحاب المسيح على سنه وهديه مائتي سنة هذا حديث غريب وفي رصفه نظر والوضين بن عطاء كان ضعيفا في الحديث والله أعلم *

قصة سليمان بن داود عليهما السلام

قال الحافظ بن عساكر هو سليمان بن داود بن إيشان بن عويد بن عابر بن سلون بن نحشون بن عمينا داب بن ارم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم أبي الربيع نبي الله بن نبي الله . جاء في بعض الآثار أنه دخل دمشق . قال ابن ماكولا فارص بالصاد المهملة وذكر نسبة قريبا مما ذكره ابن عساكر قال الله تعالى (وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا هو الفضل المبين) أي ورثه في النبوة والملك وليس المراد ورثه في المال لأنه قد كان له بنون غيره فما كان ليخص بالمال دونهم ولأنه قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله (س) قال لا نورث ما تركنا فهو صدقة وفي لفظ نحن معاشر الأنبياء لا نورث فاخير الصادق المصدوق أن الانبياء لا تورث أموالهم عنهم كما تورث غيرهم بل يكون أموالهم صدقة من بدم على الفقراء والمجاويج لا يخصصون بها اقر يؤولم لان الدنيا كانت أهون عليهم وأخقر عندهم من ذلك كما هي عند النبي أرسلهم واصطفاهم وفضلهم وقال (يا أيها الناس علمنا منطق الطير الآية) يعني أنه عليه السلام كان يعرف ما يتخاطب به الطيور بلغاتها ويمبر للناس عن مقاصدها واراتها . وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ (١) أنبأنا علي بن حماد (٢) حدثنا اسمعيل بن قتيبة حدثنا علي بن قدامة حدثنا أبو جعفر الاسواني (٣) يعني محمد بن عبد الرحمن عن أبي

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع . وإنما عرف بلحاكم لتقلده القضاء وهو صاحب المستدرک وغيره (٢) كذا في الخلية وحماد في المصريتين وكلاهما خطأ والصواب حماد عن حمود الامام (٣) كذا في الفسخ بنون بدل الالف وروا بدل السين وهو خطأ والصواب الاسواني بالهمز بدل الالف وبتاء مثناة بين السين والواو نسبة الى استواء بضم الهزرة ثم السكون وضم التاء المثناة وواو وألف . وهي كورة من نواحي نيسابور ومعناها

يعتوب العمى (١) حدثني أبو مالك قال مر سليمان بن داود بهصفور يدور حول عصفورة فقال لاصحابه أتدرون ما يقول قالوا وما يقول يا نبي الله: قال يخطبها الى نفسه ويقول زوجيني أسكنك أى غرف دمشق شئت. قال سليمان عليه السلام لان غرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها أحد ولكن كل خاطب كذاب. رواه ابن عساکر عن أبي القاسم زاهر بن طاهر (٢) عن البيهقي به وكذلك ما عداها من الحيوانات وسائر صنوف المخلوقات والدليل على هذا قوله بعد هذا من الآيات (وأوتينا من كل شئ) أى من كل ما يحتاج الملك اليه من المدد والآلات والجنود والجيش والجماعات من الجن والانس والطيور والوحوش والشياطين السارحات والعلوم والفهوم والتعبير عن ضائر المخلوقات من الناطقات والصامتات ثم قال (إن هذا هو الفضل المبين) أى من بديء البريات وخالق الأرض والسماوات كما قال تعالى (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والخنيزر فهم يزرعون حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى واللى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين).

ينخر تعالى عن عبده ونبيه وابن نبيه سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أنه ركب يوما فى جيشه جميعه من الجن والانس والطيور فالجن والانس يسرونه والطيور سائرة معه تظله بأجنحتها من الحر وغيره وعلى كل من هذه الجيوش الثلاثة بزعة أى قباء يردون أوله على آخره فلا يتقدم أحد عن موضعه الذى يسير فيه ولا يتأخر عنه قال الله تعالى (حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) فأمرت وحذرت واعتذرت عن سليمان وجنوده بعلم الشعور. وقد ذكر ذهب أنه مر وهو على البساط بوادى الطائف وأن هذه النملة كان اسمها جرسا وكانت من قبيلة يقال لهم بنو الشيبان: كانت عرجاء وكانت بقدر الذئب. وفى هذا كله نظر بل فى هذا السياق دليل على أنه كان فى مركبها كبا فى خيوله وفرسانه لا كما زعم بعضهم من أنه كان اذ ذاك على البساط لانه لو كان كذلك لم ينل النمل منه شئ ولا وطء لان البساط كان عليه جميع ما يحتاجون اليه من الجيوش والحيول والجمال والاتقال والخيام والانعام والطيور من فوق ذلك كله كما ستبينه بعد ذلك إن شاء الله تعالى

بلسانهم المضحة والمشرق عن محمود الامام (١) كذا بالاصول بالعين المهملة والصواب القمى بضم القاف وتشديد الميم. وهو يعقوب بن عبد الله بن سعد بن مالك بن هاني بن عامر بن أبي عامر الأشعري أبو الحسن القمى رحمه الله (٢) هو زاهر بن طاهر أبو القاسم الشحامى مسند بنيسابور صحيح السماع لكنه يخل بالصلاة فترك الرواية عنه غير واحد من الحفاظ تورعا وقبله آخرون

والمقصود أن سليمان عليه السلام فهم لما خاطبت به تلك النملة لانتها من الرأى السديد والأسر
الحديد وتيسر من ذلك على وجه الاستبشار والفرح والسرور بما أطله الله عليه دون غيره وليس كما
يقوله بعض الجهلة من أن الدواب كانت تنطق قبل سليمان وتخطب الناس حتى أخذ عليهم سليمان بن
داود المهدي وألجها فلم تتكلم مع الناس بعد ذلك فان هذا لا يقوله الا الذين لا يعملون ولو كان هذا
هكذا لم يكن لسليمان في فهم لانتها مزية على غيره اذ قد كان الناس كلهم يهيمون ذلك ولو كان قد أخذ
عليها المهدي أن لا تتكلم مع غيره وكان هو يفهمها لم يكن في هذا أيضا فائدة يعول عليها ولهذا قال
(رب أوزعني) أي ألهمني وأرشدني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا
ترضاه وأدخني برحمتك في عبادك الصالحين) فطلب من الله أن يقبضه للشكر على ما أنعم به عليه
وعلى ما خصه به من المزية على غيره وان يسر عليه العمل الصالح وان يحشره اذا توفاه مع عباده الصالحين
وقد استجاب الله تعالى له والمراد بالديه داود عليه السلام وأمه وكانت من العابدات الصالحات
كما قال سنيد بن داود عن يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر عن النبي (س) قال قالت
أم سليمان بن داود يا بني لا تتكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل تدع العبد فقيرا يوم القيامة . رواه
ابن ماجه عن أرويه من مشايخه عنه به نحوه . (١) وقال عبد الرزاق عن مسمر عن الزهري أن سليمان
ابن داود عليه السلام خرج هو وأصحابه يستسقون فرأى نملة قائمة رافعة إحدى قوائمها تستسقي فقال
لاصحابه ارجعوا فقد سقيتم ان هذه النملة استسقت فاستجيب لها . قال ابن عساكر وقد روى مرفوعا
ولم يذكر فيه سليمان ثم ساقه من طريق محمد بن عزيز عن سلامة بن روح بن خالد عن عقيل بن ابن شهاب
حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله (س) يقول خرج نبي من الانبياء بالناس يستسقون
الله فاذا هم بنملة رافعة بعض قوائمها الى السماء فقال النبي ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل هذه النملة
وقال السدي أصاب الناس قحط على عهد سليمان عليه السلام فأمر الناس فخرجوا فاذا بنملة قائمة على
رجلها باسطة يديها وهي تقول « اللهم انا خلق من خلقك ولا غناء بنا عن فضلك » قال فصب الله عليهم
المطر . قال تعالى (وقعد الطير فقال مالي لا أرى المهدد أم كنن من التائبين لأعذبه عذابا شديدا أو
لأذبحه أو ليأتيني بسلطان مبين فكش غير بيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ نبأ يقين
انى وجدت امرأة تملككم وأوتيت من كل شئ ولما عرش عظيم . وجئتها وقومها يسجدون للشمس
من دون الله وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدم عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذى يخرج
الخبث في السموات والارض ويعلم ما يتفكرون وما تملنون الله لا إله الا هودب الرمش العظيم . قال سننظر
أصدقت أم كنت من الكاذبين . اذهب بكتابتى هذا فاقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون .

(١) من هنا لفظة قوله فصب الله عليهم المطر لم يوجد بالتسختين الموجودتين بالمسكبة المصرية .

قالت يا أيها الملائة أتى القى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلموا على وأتوى
مسلمين قالت يا أيها الملائة أتتوني في أمري ما كنت قاطمة أسراً حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا
بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين . قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة
أهلها اذلة وكذلك يفعلون واني مرسله اليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أئتمنون
بإل فما أتاك الله خيراً مما آتاك بل أنتم بهديكم تفرحون . ارجع اليهم فلما أتيتهم بمجرد لا قبل لهم بها
ولنخرجهم منها اذلة وهم صاغرون) يذكر تعالى ما كان من أمر سليمان والمهدد وذلك أن الطيور كان
على كل صنف منها مقدمون يقدمون بما يطلب منهم ويحضرون عنده بالتوبة كما هي عادة الجنود مع الملوك
وكانت وظيفة المهدد على ما ذكره ابن عباس وغيره أنهم كانوا اذا اعوزوا الماء في القفار في حال الاسفار
يجي فينظر لهم هل بهذه البقاع من ماء وفيه من القوة التي أودعها الله تعالى فيه أن ينظر الى الماء
تحت نجوم الأرض فاذا دلم عليه حرواعته واستنبطوه واخرجوه واستملوه لحاجتهم فلما قلبه سليمان
عليه السلام ذات يوم فقدته ولم يجده في موضعه من محل خدمته (فقال مالي لا أرى المهددأم كان من
الثائبين) أى ماله مفقود من ههنا أو قد غاب عن بصري فلا أراه بمحضرى (لأعذبه عذاباً شديداً)
توعده بنوع من العذاب * اختلف المفسرون فيه والمقصود حاصل على كل تقدير (أولاً ذمته أو
ليأتيني بسلطان مبين) أى بحجة تنجيه من هذه الورطة . قال الله تعالى (فكف غير بيد) أى فغاب
المهدد غيبة ليست بطويلة ثم قدم منها (فقال) لسليمان (احطت بالمخطبه) أى اطلعت على ما لم تطلع
عليه (وجئتك من سبأ بنياً يقين) أى بخبر صادق (انى وجئت امرأة تملككم وأوتيت من كل شئ
ولها عرش عظيم) يذكر ما كان عليه ملوك سبأ في بلاد اليمن من المملكة العظيمة والتبابعة للتوجين وكان
الملك قد آكل في ذلك الزمان الى امرأة منهم ابنة ملكهم لم يخلف غيرها فلما ملكها عليهم .

وذكر الثعلبي وغيره أن قوماً ملكوا عليهم بعد ابيها رجلاً ضم به الفساد فارسلت اليه تخبطه
فتزوجها فلما دخلت عليه سقته خراً ثم حرزت رأسه ونصبت على بلها فاقبل الناس عليها وملكوها عليهم
وهي بليقيس بنت السريح وهو المهدد وقيل شراحيل بن ذى جلد بن السريح بن الحرث بن قيس
ابن صبي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان أبوها من اكابر الملوك وكان يأتي أن يتزوج من
أهل اليمن فيقال إنه تزوج بامرأة من الجن اسمها ريمحانة بنت السكن فولدت له هذه المرأة واسمها قنمة
ويقال لها بليقيس . وقد روى الثعلبي من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن النضر بن انس عن بشير
بن نهيك عن أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال كان أحد أبوي بليقيس جنياً . وهذا حديث غريب وفي
سنده ضعف . وقال الثعلبي اخبرني أبو عبد الله بن قبحونة حدثنا أبو بكر بن جرجة حدثنا ابن أبي الليث
حدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن أبي بكر قال ذكرت بليقيس

عند رسول الله ﷺ، فقال لا يفلح قوم وكفوا أمرهم امرأة . اسماعيل بن مسلم هذا هو المكي ضيف . وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث عوف عن الحسن عن أبي بكر أن رسول الله ﷺ لما بلغه أن أهل فارس ملكوا عليهم ابنة كسرى قال لن يفلح قوم وكفوا أمرهم امرأة . ورواه الترمذي والنسائي من حديث حميد عن الحسن عن أبي بكر عن النبي ﷺ، وقال الترمذي حسن صحيح وقوله (واوديت من كل شيء) أي مما من شأنه أن تؤتاه الملوك (ولها عرش عظيم) يعني سرير ملكها كان مزخرفاً بأنواع الجواهر والآلات والذهب والحلي الباهر . ثم ذكر كفرهم بالله وعبادتهم الشمس من دون الله واضلال الشيطان لهم وصده إياهم عن عبادة الله وحده لا شريك له الذي يخرج الخبث في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون أي يعلم السرائر والظواهر من المحسوسات والمعنويات (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) أي له العرش العظيم الذي لا أعظم منه في الخلقات . فسنجد ذلك بثبمه سليمان عليه السلام كتابه يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله والائتلاف والاذعان إلى الدخول في الخضوع للملكه وسلطانه ولهذا قال لهم (ألا تعلموا على) أي لا تستكبروا عن طاعتي وامثال أوامر (واتوا مسلمين) أي وأقدموا على سامعين مطيعين بلا معاودة ولا مرادة فلما جاءها الكتاب مع الطير ومن ثم أخذ الناس البطائق ولكن أين الثريا من الثرى تلك البطاقة كانت مع طائر سامع مطيع فام عالم بما يقول ويقال له فذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن الهدد حمل الكتاب وجاء إلى قصرها فلقاه إليها وهي في خلوة لها ثم وقف ناحية ينتظر ما يكون من جوابها عن كتابها فجمعت أمرها ووزراءها وأكابر دولتها إلى مشورتها (قالت يا أيها الملأ أتى التي إلى كتاب كريم) ثم قرأت عليهم عنوانه أولاً (أنه من سليمان) ثم قرأته (وإياه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلموا على واتوا مسلمين) ثم شاورتهم في أمرها وما قد حل بها وتأديت معهم وخاطبتهم وهم يسمعون (قالت يا أيها الملأ أتوني في أمرى ما كنت قاطمة أمراً حتى تشهدون) تعني ما كنت لأبت أمراً إلا وأنتم حاضرون (قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) يعني لنا قوة وقدرة على الجلال والقتال ومقلومة الأبطال فإن أردت منا ذلك فأتنا عظيمين القادرين (و) مع هذا (الامرليك فاطنرى ماذا تأمرين) فبدلوا لها السمع والطاعة وأخبروها بما عندهم من الاستطاعة وفوضوا إليها في ذلك الامر لتري فيه ماهر الارشد لها ولهم فكان رأيها أنهم وأسند من رأيهم وعلمت أن صاحب هذا الكتاب لا يبالغ ولا يمانع ولا يخالف ولا يجادع (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) تقول برأيها السديد إن هذا الملك لو قد غلب على هذه المملكة لم يخلص الأمر من بينكم إلا إلى ولم تكن الحدة والشدة والسطوة البليغة إلا على (وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) أرادت أن تصانع عن نفسها وأهل مملكته بهدية ترسلها وتحف تبيشها ولم تعلم أن سليمان عليه السلام لا يقبل منهم والحالة هذه صرفاً ولا عدلاً لآتهم كافرين وهو

وجنوده عليهم قادرون ولهذا (لما جاء سليمان قال اعمدون بما قال فأتى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) ههنا وقد كانت تلك الهدايا مشتملة على أمور عظيمة كما ذكره المنسرون ثم قال لرسولها اليه ووافعها التي قدم عليه والناس حاضرون يسمعون (ارجع اليهم فلأنتم بهم يجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) يقول ارجع بهديتكم التي قدمت بها الي من قدم بها فان عندي مما قد أنعم الله علي وأسداه الي من الاموال والتحف والرجال ما هو اضعاف ههنا وخير من هذا الذي أنتم تفرحون به وتفرحون على أبناء جنسكم بسببه (فلأنتم بهم يجنود لا قبل لهم بها) أي فلا بد من اليهم يجنود لا يستطيعون دفعهم ولا تراهم ولا بما نتمهم ولا تاكلهم ولا نخرجنهم من بلادهم وحوزتهم ومساكنهم ودولتهم أذلة (وهم صاغرون) عليهم الصغار والمار والسمار فلما بلغهم ذلك عن نبي الله لم يكن لهم يد من السمع والطاعة فبادروا الي اجابته في تلك الساعة وأقبلوا صحبة الملكة اجمعين سامعين مطيعين خاضعين فلما سمع بقدمهم عليه ووفودهم اليه قال لمن بين يديه من هو مسخر له من الجنان ما قصه الله عنه في القرآن . (قال يا أيها الملا أيكم يأتي بمرشها قبل أن يأتي مسلين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واتي عليه لقوى أمين . قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فأتا يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم قال نسكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكرون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كانه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله إلهها كانت من قوم كافرين قيل . لها ادخلي الصرح فلما رآه حبيته لجة وكشفت عن ساقها قال انه صرح مبرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) .

لما طلب سليمان من الجن أن يحضروا له عرش بلقيس وهو سرير مملكها التي تجلس عليه وقت حكمها قبل قدومها عليه (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) يعني قبل أن ينفضي مجلس حكمك وكان فيما يقال من أول النهار الي قريب الزوال يتصدى لهجات بني اسرائيل ومالهم من الاشغال (واتي عليه لقوى أمين) أي واتي لدو قدرة على احضاري اليك وامانة على مافيه من الجواهر النفيسة لديك (قال الذي عنده علم من الكتاب) المشهور أنه آصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان . وقيل هو رجل من مؤمنى الجن كان فيما يقال يحفظ الاسم الاعظم . وقيل رجل من بني اسرائيل من علمهم وقيل إنه سليمان وهذا غريب جداً . وضمنه السهيلي بأنه لا يصح في سياق الكلام قال وقد قيل فيه قول رابع وهو جبريل (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) قيل معناه قبل أن تبث رسولا الي أقصى ما يمتد اليه طرفك من الارض ثم يعود اليك . وقيل قبل أن يصل اليك أبعد من تراه من

الناس وقيل قيل أن يكلم طرفك إذا أدمت انظرب به قيل أن تطبق جفونك . وقيل قيل أن يرجع اليك طرفك إذا نظرت به الى أبعد غاية منك ثم أغضضته وهذا أقرب ما قيل . (فلما رآه مستقراً عنده) أى فلما رأى عرش بلقيس مستقراً عنده فى هذه المدة القريبة من بلاد اليمن الى بيت المقدس فى طرفة عين (قال هذا من فضل ربي ليولني . أشكر أم أ كفر) أى هذا من فضل الله على وفضله على عبده ليختبرم على الشكر أو خلافه (ومن شكر فأتا يشكر لنفسه) أى اتما يمود فقع ذلك عليه (ومن كفر فان ربي غفي كريم) أى غفى عن شكر الشاكرين ولا يتضرر بكفر الكافرين ثم أمر سليمان عليه السلام أن يغير حلى هذا العرش ويتكر لها ليختبر فهمها وعقلها ولهذا قال (ننظر أهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو) وهذا من فطنتها وغزارة فهمها لأنها استبعدت أن يكون عرشها لانها خلفته وراها بأرض اليمن ولم تكن تعلم أن أحداً يقدر على هذا الصنع العجيب الغريب قال الله تعالى اخباراً عن سليمان وقومه (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تصعد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين) أى ومنها عبادة الشمس التى كانت تسجد لها هى وقومها من دون الله اتباعاً لدين آباؤهم واسلافهم لا لدليل قادم الى ذلك ولا حدام على ذلك وكان سليمان قد أمر ببناء صرح من زجاج وعمل فى عمره ماء وجعل عليه سقفا من زجاج وجعل فيه من السمك وغيرها من حواب الماء وأمرت بدخول الصرح وسليمان جالس على سريره فيه (فلما رآته حسبته لجة وكشفت عن سابقها قال إنه صرح عمرد من قوارير قالت ربي إني ظلمت نفسى وأبست مع سليمان لله رب العالمين) وقد قيل إن الجن أرادوا أن يشعروا منظرها عند سليمان وأن تبدي عن سابقها ليرى ما عليها من الشر فيبغضها ذلك منها وخشوا أن يتزوجها لأن أمها من الجن فتسلط عليهم معه . وذكر بعضهم أن حافرها كان كحافر الدابة وهذا ضعيف وفى الاوّل أيضاً نظر والله أعلم الا أن سليمان قيل إنه لما أراد ازالته حين عزم على تزوجها سأل الأوس عن زواله فذكروا له الموسى فامتعت من ذلك فسأل الجن فضمنوا له التورة ووضعوا له الحمام فكان أول من دخل الحمام فلما وجد مسه قال أوه من عذاب أوه قبل أن يتبغع أوه . رواه الطبراني مرفوعاً وفيه نظر *

وقد ذكر الثعلبي وغيره أن سليمان لما تزوجها أقرها على مملكة اليمن وردّها اليه وكان يزورها فى كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام ثم يمود على البساط وأمر الجن فينوا له ثلاثة قصور باليمن غمدان وسالمين ويحوتن قلته أعلم . وقد روى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أن سليمان لم يتزوجها بل زوجها بمالك همدان وأقرها على ملك اليمن وسخر زوبية ملك جن اليمن فبنى لها القصور الثلاثة التى ذكرناها باليمن والأول أشهر وأظهر والله أعلم .

وقال تعالى في سورة ص (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب اذ عرض عليه بالشئ الصافات الجياد فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها على فطفت مسحا بالسوق والاعناق . ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسداً ثم أناب . قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بدى ذلك أنت الوهاب . فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد . هذا عطاؤنا فامتن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لزولي وحسن ما بآب) . يذكر تعالى أنه وهب لداود سليمان عليهما السلام ثم أمضى الله عليه تعالى قتال (نعم العبد إنه أواب) أي رجاع مطيع لله . ثم ذكر تعالى ما كان من أسرته في الخليل الصافات وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة . الجياد وهي المضرة السراع (فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) يعني الشمس . وقيل الخليل على ما سنده كره من القولين . (ردوها على فطفت مسحا بالسوق والاعناق) قيل مسح عراقها وأعناقها بالسيف . وقيل مسح عنها العرق لما أجراها وسابق بينها وبين يديه على القول الآخر * والذي عليه أكثر السلف الاول قالوا اشتغل بمرض تلك الخيل حتى خرج وقت العصر وغربت الشمس روى هذا عن علي بن أبي طالب وغيره والذي يقطع به أنه لم يترك الصلاة عمداً من غير عذر اللهم إلا أن يقال إنه كان سائماً في شريعتهم فأخر الصلاة لاجل أسباب الجهاد وعرض الخيل من ذلك * وقد ادعى طائفة من العلماء في تأخير النبي (ص) صلاة العصر يوم الخندق أن هذا كان مشروفاً اذ ذاك حتى نسخ صلاة الخوف قاله الشافعي وغيره . وقال مكحول والاوزاعي بل هو حكم محكم الى اليوم أنه يجوز تأخيرها بسدر القتال الشديد كما ذكرنا تقرير ذلك في سورة النساء عند صلاة الخوف . وقال آخرون بل كان تأخير النبي (ص) صلاة العصر يوم الخندق نسياناً وعلى هذا فيحمل فعل سليمان عليه السلام على هذا والله أعلم . وأما من قال الضمير في قوله حتى توارت بالحجاب عائد على الخليل وأنه لم تمته وقت صلاة وان المراد بقوله (ردوها على فطفت مسحا بالسوق والاعناق) يعني مسح العرق عن عراقها وأعناقها فهذا القول اختاره ابن جرير ورواه الوالبي عن ابن عباس في مسح العرق * ووجه هذا القول ابن جرير بأنه ما كان ليمذب الحيوان بالمرقة ويهلك مالا بلا سبب ولا ذنب لها وهذا الذي قاله فيه نظر لانه قد يكون هذا سائماً في ملتهم وقد ذهب بعض علمائنا الى أنه اذا خاف المسلمون أن يظفر الكفار على شئ من الحيوانات من أغنام ونحوها جاز ذبحها واهلا كلها لئلا يتقروا بها وعليه حمل صنيع جعفر بن أبي طالب يوم عقر فرسه بموته وقد قيل إنها كانت خيلاً عظيمة . قيل كانت عشرة آلاف فرس . وقيل عشرين ألف فرس . وقيل كان فيها عشرون فرساً من ذوات الاجنحة . وقد روى أبو داود في سننه - ثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد ابن أبي سرهم أنبأنا يحيى بن أيوب حدثني عمارة بن عزيزة أن محمد بن ابراهيم حدثه عن محمد بن أبي سلمة

ابن عبد الرحمن عن عائشة قالت قدم رسول الله (س)، من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر فبهت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لمائة تلب قال ما هذا يا عائشة فقالت بناتي ورأى يمين فرسا له جناحان من رقايع فقال ما هذا الذي أرى وسطهن قلت فرس قال وما الذي عليه هذا قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت أما سمعت أن لسليان خيلا لها أجنحة قالت فضحك حتى رأيت نواجذه (س)، وقال بعض العلماء لما ترك الخليل لله عرضه الله عنها بما هو خير له منها وهو الريح التي كانت غدوها شهرا ورواحها شهرا كما سيأتي الكلام عليها كما قال الامام احمد حدثنا اسمعيل حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبي قتادة وأبي الدهماء وكانا يكثران السفر نحو البيت قالا أتينا على رجل من أهل البادية فقال البدوي أخذ يدي رسول الله (س)، فجعل يعلني بما علمه الله عز وجل وقال انك لاتدع شيئا اتقاء الله عز وجل الا أعطاك الله خيرا منه . وقوله تعالى (ولقد فتننا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) . ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين ههنا آثارا كثيرة عن جماعة من السلف وأكثرها أو كلها متلقاة من الاسرائيليات وفي كثير منها نكارة شديدة وقد نهينا على ذلك في كتابنا التفسير واقتصرنا ههنا على مجرد التلاوة ومضمون ما ذكره أن سليمان عليه السلام غاب عن سريره أربعين يوما ثم عاد اليه ولما عاد أمر ببناء بيت المقدس فبناء بنا محكما . وقد قدمنا أنه جده وأن أول من جعله مسجداً اسرائيل عليه السلام كما ذكرنا ذلك عند قول أبي ذر قالت يا رسول الله أي مسجد وضع أول قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال مسجد بيت المقدس قلت كم بينهما قال أربعون سنة ومعلوم أن بين ابراهيم الذي بنى المسجد الحرام وبين سليمان بن داود عليهما السلام أزيد من ألف سنة دع أربعين سنة وكان سؤاله الملك الذي لا ينبغي لاحد من بعده بعد إكراه البيت المقدس كما قال الامام احمد والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم بسانيدهم عن عبد الله بن فيروز الديلمي عن عبد الله ابن عمرو ابن العاص قال قال رسول الله (س)، إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خلافاً ثلاثاً فأعطاه اثنتين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة سأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه وسأله ملكاً لا ينبغي لاحد من بعده فأعطاه إياه وسأله إياها رجل خرج من بيته لا يريد الا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه فنحن نرجو أن يكون لله قد أعطانا إياها . فلما الحكم الذي يوافق حكم الله تعالى فقد أثنى الله عليه وعلى أبيه في قوله (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرف إذ فنشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً) وقد ذكر شريح القاضي وغير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كان لهم كرم فنشت فيه غنم قوم آخرين أي رعته بالليل فالكثرت شجره بالكيفية فتحما كروا الى داود عليه السلام فحكم لاصحاب الكرم قيمته فلما خرجوا على سليمان قال بما حكم لكم في الله فقالوا بكذا وكذا فقال أما لو كنت أنا لما حكمت الا بتسليم الغنم الى اصحاب الكرم فيستغلونها متاجراً ودراً حتى

يصلح أصحاب النعم كرم أولئك ويردوه الى ما كان عليه ثم يتسلوا غنمهم فيبلغ داود عليه السلام ذلك فحكّم به وقريب من هذا ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، بينما امرأتان ممهما ابناهما اذ عدا الذئب فأخذ ابن احدهما فتنازعتا في الاخر فصالت الكبرى انما ذهب بابنك وقالت الصغرى بل انما ذهب بابنك فتحاكتا الى داود فحكّم به للكبرى فخرجتا على سليمان فقال اتئوني بالسكين أشقه نصفين لكل واحدة مسكاً نصفه فقالت الصغرى لا أفضل يرحمك الله هو ابنا قضى به لها ولعل كلا من الحكيم كان سائفاً في شريعتهم ولكن مقاله سليمان أرجح ولهذا أتى الله عليه بما ألهه اياه ومدح بمد ذلك أباه فقال (وكلا آتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلناه صنعة لبوس لكم لنحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون). ثم قال (ولسليمان الريح عاصفة) أي وسخرنا لسليمان الريح عاصفة (تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين. ومن الشياطين من يتوصون له ويميلون على دون ذلك وكنا لهم حافظين). وقال في سورة ص (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فأمّن أو أمسك بغير حساب. وان له عندنا لزني وحسن ما تب). لما ترك الخليل ابتغاء وجه الله عوضه الله منها الريح التي هي أسرع سيراً وأقوى وأعظم ولا كافية عليه لها تجرى بأمره رخاء (حيث أصاب) أي حيث أراد من أي البلاد. كان له بساط مركب من أخشاب بحيث إنه يسبح جميع ما يحتاج اليه من الدور المبنية والقصور والخيام والأمتعة والخيول والجمال والانتقال والرجال من الانس والجان وغير ذلك من الحيوانات والطيور فاذا أراد سرفاً أو مستنزها أو قتال ملك أو أعداء من أي بلاد الله شاء فاذا حمل هذه الأمور المذكورة على البساط أمر الريح فدخلت تحته فرفسته فاذا استقل بين السماء والارض أمر الرخاء فسارت به فان أراد أسرع من ذلك أمر العاصفة فخلته أسرع ما يكون فوضته في أي مكان شاء بحيث إنه كان يرتحل في أول النهار من بيت المقدس فتشددت به الريح فتضعه باصطخر مسيرة شهر فيقيم هناك الى آخر النهار ثم يروح من آخره فترده الى بيت المقدس كما قال تعالى (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يسلم بين يديه بأذن ربه ومن يرزق منهم عن أمرنا تذقه من عذاب السعير يملون له ما يشاء من محاريب وتمثيل وجران كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور). قال الحسن البصري كان يندو من دمشق فينزل باصطخر فينتدى بها ويذهب رائحا منها فيبيت بكابل وبين دمشق وبين اصطخر مسيرة شهر وبين اصطخر وكابل مسيرة شهر قلت قد ذكر المتكلمون على السمران والبلدان أن اصطخر بنتها الجبان لسليمان وكان فيها قرار مملكة الترك قديماً وكذلك غيرها من بلدان شتى كندس وبيت المقدس وبلب جبرون وبلب البريد اللذان بدمشق على أحد الاقوال.

وأما القطر فقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغير واحد هو النحاس قال قتادة وكانت باليمن أنبمها الله له قال السدي ثلاثة أيام فقط أخذ منها جميع ما يحتاج إليه للنباتات وغيرها وقوله (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزيغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير) أي وسخر الله له من الجن عمالا يعملون له ما يشاء لا يفترقون ولا يخرجون عن طاعته ومن خرج منهم عن الأمر عذبه ونكل به (يعملون له ما يشاء من محاريب) وهي الأماكن الحسنة وصدور المجالس (وتماثيل) وهي الصور في الجدران وكان هذا سائفاً في شرعهم ومثلهم (وجان كالجواب) . قال ابن عباس الجنة كالجربة من الأرض وعنه كالحياض وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم وعلى هذه الرواية يكون الجواب جمع نجاية وهي الحوض الذي يجبي فيه الماء كما قال الاعشى .

ترويح على آل المخلوق جفنة كجاية الشيخ العراقي يفتح

وأما القدور الراسيات فقال عكرمة أنها فيها معنى أنها ثوابت لا يزلن عن أماكنهن وهكذا قال مجاهد وغير واحد ولما كان هذا بصدد أطعام الطعام والاحسان إلى المخلوق من انسان وجان قال تعالى (اعلموا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور) وقال تعالى (والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد) يعني أن منهم من قد سخره في البناء ومنهم من يأمره بالتفوس في الماء لاستخراج ما هنالك من الجواهر والالآت وغير ذلك لما لا يوجد الا هنالك وقوله (وآخرين مقرنين في الاصفاد) أي قد عصوا فقيدوا مقرنين اثنين اثنين في الاصفاد وهي القيود . هذا كله من جملة ما هياه الله وسخر له من الاشياء التي هي من تمام الملك الذي لا ينبغي لاحد من بعده ولم يكن أيضاً ان كان قبله وقد قال البخاري ثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي (س) قال إن عفرينا من الجن قلت على البارحة ليقطع على صلاتي فأمكنني الله منه فاخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أنى سليمان (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لاحد من بعدي فردته خاسماً) . وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة وقال مسلم حدثنا محمد بن سلمة المرادي حدثنا عبد الله بن وهب عن معاوية بن صالح حدثني ربيعة بن يزيد عن أبي ادريس الخولاني عن أبي الدرداء قال قام رسول الله (س) فصلى فسمعناه يقول أعوذ بالله منك أمنتك بلعنة الله ثلاثاً وبسط يده كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال إن عندو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليحعله في وجهي قلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت أمنتك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات . ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثماً يلعب به ولدان أهل المدينة . وكذا رواه النسائي عن محمد بن سلمة به . وقال احمد حدثنا أبو احمد حدثنا مرة بن معبد ثنا أبو عبيد

حاجب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد اللبثي قائماً يصلي فذهبت أسرى بين يديه فردني ثم قال حدثني أبو سعيد الخدري أن رسول الله (ص) قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ فاتبست عليه القراءة . فلما فرغ من صلاته قال لو رأيتموني وإبليس فاهويت بيدي فأزلت أخته حتى وجدت برد لهما به بين أصبعي هاتين الإبهام والتي تليها ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليضل . روى أبو داود منه فن استطاع الى آخره عن احمد بن سريج عن احمد الزيري به .

وقد ذكر غير واحد من السلف أنه كانت لسليمان من النساء ألف امرأة سبعائة مهور وثلاثمائة مصرية وقيل بالعكس ثلثة مائة حرأر وسبعائة من الاماء . وقد كان يطبق من التمتع بالنساء أمراً عظيماً جداً قال البخاري حدثنا خالد بن مخلد حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال قال سليمان بن داود لاطوفن اللبلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل شيئاً الا واحداً ساقطاً أحد شقيه فقال النبي (ص) لو قالها لجاهدوا في سبيل الله * وقال شعيب وابن أبي الزناد تسمين وهو أصح تفرد به البخاري من هذا الوجه وقال أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا يزيد أنبأنا هشام بن حسان عن محمد بن عمار عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) قال سليمان بن داود لاطوفن اللبلة على مائة امرأة كل امرأة منهن تلد غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف تلك اللبلة على مائة امرأة فلم تلد منهن امرأة إلا امرأة ولدت نصف إنسان فقال رسول الله (ص) لو قال إن شاء الله لولدت كل امرأة منهن غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل . إسناده على شرط الصحيح ولم يفرجه من هذا الوجه . وقال الامام احمد حدثنا هشيم ثنا هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال سليمان بن داود لاطوفن اللبلة على مائة امرأة تلد كل واحدة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله ولم يستثن فماتت الا واحدة منهن بشق إنسان قال قال رسول الله (ص) لو استثنى لولد له مائة غلام . كأنهم يقاتل في سبيل الله عز وجل تفرد به احمد أيضاً . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر بن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) قال سليمان بن داود لاطوفن اللبلة بمائة امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله قال ونسي أن يقول إن شاء الله فطاف بهن قال فلم تلد منهن امرأة الا واحدة نصف إنسان قال رسول الله (ص) لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركاً لحاجته وهكذا أخرجه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به مثله . وقال اسحاق بن بشر أنبأنا مقاتل عن أبي الزناد وابن أبي الزناد عن أبيه عن عبد الرحمن بن عمار عن أبي هريرة أن سليمان بن داود كان له اربعمائة امرأة وستمائة سرية فقال يوماً لاطوفن اللبلة على الف امرأة فتمحمل كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يستثن فطاف عليهن فلم تحمل واحدة منهن

الامرأة واحدة منهن جاءت بشق إنسان فقال النبي (ص)، والتي فشى يده لو استثنى فقال إن شاء الله لولد له ما قال فرسان وجاهدوا في سبيل الله عز وجل . وهذا اسناد ضعيف لحال اسحاق بن بشر فانه منكر الحديث ولا سيما وتد خالف الروايات الصحاح . وقد كان له عليه السلام من أمور الملك واتساع الدولة وكثرة الجنود وتنوعها ما لم يكن لاحد قبله ولا يعطيه الله أحدا بعده كما قال (وأوتينا من كل شيء وقال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى انك أنت الوهاب) وقد اعطاه الله ذلك بنص الصادق المصدوق . ولما ذكر تعالى ما أنعم به عليه واسداه من النعم الكاملة المظيمة اليه قال (هذا عطاؤنا فانهن أو أمسك بغير حساب) أى أعط من شئت واحرم من شئت فلا حساب عليك أى تصرف في المال كيف شئت فان الله قدسوغ لك كما تفعله من ذلك ولا يحاسبك على ذلك وهذا شان النبي الملك بخلاف العبد الرسول فان من شأنه أن لا يعطى أحدا ولا يمنح أحدا إلا باذن الله له في ذلك وقد خير نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه بين هذين المقامين فاختار أن يكون عبداً رسولاً . وفي بعض الروايات أنه استشار جبريل في ذلك فإشار اليه أن تواضع فاختار أن يكون عبداً رسولاً صلوات الله وسلامه عليه وقد جعل الله الخليفة والملك من بعده في أمته الى يوم القيامة فلا تزال طائفة من أمته ظاهرين حتى تقوم الساعة فله الحمد والمنة .

ولما ذكر تعالى ما وهبه لنبينا سليمان عليه السلام من خير الدنيا به على ما أعده له في الآخرة من الثواب الجزيل والأجر الجليل والقرية التي تقر به اليه والفوز العظيم والا كرام بين يديه وذلك يوم الماد والحساب حيث يقول تعالى (وان له عندنا لزني وحسن ماآب) .

وفاته ومرة ملكه وحياة

قال الله تبارك وتعالى (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منأته فلما خر تبئت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) . روى ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من حديث ابراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي (ص) قال كان سليمان نبي الله عليه السلام اذا صلى رأى شجرة فابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فقول كذا فيقول لاي شيء أنت فان كانت انرس غرست وان كانت لدواه أبتت فينبا هو يصلى ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت انطروب قال لاي شيء أنت قالت انطراب هذا البيت فقال سليمان اللهم عم على الجن موتى حتى تلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب ففتحها عصا فتوكأ عليها حولاً والجن تصل فاكتمها الارضة فتبئت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين . قال وكان ابن عباس يقرؤها كذلك قال فشكرت الجن للارضة فكانت تأتيها بالماء .

لفظ ابن جرير وعطاء الخراساني في حديثه نكارة * وقد رواه الحافظ ابن عساكر من طريق سلمة ابن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفا وهو أشبه بالصواب والله أعلم . وقال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من الصحابة كان سليمان عليه السلام يتجرد في بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل طعامه وشرابه فأدخله في المرذلتى توفى فيها فكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه الا نبتت في بيت المقدس شجرة فيأتيها فيأهلها ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فان كانت لغرسها غرسها وان كانت نبتت دواء قالت نبتت دواء لكذا وكذا فيجعلها كذلك حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها ما اسمك فقالت أنا الخروبة فقال ولاي شيء نبتت فقالت نبتت لخراب هذا المسجد فقال سليمان ما كان الله ليخره وأنا حتى أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس قزعها وغرسها في حائط له . ثم دخل الحراب فقام يصلى متكئا على عصاه فبات ولم تعلم به الشياطين وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم وكانت الشياطين تجتمع حول الحراب وكان الحراب له كوى بين يديه وخلفه فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول الست جليداً ان دخلت فخرجت من ذلك الجانب فيدخل حتى يخرج من الجانب الاخر فدخل شيطان من اولئك فر ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان عليه السلام وهو في الحراب الا احترق ولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق ونظر الى سليمان عليه السلام قد سقط ميتاً فخرج فاخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحوا عنه فاخرجوه ووجدوا منسأته وهي العصا بلسان الحبشة قد اكلتها الارضة ولم يملوا منذ كبرت فوضعوا الارضة على المصافا كانت منها يوما ولبلة . ثم حسبوا على ذلك النحر فوجدوه قد مات منذ سنة وهي قراءة ابن مسعود فكثروا يداً بوزله من بدموته حولاً كاملاً فاقين الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبون ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له وذلك قول الله عز وجل (ادعهم على موتة الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) يقول تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم ثم إن الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك باطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقيناك اطيب الشراب ولكنا سننقل اليك الماء والطين قل قاتم يقتلون بها ذلك حيث كانت قال الم ترالى الطين الذى يكون في جوف الخشب فهو ما يأتيها به الشيطان تشكر آلهما . وهذا فيه من الاسرائيلات التي لا تصدق ولا تكذب .

وقال أبو داود في كتاب القدر عهدنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن الاعشى عن خيثمة قال قال سليمان بن داود عليهما السلام الملك الموت اذا أردت أن تبيض روجي فأعلمني قال ما أنا أعلم بذلك منك انما هي كتب يلقي الي فيها تسمية من يموت . وقال اصبح بن اللرج وعبد الله بن وهب عن

عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال قال سليمان ملك الموت اذا أمرت بي فاعلمني فانه قال يا سليمان قد أمرت بك قد بقيت لك سوية فدعا الشياطين فبنوا عليه نضرا من قوارير ليس له باب فتاهم يصلي فأنسكأ على عصاه قال فدخل عليه ملك الموت قبض روحه وهو متوك على عصاه ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت قال والجن تعمل بين يديه وينظرون اليه يحسبون أنه حي قال فبعث الله دابة الارض يعني الى منسأته فاكلتها حتى اذا أكلت جوف العصا ضعفت وتقل عليها فخر فلما رأته الجن ذلك افضوا وذهبوا قال فذلك قوله (مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما سخر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) . قال اصبغ وبلغني عن غيره أنها مكثت سنة تأكل في منسأته حتى خر وقد روى نحو هذا عن جماعة من السلف وغيرهم والله أعلم .

قال اسحاق بن بشر عن محمد بن اسحاق عن الزهري وغيره ان سليمان عليه السلام عاش ثنتين وخمسين سنة وكان ملكه أربعين سنة وقال اسحاق أنبأنا أبو روق عن عكرمة عن ابن عباس أن ملكه كان عشرين سنة والله أعلم وقال ابن جرير فكان جميع عمر سليمان بن داود عليها السلام نيفاً وخمسين سنة وفي سنة أربع من ملكه ابتدأ ببناء بيت المقدس فيها ذكر ثم ملك بعده ابنه رحبم مدة سبع عشرة سنة فيها ذكره ابن جرير وقال ثم تفرقت بعده مملكة بني إسرائيل .

جماعة من زكريا وبنى اسرائيل بعد فلوروكهما وقبل زكريا ويحيى عليهم السلام

فنههم شيا بن امصيا قال محمد بن اسحاق وكان قبل زكريا ويحيى وهو من بشر بيمسى ومحمد عليهما السلام وكان في زمانه ملك اسمه حزقيا على بني إسرائيل ببلاد بيت المقدس وكان سامعاً مطيعاً لشعيا فيها يأمره به وينهاه عنه من المصالح وكانت الاحداث قد عظمت في بني إسرائيل فرض الملك وخرجت في رجله قرحة . وقصد بيت المقدس ملك بابل في ذلك الزمان وهو سنحاريب قال ابن اسحاق في ستمائة الف راية وفرغ الناس فرعاً عظيماً شديداً وقال الملك للشي شيا ماذا أوحى الله اليك في أمر سنحاريب وجنوده فقال لم يوح الي فهم شيء بعد . ثم نزل عليه الوحي بالأمر للملك حزقيا بان يوصي ويستخلف على ملكه من يشاء فانه قد اقترب أجله فلما أخبره بذلك أقبل الملك على القبلة فصلى وسبح ودعا وبكى فقال وهو يبكي ويتضرع الى الله عز وجل يا رب مخلص وتوكل وصبر اللهم رب الأرباب وإله الآلهة يارحم

يارحيم يامن لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني بعلي وفضل وحسن قضائي على بني اسرائيل وذلك كله كان منك فانت أعلم به من نفسي سرى واعلاني لك قال فاستجاب الله له ورحمه واوحى الله الى شعيا أن يبشره بأنه قد رحم بكاه وقد أخر في أجله خمس عشر سنة وأجابه من عدوه سنحاريب فلما قال له ذلك ذهب منه الوجد واهطع عنه الشر والحزن وخر ساجداً وقال في سجوده (اللهم أنت الذي تقطى الملك من تشاء وتنزع من تشاء وتمزج من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين) فلما رفع رأسه أوحى الله الى شعيا أن يأمره أن يأخذ مائة التين فيجعله على قرخته فيشفي ويصبح قد برئ . ففعل ذلك فشفي وارسل الله على جيش سنحاريب الموت فاصبحوا وقد هلكوا كلهم سوى سنحاريب وخمسة من اصحابه منهم نحت نصر فارسل ملك بني اسرائيل فجاء بهم فجلهم في الاغلال وطاف بهم في البلاد على وجه التنكيل بهم والاهانة لهم سبعين يوماً ويطعم كل واحد منهم كل يوم رغيفين من شعير ثم أودعهم السجن واوحى الله تعالى الى شعيا أن يأمر الملك بارسالهم الى بلادهم ليندروا قومهم ماقدحل بهم فلما رجعوا جمع سنحاريب قومه واخبرهم بما قد كان من امرهم فقال له السحرة والسكينة انا اخبرناك عن شأن ربههم وانبيائهم فلم تظننا وهي أمة لا يستطيعها احد من ربههم فكان أمر سنحاريب مما خوفهم الله به . ثم مات سنحاريب بسد سبع سنين . قال ابن اسحاق ثم لما مات حزقيا ملك بني اسرائيل مرح امرهم واختلعت احداثهم وكثر شرهم فارحى الله تعالى الى شعيا فقام فيهم فوعظهم وذكرهم واخبرهم عن الله بما هو اهله وانذرهم بأسه وعقابه ان خلفوه وكذبوه . فلما فرغ من مقاتته عدوا عليه وطلبوه ليقتلوه فهرب منهم فر بشجرة فانفلقت له فدخل فيها وادركه الشيطان فاخذ بهدبه ثوبه فبرزها فلما رأوا ذلك جاؤا بالبنار فوضوه على الشجرة ففشروها ونشروه معها فانا لله وإنا اليه راجعون

ومنهم ارميا بن حلفيا من سبط لاوي بن يعقوب

وقد قيل إنه الخضر رواه الضحاك عن ابن عباس وهو غريب وليس بصحيح * قال ابن عساکر جاء في بعض الآثار أنه وقف على دم يعقوب بن زكريا وهو يفور بدمشق فقال أيها الدم فنتت الناس فاسكن فاسكن ورسب حتى غاب * وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني علي بن أبي مريم عن احمد بن حنبل عن عبد الله بن عبد الرحمن قال قال أرميا أي رب أي عبادك أحب اليك قال أكثرهم لي ذكرآ الذين يشتغلون بذكرى عن ذكر انطلائق . الذين لا تعرض لهم وسادس الفناء ولا يحدثون انفسهم بالبقاء . الذين اذا عرض لهم عيش الدنيا قلوه واذا زوى عنهم سروا بذلك . أولئك انطلمس محبتي واعطهم فوق غايتهم .

فصل في بيت المقدس

وتوله تعالى (وآتيناهم موسى الكتاب وجعلناه هدى لبي إسرائيل أن لا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبداً شكورا . وقضينا الى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين وتعلمن علواً كبيراً . فاذا جاء وعد أولاهما نبثنا عليكم عبداً لنا اولى بأس شديد نجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر فقيراً إن أحسنتم أحسنتم لانفسكم وإن أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوزوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تبيها . عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدمتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) وقال وهب بن منه أوحى الله الى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له أرميا حين ظهرت فيهم الماعصي أن قم بين ظهراني قومك فسخبرهم أن لهم قلوبا ولا يعقون وأعيننا ولا يبصرون وأذاننا ولا يسمعون وإني تذكرت صلاح آبائهم فمغظني ذلك على أبنائهم فسلهم كيف وجدوا غيب طاعتي وهل سمع أحد ممن عصاني بمصيبي وهل شق أحد من أطاعني بطاعتي إن السواب تذكر أوطانها فتزع البها وإن هولاء القوم تركوا الأمر الذي أكرمت عليه آباءهم والتسوا الكرامة من غير وجهها أما أحبارهم فانكروا حقي وأما قراؤهم فصبوا غيري وأما نساكم فلم يتنصوا بما علموا وأما ولاتهم فكذبوا علي وعلى رسلي . خزنوا المكر في قلوبهم وعودوا الكذب ألسنتهم . وإني أقسم بجلالي وعزتي لا هيجن عليهم جيولا لا يعقون ألسنتهم ولا يرفون وجوههم ولا يرحمون بكاهم ولا يبنن فيهم ملة كما جباراً قاسياً له عسا كر كقطع السحاب ومواكب كمثل الفجاج كان خفقان رايته طيران النور وكان حمل فرسانه كالعقبان يعيدون العمرا ن خرابا ويتركون القري وحشة فياويل أيليا وسكاتها كيف أذلهم للقتل وأسلط عليهم السبا واعيد بمد لجب الاعراس صراخا وبعد سهيل الخليل عواء الذأب وبعد شرافات القصور مساكن البباع وبعد ضوء السرج وهج البجاج وبالمر ذلا وبالنعمة العبودية وأيدان نساءهم بعد الطيب التراب . وبالشي على الزرابي انقلب ولاجلن أجسادهم زبالا للأرض وعظامهن ضاحية للشمس ولأدوسنهم بلوان العذاب ثم لآمرن السماء فتكون طبقة من حديد والأرض سييكة من نحاس فان أمطرت لم تبت الأرض وإن أنبتت شيئا في خلال ذلك فيرحقني للبهائم . ثم أحبسه في زمان الزرع وأرسله في زمان الحصاد فان زرعوها في خلال ذلك شيئا سلطت عليه الآفة فان خلص منه شيء تزعت منه البركة فان دعوني لم أجيهم وإن سألوهم لم أعظمهم وإن بكوا لم أرحمهم وإن تضرعوا صرفت وجهي عنهم . رواه ابن عسا كر بهذا اللفظ .

وقال اسحاق بن بشر أنبأنا لإدريس عن وهب بن منه قال ان الله تعالى لما بث أرميا الى بني إسرائيل وذلك حين عظمت الاحداث فيهم فعملوا بالمعاصي وقتلوا الانبياء طمع بخت نصر فيهم وقدف

الله في قلبه وحدث نفسه بالسير اليهم لما أراد الله أن ينتقم به منهم فأوحى الله الى أرميا إني مهلك بني إسرائيل ومنتقم منهم فقم على صخرة بيت المقدس ياتيك أمرى ووحى فقام أرميا فشق ثيابه وجعل الرماد على رأسه وخر ساجداً وقال يارب وددت أهي لم تلدني تحيين جعلتني آخر أنبياء بني إسرائيل فيكون خراب بيت المقدس وبنو إسرائيل من أجلي فقال له ارفع رأسك ورفع رأسه فبكى ثم قال يارب من تسلط عليهم فقال عبدة النيران لا يخافون عقابي ولا يرجون ثوابي قم يا أرميا فاستمع وحيي أخبرك خبرك وخبر بني إسرائيل. من قبل أن أخلقك اخترتك . ومن قبل أن أصورك في رحم أمك قدسنتك ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ومن قبل أن تبليغ نبأك ومن قبل أن تبليغ الأشد اخترتك ولأمر عظيم أجتيتك فقم مع الملك تسدده وترشده فكان مع الملك يسدده ويأنيه الوحي من الله حتى عظمت الاحداث ونسوا ما نجاهم الله به من عدوم سنحاريب وجنوده فأوحى الله الى أرميا قم فاقصص عليهم ما أمرك به وذكرهم نعمتي عليهم وعرفهم أحداثهم فقال أرميا (يارب انى ضعيف إن لم تعزني عاجز إن لم تبليغي مخطئ إن لم تسدني مخذول إن لم تصرنى دليل إن لم تعزني) فقال الله تعالى (أو لم تعلم أن الأُمور كلها تصدر عن مشيقتي وأن الخلق والأمر كله لى وأن التلوب والألسنة كلها بيدي فاقابها كيف شئت فتطيفي فانا الله الذى ليس شئ مثلى . قامت السموات والأرض وما فيهن بكهنتى . وانه لا يخلص التوحيد ولم تم القدرة إلا لى ولا يعلم ما عندى غيرى وأنا الذى كلمت البحار ففهمت قولى وأمرتها ففعلت أمرى وحددت عليها حدوداً فلا تعدوحدى وتأتي بأمواج كالجبال فاذا بلغت حدى ألبستها مذلة لطاعتي وخوفاً واعترافاً لأمرى وانى مملك ولن يصل اليك شئ منى وانى بشتك الى خلق عظيم من خاتق لتبليغهم رسالاتى فتستوجب لذلك أجر من اتبعك ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً انطلق الى قومك فقم فيهم وقل لهم ان الله قد ذكركم بصلاح آباءكم فلذلك استبقاكم بامشركم أبناء الأنبياء وكيف وجد آباؤكم مغبة طاعتي وكيف وجدتم مغبة ممصيتى وهل وجدوا أحداً عصاني فـمد بممصيتى وهل عدوا أحداً أطاعنى فشق بطاعتي ان الدواب اذا ذكرت أو طابها الصالحة نزعن اليها وان هؤلاء القوم رتموا فى مروج المللكة وتركوا الأمر الذى به أكرمت آباءهم وابتغوا الكرامة من غير وجهها * أما أحبارهم ورجالهم فآخذوا عبادى خولا يتبعونهم ويمولون فيهم بشير كتابى حتى أجعلهم امرى وأنسوم ذكركى وستقى وعزوم عنى فدان لهم عبادى بالطاعة التى لا تنبئنى إلا لى فهم يطعمونهم فى ممصيتى *

وأما ملوكهم وأسراؤهم فبطروا نعمتى وآمنوا مكربى وغرتهم الدنيا حتى نبذوا كتابى ونسوا عهدى فهم يحرفون كتابى ويفترون على رسلى جرأة منهم على وغرة بي فسبحان جلالى وعلو مكانى وعظمة شأنى هل ينبغى أن يكون لى شريك فى ملكى وهل ينبغى لبشر أن يطاع فى ممصيتى وهل ينبغى لى

أن أخلق عباداً أجعلهم أرباباً من دوني أو آذن لأحد بالطاعة لأحد وهي لا تنبئني إلا لي *
 وأما قرآؤهم وقهراؤهم فيدرسون ما يتمخرون فيفتقدون الملوك فينبأهم عن البدع التي يتبعون
 في ديني ويطيعونهم في مصيبي ويوفون لهم بالعهود الناقضة لمهدي فهم جهلة بما يعملون لا يفتنمون بشئ
 مما علموا من كتابي *

وأما أولاد النبيين فقهورون ومفتنون يخوضون مع الخائضين يتمنون مثل نصري آباءهم والكرامة
 التي أكرمهم بها ويزعمون أنه لا أحد أولى بذلك منهم بغير صدق منهم ولا تفكر ولا يذكرون كيف
 كان صبر آباءهم وكيف كان جهدم في أمري حين اغتر المغترون وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم فصبروا
 وصدقوا حتى عز أمري وظهر ديني فتأيت هؤلاء القوم لهم يستحيون مني ويرجعون فتطولات عليهم
 وصفت عنهم فأكثرت ومددت لهم في العمر وأعدت لهم لهم يندكرون * وكل ذلك أمطر عليهم
 السماء وأبنت لهم الأرض وألبسهم العافية وأظهرهم على العدو ولا يزدادون الا طغياناً وبعداً مني مفتي
 مني هذا . أبي يسخرون أم بي يتحشون أم اباي يخادعون أم على يجترئون فاني أقسم بمرتي لا تجعن
 عليهم فتنة يتحير فيها الحكيم ويضل فيها رأى ذوى الرأى وحكمة الحكيم ثم لاسلطن عليهم جباراً
 قاسياً عاتياً ألبسه الهيبة وأزع من قلبه الرأفة والرحمة وآليت أن يبعه عدد وسواد مثل الليل المظلم . له
 فيه عساكر مثل قطع السحاب ومواكب مثل السجاج وكان حفيف راياته طيران النور وحمل فرسانه
 كسرب العقبان يمدون العمران خراباً والقرى وحشا ويمشون في الأرض فساداً ويتبرون ماعلوا تقيراً
 قاسية قلوبهم لا يكثرئون ولا يرفبون ولا يرجون ولا يصرون ولا يسمعون يجولون في الاسواق
 بأصوات مرتفعة مثل زئير الاسد تهشم من هيبتها الجلود وتطيش من سمها الاحلام بالسة لا يقهونها
 ووجوه ظاهر عليها المنكر لا يعرفونها . فوعزتي لاعطن بيوتهم من كتي وقدي ولاخلين مجالسهم
 من حديثها ودروسها ولاوحشن مساجدهم من عمارها وزوارها الذين كانوا يتزينون بمارتها لغيري
 ويتمجدون فيها ويتبدون لكسب الدنيا بالدين ويتقهون فيها لغير الدين ويتمنون فيها لغير العمل
 لأبدان ملوكها بالمرئ الذل وبالامن الخوف وبالفضى الفقر وبالنعمة الجوع وبطول العافية والرخاء أنواع
 البلاء ولباس الديباج والحرير مدارع البربر والعباء وبالارواح الطيبة والادهان جيف القتل ولباس
 التيجان أطواق الحديد والسلاسل والاغلال . ثم لاهدن فيهم بمد القصور الواسعة والحصون الحصينة
 الخراب وبرد البروج المشيدة مساكن السباع وبرد صهيل الخيل عواء الذئاب وبرد ضوء السراج دخان
 الحريق وبرد الانس الوحشة والتفار * ثم لابلدن فساءها بالاسورة الاغلال وجملائد الدر والياقوت
 سلاسل الحديد وبالوان الطيب والادهان النقع والتمبار واللمشى على الزرابي عبور الاسواق والانهار
 وانقلب الى الليل في بطون الاسواق وبلخددور والستور المحسور عن الوجوه والسوق والاسفار

والأرواح السوم . ثم لادوسنهم بانواع العذاب حتى لو كان السكان منهم في حائق لوصول ذلك اليه
اى إنما أكرم من أكرمى وانما أهين من هان عليه أمرى . ثم لآمرن السماء خلال ذلك فلتكون
عليهم طبقا من حديد ولآمرن الارض فلتكون سبيكة من نحاس فلا سماء تمطر ولا أرض تنبت . فان
أمطرت خلال ذلك شيئا سلطت عليهم الآفة فان خلص منه شئ تزعت منه البركة وان دعوتى لم أجبه
وان سألونى لم أعطهم وان بكوا لم أرحمهم وان تضرعوا الى صرفت وجهى عنهم . وان قالوا اللهم أنت
الذى ابتدأتنا وآبانا من قبلنا برحمتك وكرامتك وذلك بانك اخترتنا لنفسك وجعلت فينا نبوتك
وكتابتك ومساجدك ثم مكنت لنا فى البلاد واستخلفتنا فيها وربيتنا وآبانا من قبلنا بعمتك صارا
وحفظتنا واياهم برحمتك كبارا فانت أوفى المنعمين وان غيرنا . ولا تبدل . وان بدلنا وان تم فضلك ومنك
وطولك واحسانك فان قالوا ذلك قلت لهم اى ابتدئ عبادى برحمتى ونسيتى فان قبلوا . أتيت وان
استزادوا زدت وان شكروا ضاعفت وان غيروا غيرت واذا غيروا غضبت واذا غضبت عذبت وليس
يقوم شئ بقضئى .

قال كعب فقال أرميا برحمتك أصبحت أقلم بين يديك وهل ينبغى ذلك لى وأنا أذل وأضعف
من أن ينبغى لى أن أتكلم بين يديك ولكن برحمتك أيقنى لهذا اليوم وليس أحد أحق أن يخاف
هذا العذاب وهذا الوعيد منى بما رضيت به منى طولا والاقامة فى دار الانطالين وهم يصرونك حولى
بغير نكر ولا تغيير منى فان تذبذبت فذبذبتى وان ترحنى فذلك ظى بك . ثم قال يارب سبحانك وبحمدك
وتباركت ربنا وتعاليت أمهلك هذه القرية وملحوها وهى مساكن أنبيائك ومنزل وحيك يارب سبحانك
وبحمدك وتباركت ربنا وتعاليت لمحرب هذا المسجد وما حوله من المساجد ومن البيوت التى رفعت لذكرك
يارب سبحانك وبحمدك وتباركت وتعاليت لقتل هذه الامة وعذابك ايامهم وهم من ولد ابراهيم
خليلك وامة موسى نبيك وقوم داود صفيك يارب أى القرى تأمن عقوبتك بمد وأى العباد يأمنون
سطوتك بمد ولخليلك ابراهيم وامة نبيك موسى وقوم خليلتك داود تسلط عليهم عبدة النيران قال
الله تعالى (ياأرميامن عصائى فلا يستنكرتمنى فانى إنما أكرمتم هؤلاء القوم على طاعتى ولو أنهم عصونى
لازلهم دارالمصين الا أن أتداركم برحمتى .

قال أرميا يارب اتخذت ابراهيم خليلا وحفظتنا به . وموسى قريته نجيا فساك أن تحفظنا ولا تنقلنا
ولا تسلط علينا عدونا فاحى الله اليه (ياأرميا اى قدستك فى بطن أمك وأخرتك الى هذا اليوم فلو
أن قومك حفظو اليتامى والارامل والمساكين وابن السبيل لمكنت الداعم لهم وكانوا عندى بمنزلة جنه
ناعم شجرها طاهر مازها ولا يفرور مازها ولا تبور ثمارها ولا تنقطع ولكن سأسكوا اليك بنى اسرائيل اى
كنت لهم بمنزلة الداعى الشفيق أجنبهم كل قحط وكل عسرة واتبع بهم الخصب حتى صاروا كباشا ينطح

بعضها بعضا فياويلهم ثم ياويلهم انما اكرم من اكرمني وأهين من هان عليه اسرى ان من كان قبل هؤلاء القوم من القرون يستخفون بمصنيتي. وان هؤلاء القوم يتبرعون بمصنيتي تبرعا فيظهرونها في المساجد والاسواق وعلى رؤس الجبال وظلال الاشجار حتى عجت النساء الى منهم وعجت الارض بالجبال ونزت منها الوحوش باطراف الارض واقاصيها وفي كل ذلك لا يتنبهون ولا يتصفون بما علموا من الكتاب . قال فلما بلغهم ارميا رسالة ربهم وسمعوا ما فيها من الوعيد والذاب عصوه وكذبوه واتهموه وقالوا (كذبت وأعظمت على الله الفرية فتزعم أن الله مغلل أرضه ومساجدهم من كتابه وعبادته وتوحيدِه فن يبيده حين لا يبقى له في الارض عابد ولا مسجد ولا كتاب لقد أعظمت الفرية على الله واعتراك الجنون) فأخذوه وقيدهوه وسجنوه فغند ذلك بعث الله عليهم بخت نصر فاقبل يسير بجنوده حتى نزل بساحتهم ثم حاصرهم فكان كقَالَ تعالى (فجاسوا خلال الديار) قال فلما طال بهم الحصر نزلوا على حكمة ففتحو الابواب وتخلوا الازقة وذلك قوله (فجاسوا خلال الديار) وحكم فيهم حكم الجاهلية وبطش الجبارين فقتل منهم الثلث وسبي الثلث وترك الزمنى والشيوخ والمجانز ثم وطئهم بالخنيل وهدم بيت المقدس وساق الصبيان وأوقف النساء في الاسواق حاسرات وقتل القاتلة وخرب الحصون وهدم المساجد وحرق التوراة وسأل عن دانيال الذي كان قد كذب له الكتاب فوجدوه قدماء وأخرج أهل بيته الكتاب اليه وكان فيهم دانيال بن حزقيال الاصغر وميشائيل وعزرائيل ومينائيل فأمضى لهم ذلك الكتاب وكان دانيال بن حزقيال خلفا من دانيال الاكبر ودخل بخت نصر بجنوده بيت المقدس ووطئ الشام كلها وقتل بنى اسرائيل حتى أفنهم * فلما فرغ منها انصرف راجعا وحمل الأموال التي كانت بها وساق السبياء فيبلغ معه عدة صبيانهم من أبناء الاحبار والملوك تسعين الف غلام وقذف الكنائسات في بيت المقدس وذبح فيه الخنازير وكان الغلمان سبعة آلاف غلام من بيت داود واحد عشر الفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط ايشي بن يعقوب وأربعة عشر الفا من سبط زبلون وثمانى ائني يعقوب وأربعة عشر الفا من سبط دان بن يعقوب وثمانية آلاف من سبط يستاخرن يعقوب والفين من سبط زبلون بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى وائني عشر الفا من سائر بنى اسرائيل وانطلق حتى قدم أرض بابل .

قال اسحاق بن بشر قال وهب بن منبه فلما فعل قتل له كان لهم صاحب يحذرهم ما أصابهم ويصنك وخبرك لهم ويحذرهم أنك تقتل مقاتلتهم وتسي ذراريتهم وتهدم مساجدهم وتحرق كتابهم فكذبوه واتهموه وضربوه وقيدهوه وحبسوه فأمر بخت نصر فانخرج ارميا من السجن فقال له اكننت تحذر هؤلاء القوم ما أصابهم قال نعم قال فاني علمت ذلك قال أرسلني الله اليهم فكذبوني قال كذبوك وضربوك وسجنوك قال نعم قال (بس القوم قوم كذبوا نبيهم وكذبوا رسالة ربهم فهل لك أن تلحق

بني فاركمك وأواسيك وان أحبيت أن تقيم في بلادك فقد أمتك) قال له أرميا إني لم أزل في أمان الله منذ كنت لم أخرج منه ساعة قط ولو أن بني إسرائيل لم يخرجوا منه لم يخافوك ولا غيرك ولم يكن لك عليهم سلطان فلما سمع بخت نصر هذا القول منه تركه فقام أرميا مكانه بأرض أيليا . وهذا سياق غريب . وفيه حكم ومواعظ وأشياء مليحة وفيه من جهة التعريب غرابة .

وقال هشام بن محمد بن السائب الكلابي كان بخت نصر أصغبهذا لما بين الاهواز الى الروم للملك على الفرس وهو لمراسب وكان قد بنى مدينة بلخ التي تقب بلخسقاء وقاتل الترك والمجاشع الى أضيح الاماكن وبث بخت نصر قتال بني إسرائيل بالشام فلما قدم الشام صالحه أهل دمشق وقد قيل إن النبي بث بخت نصر إنما هو بهمن ملك الفرس بعد بشتاسب بن لمراسب وذلك لتسلي بني إسرائيل على رسله اليهم . وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن بن وهب عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب أن بخت نصر لما قدم دمشق وجد بها دما ينلى على كبا يعني القمامة فسألهم ما هذا الدم فقالوا أدركنا آباءنا على هذا وكما ظهر عليه الكبا ظهر قال قتل على ذلك سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم فسكن . وهذا إسناد صحيح الى سعيد بن المسيب وقد قدم من كلام الحفاظ بن عساكر ما يدل على أن هذا دم يحيى بن ذكريا وهذا لا يصح لأن يحيى بن ذكريا بعد بخت نصر بئمة والظاهر أن هذا دم نبي متقدم أو دم لبعض الصالحين أو لمن شاء الله من الله أعلم به . قال هشام بن الكلابي ثم قدم بخت نصر بيت المقدس فصالحه ملكها وكان من آل داود وصافه عن بني إسرائيل وأخذ منه بخت نصر رهائن ورجع . فلما بلغ طبرية بلغه أن بني إسرائيل ناروا على ملكهم فتلوه لاجل أنه صالحه فقرب رقاب من ممة من الرهائن ورجع اليهم فلخذ المدينة عنوة . وقتل القاتلة وسبي النرية . قال وبلغنا أنه وجد في السجن أرميا النبي فلخرجه وقص عليه ما كان من أمره ايامه وتحذيره لهم عن ذلك فكذبوه وسجنوه فقال بخت نصر بس القوم قوم عصوا رسول الله وخلى سبيله وأحسن اليه واجتمع اليه من نبي من ضمناه بني إسرائيل فقالوا إنا قد أسأنا وظلمنا ونحن نتوب الى الله عز وجل عما صممنا فلاح الله أن يقبل توبتنا فدعا ربه فوحي الله اليه أنه غير فاعسل فان كانوا صادقين فليقيموا ملك بهذه البلدة فاخيرهم ما أمره الله تعالى به قالوا كيف تقيم بهذه البلدة وقد خربت وغضب الله على أهلها فابوا ان يقيموا .

قال ابن الكلابي ومن ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل في البلاد فزلت طائفة منهم الحجاز وطائفة يثرب وطائفة وادي القري وذهبت شردمة منهم الى مصر فكتب بخت نصر الى ملكها يطلب منه من شرد منهم اليه فابى عليه فركب في جيشه قاتله وقهره وغلبه وسبي ذراريهم . ثم ركب الى بلاد المغرب حتى بلغ أقصى تلك الناحية . قال ثم انصرف بسى كثير من أرض المغرب ومصر وأهل بيت

القدس وأرض فلسطين والأردن وفي السبي دانيال * قلت والظاهر أنه دانيال بن حزقيال الاصغر لا
الاكبر على ما ذكره وهب بن منبه والله أعلم *

سُبْحَانَ خَيْرِ دَانِيَالٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال ابن أبي الدنيا حدثنا احمد بن عبد الاعلى الشيباني قال إن لم أكن سمعته من شعيب بن صفوان
فحدثني بعض أصحابنا عنه عن الأجلح الكندي عن عبد الله بن أبي الهذيل قال ضرا بخت نصر أسدين
فالتاهما في جب وجاء دانيال فالتاه عليهما فلم يهيجاه فكش ما شاء الله ثم اشتهى ما يشتهي الآدميون
من الطعام والشراب فوحى الله إلى أرميا هو بالشام أن اعدد طعاما وشرابا لدانيال فقال يارب أنا بالارض
القدسة ودانيال بأرض بابل من أرض العراق فوحى الله إليه أن اعدد ما أمرتك به فانا سنرسل من يحملك
ويحمل ما أعددت فضل وأرسل إليه من حمله وحمل ما أعدده حتى وقف على رأس الجب فقال دانيال
من هذا قال أنا أرميا فقال ما جاء بك فقال أرسلني إليك ربك . قال وقد ذكرني ربى قال نعم فقال
دانيال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره . والحمد لله الذى يجيب من رجاه . والحمد لله الذى من وثق
به لم يكاه إلى غيره . والحمد لله الذى يجزى بالاحسان احسانا . والحمد لله الذى يجزى بالصبر نجاتا . والحمد
لله الذى هو يكشف ضرنا بعد كربنا . والحمد لله الذى يقينا حين يسوء ظننا بأعمالنا والحمد لله الذى
هو رجاؤنا حين ينقطع الحيل عنا

وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن أبي خلد بن دينار حدثنا أبو العالية قال لما افتتحنا
تستر وجدنا في مال بيت الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف فاخذنا المصحف فحملناه
إلى عمر بن الخطاب فدعا له كعباً فنسخه بالعربية . فانا أول رجل من العرب قرأه قرأته مثل ماقرأ القرآن
هذا قلت لأبي العالية ما كان فيه قال سيركم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد قلت فما صنعتم
بالرجل قال حفرنا بانهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة فلما كان بالليل دفناه وسويت القبور كلها لتعميه على الناس
فلا ينبشونه . قلت فإبرجون منه قال كانت السماء اذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون قلت من
كنتم تظنون الرجل قال رجل يقال له دانيال قلت منذ كم وجدتموه قد مات قال منذ ثمانمائة سنة قلت
ما تقبر منه شئ قال لا الأشعرات من قناه لأن لحوم الانبياء لا تبليها الارض ولا تأكلها السباع . وهذا
استاد صحيح إلى أبي العالية ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظاً من ثمانمائة سنة فليس ينبغي بل هو رجل صالح
لأن عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسول الله (س) . نبى بنص الحديث الذى فى البخارى والفترة التى
كانت بينهما أربعمائة سنة * وقيل ستمائة وقيل ستمائة وعشرون سنة وقد يكون تلويح وفاته من ثمانمائة سنة
وهو قريب من وقت دانيال إن كان كونه دانيال هو المطابق لما فى نفس الامر فانه قد يكون رجلاً آمناً

إما من الأنبياء أو الصالحين ولكن قريت الظنون أنه دانيال لأن دانيال كان قد أخذه ملك الفرس فأقام عنده مسجوناً كما تقدم . وقد روى بإسناد صحيح إلى أبي العالية أن طول افنه شير . وعن أنس ابن مالك بإسناد جيد أن طول افنه ذراع فيحتمل على هذا أن يكون رجلاً من الأنبياء الأقدمين قبل هذه المدد والله أعلم .

وقد قال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب احكام القبور حدثنا أبو بلال محمد بن الحارث بن عبد الله ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري حدثنا أبو محمد القاسم بن عبد الله عن أبي الاشمت الاحمري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دانيال دعا ربه عز وجل ان يدفنه امة محمد فما افتتح أبو موسى الأشعري تستر وجدة في تابوت تضرب عروقه ووريده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دل على دانيال فبشروه ببلجنة فكان الذي دل عليه رجل يقال له حرقوص فنكتب أبو موسى الى عمر بنخيره فنكتب اليه عمر أن ادفنه وابعث الى حرقوص فإن النبي صلى الله عليه وسلم بشره ببلجنة وهذا مرسل من هذا الوجه وفي كونه محفوظاً نظر والله اعلم .

ثم قال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو بلال حدثنا قاسم بن عبد الله عن عنبسة بن سعيد وكان عالماً قال وجد أبو موسى مع دانيال مصحفاً وجرة فيها دك ودرام وخاتمه فنكتب أبو موسى بذلك الى عمر فنكتب اليه عمر أما المصحف فابعث به اليها وأما الودك فابعث اليها منه وصر من قبلك من المسلمين يستشفون به واقسم الدرهم بينهم وأما الخاتم فقد فلنا كه * وروى عن ابن أبي الدنيا من غير وجه ان أباً موسى لما وجدته وذكروا له انه دانيال التزمه وعاقبه وقبله . وكتب الى عمر يذكر له امره وأنه وجد عنده مالا موضوعاً قريباً من عشرة آلاف درهم وكان من جاء اقترض منها فان ردها والامرض وان عنده ربة فامر عمر بان يسل: بماء وسدر ويكفن ويدفن ويخني قبره فلا يعلم به احد واسر بالمال أن يرد الى بيت المال وبالربعة فتحمل اليه ونقله خاتمه . وروى عن أبي موسى انه أسر اربعة من الاسراء فسكروا نهرًا وحفروا في وسطه قبراً فدفنه فيه ثم قدم الاربعة الاسراء فضرب اعناقهم فلم يعلم موضع قبره غير أبي موسى الأشعري رضى الله عنه * وقال ابن أبي الدنيا حدثني ابراهيم بن عبد الله حدثنا احمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن ابى الزناد عن ابيه قال رأيت في يد ابن بردة بن ابى موسى الأشعري خاتماً قهش فضه اسدان بينهما رجل يلحسان ذلك الرجل قال ابو بردة هذا خاتم ذلك الرجل الميت الذي زعم اهل هذه البلدة أنه دانيال اخذه أبو موسى يوم دفنه . قال أبو بردة فسأل أبو موسى علماء تلك القرية عن قهش ذلك الخاتم فقالوا ان الملك الذي كان دانيال في سلطانه جاءه المنجمون واصحاب السلم فقالوا له انه يولد ليلة كذا وكذا غلام يمور ملكك ويفسده قال الملك والله لا يبقى تلك الليلة غلام الا قتلته الا أنهم أخذوا دانيال فالتوه في اجمة الاسد فبات

الاسد ولبونه يلحسانه ولم يضره نجات أمه فوجسستها يلحسانه فنجاه الله بذلك حتى بلغ ما بلغ
قال أبو بردة قال أبو موسى قال علماء تلك القرية فتش دانبال صورته وصورة الاسدين يلحسانه
في فص خاتمه لثلا يسمى نسمة الله عليه في ذلك . اسناد حسن .

عمارة بيت المقدس بعد صلواتها واجتماع بني اسرائيل بعد نفرهم في بيت المقدس

قال الله تعالى في كتابه المبين وهو اصدق القائلين (أو كما الذي مر على قرية وهي خاوية على
عروشها . قال اني يحيى هذه الله بعد موتها فإيمانه الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض
يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طهارك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجلك آية للناس
وانظر الى العظام كيف نشزها ثم فكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شيء قدير) قال
هشام بن الكلبي ثم أوحى الله تعالى الى ارميا عليه السلام فيما يلقي اني عامر بيت المقدس فاخرج
اليها فاتزلها فخرج حتى قدمها وهي خراب فقال في نفسه سبحان الله أمرني الله أن أتزل هذه البلدة
واخبرني انه عامرها فتى يصورها متى يحييها الله بعد موتها ثم وضع رأسه فنام ومعه حماره وسنة من
عظام فكنت في نومه سبعين سنة حتى هلك بخت نصر والملك الذي فوقه وهو لمراسب وكان ملكه
مائة وعشرين سنة وقام بعده ولده بشتاسب بن لمراسب وكان موت بخت نصر في دولته قبلته عن بلاد
الشام انها خراب وان السباع قد كثرت في ارض فلسطين فلم يبق بها من الانس احد فنأدى في ارض
بابل في بني اسرائيل ان من شاء ان يرجع الى الشام فليرجع وملك عليهم رجلا من آل داود واسمه ان
يسر بيت المقدس ويبني مسجدها فرجموا فصرها وفتح الله لارميا عينيه فنظر الى المدينة كيف تبني
وكيف تمر ومكث في نومه ذلك حتى تمت له مائة سنة ثم بعث الله وهو لا يظن انه نائم اكثر من ساعة وقد
عهد المدينة خراباً فلما نظر اليها عامرة أهلة قال أعلم ان الله على كل شيء قدير . قال فأقام بنو اسرائيل
بها ورد الله عليهم اسمهم فكثروا كذلك حتى غلبت عليهم الروم في زمن ملوك الطوائف . ثم لم يكن
لهم جماعة ولا سلطان يعني بعد ظهور النصارى عليهم . هكذا حكاه ابن جرير في تلميحه عنه . وذكر ابن
جرير ان لمراسب كان ملكاً عادلاً سائساً للملكية قد دانت له العباد والبلاد والملوك والقواد وان كان
ذا رأى جيد في عمارة الامصار والانهار والمقاتل . ثم لما ضعف عن تدبير الملكة بعد مائة سنة ونيف
نزل عن الملك لولده بشتاسب فكان في زمانه ظهور دين المجوسية^(١) وذلك ان رجلاً كان اسمه زردشت

(١) قوله وذلك ان رجلاً كان اسمه زردشت الخ) هذه الحكاية خلاف الواقع . بل الواقع أن

زردشت هو ابراهيم الزردشت احد الانبياء الذين ظهوروا في وادي نهر الأرس بقتلوا المشرك بهم في

ثالث قد سحِبَ ارميا عليه السلام فاغضبه فدعا عليه ارميا فيرص زردشت فذهب فلحق بلرص
 آذربيجان وسحب بشتاسب فلقنه دين المجوسية الذي اخترعه من تلقاه نفسه قبله منه بشتاسب وحمل
 الناس عليه وقهرهم وقتل منهم خلقاً كثيراً عن ابيه منهم * ثم كان بعد بشتاسب بهمن بن بشتاسب
 وهو من ملوك الفرس المشهورين والابطال المذكورين وقد نلب بخت نصر لكل واحد من هؤلاء
 الثلاثة وعمر دهرأ طويلاً قبضه الله * والمقصود ان هذا الذي ذكره ابن جرير من أن هذا المار على
 هذه القرية هو ارميا عليه السلام * قال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد بن عمير وغيرهما وهو قري من
 حيث السباق المتقدم وقد روى عن علي وعبد الله بن سلام وابن عباس والحسن وقتادة والسدي وسليمان
 ابن بريدة وغيرهم أنه عزير . وهذا أشهر عند كثير من السلف والخلق والله أعلم .

وهذه قصة العزيز

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر هو عزير بن جزوة ويقال بن سوريق بن عبدان بن أيوب بن
 درزبان عري بن تقي بن اسبوع بن فنحاص بن العازر بن هارون بن عمران * ويقال عزير بن سروخا
 جاء في بعض الآثار ان قبره بدمشق . ثم ساق من طريق أبي القاسم البغوي عن داود بن عمرو عن
 حبان بن علي عن محمد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس صرفوعاً لا أدري العين بيع أم لا ولا أدري
 أكن عزير نبياً أم لا ثم رواه من حديث مؤمل بن الحسن عن محمد بن اسحاق السجزي عن عبدالرزاق
 عن معمر عن ابن أبي زؤيب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة صرفوعاً نحوه . ثم روى من طريق
 اسحاق بن بشر وهو مقروك عن جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس ان عزيراً كان ممن سباه
 بخت نصر وهو غلام حدث فلما بلغ اربعين سنة اعطاه الله الحكمة قال ولم يكن أحد أحفظ ولا أعلم
 بالتوراة منه قال وكان يذكر مع الانبياء حتى يحيى الله اسمه من ذلك حين سأله عن القدر وهذا ضيف

قوله تعالى (وأصحاب الرس) فان الرس تخفيف ارس . وله الى الآن اتباع تمد بالملائين في الهند ويران
 وله كتاب باللغة الفارسية القديمة مشتمل على المبادئ والتعاليم والاحكام والبيانات بالأمور الآتية على
 نهج سائر الكتب . منها بشاراته بظهور الرسول عليه السلام بقوله سيظهر في العرب نبي عظيم وبعد
 أن يمضي من ظهور شريعته الف سنة وكسور اذا جاء ثانياً لا يعرف أن هذه كانت شريعته اه ترجمته
 بالهندي . ويقصد بذلك أن شريعته عليه السلام يمضي الزمان يدخل فيها من البدع والاهواوم ما لم يكن منها
 بحيث اذا رآها بعد الف سنة لا يعرفها لسكثرة ما دخل فيها من البدع . فانظر أنه لم يكنف بالشارة بظهوره
 بل أخبر ايضا بما يقع في المستقبل في شريعته فهذا من جملة الأدلة على صدق نبوته كالا يخفى على من
 تتبع تواريخ الأديان والمذاهب (فرج الله زكي الكردي)

ومتقطع ومنكر والله أعلم .

وقال اسحاق بن بشر عن سعيد عن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن عبد الله بن سلام ان عزيراً هو البعد الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه . وقال اسحاق بن بشر أيضاً سعيد بن بشير عن قتادة عن كعب وسعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن ومقاتل وجويبر عن الضحاك عن ابن عباس وعبد الله بن اساعيل السدي عن أبيه عن مجاهد عن ابن عباس وادريس عن جده وهب بن منه قال اسحاق كل هؤلاء حدثوني عن حديث عزير وزاد بعضهم على بعض قالوا باسنادهم ان عزيراً كان عبداً صالحاً حكيماً خرج ذات يوم الى ضيعة له يتماهدا فلما انصرف آتى الى خربة حين قامت الظهيرة واصابه الحر ودخل الخربة وهو على حماره فنزل عن حماره ومعه سلة فيها تين وسلة فيها عنب فنزل في ظل تلك الخربة واخرج قصعة معه فاعتصر من العنب الذي كان معه في القصعة ثم أخرج خبزاً يابساً معه فالتقه في تلك القصعة في المصير ليلتلاً كماه ثم استلقى على قفاه واستند رجله الى الحائط فنظر سقف تلك البيوت ورأى ما فيها وهي قائمة على عروشها وقد باد أهلها ورأى عظاما بالية فقال (أني يحيى هذه الله بعد موتها) فلم يشك أن الله يحييها ولكن قالها تعجباً فبعث الله ملك الموت قبض روحه فأماته الله مائة عام . فلما أتت عليه مائة عام وكانت فيما بين ذلك في بني اسرائيل أمور واحداث قال فبعث الله الى عزير ملكاً فخلق قلبه ليعقل قلبه وعينه لينظر بهما فيعقل كيف يحيى الله الموتى . ثم ركب خلقه وهو ينظر ثم كسى عظامه اللحم والشعر والجلد ثم فتح فيه الروح كل ذلك وهو يرى ويمتل فاستوى جالساً فقال له الملك كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم وذلك أنه كان لبث صدر النهار عند الظهيرة وبث في آخر النهار والشمس لم تهب فقال أو بعض يوم ولم يتم لي يوم فقال له الملك بل لبثت مائة عام فانظر الى طمامك وشراك يميني الطمام الخبز اليابس وشرا به المصير الذي كان اعتصره في القصعة فاذاهما على حالهما لم يتغير المصير والخبز يابس فذلك قوله (لم يتسنه) يعني لم يتغير وكذلك التين والعنب غرض لم يتغير شيء من حالهما فكأنه انكر في قلبه فقال له الملك انكرت ما قلت لك انظر الى حمارك فنظر الى حماره قد بليت عظامه وصارت نخرة فنادى الملك عظام الحمار فاجابت واقبلت من كل ناحية حتى ركبها الملك وعزير ينظر اليه ثم البسها العروق والعصب ثم كساها اللحم ثم انبت عليها الجلد والشعر ثم فتح فيه الملك عظام الحمار رافضاً رأسه وأذنيه الى السماء ناهقاً يظن القيامة قد قامت فذلك قوله (واظنظر الى حمارك ولنبتلك آية للناس واطنظر الى العظام كيف نشزها ثم نكسوها لحماً) يعني واطنظر الى عظام حمارك كيف يركب بعضها بعضاً في أوصالها حتى اذا صارت عظاماً مصوراً حماراً بلا لحم ثم انظر كيف نكسوها لحماً فلما تبين له قال اعلم أن الله على كل شيء قدير من احياء الموتى وغيره . قال فركب حماره حتى آتى محله فأنكره الناس وانكر الناس وانكر منزله فانطلق على وهم منه حتى آتى منزله فاذا هو

بمجزز عمياء مقعدة قد آتى عليها مائة وعشرون سنة كانت أمهم فخرج عنهم عزير وهي بنت عشرين سنة كانت عرفته وقتلته فلما أصابها السكر أصابها الزمانة . فقال لها عزير يا هذه اهذا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير فبكت وقالت ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيراً وقد نسيه الناس قال فإني أنا عزير كان الله أماني مائة سنة ثم بعثني قالت سبحان الله فان عزيراً قد قدها منذ مائة سنة فلم نسمع له بذلك قال فإني أنا عزير قالت فان عزيراً رجل مستجاب الدعوة يدعو للريض ولصاحب البلاء بالساقية والشفاء فادع الله أن يرد على بصري حتى أراك فان كنت عزيراً عرفتك . قال فدعا به ومسح بيده على عينها فصحت وأخذ يدها وقال قومي باذن الله فاطلق الله رحمتها فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال فنظرت فقالت اشهد انك عزير وانطلقت الى محلة بنى اسرائيل وهم في انديتهم وبجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانى عشر سنة وبني بنيه شيوخ في المجلس فنادتهم فقالت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت أنا فلاة مولاتكم دعالي ربه فرد على بصري واطلق رجلى وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه قال قمض الناس فاقبلوا اليه فنظروا اليه فقال ابنة كان لابى شامة سوداء بين كفتيه فكشف عن كفتيه فاذا هو عزير فقالت بنو اسرائيل فانه لم يكن فينا احد حفظ التوراة فيما حدثنا غير عزير وقد حرق بخت نصر التوراة ولم يبق منها شيء الا ما حفظت الرجال فاكتمها لنا وكان أبوه سروخا وقد دفن التوراة أيام بخت نصر في موضع لم يعرفه احد غير عزير فانطلق بهم الى ذلك الموضع فخره فاستخرج التوراة وكان قد عنف الورق ودرس الكتاب قال وجلس في ظل شجرة وبنو اسرائيل حوله فجدد لهم التوراة ونزل من السماء شهابان حتى دخلا جوفه فذكر التوراة فجدها لبني اسرائيل . فمن ثم قالت اليهود عزير بن الله للذي كان من أمر الشهابين وتجديده التوراة وقيامه باسم بنى اسرائيل وكان جدد لهم التوراة بلرض السواد بدير حزقييل . والقريه التي مات فيها يقال لها سايرا باذنه قال ابن عباس فكان كما قال الله تعالى (ولنجعلك آية للناس) يعنى لبني اسرائيل . وذلك انه كان يجلس مع بنيه وهم شيوخ وهو شاب لانه مات وهو ابن اربعين سنة فبعثه الله شاباً كريمة يوم مات قال ابن عباس بعث بعد بخت نصر وكذلك قال الحسن وقد أنشد ابو حاتم السجستاني في معنى ما قاله

ابن عباس . واسودُّ رأسُ شابٍ من قبله ابنهُ
ومن قبله ابنُ ابنه فهو أكبرُ
يرى ابنه شيخاً يدبُّ على عصا
ولحيته سوداء والرأسُ أشقرُ
وما لابنه حيلٌ ولا فضلٌ قوَّةُ
يقومُ كما يمشي الصبيّ فيسُرُ
يمدُّ ابنه في الناس تسمينُ حُجَّةُ
وعشرين لا يجري ولا يتبخرُ
وعمرُ أيسرٍ اربعونُ أمرها
ولأنَّ ابنه تسمون في الناس عبر
فما هو في المعقولِ ان كنتَ دارياً
وان كنتَ لا تدري فبالجهلِ مُنذرُ

عن أبي هريرة وكذلك رواه شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم، «تزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلذغته نملة فامر بجبازة فأخرج من تحتها ثم أمر بها فأحرقت
بالنار فأوحى الله إليه مهلا نملة واحدة . فروى اسحاق بن بشر عن ابن جريج عن عبد الوهاب بن
مجاهد عن أبيه أنه عزير . وكذا روى عن ابن عباس والحسن البصري انه عزير قاله اعلم .

قصّة زكريا ويحيى عليهما السلام

قال الله تعالى في كتابه العزيز بسم الله الرحمن الرحيم (كعبص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا . إذ نادى
ربه نداه خفياً . قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً . وانى
خفت الموالى من ورأى وكانت امرأتى عاقراً فهبلى من لدنك ولياً برئى ويرث من آل يعقوب واجله
رب رضىا . يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً . قال رب انى يكون لى غلام
وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً . قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من
قبل ولم تك شيئا . قال رب اجعل لى آية قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً . فخرج على
قومه من المحراب فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا . يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صيباً .
وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقياً . وبرا بوالديه ولم يكن جباراً عصياً . وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم
يبعث حياً) وقال تعالى (وكفلها زكريا كما دخل عليهما زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم
انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب . هنالك دعا زكريا ربه قال رب
هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك
يحيى مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحسوداً ونبياً من الصالحين . قال رب انى يكون لى غلام وقد
بلغنى الكبر وامراتى عاقراً قال كذلك الله يفعل ما يشاء . قال رب اجعل لى آية . قال آيتك ان لا تكلم
الناس ثلاثة ايام إلا رمزاً واذا ذكر ربك كثيراً وسبح بالمشى والابكار) وقال تعالى فى سورة الانبياء
(وزكريا إذ نادى ربه رب لا تدنى فرداً وانت خير الوارثين . فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له
زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدهوننا رغبا وزهبا وكانوا انا خاشعين . وقال تعالى وزكريا
ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين) . قال الملائكة أبو القاسم بن عمار فى كتابه التاريخ المشهور
الحافل . زكريا بن برخيا ويقال زكريا بن دان يقال زكريا بن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن
دواد بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخيا بن بلطاعة بن نحرور بن شلم بن بهاشاط بن اينا من بن
رحبام بن سليمان بن داود أبو يحيى النبى عليه السلام من نبي اسرائيل . دخل البنية من أعمال دمشق
فى طلب ابنه يحيى . وقيل انه كان بدمشق حين قتل ابنه يحيى والله أعلم . وقد قيل غير ذلك فى نبه

ويقال فيه زكريا بالمد وبالقصر ويقال زكريا ايضاً .

والمقصود ان الله تعالى أمر رسوله (ص)، أن يقص على الناس خبر زكريا عليه السلام وما كان من أمره حين وهبه الله ولداً على الكبر وكانت امرأته عاقراً في حال شيبتهما وقد استت ايضا حتى لا يئس احد من فضل الله ورحمته ولا يقنط من فضله تعالى وتقدس فقال تعالى (ذكر رحمت ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفياً) . قال قتادة عند تفسيرها ان الله يعلم القلب الذي ويسمع الصوت الخفي . وقال بعض السلف قام من الليل فنادى ربه مناداة امرها عن كان حاضراً عنده مخافته فقال (يارب يارب يارب فقال الله ليبيك ليبيك ليبيك) (قال رب انى وهن العظم منى) أى ضعف وخار من الكبر (واشتعل الرأس شيباً) استعارة من اشتعال النار في الحطب أى غلب على سواد الشعر شيبه كما قال ابن دريد في مقصورته .

أما ترى رأبي حاكى لونه طرة صبح نحت أذبال الدجا
واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في بحر القضا
وأص عود اللهور يساً ذواياً من بعلر ماقده كان مجاج الثرى

يذكر ان الضمف قد استحوذ عليه باطنا وظاهراً وهكذا قال زكريا عليه السلام (انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً) وقوله (لم أكن بدعائك رب شقياً) أى ما عودنى فيها أسألك الا الاجابة وكان الباعث له على هذه المسئلة انه لما كفل مريم بنت عمران بن مائان وكان كلما دخل عليها محر ابها وجد عندها فاكهة في غير إوانها ولا فى آوانها وهذه من كرامات الاولياء فلم أن الراقق للشىء فى غير آوانه قادر على أن يرزقه ولداً وان كان قد طمن فى سنه (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء) . وقوله (وانى خفت الموالى من ورأى وكأنت امرأتى عاقراً) قيل المراد بالموالى العصابة وكانه خاف من تصرفهم بعده فى بنى اسرائيل بما لا يوافق شرع الله وطاعته فسأل وجود ولد من صلبه يكون برأ تقيامرضيا ولهذا قال (فهب لى من لدنك) أى من عندك بمجولك وقوتك (ولياً يرثنى) أى فى النبوة والحكم فى بنى اسرائيل (ويرث من آل يعقوت واجعله رب رضياً) يعنى كما كان آباؤه واسلافه من ذرية يعقوب انبياء فلجعله مثلهم فى الكرامة التى أكرمهم بها من النبوة والوحى وليس المراد ههنا وراثة المال كما زعم ذلك من زعمه من الشيعة وواقهم ابن جرير ههنا وحكاه عن ابي صالح من السلف لوجوه . اسدها ما قدمنا عند قوله تعالى (وورث سليمان داود) أى فى النبوة والملك كما ذكرنا فى الحديث المتفق عليه بين العلماء انروى فى الصحاح والمسائيد والسنن وغيرها من طرق عن جماعة من الصحابة ان رسول الله (ص) قال لا تورث ماتر كنا فهو صدقة فهذا نص على أن رسول الله (ص) لا يورث ولهذا منع الصديق ان يصرف ما كان يختص به فى حياته الى احد من ورثته الذين لولا هذا

النص لصرف اليهم وهم ابنته فاطمة وأزواجه التسع وعنه العباس رضى الله عنهم واحتج عليهم الضمديق في منته أيام بهذا الحديث وقد وافقه على روايته عن رسول الله (ص)، عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وأبو هريرة وآخرون رضى الله عنهم . الثاني ان الترمذى رواه بلفظ يعم سائر الانبياء نحن ماثرا لانياء لانورث وصححه . الثالث ان الدنيا كانت احقر عند الانبياء من أن يكفروا لها أو يلتفتوا اليها أو يهتمهم أمرها حتى يسألوا الاولاد ليحوزوها بدمهم فان من لا يصل الى قريب من منازلهم في الزهادة لا يهتم بهذا المقدر أن يسأل ولداً ويكون وارثاً له فيها . الرابع أن زكريا عليه السلام كان نجاراً يعمل بيده ويأكل من كسبها كما كان داود عليه السلام يأكل من كسب يده والغالب ولا سيما من مثل حال الانبياء أنه لا يجهد نفسه في العمل اجهاداً يستغنى منه ما لا يكون ذخيرة له يخلفه من بعده وهذا أمر بين واضح لكل من تأمله وتدبره وتفهم ان شاء الله .

قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أن أبنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة أن رسول الله (ص)، قال كان زكريا نجاراً . وهكذا رواه مسلم وابن ماجه من غير وجه عن حماد بن سلمة به . وقوله (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً) . وهذا مفسر بقوله (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك يحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحسوراً ونبياً من الصالحين) فلما بشر بالولد وتحقق البشارة شرع يستلم على وجهه التعجب وجود الولد والحالة هذه له (قال رب انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً) أى كيف يوجد ولد من شيخ كبير قيل كان عمره إذ ذاك سبعا وسبعين سنة والاشبه والله أعلم أنه كان أسن من ذلك (وكانت امرأتى عاقراً) يعنى وقد كانت امرأتى في حال شبيبتها عاقراً لانلد والله أعلم . كما قال الخليل (أبشركموى على أن مسنى الكبر فم تبشرون) وقالت سارة (ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بلى شيخنا ان هذا لشيء عجيب قالوا أمعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد) وهكذا أجيب زكريا عليه السلام قال له الملك الذى يوحى اليه باسمه ربه (كذلك قال ربك هو على هين) أى هذا سهل يسير عليه (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) أى قدرته أوجدتك بعد ان لم تكن شيئا مذكورا أفلا يوجد منك ولداً وان كنت شيخنا . وقال تعالى (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له وزوجه انها كانت لأخصى غاضت . وقيل كان فى لسانها شيء أى بذاعة (قال رب اجعل لى آية) أى علامة على وقت تعلق منى المرأة بهذا الولد المبشر به (قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً) يقول علامة ذلك أن يمر بك سكت لا تتعلق معه ثلاثة أيام الارمزى وافت فى ذلك سوى انطلق صحيح المزاج معتدل البنية وأمر

بكثرة الذكر في هذه الحال بالقلب واستحضار ذلك بزواجه بالصبي والابكار فلما بشر بهذه البشارة خرج سرورا بها على قومه من محرابه (فأوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشيا) * والوحى ههنا هو الامر الخفي اما بكتابه كما قاله مجاهد والسدى أو إشارة كما قاله مجاهد أيضا ووهب وقادة . قال مجاهد وعكرمة ووهب والسدى وقادة اعتقل لسانه من غير مرض . وقال ابن زيد كان يقرأ ويمسح ولكن لا يستطيع كلام احد . وقوله (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا) ، يخبر تعالى عن وجود الولد وفق البشارة الالهية لأبيه زكريا عليه السلام وأن الله علمه الكتاب والحكمة وهو صغير في حال صباه قال عبد الله بن المبارك قال ممرقال الصبيان ليحيى بن زكريا اذهب بنا نلب قال ما لئلب خلقنا قال وذلك قوله (وآتيناه الحكم صبيا) وأما قوله (وحنانا من لدنا) فروى ابن جرير عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال لأدري ما الحنان . وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقادة والضحاك (وحنانا من لدنا) أى رحمة من عندنا رحمتنا بها زكريا فوهبنا له هذا الولد . وعن عكرمة (وحنانا) أى محبة عليه ويحتمل أن يكون ذلك صفة لحنن يحيى على الناس ولا سيما على أبويه وهو محبتهما والشقة عليهما وبره بهما . وأما الزكاة فهو طهارة الخلق وسلامته من النقائص والذائل . والتقوى طاعة الله بامثال أو امره وترك زواجره ، ثم ذكر بره بوالديه وطهاته لها أمراً ونهياً وترك عقوقها قولاً وفعلًا قال (وبرأ بوالديه ولم يكن جباراً عصياً) ثم قال (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) هذه الأوقات الثلاثة أشد ماتكون على الانسان فانه يتقل في كل منها من عالم إلى عالم آخر فيقتد الأول بمد ما كان الفه وعرفه ويصير إلى الآخر ولا يدري ما بين يديه ولهذا يستهل صارخاً إذا خرج من بين الاحشاء وفارق لينها وضما وينقل إلى هذه الدار ليكابدهمومها وغمها وكذلك إذا فارق هذه الدار وانتقل إلى عالم البرزخ بينها وبين دار القرار وصار بعد الدور والقصور إلى عرصة الاموات سكان القبور وانتظر هناك النفخة في الصور ليوم البعث والنشور فمن سرور ومحبور ومن محزون ومثبور وما بين جسيم وكبير وفريق في الجنة وفريق في السعير . ولقد أحسن بعض الشعراء حيث يقول :

وَلَدَتِكَ أُمُّكَ بَأَكْبَأَ مُسْتَصْرِخًا وَالنَّاسُ حَوْلَكَ يَتَضَحَكُونَ سُرُورًا
فأحرص لنفسيك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

ولما كانت هذه المواطن الثلاثة اشق ماتكون على ابن آدم سلم الله على يحيى في كل موطن منها فقال (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) وقال سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة أن الحسن قال إن يحيى وعيسى التقيا فقال له عيسى استغفر لى أنت خير منى فقال له الآخر استغفر لى أنت خير منى فقال له عيسى أنت خير منى سلمت على نبيى وسلم الله عليك فرفق والله فضلها ، وأما قوله في الآية الاخرى (وسيداً وحسوراً ونبياً من الصالحين) قيل المراد بلصور الذى لا يأتى النساء

وقيل غير ذلك وهو أشبه لقوله (هب لي من لدنك ذرية طيبة) وقد قال الامام احد حدثنا عفان حدثنا حماد أنبأنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال ما من أحد من ولد آدم إلا وقد اخطأ أو هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا وما ينبغي لأحد يقول أنا خير من يونس بن متى. علي بن زيد بن جدهان تكلم فيه غير واحد من الأئمة وهو منكر الحديث وقد رواه ابن خزيمة والدارقطني من طريق أبي عاصم العباداني عن علي بن زيد بن جدهان به مطولا ثم قال ابن خزيمة وليس على شرطنا. وقال ابن وهب حدثني ابن طبيعة عن عتيل عن ابن شهاب قال خرج رسول الله (ص) على أعضاه يوما وم يتذاكرون فضل الانبياء فقال قاتل (موسى) كليم الله وقال قاتل عيسى روح الله وقلته وقال قاتل ابراهيم خليل الله قاتل ابن الشهيد ابن الشهيد بليس البربر وباتل الشجر مخافة الذنب قال ابن وهب يريد يحيى بن زكريا. وقد رواه محمد بن اسحاق وهو مدلس عن يحيى بن سعيد الانصارى عن سعيد بن المسيب حدثني ابن العاص أنه سمع رسول الله (ص) يقول كل ابن آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب الا ما كان من يحيى بن زكريا. فنهنا من رواية ابن اسحاق وهو من المدلسين رقد عنن ههنا. ثم قال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة عن سعيد بن المسيب مرسل. ثم رأيت ابن عساكر ساه من طريق أبي أسامة عن يحيى بن سعيد الانصارى ثم قد رواه ابن عساكر من طريق ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني خطيب دمشق حدثنا محمد بن الأصبهاني حدثنا أبو خالد الاحمر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو قال ما أحد الا يلقى الله بذنب الا يحيى بن زكريا. ثم تلا (وسيدا وحصورا) ثم رفع شيئا من الارض فقال ما كان معه الا مثل هذا ثم ذبح ذبيحا وهذا موقف من هذه الطريق وكرة موقوفا اصح من رفه والله أعلم واورده ابن عساكر من طرق عن معمر من ذلك ما اورده من حديث اسحاق بن بشر وهو ضعيف عن عثمان بن سباح عن ثور بن يزيد عن خالد بن مدان عن معاذ عن النبي (ص) بنحوه. وروى من طريق أبي داود الطيالسي وغيره عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعيم عن ابيه عن أبي سعيد قال قال رسول (ص) الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة الا بنى الخلاء يحيى وعيسى عليهما السلام. وقال أبو نعيم الحافظ الاصبهاني حدثنا اسحاق بن احمد حدثنا ابراهيم بن يوسف حدثنا احمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول خرج عيسى بن مريم ويحيى ابن زكريا يتماشيان فسلم يحيى امرأة فقال له عيسى يا ابن خالة لقد اصبحت اليوم خطيئة ما اظن أنه ينفرك ابا ا قال وما هي يا ابن خالة قال امرأة صلتها. قال والله ماشرت بها. قال سبحان الله بذلك متى فان روحك قال مطلق بل مرشولوان قلبى الممتن الى جبريل فلظننت أنى ما عرفت الله طرفة عين. فيه غرابة وهو من الاسرائيليات * وقال اسرائيل عن ابي حصين عن خيشة قال كان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابني خالة وكان عيسى بليس الصوف وكان يحيى بليس البر ولم يكن لواحد منهما دينار ولا درهم ولا

عبد ولا أمة ولا مأوى يابون اليه ابن ماجهها الليل أوبا فلما ارادا أن يتفرقا قال له يحيى اوصني قال لا تنضب قال لا استطيع الا أن اغضب قال لا تقتن مالا قال أما هذه فمسي .

وقد اختلفت الرواية عن وهب بن منبه هل مات زكريا عليه السلام موتاً أو قتل قتلا على روايتين فروى عبد المنعم بن ادريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه أنه قال هرب من قومه فدخل شجرة فجاؤا فوضعوا المنشار عليهما فلما وصل المنشار الى أضلاعه أن فأوحى الله اليه لئن لم يسكن أنفك لأقلبن الارض ومن عليها فسكن أفيته حتى قطع بانثنين . وقد روى هذا في حديث سرفوع سنورده بعد ان شاء الله * وروى اسحق بن بشر عن ادريس بن سنان عن وهب أنه قال الذي انصدمت له الشجرة هو شيما فاما زكريا فمات موتاً فالله اعلم . وقال الامام احمد حدثنا عفان أباناً أبو خلف موسى بن خلف وكان يمد من البدلاء حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده محمطور عن الحارث الاشعري أن النبي (ص) قال ان الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وان يأمر بني اسرائيل أن يعملوا بهن وكذا أن يعطي فقال له عيسى عليه السلام إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني اسرائيل أن يعملوا بهن . فاما أن تبلغهن وإما أن ابلفهن فقال ياأخى إني اخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخصف بي قال فجمع يحيى بني اسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فعمد على الشرف فحمد الله واثمى عليه ثم قال إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمرهم أن يعملوا بهن . واولهن أن تعبوا الله لا تشرکوا به شيئا فان مثل ذلك مثل من اشترى عبداً من خالص ماله بوزق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدى غلته الى غير سيده فايكم يسره أن يكون عبده كذلك وأن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشرکوا به شيئا وأمرکم بالصلاة فان الله ينصب وجهه قبل عبده مالم يلتفت فاذا صليتم فلا تلتفتوا * وامرکم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل ممة صرة من مسك في عصاية كلهم يجدرج المسك وان خلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك * وامرکم بالصدقة فان مثل ذلك كمثل رجل اسره العدو فشدوا يده الى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال هل لكم أن اقتدى نفسي منكم فجعل يقتدى نفسه منهم بالتقليل والكثير حتى فك نفسه * وامرکم بذكر الله عز وجل كثيرا فان مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا في اثره فاقى حصناً حصيناً فتمحصن فيه وأن العبد احصن ما يكون من الشيطان اذا كان في ذكر الله عز وجل قال وقال رسول الله (ص) وأنا أمرکم بخمس الله امرني بهن بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فان من خرج عن الجماعة قيد شبر فقد خلع ربتي الاسلام من عنقه الا أن يرجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من حثا جهنم قال يارسول الله وان صام وصلى قال وان صام وصلى وزعم أنه مسلم ادعوا المسلمين باسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله عز وجل .

وهكذا رواه أبو يعلى عن هديبة بن خالد عن ابان بن يزيد عن يحيى بن أبي كثير به . وكذلك رواه

الترمذى من حديث أبي داود الطيالسى وموسى بن اسماعيل كلاهما عن ابان بن يزيد المطار به * ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن محمد بن شعيب بن سبور عن معاوية بن سلام عن اخيه زيد بن سلام عن أبي سلام عن الحارث الاشعري به . ورواه الحاكم من طريق مروان بن محمد الطاطرى عن معاوية بن سلام عن اخيه به . ثم قال تفرد به مروان الطاطرى عن معاوية بن سلام . قلت وليس كما قال ورواه الطبرانى عن محمد بن عبدة عن أبي نوبة الربيع بن يافع عن معاوية بن سلام عن أبي سلام عن الحارث الاشعري فذكر نحوه فسط ذكر زيد بن سلام عن أبي سلام عن الحارث الاشعري فذكر نحوه هذه الرواية ثم روى الحافظ بن عساكر من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازى عن أبيه عن الربيع بن انس قال ذكر لنا عن اصحاب رسول الله (ص) ، فيما سمعوا من علماء بنى اسرائيل أن يحيى بن زكريا أرسل بخمس كالت وذكروا نحوه ما تقدم . وقد ذكروا ان يحيى عليه السلام كان كثير الافراد من الناس انما كان يانس الى البرارى وياكل من ورق الاشجار ويرد ما الانهار ويتنذى بالجراد فى بعض الاحيان ويقول من انعم منك يا يحيى * وروى ابن عساكر أن أبويه خرجا فى تغلبه فوجداه عند بحيرة الاردن فلما اجتمعا به أبكاهما بكاء شديدا لما هو فيه من العبادة والنظف من الله عز وجل . وقال ابن وهب عن مالك عن حميد بن قيس عن مجاهد قال كان طعام يحيى بن زكريا المشب وانه كان ليبيكى من خشية الله حتى لو كان القار على عينيه لخرقه

وقال محمد بن يحيى الذهلى حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثنى عقيل عن ابن شهاب قال جلست يوما الى أبي ادريس الخولانى وهو يقص فقال الا أخبركم بمن كان أطيب الناس طعاما فلما رأى الناس قد نظفوا اليه قال إن يحيى بن زكريا كان أطيب الناس طعاما انما كان يأكل مع الوحش كراهة أن يخالط الناس فى ما يشبههم * وقال ابن المبارك عن وهيب بن الورد قال فقد زكريا ابنه يحيى ثلاثة أيام فخرج يلتمسه فى البرية فاذا هو قد احتفر قبرا وأقام فيه يئس على نفسه فقال يا بنى أنا أطيبك من ثلاثة أيام وانت فى قبر قد احتفرت قائم تبكى فيه فقال يا أبت الست أنت أخبرتني أن بين الجنة والنار مغارة لا يقطع الا بدسرع البكائين فقال له ابك يا بنى فبكيا جميعا . وهكذا حكاه وهب بن منبه ومجاهد بن عمرو وروى ابن عساكر عنه أنه قال إن أهل الجنة لا ينامون للذة ما هم فيه من النعيم فكذا يئس ، للصدقيين أن لا يناموا لما فى قلوبهم من نهم المحبة لله عز وجل * ثم قال كم بين التميميين وكم بينهما وذكروا أنه كان كثير البكاء حتى أضر البكاء فى خديه من كثرة دموعه *

بياح بيب فنس يحيى عليه السلام

وذكروا فى قتله أسبابا من أشهرها أن بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق كان يريد أن يتزوج ببعض محارمه او من لا يحل له تزويجها فتهاه يحيى عليه السلام عن ذلك فبقي فى نفسها منه . فلما كان بينها وبين الملك

ما يجب منها استوهبت منه دم يحيى فوجه لها فبعثت اليه من قتله وجاء برأسه ودمه في طشت الى عندها
فيقال انها هلكت من فورها وساعها وقيل بل أحبته امرأة ذلك الملك وراسلته فاقب عليها فلما يمست
منه تحيلت في أن استوهبت من الملك فتمنع عليها الملك ثم أجابها الى ذلك فبعث من قتله وأحضر اليها
رأسه ودمه في طشت . وقد ورد معناه في حديث رواه اسحاق بن بشر في كتابه المبتدا حيث قال أنبأنا
يعقوب السكوني عن عمرو بن ميمون عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله (ص) ليلة أسرى به رأى
زكريا في السماء فلم عليه وقال له يا أبا يحيى خبرني عن قتلك كيف كان ولم فتلك بنو اسرائيل . قال يا محمد
أخبرك أن يحيى كان خير أهل زمانه وكان أجملهم وأصبحهم وجهها وكان كما قال الله تعالى (سيداً وحسوراً)
وكان لا يحتاج الى النساء فهو ته امرأة ملك بني اسرائيل وكانت بنية فأرسلت اليه وعصمه الله وامتنع
يحيى وأبى عليها فاجتعت على قتل يحيى . فم عيد يجتمعون في كل عام وكانت سنة الملك أن . بعد ولا
يختلف ولا يكذب . قال فخرج الملك الى الميد فقامت امرأته فسمعته وكان بها معجبا ولم تكن تفعله فيما
مضى فلما أن شيعته قال الملك سليني فما سألتني شيئا الا أعطيتك قالت أريد دم يحيى بن زكريا قال لها
سليني غيره قالت هو ذلك قال هو لك قال فبعثت جلاوزتها الى يحيى وهو في محرابه يصلى وأما الى
جانبه أصلى قال فذبح في طشت وحمل رأسه ودمه اليها . قال فقال رسول الله (ص) : فما بلغ من صبرك
قال ما اختلفت من صلاتي قال فلما حل رأسه اليها فوضع بين يديها فلما أمسرا خسف الله بانك . أهل
بيته وحشمه فلما أصبحوا قالت بنو اسرائيل قد غضب الله زكريا زكريا فتعالوا حتى تنفض ملكنا
فقتل زكريا قال فخرجوا في طلبي ليتلوني وجاءني النذير فهربت منهم والبيس أمامهم يدلهم على فلما
تخوفت أن لا أعجزهم عرضت لي شجرة فنادتني وقالت لي الى وانصدعت لي ودخلت فيها . قال
وجاء ابليس حتى أخذ بطرف رداي والتأمت الشجرة وبق طرف رداي خارجا من الشجرة وجاءت
بنو اسرائيل فقال ابليس أما رأيتموه دخل هذه الشجرة هذا طرف رداه دخلها بسحره فقالوا انحرق
هذه الشجرة فقال ابليس شقوه بالمنشار شقا . قال فشققت مع الشجرة بالمنشار قال له النبي (ص) . هل وجدت
له مسا أو وجا قال لا إنما وجدت ذلك الشجرة التي جعل الله روعي فيها . هذا سياق غريب جدا
وحديث عجيب ورفعه منك وفيه ما ينكر على كل حال ولم يرف في شيء من أحاديث الاسراء ذكر
زكريا عليه السلام الا في هذا الحديث وإنما المحفوظ في بعض الفاظ الصحيح في حديث الاسراء
فررت بابني الخلالة يحيى وعيسى وهما ابنا الخلالة على قول الجمهور كما هو ظاهر الحديث فان أم يحيى أشياع
بنت عمران أخت مريم بنت عمران . وقيل بل أشياع وهي امرأة زكريا أم يحيى هي أخت حنة امرأة عمران
أم مريم فيكون يحيى ابن خالة مريم فإله أعلم *

ثم اختلف في مقتل يحيى بن زكريا هل كان في المسجد الاقصى أم بغيره على قولين فقال الثوري

عن الاعمش عن شمر بن عطية قال قتل على الصخرية التي بيت المقدس سبعون نيا منهم يحيى بن زكريا عليه السلام وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال قدم بخت نصر دمشق فاذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلى فسأل عنه فاخبروه فقتل على دمه سبعين الفا فسكن. وهذا اسناد صحيح الى سعيد بن المسيب وهو يقتضى أنه قتل بدمشق وان قصة بخت نصر كانت بدم المسيح كما قاله عطاء والحسن البصرى فإله أعلم.

وردى الجافظ ابن عساكر من طريق الوليد ابن مسلم عن زيد بن واقد قال رأيت رأس يحيى ابن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق أخرج من تحت ركن من أركان القبلة الذى بلى الحراب مما بلى الشرق فكانت البشرة والشعر على حاله لم يتغير وفى رواية كأنما قتل الساعة. وذكر فى بناء مسجد دمشق أنه جعل تحت العمود المعروف بممود السكاسكة فإله أعلم.

(١) وقد روى الجافظ ابن عساكر فى المستقى فى فضائل الاقصى من طريق العباس بن صبح عن مروان عن سعيد بن عبد العزيز عن قاسم مولى معاوية قال كان ملك هذه المدينة يبنى دمشق هداد ابن هذلول وكان قد زوجه ابنة بانية أخيه أرييل ملكة صيدا وقد كان من جملة أملاكها سوق الملوك بدمشق وهو الصاغة العتيقة قال وكان قد حلف بطلاقها ثلاثا. ثم انه اراد مراجعتها فاستفتى يحيى بن زكريا فقال لا تحل لك حتى تنسكح زوجا غيرك فحقت عليه وسألت من الملك رأس يحيى بن زكريا وذلك بإشارة أمها فابى عليها ثم أجابها الى ذلك وبث اليه وهو قائم يصلى بمسجد جيرون من أنه برأسه فى صينية فجعل الرأس يقول له لا تحل له لا تحل له حتى تنسكح زوجا غيره فلخذت المرأة الطبق فخلته على رأسها وأمت به أمها وهو يقول كذلك فلما تثلت بين يدي أمها خفف بها الى قدمها ثم الى حقوبها وجعلت أمها تولول والجوارى يصرخن ويلطنن وجوههن ثم خفف بها الى منكبها فمرت أمها السيف أن يضرب عنقها لتتسلى برأسها فلفظت الارض جثتها عند ذلك ووقعوا فى الذل والفناء ولم يزل دم يحيى يفر حتى قسم بخت نصر فقتل عليه خمسة وسبعين الفا * قال سعيد بن عبد العزيز وهى دم كل نبي ولم يزل يفر حتى وقف عنده أرميا عليه السلام فقال أيها السم أفنيت بنى اسرائيل فإله فسكن فرفع السف وهرب من هرب من أهل دمشق الى بيت المقدس فتبعهم اليها قتل خلقا كثيرا لا يحصون كثرة وسبا منهم ثم رجع عنهم.

(١) من هنالى قصة عيسى ايس فى النسخين المصرين

قصة عيسى بن مريم عليه السلام والفضل الصلوة والسلام

قال الله تعالى في سورة آل عمران التي أنزل صدرها وهو ثلاث وثمانون آية منها في الرد على النصارى عليهم لعائن الله الذين زعموا أن الله ولداً تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . وكان قد قدم وقد نجران منهم على رسول الله ﷺ ، فجعلوا يذكرون ما هم عليه من الباطل من التثليث في الأقايم ويدعون بزعمهم أن الله ثلاث ثلاثة وهم الذات المقدسة وعيسى ومريم على اختلاف فرقهم فآثر الله عز وجل صدر هذه السورة بين فيها أن عيسى عبد من عباد الله خلقه وصوره في الرحم كما صور غيره من المخلوقات وأنه خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم وقال له كن فكان سبحانه وتعالى . وبين أصل ميلاد أمه مريم وكيف كان من أمرها وكيف حملت بولدها عيسى وكذلك بسط ذلك في سورة مريم كما ستكلم على ذلك كما بهون الله وحسن توفيقه وهدايته فقال تعالى وهو اصدق القائلين (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . إذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محرراً فتقبل منى انك انت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها اناى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالا انى وانى سميتها مريم وانى اعينها بك ووزيتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نبأً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب)

يذكر تعالى انه اصطفى آدم عليه السلام والخلص من ذريته المتبينين شرعه للملازمين طاعته ثم خصص فقال وآل إبراهيم فدخل فيهم بنو اسماعيل وبنو اسحاق . ثم ذكر فضل هذا البيت الطاهر الطيب وهم آل عمران والمراد بعمران هذا والد مريم عليها السلام وقال محمد ابن اسحاق وهو عمران بن باشم بن أمون ابن ميثاب بن حرقيا بن احريق بن موثم بن عزازيا بن امصيا بن يابوش بن احريه بن يازم بن يهافاشاط بن ايشاب بن ايان بن رحبمان بن سليمان بن داود وقال ابو القاسم بن عساکر مريم بنت عمران بن ماثان بن العازر بن اليود بن اختر بن صادق بن عيازوز بن الياقيم بن ايبود بن زريابيل بن شالتال بن يوحينا بن يرشا بن امون بن ميثاب بن حرقيا بن احاز بن موثم بن عزريا بن يورام بن يوشافاط ابن ايشاب بن ايبا بن رحبمان ابن سليمان بن داود عليه السلام وفيه مخالفة كما ذكره محمد بن اسحاق ولا خلاف انها من سلالة داود عليه السلام وكان ابوها عمران صاحب صلاة بنى اسرائيل في زمانه وكانت أمها وهى حنة بنت فاقد بن قبيل من العابدات وكان زكريا بنى ذلك الزمان زوج أخت مريم اشيعاء في قول الجمهور وقيل زوج خالتها اشيعاء فله أعلم وقد ذكر محمد بن اسحاق وغيره ان ام مريم كانت لا تحبل فرأت يوماً طائراً يرق فرخاً له فاشتت

الولد فنذرت لله أن حملت لتجملن ولدها محرراً أي حياً في خدمة بيت المقدس قالوا فخاضت من فورها فلما طهرت واقميا بعلمها فحملت بمریم علیها السلام (فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنى والله اعلم بما وضعت) وقرى بضم التاء (وليس الذكر كالأنى) أى فى خدمة بيت المقدس وكانوا فى ذلك الزمان ينشدون لبيت المقدس خداماً من أولادهم وقولها (وانى سميتها مریم) استدلت به على تسمية المولود يوم يولد وكما ثبت فى الصحيحين عن أنس فى ذهابه بخيجه الى رسول الله (ص) فحكك اخاه وسماه عيد الله . وجاء فى حديث الحسن عن سرة مرفوعاً « كل غلام رهينة بيمينته تذبح عنه يوم سابعه ويسمى ويحلق رأسه » رواه احمد وأهل السنن وصححه الترمذى وجاء فى بعض ألفاظه ويديى بدل ويسمى وصححه بعضهم والله أعلم . وقولها (وانى أعيدتها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) قد استجيب لها فى هذا كما تقبل منها نذرها فقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما من مولود إلا والشيطان يمه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان اياه بالإمريم وابنها) ثم يقول أبو هريرة وأقرؤا ان شئتم (وانى أعيدتها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) أخرجه من حديث عبد الرزاق ورواه ابن جريج عن احمد بن الفرج عن بقة عن عبد الله بن الزبيدي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه . وقال احمد أيضاً حدثنا اسماعيل بن عمر حدثنا ابن أبي ذؤيب عن مجلان مولى المشعل عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (كل مولود من بنى آدم يمه الشيطان باصبعه إلا مريم بنت عمران وابنها عيسى) . تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن عمر بن الخطاب عن أبي بن يوسف عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه . وقال احمد حدثنا هشيم حدثنا حفص بن يسيرة عن العلاء عن إيه عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال (كل انسان قلده أمه يلكزه الشيطان فى حضنيه إلا ما كان من مريم وابنها ألم تر إلى الصبي حين يسقط كيف يصرخ قالوا بلى يا رسول الله قال ذلك حين يلكزه الشيطان بحضنيه وهذا على شرط مسلم ولم يخبره من هذا الوجه ورواه قيس عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : (ما من مولود إلا وقد عصمه الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى بن مريم ومریم) ثم قرأ رسول الله (ص) : (وانى أعيدتها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) وكذا رواه محمد بن اسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة عن النبي (ص) : باصل الحديث . وقال الامام احمد حدثنا عبد الملك حدثنا المغيرة هو ابن عبد الله الخزامى عن ابى الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال (كل بنى آدم يطمئن الشيطان فى جنبه حين يولد إلا عيسى بن مريم ذهب يطمئن فطمئن فى الحجاب) . وهذا على شرط الصحيحين ولم يخبروه من هذا الوجه . وقوله (فقبلها ربهما بقبول حسن وابنتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا) ذكر كثير من المفسرين أن أمها حين وضعتها لفتها فى خروقها ثم خرجت بها

الى المسجد فسلمتها الى العباد القديم مقيمين به وكانت ابنة امامهم وصاحب صلاتهم فتنازعوا فيها . والظاهر انها انما سلمتها اليهم بد رضاعها وكفالتها في صغرها . ثم لما دفنتها اليهم تنازعوا في ايهم يكفلها وكان زكريا بينهم في ذلك الزمان وقد اراد أن يستبد بها دونهم من أجل أن زوجته اختها أو خالتها على القولين فتشاوره في ذلك وطلبوا أن يقترح معهم فاعادته المقادير فخرجت قرعته غالبة لهم وذلك أن الخلالة بمنزلة الأم . قال الله تعالى (وكفلها زكريا) أي بسبب غلبه لهم في القرعة كما قال تعالى (ذلك من أنباء النبي نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) . قالوا وذلك أن كلا منهم أتقى قلبه معروفًا به ثم حملوها ووضعوها في موضع وأمروا غلامًا لم يبلغ الحنث فلخرج واحدا منها وظهر قلم زكريا عليه السلام فطلبوا أن يقتنعوا مرة ثانية وأن يكون ذلك بان يلقوا أقلامهم في النهر فأيم جري قلبه على خلاف جريه في الماء فهو الناب فقلوا فكان قلم زكريا هو الذي جرى على خلاف جرية الماء وسارت أقلامهم مع الماء ثم طلبوا منه أن يقتنعوا ثالثة فأيم جري قلبه مع الماء ويكون بقية الاقلام قد انفسكت سيرها صعدا فهو الناب فقلوا فكان زكريا هو الناب لهم فكفلها إذ كان احق بها شرعا وقدراً لوجوه عديدة . قال الله تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) قال المفسرون اتخذها زكريا مكانا شريفاً من المسجد لا يدخله سواه فكانت تعبد الله فيه وتقوم بما يجب عليها من سداة البيت اذا جاءت نوبتها وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها في بني اسرائيل واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة حتى أنه كان في الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجدها عندها رزقا غريباً في غير أوانه فكان يجدها فأكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيسألها (أنى لك هذا فتقول هو من عند الله) أي رزق رزقته الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فعند ذلك وهنالك طمع زكريا في وجود ولد من صلبه وان كان قد اسن وكبر (قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء) . قال بعضهم قال يامن يرزق مريم الثمر في غير أوانه هب لي ولداً وان كان في غير أوانه فكان من خبره وقصيته ماقدنا ذكره في قصته . (إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتي لربك واسجدى واركعى مع الراكعين . ذلك من أنباء النبي نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون . إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيباً في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون . ويصله الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد

جسّم بآية من ربكم أى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فافتخ فيه فيكون طيراً بلذن الله وأبى .
الأنه والأبرص واسم الموتى بلذن الله وأنبشكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية
لكم ان كنتم مؤمنين . ومصداقاً بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجسّم
بآية من ربكم فاهوا الله وأطيعون . ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم

يذكر تعالى أن الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عالمي زمانها بأن اختارها
لايجاد ولد منها من غير أب وبشرت بأن يكون نبياً شريعياً (يكلم الناس في المهد) أى في صغره يدعوهم
الى عبادة الله وحده لا شريك له وكذلك في حال كونه قد دل على أنه يبلغ الكهولة ويدعو الى الله فيها
وأمرت بكثرة العبادة والتقوى والسجود والكوع لتكون أهلاً لهذه الكرامة وتقوم بشكر هذه النعمة فيقال
لها كانت تقوم في الصلاة حتى تغطرت قدماها رضى الله عنها ورحمها ورحم أمها وأبها فقول الملائكة
(يا مريم ان الله اصطفاك) أى اختارك واجتباك (وطهرك) أى من الاخلاق الرذيلة واعطاك الصفات الجليلة
(واصطفاك على نساء العالمين) . يحتمل أن يكون المراد عالمي زمانها كقوله لموسى انى اصطفيتك على
الناس وكقوله عن بنى اسرائيل (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) ومعلوم أن ابراهيم عليه السلام افضل
من موسى وان محمداً (س) افضل منهما وكذلك هذه الامة افضل من سائر الامم قبلها وأكثر
عدداً وافضل علماً وازكى عملاً من بنى اسرائيل وغيرهم . ويحتمل أن يكون قوله (واصطفاك على نساء
العالمين) محفوظ السوم فتكون افضل نساء الدنيا ممن كان قبلها ووجد بعدها لانها إن كانت نبيه على
قول من يقول بنيتها ونبوة سارة أم اسحاق ونبوة أم موسى محججاً بكلام الملائكة والوحى الى أم
موسى كما يزعم ذلك ابن حزم وغيره فلا يمتنع على هذا أن يكون مريم افضل من سارة وأم موسى
لسوم قوله (واصطفاك على نساء العالمين) إذ لم يمارضه غيره والله أعلم هو أما قول الجمهور كما قد حكاه أبو
الحسن الأشعري وغيره عن أهل السنة والجماعة من أن النبوة مختصة بالرجال وليس في النساء نبيه فيكون
أعلى مقامات مريم كما قال الله تعالى (ما المسيح بن مريم إلا رسول قد دخلت من قبله الرسل وامه صديقة)
فلى هذا لا يمتنع أن تكون افضل الصديقات المشهورات ممن كان قبلها وممن يكون بعدها والله أعلم .
وقد جاء ذكرها مقروناً مع آسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد رضى الله عنهم
وأرضاهن .

وقد روى الامام احمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عديدة عن هشام بن عروة
عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله (س) خير نسائها
مريم بنت عمران وخير نساءها خديجة بنت خويلد . وقال الامام احمد حدثنا عبد الزان أنبأنا مسر عن
تخاة عن انس قال قال رسول الله (س) (حبك من نساء العالمين يارب مريم بنت عمران وآسية

امراة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد) ورواه الترمذى عن ابى بكر بن زائجويه عن عبد الرزاق به وصححه ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن ابى جعفر الرازى وابن عساكر من طريق نعيم بن زياد كلاهما عن ابى جعفر الرازى عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله (ص) خير نساء العالمين اربع (مریم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد رسول الله) وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب قال كان أبو هريرة يحدث أن النبي (ص) قال خير نساء ركنين الابل صالح نساء قريش احناه على ولد في صفرة وارصاه لزوج في ذات يده قال أبو هريرة ولم تترك مریم بغيراً قط . وقد رواه مسلم في صحيحه عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به . وقال احمد حدثنا زيد بن الجلباب حدثني موسى بن علي سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله (ص) خير نساء ركنين الابل نساء قريش احناه على ولد في صفرة وأرافه بزواج على قلة ذات يده قال أبو هريرة وقد علم رسول الله (ص) أن ابنة عمران لم تترك الابل تغرد به وهو على شرط الصحيح * ولهذا الحديث طرق اخر عن أبي هريرة وقال أبو يعلى الموصلى حدثنا زهير حدثنا يونس بن محمد حدثنا داود بن ابى الفرات عن علباء بن احمر عن عكرمة عن ابن عباس قال خط رسول الله (ص) في الارض اربع خطوط فقال اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال رسول الله (ص) أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومریم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ورواه النسائي من طرق عن داود أبي هند . وقد رواه ابن عساكر من طريق ابى بكر عبد الله بن ابى داود سليمان بن الاشعث حدثنا يحيى بن حاتم العسكري نبأنا بشر بن مهران بن حمدان حدثنا محمد بن دينار عن داود بن بى هند عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص) حسبك منهن اربع سيدات نساء العالمين فاطمة بنت محمد وخديجة بنت خويلد وآسية بنت مزاحم ومریم بنت عمران . وقال أبو القاسم البغوي حدثنا وهب بن منبه حدثنا خالد بن عبد الله الواسطي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن عائشة أنها قالت لفاطمة أرايت حين اكفيت على رسول الله (ص) فبكيت ثم ضحكت قالت اخبرني انه ميت من وجهه هذا فبكيت ثم اكفيت عليه فلخبرني اني أسرع أهله لحوقا به وانى سيدة نساء أهل الجنة الإمام مریم بنت عمران فضحكت واصل هذا الحديث في الصحيح . وهذا اسناد على شرط مسلم وفيه انهما أفضل الاربعة المذكورات . وهكذا الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن يزيد هو ابن ابى زياد عن عبد الرحمن بن ابى نعيم عن ابى سعيد قال قال رسول الله (ص) فاطمة سيدة نساء أهل الجنة الا ما كان من مریم بنت عمران اسناد حسن وصححه الترمذى ولم يفرجه وقد روى نحوه من حديث على بن ابى طالب ولكن في اسناده ضعف * والتصود أن هذا يدل على ان مریم وفاطمة أفضل هذه الاربعة . ثم يحتمل الاستثناء أن تكون مریم أفضل من فاطمة ويحتمل أن يكونا على السواء

في الفضيلة . لكن ورد حديث ان صح عين الاحتمال الأول فقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر ابناً
 أبو الحسن بن الفراو أبو غالب وأبو عبدالله ابنا البنا قالوا ابناً أبو جعفر بن المسلمة ابناً أبو طاهر الخالص
 حدثنا احمد بن سليمان حدثنا الزبير هو بن بكار حدثنا محمد بن الحسن عن عبد العزيز بن محمد عن موسى
 بن عقبة عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص)، سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران ثم
 فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون فان كان هذا اللفظ محفوظاً بهم التي لترتيب فهو مبين لاحد
 الاحتمالين اللذين دل عليهما الاستثناء وتقدم على ما تقدم من الألفاظ التي وردت بوو العطف التي
 لا تقتضي الترتيب ولا تنفيه والله أعلم .

وقد روى هذا الحديث أبو حاتم الرازي عن داود الجعفري عن عبد العزيز بن محمد وهو الدرودى
 عن ابراهيم بن عقبة عن كريب عن ابن عباس صرفوا فذكره بوو العطف لاثم الترتيبية فخالفه اسنادا
 ومتناً والله أعلم . فاما الحديث الذي رواه ابن مردويه من حديث شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قال
 قال رسول الله (ص)، كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا ثلاث مريم بنت عمران وآسية امرأة
 فرعون وخديجة بنت خويلد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . وهكذا الحديث
 الذي رواه الجماعة الا أبو داود من طرق عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمداني عن أبي موسى
 الاشعري قال قال رسول الله (ص)، كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون
 ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . فانه حديث صحيح كما ترى
 اتفق الشيخان على اخراجه ونقله يقتضى حصر الكمال في النساء في مريم وآسية ولعل المراد بذلك في
 زمانها فان كلامها كملت نبياً في حال صغره فآسية كملت موسى الكليم ومريم كملت ولدها عبدالله
 ورسوله فلا ينفي كمال غيرها في هذه الأمة كخديجة وفاطمة فخديجة خدمت رسول الله (ص)، قبل البعثة
 خمسة عشر سنة وبعدها ازيد من عشرين وكانت له وزير صدق بنفسها ومالها رضى الله عنها وارضاهها
 وأما فاطمة بنت رسول الله (ص)، فليها خصت بمزيد فضيلة على اخواتها لانها اصيبت برسول الله (ص)،
 وبقية اخواتها من في حيات النبي (ص)، وأما عائشة فانها كانت أحب أزواج رسول الله (ص)، اليه ولم يتزوج
 بكر غيرها ولا يعرف في سائر النساء في هذه الامة بل ولا في غيرها أعلم منها ولا أفهم وقد غار الله لها حين
 قال لها أهل الافك ما قالوا فانزل برائتها من فوق سبع سموات وقد عمرت بعد رسول الله (ص)، قريباً
 من خمسين سنة تبلغ عنه القرآن والسنة وتفتى المسهين وتصلح بين المختلفين وهي أشرف أمهات المؤمنين
 حتى خديجة بنت خويلد أم البنات والبنين في قول طائفة من العلماء السابقين واللاحقين والاحسن الوقف
 فيها رضى الله عنهما وما ذاك الا لأن قولهم . يوفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام يحتمل
 أن يكون عاما بالنسبة الى المذكورات وغيرهن ويحتمل أن يكون عاما بالنسبة الى ما عدى المذكورات والله أعلم

والمقصود منها ذكر ما يتعلق بمریم بنت عمران عليها السلام فإن الله طهرها واصطفها على نساء عالمي زمانها ويجوز أن يكون تفضيلها على النساء مطلقاً كما قدمنا . وقد ورد في حديث أنها تكون من أزواج النبي (س) . في الجنة هي واسية بنت مزاحم . وقد ذكرنا في التفسير عن بعض السلف أنه قال ذلك واستأنس بقوله ثيبات وابكارا قال فالثيب اسية ومن الابكار مریم بنت عمران . وقد ذكرناه في آخر سورة التحريم فله أعلم .

قال الطبرانی حدثنا عبد الله بن ثعلبة حدثنا محمد بن سعد العوفي حدثنا أبي أن أبا عمى الحسين حدثنا يونس بن قبيح عن مسدد بن جنادة هو العوفي قال قال رسول الله (س) . إن الله زوجني في الجنة مریم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا إبراهيم بن عمر حدثنا عبد النور بن عبد الله حدثنا يونس بن شعيب عن أبي امامة قال قال رسول الله (س) . أشعرت أن الله زوجني مریم بنت عمران واسية بنت مزاحم وكلمت أخت موسى رواه ابن جعفر القتيبي من حديث عبد النور به وزاد قلت هنياً لك يا رسول الله . ثم قال القتيبي وليس بمحفوظ . وقال الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن عن يعلى بن المغيرة عن ابن أبي داود قال دخل رسول الله (س) . على خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها بالكراهة مني ما أرى منك يا خديجة وقد يجعل الله في الكراهة خيراً كثيراً أما علمت أن الله قد زوجني منك في الجنة مریم بنت عمران وكلمت أخت موسى وآسية امرأة فرعون قالت وقد فعل الله بك ذلك يا رسول الله قال نعم قالت بلقاءه والبين * وروى ابن عساکر من حديث محمد بن زكريا التللابي حدثنا العباس بن بكار حدثنا أبو بكر الهزلي عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (س) . دخل على خديجة وهي في مرض الموت فقال يا خديجة إذا لقيت ضرائك فأتين مني السلام قالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلي قال لا ولكن الله زوجني مریم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلمت أخت موسى وروى ابن عساکر من طريق سويد بن سعيد حدثنا محمد بن صالح بن عمر عن الضحاک وبجاهد عن ابن عمر قال نزل جبريل الى رسول الله (س) . بما أرسل به وجلس يحدث رسول الله (س) . إذ مرت خديجة فقال جبريل من هذه يلحظ قال هذه صديقة أمتي قال جبريل مني إليها رسالة من الرب عز وجل يقرنها السلام ويشرها بيت في الجنة من نصب بيد من اللهب لا نصب فيه ولا صخب قالت الله السلام ومنه السلام والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته على رسول الله ما ذلك البيت الذي من نصب قال لؤلؤة جوفاء بين بيت مریم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم وهما من أزواجي يوم القيامة . وأصل السلام على خديجة من الله وبشارتها بيت في الجنة من نصب لاصخب فيه ولا وصب في الصحيح ولكن هذا السياق بهذه الزيادات غريب جدا . وكل من هذه الأحاديث في أسانيدنا نظر . وروى ابن عساکر من حديث أبي زرعة التميمي حدثنا عبد الله بن صالح

حدثني معاوية عن صفوان بن عمرو عن خالد بن مدان عن كعب الأجاز أن معاوية سأله عن الصخرة
 يعني صخرة بيت المقدس فقال الصخرة على نخلة والنخلة على نهر من أنهار الجنة وتحت النخلة مريم
 بنت عمران وآسية بنت مزاحم ينظمان سموط أهل الجنة حتى تقوم الساعة. ثم رواه من طريق إسماعيل
 عن عياش عن ثعلبة بن مسلم عن مسعود عن عبد الرحمن عن خالد بن مدان عن عبادة بن الصامت عن
 النبي (س)؛ بمثله وهذا منكر من هذا الوجه بل هو موضوع قد رواه أبو زرعة عن عبد الله بن صالح
 عن معاوية عن مسعود بن عبد الرحمن عن ابن عابد أن معاوية سأل كعباً عن صخرة بيت المقدس
 فذكره قال الحافظ بن عساكر وكونه من كلام كعب الأجاز أشبه. قلت وكلام كعب الأجاز هذا إنما
 تلقاه من الأسرانيات التي منها ما هو مكتوب ومثله وضه بعض زنادقهم أو جهالهم وهذا منه والله أعلم *

مبدأ والعهد الرسول عيسى بن مريم النبي

قال الله تعالى (واذ كر في الكتاب مريم إذ اقتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم
 حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً. قالت أنى أعرف بالرحمن منك إن كنت نبيا. قال إنما أنا
 رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً. قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك نبيا. قال كذلك قال
 ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا. فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها
 الخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها أن لا تحزنى قد
 جعل ربك تحتك سرياً. وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك ريباً جنياً فسكنى واشرفى وقرى عينا فلما
 ترى من البشر أحداً فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا. فأتت به قومها تحمله قالوا
 يا مريم لقد جئت شيئا فريا. يا أخت هرون ما كان أبوك أمراً سوء وما كانت أمك نبيا فاشتارت اليه قالو
 كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلنى نبيا. وجعلنى مباركا أينما كنت
 وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بالدينى ولم يجماقن جبارا شقيا ولسلام على يوم ولدت ويوم
 أموت ويوم أبعث حيا. ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون. ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه
 اذا قضى أمرا فإنا نقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم. فاختلف الأحزاب
 من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم.)

ذكر تعالى هذه القصة بمد قصة زكريا التي سى كالتقدمة لها والتوسطه قبلها كما ذكر فى سورة آل عمران
 قرن بينهما فى سياق واحد وكما قال فى سورة الانبياء (وزكريا اذ نادى ربه رب لا تدنى فداوات خير
 الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا
 ورهيا وكانوا لنا خاشعين. والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين)

وقد تقدم أن سرهم لما جعلها أمها محررة تخدم بيت المقدس وأنه كفلها زوج أختها أو خالتها نبي ذلك الزمان زكريا عليه السلام وأنه اتخذ لها محراباً وهو المسكن الشريف من المسجد لا يدخله أحد عليها سواه وإنما لما بلغت اجتهدت في العبادة فلم يكن في ذلك الزمان نظيرها في فنون العبادات وظهر عليها من الأحوال ما غيظها به زكريا عليه السلام وأنها خاطبتها الملائكة بالبشارة لها باصطفاء الله لها وأنه سيب لها ولداً زكياً يكون نبياً كريماً طاهراً . كما مؤيداً بالاعجازات فتمجبت من وجود ولد من غير والدانها لا زوج لها ولا هي ممن تزوج فلخبرتها الملائكة بأن الله قادر على ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون فاستكانت لذلك وأثبت وسعدت لامر الله وعلت أن هذا فيه محنة عظيمة لها فإن الناس يتكلمون فيها بسببه لانهم لا يعلمون حقيقة الامر وإنما ينظرون الى ظاهر الحال من غير تدبر ولا تمقل وكانت إنما تخرج من المسجد في زمن حيضها أو حاجة ضرورية لا بد منها من استقاء ماء أو تحصيل غذاء فينبأ هي بوباء قد خرجت لبعض شؤونها (واقترنت) أي افتردت وحدها شرقي المسجد الاقصى اذ بعث الله اليها الروح الامين جبريل عليه السلام (فتمثل لها بشراً سوياً) فلما رآته (قالت انى أهوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) . قال أبوالمالية علمت أن التقي ذو نبيه وهذا يرد قول من زعم انه كان في بني اسرائيل رجل فاسق مشهور بالفسق اسمه تقي فان هذا قول باطل بلا دليل وهو من أسخف الاقوال (قال إنما أنا رسول ربك) أي خاطبها الملك قائلاً إنما أنا رسول ربك لست بيشر ولكفى ملك بشنى الله اليك (ليهيبك غلاماً زكياً) أي ولداً زكياً (قالت انى يكون لى غلام) أي كيف يكون لى غلام أو يوجد لى ولد (ولم يمسنى بشر ولم أك نبياً) أي ولست ذات زوج وما أنا ممن يفعل الفاحشة (قال كذلك قال ربك هو على هين) أي فاجابها الملك عن تعجبها من وجود ولد منها والحالة هذه قائلاً (كذلك قال ربك) أي وعد أنه سينخلق منك غلاماً ولست بذات بطل ولا تكونين ممن تبغين (هو على هين) أي وهذا سهل عليه ويسير لديه فانه على ما يشاء قدير . وقوله (ولنجمله اية للناس) أي ولنجعل خلقه والحالة هذه دليلاً على ذل قدرتنا على أنواع انطلق فانه تعالى خلق ادم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية انطلق من ذكر وأنثى . وقوله (ورحمة منا) أي نرحم به العبادان يدعوهم الى الله في صغره وكبره في طفوليته وكهوليته بأن يفردوا الله بالعبادة وحده لا شريك له وينزهوه عن اتخاذ الصاحبة والاولاد والشركاء والنظراء والاضداد والانداد . وقوله (وكان أمراً مقضياً) . يحتمل أن يكون هذا من تمام كلام جبريل معها يعنى ان هذا أمر قد قضاه الله وحتمه وقدره وقرره وهذا معنى قول محمد بن اسحاق واختاره ابن جرير ولم يحك سواه والله أعلم . ويحتمل أن يكون قوله (وكان أمراً مقضياً) كناية عن فتح جبريل فيها كما قال تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) . فذكر غير واحد من السلف ان جبريل نفخ في جيب درعها فتزات

النفخة الى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلها. ومن قال انه فتح في فيها أو ان الذي كان يحاطلها هو الروح الذي ولج فيها من فيها فقوله خلاف ما يفهم من سباقات هذه القصة في محالها من القرآن فان هذا السياق يدل على أن الذي أرسل اليها ملك من الملائكة وهو جبريل عليه السلام وانه إنما فتح فيها ولم يواجسه الملك الفرج بل فتح في جيها فنزلت النفخة إلى فرجها فانسلكت فيه كما قال تعالى (فنفتحنا فيه من روحنا) يدل على أن النفخة ولجت فيه لاني فيها كما روى عن أبي بن كعب ولا في صدرها كما رواه السدي بإسناده عن بعض الصحابة ولهذا قال تعالى (فحملته) أي حات. ولدها (فالتبذت به مكاناً قصياً) وذلك لأن سريرم عليها السلام لما حملت ضاقت به ذرعاً وعلت أن كثيراً من الناس سيكون منهم كلام في حقا فذكر غير واحد من السلف منهم وهب بن منبه انها لما ظهرت عليها مخايل الحمل كان أول من فطن لذلك رجل من عباد بني اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب النجار وكان ابن خالها فجعل يتمجب من ذلك مجباً شديداً وذلك لما يعلم من دياتها وتزاهتها وعبادتها وهو مع ذلك يراها حبيلى وليس لها زوج فعرض لها ذات يوم في الكلام فقال يا سريرم هل يكون زرع من غير بذر قالت نعم فمن خلق الزرع الأول. ثم قال فهل يكون شجر من غير ماء ولا مطر قالت نعم فمن خلق الشجر الاول ثم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ان الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى قال لها فأخبريني خبرك فقالت إن الله بشرني (بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن سريرم وجها في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهدي وكهلا ومن الصالحين) ويروى مثل هذا عن زكريا عليه السلام أنه سأله فأجابته بمثل هذا والله أعلم *

وذكر السدي بإسناده عن الصحابة أن سريرم دخلت يوماً على أختها فقالت لها أختها اشعرت أنى حبلى فقالت سريرم وشعرت أيضاً أنى حبلى فاعتفتها وقالت لها أم يحيى إني أرى ماني بطلى يسجد لما في بطنك وذلك قوله (مصدقاً بكلمة من الله) ومعنى السجود ههنا الخضوع والتعظيم كالسجود عند المواجهة للسلام كما كان في شرع من قبلنا وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم * وتدل أبو التمام قال مالك بلغني أن عيسى بن سريرم ويحيى بن زكريا ابنا خالة وكان حملها جميعاً معاً فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم انى أرى ماني بطلى يسجد لما في بطنك قال مالك أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام لأن الله تعالى جعله يحيى الموتى ويبرى الأكمه والابرص. رواه ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد قل قالت سريرم كنت إذا خلوت حدثني وكلفني وإذا كنت بين الناس سبيح في بطلى *

ثم الظاهر أنها حملت به تسعة أشهر كما تحمل النساء ويضمن لميقات حملهن ووضعهن إذ لو كان خلاف ذلك لذكر . وعن ابن عباس وعكرمة أنها حملت به ثمانية أشهر وعن ابن عباس ما هو إلا أن حملت به فوضعت قال بعضهم حملت به تسع ساعات واستأنسوا لذلك بقوله (فحملته فالتبذت به مكاناً قصياً فأجابها)

الخاض الى جذع النخلة) والصحيح أن تعيب كل شيء بحسبه لقوله (فتصبح الأرض مخضرة)
 وكقوله (فلقنا النطفة علقة فلقنا العلقة مضضة فلقنا المضضة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر
 فتبارك الله أحسن الخالقين) * ومعلوم أن بين كل حالين أربعين يوماً كما ثبت في الحديث المتفق عليه .
 قال محمد بن اسحاق شاع واشتهر في بني اسرائيل أنها حامل إذا دخل على أهل بيت ملدخلى على
 آل بيت زكريا . قال واتمها بعض الزنادقة يوسف الذى كان يتعبد معها في المسجد وتوارت عنهم
 سرهم واعتزلتهم وانتبذت مكانا قصيا وقوله (فأجاءها الخاض الى جذع النخلة) أى فاجلأها واضطرها
 الطلق الى جذع النخلة وهو بنص الحديث الذى رواه النسائي باسناد لا بأس به عن أنس مرفوعا والبيهقي
 باسناد وصححه عن شداد بن أوس مرفوعاً أيضاً بيت لحم الذى بنى عليه بعض ملوك الروم فيها بعد
 على ما سئذ كره هذا البناء المشاهد المائل (قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) فيه دليل
 على جواز تمنى الموت عند الفتن وذلك أنها علمت أن الناس يهيمونها ولا يصدقونها بل يكذبونها حين
 تأتيمهم ببلاد على يدها مع أنها قد كانت عندهم من العابدات التاسكات المجاورات في المسجد المتقطعات
 اليه المتكفئات فيه ومن بيت النبوة والديانة فحملت بسبب ذلك من المهم ما تمننت ان لو كانت ماتت
 قبل هذا الخلال أو كانت (نسياً منسياً) أى لم تخلق بالكلية . وقوله (فناداها من تحتها) وقرىء من
 تحتها على الخفض وفي المضمر قولان أحدهما أنه جبريل قاله العوفي عن ابن عباس قال ولم يتكلم عيسى
 إلا بمحضرة القوم وهكذا قال سعيد بن جبير وعمرو بن ميمون والضحاك والسدى وقناة . وقال مجاهد
 والحسن وابن زيد وسعيد بن جبير في رواية هو ابنها عيسى واختاره ابن جرير . وقوله (أن لأخزنى
 قد جعل ربك تحنك سرا) قيل التهر واليسه ذهب الجمهور . وجاء فيه حديث رواه الطبراني لكنه
 ضعيف واختاره ابن جرير وهو الصحيح وعن الحسن والريم بن أنس وابن اسلم وغيرهم أنه ابنها
 والصحيح الأول لقوله (وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) فذكر الطعام والشراب
 ولهذا قال (فكلى واشربى وقرى عينا) . ثم قيل كان جذع النخلة يابساً وقيل كانت نخلة مشرة
 فله أعلم . ويحتمل أنها كانت نخلة لكنها لم تكن مشرة إذ ذلك لأن ميلاده كان في زمن الشتاء وليس
 ذلك وقت ثمر وقد يفهم ذلك من قوله تعالى على سبيل الامتثال (تساقط عليك رطباً جنياً) . قال
 عمرو بن ميمون ليس شيء أجود للنفاء من التمر والرطب ثم تلا هذه الآية . وقال ابن أبي حاتم
 حدثنا علي بن الحسين حدثنا شيخان حدثنا مسرور بن سعيد التميمي حدثنا عبد الرحمن بن عمرو الانصارى
 عن عروة بن رويم عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله (س) . (أكرموا عتكم النخلة فلها خلقت
 من العلين الذى خلق منه آدم وليس من الشجر شيء يلقح غيرها وقال رسول الله (س) . (أطعموا
 نساءكم الولد الرطب فان لم يكن رطب فتمر وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها

سرم بنت عمران . وكذا رواه أبو يعلى في مسنده عن شيبان بن فروخ عن مسروق بن سعيد وفي رواية مسروق بن سعد . والصحيح مسروق بن سعيد التميمي أورد له ابن عدى هذا الحديث عن الأوزاعي به ثم قال وهو منكر الحديث ولم اسمع بذكره إلا في هذا الحديث . وقال ابن حبان يروى عن الأوزاعي المناكير الكثيرة التي لا يجوز الاحتجاج بمن يرويها . وقوله (فاما ترين من البشر أحدا يقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً) . وهذا من تمام كلام الذي ناداها من تحتها قال (كلني واشربي وقرى عينا فاما ترين من البشر أحداً) أي فان رأيت أحداً من الناس (قولي) له أي بلسان الخال والاشارة (إني نذرت للرحمن صوماً) أي صمتاً وكان من صومهم في شريعتهم ترك الكلام والطعام قاله قتادة والسدي وابن اسلم ويدل على ذلك قوله (فلن أكلم اليوم إنسياً) فاما في شريعتنا فيكره للصائم صمت يوم إلى الليل . وقوله تعالى (فانت به قومها تجهله قالوا يا سرميم لقد جئت شيئاً فريباً . ياأخت هرون ماكان أبوك اسراً سوء . وما كانت أمك نبياً) ذكر كثير من السلف ممن ينقل عن أهل الكتاب أنهم لما افتقدوها من بين أظهرهم ذهبوا في طلبها ففروا على محلها والأتوار حولها فلما واجهوها وجدوا معها ولدها فقالوا لها (يا سرميم لقد جئت شيئاً فريباً) أي اسراً عظيماً منكراً . وفي هذا الذي قاله نظر مع أنه كلام يتقضى أوله آخره وذلك لأن ظاهر سياق القرآن العظيم يدل على أنها حملت بنفسها واثت به قومها وهي تحمله * قال ابن عباس وذلك بعد ما تممت من فاسها بعد أربعين يوماً *

والمقصود أنهم لما رأوها تحمل معها ولدها (قلوا يا سرميم لقد جئت شيئاً فريباً) والفرية هي الفعلة المنكرة العظيمة من الفضائل والمقال ثم قالوا لها (ياأخت هرون) قيل شبهوها بما يد من عباد زماتهم كانت تساميه في العبادة وكان اسمه هرون وقيل شبهوها برجل فاجر في زميلهم اسمه هرون . قاله سعيد بن جبير وقيل أرادوا بهرون أخا موسى شبهوها به في العبادة . واخطأ محمد بن كعب القرظي فزعم أنها أخت موسى وهرون نسباً فان بينهما من الدهور الطويلة ما لا يحصى على أدنى من عنده من العلم ما برده عن هذا القول الفظيخ وكأنه غره أن في التوراة أن سرميم أخت موسى وهرون ضربت بالدف يوم نجا الله موسى وقومه وأغرق فرعون وملاه فاعتقد أن هذه هي هذه وهذا في غاية البطلان والمخالفة للحديث الصحيح مع نص القرآن في قرئانه في التفسير مطولاً والله الحمد والمث . وقد ورد الحديث الصحيح الدال على أنه قد كان لها أخ اسمه هرون وليس في ذكر قصة ولادتها وتحرير أمها لها ما يدل على أنها ليس لها أخ سواها والله أعلم . قال الادم أحمد حدثنا عبد الله بن ادريس سمعت أبي يذكره عن سيك عن عتمة ابن وائل عن المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله ص . إلى نجران فقالوا أرأيت ما قرؤن (ياأخت هرون) وموسى قبل عيسى بكذا وكذا قال فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ص . فقال (ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالانبياء والمصالحين قبلهم) وكذا رواه مسلم والنسائي والترمذي من حديث

عبدالله بن إدريس وقال الترمذى حسن صحيح غريب لانفره إلا من حديثه و في رواية (ألا أخبرتهم أنهم كانوا يتسمون بأسماء صالحهم وأنبيائهم) وذكر قتادة وغيره أنهم كانوا يكثرون من التسمية بهرون حتى قيل إنه حضر بعض جنازهم بشر كثير منهم ممن يسمى بهرون أربون ألفاً فآله أعلم *

والمقصود أنهم قالوا (ياأخت هرون) ودل الحديث على أنها قد كان لها أخ نسبي اسمه هرون وكان مشهوراً بالدين والصلاح والخير ولهذا قالوا (ماكان أبوك امرأ سوء وماكانت أمك نبياً) أى است من بيت هذا شيمتهم ولا سجيتهم لأخوك ولا أمك ولا أبوك فاتهموها بالفاحشة العظمى ورموها بالدهية الدهياء فذكر ابن جرير في تاريخه أنهم اتهموا بها زكريا وأرادوا قتله ففر منهم فلمحقوه وقد انشقت له الشجرة فدخلها وأمسك أبليل بطرف رذائه فنشروه فيها كما قدمنا ، ومن المناقير من اتهمها بن خالما يوسف بن يعقوب النجار فلما ضاق الحلال وانحصر المجال وامتنع القتال عظم التوكل على ذى الجلال ولم يبق إلا الاخلاص والاتكال (فأشارت اليه) أى خاطبوه وكلموه فان جوابكم عليه وما تبغون من الكلام لديه . فعندها (قالوا) . من كان منهم جباراً شقياً (كيف نكلم من كان فى المهد صيداً) أى كيف تحيلينا فى الجواب على صبى صغير لا يعقل الخطاب وهو مع ذلك رضيع فى مهده ولا يميز بين محض وزيد وما هذا منك إلا على سبيل التهمك بنا والاستمراء والتقص لنا والازدراء إذ لا تردى علينا قولا نطقيا بل تحيلين فى الجواب على من كان فى المهد صيداً فعندها (قال ابنى عبدالله آتاني الكتاب وجملى نبياً . وجملى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبراً بالذى ولم يجملى جباراً شقياً . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) . هذا أول كلام تقوه به عيسى بن مريم فكان أول ماتكلم به أن (قال ابنى عبدالله) اعترف لربه تعالى بالعبودية وأن الله ربه فتره جناب الله عن قول الظالمين فى زعمهم انه ابن الله بل هو عبده ورسوله وابن أمته ثم برأ أمه مما نسبها اليه الجاهلون وقد فوها به ورموها بسببه بقوله (آتاني الكتاب وجملى نبياً) فان الله لا يعطى النبوة من هو كما زعموا لعنهم الله وقبحهم كما قال تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً) وذلك أن طائفة من اليهود فى ذلك الزمان قالوا إنها حملت به من زنا فى زمن الحيز لعنهم الله فبرأها الله من ذلك وأخبر عنها أنها صديقة وأنخذ وادها نبياً مرسلأ أحد أولى العزم الحسة الكبار ولهذا قال (وجملى مباركا أينما كنت) وذلك أنه حيث كان دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له وتره جنابه عن النقص والسب من أنخاذ الولد والساحبة تعالى وتقدس (وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا) وهذه وظيفة العبيد فى القيام بحق العزيز الحميد بالصلاة والاحسان إلى النطقية بالزكاة وهى تشتمل على طهارة النفوس من الاخلاق الرذيلة وتطهير الأموال الجزيلة بالمطية للمحاييج على اختلاف الاصناف وقرى الاضاف العتقات على الزوجات والارقاء والقرابات وسائر وجوه الطاعات وأنواع القربات . ثم قال (وبراً بالذى

ولم يجعل جباراً شقياً) أى وجافى برأ برالدنى وذلك أنه تأكد حقها عليه لتمحض جهتها إذ لا والد له سواها فسبحان من خلق الإنالمة وبرأها وأعطى كل نفس هداها . (ولم يجعل جباراً شقياً) أى لست بفظ ولا غليظ ولا يصدر منى قول ولا فل ينأى أمر الله وطاعته * (والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبت حياً) . وهذه الاماكن الثلاثة التى تقدم الكلام عليها فى قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام . ثم لما ذكر تعالى قصته على الجلية وبين أمره ووضعه وشرحه قال (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً ما يقول له كن فيكون) كما قال تعالى بعد ذكر قصته وما كان من أمره فى آل عمران (ذلك تلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم * إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين * فن حاجك فيه من بعد ما جاهدك من المسلم قتل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأفسنكم ثم نتهل فنجل لسة الله على الكاذبين * إن هذا هو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله هو العزيز الحكيم * فان تولوا فان الله عليم بالفسدين) * ولهذا لما قدم وفد نجران وكاتوا ستين راكباً يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم ويؤول أمر الجميع إلى ثلاثة هم أشراهم وساداتهم وهم العاقب والسيد وأبو حارثة بن علقمة فجعلوا يناظرون فى أمر المسيح فأنزل الله صدر سورة آل عمران فى ذلك وبين أمر المسيح وابتداء خلقه وخلق أمه من قبله وأمر رسوله بان يباهلهم ان لم يستجيبوا له ويتبعوه فلما رأوا عينيها واذنيتها نكصوا وامتنعوا عن المباهلة وعدلوا إلى المسالمة والمواذعة وقال نائلهم وهو العاقب عبد المسيح يامشعر النصارى لقد علمتم أن محمداً لنى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم أنه ملاعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وأنها للاستئصال منكم ان فعلتم فان كنتم قد آيتم الالف ينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فطلبوا ذلك من رسول الله (ص) وسألوه أن يضرب عليهم جزية وأن يعث معهم رجلا أميناً فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح وقد بينا ذلك فى تفسير آل عمران وسيأتى بسط هذه القضية فى السيرة النبوية إن شاء الله تعالى وبه التمة *

والمقصود أن الله تعالى بين أمر المسيح قال لرسوله (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون) يعنى من أنه عبد مخلوق من امرأة من عباد الله ولهذا قال (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً ما يقول له كن فيكون) أى لا يعجزه شئ ولا يكثره ولا يؤوده بل هو التقدير الضال لما يشاء (إتما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وقوله (إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) هو من تمام كلام عيسى لم فى المنهد أخبرهم أن الله ربه وربهم وإلهه والمهم وأن هذا هو الصراط المستقيم . قال الله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم)

أى فاختلف أهل ذلك الزمان ومن يهدم فيه فن قاتل من اليهود إنه ولد زينة واستمروا على كفرهم وعنادهم وقابليهم آخرون في الكفر فقالوا هو الله وقال آخرون هو ابن الله وقال المؤمنون هو عبد الله ورسوله وابن أمته وكلته ألقاها إلى مريم ، وروح منه وهؤلاء هم الناجون المتأبون المؤيدون المنتصرون ومن خالفهم في شيء من هذه القيود فهم الكافرون الضالون الجاهلون وقد توعدهم العلي العظيم الحكيم العظيم بقوله (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم)

قال البخارى حدثنا صدقة بن الفضل أنبأنا الوليد حدثنا الأوزاعي حدثني عمير بن هاني، حدثني جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت عن النبي (ص) قال (من شهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) قال الوليد حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير عن جنادة وزاد من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء . وقد رواه مسلم عن داود بن رشيد عن الوليد عن جابر ومن طريق أخرى عن الأوزاعي به *

باب بيان آية الله تعالى منزلة عن الولد

قال تعالى في آخر هذه السورة (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً ادّاءً) أى شيئاً عظيماً ومنكرآ من القول وزوراً (تكاد السوات ينظرون منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأً . أن دعوا للرحمن ولداً * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً * إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً * لقد احصاهم وعدم عدأً * وكانهم آتية يوم القيامة فردأً) فيين أنه تعالى لا يبنى له الولد لانه خالق كل شيء . ومالكة وكل شيء . قدير اليه ، خاضع ذليل لديه وجميع سكان السموات والأرض عبيده وهو ربهم لا إله إلا هو ولا رب سواه كما قال تعالى (وجمالوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون * بديع السموات والأرض أى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء . وهو بكل شيء عليم * ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء . فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل * لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) * فيين أنه خالق كل شيء . فكيف يكون له ولد والولد لا يكون إلا بين شيئين متناسبين والله تعالى لا نظير له ولا شبيه له ولا عدل له فلا صاحبة له فلا يكون له ولد كما قال تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) تكرر أنه الواحد الذى لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ولا في افضاله (الصمد) وهو السيد الذى كل في علمه وحكمته ورحمته وجميع صفاته (لم يلد) أى لم يوجد منه ولد

(ولم يولد) أى ولم يتولد عن شئ قبله (ولم يكن له كفواً أحد) أى وليس له عدل ولا مكافئ. بلا مسد قطع النظير المدانى الأعلى والمساوى فاتفق أن يكون له ولد إذ لا يكون الولد إلا متولداً بين شيئين متعادلين أو متقاربين تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً • وقال تبارك وتعالى وتهدس (أ) أهل الكتاب لا تغفلوا فى دينكم ولا تهملوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله ولكنه أنقأها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تهملوا ثلاثة أهموا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافى السموات ومافى الارض وكفى بالله وكيلاً • لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيحشرهم اليه جميعاً • فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفىهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فينذهم عذاباً ليلياً ولا يجردون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً).

ينهى تعالى أهل الكتاب ومن شابههم عن الغلو والاطراء فى الدين وهو مجاوزة الحد فالنصارى لعنهم الله غلوا وأطروا المسيح حتى جاوزوا الحد فكان الواجب عليهم أن يستعدوا أنه عبد الله ورسوله وابن أمته المتدراء البتول التى أحصنت فرجها فبعث الله الملك جبريل اليها ففتح فيها عن أمر الله فتحة حملت منها بولدها عيسى عليه السلام والذى اتصل بها من الملك هى الروح المضافة الى الله إضافة تشرىف وتكريم وهى مخلوقة من مخلوقات الله تعالى كما يقال بيت الله وثيقة الله وعبد الله وكذا روح الله أضيفت اليه تشرىفاً لها وتكريماً. وسمى عيسى بها لانه كان بها من غير أب وهى الكلمة أيضاً التى عنها خلق وبسببها وجد كما قال تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون). وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل له مافى السموات والارض كل له قانتون بدين السموات والارض واذا قضى أمراً فأتى بما يقول له كن فيكون). وقال تعالى (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بلغواهم بضاؤون قول الذين كفروا من قبل قائلهم الله أنى يؤفكون). فآخبر تعالى أن اليهود والنصارى عليهم لعائن الله كل من الفريقين ادعوا على الله شططا وزعموا أن له ولداً تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وأخبر أنهم ليس لهم مستند فيما زعموه ولا فيما اتفقوه الا مجرد القول ومثابهة من سبقهم الى هذه المقالة الضالة تشابهت قلوبهم وذلك أن الفلاسفة عليهم لعنة الله زعموا أن العقل الاول صدر عن واجب الوجود الذى يهبون عنه بقلة الملل والمبدأ الاول وانه صدر عن العقل الاول عقل ثن ونفس وفلك ثم صدر عن الثانى كذلك حتى تناهت العقول الى عشرة والنفس الى تسمة والافلاك الى تسمة باعتبارات فاسدة ذكرها واختيارات باردة أوردوها ولبسط الكلام معهم وبيان جهلهم وقلة عقولهم موضع آخر. وهكذا طوائف من مشركى العرب زعموا لجهلهم أن الملائكة بنات الله وانه صاهر سروات الجن فزولدهن من الملائكة تعالى الله عما

يقولون وتنزه عما يشركون كما قل تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنا أنما خلقنا الملائكة إنا أنما
ستكتب شهادتهم ويسألون) وقال تعالى (فاستنتمهم الربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة إنا أنما
وم شاهدون إلا منهم من إفكهم ليقولون ولد الله وأنهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين مالك
كيف تحكمون أفلاتنكرون أم لكم سلطان مبين . فأتوا بكتابتكم إن كنتم صادقين . وجعلوا بينه وبين
الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إتهم محضرون سبحانه الله عما يصفون إلا عباد الله المحضين) . وقال تعالى
﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرهون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم
وما خلفهم ولا يشعرون إلا لمن أرتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك
نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾ . وقال تعالى في أول سورة الكهف وهي مكية (الحمد لله الذي
أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قبيها لينذر بأسا شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات أن لهم أجرا حسنا ما كثر في أبدأ . وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا
لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) . وقال تعالى ﴿قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه
هو الغفنى له ما فى السموات وما فى الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون قل
إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع فى الدنيا ثم ألينا سر جهنم ثم نذيقهم العذاب الشديد
بما كانوا يكفرون﴾ فهذه الآيات السكيات الكريكات تشمل الرد على سائر فرق الكفرة من الفلاسنة
ومشركى العرب واليهود والنصارى الذين ادعوا وزعموا بلا علم أن الله ولدا سبحانه وتعالى عما يقول
الظالمون المعتدون علوا كبيرا .

ولما كانت النصارى عليهم لعنة الله المتتابعة الى يوم القيامة من أشهر من قال بهذه المقالة ذكروا
فى القرآن كثيرا الرد عليهم وبيان تناقضهم وقلة علمهم وكثرة جهلهم وقد تنوعت اقوالهم فى كفرهم
وذلك أن الباطل كثير التشعب والاختلاف والتناقض « وأما الحق فلا يختلف ولا يضطرب . قال الله
تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) . فدل على أن الحق يتحد ويتفق والباطل
يختلف ويضطرب . فطائفة من ضلالهم وجهلهم زعموا أن المسيح هو الله تعالى وطائفة قالوا هو ابن الله
عز الله وطائفة قالوا هو ثالث ثلاثة جل الله . قال الله تعالى فى سورة المائدة (لقد كفر الذين قالوا إن
الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى
الأرض جميعا والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شىء قدير) . فخبير
تعالى عن كفرهم وجهلهم وبين أنه الخالق القادر على كل شىء المتصرف فى كل شىء وأنه رب كل شىء
ومليكه والهـ . وقال فى أواخرها (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح
يعنى اسراييل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وأما النار وما للظالمين

من أنصار . لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله الا إله واحد وان لم يتنوها عما يقولون ليسن الذين كفروا منهم عذاب اليم . أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم . ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كأننا يا كلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون) حكم تعالى بكفرهم شرعا وقدراً فلخبر أن هذا صدر منهم مع أن الرسول اليهم هو عيسى بن مريم قد بين لهم أنه عبد مرئوب مخلوق مصور في الرحم دافع الى عبادة الله وحده لا شريك له وتوعدم على خلاف ذلك بالنار وعدم الفوز بدار القرار والخزى في الدار الآخرة والمهوان والمآل ولهذا قال (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) ثم قال (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله الا إله واحد) قال ابن جرير وغيره المراد بذلك قولهم بالاقايم الثلاثة . أقنوم الاب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الاب الى الابن على اختلافهم في ذلك ما بين المالكية واليعقوبية والنسطورية عليهم لما أن الله كما سنبين كيفية اختلافهم في ذلك ومجامهم الثلاثة في زمن قسطنطين بن قسطنس وذلك بعد المسيح بثلاثمائة سنة وقبل البعثة المحمدية بثلاثمائة سنة ولهذا قال تعالى (وما من إله الا إله واحد) أى وما من إله الا الله وحده لا شريك له ولا نظير له ولا كفوء له ولا صاحبة له ولا ولد ثم توعدم وتهدم فقال (وان لم يتنوها عما يقولون ليسن الذين كفروا منهم عذاب اليم) ثم دعاهم برحمته وطفه الى التوبة والاستغفار من هذه الامور السكار والبطائم التي توجب النار فقال (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) ثم بين حال المسيح وامه وانها عبد رسول وأمه صديقة أى ليست بفاجرة كما يقوله اليهود لمنهم الله وفيه دليل على أنها ليست بنبية كما زعمه طائفة من علمائنا وقوله (كأننا يا كلان الطعام) كناية عن خروجه منهما كما يخرج من غيرهما اى ومن كان بهذه المثابة كيف يكون لها تعالى الله عن قولهم وجهلهم علوا كبيرا * وقال السدى وغيره المراد بقوله لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة زعمهم في عيسى وأمه أنها الالهان مع الله يعنى كما بين تعالى كفرهم في ذلك بقوله في آخر هذه الدورة الكريمة (واذا قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذونى وأمى المين من دون الله . قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلت فقد عفتنى تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وانت على كل شئ شهيد . لمن تلبسهم قائم عبادك وان تنفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) . يخبر تعالى أنه يسأل عيسى بن مريم يوم القيامة على سبيل الاكرام له والتفريع والتوبيخ لما بدى به ممن كذب عليه واقترى وزعم أنه ابن الله أو أنه الله أو أنه شريكه تعالى الله عما يقولون فيسأله وهو يعلم أنه لم يقع منه ما يسأله عنه ولكن لتوبيخ من كذب عليه فيقول له (أنت قلت للناس اتخذونى وأمى المين من دون الله قال سبحانك) أى تعاليت أن يكون ملك شريك

(ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) أى ايس هذا يستحقه أحد سواك (وان كنت فته فقد علمته
 تعلم ما في نفسى ولا أعلم ما في نفسك انك أنت حلام النيوب) . وهذا تأدب عظيم في الخطاب والجواب
 (ماقلت لهم إلا ما أمرتني به) حين أرسلتني اليهم وأنزلت على الكتاب الذى كان يتلى عليهم ثم نسر
 ماقل لهم بقوله (أن أعبدوا الله ربي وربكم) أى خالقي وخالقكم ورازقي ورازقكم (وكنت عليهم
 شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتني) أى رفعتني اليك حين أزدوا تخلى وصلبى فرحتنى وخلصتني منهم
 والقيت شيبى على أحدهم حتى اتعدوا . فلهذا كان ذلك (كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ
 شهيد) . ثم قال على وجه التفويض الى الرب عزوجل والتبىرى من أهل النصرانية (إن تعذبهم فاعذبهم
 عبادك) أى وهم يستحقون ذلك (وان تعف لهم فإناك أنت العزيز الحكيم) . وهذا التفويض والاسناد
 الى المشيئة بالشرط لا يقتضى وقوع ذلك ولهذا قال (فانك أنت العزيز الحكيم) ولم يقل التفود الرحيم
 وقد ذكرنا في التفسير ما رواه الامام احمد عن أبى ذر ان رسول الله (ص) قال بهذه الآية الكريمة
 ليلة حتى أصبح (إن تعذبهم فاعذبهم عبادك وان تعف لهم فإناك أنت العزيز الحكيم) وقال لى سألت
 ربي عز وجل الشفاعة لانتى فأعطانيها وهى نائلة إن شاء الله تعالى لمن لا يشرك بالله شيئا . وقال (وما
 خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين . لو أردنا أن نتخذ لهم آياتنا من دنا إن كنا قاعلين بل نخفف
 بالحق على الباطل فيدمته فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون . وله من فى السموات والارض ومن
 عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون) وقال تعالى (لو
 أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار . خلق السموات والارض
 بلحق بكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو
 العزيز الغفار) . وقال تعالى قل إن كان للرحمن ولد فآنا أول العابدين سبحانه رب السموات والارض
 رب العرش عما يصفون) وقال تعالى (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك
 ولم يكن له ولي من الدل وكبره تكبيرا) وقال تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم
 يكن له كفواً أحد) وثبت فى الصحيح عن رسول الله (ص) أنه قال يقول الله تعالى (شفى ابن آدم
 ولم يكن له ذلك يزعم أن لى ولدا وأنا الاحد الصمد الذى لم آله ولم أولاد ولم يكن لى كفوا أحد) وفى
 الصحيح أيضا عن رسول الله (ص) أنه قال لأحد أصبر على اذى سمى من الله بهم يجعلون له ولدا
 وهو برزقهم ويمافهم ولكن ثبت فى الصحيح أيضا عن رسول الله (ص) أنه قال إن الله يبلى الظالم
 حتى اذا أخذه لم يقته) ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذهم ليم شديد)
 وعكنا قوله تعالى (وكان من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها والى المصير) وقال تعالى (نتهمهم
 قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) وقال تعالى (قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون

متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم ندينهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقال تعالى (فهل الكافرون
أهلهم رويدا) *

نشأة عيسى بن مريم عليه السلام وبيان أصوله من الله تعالى

قد تقدم أنه ولد بيت لحم قريبا من بيت المقدس وزعم وهب بن منبه أنه ولد بمصر وان مريم
سافرت هي ويوسف بن يعقوب النجار وهي راكبة على حمار ليس بينهما وبين الأوكاف شئ وهذا
لا يصح والحديث الذي تقدم ذكره دليل على أن مولده كان بيت لحم كما ذكرنا ومهما عارضه فباطل
وذكر وهب بن منبه أنه لما ولد خرت الاصنام يومئذ في مشارق الأرض ومغاربها وان الشياطين
حارت في سبب ذلك حتى كشف لهم ابليس الكبير أمر عيسى فوجدوه في جبرامه والملائكة عذقة
به وانه ظهر نجم عظيم في السماء وأن ملك الفرس اشفق من ظهوره فسأل الكهنة عن ذلك فقالوا هذا
لمولد عظيم في الأرض فيبعث رسله ومهم ذهب وروبيان هدية الى عيسى فذا قدموا الشام سألهم ملكها
عما أقدمهم فذكروا له ذلك فسأل عن ذلك الوقت فاذا قد ولد فيه عيسى بن مريم بيت المقدس واشتهر
أمره بسبب كلامه في المهدي فإرسلهم اليه بما معهم وأرسل معهم من يعرفه ليهيئوا له القتل اذا انتمروا
عنه فلما وصلوا الى مريم بالهدايا ورجعوا قبل لها ان رسل ملك الشام انما جاؤا ليقتلوا ولذالك فاحتلته
فذهبت به الى مصر فاقامت به حتى بلغ عمره اثنتي عشرة سنة وظهرت عليه كرامات ومعجزات في
حال صغره * فذكر منها أن الدهقان الذي تزواعه ائتمده افتقد مالا من داره وكانت داره لا يسكنها الا الفقراء
والضعفاء والمهاجرين فلم يدر من أخذه وعز ذلك على مريم عليها السلام وشق على الناس وعلى رب المنزل
بأعيام أمرها فلما رأى عيسى عليه السلام ذلك عمد الى رجل اعمى وآخر مقعد من جملة من هو منقطع
اليه فقال للاعمى احمل هذا المقعد واتهب به فقال إني لأستطيع ذلك فقال لي كما فعلت أنت وهو حين
أخذ تما هذا المال من تلك السكوة من الدار فلما قال ذلك صدقنا فلما قال وأتيا بالمال فمطمع عيسى في أعين
الناس وهو صغير جداً

ومن ذلك أن ابن الدهقان عمل ضيافة للناس بسبب ظهور أولاده فلما اجتمع الناس وأطمعهم
ثم أراد أن يسقيهم شرابا يعني خمرآ كما كانوا يصنعون في ذلك الزمان لم يجد في جواره شيئاً فشق ذلك
عليه فلما رأى عيسى ذلك منه قام فجلس يمر على تلك الجرار ويمر يده على أفواهها فلا يضل بجرة منها
ذلك إلا امتلأت شرابا من خيار الشراب * فمجب الناس من ذلك جداً وعظموه وعرضوا عليه

وعلى أمه مالا جزيلاً فلم يقبله وارتملا قاصدين بيت المقدس والله أعلم *

وقال اسحاق بن بشر أبانا عثمان بن ساج وغيره عن موسى بن وردان عن أبي نضرة عن أبي سعيد وعن مكحول عن أبي هريرة قال إن عيسى بن مريم أول ما أطلق الله لسانه بعد الكلام الذي تكلم به وهو طفل فجدد الله تمجيداً لم تسمع الأذان بمثله لم يدع شمساً ولا قراً ولا جبلاً ولا نهراً ولا عيناً إلا ذكره في تمجيدته فقال (اللهم أنت القريب في علوك المتعال في دنوك الرفيع على كل شيء من خلقك . أنت الذي خلقت سبباً في الهواء بكلماتك مستويات طباقاً اجبين وهن دخان من فرقك فاتين طائفت لأمرك فهن ملائكتك يسبحون قدسك لتحمديسك وجعلت فهن نوراً على سواد الظلام وضياء من ضوء الشمس بالتهار وجعلت فهن الرعد المسبح بالحمد فيمركك يجلو ضوء ظلمتك وجعلت فهن مصابيح تهدي بهن في الظلمات الحية إن فتباركت اللهم في مفطور سمواتك وفيما دحوت من أرضك دحوتها على الماء فسمكتها على تيار الموج الفامر فاذلتها اذلال التظاهر فذل لطاعتك صعبها واستحي لامرك أمرها وخضمت لمرتك أمواجها فقجرت فيها بعد البحور النهار ومن بعد النهار الجداول الصغار ومن بعد الجداول ينابيع العيون الفزار . ثم أخرجت منها النهار والاشجار والثمار ثم جعلت على ظهرها الجبال فوندتها أوتادا على ظهر الماء فطاعت أطوادها وجردوها فتباركت اللهم فن يبلغ بعتك أنت من يبلغ بعتك صفتك تنشر السحاب وتفك الرقاب وتقضي الحق وأنت خير الفاصلين لا إله إلا أنت سبحانك أمرت أن نستغفرك من كل ذنب لا إله إلا أنت سبحانك سترت السموات عن الناس لا إله إلا أنت سبحانك إنما يشاك من عبادك الا كياس نشهد أنك لست بالله استحدثناك ولارب يبيد ذكره ولا كان ملك شركاء فندعهم ونذكرك ولا أعانك على خلقنا أحد فثقتك فيك نشهد أنك أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لك كفوا أحد)

وقال اسحاق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك بن ابن عباس إن عيسى بن مريم أمسك عن الكلام بعد أن كلمهم طفلاً حتى بلغ ما يبلغ الثمان ثم انطقه الله بعد ذلك الحكمة والبيان فأكثر اليهود فيه وفي أمه من القول وكانوا يسمونه ابن البنية وذلك قوله تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً) قال فلما بلغ سبع سنين أسلمته أمه في الكتاب فجعل لا يعلمه المعلم شيئاً الا بدهه اليه فعلمه أباجاد فقال عيسى ما أبوجاد فقال المعلم لأدرى فقال عيسى كيف تعلمنى مالا تدرى فقال المعلم اذا فعلنى فقال له عيسى قم من مجلسك قمام فجلس عيسى مجلسه فقال سلفى فقال المعلم ما أبوجاد فقال عيسى (الالف آلا . الله . والياء بهاء الله والجيم بهجة الله وجماله) فعجب المعلم من ذلك فكان أول من فسر أباجاد . ثم ذكر أن عثمان سأل رسول الله (ص) عن ذلك فاجابه على كل كلمة بمحدث طويل موضوع

لا يسأل ولا يتهدى وهكذا روى ابن عدى من حديث اسماعيل بن عياش عن اسمعيل بن يحيى عن ابن أبي مليكة عن حده عن ابن مسعود وعن مسعر بن كدام عن عطية عن أبي سعيد رفع الحديث في دخول عيسى الى الكتاب وتلميذه المعلم معنى حروف أبي جاد وهو مطول لا يفرح به * ثم قال ابن عدى وهذا الحديث باطل بهذا الاسناد لا يرويه غير اسمعيل وروى ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة قال كان عبد الله بن عمر يقول (كان عيسى بن مريم وهو غلام يلعب مع الصبيان فكان يقول لاحدم تريد أن أخبرك ماخبأت لك أمك فيقول نعم فيقول خبأت لك كذا وكذا فيذهب الغلام منهم الى أمه فيقول لها أطمعيني ماخبأت لى فتقول وأى شى خبأت لك فيقول كذا وكذا فتقول له من أخبرك فيقول عيسى بن مريم فقالوا والله لئن تركتم هؤلاء الصبيان مع ابن مريم لينسلبهم جمعهم في بيت وألقوا عليهم فخرج عيسى يلتمسهم فلم يجدهم فسمع ضوضاهم في بيت فسأل عنهم فقالوا إنما هؤلاء قردة وخنازير فقال اللهم كذلك فكانوا كذلك رواه ابن عساكر.

وقال اسحق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال وكان عيسى يرى المعجائب في صباه الهاما من الله ففشا ذلك في اليهود وترعرع عيسى فهمت به بنو اسرائيل فخافت أمه عليه فوحي الله الى أمه أن تنطلق به الى أرض مصر فذنت قوله تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويتاهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) *

وقد اختلف السلف والمفسرون في المراد بهذه الربوة التي ذكر الله من صفتها أنها ذات قرار ومعين وهذه صفة غريبة الشكل وهى أنها ربوة وهو المكان المرتفع من الأرض الذى أعلاه مستو يقر عليه وارتفاعه متسع ومع علوه فيه عيون الماء معين وهو الجارى السارح على وجه الأرض قبيل المراد المكان الذى ولدت فيه المسيح وهو نحلة بيت المقدس ولهذا (ناداها من نحصا الأبحر حتى قد جعل ربك تحتك سرىا) وهو النهر الصغير في قول جمهور السلف * وعن ابن عباس باسناد جيد أنها أنهار دمشق فلعله أراد تشبيه ذلك المكان بنهار دمشق * وقيل ذلك بمصر كما زعمه من زعمه من أهل الكتاب ومن تلقاه عنهم والله أعلم . وقيل هى الرملة . وقال اسحق بن بشر قال لنا ادريس عن جده وهب بن منبه قال إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة أمر الله أن يرجع من بلاد مصر الى بيت ايليا قال قدم عليه يوسف بن خال أمه فحملها على حمار حتى جاء بهما إلى ايليا وأقام بها حتى أحدث الله له الإنجيل وعلمه التوراة وأعطاه احياء الموتى وبراء الأستقام والمعلم بالغيوب مما يدخرون في بيوتهم وتحدث الناس بقدمه وفزعوا لما كان يأتي من المعجائب فحملوا يعجبون منه فدعاهم الى الله ففشا فيهم أمره .

بيان نزول زكيت الليرة وموافقها

قال أبو زرعة الدمشقي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن حنيفة قال (أنزل التوراة على موسى في ست ليال خلون من شهر رمضان * ونزل الزبور على داود في اثني عشر ليلة خلت من شهر رمضان . وذلك بسد التوراة بلا مائة سنة واثنين وثمانين سنة . وأنزل الأنجيل على عيسى بن مريم في ثمانية عشرة ليلة خلت من رمضان بعد الزبور بثلث عام وخمسين عاماً وأنزل الفرقان على محمد (ص) في أربع وعشرين من شهر رمضان وقد ذكرنا في التفسير عند قوله (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) الأحاديث الواردة في ذلك وفيها أن الأنجيل أنزل على عيسى بن مريم عليه السلام في ثمان عشرة ليلة خلت من شهر رمضان *

وذكر ابن جرير في تأريخه أنه أنزل عليه وهو ابن ثلاثين سنة ومكث حتى رجع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة كإساقى يانه أن شاء الله تعالى . وقال اسحاق بن بشر وأبنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ومقاتل عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة قال أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم (يا عيسى جدد في أمري ولا تهين واسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول أنك من غير مخل وأنا خلقتك آية للعالمين ابني فاعبد وعلى فتوكل خذ الكتاب بقوة فسر لاهل السراية بلغ من بين يديك إنى أنا الحق الحى اتمام الذي لازول صدقوا النبي الامي العربي صاحب الجبل والتاج (وهي العمارة) والمدرة والتملين والمرارة (وهي القضب) الأنجيل السنين الصلت الجبين الواضح الخدين الجمد الرأس الكت اللحية القرون الحاجبين الاتقى الأنف المفلج الثنايا الياض المنقعة الذي كان عمته ابريق فضة وكان الذهب يجرى في تراقيه له شعرات من لبته إلى سرتة يجرى كقضب ليس على بطنه ولا على صدره شعر غيره شئ الكف وأقدم إذا التفت التفت جميعاً وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صلب عركه في وجهه كالقؤلور وريح المسك تنفخ منه ولم ير قبله ولا بعده مثله ، الحس القامة الطيب الريح نكاح النساء ذا النسل القليل اما نسله من مباركة لها بيت يعنى في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب تكفله يا عيسى في آخر الزمان كما كفل زكريا أمك له منها فرخان مستهذان وله عندي منزلة ليست لأحد من البشر . كلامه القرآن ودينه الاسلام وانا السلام طوبى لمن أدرك زمانه وشهد أيامه وسمع كلامه *

بيان شجرة طوبى ناهى

قال عيسى يارب وما طوبى قال (غرس شجرة أنا غرستها يدي ففى الجنان كلها أصلها من رضوان وماؤها من تسنيم وبردها برد الكافور وطعمها طعم الزنجبيل وريحها ريح المسك من شرب منه شربة لم

يظناً بسدها أبداً) قال عيسى يارب استغنى منها قال (حرام على النبيين أن يشربوا منها حتى يشرب
 ذلك النبي وحرام على الأمم أن يشربوا منها حتى يشرب منها أمة ذلك النبي) قال يا عيسى ارفك
 إلى قال رب ولم ترفعني قال (أرضك ثم اهبطك في آخر الزمان لترى من أمة ذلك النبي المنجائب
 ولتعينهم على قتال للعين النجبال أهبطك في وقت صلاة ثم لا تصلى بهم لأنها مرحومة ولا نبي بسد
 نبيهم) وقال هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه أن عيسى قال يارب انبثق
 عن هذه الأمة المرحومة قال أمة أحد هم علماء حكماهم كأنهم انبياء يرضون مني بالقليل من العطاء وأردني
 منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله . يا عيسى هم أكثر سكان الجنة لأنه لم تذل السن قوم
 قط بلا إله إلا الله كاذلت الستمهم ولم تذل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت به رقابهم) رواه ابن عساكر
 وروى ابن عساكر من طريق عبد الله بن يزيد العمري عن عبد الله بن عوسجة قال أوحى الله إلى عيسى
 ابن مريم (أتراني من نفسك كهك واجلني ذخراً لك في ماداك وتقرب إلى بالتواقل أجرك ولا تول
 غيري فأخذك أصبر على البلاء وارض بالقضاء وكن لمسرفي فيك فان مسرفي أن أطاع فلا أعصى وكن
 مني قريباً وأحى ذكرى بلسانك وتكن مودتي في صدرك تيقظ من ساعات الغفلة واحكم في لطيف
 الغفلة وكن لي راعياً راعياً وأمت قلبك في الخشية لي وراع الليل لحق مسرفي واطم نهارك ليوم
 الرى عندي ناقس في الطيرات جهنك واعترف بالخير حيث توجهت وقم في الخلائق بتصيحتي واحكم
 في عبادي ببدلي فقد أنزلت عليك شفاء وسواس الصدور من مرض النسيان وجلاء الابصار من غشا
 الكلال ولا تكن حلساً كأنك مقبوض وأنت حى تنفس * يا عيسى بن مريم ما آمنت بي خليفة إلا
 خشمت ولا خشمت لي إلا رجعت ثوابي فأشهدك أنها امة من عتابي ما لم تقبر أو تبدل سنتي * يا عيسى
 ابن مريم البكر البتول اهلك على نفسك أيام الحياة بكاء من ودع الأهل وقل الدنيا وترك الذات لاهلها
 وارقت رغبته فيما عند إلهه وكن في ذلك تلين الكلام وتشتي السلام وكن يقظان إذا نمت عيون
 الأبرار حذار ما هو ات من أمر المهاد وزلازل شدايد الاهوال قبل أن لا ينفع أهل ولا مال واكمل
 عينك بحلول الحزن إذا ضحك البطالون وكن في ذلك صابراً محتسباً وطويلاً لك ان تلك ما وعدت الصابرين
 رح من الدنيا بالله يوم ويوم وفق مذاقة ما قد حرب منك أين طمه : ما لم يأتك كيف لفته فرح من
 الدنيا بليلة وليكنك منها الخش الجيب قد رأيت الى ما يصير اعمل على حساب فانك مسؤل لو رأيت
 عينك ما أعدت لا ولياً الصالحين ذاب قلبك وزهقت نفسك *

وقال أبو داود في كتاب القدر حدثنا محمد بن يحيى بن فارس حدثنا عبد الرزاق حدثنا مسر
 عن الزهري عن ابن طاووس عن أبيه قال لقي عيسى بن مريم ابليس فقال أما علمت أنه لن يصيبك
 إلا ما كتب لك قال ابليس طروق بندرة هذا الجبل فتردى منه فانظر هل تقيس أم لا قال ابن طاووس

عن أيه . فقال عيسى أما عدت أن الله قال (لا يجربني عبدي فاني أفضل ماشئت) وقال الزهري إن
المبدلأ ينبتل ربه ولكن الله يتلى عبده . قال أبو داود حدثنا أحمد بن عبدة أنبأنا سفيان عن عمرو عن
طاروس قال أتى الشيطان عيسى بن مريم فقال ليس تزعم أنك صادق فأنت هرة فألق نفسك قال ويلك
أليس قال يا ابن آدم لا تسألني هلاك نفسك فاني أفضل ما أشاء * وحدثنا أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا
حسين بن طلحة سمعت خالد بن يزيد قال . تعبد الشيطان مع عيسى عشرين أو ستين اقام يوماً على شفير
جبل فقال الشيطان أرأيت ان القيت نفسك هل يصيبني إلا ما كتب لي قال . اني لست بالذي ابتلي ربي
ولكن ربي إذا شاء ابتلاي وعرفه أنه الشيطان ففارقه . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا شرح بن
يونس حدثنا علي بن ثابت عن الخطاب بن القاسم عن أبي عثمان قال كان عيسى عليه السلام يصلي على
رأس جبل قائم ابليس فقال أنت الذي تزعم أن كل شيء بقضاءه وقدره قال نعم قال أتق نفسك من هذا
الجبل وقل قدر على فقال يا لعين الله يختبر العباد وليس العباد يختبرون الله عز وجل . وقال أبو بكر بن
أبي الدنيا حدثنا الفضل بن موسى البصرى حدثنا ابراهيم بن بشار سمعت سفيان بن عيينة يقول لقي
عيسى بن مريم ابليس فقال له ابليس يا عيسى بن مريم الذي بلغ من عظم ربوبيتك انك تكلمت في
المهد صبياً . ولم يتكلم فيه أحد قبلك قال بل الربوبية لله الذي اطلقني ثم يميتني ثم يحييني قال فانت
الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تحي الموتى قال بل الربوبية لله الذي يحيى ويميت من أحييت ثم
يحييه قال والله إنك لاله في السماء والآه في الارض قال فضكه جبريل صكته بجناحيه فسا بناها دون
قرون الشمس ثم صكه اخرى بجناحيه فا بناها دون العين الحامية ثم صكه اخرى فادخله بحمار السابعة
فاساخه وفي رواية فاسلكه فيها حتى وجد طعم الحماة فخرج منها وهو يقول ما لقي احد من احد مالقيت
منك يا ابن مريم * وقد روى نحو هذا بأبسط منه من وجه آخر فقال الحافظ أبو بكر الخطيب اخبرني
ابوالحسن بن رزقويه انبأنا أبو بكر احمد بن سبدي حدثنا أبو محمد الحسن بن علي القطان حدثنا اسماعيل
ابن عيسى العطار انبأنا علي بن عاصم حدثني ابو سلمة سويد عن بعض أصحابه قال صلى عيسى بيت
القدس فافصرف فلما كان ببعض المقبة عرض له ابليس فاحتبسه فجعل يمرض عليه ويكلمه فيقول له
انه لا ينبغي لك ان تكون عبداً فاكثر عليه وجعل عيسى يحرص على ان يتخلص منه فجعل لا يتخلص
منه فقال له فيما يقول لا ينبغي لك يا عيسى ان تكون عبداً قال فاستغاث عيسى بربه فاقبل جبريل وميكائيل
فلما رآهما ابليس كف فلما استقر معه على المقبة اكتنفا عيسى وضرب جبريل ابليس بجناحه فقتل في
بطن الوادي قال فناد ابليس معه وعلم أنهما لم يؤصرا بنير ذلك فقال لعيسى قد اخبرتك انه لا ينبغي ان
تكون عبدا ان غضبك ليس بغضب عبد وقد رأيت مالقيت منك حين غضبت ولكن ادعوك لامر هو
لك أمر الشياطين فليطيعوك فاذا رأى الشر أن الشياطين اطاعوك عبدوك اما اني لا اقول ان تكون

إله ليس معه إله ولكن الله يكون إلهاً في السماء وتكون أنت إلهاً في الأرض فلما سمع عيسى ذلك منه استغاث بربه وصرخ صرخة شديدة فاذا اسرافيل قد هبط فنظر اليه جبريل وميكائيل فكف ابليس ذماً استقر معهم ضرب اسرافيل ابليس بجناحه فصك به عين الشمس ثم ضربه ضربة أخرى فاقتبل ابليس يهوى ومر عيسى وهو بمكانه فقال يا عيسى لقد لقيت فيك اليوم تمباً شديداً فرمى به في عين الشمس فوجد سبعة املاك عند العين الحامية قال فظوه فحمل كلاً من ربح غطوه في تلك الحماة قال والله ما عاى اليه بعد . قال وحدثنا اسماعيل المطار حدثنا أبو حذيفة قال واجتمع اليه شياطينه فقالوا سيدنا قد لقيت تمباً قال إن هذا عبده معصوم ليس لي عليه من سبيل وسأضرب به بشراً كثيراً وابت فيهم اهواء مختلفة فواجبهم شياً ويحبولونه وأمه الهين من دون الله قال وأنزل الله فينا أيده عيسى وعصمه من ابليس قرآناً ناطقاً يذكر نعمته على عيسى فقال (يا عيسى بن مريم اذ كرمعتى عليك وعلى والدتك اذ أبدت لك روح القدس) يعنى اذ قويتك بروح القدس يعنى جبريل (تسكلم الناس في المهد وكهلا واذا علمت لك السكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذا نخلق من الطين كهيئة الطير) الآية كلها واذا جعلت المساكين لك بطانة وصحابة واعواناً ترضى بهم وصحابة واعواناً يرضون بك هادياً وقائداً الى الجنة فذلك فاعلم خلقان عظيمان من لقيت بهما فقد لقيت بازكى الخلائق وارضاهما عندى وسيقول لك بنو اسرائيل صننا فلم يتقبل صيامنا وصلينا فلم يقبل صلاتنا وتصدقنا فلم يقبل صدقاتنا وبكىنا بمثل حنين الجبال فلم يرحم بكاءنا قتل لهم ولم ذلك وما الذى يعنى إن ذات يدي قلت أو ليس خزائن السموات والأرض يردى افق منها كيف أشاء وان البخل لا يمتدنى أو لست أجود من سأل وأوسع من اعطى أو ان رحمتى ضاقت وانما يتراحم المتراحمون بفضل رحمتى ولو لأن هؤلاء القوم يا عيسى بن مريم عدوا أنفسهم بالحكمة التى تورث في قلوبهم ما استأثروا به الدنيا أثره على الآخرة لمر فوا من أين أتوا واذاً لا يقنوا ان أنفسهم هى أعدى الاعداء لهم وكيف اقبل صيامهم وهم يتقنون عليه بالاطمة الحرام وكيف اقبل صلاتهم وقلوبهم تركن الى الذين يماربون ويستحلون محارمى وكيف اقبل صدقاتهم وهم يفضبون الناس عليها فيأخذونها من غير حلها يا عيسى انما أحزنى عليها أهلها وكيف أرحم بكاءهم وأيديهم تقطر من دماء الانبياء ازددت عليهم غضبا * يا عيسى وقضيت يوم خلقت السموات والأرض أنه من عبدنى وقال فيكأ بقولى أن أجعلهم جيرانك فى الدار ورقائقك فى المنازل وشركاءك فى الكرامه وقضيت يوم خلقت السموات والأرض أنهم من أخذك وامك الهين من دون الله أن أجعلهم فى الدرك الاسفل من النار وقضيت يوم خلقت السموات والأرض أنى مثبت هذا الامر على يدي عبدى محمد وأختم به الانبياء والرسل ومولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يترز بالفحش ولا قوال بلغنا أسدده لكل أمر جميل واهب له كل خلق كريم واجل التقوى ضيره والحكم معقوله والوفاء طبيعته والعدل سيرته والحق شريعته والاسلام ملته اسمه أحمد أهدي به بعد

الضلالة وأعلم به بعد الجهالة واغنى به بعد المائلة وارضع به بعد الضيعة أهدي به وافتح به بين آذان صم وقلوب غاف وأهواء مختلفة متفرقة أجمل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر إخلاصاً لاسمي وتصديقاً لما جاءت به الرسل المهم التمديح والتعديس والتهليل في مساجدهم ومجالسهم وبيوتهم ومنقلبهم ومثواهم يصلون لي قياماً وتموداً وركعاً وسجوداً ويقفون في سبيل صفوفاً وزخرفاً قرباتهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم وقربانهم في بطونهم رهبان بليل ليوث في النهار ذلك فضلي أرتيه من اشاء وانا ذو الفضل العظيم .

وسند كرم ما يصفق كثيراً من هذا السياق ما سنورده من سورتي المائدة والصف إن شاء الله وبه الثقة وقد روى أبو حذيفة اسحق بن بشر باسانيد عن كعب الاحبار ووهب بن منبه وابن عباس وسلمان الفارسي دخل حديث بعضهم في بعض قالوا لما بعث عيسى بن مريم وجاءهم بالبينات جبل المناهقون والكافرون من بني اسرائيل يعجبون منه ويسمزؤن به فيقولون ما أكل فلان البارحة وما ادخر في منزله فيخبرهم فيزداد المؤمنون ايماناً والكافرون والمنافقون شكاً وكفراناً وكان عيسى مع ذلك ليس له منزل يأوى اليه انما يسبح في الارض ليس له قرار ولا موضع يعرف به فسكان أول ما أحيا من الموتى أنه مر ذات يوم على امرأة قاعدة عند قبر وهي تبكي فقال لها مالك أيتها المرأة قتلت ماتت ابنة لي لم يكن لي ولد غيرها واني عاهدت ربي أن لا أبرح من موضعي هذا حتى أذوق مذاقت من الموت أو يحياها الله لي فانظر اليها فقال لها عيسى أرايت إن نظرت اليها أراجمة أنت قالت نعم قالوا فصلي ركعتين ثم جاء مجلس عند القبر فنادى باللائحة قومي بأذن الرحمن فالخرجي قال فتحرك القبر ثم نادى الثانية فانصدع القبر بأذن الله ثم نادى الثالثة فخرجت وهي تنفض رأسها من التراب فقال لها عيسى ما أبطأ بك عني فقالت لا جاءني الصيحة الاولى بعث الله لي ملكاً فركب خلقي ثم جاءني الصيحة الثانية فرجم الي روحي ثم جاءني الصيحة الثالثة فحقت أنها صيحة القيامة فشاب رأسي وحاجبي واشغار عيني من حفاة القيمة ثم أقبلت على أمها فقالت يا أماه ما حلك علي ان أذوق كرب الموت مرتين يا أماه أصبري واحسبي فلا حاجة لي في الدنيا ياروح الله وكلته سل ربي أن يردني الى الآخرة وان يهون علي كرب الموت فلما ربه قبضها اليه واستوت عليها الارض فبلغ ذلك اليهود فازدادوا عليه غضباً

وقد منا في عقيب قصة نوح أن بنى اسرائيل سأله أن يحيي لهم سام بن نوح فدعا الله عزوجل وحلى لله فأحياء الله لهم فغضبهم عن السفينة وأمرها ثم دعا فماد تراباً . وقد روى السدي عن أبي صالح وأبي مالك عن ابن عباس في حيز ذكره وفيه أن ملكاً من ملوك بني اسرائيل مات وحمل على سريره فجاء عيسى عليه السلام فدعا الله عزوجل فأحياء الله عزوجل فرأى الناس أمراً هاملاً ومنظراً عجيباً قال الله تعالى وهو أصدق القائلين (أذ قال الله لعيسى بن مريم اذ كر فمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك

روح القدس تسكنكم الذئس في المهد وكهلا واذا سالتك الكتاب ، الحكمة والتوراة والانجيل واذا تخلق
من الطين كهيئة الطير باذنى فتفتح فيها فتكون طيراً بذئ وتبرى الا كه بالابرص باذنى واذا تخرج
الموتى باذنى واذا كفتت بين سرائيل عنك اذ جثتهم بالينبات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الاسحر
مبين واذا اوحيت الى الخواريين ان آمنوا وبرسولى قالوا آمنة واشهد باننا مسلمون . يذكره تعالى
بنصته انه واحسانه اليه فى خلقه ايام من غير آب بل من أم بلا ذكر وجعله له آية للناس ودلالة على كمال
قدرته تعالى ثم ارساله بمد هذا كله (وعلى والدتك) فى اسمائها واختيارها لهذه النعمة العظيمة واقامة
البرهان على براتهما نسبها اليه ابناهم ولهذا قال (اذ ايدتك برو القدس) وهو جبريل بالقاء روحه
الى أمه وقرنه معه فى حال رسالته ومدافسته عنه لمن كفر به (تسكنكم الناس فى المهد وكهلا) أى تدعو
الناس الى الله فى حال صترك فى مهدك زنى كهولتك (واذ علمتك الكتاب والحكمة) أى الخط والفهم
نص عليه بعض السلف (والتوراة والانجيل) وقوله (واذا تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى) أى تصوره
وتشكله من الطين تلى هيئته عن أمر الله له بذلك (تفتح فيه فتكون طيراً باذنى) أى يلمرى يؤكد
تعالى بذكر الاذن له فى ذلك لرفع التورم وقوله (وتبرى الا كه) قل بعض السلف وهو الذى يولد
أعمى ولا سبيل لاحد من الحكماء الى مداواته (والابرص) هو الذى لا طب فيه بل قد مرض بالبرص
وصار داؤه عسالا (واذا تخرج الموتى) أى من قبورهم احياء باذنى وقد تقدم ما فيه دلالة على وقوع
ذلك مرارا متعددة كما فيه كفاية . وقوله (واذا كفتت بين سرائيل عنك اذ جثتهم بالينبات فقال الذين
كفروا منهم ان هذا الاسحر مبين) وذلك حين أرادوا صلبه فرفه الله اليه واخذته من بين أظهرهم
صيانة لجنابه الكريم عن الاذى وسلامة له من الردى وقوله (واذا اوحيت الى الخواريين ان آمنوا بى
وبرسولى قالوا آمنة واشهد باننا مسلمون) قيل المراد بهذا الوسى وحى الهام أى ارشدهم الله اليه ودلهم
عليه كما قال (وأوحى ربك الى النحل وأوحينا الى أم مؤى أن أرضيه فاذا خفت عليه فالتقى فى اليم)
وقيل المراد وحى بواسطة الرسول وتوفيق فى قلوبهم لقبول الحق ولهذا استجابوا قائلين (آمنة واشهد
باننا مسلمون)

وهذا من جملة نعم الله على عبده ورسوله عيسى بن مريم أن جعل له أنصارا واعوانا ينصرونه
ويدعون معه الى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى لعبيده محمد (ص) (هو الذى أيدك بنصره
وبلؤمنين والف بين قلوبهم لو أنقمت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الله بينهم
إنه عزيز حكيم) وقال تعالى (وعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل
أنى قد جعلتكم باية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفتح فيه فيكون طيراً باذنى الله
وابرىء الا كه والابرص واحى الموتى باذنى الله وانبتكم بما تأكلون وتمتخرون فى بيوتكم ان فى

ذلك لا بية لهم إن كنتم مؤمنين وصدقاً لما بين يدي من التوراة ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم
وجبتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعوا الله إن الله ربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما أحس
عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بنا مسلمون
ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين . ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين .

كانت معجزة كل نبي في زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان فذكروا أن موسى عليه السلام كانت
معجزته مما يناسب أهل زمانه وكانوا سحرة أذكى فبث آيات بهرت الابصار وخضعت لها الرقاب
ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينتهي إليه وعابثوا ما عابثوا من الأمر الباهر المائل الذي لا يمكن
صدوره إلا عن أيده الله وأجرى الخارق على يديه تصديقاً له أسلموا سرعاً ولم يتلمسوا وهكذا عيسى
ابن مريم بث في زمن الطاغية الحكياء فرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها وإني لحكيم
إبراهيم الأكمة الذي هو أسوأ حالاً من الأعمى والابرص والمجذوم ومن به مرض مزمن وكيف يتوصل
أحد من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره هذا مما يعلم كل أحد معجزة دالة على صدق من قامت به
وعلى قدرة من أرسله وهكذا محمد (ص) وعليهم أجمعين بث في زمن الفصحاء البلغاء فأنزل الله عليه
القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فلفظه معجز تحدى به
الانس والجن أن يأتيوا بمثله أو بمثل سور من مثله أو ببورة وقطع عليهم بأنهم لا يقدرون لا في الحال
ولا في الاستقبال فان لم يفعلوا ولن يفعلوا وما ذاك إلا لأنه كلام الخالق عز وجل والله تعالى لا يشبهه شيء
لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

والمقصود ان عيسى عليه السلام لما أقام عليهم الحجج والبراهين استمرأ كثرهم على كفرهم وضلالهم
وعنادهم وطمأنهم فانتدب له من بينهم طائفة صالحة فكانوا له أنصاراً واعواناً قاموا بمناجسته ونصرته
ومناجسته وذلك حين هم به بنو اسرائيل ودشوا به إلى بعض ملوك ذلك الزمان فمزموه على قتله وصلبه
فأخذ الله منهم ورفضه إليه من بين أظهرهم والتي شبهه على أحد أصحابه فأخذوه فقتلوه وصدروه وهم يمتقدونه
عيسى وهم في ذلك غالطون وللحق مكابرون وسلم لهم كثير من النصارى ما دعوه وكلا الفريقين في ذلك
مخطئون قال تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) وقال تعالى (وإذ قال عيسى بن مريم يا بني
اسرائيل إني رسول الله اليكم صدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد
فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين . ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى للإسلام والله
لا يهدي القوم الظالمين يريدون ليطغوا نورا لله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) إلى أن قال
بعد ذلك (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال
الحواريون نحن أنصار الله فأمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فابعدنا الذين آمنوا على عدوهم

فأصبحوا ظاهرين) فمضى عليه السلام هو خاتم الأنبياء بنى إسرائيل وقد قلم فيهم خطيئاً فبشرهم بنجاتهم
الأنبياء الآتية بعده ونوه باسمه وذكر لهم صفته ليرفوه ويتابوه إذا شاهدوه إقامة للحجة عليهم واحساناً
من الله إليهم كما قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجيئونه مكنوناً عندهم في التوراة والإنجيل
يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال
التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)

قال محمد بن اسحاق حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله (س)،
أنهم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قل دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت
في كاهن خرج منها نور أضاءت له قصور بصري من أرض الشام . وقد روى عن الرباض بن سارية وأبي
امامة عن النبي (س)، نحو هذا وفيه دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى وذلك ان إبراهيم لما بنى الكعبة قال
(ربنا وابت فيهم رسولا منهم الآية) ولما انتهت النبوة في بنى إسرائيل الى عيسى قام فيهم خطيئاً فأنخبرهم
أن النبوة قد اقطعت عنهم وانها ابده في النبي العربي الامي خاتم الأنبياء على الاطلاق احمد وهو محمد
ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الذي هو من سلالة اسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهم السلام قال الله
تعالى (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) يحتمل عود الضمير الى عيسى عليه السلام ويحتمل
عوده الى محمد (س)، ثم حرض تعالى عباده المؤمنين على فصرة الاسلام واهله وفصرة نبيه ومؤازرته
ومجاورته على اقامة الدين ونشر الدعوة فقال (يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم
للحواريين من أنصاري الى الله أي من ساعدني في الدعوة الى الله (قال الحواريون نحن انصار الله وكان
ذلك في قرية يقال لها الناصرة فسماوا بذلك النصارى قال الله تعالى (فامنت طائفة من بنى اسرائيل
وكفرت طائفة) يعني لما دعا عيسى بنى اسرائيل وغيرهم الى الله تعالى منهم من آمن ومنهم من كفر
وكان ممن آمن به أهل انطاكية بكاملهم فيما ذكره غير واحد من أهل السير والتواريخ والتفسير بمثل
اليهم رسلا ثلاثة أحدهم شمعون الصفا فآمنوا واستجابوا وليس هؤلاء المذكورون في سورة يس لما
تقدم تقريره في قصة أصحاب القرية وكفر آخرون من بنى اسرائيل وهم جمهور اليهود فايد الله من آمن به
على من كفر فيها بسد واصبحوا ظاهرين عليهم قاهرين لهم كما قال تعالى (اذ قال الله يا عيسى ابنى متوفيك
وراضك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة الآية)
فكفل من كان اليه أقرب كان عالياً فن دونه . ولما كان قول المسلمين فيه هو الحق الذي لا شك فيه من
أنه عبد الله ورسوله كانوا ظاهرين على النصارى الذين غلوا فيه واطردوه وانزلوه فوق ما انزله الله به
ولما كان النصارى أقرب في الجملة مما ذهب اليه اليهود عليهم لعائن الله كان النصارى قاهرين لليهود في أزمان
الفترة الى زمن الاسلام واهله .

ذكر خيرة سائرة

قال الله تعالى (اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل نستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها) بلعن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا واية منك وادزقنا وانت خير الرازقين . قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين) قد ذكر في التفسير الآكل الواردة في نزول المائدة عن ابن عباس وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر وغيرهم من السلف ومضمون ذلك أن عيسى عليه السلام امر الحواريين بصيام ثلاثين يوماً فلما أتموها سألوا من عيسى انزال مائدة من السماء عليهم اياكوا منها وتظنن بذلك قلوبهم ان الله قد تقبل صيامهم واجابهم الى طلبهم وتكون لهم عيداً يظفرون عليها يوم فطرمهم وتكون كافية لآلهم واخرهم لتنتهم وقديهم فوعظهم عيسى في ذلك وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها فأبوا عليه الا أن يسأل لهم ذلك من ربه عزوجل فلما لم يقلعوا عن ذلك قام الى مصلاه ولبس مسحا من شعر وصف بين قدميه وأطرق راسه وأسبل عينيه بالبكاء وتضرع الى الله في الدعاء والسؤال أن يجاوبوا الى ما طلبوا فانزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون اليها تنحدر بين غمامتين وجعلت تدنو قليلا قليلا وكما دنت سألت عيسى ربه عزوجل أن يجعلها رحمة لا قسوة وان يجعلها بركة وسلامة فله نزل تدنو حتى استقرت بين يدي عيسى عليه السلام وهي مفضاة بمديل فقام عيسى يكشف عنها وهو يقول (بسم الله خير الرازقين) فاذا عليها سبعة من اللذتان وسبعة أرغفة . ويقال واخل . ويقال ورمان وثمار ولها رائحة عظيمة جدا قال الله لها كوني فكاكت ثم أمرهم بالاكل منها فقالوا الا نأكل حتى نأكل فقال إنكم الذين ابتدأتم السؤال لها فأبوا أن يأكلوا منها ابتداء فامر الفقراء والمحاويج والمرضى والزمنى وكثروا قريبا من الف وثلاثمائة فأكلوا منها فبأكل كل من به عاهة أو آفة أو مرض مزمن فندم الناس على ترك الاكل منها لما رأوا من اصلاح حال أولئك . ثم قيل إنها كانت تنزل كل يوم مرة فيأكل الناس منها يأكل آخرهم كما يأكل أولهم حتى قيل إنها كان يأكل منها نحو سبعة آلاف . ثم كانت تنزل يوما بعد يوم كما كانت تاقه صالح يشربون لبنها يوما بعد يوم . ثم أمر الله عيسى أن يقصرها على الفقراء أو المحاويج دون الاغنياء فشق ذلك على كثير من الناس وتبكم مناقبهم في ذلك فوفت بالسكينة ومسح الذين نكسوا في ذلك خنازير .

وقد روى ابن ابي حاتم وابن جرير جميعا حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا سعيد بن ابي عروة عن قتادة عن خلاص عن عمار بن ياسر عن النبي - قال نزلت المائدة من السماء خبز ولحم وأروا أن لا ينجونوا ولا يدنخوا ولا يرفسوا لندفخاوا وادنخوا ورفسوا ففسخوا قرودة

وخازير ثم رواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبي عسدي عن سعيد عن قتادة عن خلاص عن عمار موقوفا وهذا أصح وكذا رواه من طريق سماك عن رجل من بني عجل عن عمار موقوفا وهو الصواب والله أعلم. وخلاص عن عمار منقطع فلو صح هذا الحديث مرفوعا لكان فيصلا في هذه القصة فإن العلماء اختلفوا في المائدة هل نزلت أم لا فالجمهور أنها نزلت كما دلت عليه هذه الآثار كما هو المفهوم من ظاهر سياق القرآن ولا سيما قوله (أني منزلها عليكم) كما قرره ابن جرير والله أعلم. وقد روى ابن جرير بإسناد صحيح إلى مجاهد وإلى الحسن بن أبي الحسن البصري أنها قال لا تنزل وإنما أبو انزولها حين قال (من يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين). ولهذا قيل إن النصارى لا يرفون خير المائدة وليس مذكورا في كتابهم مع أن خبرها مما يتوفر الدواعي على تله والله أعلم. وقد قصصنا الكلام على ذلك في التفسير فليكتب من هناك * ومن أراد مراجعته فليظنه من ثم والله الحمد والمنة

قصص الأنبياء

قال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا رجل سقط اسمه حدثنا حجاج بن محمد حدثنا أبو هلال محمد بن سليمان عن بكر بن عبد الله المزني قال قد الحواريون بينهم عيسى فقيل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه فلما انتهوا إلى البحر إذا هم بمشي على الماء يرفعه الموج مرة ويضعه أخرى وعليه كساء مرتد نصفه ومؤثر نصفه حتى انتهى إليهم فقال له بعضهم قال أبو هلال ظنت أنه من أفضلهم ألا أجي اليك يا بني الله قال بلى قال فوضع إحدى رجله على الماء. ثم ذهب ليضع الأخرى فقال أوه غرقت يا بني الله فقال أرني يدك يا قصير الإيمان لو أن لابن آدم من اليقين قدر شميرة مشى على الماء. ورواه أبو سعيد ابن الأعرابي عن إبراهيم بن أبي الجحيم عن سليمان بن حرب عن أبي هلال عن بكر بن حرة. ثم قال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن سفيان حدثنا إبراهيم بن الأشعث عن الفضيل بن عياض قال قيل لعيسى بن مريم يا عيسى بأي شيء تمشي على الماء قال بالإيمان واليقين. قالوا فإنا آمننا كما آمنت وأيقنا كما أيقنت قال فامشوا إذا قال فشوا معه في الموج ففرقوا فقال لهم عيسى ما لكم فقالوا خفنا الموج قال ألا خفتم ب الموج قال فأخرجهم ثم ضرب يده إلى الأرض قبض بها ثم بسطها فإذا في إحدى يديه ذهب وفي الأخرى مدر أو حصي فقال أيها أحلى في قلوبكم قالوا هذا الذهب قال فانهما عندي سواء وقدمنا في قصة يحيى بن زكريا عن بعض السلف أن عيسى عليه السلام كان يلبس الشر ويأكل من ورق الشجر ولا يأوى إلى منزل ولا أهل ولا مال ولا يدخر شيئا لئلا يد. قال بعضهم كان يأكل من غزل أمه صلوات الله وسلامه عليه.

وروى ابن عساکر عن الشعبي أنه قال كان عيسى عليه السلام إذا ذكر عنده الساعة صاح ويقول لا ينبغي لابن مريم أن تذكر عنده الساعة ويسكت وعن عبد الملك ابن سعيد بن بحر أن عيسى كان

إذا سمع الموعظة صرخ صراخ الشكلى . وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر حدثنا جعفر بن بلقان أن عيسى كان يقول (اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك دفع ما أرجو وأصبح الأمر يد غيرى وأصبحت مرتبتها بعملى فلا فقير أقر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسؤبى صديقى ولا تجمل مصيبتى فى ديقى ولا تسلط على من لا يرحمنى) . وقال الفضيل بن عياض عن يونس بن عبيد كان عيسى يقول لا نصيب حقيقه الايمان حتى لا نبالى من أكل الدنيا . قال الفضيل وكان عيسى يقول فكرت فى الخلق فوجدت من لم يخلق اغبط عندى ممن خلق . وقال اسحاق بن بشر عن هشام ابن حسان عن الحسن قال إن عيسى رأس الزاهدين يوم القيامة . قال وان الفرارين بذنوبهم يحشرون يوم القيامة مع عيسى قال وبينما عيسى يوما تأم على حجر قد توسده وقد وجد لذة النوم إذ مر به ابليس فقال (يا عيسى أأنت تزعم أنك لا تريد شيئاً من عرض الدنيا فهذا الحجر من عرض الدنيا فقال فأخذ الحجر ورمى به اليه وقال هذا لك مع الدنيا . وقال معتمر بن سليمان خرج عيسى على أصحابه وعليه جبة صوف وكساء وتبان حافيا با كيا شعماً مصفر اللون من الجوع يابس الشفتين من العطش قال السلام عليكم يا بنى اسرائيل أنا الذى انزلت الدنيا منزلها بذن الله ولا عجب ولا فخر أتدرون أين يتقى قالوا أين يتكى ياروح الله قال يتقى المساجد وطيبى الماء وإدامى الجوع وسراجى القمر بالليل وصلاتى فى الشتاء مشارق الشمس وريحانى بقول الأرض ولباسى الصون وشعارى خوف رب العزة وجلساتى الزمنى والمساكين أصبح وليس لى شئ وأمسى وليس لى شئ وأنا طيب النفس غير مكترث فن أغنى منى وأرجم رواه بن عساكر^(١) وروى فى ترجمة محمد بن الوليد بن ابان بن حبان أبى الحسن العقيلي المصرى حدثنا هانىء بن المتوكل الاسكندراني عن حيوة بن شريح حدثنى الوليد ابن أبى الوليد عن سفي بن نافع عن أبى هريرة عن النبي (ص) قال أوحى الله تعالى إلى عيسى أن يا عيسى انتقل من مكان الى مكان لثلاث تعرف فتؤذى فوعزتى وجلالى لأزوجتك ألف حوراء ولا أولن عليك أربعائة عام . وهذا حديث غريب رفهه وقد يكون موقوفاً من رواية سفي بن نافع عن كعب الاحبار أو غيره من الاسرائيليين والله أعلم . وقال عبد الله بن المبارك عن سفيان بن عيينة عن خلف بن حوشب قال قال عيسى للحواريين كما ترك لكم الملوك الحكمة فكذلك فاتركوا لهم الدنيا . وقال قتادة قال عيسى عليه السلام سلوني فاني لئن قلبت وأنى صغير عند نفسي وقال اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال قال عيسى للحواريين كلوا خبز الشعير واشربوا الماء القراح واخرجوا من الدنيا سالمين آمنين بحق ما أقول لكم أن حلاوة الدنيا مرارة الآخرة وأن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة وأن عباد الله ليسوا بالمتنعين بحق ما أقول لكم ان شرك عالم يؤثر هواء على علمه يود أن الناس كلهم مثله .

وروى نحوه عن أبي هريرة وقال أبو مصعب عن مالك أنه بلغه أن عيسى كان يقول (يا بني إسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البرين وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تهوموا بشكره) وقال ابن وهب عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال كان عيسى يقول اعبروا الدنيا ولا تمروها وكان يقول حب الدنيا رأس كل خطيئة والنظر بزرع في القلب الشهوة * وحكى وهيب بن الورد مثله وزاد ورب شهوة أورت أهلها حرنا طويلا وعن عيسى عليه السلام (يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيث ما كنت وكن في الدنيا ضيفا واتخذ المساجد بيتا وعلم عينك البكاء وجسدك الصبر وقلبك التفرح ولا تهتم برزق غد فانها خطيئة) وعنه عليه السلام أنه قال كما أنه لا يستطيع أحدكم أن يتخذ على مرج البحر دارا فلا يتخذ الدنيا قرارا وفي هذا يقول سابق البربري *

لَكُمْ بِيوتٍ بِمَسْتَنِّ السُّيوفِ وَهَلْ * يُنْفَى عَلَى الْمَسَارِيَتِ أُمَّهُ مَكْرُ

وقال سفيان الثوري قال عيسى بن مريم (لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء) . وقال ابراهيم الحربي عن دارد بن رشيد عن أبي عبد الله الصوفي قال قال عيسى (طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله) وعن عيسى عليه السلام (ان الشيطان مع الدنيا وفكره من المال وتزينه نعم الهوى واستمكاته عند الشهوات) وقال الاعمش عن خيشمة كان عيسى يضع الطعام لأصحابه ويقوم عليهم ويقول هكذا فاصنعوا بالقرى وبه قالت امرأة ليسى عليه السلام طوبى لحجر حملك ولئدى أرضمك . فقال : طوبى لمن قرأ كتاب الله واتبعه . وعنه طوبى لمن بكى من ذكر خطيئته وحفظ لسانه ووسمه يته . وعنه طوبى لمن نمت ولم تحلث نفسها بالمصيبة واتبعت إلى غير أمم * وعن مالك بن دينار قال مر عيسى وأصحابه بجيعة قالوا ما أتت ربها فقال ما أبيض أسناتها ليناها من عن النية . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن زكريا بن عدى قال قال عيسى بن مريم يا معشر الحوار بين أرضوا بدنى الدنيا مع سلامة الدين كأرضى أهل الدنيا بدنى الدين مع سلامة الدنيا . قال زكريا وفي ذلك يقول الشاعر .

أرى رجالاً بَدَنِي الدِّينِ قد قَبِعُوا * ولا أراهم رَضُوا في العيشِ بالثَّوْنِ

فاستنَّ بالدينِ عن دِنِا الملوِكِ كما * استنقَى الملوِكُ بَدَنِيَّاهُم عن الدِّينِ

وقال أبو مصعب عن مالك قال عيسى بن مريم عليه السلام (لا تكثروا الحديث بشير ذكر الله فتفسد قلوبكم فان القلب القاسى بيد من الله ولكن لا تملون . ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب وانظروا فيها كأنكم عبيد فانما الناس رجلان معاف ومبتلى فارجحوا أهل البلاد واحدوا الله على العافية) وقال الثوري سمعت أبي يقول عن ابراهيم التيمي قال قال عيسى لأصحابه (بحق أقول لكم من طلب الفردوس فخبز الشعير والنوم في المزابل مع الكلاب كثير) . وقال

مالك بن دينار قال عيسى إن أكل الشعير مع الرماد والنوم على المزابل مع الكلاب قليل فطلب الفردوس . وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد قال قال عيسى عملوا لله ولا تعلموا بطونكم انظروا إلى هذه الطير تندو وتروح لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها فان قلم نحن اعظم بطوناً من الطير فانظروا إلى هذه الأبقير من الوحوش والحمر فانها تندو وتروح لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها . وقال صفوان بن عمرو عن شريح بن عبد الله عن يزيد بن ميسرة قال قال الحواريون للمسيح يا مسيح الله انظر إلى مسجد الله ما أحسنه قال آمين آمين بحق ما أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجراً قاعماً إلا اهلكه بذنوب أهله ان الله لا يصنع بالذهب ولا بالفضة ولا بهذه الاحجار التي تعجبكم شيئاً ان أحب إلى الله منها القلوب الصالحة وبها يسر الله الارض وبها يخرب الله الارض إذا كانت على غير ذلك . وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه أخبرنا أبو منصور أحمد ابن محمد الصوفي أخبرتنا عائشة بنت الحسن بن ابراهيم الوردانية قالت حدثنا أبو محمد عبد الله بن عمر بن عبد الله بن المشيم أملاء حدثنا الوليد بن ابان أملاء حدثنا أحمد بن جعفر الرازي حدثنا سهيل بن ابراهيم الحنظلي حدثنا عبد الوهاب بن عبد العزيز عن المشمر عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي (ص) قال مر عيسى عليه السلام على مدينة خربة فأعجبه البنيان فقال أي رب مر هذه المدينة أن تعجبتني فأوحى الله إلى المدينة أيها المدينة انظري جابوني عيسى قال فنادت المدينة عيسى حبيبي وما تريد مني قال ما فعل أشجارك وما فعل أنهارك وما فعل قصورك وأين سكانك ؟ قالت حبيبي جاء وعد ربك الحق فيست أشجاري ونشفت أنهارى وخربت قصورى ومات سكانى . قال فأين أمواهم قالت جموها من الحلال والحرام موضوعة في بطنى . لله ميراث السموات والارض . قال فنادى عيسى عليه السلام (فنجبت من ثلاث أناس طالب الدنيا والموت يطلبه وبانى القصور والقبر منزله ومن يضحك ملء فيه والنار أمامه ابن آدم لا بالكثير تشبع ولا بالقليل تمنع جميع مالك لمن لا يملكه وقدم على رب لا يهتدرك إنما أنت عبد بطنك وشهوتك وانما تملأ بطنك إذا دخلت قبرك وانت يا ابن آدم ترى حشد مالك في ميزان غيرك) هذا حديث غريب جداً وفيه موعظة حسنة فكتبناه لذلك .

وقال سفيان الثوري عن أبيه عن ابراهيم التيمي قال قال عيسى عليه السلام يا مشر الحواريين اجلوا كنوزكم في السماء فان قلب الرجل حيث كنزه وقال ثور بن يزيد عن عبد العزيز بن ظبيان قال قال عيسى بن مريم من تعلم وعلم وعمل دعى عطيا في ملكوت السماء . وقال أبو كريب روى أن عيسى عليه السلام قال لا خير في علم لا يبرمك الوادى ويمبرك النخى . وروى ابن عساكر باسناد غريب عن ابن عباس مرفوعاً أن عيسى قام في نبي اسرائيل فقال (يا مشر الحواريين لا تحذثوا بالملك غير أهلها فظلموها ولا تتموها أهلها فظلموم والأمور ثلاثة . أمر تين رشده فاتبموه وأمر تين غيه

فاجنبوه وأمر اختلف عليكم فيه فردوا عليه إلى الله عز وجل). وقال عبد الرزاق أنبأنا مسر عن رجل عن عكرمة قال قال عيسى (لا تطرحوا اللؤلؤ إلى الخنزير فإن الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئاً ولا تطورا الحكمة من لا يريدها فإن الحكمة خير من اللؤلؤ ومن لا يريدها شر من الخنزير). وكذا حكى وهب وغيره عنه وعنه أنه قال لأصحابه (أنتم ملح الأرض فإذا قدمتم فلا دواء لكم وإن فيكم خصلتين من الجهل الضحك من غير عجب والصبيحة من غير مهر) وعنه أنه قيل له من أشد الناس فتنة قال زلة العالم فإن العالم إذا زل يزل بزلة عالم كثير. وعنه أنه قال (يا علماء السوء جئتم الدنيا على رؤسكم والآخره تحت أقدامكم قولكم شفاء وعلمكم داء مثلكم مثل شجرة الدقل تمجيب من رآها وتمتل من أكلها) وقال وهب قال عيسى (يا علماء السوء جلستم على أبواب الجنة فلا تدخلوها ولا تدعون الساكنين يدخلونها إن شر الناس عند الله عالم يطلب الدنيا بملسه. وقال مكحول (التقي يحيى وعيسى فصاحه عيسى وهو يضحك فقال له يحيى يا ابن خالة مالي أراك ضاحكاً كأنك قدأمنت) قال له عيسى (مالي أراك عابياً كأنك قد بئست) فأوحى الله اليهما (ان أجبكإلى أشكيا بصاحبه) وقال وهب بن منبه وقف عيسى هو وأصحابه على قبر وصاحبه يدل فيه فجعلوا يذكرون القبر وضيقة قال (قد كنتم فيما هو أضيق منه من أرحام امهاتكم فإذا احب الله أن يوسع وسع) وقال أبو عمر الضرير بلغني أن عيسى كان إذا ذكر الموت يقطر جلده دما. والآخر في مثل هذا كثيرة جداً. وقد أورد المافظ بن عساكر منها طرفاً صالحاً اختصرنا منها على هذا القدر والله الموفق للصواب *

رفع عيسى عليه السلام إلى السماء

﴿ في حفظ الرب ويان كذب اليهود والنصارى في دعوى الصلب ﴾

قال الله تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين. إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافئك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) وقال تعالى (فما قضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا. وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً. وقولهم أيا قلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قلوه وما صلوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ملمم به من علم الا اتباع الظن وما قلوه يميناً بل ربه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيماً. وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) فأخبر تعالى أنه رفته إلى السماء بسد ما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به وخلصه من كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان *

قال الحسن البصرى ومحمد بن اسحاق كان اسمه داود بن نورا فأمر بقتله وصلبه فحصره في دار بيت المقدس وذلك عشية الجمعة ليلة السبت فلما حان وقت دخولهم ألقى شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده ورفع عيسى من روضة ذلك البيت الى السماء وأهل البيت ينظرون ودخل الشراط فوجدوا ذلك الشاب الذى ألقى عليه شبهه فأخذوه ظانين أنه عيسى فصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه اهانة له وسلم اليهود عامة النصارى الذين لم يشاهدوا ما كان من أمر عيسى أنه صلب وضلوا بسبب ذلك ضلالاً مبيئاً كثيراً فحاشاً بعيداً وأخبر تعالى بقوله (وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) اى بعد نزوله الى الارض في آخر الزمان قبل قيام الساعة فانه ينزل ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الحربة ولا يقبل إلا الاسلام كما بينا ذلك بما ورد فيه من الاحاديث عند تفسير هذه الآية الكريمة من سورة النساء وكما سنورد ذلك مستقصى في كتاب الفتن والملاحم عند أخبار المسيح الدجال فنذكر ما ورد في نزول المسيح المهدي عليه السلام من ذى الجلال لقتل المسيح الدجال الكذاب الداعى الى الضلال وهذا ذكر ما ورد في الآثار في صفة رفته الى السماء قال ابن حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال لما اراد الله ان يرفع عيسى الى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً منهم من الحواريين يعنى فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال ان منكم من يكفر بي اثني عشرة مرة بعد أن آمن بي ثم قال أيكم يلقي عليه شبهي فيقتل مكافئ فيكون معي في درجتي فقام شاب من احدتهم سناً فقال له اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال اجلس . ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا فقال أنت هر ذاك فلقى عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روضة في البيت الى السماء . قال وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثني عشرة مرة بعد ان آمن به واقتروا ثلاث فرق فقالت طائفة كان الله فينا ما شاء ثم صعد الى السماء وهؤلاء اليقويصة وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفته الله اليه وهؤلاء النسطورية وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفته الله اليه وهؤلاء المسلمون فظاهرت الكافران على المسئلة فقتلوا فلم يزل الاسلام طامساً حتى بئث الله محمداً (ص) . قال ابن عباس وذلك قوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوم فاصبحوا ظاهرين) وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس على شرط مسلم ورواه النسائي عن ابي كريب عن ابي معاوية به نحوه ورواه ابن جرير عن مسلم بن جنادة عن ابي معاوية وهكذا ذكر غير واحد من السلف ومن ذكر ذلك مطولاً محمد بن اسحق بن يسار قال وجعل عيسى عليه السلام يدعو الله عز وجل أن يؤخر اجله يعنى ليلين الرسالة ويكمل الدعوة ويكثر الناس الدخول في دين الله قيل وكان عنده من الحواريين اثني عشر رجلاً بطرس ويعقوب بن زبدا ويحنس اخو يعقوب واندراوس وفليس وابرئيلما ومتى وتوماس ويعقوب بن

حلقيا وتداوس وقتانيا ويودس كريا يوطا وهذا هو الذي دل اليهود على عيسى * قال ابن اسحق وكان فيهم رجل اخر اسمه سرجس كتمته النصارى وهو الذي التى شبه المسيح عليه فصلب عنه قال وبض النصارى يزعم ان الذى صلب عن المسيح والتى عليه شبهه هو يودس بن كريا يوطا والله اعلم . وقال الضحاك عن ابن عباس استخلف عيسى شمعون وقتلت اليهود يودس الذى التى عليه الشبه وقال احمد بن مروان حدثنا محمد بن الجهم قال سمعت القراء يقول فى قوله (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) قال ان عيسى غاب عن حالته زمانا فاناها فقام رأس الجالوت اليهودى فضرب على عيسى حتى اجتمعوا على بلب داره فكسروا الباب ودخل رأس جالوت ليأخذ عيسى فطمس الله عينيه عن عيسى ثم خرج الى أصحابه فقال لم أره ومعهم سيف مسلول فقالوا أنت عيسى والتى الله شبه عيسى عليه ناخذوه قتلوه وصلبوه فقال جل ذكره (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمى عن هرون بن عنتره عن وهب بن منبه قال أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين فى بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لئيرزن الينا عيسى أولتقتلنكم جميعاً فقال عيسى لاصحابه من يشتري منكم نفسه اليوم بلجنة فقال رجل أنا فخرج اليهم فقال أنا عيسى وقد صوره الله على صورة عيسى فانخذوه قتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا أنهم قد قتلوا عيسى فظننت النصارى مثل ذلك انه عيسى ورفع الله عيسى من يومه ذلك

قال ابن جرير وحدثنا المتنى حدثنا اسحاق حدثنا اسماعيل بن عبد الكريم حدثنى عبدالصمد بن مقل أنه سمع وهباً يقول ان عيسى بن مريم لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فداها الحواريين وصنع لهم طعاماً فقال احضرونى الليلة فان لى اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليل عشام وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يشل ايديهم ويوضئهم بيده ويمسح ايديهم بيايه فتعاضلوا ذلك وتكاثروه فقال ألا من رد على شيئا الليلة بما أصنع فليس منى ولا أنا منه فأقروه حتى اذا فرغ من ذلك قال أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت ايديكم فليكن لكم فى أسوة فانكم ترون أتى خيركم فلا يتعظم بعضكم على بعض وليبذل بعضكم لبعض نفسه كما بذلت نفسى لكم وأما حاجتى التى استعنتكم عليها فتدعون الله وتجاهدون فى الدعاء ان يؤخر أجلى فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله أما تصبرون لى ليلة واحدة تبتونى فيها فقالوا والله ماتندرى مالنا والله لقد كنا نفسر فنكثر السر وما نطق الليلة سمرا وما نريد دعاء الا حيل بيننا وبينه فقال يذهب بالراعى وتفرق الغنم وجعل يأتى بكلام نحو هذا ينمى به نفسه . ثم قال الحق ليكنرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبعض أحدكم بدرام يسيرة وليأكلن ثمنى فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا هذا من

صاحبه فجدد وقال ماأنا بصاحبه فتركوه . ثم أخذوه آخرون فجدد كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه . فلما أصبح أتى أحد الحواريين إلى اليهود فقال مايجلون لى إن ذلكم على المسيح فجلوا له ثلاثين درهماً فأخذها وأدلم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فأخذوه واسترحموا منه ودر بطوه بلجبل وجعلوا يوردونه ويقولون أنت كنت نجي الموتى وتنهى الشيطان وتبرىء الجنون أفلا تتجى نفسك من هذا الجبل ويصتقون عليه ويقولون عليه الشوك حتى أتوا به انخسبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها فرفضه الله اليه وصلبوا ما شبه لهم فكث سباً . ثم إن أمه والمرأة التي كان يداوئها عيسى ظهراها الله من الجنون جاءها تبيكان حيث كان المصلوب فجاءها عيسى فقال على م تبيكان قلنا عليك فقال لى قد رفضى الله اليه ولم يصبنى إلاخير وان هذا شئ شبه لهم فأمرها الحواريين أن يقولوا لى مكان كذا وكذا فلقوه الى ذلك المكان أحد عشر وقد الذى كان بلعه ودل عليه اليهود فقال عنه أصحابه قالوا إله ندم على ما صنع فلنحتق وقتل نفسه فقال لو تلب لتاب الله عليه * ثم سألم عن غلام يتبهم يقال له يحيى فقال هو ممك فاطفقوا فانه سيصبح كل انسان منكم يحدث بلغة قوم فليندم وليدعمهم * وهذا اسناد غريب عجيب وهو أصح مما ذكره النصارى من أن المسيح جاء إلى مريم وهى جالسة تبكى عند جذعه فأراها مكان المسامير من جسده وأخبرها أن روحه رقت وأن جسده صلب وهذا بهت وكذب واختلاق وتحريف وتبديل وزيادة باطلة فى الأنجيل على خلاف الحق ومقتضى النقل .

وحكى الحافظ بن عساكر من طريق يحيى بن حبيب فيما بلغه أن مريم سألت من بيت الملك بمد ماصلب المصلوب بسبعة أيام وهى تحسب أنه ابنها أن ينزل جسده فأجابهم الى ذلك ودفن هنالك فقالت مريم لأم يحيى ألا تذهين بنا تزور قبر المسيح فذهبتا فلما دنا من القبر قالت مريم لأم يحيى ألا تسترين قالت وعمن استتر قالت من هذا الرجل الذى هو عند القبر قالت أم يحيى انى لا أرى أحدا فرجت مريم أن يكون جبريل وكانت قد بد عهدا به فاستوقفت أم يحيى وذهبت نحو القبر فلما دنت من القبر قال لما جبريل وعرفته يا مريم أين تريدى قالت أزور قبر المسيح فأسلم عليه وأحدث عهداً به فقال يا مريم ان هذا ليس المسيح إن الله قد رفع المسيح وطهره من الذين كفروا ولكن هذا الفتى الذى الذى شبهه عليه وصلب وقتل مكانه . وعلامة ذلك أن أهله قد قدوه فلا يدرون ما فعل به فهم يكون عليه فلذا كان يوم كذا وكذا فأت غيضة كذا وكذا فانك تلقين المسيح قال فرجعت الى أختها وصعد جبريل فأخبرتها عن جبريل وما قال لها من أمر النيسة . فلما كان ذلك اليوم ذهبت فوجدت عيسى فى النيسة فلما رآها أسرع إليها وأكب عليها قبل رأسها وجعل يدعو لها كما كان يفعل وقال يا امه إن القوم لم يقتلوني ولكن الله رفضى اليه وأذن لى فى لقاءك والموت يأتىك قريباً فاصبرى واذكرى الله كثيراً ثم صعد عيسى فلم تلقه إلا تلك المرة حتى ماتت . قال وبلغنى أن مريم بقيت بمد

عيسى خمس سنين ومائت ولما ثلاث وخمسون سنة رضى الله عنها وأرضاها .

وقال الحسن البصرى كان عمر عيسى عليه السلام يوم رفع أرباباً وثلاثين سنة وفق الحديث (لأن أهل الجنة يدخلونها جرداً مردأً مكطين أبناء ثلاث وثلاثين) . وفق الحديث الآخر على ميلاد عيسى وحسن يوسف وكذا قال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أنه قال رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة *

فأما الحديث الذى رواه الحاكم فى مستدركه ويعقوب بن سفيان النسوى فى تزيينه عن سعيد بن أبى مرجم عن نافع بن يزيد عن عمارة بن غزيرة عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أن أمه قطمة بنت الحسين حدثته أن عائشة كانت تقول أخبرتنى قطمة أن رسول الله .س: أخبرها أنه لم يكن نبي كان يده نبي إلا عاش الذى بسده نصف عمر الذى كان قبله وأنه أخبرنى أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة فلا أرائى إلا ذاهب على رأس ستين * هذا لفظ النسوى فهو حديث غريب .

قال الحفاظ بن عساكر والصحيح أن عيسى لم يبلغ هذا العمر وإنما أراد به مدة مقامه فى أمته كما روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال قالت قطمة قال لى رسول الله .س: أن عيسى بن مريم مكث فى بنى إسرائيل أربعين سنة وهذا منقطع . وقال جرير والثورى عن الأعمش أن إبراهيم مكث عيسى فى قومه أربعين عاماً وبروى عن أمير المؤمنين على أن عيسى عليه السلام رفع ليلة الثمان والعشرين من رمضان وتلك الليلة فى مثلها توفى على بعد طمته بخمسة أيام وقد روى الضحاك عن ابن عباس أن عيسى لما رفع إلى السماء جباهه سحابة فدفنت منه حتى جلس عليها وجاءته مريم فودعته وبكت ثم رفع وهى تنظر والى إليها عيسى برداً له وقال هذا علامة ما بينى وبينك يوم القيامة والى عامته على شمعون وجعلت أمه تودعه باصبعها تشير بها إليه حتى غاب عنها وكانت تهبه جاسديداً لأنه توفى عليها حبه من جهتي الوالدين إذ لا أب له وكانت لا تفارقه سقراً ولا حضراً . قال بعض الشعراء

وكنت أرى كاللوت من بين ساعته فكيف بين كان موعده الحشر

وذكر اسحاق بن بشر عن مجاهد بن جبير أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل الذى شبه لهم وهم يحسبونه المسيح وسلم لهم أكثر النصارى بجهلهم ذلك تسلطوا على أصحابه يقتل والضرب والحبس فبلغ أمرهم إلى صاحب الروم وهو ملك دمشق فى ذلك الزمان فقيل له إن اليهود قد تسلطوا على أصحاب رجل كان يذكر لهم أنه رسول الله وكان يحيى الميرى ويبرئ الأكمة والأبرص ويصل العجائب فدوا عليه قتلوه وأهاتوا أصحابه وحسبهم فبعت فجئ بهم وفيهم يحيى بن زكريا وشمعون وجماعة فسلمهم عن أمر المسيح فاختبروه عنه فبايعهم فى دينهم وأعلى كلمهم وظهر الحق على اليهود وعلت كلمة النصارى عليهم وبثت إلى المصارب فوضع عن جذعه وجئ باليدع الذى صلب عليه ذلك الرجل فضله

فمن ثم عظمت النصراني الصليب ومن هاهنا دخل دين النصرانية في الروم وفي هذا نظر من وجوه .
 أحدها ان يحيى بن زكريا نبي لا يقر على أن المصلوب عيسى فانه معصوم يعلم ما وقع على جهة الحق .
 الثاني أن الروم لم يدخلوا في دين المسيح إلا بعد ثلثمائة سنة وذلك في زمان قسطنطين بن قسطن باقى
 المدينة المنسوبة اليه على ما سنذكره . الثالث أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل ثم التوه بخشبه جملوا
 مكانه مطراً للقامة والنجاسة وجيف الميتات والقاذورات فلم يزل كذلك حتى كان في زمان قسطنطين
 المذكور فصدت أمه هيلانة الحراية الفندقانية فاستخرجته من هنالك معتقدة أنه المسيح ووجدوا الخشبة
 التي صلب عليها المصلوب فذكروا أنه ما مسها ذوعاهة الاعوفى بالله أعلم أكان هذا أم لا وهل كان
 هذا لان ذلك الرجل الذى بذل نفسه كان رجلاً صالحاً أو كان هذا محنة وفتنة لأمة النصراني في ذلك
 اليوم حتى عظموا تلك الخشبة وغشوها بالذهب واللاكى ومن ثم اتخذوا الصلبانات وتبركوا بشكلها
 وقبلوها . وأمرت أم الملك هيلانة فازيلت تلك القمامة وبني مكانها كنيسة هائلة مزخرفة بأنواع الزينة
 فهى هذه المشهورة اليوم بيلد بيت المقدس التي يقال لها القمامة باعتبار ما كان عندها ويسمونها القمامة
 يعنون التي يقوم جسد المسيح منها . ثم أمرت هيلانة بأن توضع قمامة البلد وكناسته وقلذوراته على
 الصخرة التي هى قبلة اليهود فلم يزل كذلك حتى فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس فكسفن عنها القمامة
 بردائه وطورها من الاخبات والأنجاس ولم يضع المسجد وراءها ولكن أمامها حيث صلى رسول الله
 (س) ليلة الاسراء بالانبياء وهو الاقصى .

صيفة عيسى عليه السلام وشمايله وفضائله

قال الله تعالى (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد دخلت من قبله الرسل وأمه صديقة) قيل سمي
 المسيح لسمحه الأرض وهو سياخته فيها وفراره يدينه من الفتن في ذلك الزمان لشدة تكذيب اليهوده
 وافترانهم عليه وعلى أمه عليهما السلام . وقيل لانه كان مسح القدمين . وقال تعالى (وقينا على آثارهم
 برسلنا وقينا بعيسى بن مريم وآتيناه الأنجيل فيه هدى ونور) وقال تعالى (وآتيناه عيسى بن مريم
 وأيدناه بروح القدس) والآيات في ذلك كثيرة جداً وقد تقدم ما ثبت في الصحيحين (ما من مولود إلا
 والشيطان يطمن في خاصرته حين يولد فيستهل صارخاً إلا مريم وإنها ذهب يطمن فطمن في الحجاب)
 وتقدم حديث عمر بن هانىء عن جنادة عن عبادة عن رسول الله (س) أنه قال (من شهد أن لا إله
 إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكتبته التي اتقاه الى
 مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) رواه البخارى (وهذا
 لفظه ومسلم)

وروى البخارى ومسلم من حديث الشعبي عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال قال رسول الله (ص): (إذا أدب الرجل أمته فاحسن تأديبها وعلما فأحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها كان له أجران وإذا آمن ببيسى بن مريم ثم آمن بنى فله أجران والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه فله أجران) هذا لفظ البخارى . وقال البخارى حدثنا ابراهيم بن موسى أنبأنا هشام عن معمر (روح) وحدثني محمود حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال النبي (ص): (ليلة أسرى بي لقيت موسى قال فنته فاذا رجل حسبه قال مضطرب رجلا الرأس كأنه من رجال شذوة قال ولقيت عيسى فنته النبي (ص)، فقال ربعة أحر كأنما خرج من ديماس يعني الحمام ورأيت ابراهيم وأنا أشبه ولدته الحديث) وقد تقدم في قصتي ابراهيم وموسى ثم قال حدثنا محمد بن كثير أنبأنا اسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن مجاهد عن بن عمر قال قال النبي (ص): (رأيت عيسى وموسى و ابراهيم . فأما عيسى فاجر جعد عريض الصدر . وأما موسى فأدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط فترده البخارى . وحدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا أبو ضمرة حدثنا موسى بن عقبة عن نافع قال قال عبد الله بن عمر ذكر النبي (ص): (وما بين ظهراني الناس المسيح الدجال فقال ان الله ليس بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية وأراني الليلة عند الكعبة في المنام فاذا رجل آدم كأحسن ما يرى من آدم الرجال تضرب لته بين منكيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعاً يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت فقلت من هذا فقالوا المسيح بن مريم . ثم رأيت رجلا وراءه جعد قطط أعور عين اليمنى كاشبه من رأيت بطن قطن واضعاً يده على منكبي رجل يطوف بالبيت فقلت من هذا فقالوا المسيح الدجال . ورواه مسلم من حديث موسى بن عقبة . ثم قال البخارى تابعه عبد الله بن نافع ثم ساقه من طريق الزهري عن سالم بن عمر قال الزهري وابن قطن رجل من خزاعة هلك في الجاهلية . فبين صلوات الله وسلامه عليه صفة المسيحين مسيح المهدي ومسيح الضلالة يعرف هذا إذا نزل فيؤمن به المؤمنون ويعرف الآخر فيحذره الموحدون . وقال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن هام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي (ص): قال (رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له أسرت قال كلا والذى لا إله إلا هو فقال عيسى آمنت بالله وكذبت عيني) وكذا رواه محمد بن رافع عن عبد الرزاق وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن حميد الطويل عن الحسن وغيره عن أبي هريرة قال ولا أعلمه إلا عن النبي (ص): قال (رأى عيسى رجلا يسرق فقال يافلان أسرت فقال لا والله لمسرت فقال آمنت بالله وكذبت بصرى) . وهذا يدل على سجية طاهرة حيث قدم حلف ذلك الرجل فظن أن أحداً لا يحلف بمظلمة الله كاذبا على ماشاهده منه عياناً فقبل عنده ورجع على نفسه فقال آمنت بالله أي صدقتك وكذبت بصرى لأجل حلفك . وقال البخارى حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن

الغيرة بن النعمان عن سميد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله (س)، (تحشرون حفاة عراة غرلا . ثم قرأ (كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين) فأول الخلق يكسوا ابراهيم ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال فأقول أصحابي فيقال انهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم (و كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد * إن تعذبهم فاعذبهم عذابك . وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) تفرد به دون مسلم من هذا الوجه . وقال أيضا حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي حدثنا سفيان سمعت الزهري يقول أخبرني عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس سمع عمر يقول على المنبر سمعت رسول الله (س)، يقول (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فانما أنا عبد قتلوا عبد الله ورسوله *)

وقال البخاري حدثنا ابراهيم حدثنا جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي (س)، قال (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى وكان في بني اسرائيل رجل يقال له جريج يصلى إذ جاءته أمه فدعته فقال أجيها أو أصلى فقالت اللهم لا تمته حتى تربه وجوه المومسات وكان جريج في صومعة فرضت له امرأة وكلته فأبى فأنتدراعيًا فأمكنته من نفسها فولدت غلاما ثقيل لها من قالت من جريج فأثوه وكسروا صومته فأنزلوه . وسبوه فترضاً وصلى ثم أتى النمام فقال من أبوك يا غلام قال فلان الراعي قالوا أبنى صومتك من ذهب قال لا إلا من طين . وكانت امرأة ترضع ابناً لها في بني اسرائيل فربها رجل راكب ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثله فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال اللهم لا تجعلني مثله . ثم أقبل على ثديها بمصه . قال أبو هريرة كأنني أنظر إلى النبي (س)، بمص أصبه ثم سر بأمة فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فترك ثديها فقال . اللهم اجعلني مثلها فقالت لم ذلك فقال الراكب جبار من الجبابرة وهذه الأمة يقولون سرقت وزنت ولم تفعل * وقال البخاري حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني أبو سلمة أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله (س)، يقول (أنا أولى الناس بابن مريم والانياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي تفرد به البخاري من هذا الوجه . ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي داود الحفري^(١) عن الثوري عن أبي الزناد عن أبي سلمة عن أبي هريرة وقال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان هو الثوري عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله (س)، (أنا أولى الناس ببيسى عليه السلام والانياء أخوة أولاد علات وليس بيني وبين عيسى نبي . وهذا أسناد صحيح على شرطها ولم يخرجه من هذا الوجه وأخرجه أحمد عن عبد الرزاق عن مسر عن هلم عن أبي هريرة عن النبي (س)، بنحوه وأخرجه ابن حبان من حديث عبد الرزاق نحوه . وقال أحمد

(١) هو عمر بن سعد

حدثنا يحيى عن ابن عروة حدثنا قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة عن النبي . قال
(الانبياء اخوة لعسالات . ودينهم واحد وامهاتهم شتى . وانا اولى الناس ببيسى بن مريم لانه لم يكن
يعنى وبنته نبي . وانه نازل فلذا رأى سموه فاعرفوه فانه رجل مبروع الى الجنة واليباض سبط كان رأسه يطر
وان لم يصبه بل بين مختصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويصل الملل حتى يهلك في
زمانه كلها غير الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب وتقع الامنة في الارض حتى ترتفع
الابل مع الأسد جميعا والعمور مع البقر والذئب مع الغنم ويلعب الصيوان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم
بعضاً فيمكث ماشاء الله أن يمكث ثم يتوفى فيصل على المسلون ويدفونه . ثم رواه احمد عن عثمان عن
هام عن قتادة عن عبد الرحمن عن أبي هريرة فذكر نحوه وقال فيمكث أربعين سنة . ثم يتوفى ويصل
عليه المسلون . ورواه أبو داود عن هذبة بن خالد عن هام بن يحيى بن نحوه . وروى هشام بن عروة عن
صالح مولى أبي هريرة عن أن رسول الله . قال (فيمكث في الأرض أربعين سنة . وسيأتي بيان نزوله
عليه السلام في آخر الزمان في كتاب الملاحم كما بسطنا ذلك أيضاً في التفسير عند قوله تعالى في سورة
النساء (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) وقوله (وانه لعلم
للساعة الآتية) وانه ينزل على المنارة البيضاء بدمشق وقد أقيمت صلاة الصبح فيقول له امام المسلمين تقدم
ياروح الله فصل فيقول لا بعضكم على بعض أمراء مكرمة الله هذه الأمة . وفي رواية فيقول له عيسى
انما أقيمت الصلاة لك فيصل خلفه . ثم يركب ومعه المسلون في طلب المسيح الدجال فيلحقه عند باب
لد فيقتله يده الكريمة . وذكرنا أنه قوى الرجاء حين بنيت هذه المنارة الشرقية بدمشق التي هي من
حجارة يعض وقد بنيت أيضاً من اموال النصارى حين حرقوا التي هدمت وما حولها فيقول لعلي عيسى
ابن مريم عليه السلام فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ولا يقبل من أحد إلا الاسلام وأنه يخرج من فج
الروحاء حاجاً أو معتمراً أو لثنتيهما ويقم أربعين سنة ثم يموت فيدفن فيا قيل في الحجرة النبوية عند
رسول الله . وصاحبه . وقد ورد في ذلك حديث ذكره ابن عساكر في آخر ترجمة المسيح عليه
السلام في كتابه عن عائشة مرفوعاً أنه يدفن مع رسول الله . وأبي بكر وعمر في الهجرة النبوية ولكن
لا يصح اسناده وقال أبو عيسى الترمذي حدثنا زيد بن اخزم الطائي حدثنا أبو قتية مسلم بن قتيبة حدثني
أبو مودود المدني حدثنا عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال
مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم عليهم السلام يدفن معه . قال أبو مودود وقد بقي من البيت
موضع قبر . ثم قال الترمذي هذا حديث حسن كذا قال . والصواب الضحاك بن عثمان المدني . وقال البخاري
هذا الحديث لا يصح عندي ولا يتابع عليه وروى البخاري عن يحيى بن حماد عن أبي عروة عن عامر
الأحول عن أبي عثمان النهدي عن سلمان قال الفترة ما بين عيسى ومحمد . سبائة سنة وعن قتادة خمائة

وستون سنة . وقيل خمسمائة وأربعون سنة وعن الضحاك أربعمائة وبضع وثلاثون سنة . والمشهور ستمائة سنة * ومنهم من يقول ستمائة وعشرون سنة بالقمرية لتكون ستمائة بالشمسية والله أعلم *

وقال ابن حبان في صحيحه (ذكر المدة التي بقيت فيها أمة عيسى على هديه) حدثنا أبو يعلى حدثنا أبو همام حدثنا الوليد بن مسلم عن الهيثم بن حميد عن الوضئ بن عطاء عن نصر بن علقمة عن جبير بن غير عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ص : (لقد قبض الله داود من بين أصحابه فما فتنوا ولا بدلوا ولقد مكث أصحاب المسيح على سنته وهديه مائتي سنة) . وهذا حديث ضريب جداً وإن صححه ابن حبان . وذكر ابن جرير عن محمد بن اسحاق أن عيسى عليه السلام قبل أن يرفع وصي الخواريين بأن يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وعين كل واحد منهم إلى طائفة من الناس في إقليم من الأقاليم من الشام والمشرق وبلاد المغرب فذكروا أنه أصبح كل السان منهم يتكلم بلغة الذين أرسله المسيح إليهم . وذكر غير واحد أن الأنجيل نقله عنه أربعة لوقا ومتى ومرقس ويوحنا وبين هذه الأناجيل الأربعة تفاوت كثير بالنسبة إلى كل نسخة ونسخة وزيادات كثيرة وتهص بالنسبة إلى الأخرى وهؤلاء الأربعة منهم اثنان من أدرك المسيح ورآه وهما متى ويوحنا ومنهم اثنين من أصحاب أصحابه (١) وهما مرقس ولوقا وكان من آمن بالمسيح وصدقه من أهل دمشق رجل يقال له ضينا وكان مخفياً في مفارة داخل الباب الشرقي قريباً من الكنيسة المصلبة خروفاً من بولس اليهودي وكان ظالماً غاشياً مبغضاً للمسيح والى جاء به . وكان قد حلق رأس ابن أخيه حين آمن بالمسيح وطاف به في البلد * ثم رحمه حتى مات رحمه الله * ولما سمع بولس أن المسيح عليه السلام قد توجه نحو دمشق جبر بغاله وخرج ليقتله فلتقاه عند كركيا فلما واجه أصحاب المسيح جاء إليه ملك فضرب وجهه بطرف جناحه فأعماه . فلما رأى ذلك وقع

(١) من هنا إلى قوله (كتاب اخبار الماضين الخ) لم يوجد بالنسختين الموجودتين بملكبة المصرية ووجد بها ببدله هذه العبارة . وهي وقد أنشد الشيخ شهاب الدين القرافي في كتابه الرد على النصارى لبعضهم رد عليهم في قولهم بصلب المسيح وتسليمهم ذلك لليهود مع دعواهم أنه ابن الله تعالى الله عز قولهم علواً كبيراً *

مَجِباً لِلْمَسِيحِ بَيْنَ النَّصَارَى * وَإِلَى اللَّهِ وَلَدَانِ سُبُوهُ
 أَسْلَمُوهُ إِلَى الْيَهُودِ وَقَالُوا * لِنَهُمْ بِسَدِّ قَتْلِهِ صَلْبُوهُ
 فَالَّذَا كَانَ مَا تَقُولُونَ حَقًّا * وَصَحِيحًا فَإِنَّ كَانَ أَبُوهُ
 حِينَ خَلَّى ابْنَهُرْمِينَ الْأَعَادِي * أَرَاهُمْ أَرْضُوهُ أَمْ أَعْصَبُوهُ
 فَإِنَّ كَانَ رَاضِيًا بِأَذَامِ * فَاعْبُدُوهُمْ لِأَنَّهُمْ رَاقِبُوهُ
 وَلَنْ كَانَ سَاخِطًا فَاتْرَكُوهُ * وَاعْبُدُوهُمْ لِأَنَّهُمْ غَلْبُوهُ

في نفسه تصديق المسيح فجاء اليه واعتذر مما صنع وآمن به فقبل منه وسأله أن يمسح عينيه ليرد الله عليه بصره فقال اذهب الى ضيئنا عندك بدمشق في طرف السوق المستطيل من المشرق فهو يدعو لك فجاء اليه فدعا فرد عليه بصره وحسن ايمانه بولص بالمسيح عليه السلام أنه عبد الله ورسوله وبنيت له كنيسة باسمه فهي كنيسة بولص المشهورة بدمشق من زمن فتحها الصحابة رضی الله عنهم حتى خربت في الزمان الذي سنورده إن شاء الله تعالى .

قصة الملك

اختلف أصحاب المسيح عليه السلام بعد رفعه الى السماء فيه على أقوال كما قاله ابن عباس وغيره من أئمة السلف كما أوردناه عند قوله (فأيدنا الذين آمنوا على عدوم فأصبحوا ظاهرين) قال ابن عباس وغيره قال قائلون منهم كان فينا عبد الله ورسوله فرجع الى السماء وقال آخرون هو الله وقال آخرون هو ابن الله فالأول هو الحق والقولان الآخران كفر عظيم كما قال (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) وقد اختلفوا في نقل الأناجيل على أربعة أقاويل ما بين زيادة وهصان وتجريف وتبديل ثم بعد المسيح بثلاثة مائة سنة حدثت فيه الطامة العظمى والبلية الكبرى . اختلف البطاركة الاربية وجميع الاساقفة والقساوسة والشمامسة والرهايين في المسيح على أقوال متعددة لا تنحصر ولا تنضب واجتمعوا وتحاكموا إلى الملك قسطنطين بنى القسطنطينية وهم المجمع الاول فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات فسموا الملائكة ودحض من عدام وأبدم وتفرقت الفرقة التابعة لعبد الله بن اديوس الذي ثبت على أن عيسى عبد من عباد الله ورسول من رسله فسكنوا البرارى والبوادي وبنوا الصوامع والديارات والقلايات وقنعوا باميش الزهيد ولم يخاطبوا أولئك الملل والنحل وبنفت الملائكة الكنائس الهائلة عمدوا إلى ماكان من بناء اليونان فخلوا محاربيها الى الشرق وقد كانت إلى الشمال الى الجدي *

بيات بنو بيت لحم والقمامة

وبنى الملك قسطنطين بيت لحم على محل مولد المسيح وبنى أمه هيلانة القمامة . بنى على قبر المصنوب وهم يسلون لليهود أنه المسيح . وقد كفرت هؤلاء وهؤلاء ووضعوا القوانين والأحكام . ومنها مخالف للعتيقة التي هي التوراة وأحلوا أشياء هي حرام بنص التوراة ومن ذلك الخنزير وصلوا إلى الشرق ولم يكن المسيح صلى إلا الى صخرة بيت المقدس وكذلك جميع الانبياء بعد موسى . ومحمد خاتم النبيين صلى اليها بعد هجرته الى المدينة ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ثم حول الى الكعبة التي بناها ابراهيم الخليل . وصوروا الكنائس ولم تكن مصورة قبيل ذلك ووضعوا العقيدة التي يحفظها أطفالهم وناسم

ورجالهم التي يسمونها بالامانة . وهي في الحقيقة أكبر الكفر والخيانة وجميع الملكية والنسبورية أصحاب
 نطورس أهل المجمع الثاني واليقونية أصحاب يعقوب البرادعي أصحاب المجمع الثالث يمتدنون هذه
 العقيدة ويختلفون في تفسيرها وهأنا أحكيها وحأكي الكفر ليس بكافر لآبث على ما فيها ركة الالفاظ
 وكثرة الكفر واغتيال المفضي بصاحبه الى النار ذات الشواظ فيقولون تؤمن بالله واحد ضابط الكل
 خالق السموات والارض كل ما يرى وكل ما لا يرى وبرب واحديسوع المسيح بن الله الوحيد المولود من
 الاب قبل الدهور نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للآب في الجوهر الذي كان
 به كل شيء من أجدنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجد من روح القدس ومن
 مريم العذراء وتانس وصلب على عهد ملاطس النبطي وتالم وقبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب
 وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الاب وأيضاً نسيأني بجسده ليدبر الاحياء والاموات الذي لا فناء
 للملكة وروح القدس الرب المحيي المنتشق من الأب مع الآب والابن مسجود له وبمجد الناطق
 في الانبياء كنيسة واحدة جامعة مقدسة يهولية واعترف بممودية واحدة لمغفرة الخطايا وأنه حتى قيامه
 الموتى وحياة الدهر العتيد كونه آمين

كتاب اخبر الراغبين

من بني اسرائيل وغيرهم الى آخر زمن الفترة سوى أيام العرب وجاهليتهم فانا سنورد ذلك بعد
 فراغنا من هذا الفصل إن شاء الله تعالى قال الله تعالى (كذلك قص عليك من أبناء ماقد سبق وقد
 آتيناك من لدنا ذكراً) . وقال (نحن قص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وان
 كنت من قبله لمن النافلين) .

خبر ذي القرنين

قال الله تعالى (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً . انا مكنا له في الارض
 وآيناه من كل شيء سبباً فأتبع سبباً . حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تقرب في عين حمئة ووجد
 عندها قوما . قلنا إذا القرنين إما أن تصلب وإما أن نتخذ فيهم حسنا . قل أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد
 إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً . وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وستقول له من أمرنا يسراً . ثم
 أتبع سبباً . حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً . كذلك وقد أهلكنا
 بما لديه خيراً . ثم أتبع سبباً . حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يعقرون قولاً .
 قالوا إذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم
 سداً . قال ما كنت في شيء خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى

بين الصدفين قال افتخروا حتى إذا جله فلما قال آتوني أفرغ عليه قطرا . فاستطاعوا أن يظهره و
استطاعوا له قبا . قال هذا رحمة من ربي فلذا جاء وعد ربي جله دكا . وكان وعد ربي حقا . ذكر الله
تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل وأنه بلغ المشارق والمغارب . ولك الأقاليم وقهر أهلها وسار فيهم
بالمدة الثامنة والستون المئزر المنصور القاهر المسط . والصحيح أنه كان ملكا من الملوك العادلين
وقيل كان نبيا . وقيل رسولا . وأغرب من قال ملكا من الملائكة . وقد حكى هذا عن أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب فانه سمع رجلا يقول لآخر إذا القرنين فقال له ما كنا كم أن تسموا باسمه الا نبيا حتى
تسميتم باسمه الملائكة ذكره السهلي . وقد روى وكيع عن اسرائيل عن جابر عن مجاهد عن عبد الله
ابن عمرو قال كان ذو القرنين نبيا . وروى الحافظ بن عساكر من حديث أبي محمد بن أبي نصر عن
أبي اسحاق بن ابراهيم بن محمد بن أبي ذؤيب حدثنا محمد بن حماد أنبأنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن
أبي ذؤيب عن القسيري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ص : (لا أدري أتيبع كان نبيا أم لا ولا
أدري الحدود كفارات لاهلها أم لا ولا أدري ذو القرنين كان نبيا أم لا) . وهذا غريب من هذا
الوجه . وقال اسحاق بن بشر عن عثمان بن الساج عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال كان
ذو القرنين ملكا صالحا رضى الله عمله وأثنى عليه في كتابه وكان منصورا وكان الخضر وزيره . وذكر
أن الخضر عليه السلام كان على مقدمة جيشه وكان عنده بمنزلة المشاور الذي هو من الملك بمنزلة الوزير
في اصلاح الناس اليوم . وقد ذكر الأزرق وغيره أن ذا القرنين أسلم على يدى ابراهيم الخليل وطاق منه
بالسكبة المكرمة هو واسماعيل عليه السلام ^(١) وروى عن عبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما أن
ذا القرنين حج ماشيا وأن ابراهيم لما سمع تقدمه تقدم ودعا له ورضاه وأن الله سخر لى القرنين السحاب
يحمه حيث أراد والله أعلم *

واختلفوا في السبب الذى سمي به ذا القرنين قيل لانه كان له في رأسه شبه القرنين . قال وهب بن
منبه كان له قرنان من نحاس في رأسه وهذا ضعيف وقال بعض أهل الكتاب لانه ملك فارس والروم
وقيل لانه بلغ قرنى الشمس غربا وشرقا . وملك ما بينهما من الأرض وهذا أشبه من غيره وهو قول
الزهري وقال ^(٢) الحسن البصرى كانت له غدیرتان من شعر يطافهما فسوى ذا القرنين وقال اسحاق
ابن بشر عن عبد الله بن زياد بن سمعان عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال دعا ملكا جبارا
إلى الله فضره على قرنه فكسره ورضه . ثم دعاه فلدق قرنه الثأنى فكسره فسوى ذا القرنين وروى
الثورى عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن ندى القرنين فقال

(١) من هنا الى قوله قال وهب بن منبه الخ لم يوجد بالنسخين المصرين .

(٢) من هنا الى قوله وروى الثورى لم يوجد بهما أيضا

كان عبداً ناصحاً لله فناصره دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه ذات فأجابه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه الآخر ففات فسمى ذا القرنين . وهكذا رواه شعبة القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل عن علي بن به * وفي بعض الروايات عن أبي الطفيل عن علي قال لم يكن نبياً ولا رسولا ولا ملكاً ولكن كان عبداً صالحاً .

وقد اختلف في اسمه فروى الزبير بن بكار عن ابن عباس كان اسمه عبد الله بن الضحاك بن معد وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الأزدي بن عون^(١) بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن قحطان .

وقد جاء في حديث أنه كان من حير وأمه رومية وأنه كان يقال له ابن الفيلسوف لعقله . وقد أشهد بعض الحميريين^(٢) في ذلك شعراً يفتخر بكونه أحد أجداده فقال :

قَدْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ جَدِّي^(٣) مُشْهِدًا مَلِكًا تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكَ وَتَحْسِدُ^(٤)

(١) كذا في العيني على البخاري بالعين المهملة والنون وهو خطأ والصواب غوث بالعين المعجمة والثاء المثناة كما في أنساب السمانى . (٢) قوله بعض الحميريين هو تبع علي ما في المرائس للشعبي وهو تبع أبو كرب كما في التيجان في ملوك حير والشعر من قصيدة هي احد وخسون بيتاً (٣) قوله جده جدى كذا في التيجان ورواه صاحب المرائس في قصص الانبياء والفتخر الرازى في تفسيره قبلى . (٤) قوله ملكا تدين له الملوك وتحسد كذا بالأصل بالشين المعجمة بعد الحاء المهملة ورواية المرائس وتسجد بلجيم بعد السين المهملة وعلى كلتا الروايتين يكون في البيت عيب من عيوب القوافى وهو الاكفاء وهو اختلاف القوافى بالضم والكسر فان الشعر مكسور الروى وهو الدال قال الشاعر في أول القصيدة

نحن الملوك ذوو العلاء والسودد نحن الحماة بنو الهمام الاعمجد

سميتُ أسعد والسعود طوالم لا بدأن ترقى النحوس لأسعد

أفبعدَ وائل والمقعقع بسده ترجو الظلود وأنت غير مخلد

إلى آخره وأشهد الفخر الرازى في تفسيره هذا الشعر هكذا

قد كان ذو القرنين قبلى مسلماً ملكا علا في الارض غير مفند

بلغ المشارق والمغارب يبتنى اسباب ملك من كريم سيد

وعليه فلا إكفاء واقصر في المرائس على الايات الثلاثة وترك البيت الأخير هنا وأشدها كما أشدها المؤرخ هنا غير أنه قال قبلى بدل جدى وقال تسجد بدل تحسد كما علمت والشعر في التيجان هكذا وليس فيه البيت الاخير أيضاً مع ذكره القصيدة كلها قال الشاعر في مكة

بلغ المشارق والمغرب يبتغي
 فرأى مغيب الشمس عند غروبها
 أسباب أسرى من حكيم مُرشد
 في عين ذي خلب وثأط حرمد
 من بعده بليقيس كانت عمتي
 ملكتهم حتى أتاها الهدد

قال السهيلي وقيل كان اسمه مرزبان بن مرزبة . ذكره ابن هشام ^(١) وذكر في موضع آخر أن اسمه الصعب بن ذي مرثد وهو أول التباينة وهو الذي حكم لابراهيم في بئر السبع . وقيل إنه أفريديون ابن أسفيان الذي قتل الضحاك وفي خطبة قس يا مشر اياد بن الصعب ذو القرنين ملك الخلفين وأذل التقلين وعمر الفتن . ثم كان ذلك كالحظة عين ثم انشد ابن هشام للاعشى .

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوباً
 والجنود في جثث أئمة مقيماً

وذكر الدار قطنى وابن ما كولا أن اسمه هرمس ^(٢) ويقال هرويس بن قيطون بن رومي بن لطفى ابن كتلوخين بن يونان بن يافث بن نوح فآله أعلم . وقال اسحق بن بشر عن سعيد بن بشر عن قتادة قال اسكندر هو ذو القرنين وأبوه أول القياصرة وكان من ولد سام بن نوح عليه السلام . فلما ذو القرنين الثاني فهو اسكندر بن قليس بن مصرم بن هرمس بن ميظون بن رومي بن لطفى بن يونان بن يافث ابن يوثه بن شرخون بن رومة بن شرفط بن توفيل بن رومي بن الاصفر بن يقز بن العيص بن اسحق ابن ابراهيم الخليل كذا نسبة الحفاظ ابن عساكر في تاريخه . المقدوني اليوناني المصري باني اسكندرية الذي يؤرخ بأيامه الروم وكان متأخراً عن الاول بدهر طويل كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة وكان ارطاطاليس الفيلسوف وزيره وهو الذي قتل دارا بن دارا وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم .

وأقام ذو القرنين فيها حجة
 إذ كان ذو القرنين جدى مسلماً
 خوفاً يطوف على اللظى المتوقد
 ففتى تراه له المقاولُ تسجد
 طاف المشارق والمغرب عالماً
 يعني علوماً من كريم مرشد
 ورأى مسير الشمس عند غروبها
 في عين ذي خلب وثأط حرمد
 فلقد أذل الصعب صعب زمانه
 وأناط قوة عزه بالفرقد

ثم قال في التيجان قال معاوية يا ابن عباس فما انقلب والثأط والخرمد قال انقلب الحساء والثأط ما تحتها من العلين والخرمد ما تحتها من الحصى والحجر .

(١) قوله ذكره ابن هشام أى في السيرة وقوله وذكر في موضع آخر أى في التيجان في ملوك حمير

روايته عن وهب بن منبه اه محمود الامام .

(٢) والذى في البرانس عن اكثر أهل السير هو الاسكندر بن فيلبش بن بطريوس بن هرمس

ابن هرديوس بن منطون بن رومي بن لطين بن يونان بن يافث . اه محمود الامام

وأما نهنا عليه لأن كثير من الناس يمتد أنها واحد وإن المذكور في القرآن هو الذي كان ارطاطليس
 وزبره فيقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير فإن الأول كان عبداً مؤمناً صالحاً وملكاً
 عادلاً وكان وزيره الخضر وقد كان نبياً على ما قررناه قبل هذا . وأما الثاني فكان مشركاً وكان وزيره
 فيلسوفاً وقد كان بين زمانيهما تزيد من التي سنة . فإن هذا من هذا لا يستويان ولا يشتهان إلا على غير
 لا يعرف حقائق الأمور * قوله تعالى (ويسألونك عن ذى القرنين) كان سبيه أن قريشاً سألوا اليهود
 عن شيء يمتحنون به علم رسول الله (س) فقالوا لهم سلوه عن رجل طواف في الأرض وعن خية
 خرجوا لا يدري ما فعلوا فأنزل الله تعالى قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين . ولهذا قال (قل
 سألتوا عليكم منه ذكراً) أى من خبره وشأنه (ذكراً) أى خبيراً نافعاً كلياً في تعريف أمره وشرح
 حاله فقال (إنا مكننا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سيباً) أى وسعنا مملكته في البلاد وأصلناه
 من آلات المملكة ما يمتين به على تحصيل ما يجاوزه من المهمات العظيمة والمقاصد الجليلة . قال
 قتبية عن أبي عوانة عن سبأ عن حبيب بن حماد قال كنت عند علي بن أبي طالب وسأله رجل عن
 ذى القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب فقال له (سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له في
 النور) وقال أزيدك فسكت الرجل وسكت على رضى الله عنه . وعن أبي اسحاق السبيعي عن عمرو بن
 عبد الله الوادعي سمعت معاوية يقول : ملك الأرض أربعة . سليمان بن داود النبي عليهما السلام . وذو
 القرنين ورجل من أهل حلوان . ورجل آخر . قيل له ! الخضر قال لا * وقال الزبير بن بكار حدثني
 ابراهيم بن المنذر عن محمد بن الضحاك عن أبيه عن سفيان الثوري قال بلغني أنه ملك الأرض كلها
 أربعة (مؤمنان وكافران سليمان النبي وذو القرنين ونمرود وبخت نصر) وهكذا قال سعيد بن بشير
 سواء وقال اسحاق بن بشر عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال (كان ذو القرنين ملك
 بعد النمرود وكان من قصته أنه كان رجلاً مسلماً صالحاً أتى المشرق والمغرب مد الله له في الاجل
 ونصره حتى قهر البلاد واحتوى على الاموال وفتح المدائن وقتل الرجال وجال في البلاد والقلاع
 فسار حتى أتى المشرق والمغرب فذلك قول الله (ويسألونك عن ذى القرنين قل سألتوا عليكم منه
 ذكراً) أى خبيراً (إنا مكننا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سيباً) أى علماً بطلب اسباب المنازل *
 قال اسحاق وزعم مقاتل أنه كان يفتح المدائن ويجمع الكنوز فمن اتبعه على دينه وتاب عليه وإلا
 قتله . وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وعكرمة وعبيد بن يعلى والسدي وقاتدة والضحاك
 (وآتيناه من كل شيء سيباً) يعنى علماً وقال قتادة ومطر الوراق معالم الأرض ومنازلها واعلامها وآثارها
 وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعنى تعلم الالسة كان لا يفترو قوماً إلا حدثهم بلنتهم والصحيح أنه
 يعم كل سبب يتوصل به الى نيل مقصوده في المملكة وغيرها فانه كان يأخذ من كل أقليم من الامتنة

والمطاعم والازداد ما يكفيه ويمينه على اهل الاقليم الآخر *

وذكر بعض أهل الكتاب أنه مكث ألفاً وستائة سنة يجوب الأرض ويدعو أهلها إلى عبادة الله وحده لا شريك له وفي كل هذه المدة نظر والله أعلم . وقد روى البيهقي وابن عساکر حديثاً متعلقاً بقوله (وأتيناها من كل شيء ميبأً) مطولاً جداً وهو منكر جداً . وفي اسناده محمد بن يونس الكندي وهو منهم فلن هذا لم نكتبه لسقوطه عندنا والله أعلم وقوله (فأتبع سيباً) أى طريقاً (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) يعنى من الأرض انتهى إلى حيث لا يمكن أحداً أن يجاوزه ووقف على حافة البحر المحيط الغربى الذى يقال له أوقيانوس الذى فيه الجزائر المسماة بالخالديات التى هى مبدأ الاطوال على أحد قولى اربلب الميئة والثانى من ساحل هذا البحر كما قدمنا . وعنده شاهد مقيب الشمس فيما رآه بالنسبة إلى مشاهدة (تقرب فى عين حمة) والمراد بها البحر فى نظره فان من كان فى البحر أو على ساحله يرى الشمس كأنها تطلع من البحر وتغرب فيه ولهذا قال (وجدها) أى فى نظره ولم يقل فلذا هى تقرب فى عين حمة أى ذات حمة . قال كعب الاحبار وهو الطين الاسود . وقرأه بعضهم حامية . قيل يرجع إلى الاول . وقيل من الحرارة وذلك من شدة المقابلة لوهج ضوء الشمس وشعاعها . وقد روى الامام احمد عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب حدثنى مولى لعبد الله بن عمرو عن عبد الله . قال نظر رسول الله ص : إلى الشمس حين غابت فقال (فى نورا الله الحامية لولا ما بزعمنا من أمر الله لاحرق ما على الأرض) فيه غرابة وفيه رجل مهم لم يسم ورضه فيه نظر وقد يكون موقفاً من كلام عبد الله بن عمرو فانه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب المتقدمين فكان يحدث منها والله أعلم * ومن زعم من القصاص أن ذا القرنين جاوز مغرب الشمس وصار يمشى بجيوشه فى ظلمات مدداً طويلة قد اخطأوا بعد النجعة . وقال ما يخالف العقل والنقل .

بَيَانُ طَلَبِ ذَوِي الْقَرْنَيْنِ عَيْنِ الْحَيَاةِ

وقد ذكر ابن عساکر من طريق وكيع عن أبيه عن معتمر بن سليمان عن أبي جعفر الباقر عن أبيه زين الدابدين خيراً مطولاً جداً فيه أن ذا القرنين كان له صاحب من الملائكة يقال له رواقيل فسأله ذو القرنين هل تعلم فى الأرض عيناً يقال لها عين الحياة فذكر له صفة مكانها فذهب ذو القرنين فى طلبها وجعل الخضر على مقدمته فاتمى الخضر اليها فى وادى فى أرض الظلمات فشرب منها ولم يهد ذو القرنين اليها . وذكر اجتماع ذى القرنين ببعض الملائكة فى قصر هناك وأنه اعطاه حجراً فلما رجع إلى بيته سأل العلماء عنه فوضوه فى كفة ميزان وجعلوا فى مقابله ألف حجر مثله فوزنها حتى سأل الخضر فوضع قبالة حجراً وجعل عليه حفنة من تراب فرجح به . وقال هذا مثل ابن آدم لا يشبع حتى يوارى

ماتراب فسجد له العلماء تسكيباً له واعظاماً والله اعلم * ثم ذكر تعالى أنه حكم في أهل تلك الناحية (قلنا إذا القرنين إما أن تصذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا . قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فعذبه عذاباً نكراً) أي فيجتمع عليه عذاب الدنيا والآخرة وبدأ بعذاب الدنيا لأنه أضر عند الكافر (وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وستقوله له من امرنا يسراً) فبدأ بالآمن وهو ثواب الآخرة وعطف عليه الاحسان منه اليه وهذا هو العدل والعلم والايان قال الله تعالى (ثم أتبع سبباً) أي سلك طريقاً راجعاً من المغرب إلى المشرق فيقال إنه زجع في ثفتي عشر سنة (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) أي ليس لهم بيوت ولا اكنان يسترون بها من حر الشمس . قال كثير من العلماء ولكن كانوا يأوون إذا اشتد عليهم الحر إلى اسراب قد اتخذوها في الأرض شبه القبور قال الله تعالى (كذلك وقد احطنا بما لديه خبراً) أي ونحن نعلم ما هو عليه ونحفظه ونكافئه بحراستنا في مسيره ذلك كله من مغارب الأرض إلى مشارقها .

وقد روى عن عبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما من السلف أن ذوا القرنين حج ماشياً فلما سمع ابراهيم الخليل بقدمه تلقاء فلما اجتمعا دعا له الخليل ووصاه بوصايا ويقال انه جرى بفرس ليركبها فقال لا أركب في بلدي الخليل فسخر الله له السحاب وبشر ابراهيم بذلك فكانت تحمله إذا أراد . وقوله تعالى (ثم أتبع سبباً . حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونها قوماً لا يكادون يفقهون قولاً) يعني قشياً . يقال أنهم هم الترك أبناء عم يأجوج ومأجوج قد كروا له أن هاتين القبيلتين قد تمدوا عليهم وأفسدوا في بلادهم وقطعوا السبل عليهم وبذلوا له حملاً وهو الخراج على أن يقيم بينهم وبينهم حاجزاً ينسهم من الوصول إليهم فامتنع من أخذ الخراج بما أعطاه الله من الاموال الجزيلة (قال ما مكنتي فيه ربي خيراً) ثم طلب منهم أن يجمعوا له رجالاً وآلات ليبنى بينهم وبينهم سداً وهو الردم بين الجبلين وكانوا لا يستطيعون الخروج إليهم إلا من بينهما وبقية ذلك بحار مفرقة وجبال شاهقة فبناء كما قال تعالى من الحديد والقطر وهو النحاس المذاب . وقيل الرصاص والصحيح الاول فحصل بدل الابن حديداً وبدل الطين نحاساً ولهذا قال تعالى (فما استطاعوا أن يظهره) أي يملوا عليه ببلاد ولا غيرها (وما استطاعوا له تقبلاً) أي بماول ولا فؤس ولا غيرها قابل الاسهل بالاسهل والاشد بالاشد (قال هذا رحمة من ربي) أي قدر الله وجوده ليكون رحمة منه بعباده أن يمنع بسببه عدوان هؤلاء القوم على من جاورهم في تلك الحملة (فاذا جاء وعد ربي) أي الوقت الذي قدر خروجه على الناس في آخر الزمان (جملة ذلك) أي مساوياً للأرض ولا بد من كون هذا ولهذا قال (وكان وعد ربي حقاً) كما قال تعالى (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون . واقترب الوعد الحق الآية) ولذا قال ههنا (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) يعني يوم فتح السد على الصحيح (وفتح في

الصور فممنام جداً) وقد أوردنا الاحاديث المروية في خروج يأجوج ومأجوج في التفسير وسنوردها ان شاء الله في كتاب الفتن والملاحم من كتابنا هذا إذا انتهينا اليه بحول الله وقوته وحسن توفيقه ومعونه وهمايته .

قال أبو داود الطيالسي عن الثوري بلغنا أن أول من صافح ذو القرنين . وروى عن كعب الاحبار انه قال لمأوية إن ذا القرنين لما حضرته الوفاة أوصى أمه إذا هو مات أن تصنع طعاماً وتجميع نساء أهل المدينة وأضمه بين أيديهن وتأذن لمن فيه إلا من كانت تكلى فلا تأكل منه شيئاً فلما فعلت ذلك لم تضع واحدة سنن يدها فيه فقالت لمن سبحان الله كلكن تكلى قلن أى والله ما منا إلا من ائسكت فكان ذلك تسلياً لأمه . وذكر اسحاق بن بشر عن عبد الله بن زياد عن بعض أهل الكتاب وصية ذى القرنين وموعظة أمه موعظة بليغة طويلة فيها حكم وأمور نافعة وأنه مات وعمره ثلاثة آلاف سنة وهذا غريب .

قال ابن عساكر وبلغني من وجه آخر أنه عاش ستاً وثلاثين سنة . وقيل كان عمره ثنتين وثلاثين سنة . وكان بعد داود ببعثة سنة وأربعين سنة . وكان بعد آدم بخمسة آلاف ومائة واحدى وثمانين سنة . وكان ملكه ست عشرة سنة . وهذا الذى ذكره انما ينطبق على اسكندر الثانى لا الأول وقد خلط في أول الترجمة وآخرها بينهما والصواب التفرقة كما ذكرنا ابتداءً بمجماعة من الحفاظ والله أعلم * ومن جعلها واحداً الامام عبد الملك بن هشام راوى السيرة وقد أنكر ذلك عليه الحفاظ أبو التمام السهيلي رحمه الله انكاراً بليغاً ورد قوله رداً شنيعاً وفرق بينهما تفريقاً جيداً كما قدمنا قال ولعل جماعة من الملوك المتقدمين تسوموا بنى القرنين تشبهاً بالاول والله اعلم *

ذكر ربيى يا مجوج وما مجوج

وصفاتهم وما ورد من أخبارهم وصفة السد

هم من ذرية آدم بلا خلاف فعلمه ثم الدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين من طريق الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله (س) . يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم قم فابث بئس النار من ذريتك فيقول يارب وما بئس النار فيقول من كل ألب تسمة وتسمة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فينشد يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد * قالوا يا رسول الله أينا ذلك الواحد فقال رسول الله (س) . (ابشروا فان منكم واحداً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً) وفي رواية فقال ابشروا فان فيكم أمتين ما كانتا في شئ إلا كثرتاه أى غلبتاه كثرة وهذا يدل على كثرتهم وانهم اضعاف الناس مراراً عديدة . ثم م من ذرية نوح لان

الله تعالى أخبر أنه استجاب لبعده نوح في دعائه على أهل الأرض بقوله (رب لا تدز على الأرض من الكافرين دياراً) وقال تعالى (فأبقيناه وأصحاب السفينة) وقال (وجعلنا ذريته هم الباقين) وتقدم في الحديث المروي في المسند والسنن أن نوحاً ولد له ثلاثة وهم سام وحام وياث نسام أبو العرب وحام أبو السودان وياث أبو الترك فأجوج ومأجوج طائفة من الترك وهم مثل المغول وهم أشد بأساً وأكثر فساداً من هؤلاء، ونسبتهم إليهم كنسبة هؤلاء إلى غيرهم. وقد قيل إن الترك إنما سموا بذلك حين بنى ذو القرنين السد والجبل بأجوج ومأجوج إلى ما وراءه فبقيت منهم طائفة لم يكن عندهم كفسادم فتركوا من ورائه * فلهاذا قيل لهم الترك.

ومن زعم أن يأجوج ومأجوج خلقوا من نطفة آدم حين احتلم فاختلطت بتراب فخلقوا من ذلك وأنهم ليسوا من حواء فهو قول حكاة الشيخ أبو زكريا النوادي في شرح مسلم وغيره وضعفه وهو جدير بذلك إذ لا دليل عليه بل هو مخالف لما ذكرناه من أن جميع الناس اليوم من ذرية نوح بنص القرآن * وهكذا من زعم أنهم على أشكال مختلفة أطوال متباينة جداً. ففهم من هو كالنحلة السحوق. ومنهم من هو غاية في القصر. ومنهم من يفترش أذناً من أذنيه ويتغطى بالأخرى فكل هذه أقوال بلا دليل ورجم بالقياس بغير برهان. والصحيح أنهم من بني آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم. وقد قال النبي (س)، (إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً) ثم لم يزل الملق يتقص حتى الآن. وهذا يفصل في هذا الباب وغيره. وما قيل من أن أحدهم لا يموت حتى يرى من ذريته ألفاً فإن صح في خبر قلنا به والا فلا نزده إذ يحتمل العقل والنقل أيضاً قد يرشد إليه والله أعلم. بل قد ورد حديث مصرح بذلك أن صح قال الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس الأصماني حدثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا المغيرة عن مسلم عن أبي اسحاق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو عن النبي (س)، قال (إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لآفدوا على الناس ما أنتمهم ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً. وإن من ورائهم ثلاث أمم (تأويل وتاريس ومنسك). وهو حديث غريب جداً وأسناده ضعيف. وفيه زكارة شديدة * وأما الحديث الذي ذكره بن جرير في تاريخه أن رسول الله (س)، ذهب إليهم ليلة الإسراء فدعاهم إلى الله فامتنوا من اجابته ومتابته وأنه دعا تلك الامم التي هناك (تاريس وتأويل ومنسك) فاجابوه فهو حديث موضوع اختلقه أبو نعيم عمرو بن الصبيح أحد الكذابين الكبار الذين اعترفوا بوضع الحديث والله اعلم.

فان قيل فكيف دل الحديث المتفق عليه أنهم فداء المؤمنين يوم القيامة وأنهم في النار ولم يموت إليهم رسل. وقد قال الله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فالجواب أنهم لا يذبون إلا بعد قيام الحجة عليهم والاعذار إليهم كما قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فان كانوا في زمن

التي قبل بث محمد (ص)، قد أتتهم رسل منهم قد قامت على أولئك الحجة وان لم يكن قد بث الله اليهم رسلا فهم في حكم أهل الفترة . ومن لم تبليه الدعوة وقد دل الحديث الروى من طرق عن جماعة من الصحابة عن رسول الله (ص)، (ان من كان كذلك يتحنن في عرصات القيامة فمن أجاب الداعي دخل الجنة ومن أبى دخل النار) وقد أوردنا الحديث بطرقة وألفاظه وكلام الائمة عليه عند قوله (وما كنا منذرين حتى ينث رسولاً) وقد حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري اجمالاً عن أهل السنة والجماعة وامتنعوا لا يقتضى نجاتهم ولا ينافى الأخبار عنهم بأنهم من أهل النار لأن الله يطلع رسوله (ص) على ما يشاء من أمر النبي وقد اطلعه على أن هؤلاء من أهل الشقاء وأن سبائهم تأتي قبول الحق والاعتقاد فهم لا يجهلون الداعي الي يوم القيامة فيعلم من هذا أنهم كانوا أشد تكذيباً للحق في الدنيا لو بلتهم فيها لأن في عرصات القيامة يتقاد خلق من كان مكذباً في الدنيا فايقام الايمان هناك لما يشاهد من الأحوال أولى وأحرى منه في الدنيا والله أعلم . كما قال تعالى (ولوترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمنا فارجعنا فنل صالحاً إنا موقنون) وقال تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) * وأما الحديث الذي فيه أن رسول الله (ص) دعاهم ليلة الاسراء فلم يجيبوا فله حديث منكر بل موضوع وضعه عمرو بن الصبيح .

وأما السد فقد تقدم أن ذا القرنين بناه من الحديد والنحاس وسأوى به الجبال العم الشاخات الطوال فلا يعرف على وجه الارض بناء أجل منه ولا أنفع للخلق منه في أمر دنياهم . قال البخارى وقال رجل للنبي (ص) رأيت السد قال وكيف رأيت قال مثل البرد المغير فقال رأيت هكذا . ذكره البخارى معلقاً بصيغة الجزم وأراده مستنداً من وجه متصل أرفضه غير أن ابن جرير رواه في تفسيره مرسل قال حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن رجلاً قال (يا رسول الله قد رأيت سدواً ياجوج ومأجوج قال افته لي قال كالبرد المغير طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيت .

وقد ذكر أن الخليفة الواصل بث رسلا من جهته وكتب لهم كتباً إلى الملوك يوصلونهم من بلاد إلى بلاد حتى ينهوا إلى السد فيكشفوا عن خبره وينظروا كيف بناه ذو القرنين على أى صفة فلما رجعوا أخبروا عن صفته وأن فيه باباً عظيماً وعليه أقال وأنه بناء محكم شاهق منيف جداً وأن بقية اللبن الحديد والآلات في برج هناك وذكروا أنه لا يزال هناك حرس لتلك الملوك المناخة لتلك البلاد ومحلته في شرقى الارض في جهة الشمال في زاوية الارض الشرقية الشمالية ويقال ان بلادهم منسمة جداً وانهم يقتاتون باصناف من المعاش من حراثته وزراعة واصطياد من البر ومن البحر وهم أمم وخلق لا يعلم عدهم إلا الذى خلقهم . فان قيل فما الجم بين قوله تعالى (فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له قبياً) وبين الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله عنها قالت استيقظ رسول الله (ص) .

من نوم محرماً وجهه وهو يقول (لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم
 يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق تسعين) قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثرت
 النجس . وأخرجه في الصحيحين من حديث وهيب عن ابن طلوس عن أبيه عن أبي هريرة قال قال
 رسول الله (ص) ، (فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وعقد تسعين) . فليجاب أما على قول
 من ذهب الى أن هذا إشارة إلى فتح ابواب الشر والفتن وان هذا استعارة مضمرة وضرب مثل فلا
 اشكال . واما على قول من جعل ذلك اخباراً عن امر محسوس كما هو الظاهر المتبادر فلا اشكال أيضاً
 لان قوله (فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له قبياً) أى فى ذلك الزمان لأن هذه صفة خير
 ماض فلا ينفي وقوعه فيما يستقبل باذن الله لهم فى ذلك قدراً وتسليطهم عليه بالتدريج قليلاً قليلاً حتى يتم
 الاجل ويتنقض الامر المقدور فيخرجون كما قال الله تعالى (وهم من كل حذب ينبئون) ولكن الحديث
 الآخر اشكل من هذا وهو ما رواه الامام أحمد فى مسنده قائلاً حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي عروبة
 عن قتادة حدثنا أبو رافع عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) ، قال (ان يأجوج ومأجوج ليحفرون
 السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً فيعودون
 اليه كاشداً ما كان حتى إذا بنيت مدنهم وأراد الله أن يبصمهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون
 شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرون غداً إن شاء الله ويستثنى فيعودون اليه وهو كهيئة يوم
 تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فيستقون المياه وتمحصن الناس فى حصونهم فيرمون بسهامهم الى
 السماء فترجع وعليها كهيئة الدم فيقولون قهرنا أهل الارض وعلونا أهل السماء فيبصم الله عليهم نفاقاً فى
 اقبانهم فيقتلهم بها . قال رسول الله (ص) ، (والذى نفس محمد بيده إن دواب الارض لتسمن وتشكر
 شكراً من لحمهم ودمائهم) ورواه احمد أيضاً عن حسن بن موسى عن سفيان عن قتادة به وهكذا رواه
 ابن ماجه من حديث سعيد عن قتادة الا أنه قال حديث أبو رافع ورواه الترمذى من حديث أبي
 عروبة عن قتادة به . ثم قال غريب لا يعرفه إلا من هذا الوجه فقد أخبر فى هذا الحديث أنهم كل
 يوم يلحسونه حتى يكادوا يندرون شعاع الشمس من ورائه لرقته فان لم يكن رفم هذا الحديث محفوظاً
 وانما هو مأخوذ عن كعب الاحبار كما قاله بعضهم فقد استرحنا من المؤفة وان كان محفوظاً فيكون
 محمولاً على أن ضيعهم هذا يكون فى آخر الزمان عند اقتراب خروجهم كما هو المروى عن كعب الاحبار
 أو يكون المراد بقوله (وما استطاعوا له قبياً) أى نافذاً ، منه فلا ينفي أن يلحسوه ولا يتفكروه والله أعلم
 وعلى هذا فيمكن الجمع بين هذا وبين ما فى الصحيحين عن أبي هريرة فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج
 مثل هذه وعقد تسعين أى فتح فتحاً نافذاً فيه والله أعلم *

قصة أصحاب الكهف

قال الله تعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجيباً إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشداً فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً ثم بشناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً. نحن نحص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى. وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً. هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا. واذ اعتزلتموه وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً. وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهنهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ونحسبهم أيقاظاً وهم يفتقدون وقلوبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملكت منهم رعباً. وكذلك بشناهم ليعتدوا بهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم. قلوا ربكم أعلم بما لبثتم فابشروا أحدهم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طمأناً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشرن بك أحداً. انهم ان يظهروا عليكم برجومكم أو يبيدوكم في ماتهم ولن تفلحوا إذا أبداً. وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وإن الساعة لأربيب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابناؤا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً. سيقولون ثلاثة رابهم كآبهم ويقولون خمسة سادسهم كآبهم رجماً بالغيب. ويقولون سبعة وثامنهم كآبهم. قل ربني أعلم بملئهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً. ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربني لأقرب من هذا رشداً. ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً. قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبعصره واسمع ما لم يسمع من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً)

كان سبب نزول قصة أصحاب الكهف وخبر ذي القرنين ما ذكره محمد بن اسحاق في السيرة وغيره ان قريشاً بشوا إلى اليهود يسألونهم عن أشياء يمتحنون بها رسول الله (ص)، ويسألونه عنها ليختبروا ما يجيب به فيها فقالوا سلوه عن أقوام ذهبوا في الدهر فلا يدري ما صنعوا وعن رجل طواف في الأرض وعن الروح فأنزل الله تعالى (ويسألونك عن الروح. ويسألونك عن ذي القرنين) وقال ههنا (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجيباً) أي ليسوا بمعجب عظيم بالنسبة إلى ما اطعنك عليه من الاخبار المغلوبة والآيات الباهرة والمجائب الغريبة. والكهف هو النار في الجبل. قال شعيب الجبالي

واسم كهفهم جيزم وأما الرقيم فمن ابن عباس أنه قال لا أدري ما المراد به . وقيل هو الكتاب المرقوم فيه أسماؤهم وما جرى لهم كتب من بدم اختاره ابن جرير وغيره . وقيل هو اسم الجبل الذي فيه كهفهم . قال ابن عباس وشعيب الجبائي واسمه بناجلوس . وقيل هو اسم وأد عند كهفهم وقيل اسم قرية هناك والله أعلم

قال شعيب الجبائي واسم كلهم حمران واعتناء اليهود بهم ومعرفة خيرهم يدل على أن زلماتهم متقدم على ما ذكره بعض المفسرين أنهم كانوا بعد المسيح وأنهم كانوا نصارى . والظاهر من السياق أن قومهم كانوا مشركين يبدون الأصنام . قل كثير من المفسرين والمؤرخين وغيرهم كانوا في زمن ملك يقال له دقيانوس وكانوا من أبناء الأكارب . وقيل من أبناء الملوك واتفق اجتماعهم في يوم عيد لقومهم فرأوا ما يماطاه قومهم من السجود للأصنام والتمظيم للأوثان فظفروا بين البصيرة وكشف الله عن قلوبهم حجاب الغفلة والمهمهم رشدهم فعلوا أن قومهم ليدوا على شيء فخرجوا عن دينهم واتباعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له . وقال إن كل واحد منهم لما أوقع الله في نفسه ما هداه إليه من التوحيد انحاز عن الناس واتفق اجتماع هؤلاء القتيبة في مكان واحد كما صح في البخاري (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) فشكل منهم سأل الآخر عن أمره وعن شأنه فآخيره ما هو عليه واتفقوا على الإنحياز عن قومهم والتبري منهم والخروج من بين أظهرهم والفرار بدينهم منهم وهو المشروع حال الفتن وظهور الشرور . قال الله تعالى (نحن نحص عليك نبأهم بالحق أنهم قتيبة آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه ألهاً لقد قلنا إذا شططوا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهاً لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أي بدليل ظاهر على ما ذهبوا إليه وصاروا من الأمر عليه (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا واذعترتقوم وما يبدون إلا الله) أي واذعترتقوم في دينهم وتبرأتم مما يبدون من دون الله وذلك لأنهم كانوا يشركون مع الله كما قال الخليل (انني براء مما عبدون إلا الذي فطرنى فانه سيهدين) وهكذا هؤلاء القتيبة قال بعضهم إذ قد فارقتم قومكم في دينهم فاعتزلوهم بإبدانكم لتسلموا منهم أن يوصلوا اليكم شراراً فأووا إلى الكهف ينشركم ربكم من رحمة ويهون لكم من أمرهم صرفنا أي يسبل عليكم ستره وتكونوا تحت حفظه وكنفه ويجعل عاقبة أمرهم إلى خير كما جاء في الحديث (اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة) . ثم ذكر تعالى صفة النار الذي آووا إليه وإن يابه موجه إلى نحو الشمال وعماقه إلى جهة القبلة وذلك انض الاماكن أن يكون المكان قبلياً وبابه نحو الشمال فقال (ورى الشمس إذا طلعت تراءر) وقرى تروزر (عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) فآخبر ان الشمس معنى في زمن الصيف وأشباهاه تشرق أول طلوعها في النار في جانبه الغربي ثم تشرق في

الخروج منه قليلا قليلا وهو ازورارها ذات العينين فترفع في جو السماء وتفصل عن باب العارم اذا تضيقت للغروب تشرع في السخول فيه من بيته الشرقية قليلا قليلا الى حين الغروب كما هو المشاهد يمثل هذا المكان والحكمة في دخول الشسن اليه في بعض الاحيان أن لا يفسد هواؤه (وهم في جنة من ذلك من آيات الله) أي بقاؤهم على هذه الصفة دهرًا طويلا من السنين لا ياكلون ولا يشربون ولا تتعدى اجسادهم في هذه المدة الطويلة من آيات الله وبرهان قدرته العظيمة (من يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد له وليا مرشداً) وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) قال بعضهم لان اعينهم مفتوحة لئلا تقسد بطول النض (وقلبهم ذات العين وذات الشمال) قيل في كل عام يتحولون مرة من جنب الى جنب ويحتمل أكثر من ذلك فالله أعلم (وكلبهم باسط ذراعيه بالصيد) قال شعيب الجبائي اسم كلبهم حمران وقال غيره الوصيد اسكفة السباب . والمراد أن كلبهم الذي كان معهم وصحبهم حال افرادهم من قومهم لزمهم ولم يدخل معهم في الكهف بل رضى على بابه ورضع يديه على الوصيد وهذا من جملة أدبه ومن جملة ما اكرموا به فان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولما كانت التبعية مؤثرة حتى كان في كلب هؤلاء صار باقيا معهم ببقائهم لأن من أحب قوماً ساعد بهم فاذا كان هذا في حق كلب فما ظنك بمن تبع أهل الخير وهو أهل للاكرام . وقد ذكر كثير من القصاص والمفسرين لهذا الكلب نبأ وخبراً طويلا أكثره متلقى من الاسرائيليات وكثير منها كذب وبما لا فائدة فيه كاختلافهم في اسمه ولونه .

واما اختلاف العلماء في حجة هذا الكهف فقال كثير من هو بارض ايلة . وقيل بارض نينوى . وقيل بالبقاء وقيل ببلاد الروم وهو اشبه والله أعلم . ولما ذكر الله تعالى ما هو الا نفع من خبرهم والأم من أمرهم ووصف حالهم حتى كأن السامع راء والخبر مشاهد لصفة كهفهم وكيفيتهم في ذلك الكهف وقلوبهم من جنب الى جنب وان كلبهم باسط ذراعيه بالصيد . قال (لو اطلمت عليهم لوليت منهم فراراً وملتت منهم رعباً) أي لما عليهم من المهابة والجلالة في أمرهم الذي صاروا اليه وامل الخطاب ههنا لجنس الانسان المخاطب لا بخصوصية الرسول (س) . كقوله (فما يكذبك بعد بالدين) أي أيها الانسان وذلك لان طبيعة البشرية تفر من رؤية الاشياء المهيبة غالباً ولهذا قال (لو اطلمت عليهم لوليت منهم فراراً وملتت منهم رعباً) ودل على أن الخبر ليس كالمأينة كما جاء في الحديث لان الخبر قد حصل ولم يحصل الفرار ولا الرعب . ثم ذكر تعالى انه بهم من رقدتهم بعد نومهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين فلما استيقظوا قال بعضهم لبعض كم لبتم قالوا لبنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبتم فابشروا احكم بورقكم هذه الى المدينة) أي بدرهمكم هذه يعني التي معهم الى المدينة ويقال كان اسمها دفسوس (فلينظر ايها أزمي طاماً) أي أطيب مالا (فلينظر ايها أزمي برزق منه) أي بطعام تأكلونه وهذا من زهدهم

وورعهم (وليتلطف) أى فى دخوله اليها (ولا يشعرون بكم أحدا منهم ان يظهرها عليكم يرجوكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفكحوا اذا أبدا) أى ان عدتم فى ملتهم بعد اذ اقتدكم الله منها وهذا كله لظلمهم أنهم رقدوا يوماً أو بعض يوم أو أكثر من ذلك ولم يحسبوا أنهم قدرقدوا أزيد من ثلثمائة سنة وقد تبدلت الدول أطوارا عديدة وتغيرت البلاد ومن عليها وذهب أولئك القرن الذين كانوا فيهم وجاء غيرهم وذهبوا وجاء غيرهم ولهذا لما خرج أحدهم وهو تيدوسيس (١) فيها قيل وجاء الى المدينة متنكرا لئلا يعرفه أحد من قومه فيما يحسبه تنكرت له البلاد واستنكره من يراه من اهلها واستغربوا شكله وصفته ودرأهم فيقال أنهم حلوه الى متوليتهم وخافوا من أمره أن يكون جاسوساً أو تنكرون له صولة يخشون من مضرته فيقال انه هرب منهم ويقال بل أخبرهم خبره ومن معه وما كان من أمرهم فانطلقوا معه ليريهم مكاتهم فلما قربوا من الكهف دخل الى اخوانه فاخبرهم حقيقة أمرهم ومقدار ما رقدوا فعلموا أن هذا أمر قدرة الله فيقال أنهم استمروا راقدين ويقال بل ماتوا بعد ذلك .

وأما أهل البلدة فيقال أنهم لم يهتدوا الى موضعهم من الغاروعى الله عليهم أمرهم ويقال لم يستطعوا دخوله حسا (٢) ويقال مهابة لهم .

واختلفوا فى أمرهم فقالون يقولون (ابنوا عليهم نبأنا) أى سدوا عليهم باب الكهف لئلا يخرجوا أو لئلا يصل اليهم ما يؤذيهم وآخرون وهم الغالبون على أمرهم قالوا (لنتخذن عليهم سجدا) أى معبداً يكون مباركا لجوارته هؤلاء الصالحين . وهذا كان شائماً فيمن كان قبلنا فلما فى شرعنا فقد ثبت فى الصحيحين عن رسول الله (ص) أنه قال (لئن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبورا نبياهم مساجد) يجذر ما فعلوا وأما قوله (وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها) فعنى أعتزنا أطلعنا على أمرهم الناس . قال كثير من المفسرين ليعلم الناس أن المعاد حق وان الساعة لا ريب فيها اذا علموا أن هؤلاء القوم رقدوا أزيد من ثلثمائة سنة ثم قاموا كما كانوا من غير تغير منهم فان من أجهام كما هم قادر على إعادة الابدان وان أكتها الديدان وعلى إحياء الاموات وان صارت اجسامهم وعظامهم رقانا وهذا مما لا يشك فيه المؤمنون (إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) . هذا ويحتمل عود الضمير فى قوله ليعلموا الى أصحاب الكهف إذ علمهم بذلك من أنفسهم ابلغ من علم غيرهم بهم ويحتمل أن يعود على الجميع والله أعلم . ثم قال تعالى (سيقولون ثلاثة راجمهم كلهم ويقولون خمسة سادسهم كلهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلهم) فذكر اختلاف الناس فى كثرتهم فحكى ثلاثة أقوال ووسط الاولين وقرر الثالث فدل على انه الحق اذ لو قيل غير ذلك لحكاه ولولم يكن هذا الثالث هو الصحيح

(١) كذا بالاصول والنسب فى ابن جرير أن اسمه يملينا وان تيدوسيس فهو اسم الملك الذى كان

(٢) كذا بالاصول ولعله جينا

على المدينة حين قيامهم

لوهاء فدل على ماقلناه ولما كان النزاع في مثل هذا لا طائل نحته ولا جدوى عنده أُرشد نبيه (س)، الى
الادب في مثل هذا الحال اذا اختلف الناس فيه أن يقول الله أعلم . ولهذا قال (قل ربى أعلم بملئهم) وقوله
(ما يعلمهم إلا قليل) أى من الناس فلا تمار فيهم إلا مرأى ظاهراً (أى سهلاً ولا تتكلف اعمال الجدال
في مثل هذا الحال ولا تستفت في أمرهم احداً من الرجال ولهذا أبهم تعالى عدتهم في أول القصة فقال
(إنهم قتيه آمنوا بربههم) ولو كان في تعين عدتهم كبير فائدة لذكرها عالم النبي والشهادة وقوله تعالى
(ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا ان يشاء الله واذا كر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى
لا تقرب من هذا رشداً) ادب عظيم ارشده الله تعالى اليه وحث خلقه عليه وهو ما اذا قال احدهم انى سأفضل
في المستقبل كذا فيشرع له ان يقول ان شاء الله ليكون ذلك تحميماً لزمه لان العبد لا يعلم ماى غد ولا
يدرى اهنا الذى عزم عليه مقدر ام لا وليس هذا الاستثناء تعليماً وانما هو الحقيقى ولهذا قال ابن
عباس يصح الى سنة ولكن قد يكون في بعض المحال لهذا ولهذا كما تقدم في قصة سليمان عليه السلام حين قال
لا طوفن الليلة على سبعين امرأة تلد كل واحدة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله قيل له قل ان شاء الله فلم
يقل فطاف فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف انسان قال رسول الله (س)، والذى نفسى بيده لو
قال ان شاء الله لم يحنث وكان دركاً لحاجته . وقوله (واذا كر ربك اذا نسيت) وذلك لان النسيان قد
يكون من الشيطان فذكر الله يطرده عن القلب فيذكر ما كان قد نسيه . وقوله (وقل عسى أن يهدين
ربى لأقرب من هذا رشداً) أى اذا اشتبه أمر واشكل حال والتبس أقوال الناس في شيء فارغب
الى الله يسره لك ويسهله عليك ثم قال (ولبثوا في كهنهم ثلثائة سنين وزدادوا تسماً) . لما كان في
الاجبار بطول مدة لبثهم فائدة عظيمة ذكرها تعالى وهذه التسع المزيده بالقرية وهى لتكثير ثلثائة
شمسية فان كل مائة قرية تنقص عن الشمسية ثلاث سنين (قال الله أعلم بما لبثوا) أى اذا سئلت عن مثل
هذا وليس عندك في ذلك هل فرد الأمر في ذلك الى الله عز وجل (له غيب السموات والارض)
أى هو العالم بالنبي فلا يطلع عليه إلا من شاء من خلقه أبصر به واسمع) يعنى أنه يضع الاشياء في محالها
بهذه التام بخلقها وبما يستحقونه ثم قال (ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك في حكمه أحداً) أى ربك المنفرد
بالملك والمنصرف وحده لا شريك له .

قصة الرجلين المؤمن والكافر

قال الله تعالى في سورة الكهف بعد قصة أهل الكهف (واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما
جنتين من اعناب وحفناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً كلنا الجنتين آتت أكلها ولم تقلم منه شيئاً وعجرتنا
خلالهما نهراً وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز فقراً ودخل جنته

وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجلدن خيراً
 منها متقبلاً إلى قوله (هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقاباً) . قال بعض الناس هذا مثل
 مضروب ولا يلزم أن يكون واقصاً والجمهور أنه أمر قد وقع وقوله (واضرب لهم مثلاً) يعني لكفار
 قريش في عدم اجتماعهم بالصفاء والقراء وازدراءهم بهم وافتخارهم عليهم كما قال تعالى (واضرب لهم مثلاً
 أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون) كما قدمنا الكلام على قصتهم قبل قصة موسى عليه السلام والمشهور
 أن هذين كانا من المؤمنين مصطحبين وكان أحدهما مؤمناً والآخر كافراً ويقال إنه كان لكل منهما مال فاتفق
 المؤمن منه في صلاة الله ومرضاة ابتغاء وجهه وأما الكافر فانه اتخذ له بيتين وهما الجنتان المذكورتان
 في الآية على الصفة والعتق المذكور . فيها اعتاب ونجى نصف تلك الاعتاب والزروع في ذلك والانهيار
 سارحة ههنا وههنا للسقي والتنزه وقد استوفقت فيها الثمار واضطربت فيها الانهار وابتهجت الزروع
 والثمار واختر مالكها على صاحبه المؤمن الفقير فتلا له (أما أكثر منك مالا وأعز نفراً) أي أوسع
 جناها . ومراده انه خير منه ومعناه ماذا أغنى عنك انفاقك ماكنت تملكه في الوجه الذي صرفته فيه كان
 الأولى بك أن تفعل كما فعلت لتكون مثلي مثلي على صاحبه (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه) أي وهو
 على غير طريقة مرضية قال (ما أظن أن تبيد هذه أبداً) وذلك لما رأى من اتساع أرضها وكثرة ماؤها
 وحسن نبات أشجارها ولو قد بادت كل واحدة من هذه الأشجار لاستخلف مكانها أحسن منها وزرعها
 دائرة لكثرة مياهها . ثم قال (وما أظن الساعة قائمة) فوثق بزهره الحياطة الدنيا الغانية وكذب بوجود
 الآخرة الباقية الدائمة . ثم قال (ولئن رددت إلى ربي لأجلدن خيراً منها متقبلاً) أي ولئن كان ثم آخرة
 ومعاد فلاجلدن هناك خيراً من هذا وذلك لانه اغتر بدنياه واعتقد أن الله لم يطمعه ذلك فيها إلا لجسه له
 وحظوته عنده كما قال الماص بن وائل فيما قص الله من خبره وخبر خباب بن الارت في قوله (أفرايت الذي
 كفر بآياتنا) وقال (لأوتين مالا وولداً . أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً) وقال تعالى اختبأراً
 عن الانسان إذا أقسم الله عليه (ليقولن هذال وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده
 للحسنى) قال الله تعالى (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقهم من عذاب غليظ) وقال قارون (إنما
 أوتيته على علم عندي) أي لعلم الله بي أني أستحقه قال الله تعالى (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من
 القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جملاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) وقد قدمنا الكلام على قصته
 في اثناء قصة موسى . وقال تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي قربكم عندنا زلزي إلا من آمن وعمل
 صالحاً فاولئك لهم جزء الصنف بما عملوا وهم في الثورات آمنون) . وقال تعالى (أيحسبون أننا نمدم
 به من مال وبينين ناسرع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) . ولما اغتر هذا الجاهل بما خول به في الدنيا
 فغضب الآخرة وادعى أنها ان وجلت ليجدن عند ربه خيراً مما هو فيه وسمعه صاحبه يقول ذلك قال له

(وهو يحاوره) أى يجادله (أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من قطعة ثم سواك رجلاً) أى أجنحت
المعاد وأنت تعلم أن الله خلقك من تراب . ثم من قطعة ثم صورك أطواراً حتى صرت رجلاً سواً سمياً
بصيراً تعلم وتبطن وتقيم فكيف أنكرت المعاد والله قادر على البداية (لكننا هو الله ربى) أى لكن أنا
أقول بخلاف ماقلت وأعتقد خلاف معتقدك (هو الله ربى ولا أشرك ربى أحداً) أى لأعبد سواه واعتقد
أنه يبعث الاجساد بعد فنانها ويميد الاموات ويجمع العظام الرفات وأعلم أن الله لا شريك له فى خلقه ولا
فى ملكه ولا إله غيره ثم أرشده إلى ماكان الاولى به أن يسلكه عند دخول جنته فقال (ولولا إذ دخلت
جنتك قلت ماشاء الله لاقوة إلا بالله) ولهذا يستحب لكل من أعجبه شىء من ماله أو أهله أو ماله أن
يقول كذلك وقد ورد فيه حديث مرفوع فى صحته نظر * قال أبو يعلى الموصلى حدثنا جراح بن خالد حدثنا
عمرو بن يوسف حدثنا عيسى بن عون حدثنا عبد الملك بن زرارة عن أنس قال قال رسول الله (س)
(ما أقسم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول ماشاء الله لاقوة إلا بالله) فى رواية أخرى أنه دون
الموت وكان يتناول هذه الآية (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة إلا بالله) قال الحافظ
أبو الفتح الأزدى عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرارة عن أنس لا يصح ثم قال المومن للكافر
(فمضى ربى أن يؤتى خيراً من جنتك) أى فى الدار الآخرة (ويرسل عليها حساباً من السماء) قال
ابن عباس والضحاك وقادة أى عذاباً من السماء . والظاهر أنه المطر المزعج الباهر الذى يقتل زروعها
وأشجارها فتصبح صعيداً رقيقاً) وهو السراب الاملس الذى لا نبات فيه (أو يصبح ماؤها غوراً)
وهو ضد الممين السارح (فإن تستطع له طلباً) يعنى فلا تقدر على استرجاعه قال الله تعالى (وأحيط بشره)
أى جاءه أمر أحاط بجميع حواصله وخرّب جنته ودمرها (فأصبح يقلب كفيه على ما أفتق فيها وهى
خاوية على عروشها) أى خربت بالكلية فلا عودة لها وذلك ضد ما كان عليه أهل حيث قال (وما أظن
أن تبيد هذه أبداً) وعدم على ماكان سلف منه من القول (الذى كفر بسببه بالله العظيم فهو يقول بالبنى لم
أشرك ربى أحداً) . قال الله تعالى (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً هنالك)
أى لم يكن أحد يتدارك ما فرط من أمره وما كان له قدرة فى نفسه على شىء من ذلك كما قال تعالى (فأله
من قوة ولا ناصر) وقوله (الولاية لله الحق) ومنهم من يتدىء بقوله (هنالك الولاية لله الحق) وهو
حسن أيضاً لقوله (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً) فلحكّم الذى لا يرد ولا
ينافع ولا يظالم فى تلك الحال وفى كل حال لله الحق . ومنهم من رفع الحق جملة صفة للولاية وهما
متلازمان وقوله (هو خير ثواباً وخير عقاباً) أى معاملته خير لصاحبها ثواباً وهو الجزاء وخير عقاباً وهو
العاقبة فى الدنيا والآخرة . وهذه القصة تضمنت أنه لا يفتنى لاحد أن يركن إلى الحياة الدنيا ولا يفتن

بها ولا يتق بها بل يجعل طاعة الله والتوكل عليه في كل حال نصب عينيه. وليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه. وفيها أن من قدم شيئاً على طاعة الله والافتقار في سبيله عذب به وربما سلب منه معاملة له بتقيض قصده. وفيها أن الواجب قبول نصيحة الأخ المشفق وإن مخالفته وبال ودمار على من رد النصيحة الصحيحة. وفيها أن الندامة لا تنفع إذا حان القدر وفقد الأمر الحتم بالله المستعان وعليه التكلان *

قصة أصحاب الجنة

قال الله تعالى ﴿إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرنها مصبحين. ولا يستنون. فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون. فأصبحت كالصريم. فتنادوا مصبحين. أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين. فانطلقوا وهم يتخافتون. أن لا يدخلها اليوم عليكم مسكين. وغدوا على حرد قادرين. فلما رأوها قالوا إنا لضالون. بل نحن محرومون. قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون. قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون * قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين * عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون * كذلك المذاب والمذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون). وهذا مثل ضربه الله لكفار قريش فيما أنعم به عليهم من إرسال الرسول العظيم الكريم اليهم فقايلوه بالكذب والخلفاء كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس القرار). قال ابن عباس هم كفار قريش فضرب تعالى لهم مثلاً بأصحاب الجنة المشتمة على أنواع الزروع والثمار التي قد انتهت واستحتمت أن تيجد وهو الصرام ولهذا قال (إذ أقسموا) فيما بينهم (ليصرنها) أي ليجلسنها وهو الاستئلال (مصبحين) أي وقت الصبح حيث لا يرام قدير ولا يحتاج فيعطوه شيئاً خلفوا على ذلك ولم يستنوا في يمينهم فمعجزهم الله وسلط عليها الآفة التي أحرقتها وهي السفعة التي اجتاحتها ولم تبق بها شيئاً يتفعم به ولهذا قال (طاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم) أي كالليل الأسود المنصرم من الضياء وهذه معاملة بتقيض المقصود (فتنادوا مصبحين) أي فاستيقظوا من نومهم فتنادى بعضهم بعضاً قائلين (اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين) أي باكروا إلى بستانكم فاصرمه قبل أن يرتفع النهار ويكثر السؤال (فانطلقوا وهم يتخافتون) أي يتحدثون فيما بينهم خفية قائلين (لا يدخلها اليوم عليكم مسكين) أي اتفقوا على هذا واشتدوا عليه (وغدوا على حرد قادرين) أي انطلقوا مجدين في ذلك قادرين عليه مضمرين على هذه النية الفاسدة. وقال عكرمة والشعبي (وغدوا على حرد) أي غضب على المساكين وأبد السدى في قوله أن اسم حرثهم حرد (فلما رأوها) أي وصلوا إليها ونظروا ما حل بها وما قد ضارت إليه من الصفة المنكرة بمد تلك النفرة والحسن والبهجة فاقبلت بسبب النية الفاسدة فصد ذلك (قالوا إنا لضالون) أي قد نهينا عنها وملكنا غير طريقها ثم قالوا (بل نحن محرومون) أي بل عوقبنا بسبب سوء قصدنا وحرمتنا بركة حرثنا (قال أوسطهم). قال ابن عباس

ومجاهد وغير واحد هو أعدلهم وخيرهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) قيل تستنون قاله مجاهد والسدى وابن جرير وقيل تقولون خيراً بدل ما قلتم من الشر (قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين . فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين) . فندموا حيث لا ينفع الندم واعترفوا بالذنب وبد العقوبة وذلك حيث لا ينجع وقد قيل ان هؤلاء كانوا اخرة وقد ورثوا هذه الجنة من أبيهم وكان يتصدق منها كثيراً فلما صار أمرها اليهم استهجنوا أمر أبيهم وأرادوا استقلالها من غير أن يملوا الفقراء شيئاً فمأقبهم الله أشد العقوبة ولهذا أمر الله تعالى بالصدقة من الثمار وحث على ذلك يوم الجداد كما قال تعالى (كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده) ثم قيل كانوا من أهل اليمن من قرية يقال لها ضروان . وقيل من أهل الحبشة والله أعلم قال الله تعالى (كذلك المذاب) أى هكذا فذهب من خالف أمرنا ولم يطف على المحاييج من خلقنا (ولعذاب الآخرة أكبر) أى أعظم وأحكم من عذاب الدنيا (لو كانوا يعلمون) . وقصة هؤلاء شبيه بقوله تعالى (ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئة يأتها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنهم الله فأذاقها الله لباس الجوع والضيق بما كانوا يصنعون . ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم المذاب وهم ظالمون) قيل هذا مثل مضروب لأهل مكة وقيل هم أهل مكة أنفسهم ضربهم مثلاً لأنفسهم ولا ينافى ذلك والله أعلم اهـ

قصة أصحاب الردة الذين اعتدوا في سبهم

قال الله تعالى في سورة الاعراف (وأسألمهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبقتهم شرعاً ويوم لا يسبون لا تأتيتهم كذلك نيلهم بما كانوا يفستقون . وإذا قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولم يعلم يتقون . فلما نسا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظهروا بعباد بئس بما كانوا يفستقون . فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) وقال تعالى في سورة البقرة (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت قلنا لهم كونوا قردة خاسئين . فجعلناهم نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) وقال تعالى في سورة النساء (أو نعلمهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً) . قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقادة والسدى وغيرهم هم أهل ايلة . زاد ابن عباس بين مدين والطور . قالوا وكانوا متمسكين بدين التوراة في تحريم السبت في ذلك الزمان فكانت الحيتان قد الفت منهم السكينة في مثل هذا اليوم وذلك أنه كان يحرم عليهم الاصطياد فيه وكذلك جميع السمائع والتجارا والمكسب فكانت الحيتان في مثل يوم السبت يكتر غشيانها لخطهم من البحر فتأني من ههنا وههنا ظاهرة آمنة مسترسلة فلا يهيجونها ولا يذعرونها (ويوم لا يسبون لا تأتيتهم) وذلك لأنهم كانوا يصطادونها فيما عدا السبت

قال الله تعالى (كذلك نبؤهم) أى نختبرهم بكثرة الحيتان في يوم السبت (بما كانوا يفسقون) أى بسبب فسقهم المتختم فلما رأوا ذلك احتالوا على اصطيدائها في يوم السبت بأن نصبوا الحبال والشباك والشصوص وحفروا الحفر التى يجرى معها الماء الى مصانع قد أعدوها إذا دخلها السمك لا يستطيع أن يخرج منها ففعلوا ذلك في يوم الجمعة فإذا جاءت الحيتان مسترسلة يوم السبت عقلت بهذه المصايد فإذا خرج سببهم أخذوها فنضب الله عليهم ولعنهم لما احتالوا على خلاف أمره وانتهكوا محارمه الجليل التى هى ظاهرة للناظر وهى فى الباطن مخالفة محضة فلما فعل ذلك طائفة منهم افترق الذين لم يفعلوا فرقتين . فرقة أنكروا عليهم صديهم هذا واحتياهم على مخالفة الله وشرعه فى ذلك الزمان . وفرقة أخرى لم يفعلوا ولم ينهوا بل أنكروا على الذين نهوا وقالوا (لم نمتظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً) يقولون ما الفائدة فى نهيكم هؤلاء . وقد استحقوا العقوبة لا محالة فأجابتهم الطائفة المنكرة بأن قالوا (معذرة إلى ربكم) أى فيما أمرنا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فنقوم به خوفاً من عذابه (ولعلهم يقولون) أى ولعل هؤلاء يتركون ما هم عليه من هذا الصنيع فيقيم الله عذابه ويعفو عنهم إذا هم رجعوا واستمعوا . قال الله تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به) أى لم يلتفتوا الى من نهاهم عن هذا الصنيع الشنيع التنظيم (انجبتنا الذين ينهون عن السوء) وهم الفرقة الآسرة بالمعروف والناهية عن المنكر (وأخذنا الذين ظلموا) وهم المرتكبون الفاحشة (بذياب بئيس) وهو الشديد المؤلم الموجع (بما كانوا يفسقون) . ثم فسر الذباب الذى أصابهم بقوله (فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) . وسند ذكر ماورد من الآيات فى ذلك . والقصود هنا أن الله اخبر أنه أهلك الظالمين ونجى المؤمنين المتكبرين وسكت عن الساكنين . وقد اختلف فيهم العلماء على قولين قيل لهم من الناجين وقيل لهم من المالكين والصحيح الأول عند المحققين وهو الذى رجح إليه ابن عباس أمام المفسرين وذلك عن مناظرة مولاة عكرمة فكساه من أجل ذلك حلة سنية تكرمه . قلت وانما لم يذكرها مع الناجين لأنهم وان كرهوا يواطهم تلك الفاحشة إلا أنهم كان ينبغي لهم أن يحملوا ظواهرهم بالعمل المأمور به من الانكار القولى الذى هو أوسط المراتب الثلاث التى أعلاها الانكار باليد ذات البنان وبدها الانكار القولى باللسان وثالثها الانكار بالجنان فلما لم يذكرها نجوا مع الناجين إذ لم يفعلوا الفاحشة بل أنكروها . وقد روى عبد الرزاق عن ابن جريج عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس وحكى مالك عن ابن رومان وشيبان عن قتادة وعطاء الخراسانى ما مضمونه أن الذين ارتكبوا هذا الصنيع اعتزلهم بقية أهل البلد ونهائم من نهائم بينهم فلم يقبلوا فسكوتوا يبيتون وحدهم ويقولون بينهم وبينهم أبواباً حاجزاً لما كانوا يترقبون من هلاكهم فلبسوا ذات يوم وأبواب تلحيتهم مغلقة لم يفتحوها وارتفع النهار واشتد الضحاه فأمر بقية أهل البلد رجالاً أن يصعد على سلال ويشرف عليهم من فوقهم فلما أشرف عليهم إذاهم قردة لها أذنان يتماوون ويتنادون ففتحوا عليهم الأبواب

نجملت القردة تعرف قراباتهم ولا يعرفهم قراباتهم فجلسوا يلوذون بهم ويقول لهم الناهون ألم نهنكم عن صنعكم فتشير القردة برؤسها أن نعم . ثم بكى عبد الله بن عباس وقال إنا نرى منكرات كثيرة ولا ننكرها ولا هول فيها شيئاً . وقال العوفي عن ابن عباس صار شباب القرية قردة وشيوخها خنازير . وروى ابن أبي حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس أنهم لم يمشوا إلا فواقاً ثم هلكوا ما كان لهم فسل وقال الضحاك عن ابن عباس أنه لم يمش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ولم يأكل هولاء ولم يشربوا ولم ينسلوا وقد استقصينا الأثر في ذلك في تفسير سورة البقرة والاعراف . والله الحمد والمنة . وقد روى ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة وخنازير واتاهو مثل ضربه الله (كمثل الحمار يحمل أسفارا) وهذا صحيح إليه وغريب منه جداً ومخالف لظاهر القرآن ولما نص عليه غير واحد من السلف والخلف والله أعلم * ﴿ قصة أصحاب القرية ﴾ (إذ جاءها المرسلون) تقدم ذكرها قبل قصة موسى عليه السلام ﴿ قصة ساء ﴾ سيأتي ذكرها في أيام العرب إن شاء الله تعالى وبه الثقة * ﴿ قصة قارون وقصة بلعام ﴾ تقدمتا في قصة موسى وهكذا (قصة الخضر) و (قصة فرعون والسحرة) كلها في ضمن قصة موسى (قصة البقرة) تقدمت في قصة موسى وقصة (الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) في قصة حزقييل وقصة (الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى) في قصة شعوبيل وقصة (الذي مر على قرية) في قصة عزير *

﴿ قصة لقمان ﴾

قال تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر قائما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد .) وإذ قال لقمان لابنه وهو يظنه يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمسه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير . وإن جهداك علي أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا مرفوفاً واتبع سبييل من أتى إلى ثم إلى سرجهكم فأنتبهكم بما كنتم تعملون . يابني إنما إن تلك بمقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأتى بها الله إن الله لطيف خبير . يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور . ولا تصغر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختار فخور . واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الاصوات كدوت الحجر) . هو لقمان بن عتقاء بن سعدون . ويقال لقمان بن لوران حكاد السبيلي عن ابن جرير والقتبي . قال السبيلي وكان نوبيا من أهل أيلة . قلت وكان رجلاً صالحاً ذا عبادة وعبارة وحكمة عظيمة . ويقال كان قاضياً في زمن داود عليه السلام فلهذا أعلم . وقال سفيان الثوري عن الأشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان

عبداً حبشياً نجاراً . وقال قتادة عن عبد الله بن الزبير قلت لجابر بن عبد الله ما انتهى اليكم في شأن لتمان قال كان قصيراً أظلم من النوبة . وقال يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب قال كان لتمان من سودان مصر ذو مشافر أعطاه الله الحكمة ومنه النبوة . وقال الأوزاعي حدثني عبد الرحمن بن حرمة قال جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد لا تحزن من أجل أنك أسود فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولتمان الحكيم كان أسود نوبياً ذا مشافر . وقال الأعمش عن مجاهد كان لتمان عبداً أسود عظيم الشفتين مشفق القديمين وفي رواية مصفح القديمين . وقال عمر بن قيس كان عبداً أسود غليظ الشفتين مصفح القديمين فأنه رجل وهو في مجلس أناس يتحدثهم فقال له أنت الذي كنت ترعى ممي الغنم في مكان كذا وكذا قال نعم قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعني رواه ابن جرير عن ابن حميد عن الحكم عنه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الرحمن ابن أبي يزيد بن جابر قال إن الله رفع لتمان الحكيم لحكته فرأه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال ألسنت عبد بن فلان الذي كنت ترعى غنمي بالأمس قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال قدر الله وإداء الأمانة وصدق الحديث وترك ما لا يعني وقال ابن وهب أخبرني عبد الله بن عياش القتياني عن عمر مولى عفرة قال وقف رجل على لتمان الحكيم فقال أنت لتمان أنت عبد نبي النحاس قال نعم قال فأنت راعي الغنم الأسود قال أما سوادى فظاهر فما الذي يوجبك من أمرى قال وطء الناس بساطك وغشيم بابك ورضاهم بقولك قال يا ابن أخي إن صنعت ما أقول لك كنت كذلك قال ما هو قال لتمان غضى بصرى وكفى لسأى وعمة مطمى وحفظى فرجى وقياى بدنى ووفأى بهدى وتكرمتى ضيقى وحفظى جارى وتركى ما لا يعني فذاك الذى صيرنى كما ترى وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن فضيل حدثنا عمرو بن واقد عن عبدة ابن رباح عن ربيعة عن أبي الدرداء أنه قال يوماً وذكر لتمان الحكيم فقال ما أوتى عن أهل ولا مال ولا حسب ولا خصال ولكنه كان رجلاً ضمامة سكيناً طويل التفكير عميق النظر لم ينم نهاراً قط ولم يره أحد يترق ولا يتنحى ولا يبول ولا يتغوط ولا يتنسل ولا يبعث ولا يضحك وكان لا يبيد منعاقاً نطقه إلا أن يقول حكمة يستعدها إياه أحد وكان قد تزوج وولد له أولاد فأتوا فلم يبك عليهم وكان يقش السلطان ويأتى الحكام لينظر ويفكر ويمتدح فبذلك أوتى ما أوتى * ومنهم من زعم أنه عرضت عليه النبوة فخاف أن لا يقوم بأعبائها فاختار الحكمة لأنها أسهل عليه وفي هذا نظر والله أعلم . وهذا مروى عن قتادة كما سنذكره . وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق وكيع عن اسرايميل عن جابر الجعفي عن عكرمة أنه قال كان لتمان نبياً وهذا ضيف لحال الجعفي .

والمشهور عن الجمهور أنه كان حكيماً ولياً ولم يكن نبياً وقد ذكره الله تعالى في القرآن قائماً عليه وحكى من كلامه فيما وعظ به ولده الذي هو أحب الخلق إليه وهو أشفق الناس عليه فكان من أول ما وعظ به أن قال (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) . قهاه عنه وحذره منه . وقد قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما تزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله ص : وقالوا أينما لم يلبس إيمانه بظلم فقال رسول الله ص : إنه ليس بذلك ألم تسمع إلى قول لقمان (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) رواه مسلم من حديث سليمان بن مهران الأعمش به ثم اعترض تعالى بالوصية بالوالدين وبيان حقهما على الولد وتأكده وأمر بالاحسان إليهما حتى ولو كانا مشركين ولكن لا يطاعان على الدخول في دينهما إلى أن قال مخبراً عن لقمان فيما وعظ به ولده (يا بني إنما إن تك مثقال حبة من خردل فتسكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير) ينهيه عن ظلم الناس ولو بحجة خردل فإن الله يسأل عنها ويحضرها حوزة الحساب ويضعها في الميزان كما قال تعالى (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) وقال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) وأخبره أن هذا الظلم لو كان في الحفارة كالخردلة ولو كان في جوف صخرة صماء لا باب لها ولا كوة أولو كانت ساقطة في شيء من ظلمات الأرض أو السموات في اتساعها وامتداد أرجائها لعلم الله مكانها (إن الله لطيف خبير) أي علمه دقيق فلا يخفى عليه الدر مما ترا أي للتواظر أو توارى كما قال تعالى (وما نسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) وقال (ومامن غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين) وقال (عالم الغيب لا يميز عنه مقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) وقد زعم السدي في خبره عن الصحابة أن المراد بهذه الصخرة الصخرة التي تحت الأرضين السبع وهكذا حكى عن عطية العوفي وأبي مالك والثوري والمنهال بن عمرو وغيرهم وفي صحة هذا القول من أصله نظر . ثم إن في هذا هو المراد نظر آخر فإن هذه الآية نكرة غير معرفة فلو كان المراد بها ما قاله لقمان فتسكن في الصخرة وإنما المراد فتسكن في صخرة أي صخرة كانت كما قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن أبي عمير حدثنا دراج عن أبي الميمون عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ص : قال لو أن أحدكم يسئل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة يخرج عمله للناس كئنا ما كان ثم قال (يا بني أقم الصلاة) أي أدها بجميع واجباتها من حدودها وأوقاتها وركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها وما شرع فيها واجتناب ما ينهي عنه فيها . ثم قال (واصر بالمعروف وإنه عن المنكر) أي بجهدك وطاقتك أي إن استطعت باليد وبالبدن والأفلسانك فإن لم تستطع فبقلبك ثم أمره بالصبر فقال (واصبر على ما أصابك) وذلك إن

الآسر بالمعروف والناهي عن المنكر في مظنة أن يمادى وينال منه ولكن له العاقبة ولهذا أمره بالصبر على ذلك ومعلوم أن عاقبة الصبر الفرج وقوله (ان ذلك من عزم الأمور) التي لا بد منها ولا يحيد عنها . وقوله (ولا تصمر خدك للناس) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك يزيد بن الاصم وأبو الجوزاء وغير واحد معناه لا تتكبر على الناس وتميل خدك حال كلامك لهم وكلامهم لك على وجه التكبر عليهم والازدراء لهم . قال أهل اللغة وأصل الصرداء يأخذ الابل في أعناقها فتلتوي رؤسها فتشبه به الرجل المتكبر الذي يميل وجهه إذا كالم أو كالموه على وجه التعظم عليهم قال أبو طالب في شعره

وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُهْرَبُ ظُلُمَةً إِذَا مَا تَوَاصَّرَ الْخُدُودُ قِيمَهَا

وقال عمرو بن حبي التلعلي وكُنَّا إِذَا الْجِبَارَ صَرَّ خَدَّهُ أَقْنَا لَهُ مِنْ مِثْلِهِ فَمَقْرَمًا

وقوله (ولا تمش في الارض سرحاً ان الله لا يحب كل مختال فخور) ينهاه عن التبختر في المشية على وجه العظمة والفخر على الناس كما قال تعالى (ولا تمش في الارض سرحاً انك لن تحرق الارض ولن تبلغ الجبال طولاً) . يعني لست بسرعة مشيك تقطع البلاد في مشيتك هذه ولست بدقك الارض برجلك تحرق الارض بوطئك عليها ولست بتشاغلك وتفرغك تبلغ الجبال طولاً فاتقذ على نفسك فلست تمدو قدرك . وقد ثبت في الحديث ينما رجل يمشى في برديه يتبختر فيها اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وفي الحديث الآخر (ايك واسبال الازار فاتها من الخيلة لا يجها الله) كما قال في هذه الاية (ان الله لا يحب كل مختال فخور) ولما نهاه عن الاختيال في المشي أمره بالقصد فيه فانه لا بد له أن يمشى فنهاه عن الشر وأمره بالخير فقال واقصد في مشيك أي لا تتباطأ مفرطاً ولا تسرع اسراعاً مفرطاً ولكن بين ذلك قواماً كما قال تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) ثم قال (وأغضض من صوتك) يعني اذا تكلمت لا تتكاف رفع صوتك فان أرفع الاصوات وأنكرها صوت الحير . وقد ثبت في الصحيحين الامر بالاستمادة عند سماع صوت الحير بالليل فلها رأيت شيطاناً ولهذا نهى عن رفع الصوت حيث لا حاجة اليه ولا سيما عند العطاس فيستحب خفض الصوت وتخدير الوجه كما ثبت به الحديث من صفيع رسول الله ص . فلما رفع الصوت بلاذان وعند الدعاء الى الفئمة للقتال وعند الاهلاك ونحو ذلك فذلك مشروع فهذا مما قصه الله تعالى عن ايمان عليه السلام في القرآن من الحكم والوصايا النافعة للجماعة للخير المانعة من الشر وقد وردت آثار كثيرة في أخباره ومواعظه وقد كان له كتاب يؤثر عنه يسمى بحكمة لقمان ونحن نذكر من ذلك ما تيسر إن شاء الله تعالى .

قال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحاق أنبأنا ابن المبارك أنبأنا سفيان أخبرني نبيك بن جميع الضبي

عن قرعة عن ابن عمر قال أخبرنا رسول الله (س)، قال إن لقمان الحكيم كان يقول إن الله إذا استودع شيئاً حفظه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن موسى ابن سليمان عن القاسم بن مخيمرة أن رسول الله (س)، قال قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني إياك والتقنع فإنه مخوفة بالليل مذمة بالنهار وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عماره حدثنا ضمرة حدثنا السري بن يحيى قال لقمان لابنه (يا بني إن الحكمة أجلت المساكين مجالس الملوك) وحدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أن أبانا ابن المبارك أن أبانا عبد الرحمن المسمودي عن عون بن عبد الله قال قال لقمان لابنه يا بني إذا أتيت ندى قوم فادهمم بهم الإسلام يعني السلام ثم اجلس بناحيهم فلا تنطق حتى ترام قد نظفوا فان أفضوا في ذكر الله فاجل سهلكمهم وان أفضوا في غير ذلك فخرول عنهم الى غيرهم وحدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا ضمرة عن حفص بن عمر قال وضع لقمان جراباً من خرذل الى جانبه وجعل يعظ ابنه وعظلة ويخرج خرذلة حتى قد انردل فقال يا بني لقد وعظتك مرعظة لو وعظها جيل فغفر قال فغفر ابنه. وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عبد الباقي المصيصي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الحراني حدثنا عثمان ابن عبد الرحمن الطرائفي عن ابن سفيان المقدسي عن خليفة بن سلام عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله (س)، (أخذوا السودان فان ثلاثة منهم من أهل الجنة لقمان الحكيم والنجاشي وبلال المؤذن قال الطبراني يعني الحبشي وهذا حديث غريب منكر وقد ذكر له الامام أحمد في كتاب الزاهد ترجمة ذكر فيها فوائد مهمة جملة فقال حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن رجل عن مجاهد (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قال القته والاصابة في غير ذبوة. وكذا روى عن وهب بن منبه وحدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبداً حبشياً وحدثنا اسود حدثنا حماد عن علي بن يزيد عن سعيد بن المسيب أن لقمان كان خياطاً وحدثنا سياد حدثنا جعفر حدثنا مالك يعني بن دينار قال قال لقمان لابنه يا بني اتخذ طاعة الله تجارة تأتلك الأرباح من غير بضاعة. وحدثنا يزيد حدثنا أبو الأشهب عن محمد بن واسع قال كان لقمان يقول لابنه يا بني اتق الله ولا ترى الناس أنك تخشى الله ليكرموك بذلك وقلبك فاجبر. وحدثنا يزيد بن هرون وو كيع قال حدثنا أبو الأشهب عن خالد الربيعي قال كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً فقال له سيده اذبح لي شاة فذبح له شاة فقال اتقني يا طيب مضمتين فيها فأنه باللسان والقلب فقال اما كان فيها شيء أطيب من هذين قال لا قال فسكت عنه ماسكت ثم قال له اذبح لي شاة فذبح له شاة فقال له وأتى أخبئها مضمتين فرمى باللسان والقلب فقال أمرتك أن تأتيني بأطيبها مضمتين فأتيتني باللسان والقلب وأمرتك أن تلتني أخبئها مضمتين فأتيت اللسان والقلب فقال له إنه ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبئ منهما إذا خبئا. وحدثنا داود بن رشيد حدثنا ابن المبارك حدثنا مضر عن أبي عثمان رجل من أهل البصرة يقال له الجمد أبو عثمان قال قال لقمان لابنه لا ترغب في ود الجاهل

فيرى أنك ترضى عمله ولا تهاون بمقت الحكيم فيزهده فيك . وحدثنا داود بن أسيد حدثنا اسماعيل ابن عياش عن ضمضم ابن زرعة عن شريح بن عبيد الحضرمي عن عبد الله بن زيد قال قال لقمان ألا أن يد الله على أفواه الحكماء لا يتكلم أحدهم إلا ما هيأ الله له . وحدثنا عبد الرزاق سمعت بن جريج قال كنت أقتع رأسي بالليل فقال لي عمر أما علمت أن لقمان قال القناع بالنهار مذلة معذرة أو قال معجزة بالليل فلم تنزع رأسك بالليل قال قلت له إن لقمان لم يكن عليه دين . وحدثني حسن بن الجنيد حدثنا سفيان قال لقمان لابنه يابني ما ندمت على السكوت قط وإن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب . وحدثنا عبد الصمد ووكيم قالوا حدثنا أبو الأشهب عن قتادة أن لقمان قال لابنه يا بني اعتزل الشر بمنزلك فإن الشر للشر خلق . وحدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال مكتوب في الحكمة يا بني إياك والرغب فإن الرغب كل الرغب يبعد القريب من القريب ويزيل الحكم كما يزيل العطب . يا بني إياك وشدة الغضب فإن شدة الغضب ممحقة لقواد الحكيم . قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة عن عبيد بن عمير قال قال لقمان لابنه وهو يمشي (يا بني اختر المجالس على حينك فإذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك وإن تك غيباً يملوك وإن يطلع الله عليهم برحة تصيبك معهم . يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر الله فيه فإنك إن تك عالماً لا ينفعك علمك وإن تك غيباً يزيدوك غيباً وإن يطلع الله إليهم بمد ذلك بسخط يصيبك معهم يا بني لا تنبطوا أمراء رحب الذراعين يسفك دماء المؤمنين فإن له عند الله قاتلاً لا يموت . وحدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال مكتوب في الحكمة (نبى لتكون كلمتك طيبة وليكن وجهك بسطاً تكن أحب إلى الناس ممن يطميم العطاء) وقال مكتوب في الحكمة أو في التوراة (الرفق رأس الحكمة) وقال مكتوب في التوراة كما ترجمون ترجمون وقال مكتوب في الحكمة (كما ترجمون تحصدون) وقال مكتوب في الحكمة أحب خليك أو خليل أريك . وحدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة قال (قيل للقمان أي الناس أصبر قال صبر لا يتبمه أذى . قيل فأى الناس أعلم قال من أزداد من علم الناس إلى علمه . قيل فأى الناس خير قال النفى . قيل النفى من المال قال لا ولكن النفى الذي إذا تمس عنده خير وجد والا أغنى نفسه عن الناس .

وحدثنا سفيان هو ابن عبيدة قال قيل للقمان أي الناس شر قال الذي لا يبالي أن يراه الناس مسبباً . وحدثنا أبو الصمد عن مالك بن دينار قال وجدت في بعض الحكمة يمدد الله عظام الذين يتكلمون بأهواء الناس ووجدت فيها لا خير لك في أن تعلم ما لم تعلم ولما تعلم بما قد علمت فإن مثل ذلك مثل رجل احتطب حطباً فزعم حزمة ثم ذهب يحملها فجز عنها فضع إليه أخرى . وقال عبد الله بن أحمد حدثنا الحكم بن أبي زهير وهو الحكم بن موسى حدثنا الفرج بن فضالة عن أبي سعيد قال قال لقمان لابنه

(يا بني لا يأكل طعامك إلا الاقْتِيَاءَ وشاور في أمرك العلماء . وهذا مجموع ما ذكره الامام أحمد في هذه المواضع وقد قدمنا من الآثار كثيراً لم يروها كما أنه ذكر أشياء ليست عندنا والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا العباس بن الوليد حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزازي حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال خير الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة قال فأتاه جبريل وهو قائم فدر عليه الحكمة قال فأصبح ينطق بها . قال سعد سمعت قتادة يقول قيل للقمان كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك فقال إنه لو أرسل إلى بالنبوة عزمة لرجوت فيه الفوز منه ولكنني أرجو أن أقوم بها ولكن خيرني تخفت أن أضف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلى . وهذا فيه نظر لأن سعيد بن بشير عن قتادة قد تكلموا فيه والذي رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قال يعنى الفقه والاسلام ولم يكن نبياً ولم يوح اليه . وهكذا نص على هذا غير واحد من السلف منهم مجاهد وسعيد بن المسيب وابن عباس والله أعلم *

قصص أصحاب اللغو

قال الله تعالى (والسماوات ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما تموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شئ شهيد ان الذين قتلوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) . قد تكلمنا على ذلك مستقصى فى تفسير هذه السورة والله الحمد . وقد زعم محمد بن اسحاق أنهم كانوا بدمبث المسيح وخالفه غيره فزعموا أنهم كانوا قبله . وقد ذكر غير واحد أن هذا الصنيع مكرر فى العالم مراراً فى حق المؤمنين من الجبارين الكافرين ولكن هؤلاء المذكورون فى القرآن قد ورد فيهم حديث مرفوع وائرأوده ابن اسحاق وهما متعارضان وهما بمن نوردتهما لتقف عليهما . قال الامام أحمد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب أن رسول الله (ص) : قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال لملك اتى قد كبرت سنى وحضر أجل فادفع إلى غلاماً فلأعلمه الساحر فدفن إلى غلاماً فكان يمد له الساحر وكان بين الملك وبين الساحر راهب فأتى اللام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه فحوه وكلامه وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال ما حبسك وإذا أتى أهله ضربه وقالوا ما حبسك فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا أراد الساحر أن يضربك قتل حبسنى أهلى وإذا أراد أهلك أن يضربك قتل حبسنى الساحر قال فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة عظيمة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يمشوا فقال اليوم أعلم أمر الساحر أحب إلى الله أم أمر الراهب قال فأخذ حجراً فقال اللهم إن كان أمر الراهب

أحب اليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس ورماعها يقتلها ومضى فأخبر الراهب بذلك فقال أي نبي أنت أفضل مني وأنت ستبطلني فإن ابليت فلا تدل على فكان التلام يبري الأكمة والأبرص وسائر الأضواء ويفهم الله على يديه وكان جالس للملك فمضى فسمع به قائله بهدايا كثيرة فقال اشقني ولك ماها هنا اجمع فقال ما أنا اشقني أحدا إنما يشقني الله عز وجل فإن آمننت به ودعوت الله شفاك فأمن فدعا الله فشفاه . ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك يا فلان من رد عليك بصرك فقال ربي قال أنا قال لا ربي وربك الله قال ولك رب غيري قال نعم ربي وربك الله فلم يزل يندبه حتى دل على التلام فأتى به فقال أي نبي يبلغ من سحر ك أن تبري الأكمة والأبرص وهذه الادواء قال ما أشقني أنا أحداً إنما يشقني الله عز وجل قال أنا قال لا قال أولك رب غيري قال ربي وربك الله قال فاحذره أيضاً بالذباب ولم يزل به حتى دل على الراهب فأتى الراهب فقال ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شفاه وقال للاعمر ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شفاه وقال للتلام ارجع عن دينك فأبى فبست به مع فر الى جبل كذا وكذا وقال اذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فدهدهود فدهبوا به فلما علوا الجبل قال اللهم أكنفنيهم بما شئت فربعت بهم الجبل فدهدهوا أجمعون وجاء التلام يتلسخ حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله فبست به مع فر في قرقرة فقال اذا لجمتم البحر فان رجع عن دينه والا فاغرقوه في البحر فلبججوا به البحر فقال التلام (اللهم اكنفنيهم بما شئت ففرقوا أجمعون وجاء التلام حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله . ثم قال للملك انك لست تقايني حتى قتل ما أمرك به فإن أنت قتل ما أمرك به قتلتي والا فانك لا تستطيع قتلي قال وما هو قال يجمع الناس في صيد واحد ثم تصليق على جذع وتأخذ سها من كنانتي . ثم قل بسم الله رب التلام فانك اذا قتلت ذلك قتلتي قتل ووضع السهم في كبد القوس ثم رماه وقال بسم الله رب التلام فوقع السهم في صدغه فوضع التلام يده على موضع السهم ومات فقال الناس آمنا برب التلام آمنا برب التلام صليل للملك أرأيت ما كنت تحذر فقد والله نزل بك قد آمن الناس كلهم فامر بقراه السكك فخر فيها الاخذيد وأضرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه والا فأقوموه فيها وقال فبكانوا يصادون فيها ويتواقصون فقامت امرأة بين لها ترضه فكانها شعاعت أن تم في النار فقال الصبي اصبري يا أمه فانك على الحق كذا رواه الامام احمد ورواه مسلم والنسائي من حديث حماد بن سلمة زاد النسائي وحماد بن زيد كلاما عن ثابت بن روه الترمذي من طريق عبد الرزاق عن مسر عن ثابت بن سلمة بنسناده نحوه وجرده ابراهه كما يطعن ذلك في التصدير وقد آورد محمد ابن اسحاق هذه القصة على وجه آخر فقال حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب وحدثني أيضا بعض أهل نجران عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يبدون الاوثان وكان في

قرية من قراها قريبا من نجران (ونجران هي القرية المنطوق التي إليها جماع أهل تلك البلاد) ساحر
يُعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلوا فيموت ولم يسموه لى بلاسم القى سماه ابن منه قالوا رجل نزلما
فأبى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم الى ذلك
الساحر يعلمهم السحر فيحث التامر ابنه عبد الله بن التامر مع غلمان أهل نجران فكان اذا مر بصاحب
النجيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتى أسلم فوحده الله وعبدته وجعل
يسأله عن شرائع الاسلام حتى اذا قه فيه جعل يسأله عن الاسم الاعظم وكان يملئه فكتمه اياه وقال له
يا ابن أختي انك لن تحمله أختي ضمك عنه والتامر لا يظن الا أن ابنه عبد الله يختلف الى الساحر كما يختلف
الغلمان فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضمفه فيه عد الى قدامه فجمعهم ثم لم يبق لله
اسما يملئه الا كتبه في قده لسكر اسم قده حتى اذا أحصاها أو قد نراهم جعل يقدحها قدحاً قدحاً حتى
اذا مر بالاسم الاعظم قدح فيها بقده فوثب القدح حتى خرج منها لم تقصره شيئا فأخذته ثم أتى به صاحبه
فأخبره أنه قد علم الاسم الاعظم الذي قد كتبه فقال وما هو قال كذا وكذا قال وكيف علمته فأخبره بما صنع
قال أي ابن أختي قد أصبت فأمسك على نفسك وما أعلن أن فصل فجعل عبد الله بن التامر اذا دخل نجران
لم يلق أحداً به ضر الا قال يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني وأدعو الله لك فيما فيك عما أنت فيه من
البلاد ودعا له فوفى حتى رفع شأنه الى ملك نجران فدعاه فقال أفدت على أهل قريتي وخالت ديني
ودين آبائي لا تلتن بك قال لا تهتر على ذلك فجعل يرسل به الى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع الى
الارض مابه بأس وجعل يمش به الى مياه بنجران فيحرق ليلقي فيها شيء الاهلك فيلقى به فيها فيخرج
ليس به بأس فلما غلبه قال له عبد الله بن التامر والله لا تهتر على قتلي حتى توحيد الله فتؤمن بما آمنت به
فانك ان فعلت سلطت على قهنتي قال فوحده الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن التامر ثم ضربه
بصا في يده فشببه شجرة غير كبيرة قتله وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله
بن التامر وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الانجيل وحكمه ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الاحزاب
فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران قال ابن اسحاق فهذا حديث محمد بن كعب وبعض أهل
نجران عن عبد الله بن التامر قاله أعلم أي ذلك كان قال فسار اليهم ذو نواس بجندته فدعاهم الى
اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاخاروا القتل فخذوا الاخدود وحرق بالنار وقل بالسيف ومثل بهم
قتل منهم قريبا من عشرين الفا في ذى نواس وجنده أنزل الله على رسوله (قتل أصحاب الاخدود
النار ذات الوقود الآيات) وهذا يتضح أن هذه القصة غير ما وقع في سياق مسلم وقد زعم بعضهم أن
الاخدود وقع في العالم كثيرا كما قال ابن أبي حاتم. حدثنا أبو اليان أبا ناهي عن عبد الرحمن
ابن جبير قال كانت الاخدود في اليمن زمان تبع وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى

قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد وأخذ أتوا والقي فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد في العراق في أرض بابل في زمان يخت نصر حين صنم الصنم وأمر الناس فسجدوا له فامتنع دانيال وصاحبه عزريا ومشاييل فأوقد لهم أتونا والقي فيها الحطب والنار ثم القاها فيه فحملها الله عليهم برداً وسلاماً وأهدم منها والتي فيها الذين بقوا عليه وهم تسعة رهط فاكتتهم النار وقال اسباط عن السدي في قوله (قتل أصحاب الاخدود) قال كان الاخدود ثلاثة خد بالشام وخذ بالعراق وخذ باليمن رواه بن أبي حاتم . وقد استقصيت ذكر أصحاب الأخدود والكلام على تفسيرها في سورة البروج والله الحمد والمنة .

بَيَانُ لَدُّوْفَا فِي الرَّوْلِيَّةِ عَنِ الْخَبَارِيِّ (سِرِّهِ)

قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا همام حدثنا زيد بن عطاء بن يسار عن أبي سعيد انظردى عن النبي (س) قال قال (حدثوا عنى ولا تكذبوا على ومن كذب على متمداً فليتبؤ مقعده من النار وحدثوا عن نبي اسرائيل ولا حرج) . وقال أيضاً حدثنا عفان حدثنا همام أنبأنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد انظردى عن النبي (س) قال قال (لا تكذبوا عنى شيئاً غير القرآن فن كتب عنى شيئاً غير القرآن فليمحى وقال حدثوا عن نبي اسرائيل ولا حرج حدثوا عنى ولا تكذبوا على قال ومن كذب على قال همام احسبه قال متمداً فليتبؤ مقعده من النار) وهكذا رواه مسلم والنسائي من حديث همام ورواه أبو عوانة الاسفرائينى عن أبي داود السجستاني عن هذبة عن همام عن زيد بن أسلم به ثم قال قال أبو داود اخطأ فيه همام وهو من قول أبي سعيد كذا قال وقد رواه الترمذى عن سفيان عن وكيع عن سفيان بن عيينة عن زيد بن أسلم بعرضه سرفوعاً قاله أعلم قال الامام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم أنبأنا الاوزاعى حدثنا حسان بن عطية حدثنى أبو كبشة السلولى أن عبد الله بن عمرو بن العاص حدثه أنه سمع رسول الله (س) يبنى يقول بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن نبي اسرائيل ولا حرج ومن كذب على متمداً فليتبؤ مقعده من النار . ورواه أحمد أيضاً عن عبد الله بن نمير وعبد الرزاق كلاهما عن الاوزاعى به وهكذا رواه البخارى عن أبي عاصم النبيل عن الاوزاعى به وهكذا رواه الترمذى عن بندار عن أبي عاصم ثم رواه عن محمد بن يحيى الذهلى عن محمد بن يوسف المريانى عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية وقال حسن صحيح وقال أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المنثى أبو موسى حدثنا هشام بن معاوية حدثنا أبي عن قتادة عن أبي حسان عن عبد الله بن عمرو قال كان نبي الله (س) يحدثنا عامة ليلة عن نبي اسرائيل حتى نصبح ماقوم فيها الا لمعظم صلاة ورواه أبو داود عن محمد بن منثى ثم قال البزار حدثنا محمد بن منثى حدثنا عفان حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أبي حسان عن عمران بن حسين قال كان رسول الله (س) يحدثنا

عامة ليلة عن بني اسرائيل لا يقوم الا لمعظم صلات قال البزار وهشام احفظ من أبي هلال يعني أن الصواب عن عبد الله بن عمرو لا عن عمران بن حصين والله أعلم . وقال الامام أحمد حدثنا يحيى هو القطان عن محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة عن النبي (س) . قال حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج اسناد صحيح ولم يخرجوه . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا وكيع حدثنا ديع بن سعد الجمعي عن عبد الرحمن ابن سابط عن جابر قال قال رسول الله (س) . حدثوا عن بني اسرائيل فانه قد كان فيهم الاعاجيب ثم أنشأ يحدث (س) . قال خرجت طائفة من بني اسرائيل حتى أتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لوصلينا ركبتين ودعونا الله عز وجل فيخرج لنا رجلا قد مات نساؤه يحدثنا عن الموت ففعلوا فيناهم كذلك اذ أطلع رجل رأسه من قبر من تلك القبور بين عيني أثر السجود فقال يا هؤلاء ما أردتم الي قد مدت منذ مائة عام فما سكنت عني حرارة الموت حتى الآن فدعوا الله أن يمسخني كما كنت وهذا حديث غريب اذا قرر جواز الرواية عنهم فهو معمول على ما يمكن أن يكون صحيحا فلما ما يلم أو يظن بطلانه لمخالفته الحق الذي يابديننا عن المعصوم فذلك متروك مردود لا يرجع عليه ثم مع هذا كله لا يلزم من جواز روايته أن تمتد حسنه لما رواه البخاري قائلا حدثنا محمد بن يسار حدثنا عثمان بن عمر حدثنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله (س) . (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا أمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) تفرد به البخاري من هذا الوجه . وروى الامام أحمد من طريق الزهري عن أبي ثملة الانصاري عن أبيه أنه كان جالسا عند رسول الله (س) . قال اذا جاء رجل من اليهود قال يا محمد هل تتكلم هذه الجنارة فقال رسول الله (س) . الله أعلم فقال اليهودي أنا أشهد أنها تتكلم فقال رسول الله (س) . (اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا أمنا بالله وكتبه ورسله فان كان حقا لم تكذبوهم وان كان باطلا لم تصدقوهم) تفرد به أحمد وقال الامام أحمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم أنبأنا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي (س) . بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي (س) . قال ففضب وقال امهواكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي به لقد جئتكم به بيضاء قيمة لا تسألوم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو باطل فتصدقوا به والذي نفسي به لو أن موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعني . تفرد به أحمد واسناده على شرط مسلم فهذه الاحاديث دليل على أنهم قد بدلوا ما يابدينهم من الكتب الساوية وحرفوها وارلوها ووضعوها على غير مواضعها ولا سيما ما يبديونه من المعربات التي لم يحيطوا بها علما وهي بلنتهم فكيف يعبرون عنها بشيرها ولاجل هذا وقع في تمريهم خطأ كبير وهم كثير مع ما لهم من المقاصد الفاسدة والآراء الباردة وهذا يتحققه من نظر في

كتبهم التي بأيديهم وتأمل ما فيها من سوء التصير وقبيح التبديل والتغيير والله المستعان وهو نعم المولى ونعم النصير . وهذه التوراة التي يدونها ويخفون منها كثيرا فيا ذكروه فيها تحريف وتبديل وتصير وسوء تفسير يعلم من نظر فيها وتأمل ما قالوه وما أبدوه وما أخفوه وكيف يسوغون عبارة قاسدة البناء والتركيب باطلة من حيث معناها وألفاظها . وهذا كذب الاحبار من أجود من يقتل عنهم وقد أسلم في زمن عمر وكان ينقل شيئا عن أهل الكتاب فكان عمر رضى الله عنه يستحسن بعض ما يتقله لما يصدته من الحق وتأليفا لقلبه فتوسع كثير من الناس في أخذ ما عنده وبالغ أيضا هو في نقل تلك الأشياء التي كثير منها ما يباوى مداه . ومنها ما هو باطل لا محالة . ومنها ما هو صحيح لما يشهد له الحق الذي بأيدينا . وقد قال البخارى وقل أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطاً من قريش بالمدينة . وذكركم كذب الاحبار فقال ان كان من اصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب يعنى من غير قصد منه . وروى البخارى من حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن ابن عباس أنه قال . كيف يسألون أهل الكتاب عن شئ وكتابك الذي أنزل الله على رسوله أحدث الكذب بالله قرأوه محضاً لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليثروا به ثمناً قليلاً الا اينها كم ما جاءكم من السلم عن مسألتهم لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذى أنزل عليكم وروى ابن جرير عن عبيد الله بن مسعود أنه قال لا تسألوا أهل الكتاب عن شئ قاتم لن يهدوكم وقد ضلوا ايماناً ان تكذبوا بحق أو تصدقوا باطل والله أعلم *

قصه جريج الصوري وبنو اسرائيل

قال الامام أحمد حدثنا وهب بن جرير حدثني أبي سمعت محمد بن سيرين يحدث عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) . لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم قال وكان في بني اسرائيل رجل عابد يقال له جريج فابنى صومعة وقبدها قال فذكر بنو اسرائيل عبادة جريج فقالت بنى منهم لمن شئتم لافنته قالوا قد شئنا ذاك قال فابته فتمرضت له فلم يلتفت اليها فامكنت نفسها من راع كان يهوى عنه الى اصل صومعة جريج فحملت فولدت غلاماً قالوا ممن قالت من جريج فتوه فاستزلوه فشتوه وضربوه وهدموا صومعة فقال ما شأنكم قالوا انك زينت بهذه البنى فولدت غلاماً فقال واين هو قالوا هو هذا قال فقام فصلى ودعا ثم انصرف الى الغلام فعلمته باسمه فقال بالله يا غلام من أبوك قال انا ابن الاعمى فوثبوا الى جريج فجلوا يقولونه وقالوا بنى صومعتك من ذهب قال لا حاجة لي في ذلك ابترها من طين كما كانت قال وبينما امرأة في صحرا ابن لها ترضه اذ مر بها راكب ذو شارة فقالت

اللهم اجعل ابني مثل هذا قال فتزك بمحبها وأقبل على الراكب قال اللهم لا تجعلني مثله قال ثم عاد إلى ثديها فقصه . قال أبو هريرة فكأنني أنظر إلى رسول الله (س) . يحكي صنع الصبي ووضع اصبعه في فيه يمصها . ثم سرت بأمة تضرب قالت اللهم لا تجعل ابني مثلها قال فتزك ثديها وأقبل على الامة قال اللهم اجعلني مثلها قال فذاك حين تراجع الحديث قالت خلقي من الراكب ذو الشارة قتلت اللهم اجعل ابني مثله قتلت اللهم لا تجعلني مثله وسمرت بهذه الامة قتلت اللهم لا تجعل ابني مثلها قتلت اللهم اجعلني مثلها قال يا أمتاه ان الراكب ذو الشارة جبار من الجبارة وان هذه الامة يقولون زنت ولم تزن وسرقت ولم تسرق وهي تقول حسبي الله وهكذا رواه البخاري في أحاديث الانبياء وفي المطالب عن مسلم بن ابراهيم ومسلم في كتاب الادب عن زهير بن حرب عن يزيد بن هرون كلاهما عن جرير بن حازم به طريق أخرى وسياق آخر .

قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا سليمان بن المنيرة حدثنا حميد بن هلال عن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي (س) . قال كان جريج يتعبد في صومته قال فأتته أمه فقالت يا جريج أنا أمك وكنتي قال وكان أبو هريرة يصف كيف كان رسول الله (س) . وضع يده على حاجبه الايمن قال وصادفته يصلي قال يارب أمي وصلاني فاختار صلواته فرجعت ثم أتته فصادفته يصلي قالت يا جريج أنا أمك فكلمني فقال يارب أمي وصلاني فاختار صلواته فقالت اللهم هذا جريج وانه ابني وانى كلمته فأبى أن يكلمني اللهم فلا تتبه حتى تربى المومسات . ولو دعت عليه أن يفتن لافتن قال وكان راع يأوى إلى ديره فخرجت امرأة فوقع عليها الراعي فولدت غلاماً فقيل ممن هذا فقالت هو من صاحب الدير فأقبلوا بنؤسهم ومساحيهم وأقبلوا إلى الدير فنادوه فلم يكلمهم فأقبلوا يهدمون ديره فقتل الهم فقالوا سل هذه المرأة قال أراه تبسم قال ثم مسح رأس الصبي فقال من أبوك قال راعي الضأن قالوا يا جريج نبى ما علمنا من ديرك بالذهب والفضة قال لا ولكن اعيدوه كما كان فعلوا ورواه مسلم في الاستيذان عن شيبان بن فروخ عن سليمان بن المنيرة به .

سياق آخر قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أنبأنا ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة أن رسول الله (س) . قال (كان في بني اسرائيل رجل يقال له جريج كان يتعبد في صومته فأتته أمه ذات يوم فنادته فقالت أي جريج أي بنى أشرف على أكلك أنا أمك أشرف على قتال أي ربى صلاتي وأمي فأقبل على صلواته ثم عادت فنادته مراراً فقالت أي جريج أي بنى أشرف على قتال أي ربى صلاتي وأمي فأقبل على صلواته فقالت اللهم لا تتبه حتى تربى المومسة وكانت راعية ترعى غنماً لأهلها ثم تأوى إلى ظل صومته فأصابته فحشة فحلت فاخذت . وكان من زنى منهم قتل قالوا ممن قالت من جريج صاحب الصومعة فجازا بالنؤوس والمرور قالوا أي جريج أي مرأى انزل فأبى وأقبل على صلواته يصلي فأخذوا في هدم صومته

فلما رأى ذلك نزل فجملوا في عنقه وعتقها حبلاً فجملوا يطوفون بهما في الناس فوضع أصبعه على بطنها فقال اى غلام من أبوك فقال أبى فلان راعى الضأن قبلوه وقالوا إن شئت بئينا لك صومعتك من ذهب وفضة قال أعيدها كما كانت وهذا سياق غريب واسناده على شرط مسلم ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه .

فهؤلاء ثلاثة تكلموا في المهدي عيسى بن مريم عليه السلام وقد تقدم الكلام على قصته وصاحب جريج بن البغي من الراعى كما سمعت واسمه يابوس كما ورد مصرحاً به في صحيح البخارى والثالث ابن المرأة التى كانت ترضعه فتمنت له أن يكون كصاحب الشارة الحسنة فتمنى أن يكون كذلك الأمة المتهومة بما هى بريئة منه وهى تقول حسبي الله ونعم الوكيل كما تقدم فى رواية محمد بن سيرين عن أبى هريرة سرفوعا . وقد رواه الامام أحمد عن هوزة عن عوف الاعرابى عن خلاص عن أبى هريرة عن النبى (س) بقصة هذا الغلام الرضيع وهو اسناد حسن .

وقال البخارى حدثنا أبو العمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن الاعرج حدثه أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله (س) قال بينا امرأة ترضع ابنها إذ سر بها راكب وهى ترضعه فقالت اللهم لا تميت ابنى حتى يكون مثل هذا فقال اللهم لا تجعلى مثله ثم رجع فى الندى وسر باسرة نجر ويلب بها فقالت اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه فقالت اللهم اجعلنى مثلها فقال أما الراكب فانه كافر . واما المرأة فانهم يقولون إنها تزنى وتقول حسبي الله ويقولون تسرق وتقول حسبي الله . وقد ورد فى من تكلم فى المهدي أيضاً شاهد يوسف كما تقدم وابن ماشطة آل فرعون والله أعلم *

قصة برهيسيا

وهى عكس قضية جريج فان جريجاً عصم وذلك فتن . قال ابن جرير حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودى أنبأنا أبى عن أبيه عن جده عن الاعشى عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية (كئيل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اتى برىء منك اتى أخاف الله رب العالمين . فكان ما قبلها منهما فى النار خالد بن فيها وذلك جزاء الظالمين) . قال ابن مسعود وكانت امرأة ترضع النعم وكان لها اخوة أربعة وكانت تأوى بالليل إلى صومعة راهب قال فنزل الراهب ففجر بها فحلت فأتاه الشيطان فقال له اقلها ثم ادقها فانك رجل تصدق ويسمع قولك قتلها ثم دقها قال فأتى الشيطان اخوتها فى المنام فقال لهم ان الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم فلما أحبلها قتلها ثم دقها فى مكان كذا وكذا . فلما أصبحوا قال رجل منهم والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما درى أقصها عليكم أم أترك قالوا لا بل قصها علينا قال قصصها فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت

ذلك قالوا فوالله ما هذا إلا لشيء فانطلقوا فاستمدوا ملكهم على ذلك الراهب فأثوه فأنزلوه . ثم انطلقوا به فاتاه الشيطان فقال انى أنا أو قمتك فى هذا ولن ينجيك منه غيرى فاسجد لى سجدة واحدة وأنجيك بما أو قمتك فيه قال فسجد له فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ قتل . وهكذا روى عن ابن عباس وطاوس ومقاتل ابن حيان نحو ذلك .

وقد روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بسياق آخر فقال ابن جرير حدثنا خالد بن أسلم حدثنا النضر بن شميل أنبأنا شعبة عن أبى اسحاق سمعت عبد الله بن نهيك سمعت علياً يقول ان راهباً تعبد ستين سنة وان الشيطان أراد فاعياه فعمد الى امرأته فأجها ولها اخوة فقال لاختها عليكم بهذا القس فيداويها قال فجأوا به اليه فداواها وكانت عنده فينا هو يرماعنها إذ أعجبت فاتها فحملت فعمد اليها فقتلها فجاء اخوتها فقال الشيطان للراهب انا صاحبك أنك اعيتنى انا صفت هذا بك فاطفى أعجك مما صنعت بك اسجد لى سجدة فسجد له قال انى برى منك انى أخاف الله رب العالمين فذلك قوله (كذل الشيطان اذ قال للانسان ا كفر فلما كفر قال انى برى منك انى أخاف الله رب العالمين)

قصة الثلاثة الذين اؤوا الى الغار فاطبق عليهم عليهم

فدوسوا الى الله تعالى بصالح اعمالهم ففرج عنهم . قال الامام البخارى حدثنا اسماعيل بن خليل أخبرنا على بن مسهر عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال بينا ثلاثة نفر من كان قبلكم يشقون اذ اصابهم مطر فأووا الى غار فاطبق عليهم فقال بعضهم لبعض انه والله يهؤلاء لا ينجيكم الا الصديق فليدع كل رجل منكم بما يعلم انه قد صدق فيه فقال واحد منهم (اللهم ان كنت تعلم انه كان لى أجير عمل لى على فرق من أزر فذهب وتركه واتى عمدت الى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره انى اشتريت منه بقرأ وانه اتانى يطلب اجره فقلت اعد الى تلك البقر فسقها فقال لى اتالى عندك فرق من ارز فقلت له اعد الى تلك البقر فاتها من ذلك الفرق فساقها فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا) فانساخت عنهم الصخرة * فقال الاخر (اللهم ان كنت تعلم كان لى ابوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة باين غنم لى فابطأت عنها ليلة فجئت وقد رقدوا وأهل وعيالى يتضاغون من الجوع وكنت لا اسقيهم حتى يشرب أبواى فكرهت أن اوقفهما وكرهت ان ادعما فيستكنا الشر بهما فلم ازل انتظر حتى طلع الفجر فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء * فقال الاخر اللهم ان كنت تعلم انه كانت لى ابنة عم من أحب الناس الى واتى راودتها عن نفسها فأبت الا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فاتيها بها فدفعتها اليها فامكتنى من نفسها فلما صدت بين رجلها قالت اتق الله ولا تقض الختام الا بحقه فممت وتركتم المائة دينار فان كنت

تعلّم إلى فلت ذلك من خشيتك فرج عنا فرج الله عنهم فخرجوا ، رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به وقد رواه الامام احمد منفردا به عن مروان بن معاوية عن عمرو بن حمزة بن عبد الله بن عمر عن سالم عن ابيه عن النبي (ص) بنحوه . ورواه الامام احمد من حديث وهب بن منبه عن الثمان بن بشير عن النبي (ص) بنحو من هذا السياق وفيه زيادات ورواه البزار من طريق ابى اسحاق عن رجل من بجليّة عن الثمان بن بشير مرفوعا مثله ورواه البزار في مسنده من حديث ابى حفص عن علي بن ابي طالب عن النبي (ص) بنحوه

خبر السكينة للاممى والدورى والافرع

روى البخارى ومسلم من غير وجه عن همام بن يحيى عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة حدثني عبد الرحمن بن ابي عمرة ان ابا هريرة حدثه انه سمع رسول الله (ص) يقول ان ثلاثة في بنى اسرائيل ابرص وامعى وأقرع بدا لله ان يتليهم فيمض الله اليهم ملكا فأتى الابرص فقال له أى شىء أحب اليك قال لون حسن وجلد حسن قد قدرنى الناس قال فسحه فذهب عنه فاعطى لونا حسنا وجلدا حسنا . قال اى المال أحب اليك قال الابل أو قال البقر (هوشك في ذلك ان الابرص والاقرع قال احدهما الابل وقال الاخر البقر) فاعطى ثاقه عشرة . قال يبارك لك فيها . قال واتى الاقرع فقال له أى المال أحب اليك قال شرحس ويذهب عنى هذا قد قدرنى الناس فسحه فذهب واعطى شعرا حسنا قال فأتى المال أحب اليك قال البقر فاعطاه بقره حاملا وقال يبارك لك فيها قال واتى الامعى قال أى شىء أحب اليك قال يرد الله الى بصرى فابصر به الناس قال فسحه فرد الله اليه بصره قال فأتى المال أحب اليك قال النعم فاعطاه شاة والناس فأتى هذا وولد هذا فكان لهذا واد من الابل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من النعم ثم أتى الابرص في صورته وهيئته فقال رجل مسكين وقطعت بى الحبال في سفرى فلا بلاغ اليوم الا بالله ثم بك أسألك بلذى اعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بيما أتيتك عليه في سفرى فقال له ان الحقوق كثيرة فقال له كأتى اعرفك الم تكن ابرص بقدرك الناس فقيرا فاعطاك الله عز وجل فقال لقد ودمت لكابن عن كابر فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت وآتى الاقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا فرد عليه مثل ملود هذا فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت . واتى الامعى في صورته فقال رجل مسكين وابن سبيل وقطعت بى الحبال في سفرى فلا بلاغ اليوم الا بالله ثم بك أسألك بلذى رد عليك بصرى شاة أتيتك بها في سفرى فقال قد كنت اعنى فرد الله الى بصرى وهديرا قد أغناني فخذ ماشئت فوالله لا أجهدك اليوم بشىء اخذته لله عز وجل قال أسك ملكا فأتى ابيتم قد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك هذا لفظ البخارى في احاديث بنى اسرائيل

حديث النبي السلف من أصحابه الوارثين

قال الامام احمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا ليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة عن رسول الله (ص)، انه ذكر أن رجلا من بني اسرائيل سأل بعض بني اسرائيل أن يسله الف دينار قال اتنى بشهاده اشهدهم قال كفى بالله شهيدا قال اتنى بكفيل قال كفى بالله كفيلا قال صدقت فدفعها اليه الى اجل مسمى فخرج في البحر فعضى حاجته ثم التمس مركبا يقدم عليه للاجل الذي اجله فلم يجد مركبا فانخذ خشبة ففترها وادخل فيها الف دينار وصحيفة معها الى صاحبها ثم زجج موضعها ثم اتى بها البحر ثم قال اللهم انك قد علمت اني استسلفت فلانا الف دينار فسلني كفيلا قلت كفى بالله كفيلا فرضى بذلك وسألني شهيدا قلت كفى بالله شهيدا فرضى بذلك واتى قد جهدت ان أجد مركبا أبث اليه بالثمن أعطاني فلم أجد مركبا واتى استودعتكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يطلب مركبا الى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا يجيء به فله فاذا بالخشبة التي فيها المال فانخذها لاهله حطباً فلما كسرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه فأتاه بالف دينار وقال والله ما زلت جاهدة في طلب مركب لآتيك بما لك فما وجدت مركبا قبل الذي آتيت فيه قل هل كنت بشت الى بشى قال لم اخبرك انى لم أجد مركبا قبل هذا الذي جئت فيه قال فان الله ادى عنك الذي بشت به في الخشبة فانصرف بالثمن واثدا . هكذا رواه الامام احمد مستندا وقد علقه البخارى في غير موضع من صحيحه بصيغة الجزم عن الليث بن سعد واسنده في بعضها عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه والمجب من الحافظ ابى بكر البزار كيف رواه في مسنده عن الحسن بن مدرك عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن عمر بن سلمة عن ابيه عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه ثم قال لا يروى الا من هذا الوجه بهذا الاسناد

فقته افرى كسبهم بهرة الفضة في الصدقة والامانة

قال البخارى حدثنا اسحاق بن نصر أخبرنا عبد الرزاق عن مسر عن ممام بن منبه عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) اشترى رجل من رجل عقارا له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقارة جرة فيها ذهب فقال له الذي اشترى العقار خذ ذهبك منى انما اشتريت منك الارض ولم ابيع منك الذهب وقال الذي له الارض انما يملك الارض وما فيها فحاجا الرجل الذي اشترى العقار اليه الكيلود قال احداهما لى غلام وقال الآخر لى جارية قال انكحوا الجارية واقفوا على اتسهما منه وتصدق هكذا روى البخارى هذا الحديث في اخبار بني اسرائيل واخرجه مسلم عن محمد بن وافع عن عبد الرزاق به وقد

روى ان هذه القصة وقعت في زمن ذى القرنين . وقد كان قبل بنى اسرائيل بدهور متطاولة والله اعلم
قال اسحاق بن بشر في كتابه المبتدأ عن سعيد بن ابى عروة عن قتادة عن الحسن ان ذا القرنين
كان يتفقد امور ملوكه وعماله بنفسه وكان لا يطلع على احد منهم خيانة الا انكر ذلك عليه وكان لا يقبل
ذلك حتى يطلع هو بنفسه . قال فبينما هو يسير متنكرا في مضي المدائن تجلس الى قاض من قضاتهم اياما
لا يختلف اليه احد في خصومة فلما ان طال ذلك بذى القرنين ولم يطلع على شيء من أمر ذلك القاضى وهم
بالانصراف اذا هو برجلين قد اختصما اليه فادعى احدهما قتال أبيه القاضى انى اشتريت من هذا داراً
عربها ووجدت فيها كنزا وانى دعوته الى اخذه فابى على قتال له القاضى ما تقول قال مادفنت وما علمت
به فليس هو لى ولا أقبضه منه قال المدعى أيتها القاضى مر من يقبضه فنقضه حيث احببت فقال القاضى
تفر من الشر وتدخلى فيه ما أنصفتى وما أنظن هذا في قضاء الملك فقال القاضى هل لكما امرا نصف
ما دعوتانى اليه قال نعم قال للمدعى الك ابن قال نعم وقال للآخر الك ابنة قال نعم قال اذهبوا فزوج
ابنتك من ابن هذا وجهزهما من هذا المال وادفعا فضل ما بقى اليهما يمشان به فتكونا مليا بخيره وشيره
فجذبوا القرنين حين سمع ذلك ثم قال للقاضى ما ظننت ان فى الارض احدا يفضل مثل هذا أو قاضٍ
يقضى بمثل هذا فقال القاضى وهو لا يعرفه وهل احد يفضل غير هذا قال ذو القرنين نعم قال القاضى
فهل يطرون فى بلادهم فوجب ذو القرنين من ذلك وقال بمثل هذا قامت السموات والارض

قصة القرى

قال البخارى حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن أبى عدى عن شعبة عن قتادة عن ابى الصديق
الناجى عن ابى سعيد الخدرى عن النبى (ص)، قال كان فى بنى اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين
انسانا ثم خرج يسأل فأتى راهبا فسأله فقال هل من توبة قال لا تقتله فجعل يسأل فقال له رجل ائت قربة كذا
وكذا فادرك الموت فناء يصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فواحى الله الى
هذه ان تهرى واوحى الى هذه ان تباعدى وقال قيسوا ما بينهما فوجد الى هذه اقرب بشير ففجر له هكذا
رواه ههنا مختصراً وقد رواه مسلم عن بنى عدي ومن حديث شعبة ومن وجه آخر عن قتادة به . طولاً

حديث آخر

قال البخارى حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا ابو الزناد عن الاعرج عن ابى سلمة عن أبى
هريرة قال صلى رسول الله (ص)، صلاة الصبح ثم اقبل على الناس فقال بينا رجل يسوق بقرة إذ
ركبها فضربها فقالت إنا لم نخلق لهذا إنا خلقنا للحرث فقال الناس سبحان الله بقرة تسكلم فقال فأتى أو
من ههنا أنا وأبو بكر وعمر وماهما كتم (قال) وبينما رجل فى غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلب

حتى كأنه استنقذها منه فقال له الذئب^(١) هذا استنقذتها مني فمن لها يوم السبع يوم لا راعى لها غيري
قال الناس سبحان الله ذئب يتكلم قال فاني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وماها ثم (قال) وحدثنا
على قال حدثنا سفيان عن مسعر عن سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي (ص)، بمثله .
وقد أسنده البخاري في المزارعة عن علي بن المديني ومسلم عن محمد بن عباد كلاهما عن سفيان بن عيينة
وأخرجاه من طريق شعبة كلاهما عن مسعر به . وقال الترمذي حسن صحيح وأخرج مسلم الطريق الأول
من حديث سفيان بن عيينة وسفيان الثوري كلاهما عن أبي الزناد .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم عن سعد عن أبيه
عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي (ص)، قال (إنه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وإنه إن
كان في أمتي هذه منهم فانه عمر بن الخطاب) لم يخرج مسلم من هذا الوجه وقد روى عن إبراهيم بن
سعد عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن ابن شهاب عن حميد بن
عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان عام حج على المنبر فتناول قصة من شرَكَات في يدي حرسى
قال يا أهل المدينة أين علماكم سمعت رسول الله (ص)، ينهى عن مثل هذه ويقول إنما هلكت بنو
اسرائيل حين اتخذوا نساؤم . وهكذا رواه مسلم وأبو داود عن حديث مالك وكذا رواه مسعر ويونس
وسفيان بن عيينة عن الزهري بنحوه وقال الترمذي حديث صحيح ! وقال البخاري حدثنا آدم حدثنا
شعبة حدثنا عمرو بن مرة قال سمعت سعيد بن المسيب قال قدم معاوية بن أبي سفيان المدينة آخر قدمة
قدمها فخطبنا فأخرج من كفه كبة شعر وقال ما كنت أرى أحداً يفعل هذا غير اليهودان النبي (ص)،
سماه الزور يعني الوصال في الشعر تابسه غندر عن شعبة والمعجب أن مسلماً رواه من غير وجه عن غندر
عن شعبة ومن حديث قتادة عن سعيد بن المسيب به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا سعيد بن تليد حدثنا ابن وهب قال أخبرني جرير بن
حازم عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص)، بينما كلب يطيف
بركية كاد يقتله المطش إذ رآه نبي من بني إسرائيل فنزعت موقها فسقته ففقر لها به . ورواه
مسلم عن أبي الطاهر بن السرح عن ابن وهب به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عبد الله بن أسماء حدثنا جويرية عن نافع عن عبد الله بن عمر
أن رسول الله (ص)، قال عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار فلا هي أطمئنتها ولا سقتها
إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض . وكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن أسماء به .

(١) قوله هذا أي ياهذا

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عثمان بن عمر حدثنا المستر بن الريان حدثنا أبو فضرة عن أبي سعيد أن رسول الله (ص)، قال كان في بني اسرائيل امرأة قصيرة فصنت وجلين من خشب فكانت تمشي بين امرأتين قصيرتين وأنحفت خاتماً من ذهب وحشت نحت فيه أطيب الطيب والمسك فكانت إذا مرت بالمجلس حر كته ففتح ريمه رواه مسلم من حديث المستر وخليد بن جعفر كلاهما عن أبي فضرة عن أبي سعيد مرفوعاً قريباً منه وقال الترمذي حديث صحيح .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعبة عن منصور سمعت ربي بن حراش يحدث عن ابن مسعود قال قال النبي (ص)، إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) تفرد به البخاري دون مسلم وقد رواه بعضهم عن ربي بن حراش عن حذيفة مرفوعاً وموقوفاً أيضاً والله أعلم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد يعني بن بهرام حدثنا شهر بن حوشب قال قال أبو هريرة قال قال رسول الله (ص) بينا رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدران على شيء فجاء الرجل من سفره فدخل على امرأته جائناً قد أصابته سغبة شديدة فقال لامرأته عندك شيء قالت نعم ابشر أنك رزق الله فاستحها فقال ويحك ابنتي ان كان عندك شيء قالت نعم هنيئة ترجو رحمة الله حتى إذا طال عليه المطال قال ويحك قومي فابنتي ان كان عندك شيء فأتيني به فاني قد بلغت الجهد وجهلت فقالت نعم الآن ينضج التنور فلا تمجل فلما أن صكت عنها ساعة ونجحت أيضاً أن يقول لها قالت من عند نفسها لو قت فنظرت الى تنوري فقامت فوجدت تنورها ملآن من جنوب الغنم ورحاها تظعن فقامت إلى الرحي فمضتها واستخرجت مائتي تنورها من جنوب الغنم قال أبو هريرة فوالذي نفس أبي القاسم بيده عن قول محمد (ص)، لو أخذت مائتي رحيبها ولم تنفضها لطحنت إلى يوم القيامة . وقال أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا أبو بكر عن هشام عن محمد عن أبي هريرة قال دخل رجل على أهله فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية فلما رأته امرأته مائتي قامت إلى الرحي فوضتها إلى التنور فسجرت ثم قالت اللهم ارزقنا فنظرت فإذا المهنسة قد امتلأت قال وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً قال فرجع الزوج قال اصبرم بعد شيئاً قالت امرأته نعم من ربنا فرفعتها إلى الرحي ثم قامت فذكر ذلك للنبي (ص)، قال (اما أنه لو لم ترفها لم تزل تدور إلى يوم القيامة) قال شهدت النبي (ص)، وهو يقول (والله لأن يأتي أحدكم بحزمة حطب ثم يحمله فيديه فيستغف منه خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله .

قصة الكلب والناحية

قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا المسعودي عن سيبك بن حرب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال بينا رجل فيمن كان قبلكم كان في مملكته ففكر فلم أن ذلك منقطع عنه

وأن ماهر فيه قد شمله عن عبادة ربه فانساب ذات ليلة من قصره وأصبح في مملكة غيره وأتى ساحل البحر فكان به يضرب اللين بالأجر فيأكل ويتصدق بالفضل ولم يزل كذلك حتى رقى أسره إلى ملكهم فأرسل إليه فأبى أن يأتيه فركب إليه الملك فلما رآه ولى هارباً فركض في أثره فلم يدركه فناداه يا عبد الله انه ليس عليك مني بأس فقام حتى أدركه فقال له من أنت رحمتك الله فقال أنا فلان بن فلان صاحب مملكة كذا وكذا ففكرت في أسرى فعلمت انما أنا فيه منقطع وأنه قد شغلني عن عبادة ربي عز وجل فتركته وجمت ههنا أعبد ربي فقال له ما أنت بأحوج لما صنعت مني قل تترل عن دابة فيها وتبته فكانا جميعاً يعبدان الله عز وجل فدعوا الله أن يجمعهم جميعاً فأتاهم قال عبد الله فلو كنت برمية مصر لأريتكم قبورها ما نمت التي فمت لنا رسول الله (ص).

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن عتبة بن عبد الغافر عن أبي سعيد عن النبي (ص) إن رجلاً كان قبلكم رغه الله ملا فقال لينيه لما حضر أي أب كنت لكم قالوا خير أب قال فاني لم أعمل خيراً قط فإذا مت فاحرقوني ثم اسحقوني ثم ادزوني في يوم عاصف ففعلوا بجمعه الله عز وجل فقال ما حالك فقال عناقك فتلقاه برحمته ورواد في مواضع أخر ومسلم من طرق عن قتادة به . ثم رواه البخاري ومسلم من حديث ربي بن حراش عن حذيفة عن النبي (ص) بنحوه ومن حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا ابراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت ممسراً فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا قال فاني الله فتجاوز عنه وقد رواه في مواضع أخر ومسلم من طريق الزهري به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني مالك عن محمد بن المنكدر عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد ماذا سمعت من رسول الله (ص) في الطاعون قال أسامة قال رسول الله (ص) الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني اسرائيل وعلى من كان قبلكم فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه . قال أبو النضر لا يخرجكم الا فراراً منه ورواه مسلم من حديث مالك ومن طرق أخر عن عامر بن سعد به حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا داود بن أبي الفرات حدثنا عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يسر عن عائشة قالت سألت رسول الله (ص) عن الطاعون أخبرني أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء من عباده وأن الله جملة رحمة للمؤمنين ليس من أحد يقع الطاعون فيكشف في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد تفرد به البخاري عن مسلم من هذا الوجه .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن قريشاً أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله (س)، فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله (س)، فكلمه أسامة فقال أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فخطب ثم قال إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وأخرجته بقية الجماعة من طرق عن الليث بن سعد به .

﴿ حديث آخر ﴾ وقال البخارى حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عبد الملك بن ميسرة سمعت النزال بن سبرة الملالى عن ابن مسعود قال سمعت رجلاً قرأ وسمعت رسول الله (س)، يقرأ خلفها فحقت به إلى رسول الله (س)، فأخبرته ففرقت في وجهه الكراهية وقال كلا كما يحسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا . تفرد به البخارى دون مسلم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا ابراهيم عن صالح عن ابن شهاب قال قال أبو سلمة بن عبد الرحمن إن أبا هريرة قال إني رسول الله (س)، قال إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم تفرد به دون مسلم وفي سنن أبي داود صالوا في نمالكم خالفوا اليهود .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن طاووس عن ابن عباس سمعت عمر يقول قاتل الله فلاناً ألم يعلم أن رسول الله (س)، قال لمن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجلوها . فباعوها رواه مسلم من حديث ابن عينة . ومن حديث عمرو بن دينار به ثم قال البخارى تابعه جابر وأبو هريرة عن النبي (س)، ولهذا الحديث طرق كثيرة وسيأتي في باب الحليل من كتاب الأحكام إن شاء الله وبه الثقة .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا عمران بن ميسرة حدثنا عبد الوارث حدثنا خالد عن أبي قلابة عن أنس بن مالك قال ذكروا النار والناقوس فذكروا اليهود والنصارى فأمر بلال أن يشفع الاذان وأن يوتر الإقامة وأخرجه بقية الجماعة من حديث أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرمي به . والمقصود من هذا مخالفة أهل الكتاب في جميع شعارهم فإن رسول الله (س)، لما قدم المدينة كان المسلمون يتحنيون وقت الصلاة يبر دعوة إليها . ثم أمر من ينادى فيهم وقت الصلاة (الصلاة جامعة) ثم أرادوا أن يدعوا إليها بشئ يعرفه الناس فقال قائلون نضرب بالناقوس وقال آخر نوري نارا ففكر هو ذلك لمشابهة أهل الكتاب فأرى عبد الله بن زيد بن عبدربه الانصارى في منامه الاذان فقصها على رسول الله (س)، فأمر بلالا فنادى كما هو مبسوط في موضعه من باب الاذان في كتاب الاحكام .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا بشر بن محمد أنبأنا عبد الله أنبأنا معمر ويونس عن

الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن عائشة وابن عباس قالا لما نزل برسول الله (ص) طفق يطرح خيصة على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا وهكذا رواه في غير موضع ومسلم من طرق عن الزهري به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا سعيد بن أبي مرزيم حدثنا أبو غسان قال حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد أن النبي (ص) قال لنتبعن سنن من قبلكم شيراً بشيراً وذراً بذراً حتى لو سلخوا جحر ضب لسلكتموه قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال النبي (ص) فمن وهكذا رواه مسلم من حديث زيد بن أسلم به .

والمقصود من هذا الاخبار عما يقع من الأقوال والأفعال المنهى عنها شرعاً بما يشابه أهل الكتاب قبلنا أن الله ورسوله ينهيان عن مشابهتهم في أقوالهم وأفعالهم حتى ولو كان قصد المؤمن خيراً لكنه تشبه فعله في الظاهر فعلهم وكانه منى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لثلاثه المشركين الذين يسجدون للشمس حينئذ وإن كان المؤمن لا يخطر بباله شيء من ذلك بالكليّة وهكذا قوله تعالى . (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا للكافرين عذاب أليم) . فكان الكفار يقولون للنبي (ص) في كلامهم معه راعنا أى انظر الينا بصرك واسمع كلامنا ويقصدون بقولهم راعنا من الرعونة فهى المؤمنون أن يقولوا ذلك وأن كان لا يخطر ببال أحد منهم هذا أبداً . فقد روى الامام أحمد والترمذى من حديث عبد الله بن عمر عن النبي (ص) أنه قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل لزرقي تحت ظل رحى وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم فهو منهم فليس للسلم أن يتشبه بهم لافى أعيادهم ولا مواسمهم ولا في عباداتهم لأن الله تعالى شرف هذه الأمة بخاتم الأنبياء الذى شرع له الدين العظيم القويم الشامل الكامل الذى لو كان موسى بن عمران الذى أنزلت عليه التوراة وعيسى بن مرزيم الذى أنزل عليه الانجيل حين لم يكن لهما شرع متبوع بل لو كانا موجودين بل وكل الأنبياء لما ساغ لواحد منهم أن يكون على غير هذه الشريعة المطهرة المشرفة المكرمة المعظمة فاذا كان الله تعالى قد منّ علينا بأن جعلنا من أتباع محمد (ص) فكيف يليق بنا أن تشبه بقوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل قد بدلوا دينهم وحرفوه وألوه حتى صار كأنه غير ما شرع لهم أولاً . ثم هو بعد ذلك كاه منسوخ والتمسك بالمنسوخ حرام لا يقبل الله منه قليلاً ولا كثيراً ولا فرق بينه وبين الذى لم يشرع بالكليّة والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله (ص) قال اتنا أجلكم في أجل من خلا من قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس

وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا فأثم الذين تعملون من صلاة العصر إلى المغرب على قيراطين قيراطين الا لكم الأجر مرتين فغضب اليهود والنصارى فقالوا نحن أكثر عملاً وأقل عطاء قال الله تعالى (هل ظلمتكم من حكم شيئاً فقالوا لا قال فانه فضلى أوتيته من أشياء) وهذا الحديث فيه دليل على أن مدة هذه الأمة قصيرة بالنسبة إلى ماضى من مدد الأمم قبلها لقوله إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم قبلكم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس فلامضى لا يملئه إلا الله تعالى أن الآتى لا يملئه إلا هو ولكنه قصير بالنسبة إلى ما سبق ولا اطلاع لأحد على تحديد ما بقى إلا الله عز وجل كما قال الله تعالى (لا يجعلها لوقتها إلا هو) وقال (يسأونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها) . وما تذكره بعض الناس من الحديث المشهور عند العامة من أنه عليه السلام لا يؤلف تحت الأرض فليس له أصل في كتب الحديث وورد فيه حديث أن الدنيا جمعة من جمع الآخرة وفي صحته نظر . والمراد من هذا التشبيه بالمال تفاوت أجورهم وأن ذلك ليس منوطاً بكثرة العمل وقتله بل بأمور أخر معتبرة عند الله تعالى وكم من عمل قليل أجدى مالا يجديه العمل الكثير هذه ليلة القدر العمل فيها أفضل من عبادة الف شهر سواها وهؤلاء أصحاب محمد (س) أففقوا في أوقات لو أفتق غيرهم من الذهب مثل أحد ما بلغ من أحدهم ولا نصيفه من تمر وهذا رسول الله (س) بيته الله على رأس أربعين سنة من عمره وقبضه وهو ابن ثلاث وستين على المشهور وقد برز في هذه المدة التي هي ثلاث وعشرون سنة في العلوم النافعة والاعمال الصالحة على سائر الانبياء قبله حتى على نوح الذي لبث في قومه الف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ويعمل بطاعة الله ليلاً ونهاراً صباحاً ومساءً صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء أجمعين فهذه الأمة انما شرفت وتضاعف ثوابها ببركة سيادة نبيها وشرفه وعظمتها كما قال الله تعالى (بأبها الذين آمنوا آمنوا الله وآمنوا برسوله يؤتسكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به وينفر لكم والله غفور رحيم) .
فلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدر على شئ من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم) *

فَصَلِّ عَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ

وأخبار بني اسرائيل كثيرة جداً في الكتاب والسنة النبوية ولو ذهبنا نقتضى ذلك لطال الكتاب ولكن ذكرنا ما ذكره الامام أبو عبد الله البخارى في هذا الكتاب فيه متن وكفاية وهو تذكرة وانموذج

لهذا الباب والله أعلم * وأما الاخبار الاسرائيلية فيما يذكره كثير من المفسرين والمؤرخين فكثيرة جداً ومنها ما هو صحيح موافق لما وقع وكثير منها بل أكثرها مما يذكره القصاص مكذوب مفترى وضمه زنادقتهم وضلالهم وهي ثلاثة أقسام منها ما هو صحيح لموافقته ما قصه الله في كتابه أو أخبر به رسول الله (ص)، ومنها ما هو معلوم البطلان لمخالفته كتاب الله وسنة رسوله ومنها ما يحتمل الصدق والكذب فهذا الذي أسرنا بالتوقف فيه فلا فصدقه ولا نكذبه كما ثبت في الصحيح إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل علينا وأنزل اليك. وتجوز روايته مع هذا الحديث المتقدم (وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج)

تحريف أهل الكتاب وتبديلهم رواياتهم

أما اليهود فقد أنزل الله عليهم التوراة على يدي موسى بن عمران عليه السلام وكانت كما قال الله تعالى (ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء) وقال تعالى (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس ليعلمونه قرأتين تبسوتها ويخفون كثيراً) وقال تعالى (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياءً وذكرى للمتقين) وقال تعالى (وآتيناهم الكتاب المبين وهديناها للصابغ المستقيم) وقال تعالى (أنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا الذين هادوا والرابيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشوني ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) فكانوا يحكمون بها وهم متمسكون بها برهة من الزمان ثم شرعوا في تحريفها وتبديلها وتغييرها وتأويلها وأبداء ما ليس منها كما قال الله تعالى (وان منهم لفريقاً يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون فأخبر تعالى أنهم يفسرونها ويتأولونها ويضعونها على غير مواضعها وهذا مالا خلاف فيه بين العلماء وهو أنهم يتصرفون في معانيها ويحولونها على غير المراد كما بدلوا حكم الرجم بالجلد والتعصيم مع بقاء لفظ الرجم فيها وكما أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد مع أنهم مأمورون بأقامة الحد والتقطع على الشريف والضعيف. فأما تبديل الفاظها فقال قائلون بأنها جميعاً بدلت وقال آخرون لم تبدل واختلفوا بقوله تعالى (وكيف يحكمونك) وعندم التوراة فيها حكم الله) وقوله (الذي يجدونه مكتوباً عندم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات الاية) وقوله (قل فاتوا بالتوراة فانظروا إن كنتم صادقين) وقصة الرجم قلمهم كما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر وفي صحيح مسلم عن البراء بن عازب وجابر بن عبد الله وفي السنن عن أبي هريرة

وغيره لما نحاكوا إلى رسول الله (ص) في قصة اليهودى واليهودية الذين زنيا فقال لهم ما تجدون في التوراة في شأن الرجم فقالوا فضحهم ويجلدون فأمرهم رسول الله (ص) باحضار التوراة فلما جاؤا بها وجعلوا يقرؤنها ويكتمون آية الرجم التي فيها ووضع عبد الله بن صور يايده على آية الرجم وقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له رسول الله (ص) ارفع يدك بأعور فرقع يده فاذا فيها آية الرجم فأمر رسول الله (ص) برجمها وقال (اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه) وعند أبي داود أنهم لما جاؤا بها نزع الوسادة من تحتها فوضعتها تحتها وقال امنك بك وعن اتركك وذكر بعضهم انه قام لها ولم اقف على اسناده والله اعلم . وهذا كله يشكل على ما يقوله كثير من المتكلمين وغيرهم ان التوراة اهبطت تواترها في زمن نجت نصر ولم يبق من يحفظها الا المرزبر ثم المرزبر ان كان نبياً فهو مصصوم والتواتراتى المصصوم يكفى اللهم الا أن يقال انها لم تتواتر اليه لكن بسده زكريا ويحيى وعيسى وكلهم كانوا متمسكين بالتوراة فلم تكن صحيحة معمولاً بها لما اعتمادوا عليها وهم انبياء مصصومون . ثم قد قال الله تعالى فيما انزل على رسوله محمد خاتم الانبياء صلوات الله وسلامه عليه على جميع الانبياء منكرآ على اليهود في تقديمه الفاسد اذ عدلوا عما يمتقدون صحته عندهم واتهم مأمورون به حتما الى التحاكم الى رسول الله (ص) وهم يعاندون ما جاء به لكن لما كان في زعمهم ماقد يوافقهم على ما يتدعوه من الجلد والتحميم المصادم لما امر الله به حتما وقولوا ان حكمكم بلجلد والتحميم فاقبلوه وتكونون قد اعترتم بحكم نبي لكم عندالله يوم القيمة وان لم يحكم لكم بهذا بل بالرجم فاحذروا ان تقبلوا منه فانكر الله تعالى عليهم في هذا القصد الفاسد الذى اتما حلهم عليه الغرض الفاسد ومواضة الهوى لا الدين الحق فقال (وكيف يحكمونك وعندم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بد ذلك وما اولئك بالؤمنين انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والرابانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله الاية) ولهذا حكم بالرجم قال اللهم انى اول من احيا امرك إذ أماتوه وسالمهم ما حلهم على هذا ولم تركوا امر الله الذى بايديهم فقالوا ان الزنا قد كثر في اشرافنا ولم يمكننا ان نقيه عليهم وكنا نرجم من زنى من ضعفانا قتلنا نالوا الى أمر نصف فعله مع الشريف والوضيع فاصطلحنا على الجلد والتحميم فهنا من جملة تحريفهم وتبديلهم وتغييرهم وتأويلهم الباطل وهذا اتما فعلوه في المعاني مع بقاء لفظ الرجم في كتابهم كادل عليه الحديث المتفق عليه فلماذا قال من قال هذا من الناس انه لم يقع تبديلهم الا في المعاني وان الالفاظ باقية وهى حجة عليهم اذ لو أقاموا ما في كتابهم جميعه لتقدم ذلك الى اتباع الحق ومتابعة الرسول محمد (ص) كما قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الاهى الذى يجدهم مكتوبا عنهم في التوراة والانجيل بأمرهم بالمعرف وبهناهم عن المنكر ويعمل لهم الطيبات ويعرم عليهم الخبيثات ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم الاية) وقال تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن

تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدّة الآية) وقال تعالى (قل يأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم الآية) وهذا المذهب وهو القول بأن التبدّل إنّما وقع في معانيها لا في الفاظها حكاه البخاري عن ابن عباس في آخر كتابه الصحيح وقرر عليه ولم يردّه وحكاه العلامة فخر الدين الرازي في تفسيره عن أكثر المتكلمين .

ليس للجنب مس التوراة

وذهب قتها الحنفية إلى أنه لا يجوز للجنب مس التوراة وهو محدث وحكاه الحنطاني في فتاويه عن بعض أصحاب الشافعي وهو غريب جداً . وذهب آخرون من العلماء إلى التوسط في هذين القولين منهم شيخنا الامام العلامة أبو العباس بن تيمية رحمه الله قال أما من ذهب إلى أنها كلها مبدلة من أولها إلى آخرها ولم يبق منها حرف إلا بدلوه فهذا بعيد وكذا من قال لم يبدل شيء منها بالكيفية بعيد أيضاً والحق أنه دخلها بتديل وتغيير وتصرفوا في بعض الفاظها بالزيادة والنقص كما تصرفوا في معانيها وهذا معلوم عند التأمل وبسطه موضع آخر والله أعلم كما في قوله في قصة الذبيح اذبح ابنك وحيدك وفي نسخة برك اسحاق فللغة اسحاق مقحة مزيدة بلا سرية . لأن الوحيد البكر اسماعيل لأنه ولد قبل اسحاق بأربع عشر سنة فكيف يكون الوحيد البكر اسحاق . وانما حملهم على ذلك حد العرب أن يكون اسماعيل غير الذبيح فأرادوا أن يذهبوا بهذه الفضيلة لهم فزادوا ذلك في كتاب الله افتراء على الله وعلى رسوله (ص) ، وقد اغتر بهذه الزيادة خلق كثير من السلف وانلخف وواقوم على أن الذبيح اسحاق والصحيح الذبيح اسماعيل كما قدمنا والله أعلم وهكذا في تورات السامرة في المشر الكلمات زيادة الأمر بالتوجه إلى الظور في الصلاة وليس ذلك في سائر نسخ اليهود والنصارى .

وهكذا يوجد في الزبور المأثور عن داود عليه السلام مختلفاً كثيراً وفيه أشياء مزيدة ملحقة فيه وليست منه والله أعلم . قلت وأما ما بأيديهم من التوراة المربة فلا يشك عاقل في تبديلها وتجرير كثير من الفاظها وتغيير القصص والالفاظ والزيادات والنقص البين الواضح فيها من الكتب البين وانلخطاً الفاحش شيء كثير جداً فلما مايتلونه بلسانهم ويكتبونه بأقلامهم فلا اطلاع لنا عليه والمظنون بهم أنهم كذبة خوة يكتفون القرية على الله ورسوله وكتبه .

وأما النصارى فأنجيلهم الأربعة من طريق سرقس ولوقا ومتى ويوحنا أشد اختلافاً وأكثر زيادة وتقصاً وأغش تفاوتاً من التوراة وقد خالفوا أحكام التوراة والإنجيل في غير ما شيء قد شرعوا لأنفسهم فن ذلك صلاحهم إلى الشرع وليست منصوفاً عليها ولا مأموراً بها في شيء من الأنجيل الأربعة وهكذا تصورهم كنائسهم وتركهم الخطن وتعلم صيامهم إلى زمن الربيع وزيادته إلى خمسين يوماً وأكلهم

الخنزير ووضهم الأمانة الكبيرة وإنما هي الخيانة المفيرة والرهابية وهي ترك التزويج لمن أراد التبعيد
وتحريره عليهم كتبهم القوانين التي وضعها لهم الاساقفة الثلاثة والثانية عشر فكل هذه الاشياء ابتدعوها
وروضوها في أيام قسطنطين بن قسطن بن القسطنطينية وكان زمنه بعد المسيح بثلاثمائة سنة وكان أبوه
أحد ملوك الروم وتزوج أمه هيلانة في بعض أسفاره للصيد من بلاد حران وكانت نصرانية على دين
الرهايين المتقدمين فلما ولد لها منه قسطنطين المذكور تعلم الفلسفة وبهر فيها وصار فيه ميل بعض الشيء
إلى النصرانية التي أمه عليها فظلم التأمين بها بعض الشيء وهو على اعتقاد الفلاسفة فلما مات أبوه
واستقل هو في المملكة سار في رعيته سيرة عادلة فأحبه الناس وساد فيهم وغلب على ملك الشام بأسره
مع الجزيرة وعظم شأنه وكان أول القياصرة * ثم اتفق اختلاف في زمانه بين النصارى ومنازعة بين
بترك الاسكندرية اكسندروس وبين رجل من علمائهم يقال له عبد الله بن أريوس فذهب اكسندروس
إلى أن عيسى بن الله تعالى الله عن قوله وذهب ابن أريوس الى أن عيسى عبد الله ورسوله واتبعه
على هذا طائفة من النصارى واتفق الأكثرون الأخرسون على قول بتركهم ومنع ابن أريوس من
دخول الكنيسة هو وأصحابه فذهب يستعذى على اكسندروس وأصحابه الى ملك قسطنطين فسأله
الملك عن مقاته ففرض عليه عبد الله بن أريوس ما يقول في المسيح من أنه عبد الله ورسوله واحتج على
ذلك لخالف اليه وجنح إلى قوله قتال له قائلون فيذبحي أن تبعث إلى خصمه فتسمع كلامه فأمر الملك بالحضاره
وطلب من سائر الأقاليم كل أسقف وكل من عنده في دين النصرانية وجمع البتاركة الاربية من
القدس وانطاكية ورومية والاسكندرية فيقال لهم اجتمعوا في مدة سنة وشهرين ما يزيد على التي أسقف
فيجمعهم في مجلس واحد وهو المجمع الأول من مجامعهم الثلاثة المشهورة وهم مختلفون اختلافا متبايناً
منتشراً جداً . فنهج الشرذمة على المقالة التي لا يوافقهم أحد من الباقين عليها فهؤلاء خسرون على مقالة .
وهؤلاء ثمانون على مقالة أخرى . وهؤلاء عشرة على مقالة وأربعمائة على مقالة ومائتان على
مقالة وطائفة على مقالة ابن أريوس وجماعة على مقالة أخرى فلما تفاقم أمرهم وانتشر اختلافهم حار فيهم
الملك قسطنطين مع أنه سمى الظن بما عدا دين الصابئين من أسلافه اليونانيين فمد إلى أكثر جماعتهم
على مقالة من مقالاتهم فوجدهم ثلثمائة وثمانية عشر أسقفاً قد اجتمعوا على مقالة اكسندروس ولم يجد
طائفة بلغت عدتهم فقال هؤلاء أولي نصر قولهم لأنهم أكثر الفرق فلجمع بهم خصوصاً ووضع سيفه
وخاتمه اليهم وقال اني رأيتكم أكثر الفرق قد اجتمعتم على مقاتكم هذه فانا انصرها واذهب اليها فسجدوا
له وطلب منهم أن يرضوا له كتاباً في الاحكام وأن تكون الصلاة إلى الشرق لأنها مطلع الكواكب
النيرة وأن يصوروا في كتاباتهم صوراً لها حيث فصلحوه على أن تكون في المحيطان فلما توافقوا على
ذلك أخذ في نصرهم واظهار كتبهم واقامة مقاتهم وابعاد من خالفهم وتصفير رأيهم وقوله فظهر أصحابه

بجأه على مخالفتهم واتصروا عليهم وأمر ببناء الكنائس على دينهم وهم للملكية نسبة إلى دين الملك
 فبنى في أيام قسطنطين بالشام وغيرها في المدائن والقرى أزيد من اثنتي عشرة ألف كنيسة واعتنى الملك
 ببناء بيت لحم يبنى على مكان مولد المسيح وبنت أمه هيلانة قامة بيت المقدس على مكان المصلوب
 الذي زعمت اليهود والنصارى بجعلهم وقلة عليهم أنه المسيح عليه الصلاة والسلام ويقال إنه قتل من أعداء
 أولئك وخذلهم الأخاديد في الأرض وأجج فيها النار وأحرقهم بها كما ذكرناه في سورة البروج وعظم
 دين النصرانية وظهر أمره جداً بسبب الملك قسطنطين وقد أسفده عليهم فساداً لا إصلاح له ولا نجاح
 معه ولا فلاح عنده وكثرت أعيادهم بسبب عظمتهم وكثرت كنائسهم على أسماء عبادهم وتقام
 كفرهم وغلظت مصيبتهم ونخلد ضلالهم وعظم وبالهم ولم يهد الله قلوبهم ولا أصلح بالهم بل صرف
 قلوبهم عن الحق وأمال عن الاستقامة ثم اجتمعوا بعد ذلك مجمعين في قضية التطورية واليقينية وكل
 فرقة من هؤلاء تكفر الأخرى وتعتقد تخليدهم في نار جهنم ولا يرى مجامعتهم في المبادئ والكنائس وكلهم
 يقول بالاتحاد الثلاثة أقنوم الابن وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة ولكن بينهم اختلاف في الحلول
 والاتحاد فيما بين اللاهوت والناسوت هل تدعه أو حل فيه أو اتحاد به واختلافهم في ذلك شديد
 وكفرهم ببيده غليظ وكلهم على الباطل إلا من قال من الأريوسية أصحاب عبد الله بن أريوس إن
 المسيح عبد الله ورسوله وابن أمته وكنهه ألقاها إلى مريم وروح منه كما يقول المسلمون فيه سواء ولكن
 لما استقر أمر الأريوسية على هذه المقالة تسلط عليهم الفرق الثلاثة بالاباد والطرده حتى قولوا فلا يعرف
 اليوم منهم أحد فيما يعلم والله أعلم .

كتاب إجماع أئمة أئمة بنيان وتصحيح

قال الله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
 وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس الآية) وقال تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى
 نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب
 ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم قصصهم
 عليك وكلم الله موسى تكليماً . رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان
 الله عزيزاً حكيماً) . وقد روى ابن حبان في صحيحه وابن مردويه في تفسيره وغيرها من طريق
 إبراهيم بن هشام عن يحيى بن محمد النخعي قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أبي إدريس عن
 أبي خرو قال (قلت يا رسول الله كم الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً قلت يا رسول الله كم
 الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر قلت يا رسول الله من كان أولهم قال آدم قلت يا رسول الله

نبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه قبلا ثم قال يا أبا ذر أربعة سرايوني آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس وهو أول من خط بالقلم وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب وفيلك يا أبا ذر وأول نبي من بني اسرائيل موسى وآخرهم عيسى وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك . وقد أورد هذا الحديث أبو الفرج بن الجوزي في الموضوعات وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر فقال حدثنا محمد بن عوف حدثنا أبو المنيرة حدثنا ممان بن رفاعة عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي امامة قال قلت لرسول الله كم الانبياء (قال مائة الف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جمعا غفيرا) . وهذا أيضا من هذا الوجه ضعيف فيه ثلاثة من الضعفاء ممان وشيخه وشيخه وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أحمد بن اسحاق أبو عبد الله الجوهري البصري حدثنا مكى بن ابراهيم حدثنا موسى بن عبيدة اليزيدي عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (س) : (بثت الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف إلى بني اسرائيل وأربعة آلاف إلى سائر الناس) موسى وشيخه ضميمان أيضا وقال أبو يعلى أيضا حدثنا أبو الربيع حدثنا محمد بن ثابت العبدي حدثنا معبد بن خالد الانصاري عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (س) : (كان فيمن خلا من اخواني من الانبياء ثمانية آلاف نبي ثم كان عيسى ثم كنت أنا . يزيد الرقاشي ضعيف . وقد رواه الحافظ أبو بكر الاسماعيلي عن محمد بن المنكدر عن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (س) : (بثت على أثر ثمانية آلاف نبي منهم أربعة آلاف من بني اسرائيل وهذا اسناد لا بأس به لكنني لأعرف حال أحمد بن طارق هذا والله أعلم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال عبد الله بن الامام أحمد وجدت في كتاب أبي بخطه حديثي عبد المتعالى ابن عبد الوهاب حدثنا يحيى بن سعيد الاموى حدثنا مجاهد عن أبي الوداك قال قال أبو سعيد هل تقر الخوارج بالدجال قال قلت لا فقال قال رسول الله (س) : (لاني خاتم الف نبي أو اكثر وما بثت الله نبيا يتبع إلا وحذر أمته منه واني قد بين لي فيه مالم يبين لاحد منهم وأنه أعور وأن ربكم ليس بأعور وعينه اليمنى هوراء جاحظة لا تخفى كلها فحاطت بمحصص وعينه اليسرى كلها كوكب درى معه من كل لسان ومعه صورة الجنة خضراء يجرى فيها الماء وصورة النار سوداء تدخن) وهذا حديث غريب وقد روى عن جابر بن عبد الله فقال الحافظ أبو بكر النزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا مجاهد عن الشعبي عن جابر قال قال رسول الله (س) : (لاني نطائم الف نبي أو اكثر وأنه ليس منهم نبي الا وقد أنذر قومهم الدجال وأنه قد تبين لي فيه مالم يبين لاحد منهم وأنه أعور وان ربكم ليس بأعور . وهذا اسناد حسن وهو محمول على ذكر عدد من أنذر قومهم الدجال من الانبياء لكن في الحديث

الآخر مامن نبي إلا وقد أنذر أمته الدجال فالله أعلم .

وقال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن فرات قال سمعت أبا حازم قال قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعت يتحدث عن النبي (س) قال (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وانه لا نبي بعدى وسيكون خلفاء فيكثرون قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال فوا بيعة الأول فالأول أعطوهم حقهم فان الله سائلهم عما استرعاهم . وكذا رواه مسلم عن يندار ومن وجه آخر عن فرات به نحوه .

وقال البخاري حدثنا عمرو بن حفص حدثنا أبي حدثني الأعمش حدثني شقيق قال قال عبد الله هو ابن مسعود كأتى أنظر إلى رسول الله (س) يحكي نبياً من الانبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون رواه مسلم من حديث الأعمش به نحوه . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن زيد بن أسلم عن رجل عن أبي سعيد الخدري قال وضع رجل يده اليمنى على النبي (س) فقال والله ما أطيق أن أضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي (س) (إنا مشر الانبياء يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الاجر ان كان النبي من الانبياء ليتلى بالمثل حتى يقتله وان كان النبي من الانبياء ليتلى بالمثل حتى يأخذ العباء فيجوبها وان كانوا ليرحون بالبلاء كما يرحون بالرخاء) هكذا رواه الامام أحمد من طريق زيد بن أسلم عن رجل عن أبي سعيد وقد رواه ابن ماجه عن دحيم عن ابن أبي فديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد قد كره . وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان بن عاصم بن أبي النجود عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الانبياء . ثم الصالحون . ثم الأمثل فالمثل من الناس يتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة زيد في بلائه وان كان في دينه رقة خفف عليه ولا يزال البلاء بالمعبد حتى يمسي على الأرض وما عليه خطيئة ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عاصم بن أبي النجود . وقال الترمذي حسن صحيح وتقدم في الحديث (نحن مشر الانبياء أولاد علات ديننا واحد وأمهاتنا شتى) والمعنى أن شرائعهم وان اختلفت في الفروع ونسخ بعضها بعضاً حتى انتهى الجميع إلى ما شرع الله لحمد (س) وعليهم أجمعين الا أن كل نبي بعثه الله قائماً بدينه الاسلام وهو التوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له كما قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يسجدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة الآية) . فأولاد العلات أن يكون الاب واحداً والامهات متفرقات فالاب بمنزلة الدين وهو التوحيد والامهات بمنزلة الشرائع في اختلاف أحكامها قال تعالى (لكل

جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقال (لكل أمة جعلنا منسكاً مفسكوه) وقال (ولكل وجهة هو موليها) على أحد القولين في تفسيرها .

والمقصود أن الشرائع وإن تنوعت في أوقاتها إلا أن الجميع آسرة بعبادة الله وحده لا شريك له وهو دين الاسلام الذي شرعه الله لجميع الانبياء وهو الدين الذي لا يقبل الله غيره يوم القيامة كما قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقال تعالى (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإياه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنوه ويعقوب يابنوا إن الله اصطفى لسلك الدين فلا تمتن إلا وأنتم مسلمون) وقال تعالى (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسدوا للذين هادوا الآية) . فدين الاسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو الاخلاص له وحده دون ماسواه والاحسان أن يكون على الوجه المشروع في ذلك الوقت المأمور به ولهذا لا يقبل الله من أحد عملاً يبد أن يبت محمداً (س) . على ما شرعه له كما قال تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً) وقال تعالى (وأوحى إلى هذا القرآن لا نذركم به ومن بلغ) وقال تعالى (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) . وقال رسول الله (س) . (بشت إلى الأحمر والأسود) . قيل أراد العرب والمعجم . وقيل النفس والجن وقال (س) . (والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبتموه وتركتموني لضللتكم) والاحاديث في هذا كثيرة جداً * والمقصود أن اخوة العلات أن يكونوا من أب واحد وأمهاتهم شتى مأخوذ من شرب الملل بعد النهل * وأما اخوة الاخياف فمكس هذا أن تكون أمهم واحدة من آباء شتى . وأخوة الاعيان فهم الاشتاء من أب واحد وأم واحدة والله سبحانه وتعالى أعلم . وفي الحديث الآخر نحن معاشر الانبياء لانورث ما تركنا فهو صدقة وهذا من خصائص الانبياء انهم لا يورثون وما ذاك إلا لان الدنيا أحقر عندهم من أن تكون مخلفة عنهم ولأن توكلهم على الله عز وجل في ذرايعهم أعظم وأشد وأكد من أن يحتاجوا معه إلى أن يتركوا لورثتهم من بدم مالا يستأثرون به عن الناس بل يكون جميع ما تركوه صدقة لقراء الناس ومحاويجهم وذو خلمهم . وسند ذكر جميع ما يخص بالانبياء عليهم السلام مع خصائص نبينا (س) . وعليهم أجمعين في أول كتاب النكاح من كتاب الاحكام الكبير حيث ذكره الأئمة من المصنفين اقتداء بالامام أبي عبد الله الشافعي رحمه الله عليه وعليهم أجمعين . وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية عن الاحمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن أن عبد رب السكبية قال انبهت إلى عبد الله بن عمرو وهو جالس في غل الكمية فسمته يقول يئنا نحن مع رسول الله (س) . في سفر إذ نزل منزلاً فتما من يضرب خيابه ومنا من هو في جشره ومنا من يتفضل إذ نادى مناديه الصلاة جامعة قال فاجتمعنا قال فقام رسول الله (س) . فخطبنا فقال (إلهم يكن في قبلي إلا دل

أمنته على خير ما يعلمه لهم وحذرهم ما يعلمه شرّاً لهم وإن أمتكم هذه جعلت عاقبتها في أولها وإن آخرها سيصيبها بلاء شديد وأمور ينكرونها تجي فتن يريق بعضها بعضاً تجي الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي . ثم تنكشف . ثم تجي الفتنة فيقول المؤمن هذه . ثم تنكشف فمن سره . منكم أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة فلندركه موته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يجب أن يؤتى إليه ومن باع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعمه ما استطاع فإن جاء آخر يتزاعه فاضربوا عنق الآخر . قال فأدخلت رأسي من بين الناس فقلت أذئدك بالله أنت سمعت هذا من رسول الله ص : قال فأشار بيده إلى أذنيه وقال سمعته أذنأي ووعاه قلبي قال قتلت هذا ابن عمك يعني معاوية بأسرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل وأن نقتل أنفسنا وقد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) قال فجمع يديه فوضعهما على جبهته ثم نكس هنيئة . ثم رفع رأسه فقال أطعمه في طاعة الله وأعصه في معصية الله) ورواه أحمد أيضاً عن وكيع عن الأعمش به وقال فيه أيها الناس إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على ما يصله خيراً لهم وينذره ما يعلمه شرّاً لهم وذكر تمامه بنحوه . وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن الأعمش به ورواه مسلم أيضاً من حديث الشعبي عن عبد الرحمن بن عبد رب السكبية عن عبد الله بن عمر عن النبي ص . بنحوه (١)

آخر الجزء الثامن من خط المصنف رحمه الله تعالى يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أخبار العرب وكان الفراغ من تمة هذا المجلد في سابع عشر شوال سنة سهر روره من الهجرة النبويه على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بدمشق المحروسة على يد أقر عباد الله وأحوجهم إلى رحمته وغفره ولطفه وكرمه اساعيل الدرعي الشافعي الانصاري غفر الله تعالى له وختم له بخير ولأحبابه ولاخوانه ولما يخه ولجميع المسلمين والصلاة والسلام على محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين .

(١) حاشية هكذا شكل أصل النسخة الخلية أبتناه كما هو .

ذكر أخبار العرب

قيل إن جميع العرب ينسبون إلى اسماعيل بن إبراهيم عليها السلام والتحية والاكرام * والصحيح المشهور أن العرب العاربة قبل اسماعيل وقد قدمنا أن العرب العاربة منهم عاد وثمود وطسم وجديس واميم وجرم والماليق وامم آخرون لا يعلمهم إلا الله كانوا قبل انخيل عليه الصلاة والسلام وفي زمانه أيضاً . فلما العرب المستعربة وهم عرب الحجاز فن ذرية اسماعيل بن إبراهيم عليها السلام . وأما عرب اليمن وهم حمير فالشهور أنهم من قحطان واسمه مهززم قاله ابن ماكولا وذكروا أنهم كانوا أربعة أخوة قحطان وقاحط ومقحط وفالغ وقحطان بن هود . وقيل هو هود . وقيل هود أخوه وقيل من ذريته وقيل إن قحطان من سلالة اسماعيل حكاه ابن اسحاق وغيره فقال بعضهم هو قحطان بن تيد بن قيذر بن اسماعيل . وقيل غير ذلك في نسبة إلى اسماعيل والله أعلم

وقد ترجم البخاري في صحيحه على ذلك فقال (باب نسبة اليمن إلى اسماعيل عليه السلام) حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن يزيد بن أبي عبيد حدثنا سلمة رضى الله عنه قال خرج رسول الله ص على قوم من اسلم يتناضلون بالسيوف فقال ارموا بنى اسماعيل وأنا مع بنى فلان لأحد الفريقين فأمسكوا بأيديهم فقال مالك قاوا وكيف نرى وأنت مع بنى فلان فقال ارموا وأنا معكم كلكم . إنفرد به البخاري وفي بعض الفاظهم ارموا بنى اسماعيل فان أباكم كان رامياً ارموا وأنا مع ابن الأذرع فأمسك القوم فقال ارموا وأنا معكم كلكم * قال البخاري وأسلم بن أنصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة يعنى وخزاعة فرقة من كان تمزق من قبائل سبأ حين ارسل الله عليهم سبيل العرم . كما سيأتي بيانه وكانت الأوس والنخزج منهم وقد قال لهم عليه الصلاة والسلام ارموا بنى اسماعيل فدل على أنهم من سلالة وتأوله آخرون على أن المراد بذلك جنس العرب ولكنه تأويل بعيد إذ هو خلاف الظاهر بلا دليل لكن الجمهور على أن العرب القحطانية من عرب اليمن وغيرهم ليسوا من سلالة اسماعيل وعندهم أن جميع العرب ينتمون إلى قسطين قحطانية وعدنانية فالقحطانية شيبان سبأ وحضرموت والمدنانية شيبان أيضاً ريعة ومضرا بناتزار بن معد بن عدنان والشب انخامس وهم قضاة مختلف فيهم قبيل منهم عدنان بن قال ابن عبد البر وعليه الاكثر ويروى هذا عن ابن عباس وابن عمر وجبير بن مطعم وهو اختيار الزبير بن يكار وعنه مصعب الزبيرى وابن هشام وقد ورد في حديث قضاة بن معد ولكنه لا يصح قاله ابن عبد البر وغيره ويقال لهم لن يزلوا في جاهليتهم وصدر من الاسلام ينسبون إلى عدنان فلما كان في زمن خالد بن يزيد بن معاوية وكانوا أخواه انتسبوا إلى قحطان فقال في ذلك أعشى بن ثعلبة في قصيدته له :

أبلغ قضاة في القراطس إنهم * لولا خلافت آل الله ما عتقوا
 قالت قضاة إنا من ذوي يمن * والله يمسلم ما برؤوا وما صدقوا
 قد ادعوا والدأ مائل أنهم * قد يملون ولكن ذلك الفرق

وقد ذكر أبو عمرو السهلي أيضاً من شعر العرب ما فيه إبداع في تفسير قضاة في انسابهم إلى
 اليمن والله أعلم والقول الثاني أنهم من قحطان وهو قول ابن اسحاق والكاظمي وطائفة من أهل النسب.
 قال ابن اسحاق وهو قضاة بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد قال
 بعض شعرائهم وهو عمرو بن مرة صحابي له حديثان :

يا أيها الداعي ادعنا وأبشر * وكن قضاة ولا تُنزِر
 نحن بنو الشيخ المهجان الأزهر * قضاة بن مالك بن رجير
 النسب المعروف غير المنكر * في الحجر المنقوش تحت المنبر

قال بعض أهل النسب هو قضاة بن مالك بن عمر بن مرة بن زيد بن حمير وقال ابن لهيعة عن
 معروف بن سويد عن أبي عشابة ^(١) محمد بن موسى عن عقبة بن عامر قال قلت لرسول الله أما نحن
 من معد قال لا قلت فمن نحن قال أنتم قضاة بن مالك بن حمير قال أبو عمر بن عبد البر ولا يختلفون
 أن جبهة بن زيد بن أسود بن أسلم بن عمران بن إلحاق بن قضاة قبيلة عقبة بن عامر الجهمي فلي
 هذا قضاة في اليمن في حمير بن سبأ وقد جمع بعضهم بين هذين القولين بما ذكره الزبير بن بكار وغيره
 من أن قضاة امرأة من جهم تزوجها مالك بن حمير فولدت له قضاة ثم خلف عليها معد بن عدنان
 وابنها صغير وزعم بعضهم أنه كان حملاً فنسب إلى زوج أمه كما كانت عادة كثير منهم فيسبون الرجل
 إلى زوج أمه والله أعلم *

وقال محمد بن سلام البصري النسابة : العرب ثلاثة جراحهم المدانية والقحطانية وقضاة . قيل له
 فأيهما أكثر المدانية أو القحطانية فقال ما شئت قضاة أن تيامنت فالقحطانية أكثر وإن تعددت فالمدانية
 أكثر وهذا يدل على أنهم يتلومون في نسبهم فإن صح حديث ابن لهيعة المتقدم فهو دليل على أنهم من
 القحطانية والله أعلم . وقد قال الله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل
 لتعارفوا إن تتركوا عند الله أتقاكم) قال علماء النسب يقال شعوب . ثم قبائل ثم عائر . ثم بطون . ثم
 أغاذا . ثم فصائل . ثم عشائر . والعشيرة أقرب الناس إلى الرجل وليس بعدها شيء . ولينبدأ أولاً بذكر

(١) قوله أبي عشابة كذا بالأصل يباء بمد الألف وليس من الرجال من تكفي بهذه الكنية
 والموجود أبو عشاة بنون بمد الألف الماعري المصري واسمه حمى بن يومن بن حجبل بن جريح وهو
 الراوى عن عقبة بن عامر وعمار بن

القحطانية ثم نذكر بدم عرب الحجاز وهم المدائنية وما كان من أمر الجاهلية ليكون ذلك متصلاً بسيرة رسول الله (ص) إن شاء الله تعالى وبه الثقة *

وقد قال البخارى ﴿باب ذكر قحطان﴾ حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن أبي الميث عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بمصاه وكذا رواه مسلم عن قتبية عن الدراوردي عن ثور بن زيد به * قال السهيلي وقحطان أول من قيل له أبيت اللعن وأول من قيل له أنعم صباحاً . وقال الامام أحمد حدثنا أبو المغيرة عن جرير حدثني راشد بن سعد المقرئ عن أبي حنيفة عن ذى فجر أن رسول الله (ص) قال (كان هذا الأمر في حمير فزعه الله منهم فجعله في قريش) (وسى ع ودال ه م) قال عبد الله كان هذا في كتاب أبي وحيث حدثنا به تكلم به على الاستواء يعنى وسيعود اليهم .

قِصَّةُ سَبَأَ

قال الله تعالى (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خبط وأكل وشى من سدس قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين . فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظواهرنا أنفسهم فجللناهم بأحاديث ومنزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لسلك صبار شكور) قال علماء النسب منهم محمد بن اسحاق اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا وكان أول من سبى من العرب فسمى سبأ لذلك وكان يقال له الرائث لأنه كان يعطى الناس الاموال من متاعه . قال السهيلي ويقال إنه أول من تتوج وذكر بعضهم أنه كان مسلماً وكان له شعر فيه بوجود رسول الله (ص) فمن ذلك قوله

سبيلكُ بَدْنَا مَلَكًا عَظِيمًا	نَبِيٍّ لَا يَرْحُصُ فِي الْحَرَامِ
وَمَلَكَ بَدَنَهُ مِنْهُمْ مَلُوكٌ	يَدِينُونَ الْعِبَادَ بَنِي دَامِ
وَمَلَكَ بَدَنَهُمْ مِنْهُمْ مَلُوكٌ	يَصِيرُ الْمَلَكُ فِينَا بِاقْتِسَامِ
وَمَلَكَ بَدَنَ قَحْطَانَ نَبِيٍّ	تَبِيٍّ حَبِيبُهُ خَيْرُ الْأَنَامِ
يَسْمَى أَحَدًا بِأَلَيْتِ أَبِي	أَعْمَرَ بَدَنَهُ مَبْعُوثُهُ بِمَا
فَأَعْضُدُهُ وَأَحْبِبُّهُ بَنَصْرِي	بِكَلِّ مَدَجِّجٍ وَبِكَلِّ رَامِ
مَتَى يَفْزُرْ فَسَكُونُوا نَصْرِي	وَمَنْ بَلَقَاهُ يَلْقَاهُ سَلَامِي

حكاه ابن دحية في كتابه التنوير في مولد البشير النذير

وقال الامام احمد حدثنا ابو عبد الرحمن حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن دعدة سمعت عبد الله بن العباس يقول إن رجلاً سأل النبي (ص) عن سبأ ما هو أرجل أم امرأة أم أرض قل بل هو رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة . فأما الجمانيون فمدحج وكندة والازد والأشعريون وأتمار وحير . وأما الشامية فلخم وجذا وعاملة وغسان وقد ذكرنا في التفسير أن فروة بن مسيك الخطيفي هو السائل عن ذلك كما استقصينا طرق هذا الحديث وألفاظه هناك والله الحمد .

والمقصود أن سبأ بجميع هذه القبائل كلها وقد كان فيهم الثبابة بأرض اليمن واحدهم تبع وكان ملوكهم تيجان يلبسونها وقت الحكم كما كانت الأكلسة ملوك الفرس يفعلون ذلك وكانت العرب تسمى كل من ملك اليمن مع الشجر وحضرموت تبعاً كما يسمون من ملك الشام مع الجزيرة قيصر ومن ملك الفرس كسرى ومن ملك مصر فرعون ومن ملك الحبشة النجاشي ومن ملك الهند بطليوس وقد كان من جلة ملوك حير بأرض اليمن بقريس وقد قدمنا قصتها مع سليمان عليه السلام وقد كانوا في غبطة عظيمة وأرزاق دارة وثمار وزروع كثيرة وكانوا مع ذلك على الاستقامة والسداد ويطريق الرشاد فلما بدلوا نعمة الله كفرأ أحلوا قومهم دار البوار .

قال محمد بن اسحاق عن وهب بن منبه أرسل الله اليهم ثلاثة عشر نبياً وزعم السدي أنه أرسل إليهم اثني عشر ألف نبي فآله أعلم . والمقصود أنهم لما عدلوا عن الهدى إلى الضلال وسجدوا للشمس من دون الله وكان ذلك في زمان بلقيس وقبلها أيضاً واستمر ذلك فيهم حتى أرسل الله عليهم سيل العرم كما قال تعالى (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل حط وأكل وشئ من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور)

ذكر غير واحد من علماء السلف والخلف من المفسرين وغيرهم أن سد مأرب كان صنعتها أن المياه تجري من بين جبلين فسدوا في قديم الزمان فسدوا ما بينهما ببناء محكم جداً حتى ارتفع الماء فحك على اعلى الجبلين وغرسوا فيها البساتين والاشجار المثمرة الأنيقة وزرعوا الزروع الكثيرة ويقال كان أول من بناه سبأ بن يعرب وسلط اليه سبعمين واديا يفد اليه وجعل له ثلاثين فرضة يخرج منها الماء ومات ولم يكمل بناؤه فكلته حير بعده وكان اتساعه فرسخاً في فرسخ وكانوا في غبطة عظيمة وعيش رغيد وأيام طيبة حتى ذكر قتادة وغيره أن المرأة كانت تمر بالكتل على رأسها فتمتلئ من الثمار ما ينساقط فيه من فضجه وكثرة وذكروا أنه لم يكن في بلادهم شئ من البراغيث والادواب المذوية لصحة هوائهم وطيب فرائحهم كما قال تعالى (لقد كان لسبأ في سكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) وكما قال تعالى (وإذا تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد)

فلما عبدوا غير الله وبطروا نعمته وسألوا بسد تقارب ماين قرام وطيب ماينها من البساتين وانن
الطرقات سألوا أن يواعد بين أسفارهم وأن يكون سفرهم في مشاق وتمب وطابوا أن يبدلوا بالخير شرآ
كما سأل بنو اسرائيل بدل المن والسوى البقول والقنأ والفوم والسدس والبصل فلبوا تلك النعمة
المطوية والحسنة الميعة بخريب البلاد والشنات على وجوه العباد كما قال تعالى (فأعرضوا فأرسلنا عليهم
سبل المرم) قال غير واحد أرسل الله على أصل السد الغار وهو الجرذ ويقال الخلد فلما فطنوا لتلك
أرصدوا عندها السنابير فلم تقن شيئاً إذ قد حم القدر ولم ينفع الخذر كلا لاوزر فلما تحكم في أصله الفساد
سقط وانهار فسلك الماء القرار قطعت تلك الجداول والأنهار واتهطت تلك الثمار ومادت تلك
الزروع والأشجار وتبدلوا بسدها بردى الأشجار والأثمار كما قال المزني الجبار (وبدلناهم بجنديهم
جنتين ذوات أكل خبط وأثل) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد هو الأراك وثمره البربر وأثل وهو
الطرفاء . وقيل يشبهه وهو حطب لآتمر له (وشىء من سدر قليل) وذلك لأنه لما كان يثمر التبق كان قليلاً
مع أنه خوشك كثير وثمره بالنسبة اليه كما يقال في المثل لحم جبل غث على رأس جبل وعر لاسهل
ويرتقى ولا سمين فينتقى ولهذا قل تعالى (ذلك جزينام بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور) أى إنما
فأقرب هذه العقوبة الشديدة من كفر بنا وكذب رسلنا وخالف أمرنا واتهك محارمنا وقال تعالى
(نجملناهم أحاديث ومرزقناهم كل موزق) وذلك أنهم لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم احتاجوا أن
يرتجوا منها وينتقلوا عنها ففترقوا في غور البلاد ونجدها أيدي سبأ شذر منذر فزلت طوائف منهم الحجاز
ومنها خراة تزولوا ظاهر مكة وكان من أمرهم ما سنذكره ومنهم المدينة المنورة اليوم فكأنوا أول من
سكنها ثم زلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير فخالفوا الأوس
والمخزرج وأقاموا عندهم وكان من أمرهم ما سنذكره ونزلت طائفة أخرى منهم الشام وهم الذين تنصروا
فيها بعد وهم غسان وعاملة وبراء ونظم وجندام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسنذكرهم عند ذكر فتوح
الشام في زمن الشيخين رضى الله عنهما .

قال محمد بن اسحاق حدثني أبو عبيدة قال قال الأعشى بن قيس بن فلبية وهو ميمون بن قيس .

وفي ذاك للمؤتسي أسوةً ومأرمٌ عني عليها العرم
رُخامٌ بنته لهم حميرٌ إذا جاء موازه لم يرم
فأروى الزرع وأعتابها على سعة ما هم إذ قسم
فصاروا أيادي لا يقدرو على شرب طفل إذا ما نطم

وقد ذكر محمد بن اسحاق في كتاب السيرة أن أول من خرج من اليمن جبل سيل العرم عمرو بن عامر
اللسخي ونظم هو ابن عدى بن الحارث بن مرة بن ازد بن زيد بن ميم بن عمرو بن عريب بن يشجب

ابن زيد بن كهلان بن سبأ، ويقال نلم بن عدى بن عمرو بن عمرو بن سبأ قاله ابن هشام . قال ابن اسحاق وكان سبب خروجه من اليمن فيما حدثني أبو زيد الانصاري أنه رأى جرذاً يحفر في سد مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاؤوا من أرضهم فلم أنه لا بقاء للسد على ذلك فاعتزم على النقلة عن اليمن فساد قومهم فامسرا صفر ولده إذا أغلظ عليه ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه ففضل ابنه ما أمره به فقال عمرو لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه أصفر ولدي وعرض أمواله فقال أشرف من أشرف اليمن اغتتموا غضبة عمرو فاشتروا منه أمواله وانتقل في ولده وولد ولده . وقالت الأزدي لا تتخلف عن عمرو بن عامر فباعوا أموالهم وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين برتلدون البلدان فخار بهم عك فكانت حربهم سجلا في ذلك قال عباس بن مرداس .

وعك بن عدنان الذين تلبوا بسنان حتى طردوا كل مطرد

قال فارتحلوا عنهم فتفرقوا في البلاد فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام ونزل الاوس والخزرج يثرب ونزلت خزاعة مرأ ونزلت أزد السراة السراة ونزلت أزد عمان عمان ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدموا في ذلك أنزل الله هذه الآيات وقد روى عن السدي قريب من هذا وعن محمد بن اسحاق في روايته أن عمرو بن عامر كان كاهنا وقال غيره كانت امرأته طريفة بنت الخير الحميرية كاهنة فاختبرت بقرب هلاك بلادهم وكانهم رأوا شاهد ذلك في الفأر الذي سلط على سدوم ففعلوا ما فعلوا والله أعلم . وقد ذكرت قصته مطولة عن عكرمة في رواه ابن أبي حاتم في التفسير .

قصة السد

وليس جميع سبأ خرجوا من اليمن لما أصيبوا بسيل العرم بل أقام أكثرهم بها وذهب أهل مأرب الذين كان لهم السد فتفرقوا في البلاد وهو مقتضى الحديث المتقدم عن ابن عباس أن جميع قبائل سبأ لم يخرجوا من اليمن بل إنما تشاء منهم أربعة وبقى باليمن ستة وهم مذحج وكندة وأنمار والاشعريون وأنمار هو أبو خثعم وبجيلة وحير فهؤلاء ست قبائل من سبأ أقاموا باليمن واستمر فيهم الملك والتبابعة حتى سلمهم ذلك ملك الحبشة بالجيش الذي بعثه صحبة أميره أبرهة وارباط نحواً من سبعين سنة ثم استرجعه سيف ابن ذى يزن الحميري . وكان ذلك قبل مولد رسول الله (س) . بقليل كما سنذكره مفصلاً قريباً إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ثم أرسل رسول الله (س) إلى أهل اليمن علياً ومخالد بن الوليد ثم أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وكانوا يدعون إلى الله تعالى ويبينون لهم الحجج ثم قلب على اليمن الأسود المنسي وأخرج نواب رسول الله (س) منها فلما قتل الأسود استقرت اليد الإسلامية عليها في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه كما سنبين ذلك بعد البينة إن شاء الله تعالى

فِصَّةُ رَيْبَعَةَ بْنِ النَّضْرِ بْنِ أَبِي حَمَارَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَمَارٍ

المتقدم ذكره اللخمي كذا ذكره ابن اسحاق وقال السهيلي ونساب اليمن قول نصر بن ربيعة ابن نصر بن الحارث بن عمار بن ظلم وقال الزبير بن بكار ربيعة بن نصر بن مالك بن شموذ بن مالك بن عجم بن عمرو بن عمار بن ظلم وظم أخو جذام وسمى ظمًا لانه ظلم اخاه أي لطمه أي لطمه فضضه الآخر في يده فجذمه فسمى جذامًا وكان ربيعة أحد ملوك حمير التباينة وخبره مع شق وسطيح السكاهنين وإنذارها بوجود رسول الله ص. أما سطيح فاسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن غسان وأما شق فهو ابن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قيس بن عبقر بن أمار بن نزار ومنهم من يقول أمار بن أراش بن لحيان بن عمرو بن العوث بن ثابت بن مالك بن زبد بن كهلان بن سبأ ويقال إن سطيحًا كان لأعضاء له وإنما كان مثل السطيحة ووجهه في صدره وكان إذا غضب امتفخ وجلس وكان شق نصف انسان ويقال إن خالد بن عبد الله بن القسري كان سلالته وذكر السهيلي أنهما ولدا في يوم واحد وكان ذلك يوم ماتت طريفة بنت الخيزر الحويرية ويقال أنها قتلت في فم كل منهما فورث الكهانة عنها وهي امرأة عمرو بن عامر المتقدم ذكره والله أعلم قال محمد بن اسحاق وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين اصناف ملوك التباينة فرأى رؤيا هائلة حالته وفضل بها فلم يدع كاهنًا ولا ساحرًا ولا عاتنا ولا منجما من أهل مملكته إلا جمعه إليه فقال لهم إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضلت بها فأخبروني بها وتأويلها فقالوا اقتصصها علينا نخبرك بتأويلها فقال إني أن أخبركم بها لم أظنن أني أخبركم بتأويلها لانه لا يعرف تأويلها الا من عرفها قبل أن أخبره بها فقال له رجل منهم فان كان الملك يريد هذا فليبعث الي شق وسطيح فانه ليس أحد أعلم منهما فهما يخبرانه بما سأله فبعث اليهما فقدم اليه سطيح قبل شق فقال له إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضلت بها فلخبرني بها فانك ان أصبتها أصبت تأويلها فقال أفضل. رايته حمة خرجت من ظلمة فوقت بأرض تهمة. فأكلت منها كل ذات جحمة. فقال له الملك ما خطأت منها شيئًا يا سطيح فما عندك في تأويلها قال أحلف بما بين الحربين من حنش تهبطن أرضكم الجيش. فليملك ما بين أيمن الي جرش فقال له الملك يا سطيح ان هذا لنا نأظف موجه فتى هو كائن أفي زمانى أم بده فقال لا وايك بل بده يحين. أكثر من ستين أو سبعين. بمضين من الستين قال أفيدوم ذلك من سلطانهم أم ينقطع قال بل ينقطع لبعض وسبعين من الستين ثم يقتلون ويخرجون منها هار بين قال ومن بلى ذلك من قتلهم واخراجهم قال يليهم أرم ذى يزن يخرج عليهم من عدن. فلا يترك منهم أحدًا باليمن. قال أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبي زكي. يأتيه الوحي من قبل العلي قال ومن هذا النبي قال رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر. يكون الملك في قومه الي آخر الدهر. قال وهل

لدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الألوان والآخرون يسعد فيه الحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال أحق ما تجبرني قال نعم . والشقق والنسق والقلق إذا اتسق إن ما أبأناك بهلق . قال ثم قدم عليه شق فقال له كقولك لسطيح وكنمه ما قال سطيح لينظر أيققان أم يخلفان قال نعم رأيت حمة خرجت من ظلمة . فوقمت بين روضة وأكمة فأكأت منها كل ذات نسمة . فلما قال له ذلك عرف أنها قد اتقا وأن قولها واحد إلا أن سطيحاً قد وقعت بأرض شهمة فأكأت منها كل ذات ججمة . وقال شق وقعت بين روضة وأكمة فأكأت منها كل ذات نسمة فقال له الملك ما أخطأت يا شق منها شيئاً فاعطت في فأولها فقال أحلف بما بين الحرتين من إنسان . لينزلن أرضكم السودان فليتلبن على كل طلمة البنان وليلكن ما بين أين الى نجران فقال له الملك وأيك يا شق إن هذا لنا لغائظ موجه فتى هو كائن أفي زمانى أم بعده قال لا بل بعده بزمان . ثم يستنقد كم منهم عظيم ذوشان . ويذيقهم أشد الهوان . قال ومن هذا العظيم الشأن قال غلام لبس بدنى ولا مدن يخرج عليهم من بيت ذى بز . قال أفيدوم سلطان أم ينقطع قال بل ينقطع رسول مرسل يأتي بالحق والعدل من أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه الى يوم الفصل قال وما يوم الفصل قال يوم يجزى فيه الولايات يدعى فيمن السماء بدعوات تسمع منها الاحياء والاموات ويجمع الناس فيه الميقات يكون فيه لمن اتقى الفوز والجيرات . قال أحق ما تقول قال أى ورب السماء والارض . وما بينها من رفح وخفض . ان ما أبأناك به لحق ما فيه أمض . قال ابن اسحق فوقع في نصر ربيعة بن نصر ما قال فجهز بنيه وأهل بيته الى العراق وكتب لهم الى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ فأسكتهم الحيرة قال ابن اسحق فن بقية ولد ربيعة بن نصر النعمان بن المنذر بن النعمان بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر يعنى الذى كان نائباً على الحيرة للوك الا كسرة وكانت العرب تعد اليه وتمدحه وهذا الذى قاله محمد بن اسحاق من أن النعمان بن المنذر من سلالة ربيعة بن نصر قاله أكثر الناس . وقد روى ابن اسحاق ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما جرى بسيف النعمان بن المنذر سأل جبير بن مطعم عنه عن كان قتال من اشلاء فنص بن معد بن عدنان قال ابن اسحاق فأنه أعلم أى ذلك كان

قصة تبع ابي كرب مع أهل الحريفة

(وكيف أراد غزو البيت الحرام ثم شرفه وعظمه وكساه اللؤلؤ فكان أول من كساه)

قال ابن اسحاق فلما هلك ربيعة بن نصر رجع ملك اليمن كله الى حسان بن تيمان اسمعدي كرب وتيمان اسمعدي تبع الآخر ابن كلكي كرب بن زيد وزيد تبع الأول بن عمرو ذى الازداع بن أبرهة ذى المنار بن الرائي بن عدى بن صيفي بن سبأ الاصغر بن كعب كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن النضوث بن قطن بن عريب بن زهير

ابن أنس بن الهيمسح بن الرميحج والعريحج هو حمير بن سبأ الأكبر بن يرب بن يشجب بن قحطان. قال عبد الملك بن هشام سبأ بن يشجب بن يرب بن قحطان. قال ابن اسحاق وتبان أسعد أبو كرب هو الذي قدم المدينة وساق الخبرين من اليهود الى اليمن وعمر البيت الحرام وكساه وكان ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر وكان قد جعل طريقه حين رجع من غزوة بلاد المشرق على المدينة وكان قد سر بها في بدايته فلم يهجم أهلها وخلف بين أظهرهم ابناً له قتل غيلة تقدمها وهو يجمع لآخراها واستنصاف أهلها وقطع نخلها فجمع له هذا الحى من الانصار ورئيسهم عمرو بن طلحة أخو بنى النجار ثم أحد بنى عمرو بن مبدول واسم مبدول عاصم بن مالك بن النجار واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخرج بن حارثة بن ثعلبة عمرو بن عاصم

وقال ابن هشام عمرو بن طلحة هو عمرو بن معاوية بن عمرو بن عاصم بن مالك بن النجار وطلحاته وهى بنت عامر بن زريق الخرجية.

قال ابن اسحاق وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار يقال له أحر عدا على رجل من اصحاب تبع وجده يجرد عنقه ففرضه بمنجله قتله وقال انما التمر لمن أبرد فزاد ذلك تبعاً حنقا عليهم فاعتلوا فتزعم الانصار انهم كانوا يقاتلون به بالهار ويقرونه بالليل فيعجبه ذلك منهم ويقول والله ان قومنا لسكاهم وحكى ابن اسحاق عن الانصار ان تبعا انما كان حنقه على اليهود انهم متعوم منه .

قال السهيلي ويقال انه انما جاء لنصرة الانصار أبناء عمه على اليهود الذين نزلوا عندهم فى المدينة على شروط فلم يوافقها واستطالوا عليهم والله أعلم.

قال ابن اسحاق فينا تبع على ذلك من قتله اذ جاءه حيران من اجبار اليهود من بنى قريظة عالمان راسخان حين سمعا بما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالوا له أيها الملك لا تفعل فانك إن آيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ولم تأمن عليك جل القوية فقال لها ولم ذلك قالاهى مهاجر بنى يخرج من هذا الحرم من قريش فى اخر الزمان تسكون داره وقراره فنتاهى ورأى أن لها عساً وأجبهه ماسمع منها فانصرف عن المدينة وأتبهما على دينهما . قال ابن اسحاق وكان تبع وقومه أصحاب أولئان يبدونها فتوجه إلى مكة وهى طريقه الى اليمن حتى اذا كان بين عسفان وامج أتاه غر من هذيل ابن مدركة بن الياس بن مضر بن بزار بن معد بن عدنان فقالوا له أيها الملك ألا ندلك على بيت مال دائرا غنائه الملوكة قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة قال بلى قالوا بيت بمكة يعبده أهله ويصلون عنده وانما أراد المهلديون هلاكه بذلك لما غرقوا من هلاك من أراده من الملوكة وبني عنده فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الخبرين فسألها عن ذلك فقال له ما أراد الترم الأهلا كاهلاك جنك ما نعلم بيتاً لله عز وجل اتخذ في الارض لنفسه غيره ولئن فعلت مادعوك اليه لتهلكن وليلكن من ممك جميعاً قال

فإذا تأمراني أن أصنم إذا أنا قدمت عليه قالا تصنع عنده ما يصنع أهله تطوف به وتمطيه وتكرمه وتخلق رأسك عنده وتذل له حتى تخرج من عنده قال فما يمنعكم أنتم من ذلك قالا أما والله إنه لبيت آينا إبراهيم عليه السلام وانه لكما اخبرتك ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله وبالدماء التي يهريقون عنده وهم نجس أهل شرك أوكا قالا له ففرفف نصحبها وصدق حديثها وقرب النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام فيما يذكرون ينحريها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل وأرى في المنام أن يكسوا البيت فكساء الخوص ثم أرى في المنام أن يكسوه أحسن من ذلك فكساء المعافر ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساء اللؤلؤ والوصائل وكان تبع فيما يزعمون أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرم وأسرهم بطهره وأن لا يقربوه دماً ولا ميتة ولا مثلثا وهي المحايض وجعل له باباً ومفتاحاً في ذلك قالت سبيعة بنت الأحب تذكر ابنها خالد به عبد مناف بن كعب بن سعد بن قيس بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ونهاه عن البغي بمكة وتذكره ما كان من أمر تبع فيها .

أبني لا تظلم	كثرة لا الصغير ولا الكبير
واحفظ محارمها	في ولا يفرطك القرود
أبني من يظلم	كثرة ينفق أطراف الشرود
أبني يضرب وجهه	ويبلغ بخديبه السعير
أبني قد جربها	فوجدت ظلمها يبور
الله آمنها وما	يئس برؤسها قصور
والله آمن طيرها	والمصم تامن في تبير
ولقد غزاها تبع	فكسا بيئها الحبير
وأذن ربي ملكه	فيها فأوفى بالتدور
يمشي إليها حافياً	فينسأها ألفا بسير
ويظلم أهلها	لحم المهازي والجزور
يسقيهم العسل المصقى	والرحيض من الشعير
والفيل أهلك جيشه	يرمون فيها بالصخور
والملك في أقصى البلا	ذو في الأعاجم والنزور
فسمع إذا حدثت وأتهم	كيف عاقبة الأثمور

قال ابن اسحاق ثم خرج تبع متوجها الى اليمن بمن معه من الجنود والخبيرين حتى اذا دخل اليمن

دعا قومه الى الدخول فيها دخل فيه فأبوا عليه حتى يحاكموه الى النار التي كانت باليمن قل ابن اسحاق حدثني أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي قال سمعت ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث أن نبأ لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا وقد غارت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه خير من دينكم قالوا نعم كئنا الى النار قال نعم قال وكانت باليمن غيا يزعم أهل اليمن نار تحمك بينهم فيما يختلفون فيه تأخذ الظالم ولا تضر المظلوم تخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديها حتى قدموا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه تفرجت النار اليهم نبت أقابت نجوم حادوا عنها وهابوا فزجرهم من حضرم من الناس وأمرهم بالصبر لها فصبروا حتى غشيهم فأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما تفرق جباههما ولم تضرهما فاصفقت عند ذلك حمير على دينها شر هالك كان أصل اليهودية باليمن .

قل ابن اسحاق وقد حدثني يحدث أن الخبرين ومن خرج من حمير اتما اتبعوا النار ليردوها وقالوا من ردها فهو أولى بالحق فدنا منها رجل حمير بأوثانهم ليردوها فدنت منهم لتأكلهم فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها فدنا منها الخبران بعد ذلك وجعلوا يتلوان التوراة وهي تنقص عنهما حتى رداها لي مخرجها الذي خرجت منه فأصفقت عند ذلك حمير على دينها والله أعلم أي ذلك . قل ابن اسحاق وكان رثام بيتاً لهم يعاملونه وينحرون عنده ويكلمون فيه اذ كانوا على شركهم فقال الخبران لتبغ انما هو شيطان يقتنهم بذلك فحل بيننا وبينه قال فثأنا كما به فاستخرجنا منه فبا يزعم أهل اليمن كتاباً أسود فذبحاهم هدمنا ذلك البيت فبقاياها اليوم كاذر لي بها آثار الدماء التي كانت تهراق عليه وقد ذكرنا في التفسير الحديث الذي ورد عن النبي (س) (لا تسبوا تبعاً فانه قد كان أسلم) قال السهيلي وروى معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة أن رسول الله (س) قال (لا تسبوا أسعد الحميري فانه أول من كسى الكعبة) .

قال السهيلي وقد قال تبع حين اخبره الخبران عن رسول الله (س) : شرأ

شهدت على أحمد انه رسول من الله ياري النسم

فلو سد عمري الى عمره لكنت وزيراً له وابن عم

وحاهدت بالشفيع أعداءه وفوجت عن صدره كل عم

قال ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الانصار ويحفظونه بينهم وكان عند أبي أيوب الانصاري رضى الله عنه وأرضاه * قال السهيلي وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب القبور أن قبراً حفر بصنماء فوجد فيه اسرأتان معها لوح من فضة مكتوب بالذهب وفيه هذا قبر ليس وحى ابنتي تبع ماتا وهما تشهدان

ألا آله إلا الله وحده لا شريك له وعلى ذلك مات الصالحون قبلها .

ثم صار الملك فيما بعد إلى حسان بن تيان أسعد وهو أخو الإمامة الزرقاء التي صلبت على باب مدينة جو فسميت من يومئذ الإمامة . قال ابن اسحاق فلما ملك ابنه حسان بن أبي كرب تيان أسعد سار بأهل اليمن يريد أن يطاههم أرض العرب وأرض الأعاجم حتى إذا كانوا يبعض أرض العراق كرهت حمير وقبائل اليمن السير معه وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم فكأوا أخاه له يقال له عمرو وكان معه في جيشه فقالوا له أقلل أخاك حسان وعلسكك علينا وترجع بنا إلى بلادنا فأجابهم فلجئهم على ذلك إلا ذارعين الحميري قاله نهي عمراً عن ذلك فلم يقبل منه فكاتب ذو رعين رقعة فيها هذان البيتان :

ألا من يشتري سُهراً بنوم سعيد من بيت قُرْبٍ عَيْن
فأما حمير غدرت وخانت فمذرة الآله الذي رُعين

ثم استدعها عمراً . فلما قتل عمرو أخاه حسان ورجع إلى اليمن منع منه النوم وسلط عليه السهر فسأل الاطباء والحذاق من السكبان والعرافين عما به فقبل له انه والله ما قتل رجل أخاه قط أو ذارحم بشياً إلا ذهب نومه وسلط عليه السهر فبند ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه فلما خلاص إلى ذي رعين قال له إن لي عندك براءة قال وما هي قل الكتاب الذي دفنته إليك فأخرجه فاذا فيه البيتان فتركه ورأى أنه قد نصحه وهلك عمرو فمخرج أمر حمير عند ذلك وقرئوا

وئيب تلخيمه فؤى كسائر على ملك اليمن

وقد ملكها سبعاً وعشرين سنة . قال ابن اسحاق فوئيب طهيم رجل من حمير لم يكن من بيوت الملك يقال له تلخيمه بنوف ذو شناتر فقتل خيارهم وعبث بيوت أهل المملكة منهم وكان مع ذلك أمراً فلسفاً يعمل عمل قوم لوط فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك فيبيع عليه في مشربة له قد صنعها لذلك لئلا يملك بعد ذلك ثم يطلع من شربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده قد أخذ مسواكاً فجعله في فيه ليمسهم أنه قد فرغ منه حتى يست إلى زرة فئى نواس بن تيان أسعد أخى حسان وكان صبياً صغيراً حين قتل أخوه حسان ثم شب غلاماً جيلاً وسياً ذاهيةً وعقل فلما آله رسوله عرف ما يريد منه فأخذ سكيناً جديداً لطيفاً نجياً بين قدميه وناله ثم آله فلما خلاصه وئيب اليه فوائبه ذو نواس فوجأه حتى قتله ثم حز رأسه فوضه في الكوة التي كان يشرف منها ووضع مسواكه في فيه ثم خرج على الناس فقالوا له ذا نواس أرطب أم يباس فقال سل نجاس استرطبان ذو نواس استرطبان لا باس (٢) فنظروا إلى الكوة

(١) قوله تلخيمه بالذون وهو كذلك في سيرة ابن هشام

(٢) قال ابوذر الخثمي قالوا في تقدير استرطبان ان معناه اخذته النار بالفارسيه اهو قال السهيلي وقوله

فأذارس نلنلعة مقطوع فخر جوا فى أثر ذى نواس حتى أدر كره ققالوا ما بنبى أن ملكنا غيرك إذ أرتحتنا من هذا النلث فلكره عليهم واجتعت عليه حمير وقبائل البن فكان آخر ملوك حمير ونسى يوسف فأقام فى ملكه زمانا، وبنجران بقايا من أهل دىن عيسى بن مرىم عليه السلام على الانجيل أهل فضل واستقامة من أهل دىنهم لهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر، ثم ذكر ابن اسحاق سبب دخول أهل نجران فى دىن النصرارى وان ذلك كان على يدى رجل يقال له فىمىون كان من عباد النصرارى بأطراف الشام وكان بحباب الدعوة وصحبه رجل يقال له صالح فكان يتبدان يوم الأحد ويعمل فىمىون قببة الجملة فى البناء وكان يدعو للرضى والزمنى وأهل الماهات فىشغون ثم استأسره وصاحبه بعض الاعراب فباعوها بنجران فكان الذى اشترى فىمىون يراه اذا قام فى مصلاه بالبيت الذى هو فيه فى الليل يمتلى عليه البيت نوراً فأعجبه ذلك من أمره وكان أهل نجران يعبدون نخلة طويلة يعلقون عليها حلل نسايمهم ويمكفون عندها فقال فىمىون لسيدة أرايت ان دعوت الله على هذه الشجرة فهلكت أتملون أن الذى أتم عليه باطل . قال نعم فجمع له أهل نجران وقام فىمىون الى مصلاه فدعا الله عليها فأرسل الله عليها قاصداً فنجفها من أصلها ورمها الى الأرض فاتبه أهل نجران على دىن النصرانية وحملهم على شريعة الانجيل حتى حدثت فىهم الاحداث التى دخلت على أهل دىنهم بكل أرض فمن هنالك كانت النصرانية بنجران من أرض العرب ثم ذكر ابن اسحاق قصة عبد الله بن الثامر حين تنصر على يدى فىمىون وكيف قتله واصحابه ذو نواس وتخلطهم الاخذود . وقال ابن هشام وهو الحاضر المستطيل فى الارض مثل الخندق وأجيج فيه النار وحرقتهم بها وقتل آخرين حتى قتل قريباً من عشرين ألفاً كما قدمنا ذلك مبسوطاً فى أنجبار بنى إسرائيل وكما هو مستقصى فى تفسير سورة (والسماء ذات البروج) من كتابنا التفسير والله الحمد .

فروج الملكون باليس من حمير الى الحبشة (السورة)

كما أخبر بذلك شق وسطيح الكاهنان وذلك انه لم ينج من أهل نجران إلا رجل واحد يقال اسرطبان الى آخر السلام مشكل يفسره ما ذكره ابو الفرج فى الاغانى قال كان الغلام اذا خرج من عند نلنلعة وقد لا ط به قطموا مشافر نأفته وذنبها وصاحوا به ارطب ام يياس فلما خرج ذو نواس من عنده وركب ناقة له يقال لها السراب قالوا . ذا نواس . ارطب ام يياس . فقال . ستعلم الاحراس استذى نواس . است رطب أم يياس . فهذا اللفظ مفهوم والذى وقع فى الاصل يريد سيرة ابن هشام هذا معناه ولفظه قريب من هذا

له دوس ذو ثعلبان على فرس له، فسلك الرمل فاجوزهم ففضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصر ملك الروم فاستنصره على ذى نواس وجنوده واخبره بما بلغ منهم، وذلك لأنه نصرانى على دينهم. فقال له بدت بلادك منا ولسكن سأكتب لك الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو أقرب الى بلادك. فكتب اليه يأمره بنصره والطلب بثاره. فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر فبثت معه سبعين ألفاً من الحبشة واسر عليهم رجلا منهم يقال له ارباط ومعه في جنده ابرهة الأشرم فركب ارباط البحر حتى نزل يساحل اليمن ومعه دوس وسار اليه ذو نواس في حمير ومن اطاعه من قبائل اليمن. فلما التقوا انهزم ذو نواس واصحابه فلما رأى ذو نواس منازل به وبقومه وجه فرسه في البحر ثم ضربه فدخل فيه فحاض به فخصخح البحر حتى افضى به الى غمره فادخله فيها فكان آخر العهد به ودخل ارباط اليمن وملكها وقد ذكر ابن اسحاق هاهنا اشعاراً للمربى فيها وقع من هذه السكائنة الغريبة وفيها فصاحة وحلاوة وبلاغة وحلاوة ولسكن تركنا ابرادها خشية الاطالة وخوف الملالة وبالله المستعان

خروج ابرهة الأشرم على ارباط ونهضة فيما

قال ابن اسحاق فاقام ارباط بارض اليمن سنين في سلطانه ذلك ثم نازعه ابرهة حتى تفوقت الحبشة عليهما. فانحاز الى كل منهما طائفة ثم سار أحدهما الى الآخر. فلما تقارب الناس أرسل ابرهة الى ارباط انك لن تصنع بان تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئاً شيئاً، فبرزلى وبرزلك فاينما أصاب صاحبه انصرف اليه جنده، فاسرل إليه ارباط انصفت فخرج إليه ابرهة وكان جلا قصيراً لهما وكان ذا دين في النصرانية وخرج إليه ارباط وكان رجلاً جميلاً عظيماً طويلاً وفي يده حربة له. وخلف ابرهة غلام يقال له عتودة يمنع ظهره. فرفع ارباط الحربة فضرب ابرهة بريد يافوخه. فوقمت الحربة على جهة ابرهة فشرمت حاجبه وعينه وأنهه وشفته فبذل سمي ابرهة الأشرم. وحمل عتودة على ارباط من خلف أبوهة فقتله وانصرف جنود ارباط إلى ابرهة. فاجتمعت عليه الحبشة باليمن وودى ابرهة ارباط. فلما بلغ ذلك النجاشي ملك الحبشة الذي بشهم إلى اليمن غضب غضباً شديداً على ابرهة وقال عدا على أميرى فقتله بغير أسرى ثم حلف لا يدع ابرهة حتى يعطى بلاده ويحجز ناصيته فخلق ابرهة رأسه وملاً جراباً من تراب اليمن ثم بثت به الى النجاشي ثم كتب اليه: أيها الملك إنما كان ارباط عبدك وأنا عبدك فاختلنا في أمرك وكل طاعتك إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة واضبط لها وأسوس منه. وقد حلفت رأسي كله حين باننى قسم الملك وبعتت إليه بجراب تراب من أرضي ليضمه تحت قدمه فيبر قسمه في. فلما انتهى ذلك الى النجاشي رضى عنه وكتب إليه أن أئمت بارض اليمن حتى يأتيك أسرى فاقام ابرهة باليمن

سبب قصر أبرهة بأبواب النبل * ألم يجعل كيدم في تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل *

(ألم تريف فضل ربك بأصحاب النبل * ألم يجعل كيدم في تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل *
ترميمهم بمجارة من سجيل * فجعلهم كصف ما كؤل)

قبل أول من ذلل القبيلة إفريدون بن أنصيان الذي قتل الضحاك قاله الطبري وهو أول من اتخذ
للخيل السرج . وأما أول من سخر الخيل وركبها فظلمورث وهو الملك الثالث من ملوك الدنيا ويقال
إن أول من ركبها اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ويحتمل أنه أول من ركبها من العرب والله تعالى أعلم
ويقال إن النبل مع عظمة خلقه يفرق من المر . وقد احتال بعض أمراء الحروب في قتال الهنود
باحتضار سنابير الى حومة الوغى فنفرت القبيلة

قال ابن اسحاق ثم إن أبرهة بنى القليس بصنماء كنيسته لم ير مثلها في زمانها بشيء من الارض
وكتب الى النجاشي إني قد بنيت لك كنيسه لم يبن مثلها لك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف
اليها حج العرب

فذكر السهيلي أن أبرهة استدل أهل اليمن في بناء هذه الكنيسه الخسبية وسخرهم فيها أنواعا من
السخر . وكان من تأخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لا محالة . وجعل ينقل اليها من قصر
بليقيس رخاماً واحجاراً وأمنعة عظيمة وركب فيها صلباناً من ذهب وقضة . وجعل فيها منابر من عاج
وابنوس وجعل ارتفاعها عظيماً جداً واتساعها بهراً فلما هلك بعد ذلك أبرهة وتمزقت الحبيشة كان من
يتعرض لاخذ شيء من بنائها وامتنعها اصابته الجن بسوء . وذلك لأنها كانت مبنية على اسم صنمين -
كعبب وامرأته - وكان طول كل منهما ستون ذراعاً . فتركها أهل اليمن على حالها . فلم تزل كذلك
الى زمن السفاح أول خلفاء بني العباس فبعث إليها جماعة من أهل الزعم والحزم والمسلم فنقضوها حجراً
حجراً ودرست آلوها إلى يومنا هذا

قال ابن إسحاق فلما نهدمت العرب بكتاب أبرهة الى النجاشي غضب رجل من النساء من كنانة
الدين يفتنون شهر الحرام الى الحل بمكة أيام الموسم كما قررنا ذلك عند قوله (إنما النسيء زيادة في الكفر
الآية) قال ابن إسحاق فخرج الكناني حتى أتى القليس قصد فيه أي أحدث حيث لا يراه أحد ثم
خرج فلحق بأرضه فأخبر أبرهة بذلك . فقال من صنع هذا . فقيل له صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي
تحمجه العرب بمكة لا اسم بقولك أنك تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك هذا فنضب فجاء قصد فيها
أي أنه ليس لذلك بهل . فنضب أبرهة عند ذلك وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه . ثم أمر الحبيشة

قهيأت ونجيزت. ثم سار وخرج معه بالفيل وسميت بذلك العرب فاعظموه وفضلوا به ورأوا جهاده حثاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام . فخرج إليه رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر . فدعا قومه ومن اجابته من سائر العرب الى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريده من هدمه واخراجه . فاجابه من اجابته الى ذلك . ثم عرض له قتاله فهزم تذاً هزم واصحابه وأخذ له ذو نفر فأتى به أسيراً . فلما أراد قتله قال له ذو نفر يا أيها الملك لا تقتلني فانه عسى أن يكون بقاى مملك خيراً لك من القتل . فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق وكان أبرهة رجلاً حليماً ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نخيل بن حبيب النخعي في قبيلتي خثعم وهما شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب قتاله فهزمه أبرهة وأخذ له قنيل أسيراً فأتى به فلما هم بقتله قال له نخيل أيها الملك لا تقتلني فأتى بذلك بأرض العرب وهاتان يداى لك على قبيلتي خثعم - شهران وناهس بالسلم والطاعة . فحلى سيده وخرج به معه يده . حتى إذا سر بالطائف خرج اليه مسعود بن ممتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قنيفة في رجال قنيفة فقالوا له أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف . وليس يتنا هذا البيت الذى تريد . يعنون اللات - إنما تريد البيت الذى بمكة ونحن نبعث مملك من يدلك عليه فتجاوز عنهم

قال ابن اسحاق واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة . قال فيسرا معه أبلغال يده على الطريق الى مكة . فخرج أبرهة ومعه ابورغال حتى أتزله بالمغس . فلما أتزله به مات أبورغال هنالك فوجت قبره العرب فهو القبر الذى يرجم الناس بالمغس وقد تقدم في قصة حمود أن أبلغال كان رجلاً منهم وكان يتمتع بالحرم فلما خرج منه أصابه حبر فقتله وان رسول الله - قال لاصحابه « وآية ذلك أنه دفن معه غصنان من ذهب » فحفروا فوجدوها قال وهو أبو قنيفة

قلت والجمع بين هذا وبين ما ذكر ابن اسحاق أن أبلغال هذا المتأخر وافق اسمه اسم جده الاعلى ورجحه الناس كأرجوا قبر الأول أيضاً والله أعلم . وقد قال جرير :

إذا مات القرزذق فلرجوه كرجلكم لتسير أبي زغال

الظاهر أنه الثانى

قال ابن اسحاق فلما نزل أبرهة بالمغس بمث رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مفضود على خيل له حتى انتهى الى مكة . فساق اليه أموال تهامة من قريش وغيرهم . واصاب فيها مائتي بدير لمبد المطلب ابن هاشم وهو يومئذ كبير قريش وسيدها . فهبت قريش وكنانة وهذيل وحقن كان بذلك الحرم بقتاله . ثم عرفوا أنه لا طلاقة لهم به فتركوا ذلك . وبث أبرهة حنافة الحميري الى مكة وقال له سل عن سيد أهل هذا البلد وشرهيم . ثم قل له ان الملك يقول إنى لم آت لربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فان لم ترضوا

لنا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم، فان هو لم يرد حربى فالتفتى به فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريعتها قيل له عبدالمطلب بن هاشم . فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة . فقال له عبد المطلب والله ما تريد حربه ومالنا بذلك من مائة هذا بيت الله الحرام وبيت خليفه ابراهيم عليه السلام . أو كما قال . فلن يمتنه منه فهو حرمه وبيته وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه . فقال له حناطة فاطلق مى اليه فانه قد أمرنى أن آتية بك . فاطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بيته حتى أتى المسكر فسأل عن ذى نضر وكان له صديقاً . حتى دخل عليه وهو في محبسه فقال له إذا نزل فإنا نزل بما نزل له . فقال له ذى نضر وما غشاء رجل أسير يبدى ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً ما عندى غشاء فى شيء مما نزل بك إلا أن أنيساً سائس الفيل صديق لى . فسأرسل اليه وأوصيه بك وأعظم عليه حثك واسأله أن يستأذن لك على الملك فسكرمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير ان فقدر على ذلك . فقال حسبي . فبث ذى نضر الى أنيس فقال له ان عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة يطعم الناس بالسبل والوحوش فى رؤوس الجبال وقد أصاب له الملك مائتى بئر فاستأذن له عليه واغنه عنده بما استطعت . قال افضل . فكم أنيس أبرهة فقال له أيها الملك هذا سيد قريش يياك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة وهو الذى يطعم الناس بالسبل والوحوش فى رؤوس الجبال فالتذن له عليك فليكلكم فى حاجته فاذن له أبرهة قال وكان عبدالمطلب أوسم الناس وأعظمهم وأجلهم فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه نحيته وكره أن تراه الخبيثة يجلسه معه على سرير ملكه . فنزل أبرهة عن سيره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جانبه ثم قال لترجانه قل له حاجتك فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتى أن يرد على الملك مائتى بئر أصابها لى فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجانه قل له لقد كنت أبحثنى حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كتبتى . أنتكافى فى مائتى بئر أصبتها لك وتترك بيتا هودينك ودين أبائك قد جمعت لأهدمه لا تسكتنى فيه فقال له عبدالمطلب إني أنارب الابل وإن البيت رأسيمنه . فقال ما كان ليمتنع منى . قال أنت وذاك . فرد على عبدالمطلب إليه

قال ابن اسحاق ويقال إنه كان قد دخل مع عبدالمطلب على أبرهة ليمر بن غنائة بن عدى بن الديل ابن بكر بن عبد مائة بن كنانة سيد بى بكر وخويلد بن وائلة سيد هذيل فرضوا على ابرهة ثلث أموال شهامة على أن يرجع عنهم ولا يهزم البيت فأبى عليهم ذلك فله أعلم أ كان ذلك أم لا فلما انصرفوا عنه انصرف عبدالمطلب الى قريش فلخبرهم انظروا أمرهم بالخروج من مكة والتحرز فى رؤس الجبال . ثم قام عبد المطلب فآخذ بمققة بلب الكعبة وقام معه نضر من قريش يدعوون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده . وقال عبدالمطلب - وهو آخذ بمققة باب الكعبة - :

لَا تَمَّ إِنَّ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْمَةَ رَبِّهِ وَرَحْمَةَ رَبِّهِ

لا يَظُنُّ صَليِّهِمْ وَعَالمُهُمُ غَدُوا بِمَحاكِكَ .
ان كُنْتَ تَراكَمُ وَقدِ لَنا قَاسِرٌ ما بِداكَ

قال ابن هشام هذا ما صح له منها . وقال ابن اسحاق ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب السكبة وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شرف الجبال يتحززون فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل . فلما أصبح أبرهة تهباً لدخول مكة وهياً فيه وهي خيشه ، وكان اسم الفيل محموداً . فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل فيل ابن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال أبرك محمود وارجع راشداً من حيث أتيت . فانك في بلد الله الحرام وارسل اذنه . فبرك الفيل

قال السهيلي أي سقط إلى الأرض وليس من شأن الفيلة أن تبرك وقد قيل إن منها ما يبرك كالبعير فأنه أهل وخرج فيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل . وضربوا الفيل ليقوم فإني فضره برأسه بالطبرزين ليقوم فإني فادخلوا محاجن لهم في سراحة فبرغوه بها ليقوم فإني فوجهه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول . ووجهه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهه إلى المشرق ففعل مثل ذلك . ووجهه إلى مكة فبرك . وارسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان^(١) مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجر في متقاره وحجران في رجليه أمثال الحص والهدس لا تصيب منهم أحداً إلا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هارين يتتدرون الطريق التي منها جاؤا . ويسألون عن فيل بن حبيب ليدلم على الطريق إلى اليمن فقال فيل في ذلك :

أَلا حَيِّتِ عَنا يا رَدينا فَمَنا كُما مَعَ الإِصباحِ عَينا
رَدينا لو رَأيتِ فلا تَربى لَدى جَنبِ المَحْصِبِ ما رَينا
إِذا لَمَدَرتِني وَجَدتِ أَمري وَلم تَلمِي عَلى ما لَمَتِ بَينا
حَمَدتُ اللهُ إِذْ أَبصرتِ طَيراً وَخَفَتِ حِجارَةً تَلقَى عَلَينا
وَكلَّ القومِ يَسالُ عَن فيلِ كَأَنَّ عَلَيَّ لِلحَبِشانِ دَينا

قال ابن إسحاق فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل . وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط أئمة أئمة كما سقطت أئمة أئمتها منه مدة تمت قبيحا ودما حتى قدموا به صنما وهو مثل فرخ الطائر . فامات حتى أفصد صدره فن قلبه فبا يزعمون

قال ابن اسحاق حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث أن أول ما رؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رؤى بها مرائر الشجر الحرمل والحنظل والمشر ذلك العام قال ابن إسحاق فلما بهت الله محمداً (س) ، كان مما يمدد الله على قريش من نعمته عليهم وفضله

(١) كذا في الأصل ولعله مصحف عن البلشون فانه يشبه الخطاطيف

مارد عنهم من أمر الحبيشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل
 كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول)
 ثم شرع ابن إسحاق وابن هشام يتكلمان على تفسير هذه السورة والتي بسطنا القول
 في ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية إن شاء الله تعالى وله الحمد والمنة

قال ابن هشام الأبايل الجماعات ولم تتسكلم لها العرب بواحد علمناه . قال وأما السجيل فاختبرني يونس
 النحوي وأبو عبيدة انه عند العرب الشديد الصلب . قال وزعم بعض المفسرين انها كلمتان بالفارسية
 جعلتهما العرب كلمة واحدة وانها سنج وجل^(١) فالسنج الحجر والجل الطين . يقول الحجاره من هذين
 الجنسيتين الحجر والطين . قال والمصف ورق الزرع الذي لم يقصب . وقال الكسائي سمعت بعض النحويين
 يقول واحد الابايل ايل وقال كثيرون من السلف الابايل الفرق من الطير التي يتبع بعضها بعضاً من
 ههنا وههنا . وعن ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطير وا كف كالكف السكلاب وعن عكرمة كانت
 رؤوسها كرؤوس السباع خرجت عليهم من البحر وكانت خضراً . وقال عبيد بن عمير كانت سوداً بحرية
 في مناقيرها وا كفها الحجارة . وعن ابن عباس كانت أشكلها كقنقه مغرب وعن ابن عباس كان أصغر
 حجر منها كراس الانسان ومنها ماهو كالأيل . وهكذا ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق . وقيل كانت
 صفاراً والله أعلم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي شيبه حدثنا أبو معاوية عن
 الأعمش عن أبي سفيان عن عبيد بن عمير قال لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بث عليهم طيراً
 أنثت من البحر أمثال الخلطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار حجرتين في رجله وحجرآ في منقاره
 قال فجاءت حتى صفت على رؤوسهم . ثم صاحت وألقت ما في رجلها ومناقيرها . فما يقع حجر على
 رأس رجل الاخرج من دبره . ولا يقع على شيء من جسده الا اخرج من الجانب الآخر . وبث
 الله ريحاً شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعاً

وقد تقدم أن ابن اسحاق قال وليس كلهم اصابتة الحجارة يعني بل رجح منهم راجعون إلى اليمن
 حتى أخبروا أهلهم بما حل قومهم من النكال وذكروا أن ابرهة رجح وهو يتساقط أمثلة أمثلة فلما وصل
 إلى اليمن انصدع صدره فمات امته الله . وروى ابن اسحاق قال حدثني عبد الله بن أبي بكر عن سمرة
 عن عائشة قالت لقد رأيت قائد الفيل ومائسه بمكة اعميين مقعدين يستطمان . وتقدم أن سائس الفيل
 كان اسمه أبيتا فلما قائده فلم يسم والله أعلم .

وذكر النقاش في تفسيره أن السيل احتمل جثهم فألقاها في البحر . قال السهيلي وكانت قصة الفيل

(١) أصله (سنتك وكل) ولما لم تتلفظ العرب بالكاف بدلوا بالميم فقالوا سنج وجبل وركبوا

كلمة واحدة فهي مستعربة اه

أول المحرم من سنة ست وثمانين وثمانمائة^(١) من تاريخ ذي القرنين .

قلت وفي عامها ولد رسول الله (س) على المشهور . وقيل كان قبيل مولده بستين كما سذك إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

ثم ذكر ابن اسحاق ما قاله العرب من الأشعار في هذه المكاتبة العظيمة التي نصر الله فيها بيته الحرام الذي يريد أن يشرفه ويظلمه ويظلمه ويوقره ببعثة محمد (س) وما يشرح له من الدين القويم الذي أحد أركانه الصلاة بل عماد دينه وسيجعل قبلته إلى هذه الكعبة المطهرة ولم يكن مانعه بالحجاب الغيب نصرته لتريش إذ ذاك على النصاري الذين هم الحبشة : فان الحبشة إذ ذاك كانوا أقرب لها من مشركي قريش وإيمانها كان النصر للبيت الحرام وادهاصا وتوطئة لبعثة محمد (س) . فمن ذلك ما قاله عبد الله بن الزبير السهبي

تَنَكَّلُوا ^(٢) عَنِ بَطْنِ مَكَّةَ إِنَّمَا	كَانَتْ قَدِيمًا لَا تُرَامُ حَرَمِهَا
لَمْ تَخْلُقِ الشَّرَى لِيَالِي حَرَمَتِ	إِذْ لَا عَزِيزَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَوْمَهَا
سَائِلُ أَمِيرِ الْخَيْشِ عَنْهَا مَا رَأَى	فِي سَوْفِ بَيْتِي الْجَاهِلِينَ عَلَيْهَا
سَتُونَ أَلْفًا لَمْ يَزْبُوا أَرْضَهُمْ	بَلْ لَمْ يَمْسُ بِمَدَايِبِ سَتِيمَتِهَا
كَانَتْ بِهَا عَادٌ وَخَرَّمُ قَبْلَهُمْ	وَاللَّهُ مِنْ فَوْقِ الْعِبَادِ يُقِيمُهَا

ومن ذلك قول أبي قيس بن الاسلت الانصاري المدني :

وَمَنْ صُنِعَ رِيحٌ فَيَلِ الْخَبِيرُ	شِ إِذْ كَلَّمَ بِشَوْهَ رُزْمٍ
عَاجِزُهُمْ نَحْتِ أَقْرَابِهِ	وَقَدْ شَرَعُوا أَفْهَهُ فَانْفَرَمُ
وَقَدْ جَلَوْا سَوْطَهُ مُقُولًا	إِذَا يَمُوهَ قَنَاهُ كَلَمُ
فَوَلَّى وَأَدْبَرَ أَدْرَاجَهُ	وَقَدْ بَاءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كَانَ تَمُ
فَأَرْسَلَ مِنْ فَوْقِهِمْ حَاصِبًا	فَلَقَمَهُمْ مُشَلُّ لَفِّ التَّرْمُ
تَحَصَّنَ عَلَى الصَّبْرِ أَحْبَارَهُمْ	وَقَدْ تَأَجَّوَا كِتَابِجَ النَّعْمِ

ومن ذلك قول أبي الصلت ربيعة بن أبي ربيعة وهب بن علاج الثقفي قال ابن هشام وروى لامية

ابن أبي الصلت :

إِن آيَاتِ رَبَّنَا تَأْتِيَاتٌ	مَا يُجَارِي فِيهِنَّ إِلَّا السُّكُورُ
خَلَقَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارَ فَكُلٌّ	مُسْتَبِينٌ حَسَابُهُ مَقْشُورٌ

(١) كذا بالأصل والنسب في السهيلي سنة اثنتين وثمانين الخ اه .

(٢) قوله تنككوا كذا بالأصل وفي سيرة ابن هشام المطبوعة بالألام . لكن في تفسير غريبها للنخعي تنكبوا بالياء . قال أي ارجسوا خوفا منها . تقول نكبت فلانا عن الشيء إذا صرقت عنه صرفه هية وخوف

ثم يجلو النهار رب رحيم
حبس الفيل بالمفس حتى
لازماً حلقه الجران كاقة
حولته من ملوك كندة أبطا
خلفوه ثم ابذعوا جميعاً
كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الخبيثة بور

ومن ذلك قول أبي قيس بن الاسلت أيضاً :

فقرموا فقلوا ربكم وتمسحوا
فمئذكم منة بلا مصدق
كتيبته بالسمل تمشي وزجله
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردم
فولوا سراعاً هارين ولم يؤب
إلى أهله ملجش غير عصائب

ومن ذلك قول عبيد الله بن قيس الرقيات في عظمة البيت وحماته بهلاك من أراد به سوء :

كاده الأشم الذي جاء بالقي
واستهلت عليهم الطير بالجنة
ذاك من يغزه من الناس ير
ل فولى وجيشه مهزوم
دل حتى كأنه مرجوم
جمع وهو قل من الجيوش ذمير

قال ابن اسحاق وغيره فلما هلك ابرهة ملك الحبشة بده ابنه يكسوم . ثم من بده أخوه مسروق
ابن ابرهة وهو آخر ملوكهم . وهو الذي انتزع سيف بن ذي يزن الحميري الملك من يده بلجيش الذين
قدم بهم من عنده كسرى أنوشروان كما سيأتي بيانه

وكانت قصة الفيل في الحرم سنة ست وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذي القرنين وهو الثاني اسكندر
ابن فلبيس المقدوني الذي يؤرخ له الروم ولما هلك ابرهة وابناه وزال ملك الحبشة عن اليمن هجر
القليس الذي كان بناه ابرهة وأراد صرف حج العرب اليه لجهله وقلة عقله . وأصبح يبأبأ لا أنيس به .
وكان قد بناه على صنمين وهما كيب وامرأته وكانا من خشب طول كل منهما ستون فراساً في السماء وكانا
مصحورين من الجمان ولهذا كان لا يتعرض أحد إلى أخذ شيء من بناء القليس وأمتعت الا أصابوه بسوء .
فلم يزل كذلك الى أيام السفاح أول خلفاء بني العباس فذكر له أمره وما فيه من الامتعة والرخام الذي
كان ابرهة قله اليه من صرح بقلبيس الذي كان باليمن فبعث اليه من خر به حجراً حجراً وأخذ جميع ما
فيه من الامتعة والحواصل هكذا ذكره السهيلي والله أعلم .

غزوة الملك عمرو الحبشة ورجوعه إلى سيفه بن زينة

قال محمد بن اسحاق رحمه الله : فلما هلك ابرهة ملك الحبشة يكسوم بن ابرهة وبه كان يكنى فلما هلك يكسوم ملك اليمن من الحبشة أخوه مسروق بن ابرهة . قال : فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذى يزن الحبري وهو سيف بن ذى يزن بن ذى أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو ابن قيس بن معاوية بن جشم بن عبيد شمس بن وائل بن القوث بن قحان بن عريب بن زهير بن أين ابن الهبيص بن الرميح ، وهو حير بن سبأ - وكان سيف يكنى أبا مرة - حتى قدم على قيسر ملك الروم فشكى اليه ما هو فيه وسأله أن يخرجهم عنه ويأبىهم هو ويخرج اليهم من شاء من الروم فيكون له ملك اليمن فلم يشك . فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق ، فشكا اليه أمر الحبشة فقال له النعمان إن لي على كسرى وفادة في كل عام فاقم عندي حتى يكون ذلك ففعل ثم خرج معه فأدخله على كسرى وكان كسرى يجلس في ايوان مجلسه الذي فيه تاجه وكان تاجه مثل القنقل^(١) العظيم فيما يزعمون يضرب فيه الباقوت والزبرجد واللؤلؤ بالذهب والفضة معلقا بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في مجلسه ذلك ، وكانت عنقه لا تحمد تاجه إنما يدثر عليه بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك ثم يدخل رأسه في تاجه فاذا استوى في مجلسه كشف عنه الثياب فلا يراه أحد لم يره قبل ذلك الا برك هيبة له . فلما دخل عليه طاماً رأسه فقال الملك : إن هذا الأحمق يدخل على من هذا الباب الطويل ثم يطأ رأسه . فقيل ذلك لسيف فقال إنما فعلت هذا لعمري لأنه يضرب عنه كل شيء . ثم قال : أيها الملك غلبتنا على بلادنا الا غربة . قال كسرى أي الاغربة الحبشة أم السند قال بل الحبشة فحتمك لتبصرني ويكون ملك بلادك لك فقال له كسرى بسدت بلادك مع قلة خيرها فلم أكن لأورط جيشا من فارس يمرض العرب لا حاجة لي بذلك ، ثم أجازته بشرة آلاف درهم واف وكساه كسوة حسنة فلما قبض ذلك منه سيف خرج فجعل ينثر تلك الورق للناس ، فبلغ ذلك الملك فقال إن لهذا لشأنا ثم بث اليه فقال عمدت إلى حياء الملك تنمره للناس قال وما أصنع بمحباك ما جبال أرضي التي جمعت منها الا ذهب وفضة برغبة فيها ، فجمع كسرى مرازبه فقال لهم ما ترون في أمر هذا الرجل وما جاء له . فقال قائل : أيها الملك إن في سجونك رجلا قد حبسهم القنقل فلو أنك بنسهم معه فان يهلكوا كان ذلك الذي أردت بهم وإن ظفروا كان ملكا أزدده ، فبثت معه كسرى من كان في

(١) القنقل : هو مكبال يمس ثلاثة وثلاثين مناً .

سجونه وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم وهرز وكان ذا سن فهم وأفضلهم حسياً وبيتاً فخرجوا في ثمان سفان ففرقت سفينتان ووصل إلى ساحل عدن ست سفان فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه وقال له رجلي ورجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً فقال له وهرز أنصفت وخرج إليه مسروق ابن أبرهة ملك اليمن وجمع إليه جنده فأرسل إليهم وهرز ابنا له ليقاتلهم فيخبر قتالهم ، فقتل ابن وهرز فزاده ذلك حتماً عليهم فلما توافق الناس على مصافهم . قال : وهرز أروني ملككم فقالوا له أترى رجلاً على الفيل عاقداً تلجه على رأسه بين عينيه ياقوتة حمراء . قال : نعم . قالوا ذلك ملككم فقال اتركوه قال فوقفوا طويلاً ثم قال علام هو؟ قالوا قد تحول على الفرس . قال اتركوه فتركوه طويلاً ثم قال علام هو؟ قالوا على البهجة قال وهرز : بنت الحمار ذل ملكه ، إني سأرميه فان رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاجتروا حتى أودنكم فاني قد أخضت الرجل وإن رأيتم القوم قد استداروا به ولائوا قد أصبت الرجل فاحلوا عليهم . ثم وتر قومه وكانت فيها يزعمون لا يوترها غيره من شدتها وأسر بما يجيبه فصبا له ثم رماه فصك الياقوتة التي بين عينيه وتغلقت النشابة في رأسه حتى خرجت من قفاه ، ونكس عن دابته واستدارت المبهجة ولائت به ، وحملت عليهم الفرس فانهزموا وقتلوا وهربوا في كل وجه ، وأقبل وهرز ليدخل صنعاء حتى إذا أتى بابها قال لا تدخل رأيتي منكسة أبداً اهدموا هذا البلب فهدم ، ثم دخلها ناصباً رأيتي فقال سيف بن ذي يزن الحميري :

يظن الناس بالملك ن أنهما قد التأما
ومن يسمع بلا مهما فان الخطب قد قما
قتلنا القليل مسروقا ودوينا الكثيب دما
وإن القليل قيل لنا من وهرز مقسم قنا
يدوق مشعشأ حتى نفي السبي والنما

ووفدت العرب من الحجاز وغيرها على سيف يهتونه بعود الملك اليه وامتدحوه . فكان من جملة من وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم ، فبشره سيف برسول الله (ص) ، وأخبره بما يعلم من أمره وسيأتي ذلك مفصلاً في باب البشارات به عليه الصلاة والسلام .

قال ابن اسحاق : وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة التقي قال ابن هشام وبيروى لامية بن أبي الصلت :

ليطلب اليرز أمثال ابن ذي يزن ديم في البحر للأعداء أحوالا
يم قيصراً لما حان رحلته فلم يجده عنده بمض الذي سالا
ثم اثني نحو كسرى بمد عاشره من السنين يهين النفس والمالا
حتى آتى بيبي الأحرار يمحلمهم إنك همري لقد أسرعت ققتالا

لله دَرَمٌ من عَصْبَةٍ خَرَجُوا ما إِنْ أَرَى لَهْمٌ فِي النَّاسِ أَمْثَالًا
 عَلَبًا مَرَاذِبُهُ بِمِضًا أَسَاوِرُهُ أَشَدًّا تُرْبِي فِي النِّبْضَاتِ أَشْبَالًا
 بِرْمُونٍ عَنِ سُدْفِي كَأَنَّهَا غِبَطٌ زَجَحْرٌ يُعْجَلُ المَرْمِي إِجْمَالًا
 أُرْسَلَتْ أَسْدًا عَلَى صَوْدِ الكَلَابِ فَقَدَتْ أَنْصَحِي شَرِيذَهُمْ فِي الأَرْضِ فُلَالًا
 فَاشْرَبْ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مَرْتَقَا فِي رَأْسِ غَدَانٍ دَارَا مِنْكَ مَحْلَالًا
 وَاشْرَبْ هَنِيئًا فَقَدْ شَالَتْ نَعَامُهُمْ وَأَسْبَلِ اليَوْمَ فِي بُرْدِيكَ إِسْبَالًا
 تِلْكَ المِكَارِمُ لِأَقْبَانٍ مِنْ ابْنِ شَيْبَا بِمَاءٍ فَمَادَا بَعْدُ أَوْالًا

يقال - إن غدان - قصر باليمن بناه يرب بن قحطان وملكه بعده واحله والله بن حمير بن سبا
 ويقال كان ارتفاعه عشرين طبقة فأنه أعلم .

قال ابن اسحاق : وقال عدى بن زيد الحميري وكان أحد بني تميم :

ما بَعْدَ صِنَاءٍ كَانِ يَمُرُّهَا وَوَلَاةٍ مَلِكٍ جَزَلٍ مَوَاهِبُهَا
 رَفْعُهَا مِنْ بَنِي لَدِي قَرَعِهَا مَرْزَنْ وَتَنْدِي مَسْكَأَ مَحَارِبُهَا
 مَحْفُوقَةٌ بِالجِبَالِ دُونَ عَرِيهَا سَكَائِدٍ مَا يُرْتَقَى غَوَارِبُهَا
 يَأْنَسُ فِيهَا صَوْتُ النِّهَامِ إِذَا جَاوَبَهَا بِالشَّيْءِ قَاصِبُهَا
 سَاقَتْ لَهَا الأَسْبَابُ جِنْدُ بِنِيهَا أَحْرَارٍ فَرَسَاتُهَا مَوَاكِبُهَا
 وَقَوْرَتْ بِالْبَعَالِ تَوَسَّقِ بِهَا تَنْفِرُ وَتَسْعَى بِهَا تَوَالِبُهَا
 حَتَّى يَرَاهَا الأَقْوَالُ مِنْ طَرَفِهَا نَقَلَ مَخْضَرَةً كَتَابِهَا
 يَوْمَ يَنَادُونَ آلَ بَرَبْرٍ وَالبِكَا سُومًا لَا يُفْلِحَنَّ هَارِبُهَا
 فَكَانَ يَوْمَ بَاقِي المَدِيثِ وَوَزَا لَتْ أُمَّةٌ نَابَتْ مَرَاتِبُهَا
 وَبَدَّلَ المِيعَجُ بِالأَزَاقَةِ وَالأَا يَامَ حَوْنٍ سِيمٌ عَجَابِهَا
 بَعْدَ بَنِي تُبَيْعٍ نَخَاوَرَةَ قَدِ انْظَمَاتْ بِهَا مَرَازِبُهَا

قال ابن هشام : وهذا الذي عني سطوح بقوله يليه ارم ذي بزنجير يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك
 منهم أحداً باليمن . والذي عني شق بقوله : غلام ليس بدني ولا مدن يخرج من بيت ذي بزنجير .
 قال ابن اسحاق : وأقام وهرز والفرس باليمن فن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء الذين باليمن
 اليوم . وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها ارباط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأخرجت
 الحبشة اثنتين وسبعين سنة توارث ذلك منهم أربة : إرباط ثم أبرهة ثم يكسوم بن أبرهة ثم مسروق
 ابن أبرهة .

سائر أسرار الفرس باليمن

قال ابن هشام : ثم مات وهرز فامر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن ثم مات المرزبان فامر كسرى ابنه التينجان ثم مات فامر ابن التينجان ، ثم عزله عن اليمن واسر عليها باذان وفي زمنه بعث رسول الله (س) . قال ابن هشام فبلغني عن الزهري انه قال كتب كسرى الى باذان انه بلغني أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي فسر اليه فاستتبه فان تلب والافاضت إلى برأسه ، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله (س) : فكتب اليه رسول الله (س) ان الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا وكذا من شهر كذا ، فلما أتى باذان الكتاب وقف لينتظر وقال ان كان نبياً فسيكون ما قال فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله (س) . قال ابن هشام : على يدي ابنه شيرويه . قلت : وقال بعضهم بنوه تماثلوا على قتله ، وكسرى هذا هو ابرويز بن هرم بن أنو شروان بن قباذ ، وهو الذي غلب الروم في قوله تعالى : (ألم تغلبت الروم في أدنى الأرض) كما سيأتي بيانه . قال : السهيلي وكان قتله ليلة الثلاثاء لشر خلون من جمادى الأولى سنة تسع من الهجرة . وكان والله أعلم لما كتب إليه رسول الله (س) ، يدعوهم إلى الاسلام ففضب ومزق كتابه ، كتب الى نائبه باليمن يقول له ما قال . وفي بعض الروايات أن رسول الله (س) ، قال لرسول باذان إن ربى قد قتل الليلة ربك فكان كما قال رسول الله (س) ، قتل تلك الليلة بينهما ، قتله بنوه لظلمه بعد عدله بعد ما خلعوه وولوا ابنه شيرويه فلم يمش بعد قتله أباه الامتة أشهر أو دونها . وفي هذا يقول خالد بن حق الشيباني :

وكسرى إذ تقسّمه بنوه بأسيافٍ كما اقتسم اللحم
تمخضت المنون له يوم ألا ولكلّ حامله تمام

قال الزهري : فلما بلغ ذلك باذان بعث باسلامه واسلام من معه من الفرس الى رسول الله (س) ، فقالت الرسل : الى من نحن يا رسول الله . قال أتم منا وإلينا أهل البيت . قال : الزهري ومن ثم قال رسول الله (س) ، سدان منا أهل البيت . قلت والظاهر أن هذا كان بعد ما هاجر رسول الله (س) إلى المدينة ولهذا بعث الامراء الى اليمن لتطليم الناس الخير ودعوتهم الى الله عز وجل ، فبعث أولا خالد بن الوليد وعلى بن أبي طالب ، ثم ابهما أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل . ودانت اليمن راهلها للاسلام ومات باذان فقام بعده ولده شهر بن باذان ، وهو الذي قتله الاسود المنسي حين تنبأ وأخذ زوجته كما سيأتي بيانه واجلى عن اليمن نواب رسول الله (س) ، فدا قتل الاسود عادت اليد الاسلامية عليها . وقال ابن هشام : وهذا هو الذي عني به سطيح بقوله . نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلى . والذي عني شق بقوله بل ينقطع برسول مرسل ، يأتي بلحق والمدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه

الى يوم الفصل .

قال ابن إسحاق : وكان في حاجر باليمن فيما يزعمون كتاب بلزبور كتب بلزمان الاول : لمن ملك ذمار الحير الاخيار ، لمن ملك ذمار للحبشة الاشرار . لمن ملك ذمار لفارس الاحرار ، لمن ملك ذمار لقريش التجار . وقد نظم بعض الشعراء هذا المعنى فيما ذكره المسعودي :

حين شدت ذمار قبيلاً من ا ؛ ت قتالت لخير الأختيار
ثم سبيلت من بعد ذلك قتالا ت أنا للخيض أخيب الأشرار
ثم قالوا من بعد ذلك لمن أ ؛ ت قتالت لفارس الأحرار
ثم قالوا من بعد ذلك لمن أ ؛ ت قتالت إلى قريش التجار

ويقال إن هذا الكلام الذي ذكره محمد بن إسحاق ، وجد مكتوباً عند قبر هود عليه السلام حين كشفت الريح عن قبره بأرض اليمن وذلك قبل زمن بقرنين يسير في أيام مالك بن ذى المنار أخى عمرو ذى الازد بن ذى المنار ويقال كان مكتوباً على قبر هود أيضاً وهو من كلامه عليه السلام حكاه السهيلي والله أعلم .

قصة الساطرون صاحب الحضرة

وقد ذكر قصته هاهنا عبد الملك بن هشام لاجل ما قاله بعض علماء النسب : إن النعمان بن المنذر الذى تقدم ذكره في ورود سيف بن ذى يزن عليه وسؤاله في مساعدته في رد ملك اليمن اليه إنه من سلالة الساطرون صاحب الحضرة وقد قدمنا عن ابن إسحاق أن النعمان بن المنذر من ذرية ربيعة بن نصر وأنه روى عن جبيرة بن مطعم أنه من أشلاء قيصر بن معد بن عدنان فهذه ثلاثة أقوال في نسبة فاستطرد ابن هشام في ذكر صاحب الحضرة . والحضرة حصن عظيم بناه هذا الملك وهو الساطرون على حافة الفرات وهو منيف مرتفع البناء ، واسع الرحبة والفناء ، دوره بقدر مدينة عظيمة وهو في غاية الاحكام والبهاء والحسن والسناء ، واليه يهيج ماحوله من الاقطار والارحاء . واسم الساطرون الصيبن ابن معاوية بن عبدة بن أكرم بن سليح بن حلوان بن الحفاف بن قضاة كذا نسبة ابن الكلبي . وقال غيره كان من الجرامنة وكان أحد ملوك الطوائف وكان يقدمهم إذا اجتمعوا لحرب عدو من غيرهم وكان حصنه بين دجلة والفرات .

قال ابن هشام : وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا الساطرون ملك الحضرة وقتل غير ابن هشام ؛ إنما الذى غزا صاحب الحضرة سابور بن أردشير بن بابك أول ملوك بني ساسان اذل ملوك الطوائف وزد الملك الى الأكتاف . وأما سابور ذو الأكتاف بن هرمز فبعد ذلك بدهر طويل والله

أعلم ذكره السهيلي .

قال ابن هشام : فخصه سنتين وقال غيره أربع سنين ، وذلك لأنه كان أغار على بلاد سابور في غيبته بارض العراق فاشرفت بنت الساطرون وكان اسمها النصيرة فنظرت الى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مكال بالبرجد والياقوت والؤلؤ وكان جميلا ، فندست اليه أتزوجني ان فتحت لك باب الحضرة . فقال : نعم ! فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر وكان لا يبيت الا سكران فانفذت مغانيح باب الحضرة من تحت رأسه وبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب ويقال بل دلتمهم على نهر يدخل منه الماء متسع فوجدوا منه الى الحضرة ، ويقال بل دلتمهم على طلسم كان في الحضرة وكان في علمهم أنه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء وتغضب رجلاها بمبيض جارية بكر زرقاء ثم ترسل فاذا وقعت على سور الحضرة سقط ذلك الطلسم فيفتح الباب ففعل ذلك فانفتح الباب ، فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح الحضرة وخر به وسار بها معه فتزوجها فيينا هي نائمة على فراشها ليلا إذ جعلت تملل لا تنام فدعا لها بالشمع ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس . فقال لها سابور أهدا الذي اسهرك ا قالت نعم ! قال فما كان أبوك يصنع بك قالت : كان يفرش لي الديباج ويلبسنى الحرير ويطمئنني المخ ويسقيني الخمر . قال : أفكان جزاءك ما صنعت به . أنت الى بذلك اسرع ، فربطت قرون رأسها بذهب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها ففيه يقول أعشى بن قيس بن نعبية :

ألم ترَ للحضرة إذ أهله ينسى وهل خالد من نيم^(١)
أقام به شاهبور الجنو دخولين تضرب فيه القدم
فلما دعا ربه دعوة أناب اليه فلم ينتقم
فهل زاده ربه قوة ومثل مجاوره لم يقم
وكان دعا قومه دعوة هلموا إلى أمركم قد ضمير
فوتوا كراماً بأسيا فكم أرى الموت بجيشه من چشم

وقال عدي بن زيد في ذلك :

والحضر صابت عليه داهية من فوقه أيدنا مناكبها
رؤية لم توق والداه لحينها إذ أضاع راقبها
اذ غبته صبياء صافية والخر وهل بهم شاربها
فأسلت أهلها بليتها نظرت أن الرئيس خاطبها

(١) كذا في سيرة ابن هشام والذي في مجمع البلدان وهل خالد من سلم اه

فكانَ حظَّ العروسِ اذْجَسَّرَا
 وخرَّبَ الحضْرَ واستيْحَ وقد
 وقال عدى بن زيد أيضا :

أينما الشامت المـيـر بالدم
 أم لديك المهد الوثيق من الأ
 من رأيت المنون خلدن أم
 اين كسرى كسرى الملوك أبو
 وبنو الاصفر الكرام ملوك
 واخو الحضرة اذ بانوا اذ دجا
 شاده سرسراً وجلاه كما
 لم يهسه ريب المنون فبا
 وتذكر رب الخورنق إذ
 سره ماله وكثرة ما به
 فارعوى قلبه وقال وما يغد
 ثم اضحوا كأنهم ورق ج
 ر أنت الميزه الموفور
 بلم بل أنت جاهل منور
 من ذا عليه من أن يضام خفير
 شروان أم أين قبسه سابور
 روم لم يبق منهم من ذكر
 ة تجي إليه والطبور
 سا فاطسير في ذراه وكور
 ن الملك عنه فبايه مهجور
 أشرف يوما والهدى تفكير
 بك والبحر معرضا والسدير
 طة حي الى الماتر يصير
 ف فألوت به الصبا والدبور

قلت : ورب الخورنق الذي ذكره في شعره رجل من الملوك المتقدمين وعظه بعض علماء زمانه في أمره الذي كان قد أسرف فيه وعنا وتمرد فيه واتبع نفسه هواها ولم يراقب فيها مولاها فوعظه بمن سلف قبله من الملوك والبول وكيف بادوا ولم يبق منهم أحد وأنه ما صار إليه عن غيره الا وهو متمثل عنه إلى من بعده ، فأخذته موعظته وبلغت منه كل مبلغ فارعوى لنفسه ، وفكر في يومه وأمه ، وخاف من ضيق رسمه . فتاب وأتوب وتزع عما كان فيه وترك الملك وليس ذى التقراء وساح في الفلوات وحظى بالفلوات وخرج عما كان الناس فيه من اتباع الشهوات وعصيان رب السموات وقد ذكر قصته مبسوطه الشيخ الامام موفق بن قدامة المقدسى رحمه الله في كتاب التوايين وكذلك أوردتها باسناد متين المافظ أبو القاسم السهيلي في كتاب الروض الأنف المرتب أحسن ترتيب وأوضح تبيين .

خبر ملوك الطوائف

وأما صاحب الحضرة وهو ساطرون فقد تقدم أنه كان مقدما على سائر ملوك الطوائف وكان من زمن اسكندر بن فليس المقدوني اليوناني وذلك لانه لما غلب على ملك الفرس دارا بن دارا وأذل

ملكته وخرّب بلاده واستباح بيضة قومه ونهب حواصله ومزق شمل الفرس شذّر منذ عزم أن لا يجمع لهم بسد ذلك شمل ولا يلتم لهم أسر فيجل يقر كل ملك على طائفة من الناس في أقليم من أقليم الأرض ما بين عربها وأعاجبها فاستمر كل ملك منهم يحسى حوزته ويحفظ حصته ويستمل محله فإذا ملك قام ولده من بعده أو أحد قومه فاستمر الأمر كذلك قريبا من خمسمائة سنة حتى كان ازدشير بن بابك من بني ساسان بن بهمن بن أسفنديار بن يشاسب بن لهراسب فأعاد ملكهم إلى ما كان عليه ورجعت الممالك برمتها إليه وأزال ممالك مملوك الطوائف ولم يبق منهم نكاد ولا طارف وكان تأخر عليه حصار صاحب الحضرة الذي كان أكبرهم وأشدهم وأعظمهم إذ كان رئيسهم ومدتهم فلما مات ازدشير تصدى له ولده سابور فحاصره حتى أخذه كما تقدم والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر نبى اسماعيل وما كان من الأمور التي هلت له إلى زمان البعثة

تقدم ذكر اسماعيل نفسه عليه السلام مع ذكر الأنبياء وكيف كان من أسره حين احتمله أبوه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مع أمه هاجر فاسكنها بوادى مكة بين جبال قارون حيث لا أئس به ولا حيس وكان اسماعيل رضيما ثم ذهب وتركها هنالك عن أمر الله له بذلك ليس عند أمه سوى جراب فيه تمر وكاه فيه ماء فلما نفذ ذلك أتبع الله لهاجر زمزم التي هي طعام طعم وشفاء سقم كما تقدم بيانه في حديث ابن عباس الطويل الذي رواه البخارى رحمه الله . ثم زلت جرم وم طائفة من العرب العاربة من أمم العرب الأقدمين عند هاجر بمكة على أن ليس لهم في الماء شئ إلا ما يشربون منه ويتنعمون به فلما أتت هاجر بهم وجعل الخليل عليه السلام يطالع أمرهم في كل حين يقال أنه كان يركب البراق من بلاد بيت المقدس في ذهابه وإيابه ثم لما تعرض الغلام وشب وبلغ مع أبيه السعى كانت قصة الذبح كما تقدم بيان أن الذبيح هو اسماعيل على الصحيح ثم لما كبر تزوج من جرم امرأة ثم فارقها وتزوج غيرها وتزوج بالسيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وجاءته بالبنين الاثني عشر كما تقدم ذكرهم وم : نابت وقيدر . ومنشا . ومسح . ومانى . ودما . وأفر . ويطور . ونيشى . وطبا . وقيدما ^(١) هكذا ذكره محمد

(١) كذا في الاصل احدى عشر . قال ابن جرير الطبري : وقد يتعلق باسماء أولاد اسماعيل بنير الالفاظ التي ذكرت عن ابن اسحاق وقد ضبطهم زميلنا الفاضل محب الدين افندي الخطيب في كتابه اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب بعد بحثه عن ذلك في مختلف المصادر هكذا .
نابت ، قيدار ، يَطُور ، تَبَا ، دُومَة ، مِسْمَع ، قَدِمْة ، أدبِ آيل ، نَغَيْس ، مَيْسَم ، الميسع ، حداد .

ابن اسحاق وغيره عن كتب أهل الكتاب وله ابنة واحدة اسمها نيسة وهي التي زوجها من ابن أخيه
البيصون بن اسحاق بن ابراهيم فولد له منها الروم وپارس والاشبان أيضا في أحد القولين .

ثم جميع عرب الحجاز على اختلاف قبائلهم يرجعون في أنسابهم الى ولديه نابت وقيدر ، وكان
الرئيس بفسده والقائم بالأمور الحاكم في مكة والناظر في أمر البيت وزمزم نابت بن اسماعيل وهو ابن
أخت الجرهميين ، ثم تقلبت جرم على البيت طعما في بني أختهم فحكوا بمكة وما والاها عرضا عن بني
اسماعيل مدة طويلة فكان أول من صار اليه أسر البيت بعد نابت مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب
ابن عيبر^(١) بن نبت بن جرم ، وجرم بن قحطان ويقال جرم بن يقطن بن عيبر بن شاذ بن ارغشذ
ابن سام بن نوح الجرهمي . وكان نزلوا باعلى مكة بقعيقمان وكان السميذع مسيد قطوراه نزلوا بقومه في
أسفل مكة وكل منهما يشر من سر به مجتازاً الى مكة . ثم وقع بين جرم وقطوراه فاقتلوا قتل
السميذع واستوثق الأمر لمضاض وهو الحاكم بمكة والبيت لا ينازعه في ذلك ولد اسماعيل مع كثيرهم
وشرفهم وانتارهم بمكة وبغيرها وذلك لخزولهم له ولعظمة البيت الحرام . ثم صار الملك بعده الى ابنه
الحارث ثم الى عمرو بن الحارث ثم بنت جرم بمكة واكثرت فيها الفساد وألحدوا بالجد الحرام حتى
ذكر أن رجلا منهم يقال له اساف بن بني وامرأة يقال لها نائلة بنت وائل اجتمعوا في الكعبة فكان
منه اليها الفاحشة فسخنها الله حجرين فنصبهما الناس قريبا من البيت ليعتبرا بهما فلما طال المطال
بعد ذلك بمدد عبدا من دون الله في زمن خزاعة كما سيأتي بيانه في موضعه . فكانا صنمين منصوبين يقال
لهما إساف ونائلة . فلما اكثر جرم البغي بالبلد الحرام تملأت عليهم خزاعة الذين كانوا نزلوا حول
الحرم وكاتوا من ذرية عمرو بن عامر الذي خرج من اليمن لاجل ما توقع من سيل العرم كما تقدم .
وقيل ان خزاعة من بني اسماعيل فآله أعلم .

والمقصود أنهم اجتمعوا لجرهم وآذوهم بالحرب واقتتلوا واعتزل بنو اسماعيل كلا الفريقين فنبذت
خزاعة وهم بنو بكر بن عبد مناة وغيشان واجلوم عن البيت فمد عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي
وهو سيدهم الى غزالي الكعبة وهما من ذهب وحجر الركن وهو الحجر الأسود والى سيوف عملاء واشياء
اخر فدفعها في زمزم وعلم زمزم واربعل بقومه فوجروا الى اليمن . وفي ذلك يقول عمرو بن الحارث
ابن مضاض :

وفائزٍ والدمع سكيت مبادو وقد شرقت بالدمع منها الحاجر
كأن لم يكن بين الحجون الى الضفا أنيس ولم يسر بمكة مسار
قتلت لها والقلب مني كأنما يلجججه بين الجناحين طائر

(١) وفي السهيلي : ابن هي في المكانيين .

على نحنُ كنا أهلها فأزانا
 وكنا ولاة البيت من بدنايت
 ونحن ولينا البيت من بدنايت
 ملكنا فعرزنا فأعظم بملكنا
 ألم تنكحوا من خيرٍ شخيرة على
 فإن تنقروا الدنيا علينا بما لها
 فأخرجنا منها المليك بقدره
 أقول إذا نلم انظلي ولم أتم
 وبذلك منها أو جهاً لا أجهبا
 وصرنا أحاديثاً وكنا ببطاسة
 فسخت دموع العين تبكي لبلدة
 وتبكي لبيت ليس يؤذى كمامه
 وفيه وحوش لا ترام أيسة

قال ابن اسحاق: وقال عمرو بن الحارث بن مضاها أيضاً يذكر نبي بكر وغيثان الذين خلفوا
 بدم بمكة:

يا أيها الناس سيروا إن قضاؤكم
 نحوا المظلي وأزخوا من أزمها
 كنا ألساً كما كنتم فخيرنا
 دهر فاقم كما صرنا قصيرونا

قال ابن هشام: هذا ما صح له منها وحدثني بعض أهل العلم بالشر أن هذه الأيات أول شعر
 قيل في العرب وأنها وجدت مكتوبة في حجر بلعمن ولم يسم قائلها وذكر السهيلي هذه الأيات أخوة
 وحكى عنها حكاية مسجبة واقتادات عربية. قال: وزاد أبو الوليد الأزرق في كتابه فضائل مكة
 على هذه الأيات المذكورة النسوبة إلى عمرو بن الحارث بن مضاها:

قد مال دهر طينا ثم أهلكتنا
 واستخبروا في صنيع الناس قبلكم
 يا بني فينا وبرز الناس نسونا
 كما استبان طريق حنده المونا
 كنا زماناً ملوك الناس قبلكم
 يسكروا في حرام الله مسرنا

قصة فزاعة وعمرو بن لحي وجماعة العرب لله صلح

قال ابن اسحاق : ثم أن غيشان من خزاعة وليت البيت دون بني بكر بن عبد مناة ، وكان الذي يليه منهم عمرو بن الحارث النبشاشي وقريش إذ ذاك حلول وصرم ويوقلت متفرقون في قومهم من بني كنانة . قالوا : وإنما سميت خزاعة خزاعة لأنهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام فزولوا بحر الظهر ان فأقاموا به . قال عون بن أيوب الأنصاري ثم الخزرجي في ذلك :

فلما هبطنا بطنَ مَرٍّ نخزعت خُزاعةٌ منا في حلولٍ كراكر
حمت كل وادٍ من تِهامةٍ واحتمت بضمِّ القنا والمرهقات البواتر

وقال أبو المطهر اسماعيل بن رافع الأنصاري الاوسي :

فلما هبطنا بطن مكة أحدثت خزاعةً دار الآكل المتحامل
فلقت أكاريسا وشتت قتالاً على كل حيٍّ بين نجد وساحل
فأجرها عن بطن مكة واحتبوا بزخاعي شديد الكواهل

فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كبراً عن كبر حتى كان آخرم حليل بن حبشية بن سلول ابن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي الذي تزوج قهي بن كلاب ابنته حتى فولدت له بيته الأربعة عبد الدار وعبد مناف وعبد الرزى وعبدا ، ثم صار أمر البيت اليه كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة . واستمرت خزاعة على ولاية البيت نحواً من ثلاثمائة سنة وقيل خمائة سنة والله أعلم . وكانوا سوس^(١) في ولايتهم وذلك لأن في زمانهم كان أول عبادة الأوثان بالحجاز وذلك بسبب رئيسهم عمرو بن لحي لعنه الله فانه أول من دعاهم إلى ذلك وكان ذا مل جزيل جداً . يقال : أنه قتا أربعين بعبراً وذلك عبارة عن أنه ملك عشرين ألف بصير وكان من عادة العرب أن من ملك ألف بعبراً عين واحد منها لانه يدفع بذلك العين عنها . ومن ذكر ذلك الأزرقي وذكر السهيلي : أنه ربما ذبح أيام الحجيج عشرة آلاف بدقة وكس عشرة آلاف حلة في كل سنة يطعم العرب ويمسح لهم الحيس بالسن والعل ويلت لهم السويق . قالوا : وكان قوله وفضله فيهم كالشرع المتبع لشرفه فيهم ومحلته عندهم وكرمه عليهم .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره

(١) كذا بالأصل ولعلها : وكانوا قوم سوء في ولايتهم .

فلما قدم مآب من أرض البلقاء وبها يومئذ المالبق وهم ولد عملاق ويقال ولد عمليق بن لاوذين سام ابن نوح رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نبديها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا. فقال: لم ألا تمطون منها صنما فليسير به إلى أرض العرب فيعبدونه. فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه

قال ابن اسحاق: ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني اسماعيل عليه السلام أنه كان لا يظن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد الاحل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، فحيث ما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه.

وفي الصحيح عن أبي رجاء العطاردي. قال: كنا في الجاهلية إذا لم نجد حجراً جمعنا خشية من التراب وجثنا بالشاء فخليناها عليه ثم طفنا بها.

قال ابن اسحاق: واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلالات وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم عليه السلام يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفات والمزدلفة وهدى البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه. فكانت كنانة وقريش إذا حلوا قالوا: لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك، الا شريكا هو لك، تملكه وما ملك. فيوحدهونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملسكها يده. يقول الله تعالى لمحمد (س): (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أي ما يوحدهونني لمرفة حتى الاجلوا معي شريكاً من خلقي.

وقد ذكر السهيلي وغيره: أن أول من لبي هذه التلبية عمرو بن لحي وأن الملبس تبسدى له في صورة شيخ فحمل يلقنه ذلك فيسمع منه ويقول كما يقول واتبعه العرب في ذلك.

وثبت في الصحيح أن رسول الله (س) كان إذا سمعهم يقولون لبيك لا شريك لك يقول: قد قداى حسب حسب. وقد قال البخاري ثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا يحيى بن آدم ثنا اسرائيل عن أبي حفص عن أبي هريرة عن النبي (س). قال: إن أول من سبب السوائب وعبد الاصنام، أبو خزاعة عمرو ابن عامر وإني رأيتهم يحجر امعاه في النار. تفرد به احمد من هذا الوجه. وهذا يقتضى أن عمرو بن لحي هو أبو خزاعة الذي تنسب اليه القبيلة بكاملها كما زعمه بعضهم من أهل النسب فيما حكاه ابن اسحاق وغيره ولو تركنا مجرد هذا المكان ظاهراً في ذلك بل كالنص ولكن قد جاء ما يخالفه من بعض الوجوه فقال البخاري وقال أبو ايمان: أخبرنا شيب عن الزهري. قال سمعت سعيد بن المسيب قال: البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يجلبها أحد من الناس - والسائبة - التي كانوا يسيبونها لآلهم لا يحمل عليها

شئ . قال وقال أبو هريرة . قال النبي (ص) : رأيت عمرو بن قاسم الخزاعي يجر قصبه في النار . كان أول من سيب السوائب . وهكذا رواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث صالح بن كبسان عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة به . ثم قال البخاري ورواه ابن الهادي عن الزهري قال الحاكم أراد البخاري رواه ابن الهادي عن عبد الوهاب بن بخت عن الزهري كذا قال .

وقد رواه احمد عن عمرو بن سلمة الخزاعي عن الليث بن سعد عن يزيد بن الهادي عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة سمعت رسول الله (ص) يقول : رأيت عمرو بن قاسم يجر قصبه في النار ، وكان أول من سيب السوائب وبجر البحيرة . ولم يذكر بينهما عبد الوهاب بن بخت كما قال الحاكم فلهذا أعلم . وقال أحمد أيضاً حدثنا عبد الرازق حدثنا معمر عن الزهري عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : رأيت عمرو بن قاسم الخزاعي يجر قصبه في النار ، وهو أول من سيب السوائب . وهذا منقطع من هذا الوجه . والصحيح الزهري عن سعيد عنه كما تقدم وقوله في هذا الحديث والذي قبله الخزاعي يدل على أنه ليس والد القبيلة بل منتسب اليها مع ما وقع في الرواية من قوله أبو خزاعة نصحيح من الراوي من آخر خزاعة أو أنه كان يكنى بأبي خزاعة ولا يكون ذلك من باب الاخبار بأنه أبو خزاعة كلهم والله أعلم وقال محمد بن اسحاق : حدثني محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول سمعت رسول الله (ص) يقول : لا لكم بن الجون الخزاعي يا أباكم رأيت عمرو بن لحي ابن قعدة بن خندف يجر قصبة في النار فمأ رأيت رجلاً أشبه برجل منك وبه لا يك منه . فقال أباكم : عسى أن يضرنى شبهه يا رسول الله قال : لا انك مؤمن وهو كافر ، انه كان أول من غير دين اسماعيل فنصب الأوثان وبجر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحى الحامى . ليس في الكتب من هذا الوجه وقد رواه ابن جرير عن هناد بن عبدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه أو مثله وليس في الكتب أيضاً . وقال البخاري حدثني محمد بن أبي يعقوب أبو عبد الله الكرماني حدثنا حسان بن ابراهيم حدثنا يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) : رأيت جهنم يحطلم بعضها بعضاً ورأيت عمراً يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب . تفرد به البخاري . وروى الطبراني من طريق صالح عن ابن عباس سرفوعاً في ذلك . والمقصود أن عمرو بن لحي لعنه الله كان قد ابتدع لهم أشياء في الدين غير بها دين انليل فاتبه العرب في ذلك فضلوا بذلك ضلالاً بعيداً بيتاً فظلياً شنيعاً وقد انكر الله تعالى عليهم في كتابه العزيز في غير ما آيه منه فقال تعالى : (ولا تقولوا لم تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) الآية . وقال تعالى : (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثروا لا يقولون) وقد تكلمنا على هذا كاه مبسوطاً وبيننا اختلاف السلف في تفسير ذلك فمن أراد فليأخذ

من ثم والله الحمد والمنة . وقال تعالى : (ويجعلون لنا لا يملكون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تقترون) . وقال تعالى : (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ما ما يحكميون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ليردوهم وليأيسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فضله قدرهم وما يقترنون) (وقالوا هذه أنعام وحرث، حبر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وإنما حرمت ظهورها وإنما لا يذكر اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون) . (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن مية فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم أنه حكيم عليه . قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) .

وقال البخارى فى صحيحه .

باب جهل العرب

حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قل إذا سرك أن تعلم جهل العرب فأقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) وقد ذكرنا تفسير هذه الآية وما كانوا ابتدعوه من الشرائع الباطلة الفاسدة التي ظنها كبيرهم عمرو بن لحي قبحة الله مصلحة ودرجة بالدواب والبهائم وهو كاذب مقتر في ذلك ومع هذا الجهل والضلال اتبعه هؤلاء الجبهة الطغام فيه بل قد تابوه فيما هو اطم من ذلك واعظم بكثير وهو عبادة الاوثان مع الله عز وجل وبدلوا ما كان الله يبعث به ابراهيم خليمه من الدين القويم والصراط المستقيم من توحيد عبادة الله وحده لا شريك له وتحريم الشرك وغيرهوا شعائر الحج ومعالم الدين بغير علم ولا برهان ولا دليل صحيح ولا ضعيف واتبعوا في ذلك من كان قبلهم من الأمم المشركين وشابهوا قوم نوح وكانوا أول من أشرك بالله وعبد الأصنام ولهذا بعث الله اليهم نوحاً وكان أول رسول بعث ينهى عن عبادة الأصنام كما تقدم بيانه في قصة نوح (وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودولاً سواعاً ولا يعوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً) الآية قال ابن عباس كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم فلما طال عليهم الأمد بدوهم وقد بينا كيفية ما كان من أمرهم في عبادتهم بما أغنى عن اعادته ههنا .

قال ابن اسحاق وغيره : ثم صارت هذه الأصنام في الرب بعد تبديلهم دين اسماعيل فكان ود لبي كلب بن مرة بن قنبل بن حلوان بن عمران بن الحلف بن قضاعة . وكان منصوباً بدومة الجندل

وكان سواع ابني هذيل بن الياس بن مدركة بن مضر . وكان منصوباً بمكان يقال له رهاط . وكان يفرث ابني أنعم من طي' ولأهل جرش من مذحج وكان منصوباً بجرش . وكان يعوق منصوباً بارض همدان من اليمن لبني خيوان بطن من همدان . وكان نسر منصوباً بارض حير لقبيلة يقال لهم ذوالكلاع .

قال ابن اسحاق : وكان لخلوان بارضهم صنم يقال له عم أنس يقسمون له من أضياعهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله فيما يزعمون فادخل في حق عم أنس من حق الله الذي قسموه له تركوه له ومادخل في حق الله من حق عم أنس ردوه عليه وفيهم أنزل الله (وجعلوا لله مما خرداً من الحرث والانعام نصيباً) قال : وكان لبني ملكان بن كذاعة بن خزيمه بن مدركة صنم يقال له سعد صخرة بعلامة من أرضهم طوية فاقبل رجل منهم بابل له مؤذبة ليقفها عليه الناس بركنه فيما يزعم فلما رأته الابل وكانت سرعية لا تركب وكان الصنم يهراق عليه الدماء ففرت منه فذهبت في كل وجه وغضب ربهها واخذ حجراً فرماه به ثم قال لا بلك الله فيك ففرت على ابي ثم خرج في طلبها فلما اجتمعت له قال :

أتينا الى سعد لم يجع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد الا صخرة يتنوقر من الأرض لا يدعولقي ولا رُشد

قال ابن اسحاق : وكان في دوس صنم لعمر بن حمدة الدوسي . قال وكانت قريش قد أخذت صنماً على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل وقد تقدم فيما ذكره ابن هشام انه أول صنم نصبه عمرو بن لحي لعنه الله .

قال ابن اسحاق : وأخذوا إسافاً وثلاثة على موضع زمزم ينحرون عندها ثم ذكر أنهما كانا رجلاً وامرأة فوقع عليهما في الكعبة فسخطهما الله حجرتين . ثم قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة أنها قالت سمعت عائشة تقول : ما زلنا نسمع أن إسافاً وثلاثة كانا رجلاً وامرأة من جرم أحدنا في الكعبة فسخطهما الله عز وجل حجرتين والله أعلم . وقد قيل إن الله لم يمهلهما حتى نجرا فيها بل مسخهما قبيل ذلك فعند ذلك نصبا عند الصفا والمروة فلما كان عمرو بن لحي قلبها فوضعهما على زمزم وطاف الناس بهما وفي ذلك يقول أبو طالب :

وحيث يُبيخ الأشعرون ركابهم بفضي السيول من أسافٍ وثائل

وقد ذكر الواقدي : أن رسول الله (ص) لما أمر بكسر ثلاثة يوم الفتح خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها وتدعو بالويل والثبور . وقد ذكر السهلي : أن أبا وسلى وهما جيلان بارض الحجاز اتما سميا بلسم رجل اسمه أجا بن عبد الحى فجر بلسمي بنت حام فصلبا في هذين الجبلين فصرفاهما قال : وكان بين أجا وسلى صنم لطي' يقال له قلس .

قال ابن اسحاق : وأخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يبدونه فلذا أراد الرجل منهم سفراً تمسح به

حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه الى سفره . واذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل ان يدخل على أهله . قال فلما بعث الله محمد اسـ . بالتوحيد قالت قريش (أجبَلْ الآلهة إلها واحداً ان هذا لشيء عجيب) .

قال ابن اسحاق : وقد كانت العرب أخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب ، وتهدى لها كما تهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتحرع عندها . وهي مع ذلك تعرف بفضل الكعبة عليها لأنها بناها ابراهيم الخليل عليه السلام وسببها . وكانت لقريش وبني كنانة الهزلي بدخلة وكانت سدنتها وحجابها بنو شيبان من سليم حلفاء بنو هاشم وقد خربها خالد بن الوليد : من الفتح كما سيأتي . قال . وكانت اللات للثقيف بالطائف وكانت سدنتها وحجابها بنو معتب من ثقيف وخربها اوسفيان والمنيرة بن شعبة مد مجي أهل الطائف كما سيأتي . قال : وكانت مناة لللاس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل المدينة على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد وقد خربها أبو سفيان أيضا وقيل على بن أبي طالب كما سيأتي . قال : وكان ذو الخلصة لدوس وخنم وبجيلة ومن كان يلاهم من العرب بقبالة وكان يقال له الكعبة البمانية ، وليت مكة الكعبة الشامية وقد خربه حرير بن عبد الله البجلي كما سيأتي قال . وكانت قلس لطي ومن يليها بجبلي طي بين اجا وسلي ، وهما جبلان مشهوران كما تقدم . قال : وكان رأم بينا لخير وأهل اليمن كما تقدم ذكره في قصة تبع أحد ملوك حمير وقصة الحبرين حين خرباه وقتلانه كلباً أسود . قال : وكانت رضاه بينا لبني ربيعة بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم ولها يقول المستوفر واسمه كعب بن ربيعة بن كعب :

ولقد شدت على رضاه شدةً ففركتها قفراً قباع اسحا

واعان عبد الله في مكروها ويمثل عبد الله أغشى الحرما

ويقال إن المستوفر هذا عاش ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة وكان أطول مضر كلها عمراً وهو الذي يقول :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئينا

مائة حطتها بعدها مائتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا

هل ما بقي الا كما قد فاتنا يوم بمرّ وليلة تعدونا

قال ابن هشام : وبروي هذه الآيات زهير بن جناب بن هبل . قال السهيلي : ومن المصيرين الذين جازوا المائتين والثلاثمائة زهير هذا وعبيد بن شرمة ودغفل بن حنظلة النسابة والربيع بن ضبع الفزاري وذو الأصبع المنوأي ونصر بن دهمان بن أشجع بن ريث بن غطفان : وكان قد أسود شعره بهد ايضاضه وتقوم ظهره بهد اعوجاجه . قال : وكان ذ الكعبات لبكر وتغلب بن وائل وأباد بسنداد وله يقول أغشى بن قيس بن ثعلبة :

بين الخورنق والسدير وبارق والبيت ذي الشرفات من سنداد
وأول هذه القصيدة :

ولقد علمت وأن تطاولَ بي المدى أن السيلَ سبيلَ ذي الأعراد
ماذا أوتملَ بصد آلم محرق تركوا منازلهم وبصد إيلاد
نزلوا بأقرم يسيل عليهم ماء الفرات يجي . من أطواد
أرض الخورنق والسدير وبارق والبيت ذي الكهبات من سنداد
جرت الرياح على محسّ ديارم فكأنما كانوا على ميعاد
وأرى النعم وكما يلهي به يوماً يصيرُ إلى يلى ويُعاد

قال السهيلي : الخورنق قصر بناء النعمان الأكبر لسابور ليكون ولده فيه عنده ، وبناء رجل يقال له سنار في عشرين سنة ولم يُر بناء أعجب منه فحشو النعمان أن يبني لغيره مثله فألقاه من أعلاه قتله ففي ذلك يقول الشاعر :

جزاني جزاء الله شرَّ جزائه جزاءَ سنارٍ وما كان ذا ذنب
سوى رصفه البنيانَ عشرين حجةً يمدّ عليه بالقراميد والسكب
فلا انتهى البنيانُ يوماً تمامه وأضرب كبل الطود والباذخ الصعب
رحى سنارٍ على حق رأسه وذلك لعمرك الله من أتميح الخطب

قال السهيلي : أنشده الملاحظ في كتاب الحيوان والسنار من أسماء القمر والمقصود أن هذه البيوت كلها هدمت . لما جاء الإسلام جهز رسول الله (ص) إلى كل بيت من هذه سرايا تجر به وإلى تلك الأصنام من كسرها حتى لم يبق للكعبة ما يضاهاها وعبد الله وحده لا شريك له كما سيأتي بيانه وتفصيله في مواضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

خبر عذرة بن هب عن ابن الجهم

لا خلاف أن عدنان من سلالة اسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام واختلفوا في عدة الآباء بينه وبين اسماعيل على أقوال كثيرة فأكثر ما قيل أربون أب وهو الموجود عند أهل الكتاب أخنوخ من كتاب رخصيا كاتب أرميا بن حلقيا على ما سنده كره وقيل بينهما ثلاثون وقيل عشرون وقيل خمسة عشر وقيل عشرة وقيل تسعة وقيل سبعة وقيل إن أقل ما قيل في ذلك أربعة لما رواه موسى بن يعقوب عن عبد الله بن وهب بن زمة الزمي عن عمته عن أم سلمة عن النبي (ص) أنه قال معد بن عدنان

ابن أدد بن زند بن البري بن اعراب النري . قالت : أم سلمة فزند هو الميسع والبري هو ثابت واعراب النري هو اسماعيل لأنه ابن ابراهيم و ابراهيم لم تأكله النار كما أن النار لا تأكل النري قال الدارقطني لا يعرف زنداً الا في هذا الحديث وزند بن الجون وهو أبو دلالة الشاعر

قال الحافظ أبو القاسم السهيلي وغيره من الأئمة : مدة ما بين عدنان إلى زمن اسماعيل أكثر من أن يكون بينهما أربعة آباء أو عشرة أو عشرون وذلك أن معد بن عدنان كان عمره زمن بخت نصر ثنتي عشرة سنة . وقد ذكر أبو جعفر الطبري وغيره أن الله تعالى أوحى في ذلك الزمان إلى أرميا بن حلقيا أن اذهب إلى بخت نصر فأعلمه أني قد سلطته على العرب وأمر الله أرميا أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كي لا تصيبه النعمة فيهم فإني مستخرج من صلبه نبياً كريماً أختم به الرسل فضل أرميا ذلك واحتل معداً على البراق إلى أرض الشام فنشأ مع بني اسرائيل ممن بقى منهم بعد خراب بيت المقدس وتزوج هناك امرأة اسمها مائة بنت جوشن من بني دب بن جرم قبل أن يرجع إلى بلاده ثم عاد بعد أن هدأت الفتن وتمحضت جزيرة العرب وكان رخصاً كاتب أرميا قد كتب نسبه في كتاب عنده ليكون في خزنة أرميا فيحفظ نسب معد كذلك والله أعلم . ولهذا كره مالك رحمه الله رفع النسب إلى ما بعد عدنان .

قال السهيلي : وإنما تكلمنا في رفع هذه الانساب على مذهب من يرى ذلك ولم يكرهه كباين اسحاق والبخاري والزيير بن بكار والطبري وغيرهم من العلماء ، وأما مالك رحمه الله فقد سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فذكره ذلك ، وقال له ، من أين له علم ذلك قبل له فإني اسماعيل فانكر ذلك أيضاً وقال ومن يخبره به وكره أيضاً أن يرفع في نسب الأنبياء مثل أن يقال ابراهيم بن ملان بن فلان هكذا ذكره المعيطي في كتابه .

قال : وقول مالك هذا نحو مما روى عن عروة بن الزبير أنه قال : وجدنا أحداً يعرف ما بين عدنان واسماعيل ، وعن ابن عباس أنه قال بين عدنان واسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون وروى عن ابن عباس أيضاً أنه كان إذا بلغ عدنان يقول كذب النسابة مرتين أو ثلاثاً والأصح عن ابن مسعود مثله . وقال عمر بن الخطاب إنما تنسب إلى عدنان ، وقال أبو عمر بن عبيد البر في كتابه الانباه في معرفة قبائل الرواه روى ابن لهيعة عن أبي الأسود أنه سمع عروة بن الزبير يقول ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء عدنان ولا ما وراء قحطان الا تحرصاً . وقال أبو لاسرد : سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وكان من أعلم قريش بأشعارهم وانسابهم يقول ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء . معد بن عدنان في شعر شاعر ولا علم عالم قال أبو عمر : وكان قوم من السلف منهم عبد الله بن مسعود وعمر بن ميمون الأزدي ومحمد بن كعب القرظي إذا تلاوا (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) قالوا كذب النسابة .

قال أبو عمر رحمه الله : والمقى عندنا في هذا غير ما ذهبوا والمراد أن من ادعى احصاء بني آدم فانهم لا يملهم الا الله الذي خلقهم وأما انساب العرب فان أهل العلم بأيامها وانسابها قد وعوا وحفظوا جواهرها وأمهات قبائلهم واختلفوا في بعض فروع ذلك .

قال أبو عمر : والذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان قالوا عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور ابن تيرح بن يرب بن يشجب بن ثابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام وهكذا ذكره محمد بن اسحاق بن يسار في السيرة .

قال ابن هشام : ويقال عدنان بن أد بنى عدنان بن أد بن أدد ثم ساق أبو عمر بقية النسب إلى آدم كما قدمناه في قصة الخليل عليه السلام . وأما الانساب إلى عدنان بن سائر قبائل العرب فمحفوطة شهيرة جداً لا يتأري فيها اثنان والذنب النبوي اليه أظهر وأوضح من فلق الصبح وقد ورد حديث مرفوع بالنص عليه كما سنورده في موضعه بعد الكلام على قبائل العرب وذكر انسابها وانتظامها في سلك النسب الشريف والأصل المنيف إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم . وما أحسن ما نظم النسب النبوي الامام أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي في قصيدته المشهورة المنسوبة اليه وهي قوله :

مدحت رسول الله أنبي بمدحه	وفور حظوظي من كريم المآرب
مدحت امرء آفاق ^(١) المدح موحداً	بأوصافه عن مبيدٍ ومقارب
نبياً تسامى في المشارق نوره	فلاحت هواده لأهل المغارب
أنتنا به الأنباء قبل مجيئه	وشاعت به الأخبار في كل جانب
وأصبحت الكمان تهتف باسمه	وتنفي به رجم الظنون الكواذب
وأفطت الأصنام فطقاً تبرأت	الى الله فيه من مقال الأكاذب
وقالت لأهل الكفر قولاً مبيتاً	أنا كم نبي من لؤي بن غالب
ورام استراق السمع جن فزيتت	مقاعدكم منها رجوم الكواكب
هدانا الى مالم نكن نهتدي له	لطول المعى من وانصاح المذاهب
وجاء بآيات تبين أنها	دلائل جبار مثير معاقب
فنها انتعاق البدر حين تمعت	شعوب الضمانه ررم الاخشاب
ومنها نبوع الماوي بين بنائه	وقد علم الوراد قرب المشارب
فروى به جماً غفيراً وأسهمت	باعناقير طوعاً أكت المذائب

(١) في نسخة الابناء المطبوعة : فات

وبئر طفت بلاء من من سهره
 وضرع امرأة فاستدّر ولم يكن
 وتُلقى فصبيح من ذراع مبينة
 وإخباره بالأمر من قبل كرهه
 ومن تلك الآيات وحي أني به
 تقامرت الافكار عنه فلم يطع
 حوى كل علم واحتوى كل حكمة
 أنا به لاعن روية مرتني
 يرانيه طوراً في إجابتي سائل
 وانين برهان وفرض شرائع
 وتصريف أعظالم وتثبيت حجة
 وفي مجمع النادي وفي حومة الوغي
 فيأتي على ماشئت من طرقاته
 يصدق منه البعض بعضاً كأنما
 وعجز الودي عن ان يجثوا بمثل ما
 تأتي بعبد الله أكرم والبر
 وشية ذي الحمد الذي فخرت به
 ومن كان يستسقى الغمام بوجهه
 وهاشم الباني مُشيد افتخاره
 وعبد مناف وهو علم قومه اش
 وإن قصياً من كريم غرابسه
 به جمع الله القبائل بعدما
 وحل كلاب من ذري المجر مقلداً
 وسرة لم يحلل سريرة عزمه
 وكعب علا عن طالب المجر كعبه
 وألوي لؤي بالعدة فطوعت
 وفي غالب بأس أني البأس دونهم

ومن قبل لم تسمح بمذقة شارب
 به ذرة تُصني الى كفت حالب
 لسيدر هدو للمداوة ناصب
 وعند بواديه بما في العواقب
 قريب المائي مستجم المجاب
 بليغاً ولم يختر على قلب خاطب
 وفات سرام المستمر الموارد
 ولا تصنف مثل ولا وصف كاتب
 وافتاء مستفت ووعظ مخاطب
 وقص أحاديثه ونص ما رب
 وتعرفني جحله وتوقيف كاذب
 وعند حدوث المعجزات الغرائب
 قويم المعاني مستدّر الضرائب
 يلاحظ معناه بعين المراقب
 وصفناه معلوم بطول التجارب
 تبلغ منه عن كريم المناسب
 قريش على أهل العلى والمناسب
 ويصغر عن آرائه في النوايب
 بقر المساعي وامتنان المواهب
 تطايط الأمانى واحتكام الرغائب
 لني منهل لم يبدن من كف قاصب
 تقسمها نهب الا كف السوالب
 تقاهر عنه كل دان وغائب
 سيفاه سفيه أو محبوب حائب
 فنال بأدى السمي أعلا المراتب
 له همم الشم الأنوف الأغالب
 يدافع عنهم كل قرن مغالب

وكانت لفهر في قريش خطابة
 وما زال منهم مالك خير مالك
 وللنصر طول يقصر الطرف دونه
 لعمرى لقد أبدى كنانة قبله
 ومن قبله أبقى خزيمه حقه
 ومدركة لم يدرك الناس مثله
 وإلياس كان اليأس منه مقارناً
 وفي مضر يستجمع الفخر كله
 وحل نزار من رياسة أهله
 وكان معدة عدو لوليه
 وما زال عدنان إذا عد فضل
 وأد تآدى الفضل منه بنايه
 وفي أددر حلم تزين بالهجا
 وما زال يستعلي هميسع بالي
 وبت بنته دوحة المر وآبى
 وجيزت لقيدار سباحة حاتم
 هموا نسل إسماعيل صادق وعده
 وكان خليل الله أكرم من عنت
 وقارح ما زالت له أريجية
 وناحور نمار البدى حفظت له
 وأشرع في الهيجا ضيف غابة
 وأدغو ناب في الحروب محكم
 وما فلتع في فضله تلو قومه
 وشالح وارخشذ وسام سميت بهم
 وما زال نوح عند ذي العرش فاضلاً
 وملك أبوه كان في الروع راثماً
 ومن قبله الملك لم يزل متوشكخ

يموذ بها عند اشتجار الخاطب
 وأكرم مصحوب وأكرم صاحب
 بحيث التقى ضرة النجوم الرواقب
 محاسن تآبى إن تطوع الغالب
 تليد تراش عن حميد الأقارب
 أعت وأعلى عن ذبي المكاسب
 لأعدائه قبل اعتداد الكتاب
 إذا اعتزكت يوماً حروف المقاتب
 محلاً تسمى عن عيون الرواقب
 إذا خاف من كيد العدو الحارب
 توخذ فيه عن قرين وصاحب
 وأرث حواه عن قروم اشايب
 إذا الحلم أزهاه قطوب الحواجب
 وينبع أمال البعير المراغب
 مفاقه في مشحور الأماضب
 وحكة لثمان وهمة حاجب
 فما بده في الفخر مسمى لذهاب
 له الأرض من ماش عليها وراكب
 تيقن منه عن حميد المضارب
 ما أثر لما يحبسها عد حساب
 بقدر الطلى بالرهفات القواضب
 ضنين على نفس المشح المقاتب
 ولا عابرين دونهم في الراتب
 سجايا حمهم كل زار وعاتب
 يمدده في المصطبين الاطايب
 جريثاً على غس الكمي المضارب
 يذود المدى بالذامدات الشواذب

وَسَدَّتْ لِأَدْرِيسَ النَّبِيِّ مَنَازِلَ
 وَبَارِدٌ بِحَجْرِهِ عِنْدَ آلِ سِرَاتِهِ
 وَكَانَتْ إِهْلَابِيْلَ فِهِمْ فُضَائِلُ
 وَفِيْنَا مَن قَبْلَهُ أَقْنَى بِحَيْدِ قَوْمِهِ
 وَكَانَ أَوْشٌ نَاشٌ لِّلْحَجْدِ نَفْسَهُ
 وَمَنَازِلُ شَتَّى بِالْفُضَائِلِ ذَا بِلَا
 وَكُلُّهُمْ مَن نُّورِ آدَمَ أَقْبَسُوا
 وَكَانَ رَسُوْلُ اللهِ أَكْرَمَ مَنْجَبٍ
 مَّقَابِلَهُ أَبَاؤُهُ أُمَّهَاتُهُ
 عَلَيْهِ سَلَامٌ اللهُ فِي كُلِّ شَارِقٍ
 اللهُ لَمْ تُهْرَنِ بِهِمَةَ رَاغِبٍ
 أَبِي الْخَزَائِمِ مُسْتَدَقُّ الْمَآرِبِ
 يَهْدِيهِ مَن فَاحِشَاتِ الْمَثَلِ
 بِعَادَةِ بَشَاوِ الْفَضْلِ وَخَدَّ الرَّكَائِبِ
 وَتَرْهَابِهَا عَنِ سُرِّيَّاتِ الْمَطَالِبِ
 شَرِيْفًا بَرِيْفًا مِّنْ ذَمِيمِ الْمَعَائِبِ
 وَعَنْ عَوْدِهِ أَجْتَوْنَا نَارَ الْمُنَاقِبِ
 جَرَى فِي ظُهُورِ الْعَلِيِّيْنَ الْمُنَاحِبِ
 مَبْرَأَةً مِّنْ فَاحِشَاتِ الْمَثَلِ
 الْأَخْ لَنَا ضَوْءًا وَفِي كُلِّ غَارِبِ

هكذا أورد القصيدة الشيخ أبو عمر بن عبد البر وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني في تهذيبه من شعر الاستاذ أبي العباس عبد الله بن محمد الناشي المعروف بابن شرسير أصله من الأندلس ورد بن داد ثم ارتحل الى مصر فأقام بها حتى مات سنة ثلاث وتسعين ومائتين وكان متكلما معتزليا يحكي عنه الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتابه المقالات فيما يحكي عن المعتزلة وكان شاعرا مطبقا حتى أن من جملة اقتداره على الشعر كان يما كس الشعراء في المعاني فينظم في مخالفتهم ويتكبر مالا يطيقونه من المعاني البديمة والالفاظ البليغة حتى نسبة بعضهم إلى التهمس والاختيلاط وذكر الخطيب البغدادي أن له قصيدة على قافية واحدة قريبا من أربعة آلاف بيت ذكرها الناجم وأرخ وفاته كما ذكرنا قلت: وهذه القصيدة تدل على فضيلته وبراعته وفصاحته وبلاغته وعلوه وفهمه وحفظه وحسن انطباعه وإطلاعه واضطلاعاه واقتداره على نظم هذا النسب الشريف في سلك شعره وغوصه على هذه المعاني التي هي جواهر نفيسة من قاموس بحره فرحه الله وأتابه وأحسن مصيره وإياه.

أصول القسب بحروب الحجاز إلى عمران

وذلك لأن عدنان ولد له ولدان معد وعك . قال السهيلي : واعدنان أيضا ابن اسمه الحارث وآخر يقال له المذهب . قال وقد ذكر أيضا في بنيه الضحاك . وقيل إن الضحاك ابن لمد لا ابن عدنان . قال وقيل إن عدنان الذي تعرف به مدينة عدن وكذلك أمين كانا ابنتين لعدنان حكاه الطبري فتزوج عك في الأشعريين وسكن في بلادهم من اليمن فصارت لتهم واحدة فزعم بعض أهل اليمن أنهم منهم فيقولون عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزدي بن يثوث ويقال عك بن عدنان بن الذيب بن عبد الله

ابن الاسد ويقال الريث بدل الذيب والصحيح ما ذكرنا من أنهم من عدنان . قال عباس بن مرداس

وعك بن عدنان الذين تلمبوا بستان حتى شردوا كل معارد

وأما مد فولده أربعة تزار وقضاة وقنص وإباد وكان قضاة بكرة وبه كان يكفي وقد قدنا

انحلاف في قضاة ولكن هذا هو الصحيح عند ابن اسحاق وغيره والله أعلم .

وأما قنص فيقال أنهم هلكوا ولم يبق لهم بقية إلا أن النعمان بن المنذر الذي كان نائبا لكسرى

على الحيرة كان من سلالة على قول طائفة من السلف وقيل بل كان من حمير كما تقدم والله أعلم .

وأما تزار فولده أربعة ومضر واثار قال ابن هشام وإباد بن تزار كما قال الشاعر :

وَقَتْرُ حُنِّ أَوْجِهِمْ مِنْ إِيَادِ بْنِ تَزَارِ بْنِ مَدِّ

قل وإباد ومضر شقيقان أمهما سودة بنت عك بن عدنان وأم ربيعة واثار شقيقة بنت عك بن

عدنان . ويقال جمعة بنت عك بن عدنان : قال ابن اسحاق فلما اثار فهو والد خشم وبجيلة قبيلة جرير

ابن عبدالله البجلي قل وقد تيامنت فلتحت باليمن . قل ابن هشام : وأهل اليمن يقولون اثار بن أراش

ابن لحيان بن عمرو بن النوف بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ قلت والحديث المتقدم في ذكر

سبأ يدل على هذا والله أعلم .

قالوا : وكان مضر أول من حدا وذلك لأنه كان حسن الصوت فسقط يوما عن بيرة فوثبت يده

فجعل يقول وإيدياه وإيدياه فاعتقت الابل لذلك . قل ابن اسحاق : فولد مضر بن تزار رجلين الياس

وعيلان وولد لالياس مدركة وطابخة وقمة وأمهم خندف بنت عمران بن الحالف بن قضاة . قال ابن

اسحاق وكان اسم مدركة عامراً واسم طابخة عمراً ولكن اصطاد صيداً فبيناهما يطبخانه إذ فرت

الابل فذهب عامر في طلبها حتى أدركها وجلس الآخر يطبخ فلما راحا على أيهما ذكرناه ذلك

فقال لعامر أنت مدركة وقال لعمرو أنت طابخة قال وأما قمة فيزعم نساب مضر ان خزاعة من ولد عمرو

ابن لحي بن قمة بن الياس قلت والظاهر أنه منهم لا والدم وأنهم من حمير كما تقدم والله أعلم .

قل ابن اسحاق : فولد مدركة خزيمة وهذيل وأمها امرأة من قضاة وولد خزيمة كنانة وأسدا

وأسدة والهون وزاد أبو جعفر الطبري ^(١) في أبناء كنانة على هؤلاء الأربعة عامراً والحارث والنضير

(١) قوله وزاد أبو جعفر الطبري الخ كذا بالأصول وهي عبارة مختلفة لألف التعبير بزاد يقتضي

أن هذا لمزيد ولد للمدركة وهو يتناقض قوله في أبناء كنانة واليك عبارة أبي جعفر الطبري اسم نضر

قيس وأمها برّة بنت سرّ بن أد بن طابخة وأخوته لأبيه وأمهم نضير ومالك وملسكان وعامر والحارث

وعمر وسمد وعوف وغنم ومخرمة وسبرول وغزوان وحدال وأخوهم من أبيهم هبد مناة وأمهم فكيمة

وقيل فكيمة وهي الإفراء بنت هقي بن لحي بن عمرو بن الحالف بن قضاة ولعله سقط من الناصح

وغنما وسعداً وعرفاً وجيرولاً والحدال وغزوان . قال وولد كنانة النضر ومالكا وعبد مائة ومالكان

قريش نسباً والسفاقاً وفضلهم بنو النضر بن كنانة

قال ابن اسحاق : وأم النضر برة بنت سمر بن أد بن طابخة وماتر بنيه لامرأة أخرى وخالفه ابن هشام فجعل برة بنت مرآم النضر ومالك ومالكان . وأم عبد مائة هالة بنت سويد بن القطريف من من أزد شنوءة . قال ابن هشام : النضر هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس قرشي . وقال ، ويقال فهر بن مالك هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس قرشي . وهذا القولان قد حكاهما غير واحد من أئمة النسب كالشيخ أبي عمر بن عبد البر والزيبر بن بكار ومصعب وغير واحد . قال أبو عبيد وابن عبد البر : والذي عليه الأكثر أن كثر من أن النضر بن كنانة لحديث الأسمد بن قيس قلت وهو الذي نص عليه هشام بن محمد بن السائب الكلابي وأبو عبيدة معمر بن المثنى وهو جادة مذهب الشافعي رضي الله عنه . ثم اختار أبو عمر أنه فهر بن مالك واحتج بأنه ليس أحد اليوم ممن ينتسب إلى قريش إلا وهو يرجع في نسبه إلى فهر بن مالك ثم حكى اختيار هذا القول عن الزبير بن بكار ومصعب الزبيرى وعلى بن كيسان قال واليه المرجع في هذا الشأن وقد قال الزبير بن بكار وقد أجمع نسب قريش وغيرهم أن قريشاً إنما تفرقت من فهر بن مالك والذي عليه من أدركت من نسب قريش أن ولد فهر بن مالك قرشي وان من جاوز فهر بن مالك بنسبه فليس من قريش ثم نصر هذا القول نصراً عزيزاً ونحاهم له بأنه ونحوه أعلم بالنسب قومهم وأحفظ ما أترجم وقد روى البخاري من حديث كليب بن وائل قال قلت لربيبة النبي (ص) : يعني زينب في حديث ذكره أنخريفي عن النبي (ص) : «أكان من مضر قالت فممن كان إلا من مضر من بني النضر بن كنانة . وقال الطبراني ثنا إبراهيم بن نائلة الاصبهاني حدثنا اسماعيل بن عمرو البجلي ثنا الحسن بن صالح عن أبيه عن الجشيش^(١) الكندي قال جاء قوم من كندة إلى رسول الله (ص) ، فقالوا أنت منا وادعوه فقال لا ، نحن بنو النضر بن كنانة لا قف أمنا ولا نتقي من أينا .

وقال الامام أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد ثنا أبي ثنا السكابي عن أبي صالح عن ابن عباس

ما حكاه ابن هشام في سيرته ونسبه قال ابن اسحاق فولد كنانة بن خزيمية أربعة نفر النضر بن كنانة ومالك بن كنانة وعبد مائة بن كنانة ومالكان بن كنانة اه وبه يظهر قوله وزاد أبو جعفر الخ ولعل قوله فيما بعد وولد كنانة الخ مؤخر من تقديم من الناسخ عن محمود الامام .

(١) كذا أورده هنا وفي أسد الغابة : ان ذلك غلط وإنما هو جشيش

قال جاء رجل من كندة يقال له الجيش الى النبي (ص)، فقال يا رسول الله إنا نزعهم ان عبد مناف منا فاعرض عنه ثم عاد فقال مثل ذلك ثم أعرض عنه ثم عاد فقال مثل ذلك فقال النبي (ص) نحن بنو النضر بن كنانة لا تفتأ منا ولا نتفتئ من أينا فقال الأشعث ألا كنت سبكت من المرة الاولى فابطل ذلك قولهم على لسان نبيه (ص)، وهذا غريب أيضا من هذا الوجه والسكابي ضعيف والله أعلم .

وقد قال الامام احمد حدثنا جهز وعفان قلا ثنا حماد بن سلمة . قال ثني عقيل بن أبي طلحة وقال عفان عقيل بن طلحة السلمي عن مسلم بن الهيصم عن الأشعث بن قيس أنه قال أتيت رسول الله (ص)، في وفد كندة . قال عفان لا يروني أفضلهم قال فقلت يا رسول الله إنا نزعهم أنكم منا قال فقال رسول الله (ص)، نحن بنو النضر بن كنانة لا تفتأ منا ولا نتفتئ من أينا . قال فقال الأشعث بن قيس فوالله لا أسمع أحداً نفي قريشاً من النضر بن كنانة إلا جلده الحد . وهكذا رواه ابن ماجه من طرق عن حماد ابن سلمة به وهذا إسناد جيد قوى وهو فيصّل في هذه المسألة فلا التفات الى قول من خالقه والله أعلم والله الحمد والمنة . وقد قال جرير بن عطية التميمي يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان :

فما الأمّ التي ولّدت قريشاً بمقرّة التجار ولا عقيم
وما قرّم بأنجب من أيكم ولا خال بأكرم من تميم

قال ابن هشام : يعنى أم النضر بن كنانة وهي برة بنت مرثد أخت تميم بن مر .
وأما اشتقاق قريش قبيل من القرش وهو التجمع بعد التفرق وذلك في زمن قصي بن كلاب فانهم كانوا متفرقين فجمعهم بالحرم كما سيأتي بيانه وقد قال حذافة بن غنم العدوي :

أبوكم قصي كان يدعى مجعاً به جمع الله القبائل من قريش
وقال بعضهم : كان قصي يقال له قريش قيل من التجمع والقرش التجمع كما قال أبو خديعة اليشكري :

اخوة قريشوا الذنوب علينا في حديث من دهرنا وقديم

وقيل سميت قريش من القرش وهو التكذب والتجارة حكاه ابن هشام رحمه الله . وقال الجوهري القرش السكب والجمع وقد قرش يقرش قال الفراء وبه سميت قريش وهي قبيلة وأبوم النضر بن كنانة فسئل من كان من ولده فهو قرشي دون ولد كنانة فما فرقه . وقيل من التفتيش قال هشام بن السكابي كان النضر بن كنانة تسمى قريشاً لأنه كان يقرش عن خلة الناس وحاجتهم فيسدها بماله والقرش هو التفتيش وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيردونهم بما يمانهم بلادم فسموا بذلك من فعلهم وقرشهم قريشاً وقد قال الحارث بن حلزة في بيان أن القرش التفتيش :

أيها الناطق المقرش عتاً عند عمرو فهنا له إبقاء

حكى ذلك الزبير بن بكار وقيل قريش تصغير قرش وهو دابة في البحر قال بعض الشعراء :

وقريش هي التي تسكن البحـ ربهـا سُميت قريش قريشا

قال البيهقي: أخبرنا أبو نصر بن تمامة أنا أبو الحسن علي بن عيسى المالفي حدثنا محمد بن الحسن بن الخليل النسوي أن أبا كريب حدثهم حدثنا وكيع بن الجراح عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي دكانة السامري أن معاوية قال لابن عباس فلم سميت قريش قريشاً؟ فقال لدابة تكون في البحر تكون أعظم دوابه فيقال لها القرش لا تمر بشيء من الفس والسمين إلا أكلته. قال فأثنتي في ذلك شيئاً فأثنته شعر الجمحي إذ يقول:

وقريش هي التي تسكن البحـ ربهـا سُميت قريش قريشا
تأكل الفس والسمين ولا تترك لذي الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حتى قريش يأكلون البلاد أكلًا كيشا
ولهم آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والخوشا

وقيل سموا بقريش بن الحارث بن يثمد بن النضر بن كنانة وكان دليل بني النضر وصاحب ميرتهم فيكانت العرب تقول قد جاءت عبر قريش قالوا وابن بدر بن قريش هو الذي حفر البئر المنسوبة اليه التي كانت عندها الوقعة العظمى يوم الفرقان يوم التقي الجمعان والله أعلم.

ويقال في النسبة إلى قريش قرشي وقريشي قال الجوهري وهو القياس. قال الشاعر:

لكل قريشي عليه مهابة سريـع إلى داعي النداء والتكرم

قال فإذا أردت بقريش الحى صرفته وإن أردت القبيلة منهته قال الشاعر في ترك الصرف:

* وكفى قريش المضلات وسادها (١) *

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي عمر والاوزاعي قول حدثني شداد أبو عمار حدثني واثلة ابن الاسقع قال قال رسول الله ص: « إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى هاشمًا من قريش واصطفاني من بني هاشم ». قال أبو عمر بن عبد البر يقال بنو عبد المطلب فصيلة رسول الله ص: وبنو هاشم نخذه وبنو عبد مناف بطنه وقريش عارته وبنو كنانة قبيلته ومضر شعبة صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

ثم قال ابن اسحاق: فولد النضر بن كنانة مالكاً ومعلداً قال ابن هشام والصلوات وأمههم جميعاً بنت سعد بن الظرب المدواني. قال كثير بن عبيد الرحمن وهو كثير عزة أحمد بن مليح بن عمرو من خزاعة:

(١) البيت لعدى بن الزقاع يمدح الوليد بن عبد الملك على ما في اللسان وأوله: غلب المساميح

الوليد ساحة عن محمود الامام.

أليس أبي بالصلت أم ليس إخوتي لكل هجان من بني النضر أزهرا
رأيت ثياب المصب مختلط التدي بنا وهم والحضرمي المحصرا
قال لم تكونوا من بني النضر فاركوا أرا كأ بأذنب الفواج أخضرا

قال ابن هشام : وبنو مليح بن عمرو يمزون إلى الصلت بن النضر .

قال ابن اسحاق : فولد مالك بن النضر فهر بن مالك وأمه جندلة بنت الحارث بن مضاير الاصغر
وولد فهر غلبا ومحاربا والحارث وأسدأ وأسمم ليلي بنت سعد بن هذيل بن مدركة .
قال ابن هشام : وأختهم لأبيهم جندلة بنت فهر . قال ابن اسحاق : فولد غالب بن فهر لؤي بن
علب وتيم بن غالب وهم الذين يقال لهم بنو الأدرم وأمهاسلى بنت عمرو الخزاعي . قال ابن هشام
وقيس بن غالب وأمه سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعي وهي أم لؤي قال ابن اسحاق فولد لؤي بن
غالب أربعة نثر كعبا وسامرا وسامة وعرفا . قال ابن هشام ويقال والحارث وهم جشم بن الحارث في
هزان من ربيعة ومسلم بن لؤي وهما بناتا في شيبان بن ثعلبة وبناتا حاضنة لهم وخزاعة بن لؤي وهم
عابذة في شيبان بن ثعلبة .

ثم ذكر ابن اسحاق خبر سامة بن لؤي وأنه خرج إلى عمان فكان بها وذلك لثباته كان بينه وبين
أخيه عامر فأخافه عامر فخرج عنه هاربا إلى عمان وأنه مات بها غريبا وذلك أنه كان برعي^(١) ناقته
فصلقت حبة بمشفرها فوقت لشقها ثم نهشت الحية سامة حتى قتله فيقال إنه كتب بأصبعه على الأرض :

عين فابكي لسامة بن لؤي علفت ما بسامة الملائكة
لا أرى مثل سامة بن لؤي يوم حلوا به قتيلاً لئانه
بلقا عامراً وكعباً رسولاً أن نفسي اليهما مشتاقه
إن تكن في عمان داري فاني غالباً خرجت من غير فاقه
زرب كأس هرقت يا ابن لؤي حذر الموت لم تكن مهراقه
رمت دفع الخوف يا ابن لؤي ما لمن رام ذلك بالحلف طاقه
وخروس المرى ركت ردياً بعد جسد وحده ورشاقه

قال ابن هشام : وبأنه أن بعض ولده أتى رسول الله (ص) فانتسب إلى سامة بن لؤي فقال له
رسول الله (ص) : « آلتا شعر فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردت قوله ؟ »

رب كأس هرقت يا ابن لؤي حذر الموت لم تكن مهراقه

(١) كذا بالأصول والقي في ابن اسحاق بينما هو يسير على ناقته إذ وضعت رأسها ترتع فاختذت
حبة بمشفرها فهرستها حتى وقتت الناقة

فقال أجل : وذكر السهيلي عن بعضهم أنه لم يعقب . وقال الزبير ولد أسامة بن لؤي غالبا والنبيت والحارث قالوا وكانت له ذرية بالعراق يبغضون عليا ومنهم علي بن الجعد كان يشتم أباه لكونه سماه عليا ومن بني سامة بن لؤي محمد بن عرعة بن يزيد شيخ البخاري .

وقال ابن اسحاق : وأما عوف بن لؤي فانه خرج فبا يزعمون في ركب من قريش حتى اذا كان بارض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان أبلي به فانطلق من كان معه من قومه فانه ثلمة بن سعد وهو أخوه في نسب بني ذبيان فحبسه وزوجه والتناطه وآخاه فشاع نسبه في ذبيان وثلمة فبا يزعمون .

قال ابن اسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين أن عمر بن الخطاب قال لو كنت مدعيًا حيا من العرب أو ملحقهم بنا لادعيت بني مرة بن عوف إنا لنعرف منهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع يعني عوف بن لؤي .

قال ابن اسحاق : وحدثنى من لا أتهم أن عمر بن الخطاب قال لرجال منهم من بني مرة إن شئتم أن ترجعوا الى نسبكم فارجعوا اليه . قال ابن اسحاق : وكان القوم أشرافا في غطفان هم ساداتهم وقادتهم قوم لهم صيت في غطفان وقيس كلها فاقاموا على نسبهم قالوا وكانوا يقولون اذا ذكر لهم نسبهم ما ننكره وما نبيحده وإنه لأحب النسب لينا ثم ذكر أشعارهم في اتهمهم الى لؤي قال ابن اسحاق : وفيهم كان البسل وهو تحريم ثمانية أشهر لهم من كل سنة من بين العرب وكانت العرب تعرف لهم ذلك ويأمنونهم فيها ويؤمنونهم أيضا قلت : وكانت ربيعة ومضر إنما يجرمون أربعة أشهر من السنة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم واختلفت ربيعة ومضر في الرابع وهو رجب فقالت : مضر هو الذي بين جمادى وشعبان وقالت ربيعة هو الذي بين شعبان وشوال وقد ثبت في الصحيحين عن أبي بكر أن رسول الله (ص) قال في خطبة حجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » فنص على ترجيح قول مضر لا ربيعة وقد قال الله عز وجل « إن عدة الشهور عند الله اثني عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » فهذا رد على بني عوف بن لؤي في جعلهم الأشهر الحرم ثمانية فزادوا على حكم الله وأدخلوا فيه ما ليس منه وقوله في الحديث ثلاث متواليات رد على أهل النسب الذين كانوا يؤخرون تحريم الحرم الى صفر . وقوله فيه ورجب مضر رد على ربيعة . قال ابن اسحاق : فولد كعب بن لؤي ثلاثة ، مرة ، وعديا ، وهصيصا وولد مرة ، ثلاثة أيضا كلاب بن مرة ، ونيم بن مرة ، ويقظة بن مرة من أمهات ثلاث . قال وولد كلاب رجلين قصي بن كلاب وزهرة بن كلاب وأمهما فاطمة بنت سعد بن سيل أحد الجدوة من نحيشة الأسد من اليمن حلفاء بني الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وفي أبيها يقول الشاعر :

ما نرى في الناس شخشا واحداً
 فارساً أضيظاً فيه عسرة
 فارساً يستدرج الخيل كما اسد
 تدرج الحر القطايح الحجل

قال السهيلي : سبل اسمه خير بن جمالة وهو أول من طلبت (١) له السيوف بالذهب والفضة .

قال ابن اسحاق : وانما سمو البلدرة لأن عامر بن عمرو بن خزيمه بن جشمة تزوج بنت الحارث بن
 مضاض الجرمي وكانت جرم إذ ذاك ولاية البيت فبنى للسكبة جداراً فسمى عامر بذلك الجادر قبيل
 لولده البلدرة لذلك .

غبر قهي بن كلاب وارتجاجة ولاية البيت القريش والشملة وبنو من فزاعة

وذلك أنه لما مات أبوه كلاب تزوج أمه ربيعة بن حرام من عذرة وخرج بها وبه الى بلاده ثم
 قدم قصي مكة وهو شاب فتزوج حبي ابنة رئيس خزاعة طليل بن حبشية (٢) . فلما خزاعة فزعم أن
 حليلاً أوصى الى قصي بولاية البيت لما رأى من كثرة نسله من ابنته وقال أنت أحق بذلك مني . قال

(١) عبارة السهيلي وهو أول من حلى السيوف الخ :

(٢) عبارة ابن اسحاق هكذا : فولدت له عبدالدار وعبد مناف وعبد العزى وعبدالمنا فزعم أن
 قصي وكثير ماله وعظم شرفه هلك حليل فرأى قصي أنه أولى بالسكبة وبأسر مكة من خزاعة وبني بكر
 وان قريشا قرعة اسماعيل بن ابراهيم وصريح ولده فسكرهم رجالات من قريش وبني كنانة ودعاهم الى
 اخراج خزاعة وبني بكر من مكة فأجابوه فلما أجابه قومه الى ما دعاهم اليه كتب الى أخيه من أمه رزاح
 ابن ربيعة يدعوه الى نصرته والقيام معه فخرج رزاح بن ربيعة ومعه أخوته حن بن ربيعة ومحمود بن ربيعة
 وجملة بن ربيعة وهم لغير أمه فاطمة فيمن تبعمهم من قضاة في حاج العرب وهم مجمعون لنصرة قصي
 وخبائة تزعم أن حليل بن حبشية أوصى بذلك قصيا وأسر به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر
 وقال أنت أولى بالسكبة وبالقيام عليها وبأسر مكة من خزاعة فعند ذلك طلب قصي ما طلب ولم نسمع
 ذلك من غيره فالله أعلم أي ذلك كان اه عبارة بن اسحاق وبها يتبين لك ما في عبارة ابن كثير من
 الخطأ

ابن اسحاق: ولم نسمع ذلك إلا منهم وأما غيرهم فلهم يزعمون أنه استغاث باخوته من أهل مكة وكان يثبهم
 رزاح بن ربيعة وأخوته وبني كنانة وقضاة ومن حول مكة من قريش وغيرهم فجللام عن البيت
 واستقل هو بولاية البيت لأن اجازة الحبيج كانت الى صوفة وهم بنو القوث بن مر بن أد بن طابخه بن
 الياس بن مضر فكان الناس لا يرمون الجار حتى يرموا ولا ينفرون من مفي حتى ينفروا فلم يزل كذلك
 فيهم حتى إقرضوا فودتهم ذلك بالله مدد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم فكان أولهم صفوان بن الحارث
 ابن شحنة بن عطار بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وكان ذلك في بيته حتى قام على
 آخرهم الاسلام وهو كرب بن صفوان. وكانت الاجازة من المزدلفة في عدوان حتى قام الاسلام على
 آخرهم وهو أبو سيارة عميلة بن الأعرل وقيل اسمه العاص واسم الأعرل خالد وكان يميز بالناس على
 أنان له عوداء مكث يدفع عليها في الموقف أربعين سنة وهو أول من جعل الدية مائة وأول من كان
 يقول أشرق ثبير كما تغير حكاة السهيلي.

وكان عامر بن الظرب العدواني لا يكون بين العرب نذرة الا تحاكوا اليه فيرضون بما يقضى به
 فتحاكوا اليه مرة في ميراث خني فبات ليلته ساهرا يتروى ماذا يحكم به فأرأته جارية له كانت ترعى
 عليه غنمه اسمها سخيلة فقالت له مالك لا ابل لك الليلة ساهراً فذكر لها ما هو مفكر فيه وقال لعلها يكون
 عندها في ذلك شيء قالت اتبع القضاء المبال قال فرجتها والله يا سخيلة وحكم بذلك.

قال السهيلي: وهذا الحكم من باب الاستدلال بالامارات والعلامات وله أصل في الشرع قال الله
 تعالى (وجاموا على قيصه بدم كذب) حيث لا أثر لانياب الذئب فيه وقال تعالى (إن كان قيصه قد
 من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قيصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين). وفي
 الحديث أنظروها فان جاءت به أورق جمداً جاليا فهو الذي رميت به. قال ابن اسحاق: وكان الذئبي
 في بني قميم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمية بن مدركة بن الياس بن
 مضر. قال ابن اسحاق: وكان أول من نسا الشهور على العرب القلمس وهو حذيفة بن عبد بن قميم
 ابن عدى ثم قام بعده ابنه عباد ثم قلع بن عباد ثم أمية بن قلع ثم عوف بن أمية ثم كان آخرهم أبو ثمامة
 جنادة بن عوف بن قلع بن عباد بن حذيفة وهو القلمس فعلى أبي ثمامة قام الاسلام وكانت العرب اذا
 فرغت من حجها اجتمعت اليه فخطبهم فحرم الأشهر الحرم فاذا أراد أن يمل منها شيئاً أحل الحرم وجعل
 مسكانه صفرا ليواطئوا عدة ما حرم الله فيقول: (اللهم إني أحلت أحد الصغرين الصفر الأول
 وأنات الآخر للام المقبل) فتبعه العرب في ذلك ففي ذلك يقول عمير بن قيس أحد بني فراس بن غنم
 ابن مالك بن كنانة ويعرف عمير بن قيس هذا بجدل الطمان:

قد علمت معدت أن قومي كرام الناس أن لهم كراما

فَلْيَ النَّاسِ قَتُونَا بَوْتِرٍ وَأَيُّ النَّاسِ لَمْ فَعَلِكْ لِحَامَا
أَلْسِنَا النَّاسِمِينَ عَلَى مَعْدٍ شَهْوَرِ الْجِلِّ نَجْمَلُهَا حَرَامَا

وكان قصي في قومه سيدا رئيسا مطاعا مفعلا والمقصود أنه جمع قريشا من متفرقات مواضعهم من جزيرة العرب واستعان بمن اطاعه من أحياء العرب على حرب خزاعة واجلالهم عن البيت وتسليمه الى قصي فكان بينهم قتال كثيرة ودماء غزيرة ثم تداعوا الى التصديك فتحا كوا الى يمر بن عوف بن كعب ابن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فخيم بان قصيا أولى بالبيت من خزاعة وان كل دم أصابه قصي من خزاعة وبنى بكر موضوع بشدخه تحت قدميه وأن ما أصابته خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة فيه الدية مؤداة وأن يخلى بين قصي وبين مكة والسكبة فسمى يمر يومئذ الشداخ . قال ابن اسحاق : فولى قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم الى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فلكوه الا أنه أقر العرب على ما كانوا عليه لانه يرى ذلك ديننا في نفسه لا ينبغي تغييره فأقر آل صفوان وعدوان والنساء وسرة بن عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الاسلام فهدم الله به ذلك كاه قال فكان قصي أول بنى كعب أصاب ملكا أطاع له به قومه وكانت اليه الحجابة والسقاية والرذاة والندوة واللواء فغاز شرف مكة كله وقطع مكة رباعا بين قومه فآتزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة .

قلت : فرجع الحق الى نصابه ، ورد شاردا العدل بسد إياه ، واستقرت قريش الدار ، وقضت من خزاعة المراد والاطوار ، وقسمت بينهم السبي القديم لكن بما أحدثت خزاعة من عبادة الاوثان ونصبها إياها حول السكبة ونحرم لها وقصرعهم عندها واستنصارهم بها وطلبهم الرزق منها وأنزل قصي قبائل قريش بأطاح مكة وأنزل طائفة منهم ظواهرها فكان يقال قريش البطاح وقريش الظواهر فكانت قصي بن كلاب جميع الرئاسة من حجابة البيت وساتته واللواء وبنى داراً لازاحة الظلمات وفصل الخصومات سبها دار الندوة اذا أعضلت قضية اجتمع الرؤساء من كل قبيلة فاشتوروا فيها وفصلوها ولا يمتد عقد لواء ولا عقد نكاح الا بها ولا تبلغ جارية أن تدرع قنودح الا بها وكان باب هذه الدار الى المسجد الحرام ثم صارت هذه الدار فيما بعد الى حكيم بن حزام بعد بنى عبد الدار فباعها في زمن معاوية بمائة ألف درهم فلامه على بيعها معاوية ، وقال بت شرف قومك بمائة ألف ؟ فقال انما الشرف اليوم بالثقوى والله لقد ابتنتها في الجاهلية بزق خروها أنا قد بنتها بمائة ألف وأشهدكم أن ثمنها صدقة في سبيل الله فأيتنا المقبون ذكره الدارقطني في أسباه رجال الموطن وكانت اليه سقاية الحجيج فلا يشربون الا من ماء حياضه وكانت زمزم إذ ذلك مطبوسة من زمن جرم قد تناسوا أمرها من تقدم عهدها ولا يهتدون الى موضعها قال الواقدي : وكان قصي أول من أحدث وقيد النار بالزذفة ليهتدى اليها من يأتي من عرفات . والرذاة وهي إطعام الحجيج أيام الموسم الى أن يخرجوا راجعين الى بلادهم .

قال ابن اسحاق : وذلك أن قصيا فرضه عليهم فقال لهم يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل مكة وأهل الحرم وأن الحجاج ضيف الله رزوار يشته وهم أحق بالضيافة فاجعلوا لهم طعاما وشربا أيام الحج حتى يصدروا عنكم ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك في كل عام من أموالهم خراجا فيسدنوه اليه فيصنعه طعاما للناس أيام منى فخرى ذلك من أمره في الجاهلية حتى قام الاسلام ثم جرى في الاسلام الى يومك هذا فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام منى للناس حتى ينقضى الحج .

قلت : ثم اقطع هذا بعد ابن اسحاق ثم أمر بالخراج طائفة من بيت المال فيصرف في حمل زاد وماء لأبناء السبيل القاصدين الى الحج وهذا صنيع حسن من وجوه بطول ذكرها ولكن الواجب أن يكون ذلك من خالص بيت المال من أحل ما فيه والاولى أن يكون من جوالي الذمة لانهم لا يجعون البيت العتيق وقد جاء في الحديث * من استمتع الحج فلم يبيع فليت إن شاء يهوديا أو نصرانيا .

وقال قائمهم في مدح قصي وشرفه في قومه :

قصي لعمرى كان يدعى بجمماً به جمع الله البنائل من زهر
هو أملاً الطحاة مجداً وسودداً وهم طردوا عنا عروة بني بكر

قال ابن اسحاق : ولما فرغ قصي من حربه انصرف أخوه رزاح بن ربيعة الى بلاده بمن معه

واخوته من أبيه الثلاثة وهم حن ومحمود وجملة . قال رزاح في اجابته قصيا :

ولما آف من قصي رسول
نمضنا اليه هود الجيا
فسير بها الليل حتى الصبا
فهن سراع كردد القطا
جمنا من السرمن اشمنين^(١)
فيا لك حلبة ما ليلة
فلما مررت على عسجر
وجاوزن بالمكن من ورقا
مردن على الحلي ما دفته
نُدني من العوذ أفلدها
فلما انتهينا الى مكة
فاورم قم حن السيو

(١) في السهلي : الاشمنان جبلان . ويقال اسم قبيلتين .

نخبزهم^(١) بعزلابير النسو رخبز القوي العزيز الدليل
 قتلنا خزاعة في دارها وبكرأ قتلنا وجيلاً بجيلاً
 فبيناهم من بلاد المديك كما لا يحلون أرضاً سهولا
 فاصبح سيدهم في الحديد يد ومن كل حي شقينا الغليلا

قال ابن إسحاق: فلما رجم رزاح الى بلاده نشره الله ونشر حنا، فها قبيلة عذرة الى اليوم.
 قال ابن اسحاق: وقال قصي بن كلاب في ذلك:

أنا ابن العاصم بن لؤي بمكة منزلي وبها ربيت
 الى البطحاء قد علمت مسد ومرورها رضى بها رضى
 فلتست لفسالب ان لم تأتل بها أولاد قيدر والنيت
 رزاح ناصري وبه أسامي فاست أخاف ضياً ما حيت

وقد ذكر الأُموي عن الأشرم عن أبي عبدة عن محمد بن حفص: أن رزاحاً انما قدم بعد ما تقي قصي.

خزاعة والله أعلم.

فَضْلُ الْعِلْمِ

ثم لما كبر قصي ففوز أمر هذه الوظائف التي كانت اليه من رئاسات قريش وشرفها من الرفاة
 والسقاية والحجابة واللواء والندوة الى ابنه عبد الدار وكان أكبر ولده. وانما خصصه بها كلها لأن بقية
 أخوته عبد مناف وعبد الشمس وعبد الدار قد شرفوا في زمن أبيهم وبلغوا في قوتهم شرفاً كبيراً فأحب
 قصي أن يلحق بهم عبد الدار في السؤدد فخصصه بذلك فكان أخوته لا ينازعونه في ذلك فلما اقرضوا
 تشاجر أبناؤهم في ذلك وقالوا انما خصص قصي عبد الدار بذلك لياحقه باخوته فنحن نستحق ما كان
 آباؤنا يستحقونه وقال بنو عبد الدار هذا أمر جعله لنا قصي فنحن أحق به واختلفوا اختلافاً كثيراً
 وانقسمت بطون قريش فرقتين فرقة بايعة عبد الدار وحالهم وفرقة بايعة بنو عبد مناف وحالهم
 على ذلك ووضعوا أيديهم عند الحلف في جفنة فيها طيب ثم لما قلدوا من حوا أيديهم باركان الكعبة فسما
 حلف المطيبين. وكان منهم من قبائل قريش بنو أسد بن عبدالمزى بن قصي وبنو زهرة وبنو نيم وبنو
 الحارث بن فهر وكان مع بنو عبد الدار بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جحج وبنو عمى واعتزلت بنو عامر
 ابن لؤي ومحارب بن فهر الجميع فلم يكونوا مع واحد منها ثم اصطالحوا وانفقوا على أن تكون الرفاة
 والسقاية لبني عبد مناف وان تستقر الحجابة واللواء والندوة في بني عبد الدار فانهم الأمر على
 ذلك واستمر.

(١) قوله نخبزهم. قال السهيلي: أي نسوقهم سوقاً شديداً.

وحكى الاموى عن الاشرم عن ابي عبيدة قال: وزعم قوم من خزاعة أن قصيا لما تزوج حبي بنت حليل وقل حليل عن ولاية البيت جعلها الى ابنته حبي واستناب عنها ابا غبشان سليم بن عمرو بن لؤى ابن ملكان بن قصي بن عارة بن عمرو بن عامر فاشترى قصي ولاية البيت منه بزق خمر وقمود فكان يقال (أخسر من صفة ابي غبشان) ولما رأته خزاعة ذلك اشتدوا على قصي فاستنصر أخاه قديم بن معه وكان ما كان ثم فوض قصي هذه الجهات التي كانت اليه من السداة والحجابة واللواء والتسودة والزفدة والسقاية الى ابنه عبد الدار كما سيأتي تفصيله وايضاحه وافر الاجازة من مزدلفة في نبي عدوان وافر النسب في قديم وافر الاجازة وهو التفرغ في صوفة كما تقدم بيان ذلك كله مما كان بأيديهم قبل ذلك.

قال ابن اسحاق: فولد قصي أربعة نفر وامرأتين عبد مناف وعبد الدار وعبد المزي وعبدنا ونخصر وبرة، وأمه كلهم حبي بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي وهو آخر من ولي البيت من خزاعة ومن يده أخذ البيت قصي بن كلاب. قال ابن هشام: فولد عبد مناف بن قصي أربعة نفر هاشماً وعبد شمس والمطلب وأمه عاتكة بنت مرة بن هلال ونوفل بن عبد مناف وأمه واقدة بنت عمرو المازنية. قال ابن هشام: وولد لعبد مناف أيضاً أبو عمرو وتماضر وقلابة وحية وربطة وأم الاختم وأم سفيان. قال ابن هشام: وولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة عبد المطلب واسدأ وأبا صيفي وفضلة والشعفا وخالدة وضميمة ورقية وحية فأم عبد المطلب ورقية سلمى بنت عمرو بن زيد بن لييد بن خدش ابن عامر بن غنم بن عدى بن النجار من المدينة وذكر أمهات الباقيين قال وولد عبد المطلب عشرة نفر وست نسوة وهم العباس وحجرة وعبد الله وأبو طالب واسمه عبد مناف لاعران والزيير والحارث وكان بكر أبيه وبه كان يكنى وجعل ومنهم من يقول جعل وكان يلقب بالتيقن لكثرته خيره والمقوم وضرار وأبو لب واسمه عبد المزي وصفية وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأميمة وأروى وبرة وذكر أمهاتهم الى أن قال وأم عبد الله وأبي طالب والزيير وجميع النساء الاصفية فاطمة بنت عمرو بن عاتذ بن عمران ابن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان قال فولد عبد الله محمداً رسول الله (س) سيد ولد آدم وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ثم ذكر أمهاتها فافترق للمعان قال فهو أشرف ولد آدم حسياً وفضلهم نسباً من قبل أبيه وأمه صلوات الله وسلامه عليه دائماً الى يوم الدين. وقد تقدم حديث الازاعي عن شداد أبي عمار عن واظلة بن الاسقع قال قال رسول الله (س) إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى هاشماً من قريش واصطفى من بني هاشم رواه مسلم وسيأتي بيان مولده الكريم وما ورد فيه من الاخبار والآثار وستورد عند

سرد النسب الشريف فوائد اخر ليست هاهنا ان شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان .

ذكر محمد بن الحسن بن الحسين بن علي

قد قدم ما كان من أخذ جرم ولاية البيت من بني اساعيل طمغوا فيهم لأنهم أبناء بناتهم وما كان من توبخ خزاعة على جرم وانقراضهم ولاية البيت منهم ثم ما كان من رجوع ذلك الى قصي وبنيه واستمرار ذلك في أيديهم إلى أن بث الله رسوله (س)، فاقر تلك الوظائف على ما كانت عليه.

ذكر جماعة مشهورين في آل البيت

خير خالد بن سنان العبسي الذي كان في زمن الفترة وقد زعم بعضهم أنه كان كان نبياً والله أعلم قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن زهير التستري حدثنا يحيى بن المعلى بن منصور الرازي حدثنا محمد بن الصلت حدثنا قيس بن الربيع عن سالم الأقطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: قال: جاءت بنت خالد بن سنان إلى النبي (ص)، فيسقط لها ثوبه وقال بنت نبي ضيعة قومه . وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار عن يحيى بن المعلى بن منصور عن محمد بن الصلت عن قيس بن سالم عن سعيد بن ابن عباس. قال ذكر خالد بن سنان عند رسول الله (ص)، فقال ذاك نبي ضيعة قومه . ثم قال ولا فرق له مرفوعاً إلا من هذا الوجه وكان قيس بن الربيع ثقة في نفسه إلا أنه كان رديء الحفظ وكان له ابن يدخل في أحاديثه ما ليس منها والله أعلم .

قال البزار: وقد رواه الثوري عن سالم الأقطس عن سعيد بن جبير مرسلًا وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا المعلى بن مهدي الموصلي قال حدثنا أبو عرواة عن أبي يونس عن عكرمة بن ابن عباس أن رجلاً من عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه: إني أظن عتكم نار الحرتين فقال له رجل من قومه (١) والله يا خالد ما قلت لنا قط الاحقا فسا شألك وشأن نار الحرتين ترعهم أنك تطفئها فخرج خالد ومعه أناس من (٢) قومه فيهم عمارة بن زياد فأثروها فاذا هي تخرج من شق جبل فخط لم خالد خطة فأجلسهم فيها فقال إن أبناك عليكم فلا تدعوني باسمي فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضاً فاستقبلها خالد فجلس يضربها بمصاه وهو يقول: بدا بدا بدا كل هدى زعم ابن ربيعة المزني أي لا أخرج منها وثيابي يمدى حتى دخل معها الشق فأبطأ عليهم فقال لهم عمارة بن زياد والله إن صاحبكم لو كان حياً لقد خرج اليكم بعد قالوا فدعوه باسمه . قال قالوا إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه فدعوه باسمه فخرج وهو أخذ برأسه فقال ألم أنتم أن تدعوني باسمي قد والله تفتنوني فادفوني فإذا سرت بكم الحمر فيها حمار أبتر فأبشوني فانكم تبيدونني حياً فدفنوه ففرت بهم الحمر فيها حمار أبتر فقلنا أبشوه فانه أمرنا

(١) هو عمارة بن زياد كما صرح به الحاكم في المستدرک اهـ (٢) عندهم ثلاثون .

أن تنبئهم فقال لهم عارة لا تنبشوه لا والله لا يتحدث مضر أنا تنبش موتانا وقد كان قال لهم خالد إن في عكن امرأته لوحين فإن أشكل عليكم أمر فانظروا فيها فانكم ستجدون ما تسألون عنه قال ولا يسهما حائض فلما رجعا إلى امرأته سألوها عنهما فاخرجتهما إليهم وهي حائض فذهب ما كان فيهما من علم .

قال أبو يونس : قال سفيان بن حرب سئل عن النبي (ص) ، فقال : ذلك نبي اضاعه قومه قال : أبو يونس : قال سفيان بن حرب إن ابن خالد بن منان أتى النبي (ص) ، فقال : مرحباً بابن أخي فهذا السياق موقوف على ابن عباس وليس فيه أنه كان نبياً والمرسلات التي فيها أنه نبي لا يجتج بها هاهنا والأشبه أنه كان رجلاً صالحاً له أحوال وكرامات فانه إن كان في زمن الفترة فقد ثبت في صحيح البخاري عن رسول الله (ص) ، أنه قال : إن أولى الناس ببيسى بن سرهم أنا لأنه ليس ببني وبينه نبي . وإن كان قبلها فلا يمكن أن يكون نبياً لأن الله تعالى قال (لتندر قوما ما أنتم من نذير من قبلك) وقد قال غير واحد من العلماء إن الله تعالى لم يبعث بمدا سماعيل نبياً في العرب إلا محمداً (ص) ، فخاتم الأنبياء الذي دعا به إبراهيم الخليل بابي الكعبة المكرمة التي جعلها الله قبلة لاهل الارض شرعاً وبشرت به الانبياء لقومهم حتى كان آخر من بشر به عيسى بن سرهم عليه السلام وبهذا المسلك بيئته يرد ما ذكره السهيلي وغيره من إرسال نبي من العرب يقال له شبيب بن ذئب مهذب بن شبيب بن صفوان صاحب مدين وبعث الى العرب أيضاً حنظلة بن صفوان فكذبوها فسلط الله على العرب بخت نصر فقال منهم من القتل والسبي نحو ما نال من بني إسرائيل وذلك في زمن معد بن عدنان والظاهر أن هؤلاء كانوا قوماً صالحين يدعون إلى الخير والله أعلم . وقد تقدم ذكر عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف في أخبار خزاعة بعد جرم .

حاتم الطائي أمير الجاهلية

وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدى بن أحزم بن أبي أحزم^(١) واسمه هرمة بن ربيعة بن جرول بن نعل بن عمرو بن العوث بن طيء . أبو سقانة الطائي والد عدى بن حاتم الصحابي كان جواداً مدحياً في الجاهلية وكذلك كان ابنه في الاسلام وكانت لحاتم ما ترو وأمر عجيبة واختبار مستغربة في كرمه يطول ذكرها ولكن لم يكن يقصد بها وجه الله والدار الآخرة وإنما كان يقصد السمعة والذكر قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا عبيد بن واقد القيسي حدثنا أبو نصر هو الناجي عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال ذكر حاتم عند النبي (ص) ، قال ذلك أراد أمراً فأدركه (حديث غريب) قال الدارقطني فترد به عبيد بن واقد عن أبي نصر الناجي ويقال إن اسمه حاد قال ابن عساکر : وقد فرق أبو أحمد الحاكم بين أبي نصر الناجي وبين أبي نصر حاد ولم يسم الناجي

(١) كذا بالأصول وبلوغ الأرب للأوسمي .

ورقع في بعض روايات الحفاظ ابن عساكر عن أبي نصر شيبة الناجي والله أعلم
وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن اسماعيل حدثنا سفيان عن سماك بن حرب عن مزي بن قطري
عن عدى بن حاتم قال قلت لرسول الله (ص): ان أبي كان يصل الرحم ويفعل ويفعل فهل له في
ذلك يمتنى من أجر قال ان أباك طلب شيئا فاصابه . وهكذا رواه أبو يعلى عن القواريري عن غندر عن
شعبة عن سماك به . وقال : ان أباك أراد أمراً فادركه معنى الذكر وهكذا رواه أبو القاسم البغوي عن علي بن
الجمد عن شعبة به سواء . وقد ثبت في الصحيح في الثلاثة الذين تسرب بهم جهنم منهم الرجل الذي يتفق
ليقال إنه كريم فيكون جزاؤه أن يقال ذلك في الدنيا وكذا في العالم والمجاهد وفي الحديث الآخر في
الصحيح أنهم سألوا رسول الله (ص) عن عبد الله بن جلعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة
فقالوا له كان يقرى الضيف ويستق ويمصدق فهل ينفعه ذلك فقال انه لم يقل يوماً من الدهر رب اغفر لي
خطيئتي يوم الدين هذا وقد كان من الاجواد المشهورين ايضاً المطعمين في السنين المحلة والاوقات
المرملة . وقال الحفاظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحفاظ حدثني أبو بكر محمد بن عبد الله بن يوسف الهادي
حدثنا أبو سعيد عبيد بن كثير بن عبد الواحد الكوفي حدثنا ضرار بن سرد حدثنا عاصم بن حميد عن
أبي حمزة الثمالي عن عبد الرحمن بن جندب عن كميل بن زياد النخعي قال قال علي بن أبي طالب: يا سبحان
الله ما أزهده كثيراً من الناس في خير عجباً لرجل يحميه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً
ولو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً لكان ينبغي له أن يتنازع في مكارم الاخلاق قائماً قدام علي سبيل
النجاح . فقام اليه رجل وقال: فذاك أنبرأى بأمر المؤمنين أممته من رسول الله (ص) . قال نعم! وما هو
خبر منه لما أتى بسبايا طيء . وقمت جارية حراء لعساء زلفاء عطاء شاة الأنف مستدلة القائمة والهامة
درماه الكمين خذيلة الساقين لغاه الفخذين خميسة الخصرين ضامرة السكشجين مصقولة المتنين . قال
فلما رأيتها أعجبت بها وقلت لأطبلن الى رسول الله (ص) . فيجعلها في فيثي فلما تسكمت أنسيت . جمالها
لما رأيت من فصاحتها فقالت يا محمد ان رأيت أن تحلى عني ولا تشمت بي أحياء العرب فاني ابنة سيد
قومي وان أبي كان يحمي النمار ويملك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويقرى الضيف ويعطى الطعام
ويشفي السلام ولم يرد طالب حاجة قط وأنا ابنة حاتم طيء . فقال النبي (ص): يا جارية هذه صفة المؤمنين
حقاً لو كان أبوك مؤمناً لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباهما كان يحب مكارم الاخلاق والله تعالى يحب مكارم
الاخلاق . فقام أبو بردة بن ينار فقال يا رسول الله ، والله يحب مكارم الاخلاق؟ فقال رسول الله (ص) .
والذي فسي بيده لا يدخل الجنة أحد إلا يحسن الخلق .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني عمر بن بكر عن أبي عبد الرحمن الطائي - هو القاسم بن عدى -
عن عثمان بن عركي بن حليس الطائي عن أبيه عن جده وكان أخا عدى بن حاتم لأمه قال قيل لنوار امرأة

حاتم حدثنا عن حاتم قالت كل أمره كان عجباً أصابتنا سنة تحصت كل شئ فاقشرت لما الارض واغيرت لها السماء وضنت المراضع على أولادها وراحت الايل حدا حدا بير ماتبض بقطرة وحلقت المال وانالني ليلة سنبر بيده ماين الطرفين إذ تضاعى الأصيبة من الجوع فبدا لله وعدى وسفاعة فوالله إن وجدنا شيئاً نطلبهم به فقام الى أحد الصبيان لحمله وقت الى الصبية فطلبها فوالله إن سكتنا الا بعد هدأة من الليل ثم عدنا الى الصبي الآخر فطلبناه حتى سكت وما كاد ثم افترشنا قطعة لنا شامية ذات خل فاضبعنا الصبيان عابها ونمت أنا وهزفي حجره والصبيان بيننا ثم اقبل على يملأ لأنم وعرفت ما يريد فتناومت فقال مالك أنمت فسكت فقال ماأراها إلا قد نمت وما بي نوم فلما أدلم الليل وتهورت النجوم وهدأت الأصوات وسكنت الرجل إذ جانب البيت قد رفع فقال من هذا؟ فولي حتى قلت إذا قد اسحرنا أو كدنا عاد فقال من هذا؟ قالت جارتك فلاة يا أبا عدى ما وجدت على أحد مولاً غيرك أتيتك من عند اصيبة يتاورون عواء الذئاب من الجوع قال أمجليم على قالت النور فوثبت قلت ماذا صنعت اضطجع والله لقد تضاعى اصيبتك فاوجدت ما تطلبهم فكيف بهذه وبولدها فقال أسكتي فوالله لأشمتك ان شاء الله قالت فاقبلت تحمل اثنين وتمشي جنبتيها أربعة كأنها فامة حوطها رملها فقام الى فرسه فوجأ بجرته في لفته ثم قدح زنده وأوردى ناره ثم جاء بمدية فكشط عن جلده ثم دفع المدية الى المرأة ثم قال دونك ثم قال ابني صبياتك فيمنهم ثم قال سرورة أبا كاون شيئاً دون أهل الصرم فقبل يعلوف فيهم حتى هبوا واقبلوا عليه والتفع في ثوبه ثم اضطجع فاجية ينظر لنا والله مذاق مزعة وانه لاحوجهم اليه فاصبحنا وما على الارض منه الا اعظم وحافر .

وقال الدار قطني : حدثني القاضي أبو عبد الله المحاملي حدثنا عبد الله بن أبي سعد وحدثنا هشام بن ثوبة بن حاتم الطائي عن أبيه عن جده قال قالت امرأة حاتم لحاتم يا أبا سفانة اشتهي ان آكل أنا وانت طعاماً وحدنا ليس عليه أحد فامرها فحوت خيمتها من الجماعة على فرسخ وأمر بالعلم فبهي وهي سرخاة ستورها عليه وعلها فلما قارب نضج الطعام كشف عن رأسه ثم قال :

فلا تطبخي قدي وسترك دونها علي انث ما تطبخين حرام
ولسكن بهذاك اليعاقم قودي بيجزل إذا أو قنت لا بصرام

قال ثم كشف الستور وقدم الطعام ودعى الناس فاكلوا وقال ما اتممت لي ماقلت فاجابها فلي لا تطاوعني نفسي ونمسي أكرم على من أن ينس على هذا وقد سبق لي السخاء ثم أنشأ يقول :

أمارس نفسي البخل حتى أعزها . واركض نفس الجود ما أستثيرها
ولا تشتكي جاري غير أنها إذا غاب عنها بلها لا أزورها
سيلقها خيري ويرجع بلها إليها ولم تقصر عليها ستورها

ومن شعر حاتم:

إذا مابت اشرب فوق ربي
أفصح جارتي وأخون جاري

أسكرني الشراب فلا رويت
لبيخني الظلام فلا خيت
فلا والله أفضل ما حيت

ومن شعره أيضاً:

ماضراً جاراً لي أجاوره
أغضي إذا ما جارني برزت

أن لا يكون لباهر ستر
حتى يوارني جارني الجندر

ومن شعر حاتم أيضاً:

وما من شيعتي شم ابن عمي
وكلمة حاسد من غير جرم
وعابها علي فلم يقيني
وذني وجهين يلتقي طلقاً
ظفرت ببيته فكفنت عنه

وما أنا تخلفت من برنيبي
سمت وقلت مري فاقندي
دلم يمرق لما يوما جيني
وليس إذا تقيب يأتيني
محافظة على حسبي وديني

ومن شعره:

سلي البائس المروء يا أم مالك
أبسط وجهي إنه أول القرى

إذا ما أتني بين ناري ومجري
وابذل معروف له دون منكرى

وقال أيضاً:

وانك ان أعطيت بطنك قوله
وفرجك نالا منتهى الدم أجما

وقال القاضي أبو الفرج المعافى بن زكرياء الجري حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي حدثنا أبو العباس المبرد أخبرني الثوري عن أبي عبيدة قال لما بلغ حاتم طي قول المتلس:

قليل المال تصلحه فيبقى
وحفظ المال خير من فناه

ولا يبق الكثير على الفساد
وعسف في البلاد بصير زاد

قال ماله قطع الله لسانه حمل الناس على البخل فهلا قال:

فلا الجود يقي المال قبل فناه
فلا تلتسن مالا بيش مقتر

ولا البخل في مال الشحيح يزيد
لكل غدر رزق يمود جديد
وإن الذي يطيك غير بيد

قال القاضي أبو الفرج ولقد أجنس في قوله: وإن الذي يطيك غير بيد. ولو كان مسلماً لرجى

له الخير في معاده وقد قال الله في كتابه: (واسألوا الله من فضله). وقال تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني). وعن الواضح بن معبد الطائي قال: وفد حاتم الطائي على النعمان ابن المنذر فآكرمه وادناه ثم زوده عند انصرافه جملين ذهباً وورقاً غير ما عطاه من طرائف بلده فرحل، فلما أشرف على أهله تلقته أعاريب طي. فقالت: يا حاتم أتيت من عند الملك وأتينا من عند أهالينا بالمقر فقال: حاتم هلم فخذوا ما بين يدي فتوزعوه فوثبوا الى ما بين يديه من جباب النعمان فاقسموه. فخرجت الى حاتم طريفة جاريته فقالت له اتق الله وأبق على نفسك، فإيدع هو لاء د يناراً ولا درها ولا شاة ولا بغيراً. فانشأ يقول:

قالت طريفة ما تبقى دراهمنا وما بنا سرف فيها ولا خرقت
إن يفن ما عندنا فالله يرزقنا ممن سوانا ولسنا نحن نرتزق
يا بألف درهم الكاري خرقتنا الا يمر عليها ثم ينطلق
إنا إذا اجتمعت يوماً دراهمنا ظلت الى سبل المروف تستبق

وقال أبو بكر بن عياش: قيل لحاتم هل في العرب أجود منك. فقال: كل العرب أجود مني ثم انشأ يحدث. قال: نزلت على غلام من العرب يتم دلت ليلة وكانت له مائة من الغنم فذبح لى شاة منها واتقى بها فلما قرب الى دماغها قلت: ما أطيب هذا الدماغ قال فذهب فلم يزل يأتي مني منه حتى قلت قد اكنفت، فلما أصبحت إذ اهرق ذبج المائة شاة وبق لاشيء، له؟ فقيل فما صنعت به فقال: ومتى أبلغ شكره ولو صنعت به كل شيء. قال: على كل حال فقال أعطيته مائة ناقة من خيار ابي. وقال محمد بن جعفر الخرائطي في كتاب مكارم الاخلاق حدثنا العباس بن الفضل الربيعي حدثنا إسحاق بن ابراهيم حدثني حماد الراوية ومشيخة من مشيخة طي. قالوا: كانت عنزة^(١) بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس أم حاتم طي لا تمسك شيئاً سخاء وجوداً، وكان اخوتها يتمتعونها فتأبى وكانت امرأة موسرة فحبسوها في بيت سنة يطعمونها قوتها عليها تكف عما تصنع. ثم اخرجوها بعد سنة وقد ظنوا أنها قد تركت ذلك انطلق فدفعوا اليها صرمة من مالها وقالوا استمتعي بها، فأنتها امرأة من هوازن وكانت تشاها فسالتهما فقالت: دونك هذه الصرمة فقد والله مسنى من الجوع ما آليت ان لا أمنع سائلاً ثم أنشأت تقول:

لمرري لقيماً بعصبي الجوع عضة فآليت ان لا أمنع الدهر جائماً
فولا لهذا اللاتي اليوم أعزني وان أنت لم تغفل فمض الأصابا
فماذا عسا كم ان قولوا لأختكم سوى عندكم أو عند من كان مانماً
وماذا ترون اليوم إلا طبيمة فكيف يتركي يابن امي الطابانما

(١) كذا في الاصل. وفي مكارم الاخلاق للخرائطي: غنية بنت عفيف.

وقال المهيم بن عدى عن ملحان بن عركي بن عدى بن حاتم عن أبيه عن جده . قال : شهدت حاتما يكيد بنفسه فقال لى أى بنى إني أعهد من نفسى ثلاث خصال والله ما خاتمت جارة لرية قط ، ولا أوتمنت على أمانة إلا أدبتها ، ولا أوتي أحد من قبلى بسوء . وقال أبو بكر الخرائطى : حدثنا على بن حرب حدثنا عبد الرحمن بن يحيى المدوى حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبى عن أبي مسكين - يعنى جعفر بن المحرز بن الوليد - عن الحرر مولى أبي هريرة قال : مر نمر من عبد القيس بقبر حاتم طيء فترلوا قريبا منه فقام اليه بعضهم يقال له أبو الخيبرى فجعل يركض قبره برجله . ويقول : يا أبا جعد أقرنا فقال له بعض أصحابه : ما تخاطب من رمة وقد بليت واجنهم الليل فناموا فقام صاحب القول فرعاً يقول يا قوم عليكم بكم فحطكم فان حاتما أتاكى فى النوم وانشدنى شعراً وقد حفظته يقول :

أبا الخيبرى وانت امرؤ ظلوهم المشيرة شتامها
أنت بصحبك تبغى القرى لدى حفرة قد صدت هامها
أنتبغى لى الذنب عند المييد مت وحولك طلي وانامها
وإنا لنشبع أضـيافنا وتأتي المطي فنمتامها

قال وإذا ناقة صاحب القول تكوس عقيراً فنحروها وقاموا يشترون ويأكلون . وقالوا والله لقد أضافنا حاتم حيا وميتا . قال : واصبح التوم واردفوا صاحبهم وساروا فاذا رجل ينوهم راجبا جلا ويقود آخر . قال : ايكم أبو الخيبرى قال أنا قال إن حاتما أتاكى فى النوم فاخبرنى أنه قرى أصحابك نأقتك واسرى أن أحلك وهذا بمر نخذه ودفعه اليه .

سبى من أخبار عمير لله بن هريرة

هو عبد الله بن جدهان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة سيد نبي تيم وهو ابن عم والده أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وكان من السكراء الاجواد فى الجاهلية المطمئنين للمستنين وكان فى بده امره قديراً مملقاً وكان شريراً يكثر من الجنائيات حتى أبغضه قومه وعشيرته وأهله وقبيلته وأبغضوه حتى أبوه فخرج ذات يوم فى شهاب مكة حائراً بلراً فرأى شقاً فى جبل فظن أن يكون به شيئاً يؤذى فقصده لعله يموت فيستريح مما هو فيه فلما اقترب منه اذا ثعبان يخرج اليه ويثب عليه فجعل يحمده عنه ويثب فلا يعنى شيئاً فلما دنا منه إذا هو من ذهب وله عينان هما ياقوتتان فسكسره وأخذه ودخل النار فاذا فيه قبور لرجال من ملوك جرم ومنهم الحارث بن مضاى الذى طالت غيبته فلا يدرى أين ذهب ووجد عند رؤسهم لوساً من ذهب فيه تاريخ وقائمهم ومدد ولايتهم وإذا عندهم من الجواهر واللاكى والذهب والفضة شىء كثير فاخذ منه حاجته ثم خرج وعلم بأب النار ثم انصرف الى قومه فاعطاهم حتى أجبوه وسادهم وجعل يطعم الناس وكلما قل ما فى يده ذهب الى ذلك النار فاخذ حاجته ثم رجع فمن ذكر هذا

عبد الملك بن هشام في كتاب التيجان وذكره أحمد بن عمار في كتاب رى العاطش وأنس الواحش وكانت له جفنة يأكل منها الزاكب على بيده ووقع فيها صغير فترق وذكر ابن تيبة وغيره أن رسول الله (س) قال لقد كنت استظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمي أي وقت الظهيرة . وفي حديث مثل أني جهل أن رسول الله (س) قال لاصحابه تطلوه بين القتلى وتعرفوه بشجة في ركبته فاني تراحت أنا وهو على مادة لابن جدعان فدفعته فسقط على ركبته فأهشمت فأرهابني في ركبته فوجدوه كذلك . وذكروا أنه كان يطعم التم والسويق ويسقي اللبن حتى يسمع قول أمية بن أبي الصلت :

ولقد رأيتُ الفاعلين وفعلهم فرأيتُ أكرمهم نبي الدين
البريليك بالشهاد طسامهم لا ما يملنا بنو جدعان

فارس ابن جدعان الى الشام التي بغير تحمل البر والشهد والسمن وجعل مناديا ينادى كل ليلة على ظهر الكعبة أن هلوا الى جفنة ابن جدعان . قال أمية في ذلك :

له داع بمكة مشعل وآخر فوق كعبتها يسادي
الى ربح من الثيزي ملام لباب البريليك بالشهاد

ومع هذا كله فقد ثبت في الصحيح لمسلم أن عائشة قالت: يا رسول الله ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة . فقال: لا إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئي يوم الدين .

امرؤ القيس بن عجر الكندي صاحب الحمري والمعلقات

وهي آخرهن واشهرهن التي أولها :

* قفانك من ذكرى حبيب ومنزل *

قال الامام أحمد: حدثنا هشام حدثنا أبو الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (س): امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء الى النار وقد روى هذا الحديث عن هشام جماعة كثيرون منهم بشر بن الحكم ، والحسن بن عرفة، وعبد الله بن هارون أمير المؤمنين المأمون أخو الامين ويحيى بن ميمون، وآخرجه ابن عدى من طريق عبدالرزاق عن الزهري به وهذا متقطع ويردى من وجه آخر عن أبي هريرة ولا يصح من غير هذا الوجه

وقال الحافظ ابن عساكر : هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة . أبو يزيد ويقال أبو وهب

ويقال أبوالمحارث السكندی . كان بأعمال دمشق وقد ذكر مواضع منها في شعره فمن ذلك قوله :

فَتَابَتْكَ مِنْ ذِكْرِي حَيْسِبٍ وَمَنْزِلٍ بِيَسْقُطِ اللَّوِيَّ بَيْنَ السُّخُولِ فُجُومَلٍ
فَتَوْضِحُ فَاَلْقِرَاءَةَ لَمْ يَمُفْ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجْتَهَا مِنْ جَنُوبٍ وَسُجْمَلٍ

قال وهذه مواضع سروقة بجوران . ثم روى من طريق هشام بن محمد بن السائب السكابي حديثي فروة بن سعيد بن عفيف بن معلى كرب عن أبيه عن جده . قال : بينا نحن عند رسول الله (س) إذ أقبل وفد من اليمن فقالوا يا رسول الله لقد أحيانا الله بينين من شعر امرئ القيس . قال : وكيف ذلك؟ قالوا أقبلنا زريك حتى إذا كنا بيمض الطريق اخطأنا الطريق فكنكنا ثلاثا ثلاثا لا قدر على الماء فنظرنا الى أصول طلح وسمر ليووت كل رجل منا في ظل شجرة فيينا نحن بأخر رمق إذا راكب يوضع على بئر فلما رآه بعضنا قال والراكب يسمع :

وَلِمَارَاتٍ أَنْتَ الشَّرِيمَةَ هَمَّهَا وَإِنَّ الْبِيَاضُ مِنْهُ فَرَأَيْصَهَا دَائِمِي
تَبَسَّمتِ الْعَيْنُ الَّتِي عِنْدَ ضَارِحٍ يُضِيُّ عَلَيْهَا الظَّلُّ عَرْمَضُهَا طَائِمِي

فقال الراكب : ومن يقول هذا الشعر وقد رأى ما بنا من الجهد؟ قال قلنا امرؤ القيس بن حجر قال والله ما كذب هذا ضارج عندهم فنظرنا فإذا بيننا وبين الماء نحر من خمسين ذراعا فخرىنا اليه على الراكب فإذا هو كما قال امرؤ القيس عليه الرمض يضيء عليه الظل فقال رسول الله (س) : «ذاك رجل مذكور في الدنيا منسى في الآخرة : شريف في الدنيا حائل في الآخرة ، يده لواء الشعراء يقردهم الى النار» .
وذكر السكابي : أن امرأ القيس أقبل برأيه يريد قتال بني أسد حين تناولوا أباه فرأى قبالة بها ذو الخلصة وهو صنم وكانت العرب تستقسم عنده فاستقسم فخرج القدح الزاهي ثم الثانية ثم الثالثة كذلك فكسر القدح وضرب بها وجه ذي الخلصة وقال عضضت يارايك لو كان أبوك المقتول لما عوقفتي .
ثم اغار على بني أسد فقتلهم قتلا ذريعا قال ابن السكابي : فلم يستقم عند ذي الخلصة حتى جاء الاسلام وذكر بعضهم أنه امتدح قيصر ملك الروم يستنجده في بعض الحروب ويسترفده فلم يجد ما يؤمله عنده فجهاه بعد ذلك فيقال إنه سقاه ما قتله فلباه الموت الى جنب قبر امرأة عند جبل يقال له عيب فكتب هناك :

أَجَارَتْنَا إِنْ الْمَزَارَ قَرِيبٌ وَإِنِّي مَقِيمٌ مَا أَقَامَ عَيْبٌ
أَجَارَتْنَا إِنْ غَرِيبَانِ هَمْنَا وَكُلٌّ غَرِيبٌ لِلْغَرِيبِ نَسِيبٌ

وذكروا أن الملقات السبع كانت مملقة بالكعبة ، وذلك أن العرب كانوا إذا عمل أحدهم قصيدة عرضها على قريش فإن أجازوها عطفوها على الكعبة تعظيما لثأنها فلجتمع من ذلك هذه الملقات السبع فلاولى لاسرى القيس بن حجر السكندی كما تقدم وأولها :

قنابك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول نحو
 والثانية للناشطة الذياني: واسمه زياد بن معاوية ويقال زياد بن عمرو بن معاوية بن ضباب بن جابر
 ابن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض وأولها:
 يادارُ ميسَّةُ بالصليارِ فالتستندِ أقربُ وطالَ عليها سالفُ الأبدِ
 والثالثة زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني وأولها:
 أمُّ أمِّ أوفى دمنةٌ لم تكلمِ بِحُومَانَةِ الدَّرَاجِ فَالتستلمِ
 والرابعة لطرقة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثلبة بن عكابة بن
 صعب بن علي بن بكر بن وائل وأولها:
 تلوثةٌ أطالُ يرقيةٌ تهمدِ تلوحُ كباقي الوشمِ في ظاهر اليدِ
 والخامسة لعنترة بن شداد بن معاوية بن فراد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب بن قطيمة
 ابن عيس العبسي وأولها:

هل غادرُ الشعراءُ من مُتردِّمِ أم هل عرفتَ الدارَ بسد توم
 والسادسة لطقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس أحد بني تميم وأولها:
 طحا بكُ قلبٌ في الحسانِ طروبُ بُعيدُ الشبابِ عصرَ حانٍ مشيبِ
 والسابعة - ومنهم من لا يثبتها في المملقات وهو قول الاصمعي وغيره - وهي لليبيد بن ربيعة بن
 مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن
 عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر وأولها:
 عفتُ الديارُ محلُّها فمقامُها ريمعُ نأبدُ غزولُها فَرَجامُها
 فاما القصيدة التي لا يعرف قائلها فيما ذكره أبو عبيدة والاصمعي والمبرد وغيرهم فهي قوله:
 هل بالطلولِ لسائلٍ ردُّ أم هل لها بكلامٍ عهدُ
 وهي مطولة وفيها معاني حسنة كثيرة .

الخيار الأمية بن أبي الصلت (التقي)

قال الحافظ ابن عساكر: هو أمية بن أبي الصلت عبدالله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن عزة
 ابن عوف بن تقيف بن منبه بن بكر بن هوازن أبو عثمان ويقال أبو الحكم التقي شاعر جاهلي قدم

دمشق قبل الاسلام وقيل انه كان مستقياً^(١) وانه كان في أول أمره على الايمان ثم زاغ عنه وانه هو الذي أراه الله تعالى بقوله (واتل عليهم نبأ الذي آتانا آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فسكر من الفاوين). قال الزبير بن بكار: فولدت رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف أمية الشاعر ابن أبي الصلت واسم أبي الصلت ربيعة بن وهب بن علاج بن أبي سلة بن تميم وقال غيره كان أبوه من الشعراء المشهورين بالطائف وكان أمية أشعرهم.

وقال عبد الرزاق قال الثوري: أخبرني جيب بن أبي ثابت أن عبد الله بن عمرو قال في قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذي آتانا آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فسكر من الفاوين) هو أمية بن أبي الصلت وكذا رواه أبو بكر بن مردويه عن أبي بكر الشافعي عن معاذ بن ابيثني عن مسدد عن أبي عواعة عن عبد الملك بن عمير عن نافع بن عاصم بن مسعود. قال: اني لفي حلقة فيها عبد الله بن عمرو فقرأ رجل من القوم الآية التي في الاعراف (واتل عليهم نبأ الذي آتانا آياتنا فانسلخ منها) فقال هل تدرون من هو؟ فقال بعضهم: هو صفي بن الراهب. وقال آخر: بل هو بلهم رجل من بني اسرائيل فقال لا اقال فمن؟ قال هو أمية بن أبي الصلت وهكذا قال أبو صالح والكلبي وحكاه قتادة عن بعضهم. وقال الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا عبد الله بن شبيب الربيعي حدثنا محمد بن مسلمة بن هشام المخزومي حدثنا اسماعيل ابن الطريح بن اسماعيل الثقفي حدثني أبي عن أبيه عن مروان بن الحكم عن معاوية بن أبي سفيان عن أبيه. قال: خرجت أنا وأميه بن أبي الصلت الثقفي نجاراً الى الشام فكلما نزلنا منزلاً أخذ أمية سفرًا له يقرؤه علينا فكنا كذلك حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فجأزهوا كرموه واهدوا له وذهب معهم الى بيوتهم ثم رجع في وسط النهار فطرح ثوبه واخذ ثوبين له أسودين فلبسهما وقال لي هل لك يا أبا سفيان في عالم من علماء النصارى اليه يتناهى علم الكتاب تسأله. قلت: لا إرب لي فيه والله لئن حدثني بما أحب لا أتق به ولئن حدثني بما أكره لا جلدن منه. قال فذهب وخالفه شيخ من النصارى فدخل على فقال ما يمنعك أن تذهب الى هذا الشيخ قلت لست على دينه قال وإن فانك تسمع منه مجبياً وتراه. ثم قال لي أنت قلت لا ولكن قرشي؟ قال فما يمنعك من الشيخ فوالله انه ليحجكم ويوصي بكم. قال فخرج من عندنا ومكث أمية عندهم حتى جاءنا بعد هدأة من الليل فطرح ثوبه ثم انجدل على فراشه فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح كئيباً حزينا ساقطاً غبوقه على صبرحه ما يكلمنا ولا تكلمه. ثم قال: الأترحل. قلت وهل بك من رحيل؟ قال نعم! فوكلنا فسرنا بذلك ليلتين ثم قال في الليلة الثالثة الا تحدث يا أبا سفيان قلت وهل بك من حديث والله ما رأيت^(٢) مثل الذي رجعت به من عند صاحبك قال أما ان ذلك لشيء لست فيه انما ذلك لشيء

(١) الذي في ابن عساكر وقيل انه كان نيباً.

(٢) (لفظ ما رأيت) ليست موجودة في تاريخ ابن عساكر.

وجلت منه من منقلبي قلت وهل لك من منقلب . قال : أرى والله لا موتن ثم لأحين قال قلت هل أنت قابل أمانتي قال على ماذا قلت على أنك لا تبعث ولا تحاسب قال فضحك ثم قال : بلى والله يا أباسفيان لنبعضن ثم لحاسبين وليدخلن فريق الجنة وفريق النار . قلت : ففي أيهما أنت أخبرك صاحبك قال لا أعلم لصاحبي بذلك لاني ولا في نفسه قال فكنا في ذلك ليلتين يعجب مني وأضحك منه حتى قدما غرطة دمشق فبعنا متاعنا وأقنا بها شهرين فارتحلنا حتى زلنا قرية من قرى النصارى فلما رأوه جاؤه واهدوا له وذهب معهم الى بيوتهم^(١) فلما جاء الابلد منتصف النهار فليس ثوبيه وذهب اليهم حتى جاء بسد هداة من الليل فطرح ثوبيه ورعى بنفسه على فراشه فوالله ما نام ولا قام واصبح حزينا كئيبا لا يكلمنا ولا نكلمه . ثم قال : الا ترحل قلت بلى ان شئت فرحلنا كذلك من بته وحزنه ليالي^(٢) . ثم قال لي : يا أباسفيان هل لك في المسير لتتقدم اصحابنا قلت هل لك فيه قال نعم ! فسرنا حتى برزنا من أصحابنا ساعة ثم قال : هيا صخر . قلت : ما تشاء ؟ قال حدثني عن عتبة بن ربيعة يجتنب المظالم والمحارم قلت : إني والله قال : ويصل الرحم يأمر بصلتها . قلت إني والله ! قالو كريم الطرفين وسط في العشرة قلت نعم ! قال فهل تعلم قرشياً اشرف منه ؟ قلت لا والله لا أعلم قال امحوج هو قلت لا بل هو ذو مال كثير قال وكم أتى عليه من السن فقلت قد زاد على المائة قال فالشرف والسن والمال أزرين به قلت ولم ذلك يزرى به لا والله بل يزره خيراً قل هو ذلك . هل لك في المبيت قلت له فيه قال فاضطجعتنا حتى صرنا نقتل قل فسرنا حتى زلنا في المنزل وبقنا به ثم ارتحلنا منه فلما كان الليل قال لي يا أباسفيان قلت ما تشاء قال هل لك في مثل البارحة قلت هل لك فيه قال : نعم فسرنا على ناقتين بجزيتين حتى إذا برزنا قل : هيا صخر هبه عن عتبة بن ربيعة قل قلت هبها فيه قال يجتنب المحارم والمظالم ويصل الرحم ويأمر بصلتها قلت إني والله انه يفعل قل وذو مال قلت وذو مال قل أعلم قرشياً أسود منه قلت : لا والله ما أعلم قال كم أتى له من السن قلت قد زاد على المائة قال فان السن والشرف والمال أزرين به قلت كلا والله ما أزرى به ذلك وانت قاتل شيتا قتل . قال لا تذكر حديثي يأتي منه ما هوأت ثم ذل فان الذي رأيت أصابني أتى جئت هذا العالم فسألته عن أشياء ثم قلت أخبرني عن هذا النبي الذي ينتظر قال هو رجل من العرب قلت قد علمت أنه من العرب فن أي العرب هو قال من أهل بيت تبحه العرب قلت وفينا بيت تبحه العرب قال هو من اخوانكم من قريش فاصابني والله شيء ما اصابني مثله قط وخرج من يدي فوز الدنيا والآخرة وكنت أرجو ان أكون إياه قلت فاذا كان ما كنت فصفه لي قال رجل شاب حين دخل في السكوة . بدو أمره يجتنب المظالم والمحارم ويصل الرحم ويأمر بصلتها وهو محوج كريم الطرفين متوسط في العشرة أكثر جنده من الملائكة قلت وما آية ذلك قال قد رجفت الشام منذ هلك عيسى بن مريم عليه السلام ثمانين رجفة كلها

(١) في ابن عساكر الى بيوتهم (٢) كذا في الاصل : ولماها : فرحلنا كذلك وهو في بته الخ .

فيما صبيبة وبقيت رجفة عامة فيها مصائب . قال أبو سفيان : قتل هذا والله الباطل لئن بعث الله رسولا لا يأخذه إلا مسنا شريفا . قال أمية : والذي حلفت به أن هذا لم يكن يا أبا سفيان تقول إن قول النصراني حق . هل لك في الميت ؟ قلت نعم لي فيه قال فبئنا حتى جاءنا النقل ثم خرجنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة مرحلتان ليلتان ^(١) أدر كنا راكب من خلفنا فسلنا ما فإذا هو يقول أصابت أهل الشام بدمكم رجفة دمرت أهلها وأصابتهم فيها مصائب عظيمة . قال أبو سفيان فأقبل على أمية فقال كيف ترى قول النصراني يا أبا سفيان قلت أرى واطن والله أن ما حدثك به صاحبك حق قال أبو سفيان قد مننا مكة قضيت ما كان مني ثم انطلقت حتى جئت اليمن تاجراً فكنت بها خمسة أشهر ثم قدمت مكة فبينما أنا في منزلي جاءني الناس يسألون عليّ ويسألون عن بضائعهم حتى جاءني محمد بن عبد الله وهند عندي تلاعب صبياتها فلم عليّ ورحب بي وسألني عن سفري ومقامي ولم يسألني عن بضاعته ثم قام . قلت لهند والله إن هذا ليعجبني ما من أحد من قريش له معنى بضاعة إلا وقد سألتني عنها وما سألتني هذا عن بضاعته . قالت لي هند : أو ما علمت شأنه قتل وأنا فزع ما شأنه قالت يزعم أنه رسول الله فوقد تنى وتذكرت قول النصراني فرجفت حتى قالت لي هند مالك ؟ فأنهيت قتل إن هذا هو الباطل لم هو أقبل من أن يقول هذا قالت لي والله أنه يقولون ذلك ويدعو إليه وإن له لصحابة على دينه قلت هذا هو الباطل قال وخرجت فبينما أنا أطوف بالبيت إذ بي قد لقيته قتل له أن بضاعتك قد بلغت كذا وكذا وكان فيها خير فأرسل من يأخذها ولست آخذ منك فيها ما آخذ من قومي فإني على . وقال أذن لا آخذها قلت فأرسل فآخذها وأنا آخذ منك مثل ما آخذ من قومي فأرسل إلى بضاعته فآخذها وأخذت منه ما كنت آخذ من غيره . قال أبو سفيان فلم أنشب أن خرجت إلى اليمن ثم قدمت الطائف فزلت على أمية بن أبي الصلت فقال لي يا أبا سفيان ما شأنه هل تذكر قول النصراني قتل أذكره وقد كان قال : ومن ؟ قلت محمد بن عبد الله قال ابن عبد المطلب قلت ابن عبد المطلب ثم قصصت عليه خبر هند قال والله يعلم ؟ وأخذ يتصعب عرقا . ثم قال : والله يا أبا سفيان لعله . إن صفته لي ولئن ظهر وأنا حي لأطلبين من الله عز وجل في نصره عنذا قل : ومضيت إلى اليمن فلم أنشب أن جاءني هنالك استهلاله وأقبلت حتى زلت على أمية ابن أبي الصلت بطائف قتل يا أبا عثمان قد كان من أمر الرجل ما قد بلغك وسمعت قال قد كان لمعري قلت فإني أنت منه يا أبا عثمان فقال والله ما كنت لأومن برسول من غير تقيف أبدا قال أبو سفيان فجلت وأقبلت إلى مكة فوالله ما أتيت مكة حتى جئت مكة فوجدت أصحابه يضربون ويحرقون قال أبو سفيان فجلت أقول فإني جنده من الملائكة قال فدخلى ما يدخل الناس من النجابة وقد رواه الحافظ البيهقي في كتاب الدلائل من حديث اسماعيل بن طريح به ولكن سياق الطبراني الذي أوردته أهم وأطول والله أعلم .

(١) عبارة ابن عساکر وبين المدينة ٥١٠ .

وقال الطبراني: حدثنا بكر بن احمد بن نفيلى حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى حدثنا مجاضع بن عمرو الاسدى حدثنا ليث بن سعد عن أبي الاسود محمد بن عبد الرحمن عن عروة بن الزبير عن معاوية بن أبي سفيان عن أبي سفيان بن حرب أن أمية بن أبى الصلت كان بزة أو يلباء فلما قتلنا قال لي أمية يا أبا سفيان هل لك ان تتقدم على الرفقة فتتحدث قلت نعم اقال فقلنا فقال لي يا أبا سفيان إيه عن عتبة بن ربيعة قلت : كريمة الطرفين ويحسب المحارم والمظالم قلت نعم قال وشريف مسن قلت وشريف مسن قال السن والشرف ازرباه فقلت له كذبت ما ازداد سنا الا ازداد شرفا قال يا أبا سفيان انها كلمة ما سمعت احداً يقولها منذ تبصرت فلا تعجل على حتى أخبرك قل قلت هات قال انى كنت اجد فى كتبى نيبا يبعث من حرتنا هذه فكنت أظن بل كنت لا اشك انى أنا هو فلما دارست اهل العلم اذا هو من بنى عبد مناف فنظرت فى بنى عبد مناف فلم أجد أحدا يصلح لهذا الامر غير عتبة بن ربيعة فلما أخبرتنى بسنه عرفت انه ليس به حين جاوز الاربعين ولم يوح اليه قال ابو سفيان فضرب الدهر ضربه فوحى الى رسول الله ص: وخرجت فى ركب من قرىش اريد اليمن فى تجارة فررت بامية فقلت له كالمتهزىء به يا أمية قد خرج النبي الذى كنت تمنعه قال أما انه حق فابعه قلت ما يمنحك من اتباعه قال ما يمنفى إلا الاستحياء من نساء تهيف إني كنت احسهن انى هو ثم يرينى تابا لغلالم من بنى عبد مناف ثم قال أمية كأنى بك يا اباسفيان قد خالفته ثم قد ربطت بما يربط الجدى حتى يؤتى بك اليه فيحكّم فيك بما يريد .

وقال عبد الرزاق: اخبرنا ممر عن الكلبى قال بينا أمية راقدة ومعه ابنتان لهاذ فزعمت احداهما فاصاحت عليه فقال لها ما شأنك قالت رأيت نسرين كشطاسقف البيت فنزل احدهما اليك فشق بطنك والآخر واقف على ظهر البيت فناداه فقال أوعى قال نعم قال ازكى قال لا فقال ذاك خير اريد بأبيكما فلم يفعلوه وقد روى من وجه آخر بسياق آخر فقال اسحاق بن بشر عن محمد بن اسحاق عن الزهرى عن سعيد بن المسيب وعثمان بن عبد الرحمن عن الزهرى عن سعيد بن المسيب قال قدمت الفارعة أخت أمية بن أبى الصلت على رسول الله ص. بعد فتح مكة^(١) وكانت ذات لب وعقل وجمال وكان رسول الله ص. بها معجبا فقال لها ذات يوم يا فارعة هل يحفظين من شعر أخيك شيئا فقالت نعم واصبب من ذلك ما قد رأيت قالت كان أخى فى سفر فلما انصرف بدأنى فدخلى على فرقد على سربرى وأنا أخلق ادبما فى يدى إذ أقبل طائران أبيضان أو كالطيرين أبيضين فوقع على السكوة احدهما ودخل الآخر فوقع عليه فشق الواقع عليه ما بين فسه الى عاتقه ثم ادخل يده فى جوفه فلخرج قلبه فوضعه فى كفه ثم شممه فقال له الطائر الآخر أوعى قال وعى قال ازكى قال أبى ثم رد القلب الى مكانه فالتأم المرح اسرع من طرفه عين ثم ذهب فلما رأيت ذلك

(١) الذى فى اسد الغابة والاصابة والاستيعاب بعد فتح الطائف.

دنوت منه فخرته قلت هل تجد شيئاً. قال : لا إلا توهيناً في جسدي - وقد كنت ارتعبت بما رأيت -

فقال مالي أراكي مرعاة . قالت فاخبرته الخبر فقال خير أريد بي ثم صرف عني ثم انشأ يقول:

باتت همومي تسري طوارقها أكف عيني. والدمع ساقبها
 بما أتاني من اليقين ولم أوت برأة يقص ناطقها^(١)
 أم من تظن عليه واقدك ار محيطهم سرادقها
 أم أسكن الجنة التي وعد السابرار مصفوفة نمارقها
 لا يستوي المذلان ثم ولا السعال لا تستوي طرائقها
 ها فريقان فرقة تدخل الجنة تنحفت بهم حداقها
 وفرقة منهم قد أدخلت الذ ساء فساءتهم مرادقها
 تماهدت هذه القلوب إذا همت بخير عاقبت عرائقها
 وصدّها للشقاء عن طلبها جنة دنيا الله ماحقها
 عبد دعا نفسه فماتت يسلم أنت البصير رامقها
 ما رعب النفس في الحياة وان يحيى قليلاً فلو لا حقها
 يوشيك موتاً من منته يوماً على غرقه يواقها
 ان لم تمت غبطة تمت هراً للموت كأس والمرء ذاتها

قال ثم انصرف الى رحله فلم يلبث الا يسيراً حتى طعن في حيارته^(٢) فأتاه الخبر فانصرفت اليه فوجدته
 منعوشاً قد سجي عليه فدنوت منه فشق شقة وشق بصره ونظر نحو السقف ورفع صوته . وقال : ليبيكا
 ليبيكا ها أنا ذا لديكا ، لاذو مال فينديني ولا ذو أهل فتحميني . ثم أغنى عليه اذ شق شقة قلت قد
 هالك الرجل . فشق بصره نحو السقف فرفع صوته . قال : ليبيكا ليبيكا ها أنا ذا لديكا ، لاذو برأة
 فاعتذر ، ولا ذو عشيرة فاتصر . ثم أغنى عليه اذ شق شقة وشق بصره ونظر نحو السقف . قال :
 ليبيكا ليبيكا ها أنا ذا لديكا ، بالتم محفود وبالذنب محفود ، ثم أغنى عليه اذ شق شقة . قال : ليبيكا
 ليبيكا ها أنا ذا لديكا

إن تفر اللعم تفرجما وأي عبدك لا أنا

ثم أغنى عليه اذ شق شقة قال:

كل عيش وان تناول دهرأ صائر سره^(٣) الى أن يزولا
 ليتني كنت قبل ماقد بدالي في قلال الجبال أرمي الوعولا

(١-١) كذا في النسخين ولم يظهر لنا المعنى . (٢) في شعراء النصرانية : انتهى امره الى ان يزولا

قالت: ثم مات. فقال رسول الله (س): يا فارعة إن مثل أخيك كمثل الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها الآبة وقد تكلم الخطابى على غريب هذا الحديث. وروى الحافظ ابن عساكر عن الزهرى انه قال قال أمية ابن أبى الصلت:

ألا رسولنا منا يخبرنا ما بعد غابتنا من رأس مجراناً^(١)

قل ثم خرج أمية بن أبى الصلت الى البحرين وتنبأ رسول الله (س)، واقام أمية بلبحين ثمانى سنين ثم قدم الطائف فقال لهم: ما يقول محمد بن عبد الله قالوا يزعم أنه نبي هو الذى كنت تمنى. قال: فخرج حتى قدم عليه مكة فلقبه. فقال: يا ابن عبد المطلب ما هذا الذى تقول قال أقول: إني رسول الله ولا إله إلا هو. قال: انى أريد أن أكلك فذنى غداً قال فوعدك غدا قال فذهب ان آتيك وحدى أوفى جماعة من أصحابى وتأيتى وحدك أو فى جماعة من أصحابك فقال رسول الله (س): أى ذلك شئت قال فاني آتيك فى جماعة فأت فى جماعة قال فلما كان الند غداً أمية فى جماعة من قريش قال وغدا رسول الله (س) معه نفر من أصحابه حتى جلسوا فى ظل السكبة. قال: فبدأ أمية فخطب ثم سجع ثم أنشد الشعر حتى اذا فرغ الشعر قال أجبني يا ابن عبد المطلب. فقال رسول الله (س): (بسم الله الرحمن الرحيم. يس والقرآن الحكيم) حتى اذا فرغ منها وثب أمية يجر رجله قال فتبعته قريش يقولون ما تقول يا أمية قال اشهد انه على الحق. فقالوا: هل تتبعه قال حتى أنظر فى أمره قال ثم خرج أمية الى الشام وقدم رسول الله (س) المدينة فلما قتل أهل بدر قدم أمية من الشام حتى نزل بدر ثم رحل يريد رسول الله (س) فقال قائل: يا أبا الصلت ما تريد؟ قال أريد مجدداً قال وما تصنع؟ قال أومن به والى اليه مفايد هذا الأمر قال: تأندرى من فى القلب؟ قال لا قال: فيه عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وهما ابنا خالك. وأمه ربيعة بنت عبد شمس. قال فجدع أذنى ناقه وقطع ذنها ثم وقف على القلب يقول:

ما ذا يسدني فالقمة قل من سرازية ججاج

القصيدة إلى آخرها كما سيأتى ذكرها بتمامها فى قصة بدر ان شاء الله. ثم رجع الى مكة والطائف وترك الاسلام. ثم ذكر قصة الطيرين وقصة وفاته كما تقدم وانشد شعره عند الوفاة:

كل عيش وان تناول ذهرا صائر سرّة الى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدالى فى قلال الجبال أرمى الوعولا
فاجل الموت نصّب عينيك واحذر غولة الدهر انت للدهر غولا
فانلأظفرها القساوِر والصدعان والطنفل فى المنار الشكيلا
وبنات النياق واليمقر النافرو والموهج البرام الضيلا

(١) فى شعراء النصرانية: ألا نبي لنا منا فيخبرنا ما بعد غابتنا من رأس مجراناً

قوله: التساور جمع قسورة وهو الأسد. والصدعان ثيران الوحش واحدها صدع. والطفل الشكل من حرة العين، والبثا الرخم، والنيف الجبال، واليمفر الغبي، والموهج ولد النعامة. يعنى أن الموت لا ينجو منه الوحوش في البراري ولا الرخم الساكنة في رؤس الجبال ولا يترك صغيرا الصغره ولا كبيرا لكبره. وقد تكلم الخطابي وغيره على غريب هذه الأحاديث. وقد ذكر السهيلي في كتابه التريف والاعلام: أن أمية بن أبي الصلت أول من قال باسمك اللهم؛ وذلك عند ذلك قصة غريبة وهو أنهم خرجوا في جماعة من قريش في سفر فبهم حرب بن أمية والد أبي صفيان قال فرأوا في مسيرهم بحية قتلوها فلما امسوا جاءتهم امرأة من الجان فعاتبتهم في قتل تلك الحية وهما قضيب فضربت به الأرض ضربة ففرت الأبل عن آخرها فذهبت وشردت كل مذهب وقاموا فلم يزالوا في طلبها حتى ردوها فلما اجتمعوا جاءتهم أيضا فضربت الأرض بقضيبها ففرت الأبل فذهبوا في طلبها فلما أعياهم ذلك قالوا والله هل عندك لسان نحن فيه من مخرج فقال لا والله ولكن سأنظر في ذلك قال فساروا في تلك الهلة لعلمهم يجيدون احدا يسألونه عما قد حل بهم من العناء اذا ناز تلوح على بدهم فخلوها فلما شئخ على باب خيبة بوقد ناراً واذا هو من الجان في غاية الضلالة واللامامة فدلخوا عليه فسألهم عما هم فيه فقال اذا جاءكم قتل بسمك اللهم فلما تهرب فلما اجتمعوا وجاءتهم الثالثة والرابعة نالوا في وجهها أمية بسمك اللهم فشردت ولم يقر لها قرار لكن عدت الجان على حرب بن أمية فقتلوه بتلك الحية فتهرب اصحابه هنالك حيث لا جوار ولا دار ففي ذلك بقول الجان:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

وذكر بعضهم: انه كان يتفرس في بعض الاحيان في لغات الحيوانات فمكن يمر في السفر على الطير فيقول لا صحابه: ان هذا يقول كذا وكذا فيقولون لا نعلم صدق ما يقول حتى مروا على قطع غنم قد اقتطعت منه شاة ومها ولدها فلنفتت اليه فتفت كأنها تستجته. فقال: اندرون ما تقول له قالوا لا قال انها تقول أسرع بنا لا يجيئ الذئب فيأكلك كما أكل الذئب أخاك عام أول فاسرعوا حتى سألوا الراعي هل أكل له الذئب عام أول حملا بتلك البقرة فقال نعم. قال: وسر يوماً على بعير عليه امرأة راكبة وهو يرفع رأسه اليها ويرغو. فقال: انه يقول لها انك رحلتني وفي الحداجة مخيط فانزلوا تلك المرأة وحلوا ذلك الرجل فاذا فيه مخيط كما قال

وذكر ابن السكيت: ان أمية بن أبي الصلت بينما هو يشرب يوماً إذ نهب غراب. فقال: له بئيك التراب مرتين. فقيل له ما يقول؟ فقال: انه يقول إنك تشرب هذا الكأس الذي في يدك ثم تموت. ثم نهب الغراب فقال انه يقول وآية ذلك أني أنزل على هذه المذبة فأكل منها فيعاق عظم في حلقى فأموت. ثم نزل الغراب على تلك المذبة فأكل شيئاً فملق في حلقه عظم فأت. فقال: أمية أما هذا فقد صدق في

فنه ولكن سأنظر هل صدق في أم لا ثم شرب ذلك الكأس الذي في يده ثم اتسكأ فمات . وقد ثبت في الصحيح من حديث ابن مهدي عن الثوري عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (س) : إن أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم

قال الامام أحمد : حدثنا روح حدثنا زكرياه بن إسحاق حدثنا إبراهيم بن ميسرة انه سمع عمرو بن الشريد يقول قال الشريد كنت ردفا لرسول الله (س) ، فقال لي : أممك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء ؟ قلت نعم اقال فانشدني بيتا فليرزل يقول لي كلما أنشدته بيتا أيه حتى أنشدته مائة بيت قال ثم سكت النبي (س) ، وسكت وهكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة عن أبي تميم بن ميسرة به . ومن غير وجه عن عمرو بن الشريد عن أبيه الشريد بن سويد الثقفي عن النبي (س) ، وفي بعض الروايات قال رسول الله ان كاد يسلم . وقال يحيى بن محمد بن صاعد حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا أبو أسامة حدثنا حاتم بن أبي صفرة عن سماك بن حرب عن عمرو بن نافع عن الشريد الحمداني واخوه اله قهيف قال خرجنا مع رسول الله (س) ، في حجة الوداع فبينما أنا أمشي ذات يوم اذا وقع ناقة خلفي فاذا رسول الله (س) ، فقال الشريد فقلت نعم : قال الا أحملك قلت بلى وما من إعياء ولكني اردت البركة في ركوبى مع رسول الله (س) ، فاناح خلفي فقال : أممك من شعر أمية بن أبي الصلت فقلت نعم ا قال هات فانشدته قل أظنه قال مائة بيت فقال عند الله علم أمية بن أبي الصلت ثم قل ابن صاعد هذا حديث غريب فما الذى يروى أن رسول الله (س) ، قال في أمية آمن شعره وكفر قلبه فلا أعرفه والله أعلم وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد - هو أبو بكر بن أبي شيبة - حدثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس : أن رسول الله (س) ، صدق أمية في شيء من شعره قال :

زحل~ ونور~ نحتَ رجل يمينه والنسر للأخدرى وليث مرصد
والشمس تبدو كلَّ آخر ليلةٍ حراءَ يُصبح لونها يتورّد
نأبى فسا تَطْلُعُ لنا في رسالها إلا مسدّبة وإلا تجلّد

قال رسول الله (س) ، صدق . وفي رواية أبي بكر المنذلي عن عكرمة عن ابن عباس انه قال : إن الشمس لا تطالع حتى ينخسها سبعون ألف ملك يقول لها اطلعى اطلعى فتقول لا أطلع على قوم يهدوننى من دون الله فاذا نمت بالطالع أتاها شيطان يريد أن يبطها فتطلع بين قرنيه وتمرقة فاذا تضيقت للنروب عزمت لله عز وجل فإتيها شيطان يريد أن يبطها عن السجود فتقرب من قرنيه وتمرقة . أوردته ابن عساکر مطولا . ومن شعره في حملة العرش :

فمن حامل أحدى قوائم عرشه ولولا إله أنطلق كلوا وأبلدوا
قيام على الأقدام عانوا تحفه فرائضهم من شدة الخوف زهد
رواه ابن عساكر وروى عن الأصمعي أنه كان ينشد من شعر أمية :

مجددوا الله فهو للمجدد أهل ربنا في السماء أسمى كبيرا
بالبنا الأعلی الذي سبق الذ ساس وسوى فوق السماء سريرا
شرجبا^(١) يناله بصر العيب بن ترى دونه الملائك صورا

ثم يقول الأصمعي: الملائك جمع ملك والصور جمع أصور وهو المائل العنق وهو لاء حملة العرش.
ومن شعر أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان النبي

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياة
وعلتك بللقوق وانت فرغ لك الحسب المهذب والسناه
كريم لا يفديه صباح عن أنلق الجبل ولا مساء
يبارى الريح مكرمة وجودا إذا ما الكلب أحجره الشتاء
وارضك ارض مكرمة بنتها بنوقيم وانت لها سماء
إذا أفنى عليك المرء يوما كفاء من تعرضه الشتاء

وله فيه مدائح أخر. وقد كان عبد الله بن جدعان هذا من السكراء الاجواد المدحجين المشهورين
وكان له جفنة يأكل الركب منها وهو على بديره من عرض حاقها وكثرة طامها، وكان يعلها لباب
البر يلبك بالشهد والسمن، وكان يمتق الرقاب ويعين على النواذب وقد سألت عائشة النبي (ص)، أينفعه
ذلك؟ فقال انه لم يقل يوما من الدهر (رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين) ومن شعر أمية البديع:

لا يتكثون الارض عند سؤالهم كتطلب العلات بالبيدان
بل يسفرون وجوههم فسرى لها عند السؤال كأحسن الألوان
وإذا المقل أقام وسط رحالم ردوه رب صواهل وقيان
وإذا دعوتهم لكل ملتم سدوا شماغ الشمس بالفرسان

آخر ترجمة أمية بن أبي الصلت.

بحير الرهيب

الذي تومس في رسول الله (ص). النبوة وهو مع عمه أبي طالب حين قدم الشام في تجار من أهل
مكة وعمره إذ ذاك اثني عشرة سنة فرأى التمامة تظله من بينهم، فصنع لهم طعاما ضيافة واستدعاهم كما

(١) الشرجع: الطويل.

سأتي بيان ذلك في السيرة وقد روى الترمذي في ذلك حديثاً بطنا الكلام عليه هناك وقد أورد له الحافظ ابن عساكر شواهد وسائغات في ترجمة بحيرا ولم يورد ما رواه الترمذي وهذا عجب وذكر ابن عساكر ان بحيرا كان يسكن قرية يقال لها الكفر^(١) فيها وبين بصرى ستة أميال وهي التي يقال لها (دير بحيرا) قال ويقال: انه كان يسكن قرية يقال لها منعة بلبقاء وراه زيرا والله أعلم.

ذكر قس بن ساعدة اليباني

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل انظر الطي في كتاب هوائف الجان: حدثنا داود القنطري حدثنا يزيد الله بن صالح حدثني أبو عبد الله المشرق عن أبي الحارث الوراق عن ثور بن يزيد عن مروق العجلي عن عبادة بن الصامت . قال : لما قدم وفد اباد على النبي (س) قال : يا مشر وفد اباد: ما فعل قس بن ساعدة اليباني . قالوا : هلك يا رسول الله . قال : لقد شهدت يوماً بسوق عكاظ على رجل أحمر يتكلم بكلام معجب موق لا أجدني أحفظه . فقام اليه اعرابي من أقاصي القوم فقال : أنا أحفظه يا رسول الله . قال : فسر النبي (س) . بذلك قال : فكان بسوق عكاظ على رجل أحمر وهو يقول : يا مشر الناس اجتمعوا فكل من فلت فلت ، وكل شيء آت ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، وبحير عجاج ، نجوم تزه ، وجبال مرسية ، وأنهار مجرية ، ان في السماء ظليرا ، وان في الارض لغيرا ، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضوا بالاقلمة فأقاموا ، أم تركوا فناموا . أقسم قس بالله كما لا ريب فيه . ان الله ديناً هو أرضي من دينكم هذا ثم أتى يقول :

في الداهيين الأولي
ن من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يبغي الاصافر والأكاب
لا من مضى يأتي اليك ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محاسن لتحيث صار القوم صائر

وهذا اسناد غريب من هذا الوجه وقد رواه الطبراني من وجه آخر فقال في كتابه المعجم الكبير: حدثنا محمد بن السري بن مهران بن الناقد البغدادي حدثنا محمد بن حسان السهمي حدثنا محمد بن الحجاج عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس . قال : قدم وفد عبد القيس على النبي (س) . قال : أيكم

(١) كذا في الأصلين . وفي معجم البلدان : كفرية من قرى الشام . ولم فتصرح (المنفعة ، وزيرا) في معجم الأمكنة .

يعرف القس بن ساعدة اليايى . قولوا : كلنا يعرفه يا رسول الله . قال : فافضل ؟ قالوا هلك قال فانا انساه
بمكاظ في الشهر الحرام وهو على جبل أحر وهو يخطب الناس وهو يقول : يا أيها الناس اجتمعوا
واستمعوا وعوا ، من عاش مت ، ومن مات قت ، وكل ما هو آت . إن في السماء لخبيراً ، وإن في
الأرض لخبيراً ، مهاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجم عمود ، وبحار لا تتور . وأقسم قس قسماً حقاً
لئن كان في الأمر رضى لىكون بده سخط . ان لله لدينا هو أحب اليه من دينكم الذى أتم عليه . ما لي
أرى الناس يذهبون ولا يرجعون . أرضوا بالمقام فأقاموا . أم تركوا فنأموا . ثم قال رسول الله (س) ،
أفيكم من يروى شعره ؟ فأثدده بعضهم :

في الداهين الأولي من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يسي الأضاغر والأخبار
لا يرجع الماضى إلى ولا من السابقين غابر
أيقنت أنى لا محاً لتحيث صار القوم صائر

وهكذا اوردده الحافظ البيهقي في كتابه دلائل النبوة من طريق محمد بن حسان السلمي به . وهكذا
رويناه في الجزء الذى جمعه الاستاذ أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه في أخبار قس قال حدثنا
عبد الكريم بن الهيثم الديرعا قولى عن سعيد بن شبيب عن محمد بن الحجاج عن ابراهيم الواسطي تزيل
بضداد ويعرف بصاحب الفريسة . وقد كذبه يحيى بن معين وأبو حاتم الرازي والدارقطنى وآتهم غير
واحد منهم ابن عدى بوضع الحديث وقد رواه البزار وأبو نعيم من حديث محمد بن الحجاج هذا ورواه
ابن درستويه وأبو نعيم من طريق الكاكي عن أبي صالح عن ابن عباس وهذه الطريق أمثل من التى
قبلها وفيه إن أبا بكر هو الذى أورد القصة بكلمة فظلمها وثراها بين يدي رسول الله (س) : ورواه
الحافظ أبو نعيم من حديث احمد بن موسى بن اسحاق الخطمى . حدثنا علي بن الحسين بن محمد الخروزمي
حدثنا أبو حاتم السجستاني حدثنا وهب بن جرير عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب
عن ابن عباس . قال قدم وفد بكر بن وائل على رسول الله (س) ، فقال لهم : ما فعل حليف لكم يقال
له قس بن ساعدة اليايى وذكر القصة مطولة . وأخبرنا الشيخ المسند الرحلة احمد بن أبي طالب
الحجاري إجازة ان لم يكن سمعا قال أجاز لنا جعفر بن علي الممداني قال أخبرنا الحافظ أبو طاهر احمد بن
محمد بن احمد بن ابراهيم السلفي سمعا وقرأت على شيخنا الحافظ أبي عبد الله النهدي أخبرنا أبو علي
الحسن بن علي بن أبي بكر الظلال سمعا قال أنا جعفر بن علي سمعا قال أنا السلفي سمعا أنا أبو عبد الله
محمد بن احمد بن ابراهيم الرازي أنا أبو الفضل محمد بن احمد بن عيسى السمدى أنا أبو القاسم عبيد الله

ابن احمد بن علي النخعي. حدثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي قال حدثنا اسماعيل بن ابراهيم بن احمد السدي - قاضي فارس - حدثنا أبو داود سليمان بن سيف بن يحيى بن درهم الطائي من أهل حران حدثنا أبو عمرو سعيد بن يربع عن محمد بن اسحاق حدثني بعض أصحابنا من أهل العلم عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه قال : كان الجارود بن المعلي بن حنث بن معلي العبدي نصرانياً حسن المعرفة بتفسير الكتب وتأويلها عالماً بسير الفرس وأقوايلها بصيراً بالفلسفة والطب ظاهر الدهاء والأدب كامل الجمال ذا ثروة ومال وانه قدم على النبي (س)، وأفدأ في رجال من عبد القيس ذوى اراء واسنان وفصاحقويان وحجج وبرهان فلما قدم على النبي (س)، وقف بين يديه وأشار اليه وأنشأ يقول :

يا نبيَّ المهدي أنتك رجالٌ قطعت فدفنداً وآلا فآلا
وطوتُ نحوك الصالح هوى لانمَّ السلال فيك كلالا
كل بهما قصر الطرف عنها أرقنها ففلاصنا ارقالا
وطونها الساق يجمع فيها بكامة كأنهم تسلالا
تبتني دَفْعُ بأسِ يومٍ عظيم هائل أوجع القلوب وهالا
ومزادا لمحشر الخلق طراً وفراقاً لمن تمادى ضلالا
نحو نورٍ من الاله وبرها لب وُبرو فمسمراً أن تنالا
خصك الله يا ابن آمناتك يربها اذأنت سجالا سجالا
فاجلر الحظ منك يا حجة الا مجزلاً لا حظاً خلف أحوالا

قال فاذناه النبي (س)، وقرب مجلسه وقال له . يا جارود لقد تأخر الموعود بك وبقومك . فقال الجارود : فذاك أبي وأمي أما من تأخر عنك فقد فاته حظه وتلك أعظم حوبة واغلظ عقوبة وما كنت فيمن رآك أو سمع بك فمداك واتبع سواك واني الآن على دين قد علمت به قد جئتك وها أنا تلوكة لدينك أفذلك مما يحص الذنوب والمآثم والحبوب؟ ويرضى الرب عن المربوب فقال له رسول الله (س) : أنا ضامن لك ذلك واخلص الآن لله بالواحدنية ودع عنك دين النصرانية . فقال الجارود : فذاك أبي وأمي مديديك فانا اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد انك محمد عبده ورسوله . قال : فاسلم واسلم معه الناس من قومه فسر النبي (س)، باسلامهم ، واظهر من اكرامهم ماسروا به وابتهجوا به . ثم اقبل عليهم رسول الله (س)، فقال : أفياكم من يعرف قس بن ساعدة الايادي فقال الجارود فذاك أبي وأمي كلنا نعرفه واني من بينهم لعالم بخبره واقف على أمره كان قس يارسول الله سبطاً من أسباط العرب عمر سبائة سنة تقفر منها خمسة أعمار في البراري والقفار يضحك بالتسبيح على مثال المسيح لا يقره قرار ولا تمكنه دار ولا يستمتع به جبار . كان يلبس الامساح ويفوق السباح ، ولا يقتر من رهبانته يتحمس في سياحته يرض النعام

ويأنس بالهوام ، ويستمتع بالظلام ، يبصر فيعتبر ، ويفكر فيختبر ، فصار لذلك واحداً تضرب بحكته الامثال ، وتكشف به الاهوال. أدرك رأس الحوار بين سمان ، وهو أول رجل تأله من العرب ووحده ، وأقر وتعبده ، وأيقن بالبعث والحساب ، وحذر سوء المآب ، وأمر بالعمل قبل الفوت، ووعظ بالموت وسلم بالقضاء ، على السخط والرضا ، وزار القبور ، وذكر النشور ، وندب بالاشمار ، وفكر في الاقدار ، وأنبأ عن السماء والقاه ، وذكر النجوم وكشف الماء ، ووصف البحار ، وعرف الآثر ، وخطب راجياً ، ووعظ دائماً ، وحذر من الكرب ، ومن شدة الغضب، ورسّل الرسائل ، وذكر كل هائل ، وأرغم في خطبه ، وبين في كتبه ، وخوف الدهر ، وحذر الأثر ، وعظم الأمر ، وجنب الكفر ، وشرق الى الخيفية ، ودعا الى اللاهوتية. وهو القائل في يوم عكاظ : شرق وغرب ، ويتم حوزب ، وسلم وحرب ، وبابس ورطب ، واجاج وعذب ، وشمس واقار ، ورياح وأمطار ، وليل ونهار ، وأناك وذكور ، وبرار وبحور ، وحب ونبات ، وآباء وأمهات ، وجمع واشتات ، وآيات في إثرها آيات ، ونور وظلام ، ويسر واعدام ، ورب واصنام ، لمد ضل الانام ، نشو ، مولود ، ووأد مقود ، وتربية محصور ، وقدير وغنى ، ومحسن ومسوء ، نبأ لأرباب الغفلة ، ليصلحن العامل عمله ، وليقتدن الآمل امه ، كلابل هوإله واحد ، ليس بمولود ولاوالد ، أعاد وابدى ، وأمات وأحيا ، وخلق الذكر والأثى ، رب الآخرة والاولى . أما بسند : فيامشر إباد ، أين تمود وعاد ؟ وأين الآباء والأجداد ؟ وأين الليل والمواد ؟ كل له معاد يقسم قس رب العباد ، وساطح المهاد ، لتحشرن على الافراد ، في يوم التناد ، إذا فسخ في الصور ، وهر في الناقور ، واشرقت الأرض ، ووعظ الواعظ ، فانتبذ التانط وابصر اللاخط ، فويل لمن صدف عن الحق الاشهر ، والنور الازهر ، والعرض الاكبر ، في يوم الفصل ، وميزان العدل ، إذا حكم القدير ، وشهد النذير ، وبهد التصير ، وظهر التقدير ، ففريق في الجنة وفريق في السمير . وهو القائل :

ذكَرَ الْقَلْبُ مِنْ جِوَاهِرِ اَدَاكُرْ وَلِيَالِهِ خِلَالُهَا نِهَادُ
وسبجال هراطل من غمام ثرن ماء وفي جواهرن نادر
ضوءها يطامس العيون وأرعا دشداد في الخالقين تطار
وقصور مشيدة حوت الخه ير واخرى خلت بهن قفار
وجبال شوامخ راسيات وبحار مياهن غزار
ونجوم تلوح في ظلم الليه ل نراها في كل يوم تدار
ثم شمس يحثها قر اليه ل وكل متابع موأر
وصغير وأشمت وكبير كلهم في الصيد يوما موأر
وكبير مما يقصر عنه حدسه الخاطر الذي لا يحار

فلذی قد ذكرت دل على الا ه نفوساً لها هدى واعتبار

قال رسول الله ص: بها تبيت فلت انساه بدوق عكاظ ، واقفاً على جبل احمر يطلب الناس : اجتمعوا فسمعوا ، واذا سمعتم فمروا ، واذا وعيتم فتنصتوا ، وقولوا واذا قلم فاصدقوا ، من غاش ملت ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، مطر ونبات ، واحياء وأموات ، ليل داج ، وسما ذات أبراج ، ونجوم ترهر ، وبهار ترخر ، وضوء وظلام ، وليل وأيام ، وبر وآلام ، إن في السماء خبيرا ، وإن في الارض عبرا ، يحار فيهن البصرا ، وما د وضوء ، وسقف سرفوع ، ونجوم تنور ، وبحار لا تنور ، ومتايا دوان ، ودهر خوان ، كمد النسطاس ، ووزن التسطاس . اقسام قس قسا ، لا كاذبا فيه ولا اثما ، ائن كان في هذا الأمر رضى ، ليكون سنط . ثم قال : أيها الناس ان الله دينا هو أحب اليه من دينكم هذا الذى أنتم عليه وهذا زمانه واوانه . ثم قل مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ، ارضوا بالقيام فقاموا؟ أم تركوا فناموا . والتفت رسول الله ص : الى بعض أصحابه فقال : أيكم يروى شمره لنا؟ فقال أبو بكر الصديق : فذاك أبى وأمى أنا شاهد له في ذلك اليوم حيث يقول :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لا رأيت موارداً لغوت ليس لها مصادر
ورأيت قومي - نحوها يمضى الأصغر والاكبر
لا يرجع الماضى السى ولا من الباقين غير
أيقنت أنى لا يحا لتحيث صار القوم صائر

قال : فقام الى رسول الله ص ، شيخ من عبد القيس عظيم الهامة ، طويل القامة ، بيد مابين المنكبين فقال : فذاك أبى وأمى وأنا رأيت من قس عجبا . فقال له رسول الله ص : ما الذى رأيت يا أبا بنى عبد القيس؟ فقال : خرجت في شبيقتى أربع بمرآنى ندعى أفره في تنائف قفاف ذات ضنايس وعرضات جنبات بين صدور جذعان ، وغير حودان ، ومهمه ظلمان ، ورصيع لبهان ، فبينما أنا في تلك الهوات أجول ببسبها واروق فدفدها إذا أنا مهبضة في نشزاتها أراك كباث مخضوضلة واعصانها متهدلة كأن بربرها حب الفلفل وبواسق اقحوان ، وإذا بين خرازة وروضة مدهامة ، وشجرة عارمة ، وإذا أنا بقس بن ساعدة في أصل تلك الشجرة ويده قضيب . فدنوت منا وقلت له : أنعم صباحا فقال : وانت فتم صباحك او قد وردت العين سباع كثيرة فكان كما ذهب سبع منها يشرب من العين قبل صاحبه ضربه قس بالفضيب الذى بيده . وقال : اصبر حتى يشرب الذى قبلك فدعرت من ذلك ذعراً شديدا ، ونظر الى قال لا تخف . واذا بقبرين بينهما مسجد فقلت ما هذان ؟ التبران ؟ قال قبراً أخوين كانا يبدان الله عز وجل بهذا الموضع قائا مقبرين قبريما عبد الله حتى الحق بها . فقلت له : أفلا تلحق بقومك فتكون معهم في خيرهم وتباينهم على

شرم؟ فقال لي: نكثت أمك أو ما علمت أن ولد اسماعيل تركوا دين أبيهم واتبعوا الأضداد وعظموها
الانداد ثم أقبل على القبرين وانثأ يقول:

خليلٌ هباً ما لما قد رقدتما أجدنا كما لا تقضيان كرا كما
أرى النوم بين الجلد والمطم منكما كأن الذي يسقي العار سقا كما
أمن طول نوم لا تحيان داعياً كأن الذي يسقي العار سقا كما
ألم تعلما أني بنجران مفرداً ومالي فيه من حبيب سوا كما
مقيم على قبريكما لست بارحاً إلبت الليالي أو يجيب صدا كما
أأبيكما طول الحياة وما الذي برد على ذي لوعة أن بكما كما
فأوجعت نفس لنفس أسرى، فندى جلدت بنفسي أن تكون ندا كما
كأنكما الموت أقرب غايمة بروحي في قبريكما قد أنا كما

قال قال رسول الله (ص): «رحم الله قسماً أما إنه سيبعث يوم القيامة أمة واحدة . وهذا الحديث
غريب جداً من هذا الوجه وهو مرسل إلا أن يكون الحسن سممه من الجارود والله أعلم .

وقد رواه البيهقي: والحافظ أبو القاسم ابن عساكر من وجه آخر من حديث محمد بن عيسى بن محمد
ابن سعيد القرشي الاخباري ثنا أبي ثعالب بن سليمان بن علي عن علي بن عبد الله عن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما . قال: قدم الجارود بن عبد الله ^(١) فذكر مثله أو نحوه مطولاً بزيادات كثيرة: في نظمه
ونثره ، وفيه ما ذكره عن الذي ضل بغيره فذهب في طلبه قال فبت في واد لا آمن فيه حتى: ولا أركن
إلى غير سفي ، أرقب الكوكب ، وأرقق النيب ، حتى إذا الليل عسعس ، وكاد الصبح أن يتنس ،
هتف بي هاتف يقول :

يا أيها الراقد في الليل الأجم قد بعث الله نبياً في الحرم
من هاشم أهل الوفاء والكرم يجلو دجيات الدياجي والبهيم
قال فقدرت طرفي فما رأيت له شخصاً ولا سمعت له شخصاً ، قال فانشأت أقول :
يا أيها الهاتف في داجي التللم أهلاً وسهلاً بك من طيف ألم
بتن هدالك الله في لحن الكلم ماذا الذي تدعو إليه يمتنم

قال فإذا أنا بنحنة وقائلاً يقول: ظهر النور، وبطل الزور، بعث الله محمداً بالجبور، صاحب النجيب
الاحمر، والتاج والمنفر، والوجه الازهر، والحاجب الاقمر، والطرف الاحور، صاحب قول شهادة
أن لا اله الا الله وذلك محمد المبعوث إلى الاسود والايض أهل المدر والوريم انثأ يقول:

(١) تقدم: انه الجارود بن المولى واختلف في اسم أبيه كما في أسد الغابة وليس في آياته عبد الله فليتنظر

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبثاً
لم يخلقنا يوماً سدى من بدر عيسى وأكثر
أرسل فينا أحمداً خير نبي قد بُعث
صلى عليه الله ما حج له ركبٍ وحش

وفيه من إنشاء قس بن ساعدة :

ياناعي الموت والمحدود في جدثٍ عليهم من بقايا قولهم خرّق
دعهم فإن لهم يوماً يصاح بهم فمسم إذا اتسموا من نومهم أرقوا
حتى يهودوا بحالٍ غير حالهم حكماً جديداً كما من قبله خلّقوا
منهم عسرة ومنهم في ثيابهم منها الجديد ومنها المنهج الخلق

ثم رواد البيهقي عن محمد بن عبد الله بن يوسف بن احمد الاصماني . حدثنا أبو بكر احمد بن سعيد
ابن فرضخ الاخمي بمكة ثنا القاسم بن عبد الله بن مهدي ثنا أبو عبيد الله سعيد بن عبد الرحمن
الخرزمي ثنا سفيان بن عيينة عن أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس . فذكر القصة وذكر
الانشاد قال فوجد واحد رأسه صحيفة فيها :

ياناعي الموت والاموات في جدثٍ عليهم من بقايا نومهم خرّق
دعهم فإن لهم يوماً يصاح بهم كما كتبت من نوماته الضيق
منهم عسرة وموت في ثيابهم منها الجديد ومنها الأزرق الخلق

فقال رسول الله ص . : والذي يثنى بالخلق لقد آمن قس بالبعث . واصله مشهور وهذه الطرق على
ضمها كالتعاضد على اثبات أصل القصة وقد تكلم أبو محمد بن درستوية على غريب ما وقع في هذا
الحديث واكثره ظاهر إن شاء الله تعالى وما كان فيه غرابة شديدة نهبنا عليه في الحواشي ^(١)

وقال البيهقي : أنا أبو سعيد بن محمد بن احمد الشعبي ثنا أبو عمرو بن أبي طاهر الحمد آبادي لفظاً
ثنا أبو لبة محمد بن المهدي الاموردي ^(٢) ثنا أبي ثنا سعيد بن هبيرة ثنا المعتز بن سليمان عن أبيه عن انس
ابن مالك قال قدم وفد اباد على النبي ص . فقال : ما فعل قس بن ساعدة اقالوا هلك . قال أما اني سمعت
منه كلاماً أرى اني احفظه فقال بعض القوم نحن نحفظه يا رسول الله . قال هاتوا : فقال قائلهم اني واقف بسوق
عكظ فقال : يا أيها الناس استمعوا واطمعوا وعواء كل من عاش مات ، وكل من مات فأت ، وكل ما هوات
آت ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهرة ، وبحار تزخر ، وجبال مرسية ، وأنهار تجري ، إن في السماء
لخبراً ، وإن في الارض لخبيراً ، وأرى الناس يموتون ولا يرجعون ارضوا بالقامة فاقموا ، أم تركو فناموا ، أقسم
(١) لم تفصل اليينا هذه الحواشي التي نبه عليها المصنف في النسخ التي بأيدينا . (٢) كذا في الاصلين

قس قسما بالله لا آثم فيه ، إن الله ديناً هو أَرْضَى مما أنتم عليه ثم أنشأ يقول :

في الذاهبين الاوا بين من الترون لنا بصائر
لما رأيت مصارعاً للقوم ليس لها مصادر
ورأيت قسوى نحوها بمضى الاكابر والاصاغر
أيقنت انى لا محالة حيث صار القوم صائر

ثم ساقه البيهقي من طرق أخر قد نبهنا عليها فيما تقدم ثم قال بعد ذلك كله وقد روى هذا الحديث عن الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس بزيادة و نقصان . وروى من وجه آخر عن الحسن البصرى منقطعاً وروى مختصراً من حديث سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة . قلت : وعبادة بن الصامت كما تقدم وعبد الله بن مسعود كما رواه أبو نعيم في كتاب الدلائل عن عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطى عن أبي الوليد طريف بن عبيد الله مولى على بن أبي طالب بالموصل عن يحيى بن عبد الحميد الخمانى عن أبي معاوية عن الاعشى عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود فذكره . وروى أبو نعيم أيضاً حديث عبادة المتقدم وسعد بن أبي وقاص . ثم قال البيهقي وإذا روى الحديث من أوجه أخر وإن كان بعضها ضعيفاً دل على أن للحديث أصلاً والله أعلم

زبير بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه

هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرظ بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى القرشى العدوى . وكان الخطاب والد عمر بن الخطاب عه وأخاه لأمه . وذلك لأن عمرو ابن نفيل كان قد خلف على امرأة ابيه بعد ابيه وكان لها من نفيل أخوه الخطاب قاله الزبير بن بكار ومحمد ابن اسحاق . وكان زيد بن عمرو قد ترك عبادة الاوثان وفلق دينهم وكان لا يأكل الا ما ذبح على اسم الله وحده قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة عن ابيه عن اسماء بنت ابي بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مستنداً ظهره الى الكعبة يقول يا مشر قريش والذى نفس زيد بيده ما اصبح احد منكم على دين ابراهيم غيرى . ثم يقول : اللهم انى لو أعلم أحب الوجوه اليك عبدتك به ولكنى لا أعلم ثم يسجد على راحلته وكذا رواه أبو اسامة عن هشام به وزاد وكان يصلى الى الكعبة ويقول إلهى إله ابراهيم ، ودينى دين ابراهيم . وكان يحيى المؤودة ويقول للرجل اذا اراد ان يقتل ابنته لا تقتلها ادفعها الى اكفها فاذا ترعرعت فان شئت فخذها وان شئت فادفعها . أخرجه النسائى من طريق أبي أسامة وعلقه البخارى فقال : وقال الليث كتب الى هشام بن عروة عن ابيه به وقال يونس ابن بكير عن محمد بن اسحاق : وقد كان نفر من قريش زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل بن أسد بن

عبدالمزى وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبدالمزى وعبدالله بن جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن
 برة بن كبير بن غنم بن دودان بن اسعد بن اسد بن خزيمعة . وأمه أميمة بنت عبدالمطلب . واخته زينب
 بنت جحش التي تزوجها رسول الله (ص) . بعد مولاه زيد بن حارثة كما سيأتي بيانه . حضروا قريشاً عند
 وثن لهم كانوا يذبحون عنده لعيد من أعيادهم ، فلما اجتمعوا اخلا بعض أولئك النفر الى بعض وقالوا تصادقوا
 وليكنتم بعضكم على بعض . فقال قائلهم تعلمن والله ما قومكم على شيء لقد أخذوا دين ابراهيم وخالفوه ما وثن
 يعبد ؟ لا يضرو ولا ينفع فاجتروا لانفسكم فخرجوا يطلبون ويسرون في الارض يلتمسون أهل كتاب من
 اليهود والنصارى والممل كاهن . الحنيفية دين ابراهيم ، فلما ورقة بن نوفل فتنصر واستحکم في النصرانية
 واجتنب الكتب من أهلها حتى علم علما كثيراً من أهل الكتاب ولم يكن فيهم أعدل اسماً وأعدل ميثاقاً من
 زيد بن عمرو بن نفيل اعتزل الأوثان وفارق الأديان من اليهود والنصارى والممل كاهن إلا دين الحنيفية
 دين ابراهيم يوحد الله ويخلص من دونه ولا يأكل ذبيحة قومه فاذا هم بالفراق لما هم فيه . قال : وكان الخطاب
 قد آذاه أذى كثيراً حتى خرج منه إلى أعلى مكة ووكّل به الخطاب شاباً من قريش وسفهاء من سفهائهم
 فقال لا تتركوه يدخل فمكان لا يدخلها إلا سراً منهم فاذا علموا به أخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد
 عليهم دينهم أو يتابعه أحد الى ما هو عليه . وقال موسى بن عقبة سمعت من أرضي يحدث عن زيد بن
 عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبيحتهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء ماء وأثبت لها
 من الأرض لم تذبحوها على غير اسم الله . انكاراً لذلك واعظاماً له ؟ وقال يونس عن ابن اسحاق وقد
 كان زيد بن عمرو بن نفيل قد عزم على الخروج من مكة فضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين
 ابراهيم وكانت اسماءه صفيية بنت الحضرمي كلما أبصرته قد نهض للخروج وأرادت الخطاب بن
 نفيل فخرج زيد إلى الشام يلتمس وطلب في أهل الكتاب الأول دين ابراهيم ويسأل عنه ولم يزل في
 ذلك فيما يزعمون حتى أتى الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل حتى أتى الشام فجعل فيها حتى أتى راهباً بيعة
 من أرض البلقاء كان ينتهي اليه علم النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية دين ابراهيم فقال له الراهب
 إنك لتسأل عن دين ما أنت بواجب من يملك عليه اليوم ، لقد درس من علمه وذهب من كان يعرفه ،
 ولكنه قد أظلم خروج في هذا زمانه . وقد كان شام اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئاً منها فخرج
 سريعاً حين قال له الراهب ما قال يريد مكة حتى إذا كان بارض نلم عدوا عليه فقتلوه قتل ورقة برثيه :

رشدت وأنسيت ابن عمرو وإيمانا
 بدينك رباً ليس ربك كئنه
 وتزكيت أو ثمن الطواغي كاهيا
 ولو كان تحمت الأرض ستينا واديا^(١)

(١) كذا في الحلية ، وفي الأزهري (ستين)

وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة : حدثنا احمد بن طارق الوابسي ثنا عمرو بن عطية عن أبيه عن ابن
 عمر عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه كان يتأله في الجاهلية فانطلق حتى أتى رجلا من اليهود فقال له أحب
 أن تدخني ملك في دينك . فقال له اليهودي لا أدخلك في ديني حتى تبوء بنصيبك من غضب الله . فقال من
 غضب الله أفر . فانطلق حتى أتى نصرانياً فقال له أحب أن تدخني ملك في دينك ، فقال لست أدخلك
 في ديني حتى تبوء بنصيبك من الضلالة . فقال من الضلالة أفر . قال له النصراني فأتى ذلك على دين ان
 تبعته اهتديت . قال أي دين ؟ قال دين ابراهيم قال فقال اللهم إني أشهدك أتى على دين ابراهيم عليه
 أحيى وعليه أموت . قال فذكر شأنه للنبي (ص) ، فقال : هو أمة وحده يوم القيامة . وقد روى موسى بن
 عقبة عن سالم عن ابن عمر نحو هذا وقال محمد بن سمد حدثنا علي بن محمد بن عبد الله بن سيف الترمذي
 عن اسماعيل عن مجاهد عن الشعبي عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال قال زيد بن عمرو بن نفيل :
 شاعت اليهودية والنصرانية فكرهتها فكنت بالثمام وما والاها حتى أتيت راهبا في صومعة فذكرت له
 اغترابي عن قومي وكراهتي عبادة الأوثان واليهودية والنصرانية . فقال له : أراك تريد دين ابراهيم يا أخا
 أهل مكة انك لتطلب دنيا ما يوجد اليوم (احد يدين) به وهو دين أريك ابراهيم كان حنيفا لم يكن يهوديا
 ولا نصرانيا كان يصلي ويسجد إلى هذا البيت الذي يبلدك فإلحق ببلدك فان الله يمضت قومك في بلدك
 من يأتي بدين ابراهيم الخنيفة وهو اكرم الخلق على الله . وقال يونس عن ابن اسحاق حدثني بعض آل
 زيد بن عمرو بن نفيل : إن زيدا كان إذا دخل الكعبة قل لييك سقا حقا ، تمبداً ، ورقاً ، عذت بما عاذ به
 ابراهيم وهو قائم ، إذ قال الهى اننى لك عان راغم ، مها نمجشمى فأتى جاشم ، البرأبني لا أنجال ، ليس
 مهجر كن قال . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا المسعودي عن فيل بن هشام بن سعيد بن زيد بن عمرو
 ابن نفيل المدوي عن أبيه عن جده أن زيد بن عمرو وورقة بن نوفل خرجا يلتسان الدين حتى اتبيا
 إلى راهب بالموصل ، فقال لزيد بن عمرو من أين أقبلت يا صاحب البعير ؟ قال من بنية ابراهيم ، فقال
 وما تلتمس قال ألتس الدين قل ارجع فانه يوشك أن يظهر في أرضك . قال

فأما ورقة فنصر وأما أنا فمزمت على النصرانية فلم يوافقني فرجع وهو يقول :

لييك سقا حقا تمبداً ورقاً البرأبني لا أنجال فهل مهجر كن قال (١)

آمنت بما آمن به ابراهيم وهو يقول : اننى لك عان راغم ، مها نمجشمى فأتى جاشم ، ثم يخر فيسجد
 قال وجاء ابنه يعنى سعيد بن زيد أحد المشرة رضى الله عنه فقال : يا رسول الله إن أبى كما رأيت وكما
 بلك فاستغفر له ، قال نعم فانه يمضت يوم القيامة أمة واحدة . قال وأتى زيد بن عمرو بن زيد على رسول الله
 (ص) ومعه زيد بن حارثة وهما يأكلان من سفره لهما ، فدعواهما لعلماها قال زيد بن عمرو : يا ابن

(١) في هامش الخليلية : المهجر من المهجر وهي شدة الحر . وقال : من القبولة .

أخى أنا لا آكل مما ذبح على النصب. وقال محمد بن سعد حدثنا محمد بن عمرو حدثني أبو بكر بن أبي سبرة عن موسى بن ميسرة عن ابن أبي مليكة عن حजर بن أبي أهلب. قال: رأيت زيد بن عمرو وأنا عند صنم بواته بد مراجع من الشام وهو يراقب الشمس فإذا زالت استقبل الكعبة فصلى ركعة سجدة ثم يقول هذه قبلة ابراهيم واسماعيل لا أعبد حجراً ولا أصلى له ولا آكل ما ذبح له ولا استقسم الأضلام وإنما أصلى لهذا البيت حتى أموت. وكان يجح فيقف بمرقة، وكان يلبي فيقول: لبيك لا شريك لك ولا ند لك ثم يدفع من عرفة ماشياً وهو يقول لبيك، متعبداً مرفوقاً.

وقال الواقدي: حدثني علي بن عيسى الحكمي عن أبيه عن عامر بن ربيعة قال سمعت زيد بن عمرو ابن نفيل يقول: أنا أنظر نبياً من ولد اسماعيل ثم من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه وأنا أومن به واصدقه واشهد أنه نبي فإن طالت بك مدة فرأيت فافترته مني السلام وسأخبرك ما منته حتى لا يخفى عليك قلت: هلم! قال: هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بكثير الشعر ولا بقليله وليست قنارقه عينه حرة وخاتم النبوة بين كتفيه واسمه أحمد وهذا البلد مولده ومبثه ثم يخرجهم قومه منها ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره، فأياك أن تتدع عنه فاني طفت البلاد كلها أطلب دين ابراهيم فكان من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون هذا الدين ورايك ويعتونه مثل ما منته لك ويقولون لم يبق نبي غيره. قال عامر بن ربيعة: فلما أسلمت أخبرت رسول الله (س)، قول زيد بن عمرو واقترانه منه السلام فرد عليه السلام وترحم عليه وقال قد رأيت في الجنة يسحب ذبولاً

وقال البخاري في صحيحه: ذكر زيد بن عمرو بن نفيل. حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا موسى بن عقبة حدثني سالم عن عبد الله بن عمر أن النبي (س)، لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلح قبل أن ينزل على النبي (س)، الوحي فقدمت إلى النبي (س)، سفرة فإني أن ياكل منها. ثم قال زيد إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه وإن زيد بن عمرو يصيب على قریش ذنابهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء ماء وانبت لها من الأرض ثم يذبحونها على غير اسم الله انكاراً لذلك واعظاماً له.

قال موسى بن عقبة: وحدثني سالم بن عبد الله ولا أعلمه إلا يحدث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو ابن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويقيم فلقى عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال إني لملئ أن أدب دينكم فأخبرني فقال إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله قال زيد وما أفر إلا من غضب الله تعالى ولا أحمل من غضب الله شيئاً ولا أستطيعه فهل تداني على غيره؟ قال ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً قال زيد وما الحنيف؟ قال دين ابراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يسبداً إلا الله فخرج زيد فلقى عالماً من النصارى فذكر مثله فقال لني تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من

على غيره قال ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً قال وما الحنيف؟ قال دين إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج فلما برز دفع يديه فقال اللهم إني أشهدك اني على دين إبراهيم . قال وقال الليث : كُتِبَ الى هشام بن عروة عن أبيه عن اسماء بنت أبي بكر قالت رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش والله ما منكم على دين إبراهيم غيري وكان يجي المؤودة يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنه لا تقتلها أنا أكفيك مؤنتها فيأخذها فإذا ترعرعت قل لا بها إن شئت دفعتها اليك وإن شئت كفيتك مؤنتها انتهى ما ذكره البخاري

وهذا الحديث الأخير قد أسنده الخافظ ابن عساکر من طريق أبي بكر بن أبي داود عن عيسى ابن حماد عن الليث عن هشام عن أبيه عن اسماء فذكر نحوه . وقال عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام ابن عروة عن أبيه عن اسماء قالت سمعت زيد بن عمرو بن نفيل وهو مسند ظهره الى الكعبة يقول : يا معشر قريش إياكم والزنا فانه يورث الفقر . وقد ساق ابن عساکر هاهنا أحاديث غريبة جداً وفي بعضها نكارة شديدة . ثم أورد من طرق متعددة عن رسول الله (ص) انه قال : يبعث يوم القيامة أمة واحدة . فمن ذلك مارواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار حدثنا يحيى بن سعيد الأموي عن مجاهد عن الشعبي عن جابر قال مثل رسول الله (ص) عن زيد بن عمرو بن نفيل انه كان يستقبل القبلة في الجاهلية ويقول الهى الله إبراهيم ودينى دين إبراهيم ويسجد . فقال رسول الله (ص) : يا معشر ذلك أمة وحده بينى وبين عيسى بن مريم . أسنده جيد حسن . وقال الواقدي : حدثني موسى بن شيبة عن خارجة ابن عبد الله بن كعب بن مالك قال سمعت سعيد بن المسيب يذكر زيد بن عمرو بن نفيل فقال توفي وقريش تبغى الكعبة قبل أن ينزل الوحي على رسول الله (ص) بخمس سنين ، ولقد نزل به وانه ليقول انا على دين إبراهيم فادلم ابنه سعيد بن زيد واتبع رسول الله (ص) ، وأنى عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد رسول الله (ص) ، فسألاه عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال : غفر الله له ورحمه فانه مات على دين إبراهيم قال فسكان المسلمون بعد ذلك اليوم لا يذكره ذاكر منهم الا ترحم عليه واستغفر له ، ثم يقول سعيد بن المسيب رحمه الله وغفر له . وقال محمد بن سعد عن الواقدي حدثني زكريا بن يحيى السعدي عن أبيه قال مات زيد بن عمرو بن نفيل بمكة ودفن باصل حراء ، وقد تقدم انه مات بارض البلقاء من الشام لما هدا عليه قوم من بني نهم فقتلوه بمكان يقال له ميفعة والله أعلم .

وقال الباغندي عن أبي سعيد الأشج عن أبي معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) : دخلت الجنة فرأيت زيد بن عمرو بن نفيل دوحتين . وهذا اسناد جيد وليس هو في شيء من الكتب . ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله ما قدمناه في بدء الخلق من تلك التمهيدية الى الله أهدي يدحتي وثنائيا وقولاً رضىً لاني الدهر باقيا

الى الملك الأعلى الذي ليس فوقه إله ولا رب يكون مدانيا
وقد قيل إنها لامية بن أبي الصلت والله أعلم . ومن شعره في التوحيد ما حكاه محمد بن اسحاق
والزبير بن بكار وغيرهما :

وأسلت وجهي لمن أسلت له الأرض بحمل صخر أقالا
دحاها فلما استوت شدتها سواء وأرسي عليها الجبالا
وأسلت وجهي لمن أسلت له الزن تحمل عبأ زلالا (١)
إذا هي سيمت الى بلدة أطاعت فصبت عليها سجالا
وأسلت وجهي لمن أسلت له الريح تُصرف حالاً فخالا
وقال محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة قال روى أبي أن زيد بن عمرو قال :

أرب واحد أم ألت رب عزلت اللات والمرى جميعاً
أدين إذا تقسمت الامور كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا المرى أدين ولا ابنتها ولا صنعني بني عمرو أزور
ولا غمأ أدين وكان رباً لنا في الدهر إذ جلي يسير
عجبت وفي الليالي مُعجبات وفي الأيام يعرفها البصير
بأن الله قد أفنى رجالا كثيراً كان شأنهم العجور
واحق آخرين ببيت قوم فيرد (٢) منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يغر ثلب يوماً كما يتروح العنص التنصير
ولكن أعبد الرحمن ربي لبغفر ذنبي ارب الصفور
فتقوى الله ربكم احفظوها متى ما تحفظوها لا تبوروا
تري الأبرار دارهم جنات والكفار حامية سمير
وخزي في الحياة وإن يموتوا يلاقوا مانضيق به الصدور

هذا تمام ما ذكره محمد بن اسحاق من هذه القصيدة. وقد رواه أبو القاسم البتوي عن مصعب بن
عبدالله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة عن أبيه عن اسماء
بنت أبي بكر قالت قال زيد بن عمرو بن قنبل :

عزلت الجرب والجنتان عني كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا المرى أدين ولا ابنتها ولا صنعني بني طشم أدير

(١) هذا البيت عن المصرية (٢) كذا في ريل بمعنى ينمو . وهي رواية ابن هشام .

ولا غنا أدين و كان ربا
 أربا واحدا أم ألف رب
 ألم تعلم بأن الله أفسى
 و ابني آخرين ير قوم
 و بينا المرء يستر لب يوما
 لنا في الدهر إذ يطلي صنير
 أدين إذا تهست الأمور
 رجلا كان شأنهم الفجور
 فيرو منهم العفلس الصفيه
 كما يتروح الفصن النضير

قالت قتال ورقة بن نوفل :

رشدت وأمنت ابن عمرو وانما
 لدينيك ربا ليس ربا كئله
 أقول إذا أهبطت أرضاً مخوفةً
 حنائيك ان الجن كانت رجاءهم
 وانت إلهي ربنا ورجائنا
 وان كان تحت الأرض سبعين واديا
 أدين لمن لا يسمع الدهر واعيها
 تباركت قدما كثرت باسمك داعيا
 نجهبت تنورا من النار حايا
 و تركك جنان الجبال كما هيا
 حنائيك لا تظهر علي الأعدايا
 و ان كنت تحت الأرض سبعين واديا
 أدين لمن لا يسمع الدهر واعيها
 تباركت قدما كثرت باسمك داعيا

تقدم أن زيد بن عمرو بن ذئيل خرج إلى الشام هو ورقة بن نوفل و عثمان بن الحويرث و عبيد الله بن جحش فتنصروا إلا زيدا فإنه لم يدخل في شيء من الأديان بل بقى على فطرته من عبادة الله وحده لا شريك له متبعاً ما أمكنه من دين إبراهيم على ما ذكرناه . وأما ورقة بن نوفل فسيأتي خبره في أول المبعث . وأما عثمان بن الحويرث فقام بالشام حتى مات فيها عند قيصر . وله خبر عجيب ذكره الأُموي ومختصره أنه لما قدم على قيصر فشكى إليه ما تلقى من قومه كتب له إلى ابن جفنة ملك عرب الشام ليجهز معه جيشاً لحرب قريش فزم على ذلك فسكبت إليه الأهراب نهاراً عن ذلك لما رأوا من عظيمة مكة وكيف فضل الله بأصحاب الليل ، فسكاه ابن جفنة قيصاً مصبوغاً مسموماً فمات من سمه فراه زيد بن عمرو بن ذئيل بشعر ذكره الأُموي تركناه اختصاراً وكانت وقته قبل المبعث بثلاث سنين أو نحوها والله سبحانه وتعالى أعلم .

سني من الجلود في زمن الهجرة

فمن ذلك ببيان المسكبة

وقد قيل : إن أول من بناه آدم وجاء في ذلك حديث صنفوع عن عبد الله بن عمرو وفي سند بن لميعة وهو ضعيف ، وأقرب الأقوال أن أول من بناه الخليل عليه السلام . كما تقدم وكذلك رواه

سماك بن حرب عن خالد بن عمر عن علي بن أبي طالب قال: ثم تهدم فبنته العالقة ثم تهدم فبنته جرم ثم تهدم فبنته قریش . قلت : سيأتي بناء قریش له وذلك قبل المبعث بخمس سنين وقبل بخمس عشرة سنة وقال الزهري كان رسول الله (س) قد بلغ الحلم . وسيأتي ذلك كله في موضعه إن شاء الله وبه الثقة

كعب بن لؤي

روى أبو نعيم من طريق محمد بن الحسن بن زبالة عن محمد بن طلحة التيمي عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي سلمة . قال: كان كعب بن لؤي يجمع قومه يوم الجمعة وكانت قریش تسميه العروبة فيخطبهم فيقول: أما بعد فاسمعوا وقلعوا وافهموا واعلموا ، لبل ساج ، ونهار ضاح ، والأرض مهاد ، والسماء بناء ، والجيال أولاد ، والنجوم اعلام ، والأولون كالأخريين ، والأثني والذكر [والروح وما يهيج الى بل] فصلوا أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وثمروا أموالكم . فهل رأيتم من هالك رجع ؟ أو ميت نشر ؟ الدار أمامكم ، والظن غير ما تقولون ، حرمكم زينوه وعظموه ، وتمسكوا به فسيأتي له نبأ عظيم ؛ وسيخرج منه نبي كريم ، ثم يقول :

نهاراً وليل كل يوم بمحادث
سواء علينا ليلاً ونهارها
بؤوبان بالأحداث حتى تأوينا
وبالنعم الضافي علينا ستورها
على غفلة يأتي النبي محمد
فيخبر أخباراً صدوقاً خبرها

ثم يقول : والله لو كنت فيها ذا سمع وبصر ، ويد ورجل ، لتنصبت فيها تنصب الجمل ، ولأرقت بها إرقال العجل . ثم يقول :

ياليقي شاهداً نجاؤاً دعونه
حين العشرة تبغي الحق خذلانا

قال وكان بين موت كعب بن لؤي ومبعث رسول الله (س) خمسمائة عام وستون سنة .

بجرير حفر زمر

على يدي عبد المطلب بن هاشم التي كان قد درس رسمها بعد طم جرم لها الى زمانه قال محمد بن اسحاق : ثم إن عبد المطلب بناها هو نائم في الحجر وكان أول ما ابتدئ به عبد المطلب من حفرها كما حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري عن مرثد بن عبد الله المزني عن عبد الله بن رزين النافقي أنه سمع علي بن أبي طالب يحدث حديثاً من حفر زمر حين أمر عبد المطلب بحفرها . قال قال عبد المطلب إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال لي احفر طيبة . قل قلت وما طيبة ؟ قال ثم ذهب عني قال فلما كان الفد رجعت إلى مضجعي فندت فجاءني فقال احفر برة . قال قلت وما برة ؟ قال ثم ذهب عني فلما كان الفد

رجعت إلى مضجعي فتمت فجأني قال احفر المذنونة قال قلت وما المذنونة ؟ قال ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فتمت فيه فجأني . قال احفر زمزم . قال قلت وما زمزم ؟ قال : لا تنزف أبداً ولا ترم ، تسقى الحبيج الأعظم ، وهي بين الفرت والدم ، عند قرة الفراب الأعصم ، عند قرية النمل . قال : فلما بين لي شأنها ودل علي ، وضعها وعرف أنه قد صدق غدا بمجمله ومعه ابنة الحارث بن عبدالمطلب وليس له يوه ثم ولد غيره فحفر فلما بدا لعبد المطلب الطمي كبير فحرفت قريش أنه قد أدرك حاجته . فقاموا إليه فقالوا : يا عبد المطلب انما بنينا اسماعيل وإن لنا فيها حقاً فأشركنا ملك فيها . قال : ما أنا بفاعل إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم وأعطيت من بينكم قالوا له فانصفنا فانا غير تاركك حتى نحاصك فيها . قال : فاجعلوا بيني وبينكم من شتم أحباكم اليه قالوا كاهنة نبي سعد بن هذيم قال : نعم وكانت بأشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من نبي أمية وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا والأرض إذ ذاك معاوذة حتى إذا كانوا ببعضها فندما عبد المطلب وأصحابه فطشوا حتى استيقنوا بالملك فاستسقوا من معهم فأبوا عليهم وقالوا إنا بمغازة وإنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فقال عبدالمطلب إني أرى أن يحضر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما لستم الآن من القوة فكلما مات رجل دفنه أصحابه في حفرة ثم واروه حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعه . فقالوا: نعم أسرته فحفر كل رجل لنفسه حفرة ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشى ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه ألتينا بأيدينا هكذا للموت لا تضرب في الأرض لا يفتني لأفئنا لجز فسي أن برزقنا ماء بمض البلاد فلرئعوا حتى إذا بث عبد المطلب راحلته اغضرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبدالمطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستسقوا حتى ملأوا أسقيهم ثم دعا قبائل قريش وهم ينتظرون اليهم في جميع هذه الأحوال قال هدوا إلى الماء فقد سقانا الله فجأوا فشربوا واستسقوا كلهم ثم قالوا قد والله قضى لك علينا والله ما نحاصك في زمزم أبداً إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الغلاة هو الذي سقاك زمزم فلرجع إلى شقايك راشداً فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبين زمزم

قال ابن اسحاق فهذا ما بلغني عن علي بن أبي طالب في زمزم قال ابن اسحاق وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :

فمادع بالماء الروى غير الكيد يسقي حبيج الله في كل مبر

ليس يخاف منه شيء ما عمر

قال فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال قعدوا أي قد أمرت أن احفر زمزم قالوا فهل يبين لك ابن عمي ؟ قال : لا قالوا فارجم لي مضجك الذي رأيت فيه مارأيت فان يك حقاً من الله

بين لك وإن يك من الشيطان فلن يهود اليك فرجع ونام فأتى قبيل له :
 احفر زمزم . لانك إن حفرتها لن تنعم . وهي تراث من أهلك الأعمى . لا تنزف أبداً ولا تزعم .
 تسقى الحبيج الأعمى . مثل فعام جاقل لم يقسم . ينذر فيها نادر بمهم . تكون ميراثاً وعقداً محكم . ليست
 لبعض ما قد تعلم . وهي بين الغرث والدم .

قال ابن اسحاق : فزعموا أن عبد المطلب حين قيل له ذلك قال وأين هي ؟ قيل له عند قرية النمل
 حيث ينقر الغراب غداً . فأنه أعلم أى ذلك كان . قال فنبينا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث وليس له يومئذ
 ولد غيره . زاد الاموى ومولاه أصرم . فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الروميين أساف
 وثلاثة الذين كانت قريش تنجر عندها بنجا بالمعول وقام ليحفر حيث أمر فقامت اليه قريش وقالت والله
 لا نتركك تصفر بين وثنينا اللذين نجر عندهما فقال عبد المطلب لابنه الحارث : زد عنى حتى اصفر فوافقه
 لأ مضيئ لما أمرت به فدا عرفوا أنه غير نازع حلوا به . بين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر إلا يسيراً حتى
 بدا له العظم فكبر وعرف أنه قد صدق فدنا منى به الحفر وجد فيها غزالتين من ذهب المتين كانت
 جرم قد دفنتهم ووجد فيها أسفا قلمية وأدرعا فمالت له قريش : يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك
 وحق قال لا ولكن هلم إلى أمر نصف بينى وبينكم فضرب عليها بفتداح قالوا وكيف نصنع قال اجعل
 للحمية قدحين ولى قدحين ولكم قاسحين ثم خرج قدحا على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلا
 نبي له . قالوا : أنصفت نجمل للكعبة قدحين أصفرين وله أسودين ولهم أبيضين ثم أعطوا القداح للذي
 يضرب عند هبل وهبل أكبر أصنامهم وهذا قال أبو سفيان يوم أحد : أعل هبل . ينبي هذا الصنم .
 وقام عبد المطلب يدعو الله . وذكر يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق أن عبد المطلب جعل يقول :

اللهم أنت المليك الممود ربى أنت الميسرى المعيد
 ومسك الراسية الجلود من عندك الطارف والتليد
 إن شئت ألممت كما تريد لموضع الحليسة والحديد
 فبيّن اليوم لما تريد إني نذرتُ العاهد المهودا
 أجله ربى فلا أعو

قال وضرب صاحب القداح فخرج الاصفران على النزالين للكعبة ، وخرج الاسودان على الاسياق
 والادراع لعبد المطلب ، وتخلف قدحا قريش . فضرب عبد المطلب الاسياق باللكعبة ، وضرب في
 الباب النزالين من ذهب فكان أول ذهب حلية للكعبة فيما يزعمون . ثم ان عبد المطلب أقام سقاية زمزم
 للحاج وذكر ابن اسحاق وغيره أن مكة كان فيها أبار كثيرة قبل ظهور زمزم في زمن عبد المطلب ثم
 عددها ابن اسحاق وسماها وذكر أنها كلها من مكة وحافريها الى أن قال ففتت زمزم على البطار كلها

وانصرف الناس كلهم اليها المسكنها من المسجد الحرام وفضلها على منسواها من المياه ولائها بئر اسماعيل
 ابن ابراهيم واقتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب وقد ثبت في صحيح مسلم في
 حديث اسلام أبي ذر ان رسول الله (ص) قال في زمزم: ايها لطعام طعم . وشفاء سقم . وقال الامام أحمد
 حدثنا عبد الله بن الوليد عن عبد الله بن المؤمل عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله
 (ص) : ماء زمزم لما شرب منه . وقد رواه ابن ماجه عن حديث عبد الله بن المؤمل وقد تكلموا فيه
 ولفظه ماء زمزم لما شرب له . ورواه سويد بن سعيد عن عبد الله بن المبارك عن عبد الرحمن بن أبي الموالى
 عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي (ص) قال : ماء زمزم لما شرب له . ولكن سويد بن سعيد
 ضعيف والمحمول عن ابن المبارك عن عبد الله بن المؤمل كما تقدم وقد رواه الحاكم عن ابن عباس
 مرفوعا ماء زمزم لما شرب له وفيه نظر والله أعلم . وهكذا روى ابن ماجه أيضا والحاكم عن ابن عباس
 انه قال لرجل اذا شربت من زمزم فلتقبل الكعبة واذا ذكر اسم الله وتنفس ثلاثا وتصلع منها فاذا فرغت
 فاحمد الله فان رسول الله (ص) قال : ان آية ما بيننا وبين المنافقين لا يتصلون من ماء زمزم . وقد ذكر
 عن عبد المطلب انه قال : اللهم اني لا احلها لغتسل وهي لشارب حل وبل . وقد ذكره بعض الفقهاء
 عن العباس بن عبد المطلب ، والصحيح انه عن عبد المطلب نفسه فانه هو الذي جدد حفر زمزم كما تقدمنا
 والله أعلم . وقد قال الاموي في مغازيه : حدثنا أبو عبيد أنخري بن يحيى بن سعيد عن عبد الرحمن بن
 حرملة سمعت سعيد بن المسيب يحدث أن عبد المطلب بن هاشم حين احتفر زمزم . قال : لا احلها لغتسل
 وهي لشارب حل وبل . وذلك انه جعل لها حوضين حوضاً للشرب ، وحوضاً للوضوء . فعند ذلك قال :
 لا احلها لغتسل ليزه المسجد عن ان يغتسل فيه . قال أبو عبيد قال الاصمعي : قوله وبل اتباع قال أبو عبيد
 والاتباع لا يكون بواو العطف وانما هو كما قال مستمر بن سليمان ان بل بلفظة حمير مباح ثم قال أبو عبيد
 حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود انه سمع زراً انه سمع العباس يقول : لا احلها لغتسل وهي
 لشارب حل وبل . وحدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن عبد الرحمن بن علقمة انه سمع ابن
 عباس يقول ذلك وهذا صحيح اليهما ، وكأنها يعولان ذلك في أيامهما على سبيل التبليغ والاعلام بما
 اشترطه عبد المطلب عند حفره لما فلا يتأق ما تقدم والله أعلم . وقد كانت السقاية الى عبد المطلب أيام
 حياته ثم صارت الى ابنة أبي طالب مدة ثم اتفق انه املق في بعض السنين فاستعان من أخيه العباس
 عشرة آلاف الى الموسم الآخر وحفرها أبو طالب في الحجيج في عامه فيها يتعلق بالسقاية فلما كان العام
 المقبل لم يكن مع أبي طالب شيء فقال لآخيه العباس اسلفني أربعة عشر ألفا ايضا الى العام المقبل أعطيك
 جميع مالك فقال له العباس : بشرط ان لم تعطني تترك السقاية لي كيفكما فقال : نعم فلما جاء العام الآخر
 لم يكن مع أبي طالب ما يعطى العباس فترك له السقاية فصارت اليه ثم من بعده صارت الى عبد الله ولده

ثم الى علي بن عبد الله بن عباس ثم الى داود بن علي ثم الى سليمان بن علي ثم الى عيسى بن علي ثم أخذها المنصور واستتاب عليها مولاه أبا رزين ذكره الاموي .

نذر عبد المطلب وجم ولده

قال ابن اسحاق : وكان عبد المطلب فيما يزعمون نذر حين اتى من قريش ما اتى عند حفر زمزم لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى نذره ليذبحن أحدهم لله عند الكعبة . فلما تكامل بنوه عشرة وعرف انهم سيمتونه وهم . الحارث . والزيير . وحجل . وضرار . والمقوم . وأبو هلب . والعباس . وحمزة . وأبو طالب . وعبد الله . جميعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء لله عز وجل بذلك فاطاعوه وقلوا كيف نصنع ؟ قال ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه ثم اتونى ففعلوا ثم أتوه ، فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة . وكان عند هبل قدح سبعة وهي الازلام التي يتحاكون اليها إذا أعضل عليهم أمر من عقل أو نسب أو أمر من الأمور مما يؤده فاستقسموا بها فأمرتهم بما أوأمرتهم عنه امتثلوه . والمقصود ان عبد المطلب لما جاء يستقسم بالقدح عند هبل خرج القدح على ابنة عبد الله وكان اصغر ولده واحبهم اليه ، فانخذ عبد المطلب بيد ابنة عبد الله واخذ الشفرة ثم أقبل به الى اساف وثالثة ليذبحه فقامت اليه قريش من اندبها فقالوا : ما تريد يا عبد المطلب ؟ قال اذبحه فقالت له قريش وبنوه أخوة عبد الله والله لا نذبحه أبداً حتى تمذر فيه لئن فلت هذا لا يزال الرجل ينجي . بابتة حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا ، وذكر يونس بن بكير عن ابن اسحاق ان العباس هو الذي اجتذب عبد الله من تحت رجل ابيه حين وضعها عليه ليذبحه فيقال انه شج وجهه شجاً لم يزل في وجهه الى أن مات ثم اشارت قريش على عبد المطلب أن يذهب الى الحجاز فان بها عرافة لها تابع فيسأطأ عن ذلك ثم أنت على رأس امرتك بذبحه فاذبحه وان امرتك بأمر لك وله فيه مخرج قبلته فانطلقوا حتى أتوا المدينة فوجدوا العرافة وهي سباح فيما ذكره يونس بن بكير عن ابن اسحاق بنخبر فركبوا حتى جاؤا فسألوها وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنة فقالت لهم ارجعوا عنى اليوم حتى يأتي نبي فأسأله فرجعوا من عندها فلما خرجوا قام عبد المطلب يدعوا لله ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءني الخبر ، كم الدية فيكم ؟ قالوا عشر من الابل وكانت كذلك قالت فارجموا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرا من الابل ثم اضربوا عليها وعليه بالقدح فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم وان خرجت على الابل فانحروها عنه فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم فخرجوا حتى قدموا مكة فلما اجمعوا على ذلك الاسر قام عبد المطلب يدعوا الله ثم قربوا عبد الله وعشراً من الابل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرآ ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرآ فلم

يزالوا يزيدون عشراً عشراً ويخرج القدح على عبد الله حتى بلغت الابل مائة . ثم ضربوا فخرج القدح على الابل فقالت عند ذلك قريش لعبد المطلب وهو قائم عند هبل يدعو الله قد انتهى رضى ربك يا عبد المطلب . فمئنها زعموا انه قال لا حتى اضرب عليها بالقدح ثلاث مرات فضربوا ثلاثا ويقع القدح فيها على الابل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها انسان ولا يمنع . قال ابن هشام ويقال ولا سمع . وقد روى انه لما بلغت الابل مائة خرج على عبد الله أيضا فزادوا مائة أخرى حتى بلغت مائتين فخرج القدح على عبد الله فزادوا مائة أخرى فصارت الابل ثلاثمائة . ثم ضربوا فخرج القدح على الابل فنحرها عند ذلك عبد المطلب والصحيح الاول والله أعلم . وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب أن ابن عباس سأته امرأة أنها نذرت ذبيح ولدها عند الكعبة فامرها بذبيح مائة من الابل وذكر لها هذه القصة عن عبد المطلب . وسألت عبد الله بن عمر فلم يقمها بشيء بل توقف . فبلغ ذلك مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة فقال انهما لم يصيبا الفتيان ثم امر المرأة أن تحمل ما استطاعت من خير ونهاها عن ذبيح ولدها ولم يأمرها بذبيح الابل ، واخذ الناس بقول مروان بذلك والله أعلم .

ترويح جسد المطلب لرسنة جسد الله من آمنة بنت وهب الزهرية

قال ابن اسحاق : ثم انصرف عبد المطلب أخفأ بيد ابنة عبد الله فر به - فيما يزعمون - على امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قصي وهي أم قتال أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهي عند الكعبة فنظرت إلى وجهه فقالت أين تذهب يا عبد الله ؟ قال مع أبي قالت لك مثل الأبل التي نحرت عنك وقع على الآن . قال أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه . فخرج به عبد المطلب حتى أتى وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وهو يومئذ سيد بني زهرة سناً وشرافاً فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهي يومئذ سيدة نساء قومها فزعموا أنه دخل عليها حين أممكها مكانه فوقع عليها فحملت منه برسول الله (س) . ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها مالك لا ترضين على اليوم ما كنت عرضت بالأمس ؟ قالت له فارقك النور الذي كان ملك بالأمس فليس لي بك حاجة . وكانت تسمع من أخبها ورقة بن نوفل - وكان قد تنصرت واتبع الكعبة - أنه كائن في هذه الأمة نبي فطعمت أن يكون منها فجعله الله تعالى في أشرف عنصر وأكرم محدث وأطيب أصل كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وسنذكر المولد مفصلاً وما قالت أم قتال بنت نوفل من الشمر تتأسف على ما فاتها من الأمر الذي رامته وذلك فيما رواه

البيهقي من طريق يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق رحمه الله :
 عليك بالزهره حيث كانوا وامنة التي حملت غلاما
 ترى المهدي حين ترا عليها ونورا قد تقدمه اماما
 [الى ان قالت] :

فكل الخلق برجوه جميعا يسود الناس مهتديا اماما
 براه الله من نور صناه فاذهب نوره عنا الظلاما
 وذلك صنع ربك اذ خباها اذا ماسار يوما او اقاما
 فيهدي اهل مكة بمد كفر ويفرض بمد ذلكم الصياما

وقال أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي : حدثنا علي بن حرب حدثنا محمد بن عمارة القرشي
 حدثنا مسلم بن خالد الزنجي حدثنا ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : لما انطلق
 عبد المطلب بابنه عبد الله ليؤوجه مر به على كاهنة من أهل قبالة مهنودة قد قرأت الكتب ، يقال
 لها فاطمة بنت مر الخثمية فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت يا فتى هل لك أن تقع على الآن
 وأعطيك مائة من الابل ؟ فقال عبد الله :

أما الحرام فالملك دونه والحل لا أجل فأستبينه
 فكيف بالأمر الذي تبغينه يحمي الكريم عرضه ودينه (١)

ثم مضى مع أبيه فؤوجه آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فأقام عندها ثلاثا . ثم إن نفسه
 دعت إلى ما دعت إليه الكاهنة فأقامها فقالت : ما صنعت بهدي ؟ فأخبرها . فقالت والله ما أنا بصاحبة
 رية ولكن رأيت في وجهك نورا فأردت أن يكون في . وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد . ثم أنشأت
 فاطمة تقول :

إني رأيت مخيلة لمت فتلاأت بجناتم (٢) القطر
 فلما نها نورا يضي له ما حوله كإضاءة البدر
 ورجوتها فخرأ أبوه به ما كل قلدح زنده يوري
 لله ما زهرية سلبت - توييكت ما استلبت وما تدر
 وقالت فاطمة أيضا :

بني هاشم قد غادرت من أخيك أمينة إذ للبار يعتركان

(١) زدنا هذه الشطرة من الروض الاف السهيلي . وليس في المصرية جميع البيت . ولا ما بعده إلى
 قوله : زهرة . (٢) في الاصل بخيام . ومخمنه من السهيلي والحنائم السحاب السود كما في القاموس .

كا خادَرَ المصباحُ عند خُوده فتائلٌ قد رَمِيتَ له بدهان
 وما كل ما يحوي الفتى من بلائه يجزم ولا مافته لبتواني
 فأجله إذا طالبت أمرأته سيكنيكه بجانِبِ يمتلجان
 سيكنيكه إما بد مُقَلَّلة وإما بد مبسوطه بينان^(١)
 ولما حوت منه أمانة ما حوت حوت منه فخراً ما لذلك ثن

وروى الامام أبو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة من طريق يعقوب بن محمد الزهري عن
 عبد العزيز بن عمران عن عبد الله بن جعفر عن ابن عون عن المسور بن مخرمة عن ابن عباس قال
 إن عبد المطلب قدم اليمن في رحلة الشتاء فنزل على حبر من اليهود قال فقال لي رجل من أهل الديور -
 يعني أهل الكتاب يا عبد المطلب أتأذن لي أن انظر إلى بعضك؟ قال نعم إذا لم يكن عودة . قال ففتح
 إحدى منخري فنظر فيه ثم نظر في الآخر فقال أشهد أن في إحدى يديك ملكاً وفي الأخرى نبوة
 وإنا نجد ذلك في بني زهرة فكيف ذلك؟ قلت لا أدري قال هل لك من شاعة؟ قلت وما الشاعة؟ قال
 زوجة . قلت أما اليوم فلا قال فإذا رجعت فتزوج فيهم . فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهب بن
 عبد مناف بن زهرة فولدت حمزة وصبية ثم تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب فولدت
 رسول الله . وقالت قريش حين تزوج عبد الله بآمنة فلج أي فاز وغلب عبد الله على أبيه
 عبد المطلب .



(١) كذا في الحلبيّة . وفي المصرية منقطة والاقمالة التنحية والاستغاض كافي القاموس .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى: (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) ولما سأل هرقل ملك الروم لابي سفيان تلك الاستئلة عن صفاته عليه الصلاة والسلام قال كيف نسبه فيكم؟ قال هو فينا ذو نسب قال كذلك الرسل تبعث في انساب قومها يعني في اكرمها احسابا واكثرها قبيلة صلوات الله عليهم اجمعين .

فهو سيد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والاخرة . أبو القاسم . وأبو ابراهيم . محمد . واحمد . والملاحى الذى يعنى به الكفر . والمعاقب الذى ما بعده نبى . والحاشر الذى يحشر الناس على قدميه . والمقفى . ونبي الرحمة . ونبي التوبة . ونبي الملحمة . وخاتم النبيين . والفاتح . وطه . ويس . وعبد الله .

قال البيهقي : وزاد بعض العلماء فقال سماه الله في القرآن رسولا . نبيا . أمينا . شاهداً . مبشراً . نذيراً ، وداهيا الى الله باذنه وسراجاً منيراً . ورؤفاً رحيماً . ومذكراً . وجمله رحمة ونعمة وهادياً .

وسنورد الاحاديث المروية في اسمائه عليه الصلاة والسلام في باب تقدمه بعد فراغ السيرة . فانه قد وردت احاديث كثيرة في ذلك اعتنى بجمعها الحافظان الكبير ان أبو بكر البيهقي وأبو القاسم بن عساكر وافرد الناس في ذلك مؤلفات حتى رام بعضهم أن يجمع له عليه الصلاة والسلام ألف اسم . واما الفقيه الكبير أبو بكر بن العربي المسالكى شارح الترمذى بكتابه الذى سماه الاحوذى فانه ذكر من ذلك أربعة وستين اسماً والله أعلم .

وهو ابن عبد الله وكان اصغر ولد أبيه عبد المطلب وهو الذيح الثاني المسمى بمائة من الابل كما تقدم قال الزهري : وكلف اجمل رجال قريش وهو أخو الحارث والزيير وحزمة وضرار وأبي طالب - واسمه عبد مناف - وأبي لهب - واسمه عبد العزى - والمقوم - واسمه عبد الكعبة - وقيل هما اثنان وحجل واسمه المغيرة والغيداق وهو كبير الجود - واسمه نوفل - ويقال انه حجل . فهؤلاء اعمامه عليه الصلاة

والسلام . وعماه ست وهن أروى . وبرة . وأميمة . وصفية . وعانسكة . وام حكيم . وهى البيضاء .
وسنتكلم على كل منهم فيما بعد ان شاء الله تعالى . كلهم أولاد عبد المطلب . واسمه شيبه . يقال لشيبة
كانت فى رأسه ويقال له شيبه الحمد لجوده . وانما قيل له عبد المطلب لان أباه هاشما لما سر بالمدينة فى
تجارته الى الشام نزل على عمرو بن زيد بن لبيد بن حرام بن خدش بن خندف بن عدى بن النجار
الخرزجى النجارى وكان سيد قومه فاعجبته ابنته سلمى خطبها الى أبيها فزوجها منه واشترط عليه مقامها
عنده وقيل بل اشترط عليه أن لا تلد إلا عنده بالمدينة فلما رجع من الشام بنى بها واخذها معه الى مكة
فلما خرج فى تجارة أخذها معه وهى حبلى فتركها بالمدينة ودخل الشام فبات بغزة ووضت سلمى ولدا
فسمته شيبه فاقام عند اخواله بنى عدى بن النجار سبع سنين ثم جاء عمه المطلب بن عبد مناف فاخذنه
خفية من أمه فذهب به الى مكة . فلما رآه الناس ورأوه على الراحلة قالوا من هذا ملك ؟ فقال عبدى
ثم جاؤا فهنؤوه به وجعلوا يقولون له عبد المطلب لذلك فغلب عليه وساد فى قريش سيادة عظيمة وذهب
بشرفهم وراستهم . فكان جماع أسرهم عليه وكانت اليه السقاية والرفادة بعد المطلب وهو الذى جد
حفر زمزم بسد ما كانت مظلومة من عهد جرم وهو أول من طلى الكعبة بذهب فى أبوابها من تينك
الفزائين اللتين من ذهب وجدها فى زمزم مع تلك الاسيف القلمية قال ابن هشام : وعبد المطلب أخو
أسد وفضلة وأبى صفيى وحية وخالدة ورقية والشفاء وضيفة . كلهم أولاد هاشم واسمه عمرو وانما سمي
هاشما لهشمه الثريد مع اللحم لقومه فى سنى المحل كما قال مطرود بن كعب الخزاعى فى قصيدته وقيل
لازبهرى والد عبد الله :

عمرو الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مشيتون عاف
سنت الشيه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الأسياف

وذلك لانه أول من سن رحلتى الشتاء والصيف وكان أكبر ولد أبيه . وحكى ابن جرير انه كان توأم
أخيه عبد شمس وان هاشما خرج برجله ملتصقة برأس عبد شمس فما تخلصت حتى سال بينهما دم فقال
الناس بذلك يكون بين أولادها حروب فكانت وقعة بنى العباس مع بنى أمية بن عبد شمس سنة ثلاث
وثلاثين ومائة من الهجرة . وشقيقهم الثالث المطلب وكن المطلب أصغر ولد أبيه وأمهم عاتكة بنت مرة
ابن هلال . ورايهم نوفل من أم أخرى وهى واقدة بنت عمرو المازنية وكانوا قد سادوا قومهم بعد أبيهم
وصارت اليهم الرياسة وكان يقال لهم المجيرون وذلك لانهم أخذوا قومهم قريش الأمان من ملوك
الأقاليم ليدخلوا فى التجارات الى بلادهم فكان هاشم قد أخذ أمانا من ملوك الشام والروم وغسان
واخذ لهم عبد شمس من النجاشى الأكبر ملك الحبشة ، واخذ لهم نوفل من الاكاسرة ، واخذ لهم المطلب
أمانا من ملوك حمير . ولهم يقول الشاعر :

يَا أَيُّهَا الزَّجَلُ المَحْرُورُ رَحَلَهُ الْإِثْرُ يَا كَرِيمُ عِبْدِ مَنْفٍ

وكان الى هاشم السقاية والرفادة بعد أبيه ، واليه والى أخيه المطلب نسب ذوى القربى ، وقد كانوا شيئاً واحداً في حالتى الجاهلية والاسلام لم يفتقروا ، ودخلوا معهم فى الشعب ، وانخبل عنهم بنو عبد شمس ونوفل . ولهذا يقول أبو طالب فى قصيدته :

جِزَى اللَّهِ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوفَلًا عُقُوبَةَ شَرِّ عَاجِلًا غَيْرِ آجِلٍ

ولا يعرف بنو أب تياتوا فى الوفاة مثلهم ، فان هاشم مات بتره من أرض الشام ، وعبد شمس مات بمكة ، ونوفل مات بسلمان من أرض العراق ، ومات المطلب - وكان يقال له القمر لحسنه - بربان من طريق البين - فهؤلاء الاخوة الأربعة المشاهير وهم هاشم ، وعبد شمس ، ونوفل ، والمطلب . ولهم أخ خامس ليس بمشهور وهو أبو عمرو واسمه عبد ، وأصل اسمه عبد قصى . فقال الناس عبد بن قصى درج ولا عقب له . قاله الزبير بن بكار وغيره . واخوات ست وهن ، تماضر ، وحية ، وريطة ، وقلابة ، وام الاحثم ، وام سفيان . كل هؤلاء أولاد عبد مناف ومناف اسم صتم وأصل اسم عبد مناف المغيرة . وكان قد رأس فى زمن والده ، وذهب به الشرف كل مذهب . وهو أخو عبد الدار الذى كان أكبر ولد ابيه واليه أوصى بالمناصب كما تقدم . وعبد العزى وعبد وبرة وتبحر وأمههم كلهم حبي بنت حليل بن حبشى بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى وأبوها آخر ملوك خزاعة وولادة البيت منهم ، وكلهم أولاد قصى واسم زيد . وانما سمي بذلك لأن أمه تزوجت بعد أبيه بربيعه بن حزام بن عذرة فسافر بها الى بلاده وابنها صغير فسمى قصىا لذلك . ثم عاد الى مكة وهو كبير ولم يمت قريش وجمعها من متفرقات البلاد ، وازاح يد خزاعة عن البيت ، واجلام عن مكة ورجع الحق إلى نصابه وصار رئيس قريش على الاطلاق وكانت اليه الرفادة والسقاية - وهوسنها - والسدانة والحجابة واللواء وداره دار الندوة كما تقدم بسط ذلك كله - ولهذا قال الشاعر :

قُصِيَّ، لِمَسْرِي كَانَ يُدْعَى مَجْمًا بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ رَهْفَرٍ

وهو أخو زهرة كلاهما ابنا كلاب أخى تيم ويقظة أبى مخزوم ثلاثتهم ابناء سره أخى هدى وهصيص وهم أبناء كعب وهو الذى كان يخطب قومه كل جمعة ويشهرهم بمبعث رسول الله - ص - . ويفسد فى ذلك اشماراً كما قدمنا ، وهو أخو عامر وسامة وخزيمة وسعد والمارث وعوف سبعتهم أبناء لؤى أخى تيم الأدرم وهما ابناء غالب أخى المارث ومحارب ثلاثتهم أبناء فهر ، وهو أخو المارث وكلاهما ابن مالك . وهو أخو الصلت ويخلد ، وهم بنو النضر الذى اليه جماع قريش على الصحيح كما قدمنا الدليل عليه ، وهو أخو مالك وملكان وعبد مناة وغيرهم كلهم أولاد كنانة أخى أسد واسدة والمون أولاد خزيمة ، وهو أخو هذيل وهما ابنا مدركة - واسمه عمرو وأخو طابخة واسمها عامر وقمة ثلاثتهم أبناء الياس

وأخي الياس هو غيلان والد قيس كلها وهما ولدا مضر أخي ربيعة . ويقال لها الصريحان من ولد اسماعيل .
وأخوها أثمار وايد تيامنا ، اربتهم ابناء نزار أخي قضاة - في قول طائفة ممن ذهب الى أن قضاة
حجازية عدنانية - وقد تقدم بيانه كلاهما ابناء معد بن عدنان .

وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء فجميع قبائل عرب الحجاز ينتمون الى هذا النسب
ولهذا قال ابن عباس وغيره في قوله تعالى . (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) لم يكن
بطن من بطون قريش الا ولرسول الله (ص) . نسب يتصل بهم . وصدق ابن عباس رضي الله عنه فيما
قال وازيد بما قال ، وذلك أن جميع قبائل العرب المدنانية تنتهي اليه بالأب . وكثير منهم بالأمهات أيضاً
كما ذكره محمد بن اسحاق وغيره في أمهاته وأمهات آباءه وأمهاتهم ما يطول ذكره . وقد حرره ابن
اسحاق رحمه الله والحافظ ابن عساكر وقد ذكرنا في ترجمة عدنان نسبه وما قيل فيه وإنه من ولد
اسماعيل لا محالة وان اختلف في كم بينهما أباً ؟ على أقوال قد بسطناها فيما تقدم والله أعلم .

وقد ذكرنا بقية النسب من عدنان الى آدم وأوردنا قصيدة أبي العباس الناشيء المتضمنة ذلك ،
كل ذلك في أخبار عرب الحجاز والله الحمد .

وقد تكلم الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في أول تاريخه على ذلك كلاماً مبسوطاً جيداً محرراً
نافعاً . وقد ورد حديث في انتسابه عليه السلام الى عدنان وهو على المنبر ولكن الله أعلم بصحته كما قال
الحافظ أبو بكر البيهقي أبنانا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص المقرئ - ينداد - حدثنا أبو عيسى
يكنى بن احمد بن بكار حدثنا أبو جعفر احمد بن موسى بن سعد - املاء سنة ست وتسعين ومائتين -
حدثنا أبو جعفر محمد بن ابان القلانسي حدثنا أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن ربيعة القداهي حدثنا مالك بن
أنس عن الزهري عن أنس وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . قال : بلغ النبي (ص) ، أن
رجالا من كنانة يزعمون أنهم منه وأنه منهم فقال « إنما كان يقول ذلك العباس وأبو سفيان بن حرب فيأمننا
بذلك . وإنا لن ننتفي من آبائنا ، نحن بنو النضر بن كنانة : قال وخطب النبي (ص) ، فقال « أنا محمد بن
عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب
ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وما افترق الناس
فرفقتين إلا جعلني الله في خيرها فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية . وأخرجت من
نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت الى أبي وأمي ، فانا خيركم نكاحاً ، وخيركم أباً ، وهذا
حديث غريب جدا من حديث مالك . تفرد به القداهي وهو ضعيف . ولكن سند كره له شواهد من
وجوه أخر . فمن ذلك قوله « خرجت من نكاح لامن سفاح » . قال عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة عن
جعفر بن محمد عن أبيه أبي جعفر الباقر في قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) قال لم يصبه شيء

من ولادة الجاهلية قال وقال رسول الله (س) : « إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح » وهذا مرسل جيد . وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن اسحاق الصنعاني عن يحيى بن أبي بكير عن عبد الغفار بن القاسم عن جعفر بن محمد عن أبيه . قال قال رسول الله (س) : « ان الله أخرجني من النكاح ولم يخرجني من السفاح » وقد رواه ابن عدى موصولا فقال حدثنا أحمد بن حفص حدثنا محمد بن أبي عمرو المدني المسكي حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين قال اشهد على أبي حدثني عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب أن النبي (س) قال : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء » هذا غريب من هذا الوجه ولا يكاد يصح . وقال هشيم حدثنا المديني عن أبي الحويرث عن ابن عباس قال قال رسول الله (س) : « ما ولدني من نكاح أهل الجاهلية شيء ، ما ولدني إلا نكاح كنيكاح الاسلام » وهذا أيضا غريب أورده الحافظ ابن عساكر ثم استنده من حديث أبي هريرة وفي اسناده ضعف والله أعلم . وقال محمد بن سعد أخبرنا محمد بن عمر حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم عن عمه الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله (س) : « ولدت من نكاح غير سفاح » ثم أورد ابن عساكر من حديث أبي عاصم عن شيبان عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (وتقلبك في الساجدين) قال من نبى الى نبى حتى اخرجت نبيا . ورواه عن عطاء . وقال محمد بن سعد أخبرنا هشام بن محمد الكلابي عن أبيه قال كتبت للنبي (س) خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من أمر الجاهلية . وثبت في صحيح البخاري من حديث عمرو بن أبي عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله (س) : « بنت من خير قرون نبى آدم قرنا قرنا حتى يموت من القرن الذى كنت فيه » وفي صحيح مسلم من حديث الاوزاعي عن شداد أبي عمار عن واثة بن الاسقع ان رسول الله (س) قال : « ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من نبى اسماعيل نبى كنانة واصطفى من نبى كنانة قريشا واصطفى من قريش نبى هاشم واصطفاى من نبى هاشم » وقال الامام احمد حدثنا ابو نعيم عن سفينان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن المطلب بن أبي وداعة قال قال العباس بالله (س) : بعض ما يقول الناس « فصمد المنبر فقال : من أنا ؟ » قالوا أنت رسول الله قال « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ان الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا . فانا خيركم بيتا وخيركم نفسا » صلوات الله وسلامه عليه دائما أبدا الى يوم الدين . وقال يعقوب بن سفينان حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسماعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن العباس بن عبد المطلب قال قلت لرسول الله ان قريشا اذا التقوا اتى بعضهم بعضا بالإشاشة ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها . . فنفض

رسول الله (ص) عند ذلك غضباً شديداً ثم قال: «والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم الله ورسوله» فقالت يا رسول الله إن قريشاً جلسوا فنذاكروا أحسابهم فجلوا مثلك كمثل نخلة في كوة من الأرض. فقال رسول الله (ص): «إِنَّ اللَّهَ يَوْمَ يَخْلُقُ الْخَلْقَ يَجْعَلُ لِكُلِّ شَيْءٍ كِتَابًا» [قبائل] جعلني في خيرهم قبيلة. ثم حين جعل البيوت جعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً. ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن فضال عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن ربيعة ابن الحارث قال بلغ النبي (ص) فذكره بنحو ما تقدم ولم يذكر العباس. وقال يعقوب بن سفيان حدثني يحيى بن عبد الحميد حدثني قيس بن عبد الله عن الأعمش عن علية بن ربي عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): «إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ الْخَلْقَ قَسَمَيْنِ جَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمَا قَسْماً» ، فذلك قوله وأصحاب البين وأصحاب الشمال ، فانا من أصحاب البين وأنا خير أصحاب البين ، ثم جعل القسامين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً ، فذلك قوله وأصحاب الميمنة والسابقون السابقون فانا من السابقين ، وأنا خير السابقين ، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة فذلك قوله وجعلناكم شعوياً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا آخر ، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً وذلك قوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، فانا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب. وهذا الحديث في غرابة ومكارة. وروى الحاكم والبيهقي من حديث محمد بن ذكوان خال ولد حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر قال: إنا لنعوذ بفناء النبي (ص) إذ مرت به امرأة ، فقال بعض القوم هذه ابنة رسول الله (ص) ، قال أبو سفيان: مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط التنن . فانطلقت المرأة فلخبرت النبي (ص) ، فجاء رسول الله (ص) : يعرف في وجهه الغضب . فقال : « ما بال أقوال تبلغني عن أقوام إن الله خلق السماوات سبعاً فاختار العلياء منها فأسكنها من شاء من خلقه ، ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم ، واختار من بني آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر قريشاً ، واختار من قريش بني هاشم ، واختارني من بني هاشم فانا خيار من خيار ، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم» هذا أيضاً حديث غريب . وثبت في الصحيح أن رسول الله (ص) قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا نخر» وروى الحاكم والبيهقي أيضاً من حديث موسى بن عبيدة حدثنا عمرو بن عبد الله بن نوفل عن الزهري عن أبي أسامة أو أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله (ص): «قل لي جبريل قلبت الأرض من مشارقها ومغاربها فلم أجده رجلاً أفضل من محمد ، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجده بنى أب أفضل من بني هاشم» قل الحافظ البيهقي وهذه الأحاديث وإن كان في روايتها من لا يحتاج به بعضها يؤكده بعضاً ومعنى جميعها يرجع إلى حديث وأئمة بن الاستمق والله أعلم

قلت وفي هذا المعنى يقول أبو طالب يمدح النبي ص :

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لمغزٍ فبعدُ منافٍ سرُّها وصمِّها
فإن حَصَلَتْ أشرافُ عبدٍ منافيها ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمها
وإن فخرتُ يوماً فإني محمداً هو المصطفى من سرِّها وكرمها
تداعتُ قريشٌ غنماً وسميها علينا فلم يظفر وطاشتْ حلومها
وكنَّا قديماً لا قرَّ ظلامه إذا ما تنوا صمُّ الخلود قيمها
ونحى جهامها كل يومٍ كربه ونضربُ عن أجارها من برومها
بنا السَّمْسُ العودُ الذوا، وإنا بأكتافنا تنسدى وتنسى أرومها

وقال أبو السكك زكريا بن يحيى الطائي في الجزء المنسوب إليه المشهور: حدثني عمر بن أبي زحر بن حصين عن جده حميد بن منبه قال قال جدي خريم بن أوس هاجرت إلى رسول الله ص، فقدمت عليه منصرفاً من تبوك، فاسلمت فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول يا رسول الله إني أريد أن أمدحك، فقال رسول الله ص: قل لا يفيض الله لك فائزاً يقول:

من قبلها طببت في الظلال وفي مستودع حيث يُخَصَفُ الورق
ثم هبَّتْ البلادُ لا بشرٌ أذ ت ولا مَضْنَةٌ ولا علو
بل نطفةٌ تركب السفين وقد الجمُ فسرّاً وأهله النرق
تنتقل من صلبٍ إلى رجم إذا مضى عالمٌ بدا طبق
حتى احتوى يتك المهيم من خُذِفَ عليها تمحها النطق
وأنت لساؤلت أشرق الأ رض وضامت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياع وفي ال نور وسبيل الرشاد نخترق

وقد روى هذا الشعر لحسان بن ثابت فروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر من طريق أبي الحسن ابن أبي الحديد أخبرنا محمد بن أبي نصر أنا عبد السلام بن محمد بن أحمد القرشي حدثنا أبو حصين محمد ابن اسماعيل بن محمد التيمي حدثنا محمد بن عبد الله الزاهد الخراساني حدثني اسحاق بن ابراهيم بن سنان حدثنا سلام بن سليمان أبو العباس المكفوف المدائني حدثنا ورقاء بن عمر عن ابن أبي نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس قال سألت رسول الله ص: هل كنت في الجنة؟ قال: «كنت في صلبه وركب في السفينة في صلب أبي نوح وقذف في في صلب أبي ابراهيم لم يلتق أبواي على سفاح قط لم يزل الله يتلقى من الأصلاب الحسبية إلى الأرحام الطاهرة صفتي مهدي لا ينسب شعبتان إلا كنت في خيرهما وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقى وبالإسلام عهدي

ونشر في التوراة والأنجيل ذكرى وبين كل نبي صفتي تشرق الارض بنورى والغمام بوجهي وعلني
 كتابه وزادني [شرفاً] في سماائه وشق لي اسماً من أسمائه فذوالعرش مجرود وأنا محمد واحد ووعدني أن
 يجيوني بالخوض والكور وأن يجياني أول شافع وأول مشفع ثم أخرجني من خير قرن لامتى ، وم
 الحدادون بأمرهم بالمرؤف ويهنون عن المنكر» قال ابن عباس فقال حسان بن ثابت في النبي اس :-

قبلها طبت في الظلال وفي مستودع يوم يخصف الورق
 ثم سكنت البلاد لا بشر اذ ت ولا نطفة ولا علق
 مطهر تركب السفين وقد ألجم نسرأ وأهله الفرق
 تنقل من صلب إني رحم إذا مضى طبق بدا طبق

فقال النبي اس :- «يرحم الله حسانا» فقال علي بن أبي طالب وجبت الجنة لسان ورب الكعبة ثم
 قال الحافظ ابن عساكر هذا حديث غريب جداً
 قلت : بل منكر جداً والمحفوظ أن هذه الأيات للعباس رضى الله عنه ثم أوردتها من حديث أبي
 السكن زكريا بن يحيى الطائي كما تقدم

قلت : ومن الناس من يزعم أنها للعباس بن مرداس السلمي فالله أعلم :

تثنيته . قال القاضي عياض - في كتابه الشفاء - وأما احمد الذي أتى في الكتب وبشرت به
 الانبياء فنجع الله بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله ، حتى لا يدخل ليس على ضعيف
 القلب أو شك . وكذلك عمد لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده
 أن نبياً يبعث اسمه محمد . فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو (والله أعلم
 حيث يجمل رسالاته) وم : محمد بن احيحة بن الجلاح الأوسى . ومحمد بن سلمة الأنصاري . ومحمد بن
 البراء الكندي . ومحمد بن سفيان بن مجاشع . ومحمد بن حمران الجعفي . ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع
 لهم . ويقال إن أول من سمى محمداً محمد بن سفيان بن مجاشع . واليمن تقول بل محمد بن ايحدم من الازد .
 ثم إن الله حمى كل من تسمى به أن يدعى النبوة أو يدعيها له أحد ، أو يظهر عليه سبب يشكك أحداً في
 أمره حتى تحققت الشيعتان له اس لم ينازع فيهما . هذا لفظه .

باب مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولد صلوات الله عليه وسلامه يوم الاثنين . لما رواه مسلم في صحيحه من حديث غيلان بن جرير بن
 عبد الله بن معبد الزماني عن أبي قتادة أن اعرابيا قال يا رسول الله ، ما تقول في صوم يوم الاثنين فقال
 « ذلك يوم ولدت فيه وانزل علي فيه » . وقال الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لميعة عن

خالد بن أبي عمران عن حنشل الصنعاني عن ابن عباس قال: ولد رسول الله (ص) يوم الاثنين، واستنبي يوم الاثنين، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين. تفرد به أحمد ورواه عمرو بن بكير عن ابن لهيعة وزاد نزلت سورة المائدة يوم الاثنين (اليوم أكلت لكم دينكم). وهكذا رواه بعضهم عن موسى بن داود به وزاد أيضاً وكانت وقعة بدر يوم الاثنين. وعن قال هذا يزيد بن حبيب وهذا منكر جداً. قال ابن عساکر والمحفوظ ان بدرأ وتزول (اليوم أكلت لكم دينكم) يوم الجمعة وصديق ابن عساکر. وروى عبد الله بن عمر عن كريب عن ابن عباس ولد رسول الله (ص) يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين. وهكذا روى من غير هذا الوجه عن ابن عباس انه ولد يوم الاثنين. وهذا ما لا خلاف فيه انه ولد يوم الاثنين. وأبدل خطأ من قال ولد يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من ربيع الأول فله الحافظ ابن دحية فيما قرأه في كتاب أعلام الروى بأعلام الهدى لبعض الشيعة. ثم شرع ابن دحية في تضييفه وهو جدير بالتضييف إذ هو خلاف النص. ثم الجمهور على أن ذلك كان في شهر ربيع الأول قبيل الليلتين خلتا منه. قاله ابن عبد البر في الاستيعاب ورواه الواقدي عن أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن المدني. وقيل لثمان خلون منه حكاة الحميدي عن ابن حزم. ورواه مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم وقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوه وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخوارزمي ورجحه الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه التنوير في مولد البشير النذير وقيل لمشر خلون منه فله ابن دحية في كتابه ورواه ابن عساکر عن أبي جعفر الباقر ورواه مجالد عن الشعبي كما مر. وقيل لثنتي عشرة خلت منه نص عليه ابن اسحاق ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عفان عن سعيد بن مينا عن جابر وابن عباس أنهما قالوا: ولد رسول الله (ص) عام الفيل يوم الاثنين الثامن عشر^(١) من شهر ربيع الأول وقيه بمث وفيه عرج به إلى السماء وفيه هاجر وفيه مات. وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم. وقيل لسبعة عشر خلت منه كما قاله ابن دحية عن بعض الشيعة. وقيل لثمان يقين منه فله ابن دحية من خط الوزير أبي رافع بن الحافظ أبي محمد بن حزم عن أبيه والصحيح عن ابن حزم الأول انه لثمان مضمين منه كما قاله عنه الحميدي وهو ثابت. والقول الثاني انه ولد في رمضان فله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار وهو قول غريب جداً وكان مستنده انه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه في رمضان بلاخلاف وذلك على رأس أربعين سنة من عمره فيكون مولده في رمضان وهذا فيه نظر والله أعلم. وقد روى خيثمة بن سليمان الحافظ عن خلف بن محمد كدوس الواسطي عن المطي بن عبد الرحمن عن عبد الحميد بن جعفر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن

(١) بهامش المصرية: قال مؤلفه: كذا رأيته الثامن عشر. وصوابه الثاني عشر

ابن عباس قال ولد رسول الله (ص) يوم الاثنين في ربيع الاول وانزلت عليه النبوة يوم الاثنين في أول شهر ربيع الأول وانزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الاول . وهذا غريب جداً رواه ابن عساكر . قال الزبير بن بكار حملت به أمه في أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجرة الوسطى . وولد بمكة بالدار المروقة بمحمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان . ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عثمان بن عتبة بن مكرم عن المسيب بن شريك عن شبيب بن شبيب عن ابيه عن جده قال حل رسول الله (ص) في يوم عاشوراء في الحرم وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل . وذكر غيره ان الخيزران وهي أم هارون الرشيد لما حجت امرت ببناء هذه الدار مسجداً . فهو يعرف بها اليوم . وذكر السهيلي أن مولده عليه الصلاة والسلام كان في العشرين من نيسان . وهذا أعدل الزمان والنصول وذلك لسنة اثنتين وثمانين ومائة لذي القرنين فيما ذكر أصحاب الزيج . وزعموا ان الطالع كان لعشرين درجة من الجدى وكان المشتري وزحل مقترنين في ثلاث درج من المغرب وهي درجة وسط السماء . وكان موافقا من البروج الحمل وكان ذلك عند طلوع القمر أول الليل فله كاه ابن دحية والله أعلم .

قال ابن اسحاق : وكان مولد عليه الصلاة والسلام عام الفيل وهذا هو المشهور عن الجمهور . قال ابراهيم بن المنذر الحزامي : وهو الذي لا يشك فيه أحد من علمائنا انه عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل وبمث على رأس أربعين سنة من الفيل . وقد رواه البيهقي من حديث أبي اسحاق السبعي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس . قال : ولد رسول الله (ص) عام الفيل وقال محمد بن اسحاق حدثني المطالب بن عبد الله بن قيس بن مخزوم عن ابيه عن جده قيس بن مخزوم قال ولدت انا ورسول الله (ص) عام الفيل ، كئنا لذيّن . قال وسأل عثمان رضی الله عنه قبث بن اشيم أخا بني يهر بن ليث أنت أكبر أم رسول الله (ص) ؟ فقال : رسول الله (ص) ، أكبر مني وانا اقدم منه في الميلاد . ورأيت خزق الفيل اخضر محيلا . ورواه الترمذى والحاكم من حديث محمد بن اسحاق به .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (ص) عام عكاظ ابن عشرين سنة .

وقال ابن اسحاق : كان الفجار بعد الفيل بعشرين سنة ، وكان بناء السكبة بعد الفجار بخمسة عشر سنة ، والمبعث بعد بنائها بخمس سنين . وقال محمد بن جبيرة بن مطعم : كانت عكاظ بعد الفيل بخمس عشرة سنة ، وبناء السكبة بعد عكاظ بعشرين سنة ، والمبعث بعد بنائها بخمسة عشر سنة . وروى الحافظ البيهقي من حديث عبد العزيز بن أبي ثابت المديني حدثنا الزبير بن موسى عن أبي الحويرث قال سمعت عبد الملك بن مروان يقول لقبث بن اشيم الكنانى ثم اللبى : يا قبث انت أكبر أم رسول الله

اس) قال: رسول الله (س) أكبر مني ، وأنا اسن . ولد رسول الله (س) عام الفيل ، ووقفت بي أمي على روث الفيل محملاً اعتقاله . وتنبأ رسول الله (س) على رأس أربعين سنة . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا نعيم بنى ابن يسرة - عن بعضهم عن سويد بن غفلة أنه قال أنا إداة رسول الله (س) ، ولدت عام الفيل . قل البيهقي وقد روى عن سويد بن غفلة أنه قال أنا أصغر من رسول الله (س) بستين . قال يعقوب وحدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت حدثني عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان النوفلي عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم . قال ولد رسول الله (س) عام الفيل ، وكانت بعده عكاظ بخمس عشرة سنة ، ونهى البيت على رأس خمس وعشرين سنة من الفيل ، وتنبأ رسول الله (س) على رأس أربعين سنة من الفيل .

والمقصود أن رسول الله (س) ولد عام الفيل على قول الجمهور فقيل بده بشهر ، وقيل بأربعين يوماً ، وقيل بخمسين يوماً - وهو أشهر - وعن أبي جعفر الباقر كان قدوم الفيل للنصف من المحرم ، ومولد رسول الله (س) بده بخمس وخمسين ليلة ، وقال آخرون بل كان عام الفيل قبل مولد رسول الله (س) ، بمسرين . قاله ابن أزي . وقيل بثلاث وعشرين سنة رواه شعيب بن شعيب عن أبيه عن جده كما تقدم وقيل بده الفيل بثلاثين سنة . قاله موسى بن عقبة عن الزهري رحمه الله . واختاره موسى بن عقبة أيضاً رحمه الله . وقال أبو زكريا المجلاني : بده الفيل بأربعين عاماً ، رواه ابن عساكر وهذا غريب جداً ، واغرب منه ما قل خليفة بن خياط حدثني شعيب بن حبان عن عبد الواحد بن أبي عمرو عن السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، قال : ولد رسول الله (س) قبل الفيل بخمس عشرة سنة وهذا حديث غريب ومنكر وضعيف أيضاً ، قال خليفة بن خياط والمجتمع عليه أنه عليه السلام ولد عام الفيل .

صفة مولد الشريف عليه الصلوة والسلام

قد تقدم أن عبد المطلب لما ذبح تلك الأبل المائة عن ولده عبد الله حين كان نذراً ذبحه فسله الله تعالى لما كان قد رفي الأزل من ظهور النبي الامي (س) خاتم الرسل وسيد ولد آدم من صلبه ، فذهب كما تقدم فزوجته اشرف عقيلة في قریش آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة الزهرية ، فحين دخل بها وافضى اليها حملت برسول الله (س) ، وقد كانت أم قتال رقيقة بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل توسمت ما كان بين عيني عبد الله قبل أن يجامع آمنه من النور ، فودت أن يكون ذلك متصلاً بها لما كانت تسمع من أخيها من الاشارات بوجود محمد (س) ، وأنه قد أوف زمانه فمرضت ففها عليه . قال بعضهم ليزوجها وهو أظهر والله اعلم ، فامتنع عليها فلما انتقل ذلك النور الباهر إلى آمنه بمواقفة

أياها كأنه تندم على ما كانت عرضت عليه . فمرض لما لتماوده . فقالت لا حاجتي إليك وتأسفت
أعلى ما فاتها من ذلك وأنشدت في ذلك ما قدمناه من الشعر الفصيح البليغ . وهذه الصياة لعبد الله
ليست له وإنما هي لرسول الله (س) ، فانه كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقد تقدم
الحديث المروي من طريق جيد أنه قال عليه الصلاة والسلام : « ولت من ذكاح لا من سفاح »

والمقصود أن أمه حين حملت به توفى أبوه عبد الله وهو حمل في بطن أمه على المشهور . قال محمد
ابن سعد حدثنا محمد بن عمر - هو الواقدي - حدثنا موسى بن عبيدة البريدي . وحدثنا سعيد بن أبي
زيد عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة . قال : خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى
غزة في غير من غير أن فريش يحملونه تجارات ، ففرغوا من تجاراتهم ثم انصرفوا فإروا بالمدينة وعبد الله
ابن عبد المطلب يومئذ مريض ، فقال أتخاف عند أخوالي بني عدى بن النجار ، فأقام عندهم مريضاً
شهرًا ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله فقالوا خلفناه عند أخواله بني
عدى بن النجار وهو مريض . فبث إليه عبد المطلب أكبر ولده الحارث . فوجده قد توفى ودفن في
دار النسابة فرجع إلى أبيه فآخبره ، فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً ، ورسول
الله (س) ، يومئذ حمل . ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفى خمس وعشرون سنة .

قال الواقدي : هذا هو أثبت الاقارب في وفاة عبد الله وستة عندنا . قال الواقدي : وحدثني معمر
عن الزهري أن عبد المطلب بث عبد الله إلى المدينة يمتار لهم عمراً فأت . قال محمد بن سعد وقد أنبأنا
هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه وعن عروة بن الحكم . قال : توفى عبد الله بن عبد المطلب
بعد ما أتى على رسول الله (س) ثمانية وعشرين شهراً ، وقيل مائة أشهر . وقال محمد بن سعد :
والأول أثبت أنه توفى ورسول الله (س) حمل . وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن حسن عن
عبد السلام عن ابن خربوذ . قال : توفى عبد الله بالمدينة ورسول الله (س) ، ابن شهرين ، وماتت
أمه وهو ابن أربع سنين ، ومات جده وهو ابن ثمان سنين ، فأوصى به إلى عمه أبي طالب . والذي
رجحه الواقدي وكتبه الحافظ محمد بن سعد أنه عليه الصلاة والسلام توفى أبوه وهو جنين في بطن أمه
وهذا أبلغ اليتم وأعلى مراتبه . وقد تقدم في الحديث « رؤيا أمي الذي رأته حين حمل بي كأنه خرج
منها نور أضأت له قصور الشام » وقال محمد بن اسحاق فكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله
س . تحدث أنها أثبت حين حملت برسول الله (س) ، فقيل لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا
وقم إلى الأرض فتولي: أعينه بالواحد ، من شر كل حاسد ، من كل بر عاهد^(١) وكل عبد رائد ، يذود
عني ذائد ، فانه عند الحليم الملقب ، حتى أراه قد أتى المشاهد . وآية ذلك أنه يخرج منه نور يملأ قدور
بصرى من أرض الشام ، فإذا وقع فسميه محمداً . قلن اسمه في التوراة احمد يحمده أهل السماء وأهل

(١) كذا في الاصلين ولم تقف عليه ولم يظهر لنا معناه .

الارض، واسمه في الانجيل احمد بمحمد أهل السماء وأهل الارض ، واسمه في القرآن محمد . وهذا وذلك يقتضى أنها رأت حين حملت به عليه السلام كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام . ثم لما وضعت رأت عياناً تأويل ذلك كما رأته قبل ذلك ها هنا والله أعلم .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا محمد بن عمر - هو الواقدي - حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهري . وقال الواقدي : حدثنا موسى بن عبدة عن أخيه ومحمد بن كعب القرظي . وحدثني عبد الله ابن جعفر الزهري عن عمته أم بكر بنت المسود عن أبيها . وحدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم المزني وزباد ابن حشرج عن أبي وجزة . وحدثنا معمر عن أبي نجيح عن مجاهد . وحدثنا طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس : دخل حديث بعضهم في حديث بعض . أن آمنة بنت وهب قالت لقد عقلت به - تعنى رسول الله (س) - لما وجدت له مشقة حتى وضعته ، فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق الى المغرب ، ثم وقع الى الارض متمسكاً على يديه ، ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه الى السماء . وقال بعضهم وقع جائباً على ركبتيه ، وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رؤيت أعناق الابل يصرى ، رافعاً رأسه الى السماء . وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محمد بن اسماعيل أنبأنا محمد بن اسحاق حدثنا يونس بن مبشر بن الحسن حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثنا عبد العزيز بن عمران حدثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان ابن جبير بن مطعم عن أبيه عن ابن أبي سويد التقي عن عثمان بن أبي العاص حدثني أمي أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله (س) ليلة ولده ، قالت فما شئ - أنظره في البيت إلا نور وإني أنظر الى النجوم تدنو حتى إنى لأقول ليقمن على .

وذكر القاضي عياض عن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف أنها كانت قابلته وأنها أخبرت به حين سقط على يديها واستهل سميت قائلاً يقول برحمك الله ، وإنه سطم منه نور رؤيت منه قصور الروم . قال محمد بن اسحاق : فلما وضعته بثت إلى عبد المطلب جاريتها - وقد هلك أبوه وهي حبلى ويقال إن عبد الله هلك والنبي (س) ابن ثمانية وعشرين شهراً فله أعلم أى ذلك كان - فقالت قد ولد لك غلام فانظر اليه ، فلما جاءها أخبرته وحدثته بما كانت رأت حين حملت به ، وما قبل لها فيه ، وما أمرت أن تسميه . فاخذ عبد المطلب فادخله على هبل في جوف الكعبة ، فقام عبد المطلب يدعو ويشكر الله عز وجل ويقول :

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردان
قد سادني المسهر على النلان أعينده بالبيت ذي الأركان
حتى يكون بئنة الفتيان حتى أراه بالغ البنيات

أعیده من كل ذي شأن من حاسدٍ مضطرب العنان
 ذي تمهةٍ ليس له عينان حتى أراه رافع اللسان (١)
 أنت الذي سميت في القرآن في كُتُبِ ثابتة المشافى
 * احمد مكتوباً على اللسان *

وقال البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو بكر محمد بن احمد بن حاتم الدريردي (٢) - يروى -
 حدثنا أبو عبد الله البوشنجي حدثنا أبو أيوب سليمان بن سلمة الخبازي حدثنا يونس بن عطاء بن عثمان
 ابن ربيعة بن زياد بن الحارث الصدائي - بمصر - حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن
 أبيه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه . قال : ولد رسول الله (س) ، مختوناً مسروراً ، قال فأعجب جده
 عبد المطلب وحظى عنده . وقال : ليكونن لابني هذا شأن فكان له شأن . وهذا الحديث في صحته نظر
 وقد رواه الحافظ ابن عساكر من حديث سفيان بن محمد المصيصي عن هشيم بن عمار عن يونس بن عبيد عن
 الحسن بن أنس . قال قال رسول الله (س) : من كرامتي على الله أنى ولدت مختوناً ولم ير صوائى أحد
 ثم أورده من طريق الحسن بن عرفة عن هشيم به . ثم أورده من طريق محمد بن محمد بن سليمان - هو
 الباغندي - حدثنا عبد الرحمن بن أيوب الحمصي حدثنا موسى بن أبي موسى المقدسي حدثني خالد بن
 سلمة عن نافع عن ابن عمر : قال : ولد رسول الله (س) ، مسروراً مختوناً . وقال أبو نعيم : حدثنا أبو أحمد
 محمد بن احمد القطراني حدثنا الحسين بن أحمد بن عبد الله المالكي حدثنا سليمان بن سلمة الخبازي
 حدثنا يونس بن عطاء حدثنا الحكم بن أبان حدثنا عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس . قال : ولدت
 رسول الله (س) ، مختوناً مسروراً ، فأعجب ذلك جده عبد المطلب وحظى عنده ، وقال ليكونن لابني
 هذا شأن ، فكان له شأن . وقد ادعى بعضهم صحته لا ورد له من الطارق حتى زعم بعضهم أنه متواتر
 وفي هذا كاه نظر ، ومعنى مختوناً أى مقطوع اللسان ، ومسوراً أى مقطوع السرة من بطن أمه . وقد
 روى الحافظ ابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن عيينة البصرى حدثنا علي بن محمد المدائني السلمي
 حدثنا سلمة بن محارب بن مسلم بن زياد عن أبيه عن أبي بكر أن جبريل ختن النبي (س) ، حين طهر قلبه
 وهذا غريب جدا . وقد روى أن جده عبد المطلب ختنه وعمل له دعوة جمع قريشا عليها والله أعلم .
 وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأني محمد بن كامل القاضى - شافها - أن محمد بن اسماعيل
 حدثه - يعنى السلمي - حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني . ماوية بن صالح عن أبي الحكم التنوخى .
 قال : كان المولود إذا ولد في قريش دقوه الى نسوة من قريش الى الصبح يكفأن عليه برمة ، فلما ولد

(١) كذا في الاصلين . وفي السهيلي : رافع اللسان : ولعلها : حتى أرى منه رفيع الشان .

(٢) كذا في المصرية . وفي الحلبيّة: الدريردي .

رسول الله اس / دفعه عبد المطلب الى نوة فكفأن عليه برمة ، فلما أصبحن أمّين فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باننتين ووجدنه مفتوح العينين شاخصاً يبصره الى السماء . فأتاهن عبد المطلب قتلن له ما رأينا مولوداً مثله ، وجدناه قد انفلقت عنه البرمة ، ووجدناه مفتوحاً عييه شاخصاً يبصره الى السماء . فقال احفظنه فاني أرجو أن يكون له شأن ، أو أن يصيب خيراً ، فلما كان اليوم السابع ذبح عنه ودعا له قریشاً فلما أكلوا قالوا يا عبد المطلب أرأيت ابنك هذا الذي أكرمنا على وجهه ما سميت به ؟ قال سميت به محمداً ، قالوا فما رغبت به عن أسماء أهل بيته ؟ قال أردت أن يحمده الله في السماء وخلقه في الأرض قال أهل الامة : كل جامع الصفات الخيرة يسمى محمداً كما قال بعضهم :

إليك - آيت اللحن - أعلمت نأقتي الى المساجد التبرم الكريم المحمداً

وقال بعض العلماء : أظهم الله عز وجل أن سموه محمداً لما فيه من الصفات الحميدة يلتقي الاسم والفعل ، ويتطابق الاسم والمسمى في الصورة والمعنى ، كما قال عنه أبو طالب يروى لحسان :

وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

وسند ذكر أسماه عليه الصلاة والسلام وشأنه وهي صفاته الظاهرة وأخلاقه الطاهرة ودلائل بيوته وفضائل منزلته في آخر السيرة إن شاء الله .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أبنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا احمد ابن شيبان الرملي حدثنا احمد بن ابراهيم الحلي حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا زهير عن محارب بن دثار عن عمرو بن بثر بن عن العباس بن عبد المطلب قال قلت : يا رسول الله ! دعاني الى الدخول في دينك أمارة لبوتك ، رأيتك في المهدي تمنأغي القمر وتشير اليه باصبعك ، فغيت اثرت اليه مال قال : « إني كنت أحدثه ويحدثني ويلهني عن البكاء ، واسمعه رجيبته حين يسجد تحت العرش » . ثم قال فترد به اللبني وهو مجهول .

فَضْرِبْهُنَّ

﴿ فيما وقع من الآيات ليلة مولده عليه الصلاة والسلام ﴾

قد ذكرنا في باب هواتف الجان ما تقدم من خروور كثير من الأصنام ليلتذ لوجوها وسقوطها عن أمانتها ، وما رآه النجاشي ملك الحبشة ، وظهور النور منه حتى أضاعت له قصور الشام حين ولد ، وما كان من سقوطه جانياً رافعاً رأسه الى السماء ، وانفلاق تلك البرمة عن وجهه الكريم ، وما شوهد من النور في المنزل الذي ولد فيه وذو النجوم منهم وغير ذلك .

حكى السهيلي عن تفسير يحيى بن مخلد الحافظ أن ابليس رن أربع رنات : حين لمن ، وحين أهبط ،

وحين ولد رسول الله (س)، وحين انزلت الفاتحة . قال محمد بن اسحاق : وكان هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عائشة قالت: كان يهودى قد سكن مكة يتجر بها فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله (س)، قال في مجلس من قريش : يامعشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ فقال القوم والله ما نلده فقال الله أكبر ، أما اذا أخطأكم فلا بأس انظروا واحفظوا ما أقول لكم : ولد هذه الليلة نبي هذه الامة الاخيرة ، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس . لا يرضع ليتين وذلك أن عفرتنا من الجن ادخل أصبمه في فمه فنسه الرضاع فتصدع القوم من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله وحديثه فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم أهله فقالوا قد والله ولد لعبدالله بن عبدالمطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم فقبولوا هل سمعتم حديث اليهودى وهل بانكم مولد هذا الغلام ؟ فانطلقوا حتى جاءوا اليهودى فاخبروه الخبر . قال فاذهبوا منى حتى أنظر اليه . فخرجوا به حتى أدخلوه على أمة فقالوا اخرجى ايننا ابنتك فاخرجته وكشفوا له عن ظهره . فرأى تلك الشامة . فوقع اليهودى مشيا عليه . فلما أفاق قالوا له مالك ويالك ؟ قال قد ذهبت والله النبوة من بنى اسرائيل ، فرحمت بها يامعشر قريش . والله ليستون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب .

وقال محمد بن اسحاق: حدثني صالح بن ابراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارَةَ قال حدثني من شئت من رجال قومي ممن لا أتهم عن حسان بن ثابت . قال : إني لصلام ببيعة ابن سبع سنين - أو ثمان سنين - أتت ملأ أيت وسمعت اذا يهودى في يثرب يصرخ ذات غداة يامعشر يهود فاجتمعوا اليه - وأنا أسمع - فقالوا ويالك مالك ؟ قال قد طلع نجم احمد الذى يولد به في هذه الليلة . وروى الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة من حديث أبي بكر بن عبد الله الصامرى عن سليمان بن سحيم وذريح بن عبد الرحمن كلاهما عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه قال سمعت أبى مالك بن سنان يقول جئت بنى عبد الأشهل يوما لا يتحدث فيهم ونحن يومئذ في هدنة من الحرب ، فسمعت يوشع اليهودى يقول : أظن خروج نبي يقال له أحمد يخرج من الحرم . فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهل - كلمتهزى به ما صنعت ؟ فقال رجل ليس بالقصير ولا بالطويل في عينيه حرة يلبس الشهلة ويركب الحمار . سيفه على عاتقه وهذا البلد مهاجرة . قال فرجعت الى قومي بنى خندرة وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع فاسمع رجلا منا يقول ويوشع يقول هذا وحده ؟ كل يهود يثرب يقولون هذا . قال أبى مالك بن سنان فخرجت حتى جئت بنى قريظة فلأجد جمعا فتذاكروا النبى (س) . فقال الزبير بن بظا : قد طلع الكوكب الاحمر الذى لم يطالع إلا لخروج نبي أو ظهوره ولم يبق أحد إلا احمد وهذا مهاجرة . قال أبو سعيد فلما قدم النبى (س) ، أخبره أبى هذا الخبر فقال رسول الله (س) : «لأؤاسم الزبير لا لم ذنوبه من رؤساء اليهود انما هم له تبع » وقال أبو نعيم : حدثنا عمر بن محمد حدثنا ابراهيم بن السندى حدثنا النضر بن سلمة حدثنا

اسماعيل بن قيس بن سليمان بن زيد بن ثابت عن أم سمد بنت سعد بن الربيع سمعت زيد بن ثابت يقول: كان أحبار يهود بني قريظة والنضير يذكرون صفة النبي (س)، فلما طلع الكوكب الأحمر أخبروا أنه نبي وأنه لا نبي بعده . واسمه احمد ومهاجره الى يثرب فلما قدم رسول الله (س)، المدينة أنكروا وحسدوا وكفروا . وقد أورد هذه القصة الحافظ أبو نعيم في كتابه من طرق أخرى والله الحمد .

وقال أبو نعيم ومحمد بن حبان : حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم حدثنا وهب بن بنية حدثنا خالد بن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أسامة بن زيد ، قال قال زيد بن عمرو ابن نفيل لى قى حبر من أحبار الشام : قد خرج فى بلدك نبي - أو هو خارج - قد خرج فاجمه فارجع فصدقه واتبعه .

ذكر الرقاس الكسرى

﴿ وسقوط الشرفات وخمود النيران ورؤيا الموبدان وغير ذلك من الدلالات ﴾

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل النرايطي فى كتاب هواتف الجان : حدثنا على بن حرب حدثنا أبو أيوب يعلى بن عمران - من آل جرير بن عبد الله البجلي - حدثنى مخزوم بن هانى الخزومى عن أبيه - وأمت عليه خمسون ومائة سنة - قال : لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله (س)، ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وحدثت نار فارس ، ولم تحمد قبل ذلك بالف عام ، وغاضت بحيرة ساوة ، ورأى الموبدان إبلا صعباً تقود خيلاً عرباً قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادهم ، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك فتصبر عليه تشبهاً ، ثم رأى أنه لا يدخر ذلك عن مرآزبه فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره . ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا عنده . قال : أتدرون فمى بعثت اليكم قالوا لا إلا أن يخبرنا الملك ، فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب خرد النيران فزادوا غمّاً إلى غمه ، ثم أخبرهم بما رأى وما هاله ، فقال الموبدان وأنا - أصلح الله الملك - قد رأيت فى هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه فى الابل ، فقال أى شىء يكون هذا يا موبدان ؟ قال حدث يكون فى ناحية العرب - وكان أعلمهم من أنفسهم - فكنت فبند ذلك : من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر ، أما مهد فوجه الى رجل عالم بما أريد أن أسأله عنه ، فوجه اليه بهيد المسيح بن عمرو بن حيان بن نفيلة الضسافى ، فلما ورد عليه قل له : ألك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟ فقال لتخبرنى أو ليسألى الملك عما أحب ، فان كان عندى منه علم وإلا أخبرته بمن يعلم . فأخبره بالذى وجه به اليه فيه . قال علم ذلك عند خال لى يسكن مشارف الشام يقال له سطيح ، قال فآتته فأسأله عما سألتك عنه ثم اثنى بنفسه . فخرج عبد المسيح

حتى انتهى إلى سطيح وقد أشقى على الضريح . فلم عليه وكفه فلم يرد إليه سطيح حوياً فانشأ يقول :

أسمم أم يسمع غطريف الجن أم فاذ فاذ لم به شأ العن
يا فاصل الخطة أعيث من ومن ألك شيخ الحى من آل سنن
وأمه من آل ذنب بن حجن أزرق نهم الناب صرّار الاذن
أيض فضفاض الرداء والبدن رسول قيل العنجم يسرى للوسن
يجوب في الارض علنداة شرن لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
ترفضي وجنا وتهوي في وجن حتى آبي عاري الجأحي والقطن
تلفه في الريح بوعاء اللّمن كأنما حشحت من حفضي مكن^(١)

قال فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه يقول : عبد المسيح ، على جبل مشيخ ، أنى سطيح ، وقد
أوفى على الضريح ، بعثك ملك بنى ساسان ، لأرتجاس الابوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبدان ،
رأى إبلا صاباً ، تقود خيلاً عراباً ، قد قطعت دجلة ، وانتشرت في بلادها ، يا عبد المسيح إذا كثرت
التلاوة ، وظهر صاحب المرأوة ، وفاض وادى السماء ، وغاضت بحيرة ساوة ، وخذت نار فارس ،
فليس الشام لسطيح شاماً . يملك منهم ملوك وملكات ، على عدد الشرفات وكلا هوأت آت . ثم قصى
سطيح مكانه قهض عبد المسيح إلى راحلته وهو يقول :

شمر فإنك ماضي العزم شمر لا يفرعك تفريق وتغير
إن يمس ملك بنى ساسان أفرطهم فإن ذا الدهر أطوار دهار
فربما ربما أضحوأ بمنزلة يخاف صولكم الأسد المهاصير
منهم آخر الصرح بهرام وإخوته والمزمار وشابور وسابور
والناس أولاد علات فن علوا أن قد أقل فحقور ومجور
ورب قوم لهم صعبان ذى أذن بدت تلهمهم فيه المزامر
وهم بنو الام إما إن رأوا نساباً فذاك بالقيبر محفوظ ومنصور
والخير والتسر مقرونان في قرن فالتير متبع والشر محذور

قال فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بما قال لسطيح ، فقال كسرى إلى أن يملك منا أربعة
عشر ملكاً كانت أمور وأمور ، فلك منهم عشرة في أربع سنين ، وملك الباقيون إلى خلافة عثمان رضى
الله عنه . ورواه البيهقي من حديث عبد الرحمن بن محمد بن إدريس عن علي بن حرب الموصلى بنحوه .

(١) راجعنا كثيراً من مغان هذه القصة فوجدنا فيها اختلافاً كبيراً بزيادة وقص وقد اعتمدنا في

تصحيحها على لسان العرب في مادة سطح ج ٢ ص ٣١٢ نقلاً عن محمود الامام

قلت : كان آخر ملوكهم - الذي سلب منه الملك بزجر د بن شهر يار بن أبرويز بن هرم بن أنوش . وان وهو الذي انشق الايوان في زمانه . وكان لاسلافه في الملك ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربعة وستون سنة . وكان أول ملوكهم خيومرت بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح (١) .

أما سطيع هذا فقال الحافظ ابن عساکر في تاريخه هو الربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب ابن عسدي بن مازن بن الازد . ويقال الربيع بن مسعود واهمه ردعا بنت سعد بن الحارث الجبوري وذكر غير ذلك في نديه . قال وكان يسكن الجابية ثم روى عن أبي حاتم السجستاني قال سمعت المشيخة منهم أبو عبيدة وغيره قالوا وكان من بعد لقمان بن عاد . ولد في زمن سيل العرم وعاش إلى ملك ذئب نواس وتلك نحو من ثلاثين قرناً وكان مسكنه البحرين وزعمت عبد القيس أنه منهم وترجم الازد أنه منهم وأكثر الهدثين يقولون هو من الازد ولا يدرى بمن هو غير أن ولده يقولون إنه من الازد . وروى عن ابن عباس أنه قال : لم يكن شيء من بني آدم يشبه سطيعاً إنما كان الحما على وضغ ليس فيه عظم ولا عصب إلا في رأسه وعينيه وكفيه وكان يطوى كما يطوى الثوب من رجله إلى عقه . ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه . وقال غيره إنه كان إذا غضب انتفخ وجلس . ثم ذكر ابن عباس أنه قدم مكة فلقاه جماعة من رؤسائهم منهم عبد شمس وعبد مناف أبناء قصي فامتحنوه في أشياء فأجابهم فيها بالصدق ، فألوه عما يكون في آخر الزمان . فقال خذوا مني ومن الهام الله إياي : أتم الآن يامشعر العرب في زمان الهرم - واه بصائرهم وبصائر المعجم ، لا علم عندكم ولا فهم ، وينشئ من عقبكم ذوقهم ، يطلبون أنواع العلم فيكسرون الصنم ، ويقبعون الردم ، ويمتلون المعجم ، يطلبون النعم . ثم قال والباقي الابد ، والبالغ الابد ليخرجن من ذاك البلد ، نبي مهتد ، يهدي إلى الرشدة ، يرفض ينفوث والغند ، ويرأ عن عبادة الضدد ، يبدر بياً أفرد ، ثم يوفاه الله بخير دار محموداً ، من الأرض مقرداً ، وفي السماء مشهوداً ، ثم يلي أمره الصديق إذا قضى صدق ، وفي رد الحقوق لا خرق ولا تزق ، ثم يلي أمره الخفيف ، مجرب غطريف ، قد أضاف المضيف ، وأحكم التحنيف . ثم ذكر عثمان ومقتله وما يكون بعد ذلك من أيام بني أمية ثم بني العباس . وما بعد ذلك من الفتن والملاحم ساقه ابن عساکر بسنده عن ابن عباس بطوله . وقد قدمنا قوله لبيعة بن نصر ملك اليمن حين أخبره برؤياه قبل أن يغيره بها ثم ما يكون في بلاد اليمن من الفتن وتغيير الدول حتى يعود إلى سيف بن ذئب يزن فقال له : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال بل ينقطع . قال ومن يقطعه ؟ قال نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي قال ومن هذا النبي ؟ قال من ولده غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر ؟ قال نعم ، يوم يجتمع فيه الألوان والآخرون ، يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال أحق ما تخبرني ؟

(١) من هنا إلى قوله وقال أبو نعيم في صفحة ٢٧٢ مکتوب بمحاشية الحلبية لم يرد في المصرية .

قال نعم والشق والنسق واقعر إذا اتسق إن ما أنباتك عليه لحق . وواقعه على ذلك شق سراً بسواه
ببارة أخرى كما تقدم . ومن شمر سطيح قوله :

عليكم بتقوى الله في السر والنجوى ولا تلبسوا صدق الامانة بالقدور
وكونوا لجلال الجنب حصناً وجنة إذا ما عرته النسائبات من الدهر

وروى ذلك الحافظ ابن عساكر ثم أورد ذلك المصنف بن زكريا الجري قال : وأخبار سطيح
كثيرة وقد جمعها غير واحد من أهل العلم . والمشهور أنه كان كاهناً وقد أخبر عن النبي (ص) وعن نمته
ومبعثه . وروى لنا بإسناد الله به أعلم أن النبي (ص) سئل عن سطيح فقال : « نبي ضيعه قومه » .

قلت : أما هذا الحديث فلا أصل له في شيء من كتب الاسلام المعهودة ولم أراه بإسناد أصلاً .
ويروى مثله في خير خالد بن ستان العيسى ولا يصح أيضاً وظاهر هذه المبررات تدل على علم جيد
لسطيح وفيها روائح التصديق لكنه لم يدرك الاسلام كما قال الجري . فانه قد ذكرنا في هذا الاثر أنه
قال لابن أخيه : يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهراوة ، وفاض وادى السياوة
وغاضت بحيرة ساوة ، وخذت نار فارس ، فليس الشام لسطح شاماً يملك منهم ملوك وملكات ، على
عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه وكان ذلك بعد مولد رسول الله (ص) ببشر .
أو شية - أي أقل منه - وكانت واقعه بطراف الشام مما يلي أرض العراق فأنه أعلم بأمره وما صار اليه .
وذكر ابن طرار الجري^(١) أنه عاش سبعمائة سنة . وقال غيره خمسمائة سنة ، وقل ثلثمائة سنة فأنه أعلم .
وقد روى ابن عساكر أن ملكاً سأل سطيحاً عن نسب غلام اختلف فيه فأخبره على الجلية في كلام
طويل مليح فصيح . فقال له الملك يا سطيح ألا تخبرني عن علمك هذا؟ فقال إن علمي هذا ليس مني
ولا يجزم ولا يظن ولكن أخذته عن أخ لي قد سمع الوحي بطور سيناء . فقال له رأيت أخاك هذا الجنى
أهو ملك لا يفارقك ، فقال انه ليزول حيث أزل ، ولا أنطق إلا بما يقول . وتقدم أنه ولد هو وشق بن
مصعب بن يشكر بن رم بن بسر بن عقبة الكاهن الآخر ولدا في يوم واحد ، فحملوا إلى الكاهنة طريفة
بنت الحسين الحميدية فتولدت في أفواهما فوراً منها الكاهنة وماتت من يومها . وكان نصف إنسان ويقال
إن خالد بن عبد الله القسري من سلالة ، وقد مات شق قبل سطيح بدهر .

وأما عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن قبيلة النضاري النصراني فكان من المعبرين وقد
ترجمه الحافظ ابن عساكر في تلاميذه وقال هو الذي صالح خالد بن الوليد على^(٢) . وذكر له معه قصة
طويلة وأنه أكل من يده سم ساعة فلم يصبه سوء لانه لما أخذه قال : بسم الله والله رب الارض والسما
التي لا يضر مع اسمه أدنى . ثم أكله فملته غشياً فغضب بيديه على صدره ثم عرق وأفاق رضي الله عنه

(١) هكذا بالأصل ولعله المصنف بن زكريا الجري . (٢) كذا في الأصل ياض

وذکر لعبد المسيح أَسْمَارًا غير ما تقدم (١)

وقال ابو نعیم: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا عتبة بن مكرم حدثنا المسيب بن شريك حدثنا محمد بن شريك عن شبيب بن شبيب عن أبيه عن جده . قال: كان يمر الظهران راهب من الرهبان يدعى عيصاه من أهل الشام وكان متخفرا بالعاصم بن وائل وكان الله قد آتاه علما كثيرا وجعل فيه منافع كثيرة لأهل مكة من طبيب ورفق وعلم . وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة في كل سنة فيأتي الناس ويقول إنه يوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة يدين له العرب ويملك السجم هذا زمانه ومن أدركه واتبه اصاب حاجته ومن أدركه فخالفه اخطأ حاجته والله ما تركت أرض الحجر والحجر والأمن ولا حلت بلرض الجوع والبؤس والخوف الا في طلبه وكان لا يولد بمكة مولود إلا يسأل عنه فيقول ما جاء به . فيقال له فصفه فيقول لا . ويحكم ذلك للذي قد علم انه لاق من قومه مخافة على نفسه ان يكون ذلك داعية الى ادق ما يكون اليه من الاذى يوما . ولما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله (ص) خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى عيصا فوقف في أصل صومعته ثم نادى يا عيصاه . فناداه من هنا ؟ فقال انا عبد الله فاشرف عليه فقال كن اباه فقد ولد المولود الذي كنت احدثكم عنه يوم الاثنين ويميت يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين قال فانه قد ولد لي مع الصبح مولود . قال ذا سميتة ؟ قال محمداً قال والله لقد كنت اشتغى أن يكون هذا المولود فيكم أهل البيت ثلاث خصال فرفه بها منها أن نجبه طلع البارحة وانه ولد اليوم وان اسمه محمد . انطلق اليه فان الذي كنت أخبركم عنه ابنتك . قال فما يدريك انه ابني ولعله أن يولد في هذا اليوم مولود غيره ؟ قال قد وافق ابنتك الاسم ولم يكن الله ليشبهه علمه على الملاء فانه حجة . وآية ذلك أنه الآن وجع فيشكي أياماً ثلاثة ، فيظهر به الجوع ثلاثاً ثم يماني . فاحفظ لسانك فانه لم يحسد أحد حسده قط ولم يبيع على أحد كما يبني عليه . ان تمس حتى يبدو مقاله ثم يدعو لظهورك من قومك مالا تحتله الا على صبر وعلى ذل فاحفظ لسانك ودارعته قال فما عمره ؟ قال ان طال عمره وان قصر لم يبلغ السبعين ، يموت في وتردونها من الستين في احدى وستين او ثلاث وستين في اعمار جل امته . قال وحمل برسول الله (ص) في عاشر المحرم . وولد يوم الاثنين لثني عشرة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة اصحاب الفيل هكذا رواه ابو نعيم وفيه غرابة .

حجراته وولادته عليه الصلاة والسلام

كانت ام أيمن واسمها بركة تحضنه ، وكان قد ورثها عليه الصلاة والسلام من ابيه فلما كبر اعتمها وزوجها مولاه زيد بن حارثة ، فولدت له أسامة بن زيد رضى الله عنهم . وارضضته مع امه عليه الصلاة والسلام مولاة عمه ابى لمب ثوية قبل حلبيبة السعدية . اخرج البخارى ومسلم في صحيحهما من حديث

(١) إلى هنا آخر الحاشية التي بالحلبية .

الزهري عن عروة بن الزبير عن زينب بنت أم سلمة عن أم حبيبة بنت أبي سفيان . قالت: يارسول الله انكح اختي بنت أبي سفيان - ولمسلم عزة بنت أبي سفيان - . فقال - رسول الله صلى عليه وسلم « أو تحبين ذلك ؟ » قلت نعم ! لست لك بمخيلة ، واحب من شاركني في خير اختي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « فان ذلك لا يجعل لي » قالت فانا نحدث انك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة - وفي رواية ذرة بنت أبي سلمة قال « بنت أم سلمة »؟ قالت نعم قال « انها لو لم تسكن ربيتي في حجرى ما حلت لي . انها لابنة أخي من الرضاعة . ارضعتني واباسلمة ثويبة . فلا تعرضن علي بناتكن ولا اخواتكن » زاد البخارى قال عروة . وثويبة مولاة لابي لمب اعتمها فارضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما مات ابو لمب أريه بعض أهله بشر خيبة . فقال لماذا لقيت ؟ فقال ابو لمب لم ألق بعدكم خيراً غير أنى سقيت في هذه بتافتي ثويبة - وأشار الى النقرة التي بين الابهام والتي تليها من الاصابع - .

وذكر السهيلي وغيره : ان الرائي له هو اخوه العباس . وكان ذلك بعد سنة من وفاة ابي لمب بعد وقعة بدر . وفيه ان ابلمب قال للعباس انه ليخفف علي في مثل يوم الاثنين . قالوا لانه لما بشرته ثويبة بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله اعتمها من ساعته فجوزى بذلك لذلك .

رضع عليه الصلاة والسلام

من حليلة بنت ابي ذؤيب السمدية وما ظهر عليه من البركة وآيات النبوة ﴿﴾

قال محمد بن اسحاق : فاسترضع له عليه الصلاة والسلام من حليلة بنت ابي ذؤيب ، واسمها عبد الله ابن الحارث بن شحنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر (١) قال واسم ابي رسول الله -س- ، الذي أرضعه - يعنى زوج حليلة الحارث بن عبد العزى بن رفاعه بن ملان بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن . وأخوته عليه الصلاة والسلام - يعنى من الرضاعة - عبد الله بن الحارث وأنيصة بنت الحارث وحذافة بنت الحارث وهى الشيماء وذكروا انها كانت تحضن رسول الله -س- مع امه اذ كان عندهم .

قال ابن اسحاق : حدثني جهم بن أبي جهم مولى لامرأة من بنى تميم كانت عند الحارث بن حاطب ، ويقال له مولى الحارث بن حاطب . قال حدثني من سمع عبد الله بن جعفر بن ابي طالب قال حدثت عن حليلة بنت الحارث انها قالت ا قدمت مكة في نسوة (و ذكر الواقدي باسناده انهن كن عشرة نسوة من بنى سعد بن بكر يلتصن بها الرضعاء) من بنى سعد ظتمس بها الرضعاء في سنة شهباء فقدمت

(١) والذي في ابن هشام : ابن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر الخ وفي السهيلي فصبية بالغاء تصغير فصاة . وهى النواة . ووقع في جميع نسخ ابن هشام تصيبة بالغاء .

على أنكن لي قراء كانت أخذت بلركب (١) ومعى صبي لنا وشارف لنا والله ما تبض بقطرة . وما ننام
 ليلتنا ذلك أجمع (٢) مع صبيتنا ذلك ما نجد في نديي ما ينويه ولا في شارفنا ما ينديه . ولكننا كنا نرجو
 الفيت والفرج . فخرجت على أتافي تلك فلقد أخذت بلركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجزاً . فقدمنا
 مكة فوالله ما عدت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله (ص) فتأباه إذا قيل إنه يتيم تركناه .
 قلنا ماذا عسى أن تصنع الينا أمه ؟ إنما نرجو المعروف من أبي الولد فلما أمه فإذا عسى أن تصنع الينا ،
 فوالله ما نقي من صواحي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري . فلما لم نجد غيره . وأجمعنا الانطلاق قلت
 لزوجي الحارث بن عبد العزى والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحي ليس معي رضيع .
 لا نطلقن إلى ذلك اليتيم فلا نخذه . فقال لا عليك أن تعطي نفسي أن يجعل الله لنا فيه بركة . فذهبت
 فاخذته فوالله ما أخذته إلا أني لم أجد غيره ، فإهو إلا أن أخذته فحجت به رحلي فأقبل عليه ندياي بما
 شاء من لبن . فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روى . وقام صاحبي إلى شارفنا تلك فإذا إنها
 لحافل ، فحلب ما شرب وشربت حتى رويانا . فبقنا ببحير ليلة فقال صاحبي حين أصبحتايا حليلة والله
 إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة . ألم ترى ما بقنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه . فلم يزل الله
 عز وجل يزيدنا خيراً . ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا فوالله لعلمت أتأفي بلركب حتى ما يتعلق بها حمار
 حتى أن صواحي ليقن وبلك يا بنت أبي ذؤيب هذه أتأفك التي خرجت عليها معنا ؟ فأقول نعم والله إنها
 لمي قتلن والله إن لها لشأناً . حتى قدمنا أرض بني سعد . وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها فإن
 كانت غنمي لتسرح ثم تروح شباعاً لبنا فتحلب ماشئنا وما حولنا أو حولنا أحد تبض له شاة بقطرة
 لبن وإن أغنامهم لتروح جيعاً حتى إنهم ليقولون لعالمهم - أو لرعيانهم - ويحكم انظروا حيث تسرح
 غنم بنت أبي ذؤيب فسرحوها معهم . فيسرحون مع غنمي حيث تسرح فتروح أغنامهم جيعاً ما فيها قطرة
 لبن وتروح أغنامي شباعاً لبناً تحلب ماشئنا . فلم يزل الله يرينا البركة تعرفها حتى بلغ سنتين فكان يشب
 شباباً لا تشبه النلان . فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلاماً جفراً (٣) فقدمنا به على أمه ونحن أضن شيء به
 مما رأينا فيه من البركة . فلما رأته أمه قلت لها دعينا نرجع يا بنتنا هذه السنة الأخرى فإنا نخشى عليه وباه
 مكة . فوالله مازلنا بها حتى قالت نعم . فسرحنا معنا فأقنا به شهرين أو ثلاثة فبينما هو خلف بيوتنا مع
 أخ له من الرضاعة في بهم لنا جاء أخوه ذلك يشتد فقال ذلك أخي القرشي جاءه رجلان عليها ثياب بيض
 فاضجابه فشقنا بطنه . فخرجت أنا وأبوه فشدنحوه فنجده قائماً . منتقماً لونه . فاعتنقه أبوه وقال يا بني

(١) أي جاءت بما تقدم عليه . أو يكون من قولهم بثرذمة أي قليلة الماء . ويروي حتى أخذت أي
 حبسهم وكأنه من الماء الدائم (٢) الذي في ابن هشام : وما ننم ليلنا أجمع من صبيتنا الذي معنا من
 بكائه من الجوع . (٣) استجفر الصبي إذا قوى على الأكل تقلا عن محمود الامام

ما شأنك؟ قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض أضجماني وشقا بطني ثم استخرجامنه شيئاً فطرهاه ثم رداه كما كان فرجمنا به معنا فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلق بنا نرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما تخوف . قالت حليمة فاحتملناه فلم نرج أمه إلا به . قدمنا به عليها فقالت ما رد كما به يا ظنر فقد كتبنا عليه حريصين؟ قال لا والله إلا أن الله قد أدى عنا وقضينا التي علينا وقلنا نحشى الائلاف والاحداث نرده إلى أهله . فقالت ماذاك بك يا فصدقاني شأنكما؟ فلم تدعنا حتى أخبرنا ما خبره ، فقالت أخشيتنا عليه الشيطان ، كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل . والله إنه لسكانن لابني هذا شأن ألا أخبركما خبره؟ قلنا بلى ! قلت حملت به فما حملت حملاً قط أخف منه قاربت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور أضامت له قصور الشام ثم وقع حين ولده وقوعاً ما يقعه المولود ، ممتدداً على يديه رافضاً رأسه إلى السماء ، فدعاة عنكما . وهذا الحديث قد روي من طرق أخر وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي .

وقال الواقدى: حدثني معاذ بن محمد عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال خرجت حليمة تطالب النبي (س) ، وقد وجدت الهمم ثقيل فوجدته مع أخته فقالت في هذا الحر؟ فقالت أخته يا أمه ما وجد أخى حرأ . رأيت غمامة تظلل عليه إذا وقف ووقف وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع .

وقال ابن اسحاق: حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله (س) ، أنهم قالوا له أخبرنا عن نفسك . قال : « نعم أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى عليهما السلام ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضامت له قصور الشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر ، فبينما أنا في بهمننا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض ممهاطت من ذهب مملوء فلجا فاضجماني فثقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فانخرجامنه علقه سوداء فلقياها . ثم غسلا قلبي وبعثوا بذلك الثلج ، حتى إذا القياه رداه كما كان ، ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بشرة من أمته فوزنني بشرة فوزنهم ، ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني بمائة فوزنهم . ثم قال زنه بalf من أمته فوزنني بalf فوزنهم ، فقال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنهم » وهذا اسناد جيد قوى .

وقد روى أبو نعيم الحافظ في الدلائل من طريق عمر بن الصبح وهو أبو نعيم عن ثور بن يزيد عن مكحول عن شدداد بن اوس هذه القصة مطولة جداً ولكن عمر بن صبيح هذا متروك كذاب منهم بالوضع . فلهمذا لم تذكر لفظ الحديث إذ لا يفرح به ثم قال : وحدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن غير حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا بنية بن الوليد عن بغير بن سعيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن ابن عمرو السلمي عن عتبة بن عبد الله أنه حدثه أن رجلاً سأل النبي (س) ، فقال : كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال : « كانت حاضتي من بني سعد بن بكر فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم تأخذ

معنا زاداً فقلت يا أخى اذهب فائقنا بزاد من عندنا فانطلق أخى ومكثت عند البهيم فاقبل طائران
أيضان كأنهما نسران ، فقال أحدهما لصاحبه أهو هو ؟ فقال نعم اقبلا بيئدرانى فاخذاني فبطحاني للقفا
فشقا بطني ثم استخرج جرابي فشقاه . فانخرجا منه علفين سوداوين ، فقال أحدهما لصاحبه اتننى بماء تلج
فمسلا به جوفى ثم قال اتننى بماء برد فمسلا به قلبي ثم قال اتننى بالسكينة فقدرها في قلبي ثم قال أحدهما
لصاحبه خطه خطاه وختم على قلبي بخاتم النبوة ، فقال أحدهما لصاحبه اجعله في كفة واجعل ألقاً من أمته
في كفة ، فاذا أنا أنظر الى الالف فوق اشعق أن يخر على بعضهم . فقال لو أن أمته وزنت به مال بهم ثم
انطلقا فتركاني وفرقت فرقا شديداً ، ثم انطلقت الى أمي فاخذت بها بالذي لقيت فاشفتت أن يكون قد
ليس بي فقلت أعيدك بالله . فرحلت بيرواً لها وحملتني على الرحل وركبت خلفي حتى بلغنا الى أمي ،
فقلت أديت أماني وذمتي وحدثتها بالذي لقيت فلم يرعها . وقالت إني رأيت خرج مني نور أضاءت
منه قصور الشام » ورواه أحمد من حديث قبية بن الوليد به . وهكذا رواه عبد الله بن المبارك وغيره
عن قبية بن الوليد به . وقد رواه ابن عساکر من طريق أبي داود الطيالسي حدثنا جعفر بن عبد الله بن
عثمان القرشي أخبرني عمير بن عمر بن عروة بن الزبير . قال سمعت عروة بن الزبير يحدث عن أبي ذر
الغفاري قال قلت يا رسول الله كيف علمت أنك نبي حين علمت ذلك واستيقنت أنك نبي ؟ قال : « يا أبا
ذر أتاني ملكان وأنا يبعض بطحاء مكة فوقع أحدهما على الأرض ، وكان الآخر بين السماء والأرض
فقال أحدهما لصاحبه أهو هو ؟ قال هو هو . قال زنه برجل فوزني برجل فرجحته » وذكر تمامه ، وذكر
شق صدره وخطاطته وجعل الخاتم بين كتفيه قال « فإنا هو إلا أن وليا عنى فسكأنا أعين الأمر معاينة »
ثم أورد ابن عساکر عن أبي بن كعب بنحو ذلك . ومن حديث شداد بن أوس بإسقاط من ذلك . وثبت
في صحيح مسلم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك : أن رسول الله (س) أتاه جبريل
عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فلخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب واستخرج منه علة
سوداء فقال هذا حظ الشيطان ، ثم غسله في طشت من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه
وجاء الغلمان يسعون الى أمه - يسئ ظنره - فقالوا إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون . قال
أنس وقد كنت أرى أثر ذلك الخيط في صدره . وقد رواه ابن عساکر من طريق ابن وهب عن عمرو
ابن الحارث عن عبد ربه بن سميد عن ثابت البناني عن أنس أن الصلاة فرضت بالمدينة ، وأن ملكين
أتيا رسول الله (س) فذهبا به الى زمزم فشقا بطنه فانخرجا حشوته في طشت من ذهب فمسلاه بماء زمزم
ثم إيسا جوفه حكمة وعلماً . ومن طريق ابن وهب أيضا عن يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه
عن عبد الرحمن بن عاصم بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس قال : أتى رسول الله (س) ثلاث ليال قال
خذوا خيرهم وسيدهم ، فأتخذوا رسول (س) فعد به إلى زمزم فشق جوفه ثم أتى بتور من ذهب فسل

جوفه ثم ملئ حكة وإيماناً . وثبت من رواية سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس . وفق الصحيحين من طريق شريك بن أبي نمر عن أنس وعن الزهري عن أنس عن أبي ذر وقادة عن أنس وعن مالك بن سمصعة عن النبي (ص) في حديث الاسراء كما سيأتي قصة شرح الصدر ليلتخذ وإنه غسل بماء زمزم ، ولا منافاة لاحتمال وقوع ذلك مرتين مرة وهو صغير ومرة ليلة الاسراء ليتأهب للوفود إلى الملاء الأعلى ولما جازة الرب عز وجل والمثول بين يديه تبارك وتعالى .

وقال ابن اسحاق : وكان رسول الله (ص) يقول لاصحابه : « أنا أعر بكم ، أنا قرشي واسترضت في بني سعد بن بكر » وذكر ابن اسحاق : أن حلية لما أرجسته إلى أمه بعد فطامه مرت به على ركب من النصاري فقاموا إليه عليه الصلاة والسلام فقلوبهم وقالوا إننا نذهب بهذا الغلام إلى ملكنا فانه كائن له شأن فلم تكذب تنقلت منهم إلا بعد جهد . وذكر أنها لما ردت من حين تخوفت عليه أن يكون أصابه عارض ، فلما قربت من مكة اهتمته فلم يجده فجات جده عبد المطلب فخرج هو وجماعة في طلبه ، فوجدوه ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش فأتيا به جده ، فأخذوه على عاتقه وذهب فطاف به يموذه ويدعو له ثم رده إلى أمه آمنة . وذكر الأمامي من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوفاصي - وهو ضعيف - عن الزهري عن سعيد بن المسيب قصة مولده عليه الصلاة والسلام ورضاعه من حلية على غير سياق محمد بن اسحاق . وذكر أن عبد المطلب أمر ابنه عبد الله أن يأخذه فيطوف به في أحياء العرب ليتخذ له مرضعة فطاف حتى استأجر حلية على رضاعه وذكر أنه أقام عندها ست سنين تزيده جده في كل عام فلما كان من شق صدره عندهم ما كان ردة إليهم فأقام عند أمه حتى كان عمره ثمانين سنة ماتت فكفله جده عبد المطلب فمات وله عليه الصلاة والسلام عشر سنين ، فكفله عمه شقيقاً أبيه الزبير وأبو طالب ، فلما كان له بضع عشرة سنة خرج مع عمه الزبير إلى اليمن . فقد ذكر أنهم رأوا منه آيات في تلك السفرة منها أن فحلا من الابل كان قد قطع بعض الطريق في واد عمهم عليه فلما رأى رسول الله (ص) برك حتى حك بكسكاه الأرض فركبه عليه الصلاة والسلام . ومنها أنه خاض بهم سيلاً عمراً فأبىه الله تعالى حتى جاوزوه ثم مات عمه الزبير وله أربع عشرة سنة فأنفرد به أبو طالب .

والمقصود أن بركته عليه الصلاة والسلام حلت على حلية السعدية وأهلها وهو صغير ثم عادت على هوازن بكاملهم فواضله حين أسرمهم بسد وقمتهم ، وذلك بعد فتح مكة بشهر . فتموا إليه رضاعه فاعتقهم وتجنن عليهم وأحسن إليهم كما سيأتي مفصلاً في موضعه إن شاء الله تعالى .

قال محمد بن اسحاق : في وقعة هوازن عن عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده . قال : كنا مع رسول الله (ص) ، يحنن فلما أصاب من أموالم وسيابهم أدركه وفد هوازن بالجرارة وقد أسدوا ، فقالوا يا رسول الله إنا أهل وعشيرة وقد أصابتنا من البلاء ما لم يحض عليك ، فامنن علينا من الله عليك . وقام

خطيبهم زهير بن سرد فقال : يا رسول الله إن ما في المظائر من السبايا خلاتك وحواضتك اللاتي كن يكفلنك ، فلو أما ملحننا (١) ابن أبي شمر ، أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منها مثل الذي أصابنا منك رجونا عانتها وعطفها ، وأنت خير المكفولين . ثم أنشد :

أمنن علينا رسول الله في كرم
أمنن على بيضته قد عاقها قدر
أبقت لنا الدهر هنا فأعلى حزن
إن لم تداركها نعام تفسرها
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها
لا تجعلنا كن شالت فعامته
إنا لنشكر للنسي وإن كفرت

وقد رويت هذه القصة من طريق عبيد الله بن رماحس الكلابي الرملي عن زياد بن طارق الجشمي عن أبي سرد زهير بن جردول - وكان رئيس ثومة - قال لما أسرنا رسول الله - يوم حنين فيينا هو يميز بين الرجال والنساء وثبتت حتى تسدت بين يديه وأسمعتهم شعراً ، أذكره حين شب ونشأ في هوازن حيث أرضعوه :

أمنن علينا رسول الله في سعير
أمنن على بيضته قد عاقها قدر
أبقت لنا الحرب هنا فأعلى حزن
إن لم تداركها نعام تفسرها
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها
لا تجعلنا كن شالت فعامته
إنا لنشكر للنسي وإن كفرت
فألبس العفون قد كنت ترضعه
إنا نؤمل عفواً منك تلبسه
فاغفر عفا الله عما أنت راهبه

(١) يعني أرضعنا . وابن أبي شمر هو الحارث الساقى .

قال قال رسول الله (س): «أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم» فقالت الانصار: وما كان لنا فهو لله ولرسوله (س). وسأيتني أنه عليه الصلاة والسلام أطلق لهم القرية وكانت ستة آلاف ما بين صبي وامرأة، وأعطاهم أنما وألمسى كثيراً. حتى قال أبو الحسين بن فارس فكان قيمة ما أطلق لهم يومئذ خمسمائة ألف ألف درهم. فهذا كله من بركته العاجلة في الدنيا، فكيف يبركه على من اتبعه في الدار الآخرة.

قصة النبوة

قال ابن اسحاق: بعد ذكر رجوعه عليه الصلاة والسلام إلى أمه أمنة بعد رضاعة حليلة له. فكان رسول الله (س) مع أمه أمنة بنت وهب، وجدد عبد المطلب في كلاءة الله وحفظه، وبنيت الله بناً حسناً لما يريد به من كرامته فلما بلغ ست سنين توفيت أمه أمنة بنت وهب.

قال ابن اسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أم رسول الله (س) أمنة توفيت وهو ابن ست سنين بالابواء بين مكة والمدينة، كانت قد قدمت به على اخواله من بني عدى بن النجار تزيره إليهم. فماتت وهي راجعة به إلى مكة. وذكر الواقدي بإسناديه أن النبي خرجت به أمه إلى المدينة وممها أم أيمن وله ست سنين، فزارت اخواله. قالت أم أيمن لجانى ذات يوم رجلان من يهود المدينة فقالا لي أخرجني ابنا أحمد تنظر اليه، فنظرا اليه وقلبا فقال أحدهما لصاحبه هذا نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته، وسيكون بها من اتقى والسبي أمر عظيم. فلما سمعت أمه خافت وانصرفت به، فماتت بالابواء. وقد قال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا أيوب ابن جابر عن سماك عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن بريدة عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله (س) حتى إذا كنا بؤدان قال «مكانكم حتى أتاكم» فانطلق ثم جاءنا وهو ثقيل، قال: «إني أتيت قبر أم محمد فسألت ربي الشفاعة - يعني لها - فنعنيها، وإني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، وكنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام فكلموا وامسكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن الأشرية في هذه الاوعية فاشربوا ما بدا لكم» وقد رواه البيهقي من طريق سفيان الثوري عن علقمة بن يزيد عن سليمان ابن بريدة عن أبيه قال: انتهى النبي (س) إلى رسم قبر مجلس وجلس الناس - وله، فجعل يحرك رأسه كالخطاطب ثم بكى فاستقبله عمر فقال ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: «هذا قبر أمنة بنت وهب استأذنت ربي في أن أزور قبرها فلن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فإني غلي، وأدر كنتي رقماً فبكيك». قال فارؤيت ساعة أكثر باكياً من تلك الساعة. تابعه محارب بن دثار عن بريدة عن أبيه. ثم روى البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن بحر بن نصر عن عبد الله بن وهب حدثنا ابن جريج عن أيوب بن هاني عن

مسروق بن الاجدع عن عبد الله بن مسعود . قال : خرج رسول الله (ص) ، ينظر في المقابر ، وخرجنا معه ، فامرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى الى قبر منها - فواجه طويلاً ثم ارتفع نصيب رسول الله (ص) ، باكياً فبكينا لبكاء رسول الله (ص) ، ثم ان رسول الله (ص) ، اقبل علينا فتلقاه عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله ما الذي ابكاك ؟ لقد ابكناوا فزعنا . فجاء فجلس الينا فقال : « افزعكم بكائي ؟ » قلنا نعم اقل : « ان القبر الذي رأيتوني اناجى قبر آمنة بنت وهب ، واني استأذنت ربي في زيارتها فاذن لي ، واستأذنت ربي في الاستفار لها فلم يأذن لي فيه ، ونزل على (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى من بعد ما تبين لهم أنهم اصحاب الجحيم ، وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حلهم) فاخذني ما ياخذ الولد لوالده من الرقة فذلك الذي ابكاني » غريب ولم يخرجوه . وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن عبيد عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : زار النبي (ص) قبر أمه فبكى وابكى من حوله ثم قال : « استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستفار لها فلم يأذن لي ، فزوروا القبور تذكركم الموت » . وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلاً قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال : « في النار » فلما قفا دعاه فقال : « إن أبي وأباك في النار » . وقد روى البيهقي من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين عن ابراهيم بن سعد عن الزهري عن عاصم بن سعد عن أبيه . قال : جاء أعرابي الى النبي (ص) ، فقال إن أبي كان يصل الرحم ، وكان ، وكان ، فأين هو ؟ قال : « في النار » قال فكان الأعرابي وجد من ذلك ، فقال يا رسول الله أين أبوك ؟ قال : « حيثما سردت بقبر كافر فبشره بالنار » قال فسلم الأعرابي بعد ذلك . فقال : لقد كافني رسول الله (ص) ، تبعاً ، ماسردت بقبر كافر الا بشرته بالنار . غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه . وقال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد - هو ابن أبي أيوب - حدثنا ربيعة بن سيف المافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو . قال بينما نحن نمشي مع رسول الله (ص) ، إذ بصر بامرأة لا يظن أنه عرفها ، فلما توسط الطريق وقف حتى انتهت اليه ، فاذا فاطمة بنت رسول الله (ص) ، فقال : « ما أخرجك من بيتك يا فاطمة ؟ » فقالت أتيت اهل هذا البيت فترحت اليهم ميتهم وعزيتهم . قال : « لعلك بلغت معهم الكدى (١) » قالت معاذ الله أن أكون بلغتها معهم وقد سمعتك تذكر في ذلك ما تذكر (٢) . قال : « لو بلغتني معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جسد أهلك » ثم رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي من حديث ربيعة بن سيف بن مافع المافري الصنعى

(١) أراد بها المقابر وذلك لأنها كانت مقابرهم في مواضع صلبة . وهي جمع كدية القطعة المليظة من الأرض
(٢) هو ما رواه اصحاب السنن من قوله (ص) : « لن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج »

الاسكندري وقد قال البخاري عنده منا كبير . وقال النسائي : ليس به بأس وقال مرة صدوق ، وفي نسخة ضعيف . وذكره ابن حبان في الثقات وقال كان يخطئ كثيراً . وقال الدارقطني صالح . وقال ابن يونس في تاريخ مصر في حديثه منا كبير توفي قريباً من سنة عشرين ومائة ، والمراد بالكدي القبور - وقيل النوح -

والمقصود أن عبد المطلب مات على ما كان عليه من دين الجاهلية خلافاً لفرقة الشيعة فيه وفي ابنه أبي طالب على ما سياتي في وفاة أبي طالب ، وقد قال البيهقي - بعد روايته هذه الأحاديث في كتابه دلائل النبوة : وكيف لا يكون أبواه وجده عليه الصلاة والسلام بهذه الصفة في الآخرة وقد كانوا يعبدون الوثن ، حتى ماتوا ولم يدينوا دين عيسى بن مريم عليه السلام ، وكفرهم لا يقدر في نبيه عليه الصلاة والسلام لأن انكحة الكفار صحيحة. الاترام يسلمون مع زوجاتهم فلا يلزمهم تجديد العقد ولا مفارقتهم إذا كان مثله يجوز في الاسلام وبالله التوفيق . انتهى كلامه .

قلت : واخباره (س) عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والاطفال والمجانين والصم يمتحنون في العرصات يوم القيامة كما بسطناه سنداً ومتناً [في تفسيرنا] عند قوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فيكون منهم من يجيب ومنهم من لا يجيب . فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب فلا مناقاة والله الحمد والمنة .
وأما الحديث الذي ذكره السهيلي وذكر أن في استناده مجهولين إلى ابن أبي الزناد عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله (ص) سأل ربه أن يحيي أبويه ، فاحياهما وآماناً به ، فانه حديث منكر جداً . وان كان ممكناً بالنظر إلى قدرة الله تعالى . لكن الذي ثبت في الصحيح يمارضه والله أعلم .

فصل في آداب

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (ص) مع جده عبد المطلب بن هاشم - يعني بعد موت أمه آمنة بنت وهب - فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه لإجلاله . قال فكان رسول الله (ص) يأتي وهو غلام جفراً حتى يجلس عليه . فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه . فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دعوا إبني فوالله إن له لشأناً ، ثم يجلسه معه على فراشه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع . وقال الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله عن الزهري وحدثنا عبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله . وحدثنا هاشم بن عاصم الاسلمي عن المنذر بن جهم . وحدثنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد . وحدثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز عن أبي الحرث . وحدثنا ابن أبي سيرة عن سليمان بن

سحيم عن نافع عن ابن جبير - دخل حديث بعضهم في بعض - قالوا: كان رسول الله (س) يكون مع أمه أمنة بنت وهب، فلما توفيت قبضه إليه جده عبد المطلب وضمه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده، وكان يقربه منه ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام. وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك دعوا ابني إنه يؤسس ملكاً.

وقال قوم من نبي مدح لعبد المطلب احتفظ به فأن لم نر قدماً أشبه بالتقدم الذي في المقام منه. قتال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء! فكان أبو طالب يحتفظ به. وقال عبد المطلب لأم أيمن - وكانت تحضنه - يا بركة لا تقفلي عن ابني فإني وجدته مع غلمان قريب من السدرة، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة. وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا يقول على بابي فيؤتي به إليه.

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله (س)، وحياته ثم مات عبد المطلب ودفن بالحجون.

وقال ابن اسحاق: فلما بلغ رسول الله (س) ثمان سنين هلك جده عبد المطلب بن هاشم. ثم ذكر جمه بناته وأمه إيمان أن يرثه. وهن، أروى وأممية، وبرة، وصفية، وعاتكة، وأم حكيم البيضاء. وذكر أشمارهن وما قلن في رثته أيهن وهو يسمع قبل موته وهذا أبلغ النوح. وبسط القول في ذلك وقد قال ابن هشام ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر.

قال ابن اسحاق: فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولي السقاية وزمزم به سده ابنه العباس، وهو من أحدث إخوته سناً فلم تول إليه حتى قام الاسلام وأقرها في يده رسول الله (س). وكان رسول الله (س) بد جده عبد المطلب مع عمه أبي طالب لوصية عبد المطلب له به، ولأنه كان شقيق أبيه عبد الله أمها فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. قال فكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله (س)، وكان إليه ومه. وقال الواقدي: أخبرنا معمر عن ابن نجيع عن مجاهد. وحدثنا معاذ بن محمد الانصاري عن عطاء عن ابن عباس. وحدثنا محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وإبراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيبة - دخل حديث بعضهم في حديث بعض - قالوا: لما توفي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله (س)، فكان يكون معه، وكان أبو طالب لا مال له وكان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده، وكان لا يتام إلا إلى جنبه، ويخرج فيخرج معه. وصب به أبو طالب صبابة لم يصب مثلها بشئ قط. وكان يفضه بالطعام وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله (س) شبعوا. فكان إذا أراد أن يتدبهم قال كما أنتم حتى يأتي ولدي. فيأتي رسول الله (س) فيأكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم وإن لم يكن منهم لم يشبعوا فيقول أبو طالب إنك

لمبارك . وكان الصبيان يصبحون رمصاً شتاً ويصبح رسول الله (س) دهنياً كحلياً .
وقال الحسن بن عرفة حدثنا علي بن ثابت عن طلحة بن عمرو سمعت عطاء بن أبي رباح سمعت
ابن عباس يقول : كان بنو أبي طالب يصبحون رمصاً عمصاً ويصبح رسول الله (س) صقيلاً دهنياً
وكان أبو طالب يقرب إلى الصبيان صفحتهم أول البكرة ، فيجلسون ويتهيون ويكف رسول الله
(س) يده فلا يتهيب معهم . فلما رأى ذلك عمه عزل له طعامه على حدة .

وقال ابن اسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه أن رجلاً من هب
كان عاتماً فكان انا قدم مكة أتاه رجال من قريش بلغناهم ينظر إليهم ويتأف لهم فيهم . قال فأتى أبو
طالب برسول الله (س) وهو غلام مع من يأتيه قال فنظر إلى رسول الله (س) ثم شغله عنه شيء . فلما
فرغ قال : السلام على به . فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه فجعل يقول ويلكم ردوا على النمام
الذي رأيته آتياً فوالله ليكون له شأن . قال وانطلق به أبو طالب .

فَضِيلَةُ

﴿ في خروجه عليه الصلاة والسلام مع عمه أبي طالب إلى الشام وقصته مع بحيرى الراهب ﴾

قال ابن اسحاق : ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام . فلما نهباً للرحيل وأجمع السير
صحب به رسول الله (س) . - فيما يزعمون - فرق له أبو طالب وقال والله لا أخرجن به مسمى ولا أفارقه ولا
يفارقنى أبداً - أو كما قال - فخرج به . فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له
بحيرى في صومعة له . وكان إليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب فيها . إليه
يصير علمهم عن كتاب فيما يزعمون . يوارثونه كابراً عن كابر ، فلما نزلوا ذلك العام ببخيري - وكانوا
كثيراً ما يعمرون به فلا يكلمهم ولا يعرض لهم - حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا قريباً من صومته صنع
لهم طعاماً كثيراً وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومته ، يزعمون أنه رأى رسول الله (س) .
في الركب حتى أقبل وغمامة تظله من بين القوم . ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه . فنظر إلى
الغمامة حين أظلت الشجرة وتهمصرت أغصان الشجرة على رسول الله (س) . حتى امتنظلت تحتها . فلما رأى
ذلك ببخيري نزل من صومته وقد أمر بطعام فصنع . ثم أرسل إليهم . فقال إني صنعت لكم طعاماً
يا مشرك قريش فإنا أحب أن تحضروا كلكم ، كبيركم وصغيركم ، وعبدكم وحركم . فقال له رجل منهم
والله يا بحيرى إن لك لنا اليوم . ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيراً فأشأنك اليوم ؟ قال
له بحيرى صدقت قد كان ما تقول ولستكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلون
منه كلكم فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله (س) . من بين القوم لخدمة سنة في رحال القوم تحت الشجرة

فلما رأى بجميري لم ير الصفة التي يعرف ويحده عنده فقال يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طمهي قالوا يا بجميري ما تخلف أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام وهو أحدنا ستاً . فتخلف في رحالنا . قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم . قال فقال رجل من قريش سمع القوم : واللوات والعزى لئن كان للزم بنا أن يتخلف محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا . ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم ، فلما رأى بجميري جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر الى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بجميري وقال له يا غلام : أسألك بحق اللات والعزى الا أخبرتنى عما أسألك عنه . وانما قال له بجميري ذلك لانه سمع قومه يلحفون بها . فزعموا أن رسول الله (ص) قال له : لا تسألني باللوات والعزى شيئاً . فوالله ما ابضت شيئاً قط بنضهما . فقال له بجميري : فبالله الا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ؟ فقال له سألني عما بدا لك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره . فجعل رسول الله (ص) يخبره . فوافق ذلك ما عند بجميري من صفته . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه موضعه من صفته التي عنده ، فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال ما هذا الغلام منك ؟ قال انبي قال بجميري ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً ، قال فانه ابن أخي . قال فما فعل أبوه ؟ قال مات وأمه حبلى به قال صدقت ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود . فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرأ ، فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فاسرع به إلى بلاده ، فخرج به عمه أبو طالب سريماً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

قال ابن اسحاق : فزعموا فيما روى الناس أن زبيراً ، وثامناً ، ودريساً . وهم نفر من أهل الكتاب - قد كانوا رأوا رسول الله (ص) ، مثلما رأى بجميري في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب فارادوه فرددهم عنه بجميري . فذكرهم الله وما يجردون في الكتاب من ذكره وصفته وأنهم اجتمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه . وقد ذكر يونس بن بكير عن ابن اسحاق أن أبا طالب قال في ذلك ثلاث قصائد . هكذا ذكر ابن اسحاق هذا السياق من غير اسناد منه . وقد ورد نحوه من طريق مسند مرفوع .

قال الحافظ أبو بكر الخرائطي حدثنا عباس بن محمد الدوري حدثنا قراد أبو نوح حدثنا يونس عن أبي اسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال خرج أبو طالب الى الشام ومعه رسول الله (ص) في أشياء من قريش . فلما أشرفوا على الراهب - يعني بجميري - هبطوا فخلوا رحالم فخرج اليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يعمرون به فلا يخرج ولا يلتفت اليهم قال قزل وهم يحاون رحالمهم . فجعل يتخللهم حتى جاء . فلخذ بيد النبي (ص) ، فقال هذا سيد العالمين . وفي رواية البيهقي زيادة هذا رسول رب العالمين ، به الله رحمة للعالمين . فقال له أشياء من قريش : وما علمك ؟ فقال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق

شجرة ولا حجر الاخر ساجدا ، ولا يسجدون الا لني ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه . ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتتهم به - وكان هو في رعية الابل - فقال أرسلوا اليه فاقبل وغمامة تظله . فلما دنا من القوم قال انظروا اليه عليه غمامة فلما دنا من القوم وجدتم قد سبقوه الى في الشجرة فلما جلس مال في الشجرة عليه . قال انظروا الى في الشجرة مال عليه قل فيينا هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا به الى الروم فان الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه فالتفت فإذا هو بسبعة نفر من الروم قد أقبلوا . قل فاستقبلهم فقال ماجاء بكم ؟ قالوا جئنا أن هذا النبي خازج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بمث اليه ناس وإنا أخبرنا خبره الى طريقك هذه . قال فهل خلفكم أحد هو خير منكم ؟ قالوا لا إنما أخبرنا خبره الى طريقك هذه . قال أفرايتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ فقالوا لا . قال فبأيعوه وأقاهوا معه عنده . قال فقال الراهب أنتدكم الله أيكم وليه ؟ قالوا أبو طالب . فلم يزل يناشده حتى رده وبث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكك والزيت . هكذا رواه الترمذي عن أبي العباس الفضل بن سهل الاعرج عن قراد أبي نوح به . والحاكم والبيهقي وابن عساكر من طريق أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم عن عباس بن محمد الدوري به . وهكذا رواه غير واحد من الحفاظ من حديث أبي نوح عبدة الرحمن بن غزوان الخزازي مولاهم ، ويقال له الضبي ويعرف بقراد . سكن بغداد وهو من الثقات الذين أخرج لهم البخاري ، ووثقه جماعة من الأئمة والحفاظ ولم أر أحداً جرحه ومع هذا في حديثه هذا غرابة ، قال الترمذي حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه . وقال عباس الدوري ليس في الدنيا أحد يحدث به غير قراد أبي نوح وقد سمعته منه أحمد بن حنبل رحمه الله ويحيى بن معين لفرأبته وانفراده . حكاه البيهقي وابن عساكر .

قلت : فيه من الترائب أنه من رسائل الصحابة فان أبا موسى الأشعري إنما قدم في سنة خير سنة سبع من الهجرة . ولا يلتفت إلى قول ابن اسحاق في جعله له من المهاجرة إلى أرض الحبشة من مكة وعلى كل تقدير فهو مرسل . فان هذه القصة كانت ورسول الله ﷺ ، من العمر فيما ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة ، ولعل أبا موسى تلقاه من النبي ﷺ ، فيكون أبلغ ، أو من بعض كبار الصحابة رضی الله عنهم ، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذ من طريق الاستفاضة .

الثاني : أن الغمامة لم تذكر في حديث اصح من هذا .

الثالث . أن قوله وبث معه أبو بكر بلالا إن كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك ثنتي عشرة سنة فقد كان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشرة ، وعمر بلال أقل من ذلك ، فإين كان أبو بكر إذ ذاك ؟ ثم أين كان بلال ؟ كلاهما غريب اللهم إلا أن يقال إن هذا كان ورسول الله ﷺ ، كبيراً . لها بأن يكون سفره بعد هذا أو إن كان القول بأن عمره كان إذ ذاك ثنتي عشرة سنة غير محفوظ ، فانه إنما

ذكره مقيداً بهذا الواقدي . وحكى السهيلي عن بعضهم أنه كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك تسع سنين والله أعلم . قال الواقدي : حدثني محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وإبراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين . قالوا : لما بلغ رسول الله (س) ، اثنتي عشرة سنة خرج به عمه أبو طالب إلى الشام في العير التي أخرج فيها للتجارة ونزلوا بالراهب بجيري . فقال لأبي طالب بالسر ما قتل . وأمره أن يحتفظ به فردّه معه أبو طالب إلى مكة .

وشب رسول الله (س) مع أبي طالب يكأوه الله ويحفظه ويحوطه من أمور الجاهلية ومعايها لما يريد من كرامته حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه سريرة ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم مخالطة ، وأحسنهم حواراً ، وأعظمهم حلاً وأمانة ، وأصدقهم حديثاً ، وأبدمهم من الفحش والأذى . ما روى ملاحظاً ولا يمارياً أحداً ، حتى سباه قومه الأيمن . لما جمع الله فيه من الأور الصالحة فكان أبو طالب يحفظه ويحوطه وينصره ويمضه حتى مات .

وقال محمد بن سعد : أخبرنا خالد بن معدان حدثنا معمر بن سليمان سمعت أبي يحدث عن أبي مجاز أن عبد المطيب - أو أبا طالب شك خالد - قال لما مات عبد الله عطف على محمد فكان لا يسافر سرفراً إلا كان معه فيه ، وإنه توجه نحو الشام فنزل منزلاً فأتاه فيه راهب . فقال إن فيكم رجلاً صالحاً : ثم قل ابن أبو هذا الغلام ؟ قل فقال ها أنا ذا وليه - أو قيل هذا وليه - قل احتفظ بهذا الغلام ولا تذهب به إلى الشام إن اليهود حسدوا إلى أخشام عليه . قال ما أنت تقول ذلك ، ولكن الله يقوله . فردّه وقال اللهم إني أستودعك محمداً ثم إنه مات .

قصة حبير

حكى السهيلي عن سير الزهري أن بحيري كان حبيراً من أحبار يهود . قلت : والذي يظهر من سياق القصة أنه كان راهباً نصرانياً والله أعلم . وعن السمودي أنه كان من عبد القيس وكان اسمه جرجيس . وفي كتاب المعارف لابن قتيبة سمع هاتف في الجاهلية قبل الاسلام بقبيل يهتف ويقول : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة ، بحيري ، ورتاب بن البراء الشني ، والثالث المنتظر . وكان الثالث المنتظر هو الرسول (س) . قال ابن قتيبة وكان قبر رتاب الشني وقبر واه من بعده لا يزال يرى عندهما طش ، وهو المطر الخفيف .

قصة حبير

في منشئه عليه الصلاة والسلام ومرابه وكفاية الله له ، وحياطته ، وكيف كان يتيماً فأواه وعائلاً فأغناه قال محمد بن اسحاق : فشب رسول الله (س) يكأوه الله ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية ، لما

يريد من كرامته ورسالته حتى يبلغ أن كان رجلاً أفضل قومه سرورة ، وأحسنهم خلقاً وأكرمهم حساباً ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حياءً وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانة ، وأبدم من الفحش والاختلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً ، حتى ما اسمه في قومه إلا الامين ، لما جمع الله فيه من الامور الصالحة وكان رسول الله (س) ، فيما ذكر لي يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته أنه قال : « لقد رأيتني في غلمان من قريش تنقل الحجارة لبعض ما يلبس الغلمان ، كأننا قد تمرى وأخذ إزاره وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، فاني لأقبل منهم كذلك وأدبر إذ لكفى لا كم ما أراه لكفة وجيمة ، ثم قال شد عليك إزارك . قال فأخذته فشدته على ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي ولإزاري على من بين أصابعي » . وهذه القصة شبيهة بما في الصحيح عند بناء الكعبة حين كان ينقل هو وعمه العباس فان لم تكنها فهي متقدمة عليها كالتوطئة لها والله أعلم .

قال عبد الرزاق : أخبرنا ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله (س) ، ينقل الحجارة . فقال العباس لرسول الله (س) ، إجلس إزارك على عاتقك من الحجارة ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ، ثم قام فقال : « إزاري » فشد عليه إزاره . أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق . وأخرجاه أيضاً من حديث روح بن عبادة عن زكرياه بن أبي اسحاق عن عمرو بن دينار عن جابر بنحوه .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن اسحاق الصاغاني حدثنا محمد بن بكير الحضرمي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي حدثنا عمرو بن أبي قيس عن سالك عن عكرمة حدثني ابن عباس عن أبيه أنه كان ينقل الحجارة إلى البيت حين بنت قريش البيت ، قال وأفرقت قريش رجلين رجلين ، الرجال يتلقون الحجارة ، وكانت النساء تنقل الشيد . قال فكنت أنا وابن أخي وكنا نحمل على رقابنا وأزربنا تحت الحجارة ، فلذا غشينا الناس أئثرنا . فيينا أنا أمشي ومحمد أممي قال فخر وانبلح على وجهه ، فنجت أسي وأقيت حجري وهو ينظر إلى السماء قلت ما شأنك ؟ فقام وأخذ إزاره قال « إني نهيته أن أمشي عرياناً » . قال وكنت أكتهما من الناس مخافة أن يقولوا مجنون . وروى البيهقي من حديث يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني محمد بن عبد الله بن قيس بن مغرمة عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب . قال سمعت رسول الله (س) ، يقول « ما حمت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعمون به من النساء الا ليلتين كتناهما عسفي الله عز وجل فيها . قلت ليلة لبعض قتيان مكة - ونحن في رعاء غم أهلها - قلت لصاحبي أبصر لي غنى حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسر القتيان فقال لي . قال فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة سمعت عزراً بلغراييل والمزامير قلت ما هذا

قالوا تزوج فلان فلانة . فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني الا المس الشمس ، فرجعت الى صاحبي ، فقال ما فعلت ؟ فقلت ما فعلت شيئا ثم أخبرته بالذي رأيت ، ثم قلت له ليلة أخرى أبصر لي غنى حتى اسمر ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة . فسألت فقيل نكح فلان فلانة ، فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني الا المس الشمس ، فرجعت الى صاحبي فقال ما فعلت ؟ فقلت لا شيء ، ثم أخبرته الخبر ، فوالله ما هممت ولا عدت بهما لشيء . من ذلك حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته « وهذا حديث غريب جدا وقد يكون عن علي نفسه ويكون قوله في آخره » حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته « مقحما والله أعلم .

وشيوخ ابن اسحاق هذا ذكره ابن حبان في الثقات . وزعم بعضهم أنه من رجال الصحيح . قال شيخنا في تهذيبه ولم أقف على ذلك والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي : حدثني أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا الحسن ابن علي بن عفان الماسري حدثنا أبو أسامة حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، ويحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب عن أسامة بن زيد عن زيد بن حارثة . قال : كان صنم من نجاس يقال له اساف ونائلة يتسبح به المشركون إذا طافوا . فطاف رسول الله (س) ، وطفت معه ، فلما مررت مسحت به فقال رسول الله (س) « لا تمسه » . قال زيد فطفنا فقلت في نفسي لأمنه حتى أنظر ما يكون ، فسحته فقال رسول الله (س) « ألم تنه » قال البيهقي : زاد غيره عن محمد بن عمرو بإسناده قال زيد فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنما قط حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه .

وتقدم قوله عليه الصلاة والسلام لبحيرى حين سأله باللات والعزى « لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئا بفضهما » فلما الحديث الذي قاله الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو سعد الماليني . أنبأنا أبو احمد بن عدى الحافظ حدثنا ابراهيم بن اسباط حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن سفيان الثوري عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كان النبي (س) ، يشهد مع المشركين مشاهدتهم قال فسمع ملكين خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب بنا حتى قوم خلف رسول الله (س) . قال كيف قوم خلفه وإنما عهده باستلام الاضنام ؟ . قال فلم يعد بذلك ان يشهد مع المشركين مشاهدتهم . فهو حديث أنكره غير واحد من الأئمة على عثمان بن أبي شيبة حتى قال الامام احمد فيه لم يكن أخوه يتلفظ بشيء من هذا . وقد حكى البيهقي عن بعضهم أن مناه أنه شهد مع من يستلم الاضنام وذلك قبل أن يوحى اليه والله أعلم . وقد تقدم في حديث زيد بن حارثة أنه اعتزل شهود مشاهد المشركين حتى أكرمه الله برسالته . وثبت في الحديث أنه كان لا يقف بالمزدلفة ليلة عرفة بل كان يقف مع الناس ببرفان كما قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق * حدثني عبد الله بن أبي بكر

عن عثمان بن أبي سليمان عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير . قال : لقد رأيت رسول الله
س . وهو على دين قومه ، وهو يقف على بعير له يعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم ، توفيقاً من
الله عز وجل له .

قال البيهقي : معسنى قوله على دين قومه ما كان بقي من ارث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، ولم
يشرك بالله قط صلوات الله وسلامه عليه دائماً .

قلت : وينهم من قوله هذا أيضاً انه كان يقف يعرفات قبل أن يوحى اليه . وهذا توفيق من الله له .
ورواه الامام أحمد عن يعقوب بن محمد بن اسحاق هـ . ولفظه رأيت رسول الله س . قبل أن ينزل عليه
وإنه لواقف على بعير له مع الناس يعرفات حتى يدفع معهم توفيقاً من الله . وقال الامام أحمد : حدثنا
سفيان عن عمرو بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : أضلت بعيراً لي برفة فذهبت اطلبه فإذا النبي
س . واقف فقلت إن هذا من الخس (١) ما شأنه ههنا ؟ واخرجاه من حديث سفيان بن عيينة به .

شهره عليه الصلاة والسلام حرب الفجار

قال ابن اسحاق : هاجت حرب الفجار ورسول الله س . ابن عشرين سنة . وانما سمي يوم
الفجار ، بما استحل فيه هذان الحليان - كنانة وقيس عيلان - من المخازم بينهم . وكان قائد قريش وكنانة
حرب بن أمية بن عبد شمس . وكان الظفر في أوز النهار لقيس على كنانة . حتى إذا كان وسط النهار كان
الظفر لكنانة على قيس .

وقال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله س . أربع عشرة سنة - أو خمس عشرة سنة - فيها حدثني هـ
أبو عبيدة النخعي عن أبي عمرو بن السلاء هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين
قيس عيلان . وكان الذي هاجها ان عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن
صمصمة بن معاوية بن بكر بن هوازن أجاز لطيمة - أي تجارة - للنعمان بن المنذر . فقال البراض بن
قيس - أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة - أجبزها على كنانة ؟ قال نعم وعلى الخلق . فخرج
فيها عروة الرحال وخرج البراض يطلب غفله . حتى إذا كان يتيمن ذى طلال بالعالية غفل عروة فوثب
عليه البراض فقتله في الشهر الحرام . فلذلك سمي الفجار ، وقال البراض في ذلك :

وداهية نهم الناس قبلي تمددت لها بني بكر ضلوعي
هدمت بها بيوت بني كلاب وأرضعت الموالى بالضروع

(١) الخس جمع أحس . وهم قريش ومن ولدت ، وكنانة ، وجديلة سموا أحسا ، لأنهم تحمسوا في دينهم
أى تشددوا . والجماسة الشجاعة كانوا يقولون : نحن اهل الله فلا نخرج من الحرم
١٩٢ ج ٢

رفعت له بندي طلال كفي فخرت يمينه كالجذع الصريع

وقال لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب :

وأبلغ - إن عرضت - بنى كلاب وعامر والخطوب لما والى
وأبلغ - إن عرضت - بنى كلاب وعامر والخطوب لما والى
وأبلغ - إن عرضت - بنى كلاب وعامر والخطوب لما والى
بأن الوافد الرجال أسمى مقبلاً عند قمين ذي طلال

قال ابن هشام : فأنى أت قريشاً فقال : إن البراض قد قتل عروة ، وهو في الشهر الحرام بكظا .
فارتحلوا وهو أذن لا شمر بهم . ثم بانهم الخبير فاتبعهم فادركهم قبل أن يدخلوا الحرم . فاقتلوا حتى جاء
الليل فدخلوا الحرم فاستكت هو أذن عنهم ، ثم التقوا بعد هذا اليوم أيما والقوم متساندون على كل قبيل
من قريش وكنانة رئيس منهم وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم . قال وشهد رسول الله (ص) ، بعض
أيامهم . أخرجه إمامهم وقال رسول الله (ص) : « كنت أنبل على أعمامى » أى أرد عليهم نبل
عدوهم إذا رموهم بها .

قال ابن هشام : وحديث الفجار طويل هو أطول مما ذكرنا وإنما معنى من استقصاه قطعه
حديث سيرة رسول الله (ص) .

وقال السهيلي : والفجار بكسر الفاء على وزن قتال . وكانت الفجارات في العرب أربعة ذكرهن
المسودي . وآخرهن ، فجار البراض هذا . وكان القتال فيه في أربعة أيام ، يوم شحمة ، ويوم العلاء ،
وهما عند عكاظ ، ويوم الشرب - وهو أعظمها يوماً - وهو الذي حضره رسول الله (ص) ، وفيه قيدا
رئيس قريش وبنو كنانة وهما حرب بن أمية وأخوه سفيان أنهما لثلا يفروا . وانهمت يومئذ قيس
إلا بنى نضر فاتهم نبتوا ، ويوم الحريرة عند نخلة . ثم تواجدوا من العام المقبل إلى عكاظ . فلما توافروا
الموعد ركب عتبة بن ربيعة جملة وفادى يا مشر مضر غلام فقاتلون ؟ فقالت له هو أذن ما تدع إليه ؟
قال الصلح ، قالوا وكيف ؟ قال ندى قسلاكم وترهكم رهائن عليها ، ونعفو عن ديانتنا . قالوا ومن لنا
بذلك قال أنا ، قالوا ومن أنت ؟ قال عتبة بن ربيعة فوقع الصلح على ذلك وبشوا إليهم أربعين رجلاً
فيهم حكيم بن حزام فلما رأته بنو عامر بن صعصعة الرهن في أيديهم عنوا عن ديانتهم وانقضت حرب
الفجار . وقد ذكر الاموي حروب الفجار وأيامها واستقصاها مطولاً فيما رواه عن الأثرم . وهو المغيرة
ابن علي عن أبي عبيدة معمر بن المثنى فقد ذكر ذلك .

قصة الفجار

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو سعد الملقب أنبأنا أبو أحمد بن عدى الحافظ حدثنا يحيى بن علي

ابن هاشم الخفاف حدثنا أبو عبد الرحمن الأزدي حدثنا إسماعيل بن عليّة عن عبد الرحمن بن اسحاق عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه . قال قال رسول الله (س) : « شهدت مع عومتي حلف المطيبين فما أحب أن أتسكنه - أو كلمة نحوها - وإن لي حمر النعم » . قال وكذلك رواه بشر بن المفضل عن عبد الرحمن . قال وأخبرنا أبو نصر بن قتادة حدثنا أبو عمرو بن مطر حدثنا أبو بكر بن أحمد بن داود السناني حدثنا معلى بن مهدي حدثنا أبو عروبة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة . قال قال رسول الله (س) : « ما شهدت حلقاً لقريش إلا حلف المطيبين ، وما أحب أن لي حمر النعم وأني كنت نقضته » قال : والمطيبون هاشم ، وأمّية ، وزهرة ، ومخزوم ، قال البيهقي : كذا روى هذا التفسير مدرجاً في الحديث ولا أدري قائله ، وزعم بعض أهل السير أنه أراد حلف الفضول فان النبي (س) لم يدرك حلف المطيبين .

قلت : هذا لا شك فيه ، وذلك أن قريشاً تعالفاً بعد موت قصي ونازحوا في الذي كان جعله قصي لابنه عبد الدار من السقاية ، والرفادة ، واللواء ، والندوة ، والحجابة ، ونزعهم فيه بنوع من مناف وقامت مع كل طائفة قبائل من قريش وتعالفوا على النصرة لحزبهم فأحضر أصحاب بني عبد مناف جفنة فيها طيب فوضوا أيديهم فيها وتعالفوا . فلما قاموا مسحوا أيديهم بأركان البيت . فسموا المطيبين كما تقدم وكان هذا قديماً وليسكن المراد بهذا الحلف حلف الفضول وكان في دار عبد الله بن جدعان كما رواه الحميدي عن سفيان بن عيينة عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر قال قال رسول الله (س) : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلقاً لو دعيت به في الإسلام لأجبت ، تعالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يمدوا^(١) ظالم مظلوماً » . قالوا : وكان حلف الفضول قبل المبعث بمشربين سنة في شهر ذي القعدة ، وكان بعد حرب الفجار بأربعة أشهر . وذلك لأن الفجار كان في شعبان من هذه السنة ، وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأتبرفه في العرب ، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبيد المطلب وكان سببه أن رجلاً من زيد قدم مكة يبضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحسب عنه حقه ، فاستمدى عليه الزبيدي الاخلاف عبد الدار ومخزوماً وجمهاً وسهماً وعدي بن كعب فأبوا أن يمينوا على العاص بن وائل وزبرود - أي انهمروه - فلما رأى الزبيدي التترأوف على أبي قبيس عند طلوع الشمس - وقريش في أيديهم حول الكعبة - فنادى بأعلى صوته :

يا آل زهيرٍ لمظلومٍ بضاعتُهُ يبتغى مكة فأنى الدارِ والنَّهرِ
ومحرمٍ أشعثٍ لم يقضِ عمرته بالرجالِ وبين الحجرِ والحجرِ
إنّ الحرامَ لم يأتَتْ كرامتُهُ ولا حرامٌ لثوبِ الفاجرِ البدرِ

(١) كذا بالأصليين . والذي في السهلي : بمن ظالم مظلوماً .

قام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال : ما لهذا مترك فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاماً وتحالفوا في ذى القعدة في شهر حرام فتعاقدوا وتماهدوا بالله ليكونن يوماً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي اليه حقه ما بل ببحر صوفة . ومارسى ثبير وحرأ . مكنهما . وعلى التأسى في الماش . فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول ، وقالوا لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر . ثم مشوا إلى العاص بن وائل فالتزعوا منه سلعة الزيدى فدفعوها اليه . وقال الزبير بن عبد المطلب في ذلك :

حلفتُ لَمَعِدَنُ جَلْفًا عَلَيْهِمُ وَإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارِ
نَسِيهِ الْفُضُولِ إِذَا عَقَدْنَا يَمْرُؤُهُ الْغَرِيبُ الَّذِي الْجَوَارِ
وَيَسْلَمُ مِنْ حَوَالِي الْبَيْتِ أَنَا أَبَاةَ الضَّمِيرِ نَمْنَعُ كُلَّ عَادِ
وقال الزبير أيضاً :

إِنَّ الْفُضُولَ تَعَاقَدُوا وَتَحَالَفُوا أَلَا يُبْغِمُ بَيْطُنَ مَكَّةَ ظَلَامُ
أَمْرًا عَلَيْهِ تَعَاقَدُوا وَتَوَاتَفُوا فَلِجَارِ وَالْمُسْتَرِّ فِيهِمْ سَلَامُ

وذكر قاسم بن ثابت - في غريب الحديث - : أن رجلا من خنعم قدم مكة حاجباً - أو متمراً - ومعه ابنة له يقال لها القمول من أوصاف نساء العالين ، فاغتصبها منه نيه بن الحجاج وغيرها عنه . فقال الخنعمي : من يمد يدي على هذا الرجل ؟ فقبل له عليك بحلف الفضول . فوقف عند السكبة ونادى يال حلف الفضول : فإذا هم يمتقون اليه من كل جانب : وقد اتضوا أسيافهم يقولون : حادك الفتوت فالك ؟ فقال إن نبياً ظلمني في بنتي وانزعها مني قسراً فساروا معه حتى وقفوا على باب داره ، فخرج اليهم فقالوا له أخرج الجارية ويحك فقد عدت من نحن وما تعاقدنا عليه ، فقال أفلأ ، واسكن متموني بها الليلة ، قالوا لا والله ولا شخب لفتح فأنجزها اليهم وهو يقول :

رَاحَ صَحْبِي . وَلَمْ أَحْبِبِ الْقَتُولَا لَمْ أُوَدِّعْهُمْ بُدَاعًا جَبِيلَا
إِذْ أَجَدَ الْفُضُولُ أَنْ يَمْنُوهَا قَدْ أَرَانِي وَلَا أَخَافُ الْفُضُولَا
لَا تَحَالِي أَيَّ عَشِيَةِ رَاحِ الرَّكَا بُهْنْتُمْ عَلَيَّ أَنْ لَا يَزُولَا (١)

وذكر أبياتا أخر غير هذه . وقد قيل إنما سمي هذا حلف الفضول لأنه أتبه حلفاً تحالفته جرمه على مثل هذا من نصر المظلوم على ظلمه . وكان الداعي اليه ثلاثة من أشرافهم اسم كل واحد منهم فضل : وهم الفضل بن فضالة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن الحارث . هذا قول ابن قتيبة . وقال غيره

(١) كذا في الحلبية ، والمصرية : ان لا يزولا . وفي السهيلي : ان لا أقولا .

الفضل بن شراعة ، والفضل بن بضاعة ، والفضل بن قضاة ^(١) وقد أورد السهيلي هذا رحمه الله .
وقال محمد بن اسحاق بن يسار : وتداعت قبائل من قريش إلى حلف فاجتمعوا له في دار عبد الله
ابن جدعان لشرفه ومنه . وكان حلفهم عنده بنو هاشم وبنو عبد المطلب وبنو أسد بن عبد المزي
وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة . فتماهدوا وتعاقدوا على أن لا يجردوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم
من دخلها من سائر الناس إلا كانوا معه وكانوا على من ظلمه حتى يرد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك
الحلف حلف الفضول .

قال محمد بن اسحاق : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن
عوف الزهري يقول قال رسول الله (س) : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب
أن لي به حمر النعم ولو دعى به في الاسلام لأجبت » .

قال ابن اسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثي أن محمد بن إبراهيم بن
الحارث التيمي حدثه أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين الوليد بن عتبة بن أبي
سفيان - والوليد يومئذ أمير المدينة ، أمره عليها معه معاوية بن أبي سفيان . - منازعة في مال كان بينهما
بذي المروة فكان الوليد تحامل على الحسين في حقه سلطانه ، فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصتني من
حتى أو لا تخذن سبقي ثم لا تقوم في مسجد رسول الله (س) ، ثم لا دعون بحلف الفضول . قال فقال
عبد الله بن الزبير - وهو عند الوليد حين قال له الحسين ما قال - وأنا أحلف بالله لئن دعاه لا تخذن سبقي
ثم لا تقوم مني حتى ينصف من حقه أو يموت جميعاً . قال وبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري
فقال مثل ذلك . وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك . فدا بلغ ذلك الوليد
ابن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى .

تزويج عيسى الصلوة والسلام خير من بنت خويلد

قال ابن اسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة فاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال على
مالها مضاربة . فلما بلغها عن رسول الله (س) ما بلغها من صدق حديثه وعظم أماته وكرم أخلاقه بمشت
اليه فمرضت عليه أن يخرج لها في مال تاجر إلى الشام وتعطيه أفضل ما تعطى غيره من التجار . مع غلام
لها يقال له ميسرة ، قبله رسول الله (س) ، منها وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة حتى
^(١) كذا في الحلية . وفي المصرية : الفضل بن شراعة ، والفضل بن قضاة . ولم يذكر الثالث .
وفي السهيلي والنهاية : الفضل بن شراعة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن قضاة .

نزل الشام ، قتل رسول الله (س) ، في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى ميسرة . قال : من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة ؟ فقال ميسرة هذا رجل من قريش من أهل الحرم فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة الا نبي ثم باع رسول الله (س) : سلته - يعني تجارته - التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري . ثم اقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ، يرى ملكين يظلاله من الشمس وهو يسير على بيته ، فلما قدم مكة على خديجة بما لها بنت ما جاء به فاضف أو قريبا ، وحدها ميسرة عن قول الراهب وعم كان يرى من اغلال الملائكة إياه وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبية مع ما أراد الله بها من كرامتها . فلما أخبرها ميسرة ما أخبرها بشت إلى رسول الله (س) فقالت له - فيما يزعمون - يا ابن عم أتي قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك^(١) في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ثم عرضت نفسها عليه وكانت أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالا . وكل قومها كان حربصا على ذلك منها لو يقدر عليه ، فلما قالت ذلك لرسول الله (س) ، ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوجها عليه الصلاة والسلام .

قال ابن هشام : فأصدقها عشرين بككرة وكانت أول امرأة تزوجها ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت .

قال ابن اسحاق : فولدت لرسول الله (س) ، ولده كلهم إلا إبراهيم : القاسم وكان به يكنى ، والطيب والطاهر ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

قال ابن هشام : أكبرهم القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر . وأكبر بناته رقية ، ثم زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

قال البيهقي عن الحاكم : قرأت بخط أبي بكر بن أبي خنيفة حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيري قال أكبر ولده عليه الصلاة والسلام القاسم ، ثم زينب ، ثم عبد الله ، ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية . وكان أول من مات من ولده القاسم ، ثم عبد الله . وبلغت خديجة خمسا وستين سنة ، ويقال خمسين . وهو أصح . وقال غيره بلغ القاسم أن يركب الدابة والنجبة ثم مات بعد النبوة ، وقيل مات وهو رضيع فقال رسول الله (س) : « إن له مرضاً في الجنة يستكمل رضاعه » والمعروف ان هذا في حق إبراهيم

وقال يونس بن بكير : حدثنا إبراهيم بن عثمان عن القاسم عن ابن عباس قال ولدت خديجة لرسول الله (س) ، غلامين واربعة نسوة : القاسم ، وعبد الله ، وفاطمة ، وأم كلثوم ، وزينب ، ورقية . وقال الزبير بن بكار عبد الله هو الطيب وهو الطاهر ، سمي بذلك لانه ولد بعد النبوة فماتوا قبل البشارة .

(١) قوله : وسطتك فسرره السهلي من الوسط . وقال فلان أوسط القبية اعرفها واولاها بالصميم .

أما بناته فادر كن البعثة ودخلن في الاسلام وهاجرن معه (ص)، قال ابن هشام: واما ابراهيم فمن مارية القبطية التي أهداهاله المقوقس صاحب اسكندرية من كورة انصنا^(١) وستنكلم على أزواجه وأولاده عليه الصلاة والسلام في باب مفرد لذلك في آخر السيرة ان شاء الله تعالى وبه الثقة .

قال ابن هشام : وكان عمر رسول الله (ص) حين تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة فيما حدثني غير واحد من أهل العلم ، منهم أبو عمرو المدني ، وقال يعقوب بن سفيان كتبت عن ابراهيم بن المنذر حدثني عمر بن أبي بكر المؤملى حدثني غير واحد أن عمرو بن أسد تزوج خديجة من رسول الله (ص) ، وعمره خمساً وعشرين سنة وقريش بنى السكبة . وهكذا قل البيهقي عن الحاكم أنه كان عمر رسول الله (ص) حين تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة وكان عمرها إذ ذلك خمساً وثلاثين . وقيل خمساً وعشرين سنة . وقال البيهقي : ﴿ بلب ما كان يشغل به رسول الله (ص) ، قبل أن يتزوج خديجة ﴾

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن عبد الله أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا عمرو بن أبي يحيى بن سعيد القرشي عن جده سعيد عن أبي هريرة . قال قال رسول الله (ص) : « ما بث الله نبياً إلا راعى غنم » فقال له أصحابه وانت يا رسول الله ؟ قال : « واما رعيتها لاهل مكة بالقراريط » رواه البخاري عن أحمد بن محمد المسكي عن عمرو بن يحيى به . ثم روى البيهقي من طريق الربيع بن بدر - وهو ضعيف - عن أبي الزبير عن جابر . قال قال رسول الله (ص) : « آجرت نفسي من خديجة سفرتين بقلوص » وروى البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس : أن أبا خديجة زوج رسول الله (ص) ، وهو - اظنه - قال سكران . ثم قال البيهقي : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن سفيان قال حدثني ابراهيم بن المنذر حدثني عمر بن أبي بكر المؤملى حدثني عبد الله بن أبي عبيد بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن مقسم بن أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل أن عبد الله بن الحارث حدثه ان عمار ابن ياسر كان إذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزويج رسول الله (ص) ، وخديجة وما يكثرون فيه يقول : انا أعلم الناس بتزويجه إياها ، اني كنت له تريباً وكنت له إلفاً وخذناً . وإني خرجت مع رسول الله (ص) ذات يوم حتى اذا كنا بالخرزورة أجزنا على أخت خديجة وهي جالسة على ادم قبيها ، فتأدتي ففصرنت اليها ووقفتي رسول الله (ص) . فقالت : اما بصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة ؟ قال عمار فرجعت اليه فاخبرته فقال « بلى لسرى » فذكرت لها قول رسول الله (ص) : فقالت اغدوا علينا إذا أصبحنا ، فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة والبسوا أبا خديجة حلة ، وصفرت لحبته ، وكلمت أخواها فكلما أباه وقد

(١) أنصنا : بالفتح ثم السكون مدينة أزيلية من نواحي الصعيد بشرق النيل .

سقى خمرًا فذكر له رسول (س)، ومكانه وسأله أن يزوجه فزوجه خديجة وصنموا من البقرة طلما
فاكثامته ونام أبوها ثم استيقظ صاحبا . فقال : ما هذه الحلة وما هذه الصفرة وهذا الطعام فقالت له ابنته
التي كانت قد كتبت عمرا هذه حلة كساها محمد بن عبد الله ختنك وبقرة أهداها لك فذبحناها حين
زوجه خديجة ، فانكر ان يكون زوجه ، وخرج يصيح حتى جاء الحجر ، وخرج بنو هاشم برسول
الله (س) ، فجأزه فكلموه . قال ابن صاحبكم الذي تزعمون أني زوجه خديجة ؟ فبرز له رسول الله
(س) ، فلما نظر اليه قال إن كنت زوجه فسبيل ذلك وإن لم أكن فسلت فقد زوجه .

وقد ذكر الزهري في سيره ان أباه زوجها منه وهو سكران وذكر نحو ما تقدم حكاة السهيلي .
قال المؤمل : المجتمع عليه أن عمها عمرو بن أسد هو الذي زوجها منه وهذا هو الذي رجحه السهيلي .
وحكاة عن ابن عباس وعائشة قالت وكان خويلد مات قبل الفجار ، وهو الذي نزع تبعا حين أراد
أخذ الحجر الأسود إلى اليمن ، فقام في ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ثم رأى تبع في منامه
ماروعه ، ففزع عن ذلك وترك الحجر الأسود مكانه .

وذكر ابن اسحاق : في آخر السيرة أن أخاها عمرو بن خويلد هو الذي زوجها رسول الله (س) ،
فالله أعلم .

فصل في مناقب النبي

قال ابن اسحاق : وقد كانت خديجة بنت خويلد ذكرت لورقة من نوفل بن أسد بن عبد العزى
ابن قصي - وكان ابن عمها وكان نصرانياً قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكرها غلامها من قول
الراهب وما كان يرى منه إذ كان الملسكان بظلاله - فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة إن محمداً
لنبي هذه الأمة ، قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر هذا زمانه - أو كما قل - فجعل ورقة يستبطن
الأمر ويقول حتى متى ؟ وقال في ذلك :

لجبتُ وكنتُ في الذكرى بلوجاً	لهم طالما ما بهت الشبيجا
ووصف من خديجة بد وصف	فقد طال انتظارى يا خديجا
يطلق المكتنين على رجائي	خديتك أن أرى منه خروجا
بما خبرتنا من قول قس	من الرهبان أكره أن يموجا
بان محمداً سيسود قوماً	ويخضم من يكون له حبيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور	يقوم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحساره خساراً	ويلقى من يسأله فلوجا
فياليتي إذا ما كان ذامم	شهدت وكنت أولهم ولوجا

وُلُوجًا فِي الَّذِي كَرِهْتَ قُرَيْشٌ
أُرْتَجِي بِالَّذِي كَرِهُوا جِيًّا
وَهَلْ أَسْرُ السَّفَالَةِ غَيْرُ كَفْرٍ
فَإِنْ يَبْتَدُوا وَأَبَقَ يَكُنْ أَمُورٌ
وَإِنْ أَهْلِكَ فَكَلِّ قِي سِيَلِي
رَلُو صَحَّتْ بِمَكْتَمِهَا عَجِيبًا
إِلَى ذِي الْعَرْشِ إِنْ سَفَلُوا خُرُوجًا
بِمَنْ يَخْتَارُ مِنْ سَمَكِ الْبُرُوجِ
يَضِيحُ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيبًا
مِنْ الْأَقْدَارِ مِثْلُهُ خُرُوجًا

وقال ورقة أيضا فيها رواه بونس بن بكير عن ابن اسحاق عنه :

أَتَيْكَرُ أَمْ أَنْتَ الْعَشِيَّةُ رَانِحٌ
لَعُرَّةٍ قَوْمٍ لَا أَحَبَّ فِرَاقِهِمْ
وَأَخْبَارِ صِدْقٍ سُجِّرَتْ عَنْ مُحَمَّدٍ
أَتَاكَ الَّذِي وَجَّهْتَهُ بِأَخْبَرِ حُرَّةٍ
إِلَى السُّوقِ بَعْرِي فِي الرِّكَابِ الَّتِي غَدَّتْ
فِيخْبِرُنَا عَنْ كُلِّ خَيْرٍ بَعْلِي
بَأَنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَحَدَ مَرْسَلٍ
وَوَظِيِّي بِهِ أَنْ سَوْفَ يَمِثُّ صَادِقًا
وَمَوْسَى وَابْرَاهِيمَ حَتَّى يُرَى لَهُ
وَيَتِمُّ حَيَاتِهِ لَوْ يَبِيٍّ وَغَالِبٍ
فَإِنْ أَبَقَ حَتَّى يَدْرِكَ النَّاسَ دَهْرَهُ
وَإِلَّا فَإِنِّي بِأَخْدِيجَةَ فَاعْلَمِي

وزاد الأُموي :

فَمَتَّحَ دِينَ الَّذِي أُسِّسَ الْبِنَا
وَأُسِّسَ بِنْيَانًا بِمَكْتَمٍ نَابِتًا
مَثَابًا لِأَفْنَاءِ الْقَبَائِلِ كَلَّهَا
حَرَا جِجِجٌ (٢) أَمْثَالَ الْقِدَاحِ مِنَ السَّرِيِّ
وَكَانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ رَاجِحٌ
تَلَالُؤًا فِيهِ بِالظَّلَامِ الْمَصَاحِجِ
نَحْتًا إِلَيْهِ الْبِضَالَتِ الطَّلَاحِ
يَعْلَقُ فِي أَرْسَاعِهِنَّ السَّرَاجِ

ومن شعره فيما أورده أبو القاسم السهيلي في روضه :

لَقَدْ فَصَحْتُ لِأَقْوَامٍ وَقَلْتُ لَهُمْ
أَنَا النَّذِيرُ فَلَا يَفْرَدُكُمْ أَحَدٌ

(١) الدخ: أن يمشى البعير بالحل وقد أمثله (٢) الحراجيج جمع حرجيج، وهي الناقة الطويلة

لا تميدن إلهاً غير خالقكم
سبحان ذي العرش سبحاناً يدوم له
مسخر كل ما تحت السلاو له
لا شيء مما نرى تبقى بشاشته
لم تكن عن هزمن يوماً خزانته
ولا سليمان إذ تجرى الرياح به
أبى الملوك التي كانت لزمها
حوض هنالك مورود بلا كذب

ثم قال هكذا نسبة أبو الفرج إلى ورقة، قال وفيه آيات تنسب إلى أمية بن أبي الصلت
قلت: وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يستشهد في بعض
الأحيان بشيء من هذه الآيات والله أعلم.

قصصنا

في تجديد قريش بناء الكعبة قبل المبعث بخمس سنين

ذكر البيهقي بناء الكعبة قبل تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة. والمشهور أن بناء قريش الكعبة
بعد تزويج خديجة كما ذكرناه بشر سنين. ثم شرع البيهقي في ذكر بناء الكعبة في زمن ابراهيم كما قدمناه
في قصته، وأورد حديث ابن عباس المتقدم في صحيح البخارى وذكر ماورد من الاسرائيليات في
بنائه في زمن آدم ولا يصح ذلك، فان ظاهر القرآن يقتضى أن ابراهيم أول من بناه مبتدئاً وأول من
أسسه، وكانت بقسته معظمة قبل ذلك. متفق بها مشرفة في سائر الأعصار والأوقات قال الله تعالى
[إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله
كان آمناً والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً] وثبت في الصحيحين عن أبي ذر قال قلت
يا رسول الله أى مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام» قلت ثم أى؟ قال: «المسجد الأقصى»
قلت كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة» وقد تكلمنا على هذا فيما تقدم، وإن المسجد الأقصى أسسه
اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام. وفي الصحيحين أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض
فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة. وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله الصغار
حدثنا احمد بن مهران حدثنا عبيد الله حدثنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو.
قال: «كأن البيت قبل الارض بألفى سنة، (وإذا الارض مدت) قال من تحتها مدت. قال وقد
تابه منصور عن مجاهد.

قلت : وهذا غريب جداً وكأنه من الزاملتين اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك وكان فيهما اسراثيليات يحدث منها وفيهما منكرات وغرائب .

ثم قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو جعفر محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله البغدادي حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح حدثنا أبو صالح الجهني حدثني ابن طيبة عن يزيد بن أبي الخير عن عبد الله بن عمرو بن العاص . قال قال رسول الله (س) : « بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما ابنياني بيتاً ، فخط لهما جبريل فجعل آدم يحفر وحواء تنقل ، حتى أجابه الماء ، فودى من تحت حبهك يا آدم ، فلما بنيا أوحى الله تعالى إليه أن يطوف به وقيل له أنت أول الناس ، وهذا أول بيت ، ثم تناسخت القرون حتى حجه نوح ، ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه . »
قال البيهقي : تفرد به ابن طيبة هكذا مرفوعاً .

قلت : وهو ضيف ، ووقفه على عبد الله بن عمرو أقوى وأثبت والله أعلم .
وقال الريبغ : أنبأنا الشافعي أنبأنا سفيان عن ابن أبي ليبد عن محمد بن كعب القرظي - أو غيره - قال : خرج آدم فلقبته الملائكة فقالوا بر نكك يا آدم قد حججنا قبلك بألني عام . وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني بقيقة - أو قال ثقة - من أهل المدينة عن عروة بن الزبير أنه قال : ما من نبي إلا وقد حج البيت إلا ما كان من هود وصالح .

قلت : وقد قدمنا حججهما إليه . والمقصود الملحج إلى محله وبقته وإن لم يكن ثم بناء والله أعلم .
ثم أورد البيهقي حديث ابن عباس المتقدم في قصة إبراهيم عليه السلام بطوله وتمامه وهو في صحيح البخاري .
ثم روى البيهقي من حديث سماك بن حرب عن خالد بن عرعة قال سأل رجل علياً عن قوله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين) أهو أول بيت نبي في الأرض ؟ قال لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة للناس والهدى ومقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً . وإن شئت بناتك كيف بناؤه . إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم أن ابن لي بيتاً في الأرض فضايق به ذرعاً فإرسل إليه السكينة وهي ریح خجوج لها رأس فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت ثم تطوقت في موضع البيت تطوق الحية ، فبنى إبراهيم حتى بلغ مكان الحجر قال لابنه أبني حجراً فالتمس حجراً حتى أتاه به فوجد الحجر الأسود فدرك فقال لا يهمن من أين لك هذا ؟ قال جاء به من لا يتنكل على بناتك ، جاء به جبريل من السماء فاتمه . قال فر عليه الدهر فاتهمم فبنته الهامة ، ثم أنهمم فبنته جرم ، ثم أنهمم فبنته قریش ورسول الله (س) .
يومئذ رجل شاب . فلما أرادوا أن يرضوا الحجر الأسود اختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة ، فكان رسول (س) . أول من خرج عليهم قضى بينهم أن يجعلوه في مرط ثم ترضه جميع التباثل كلهم . وقال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة وقيس وسلام كلهم عن سماك

ابن حرب عن خالد بن عرعة عن علي بن أبي طالب . قال : لما أتهدم البيت بعد جرم بنته قريش فلما أرادوا وضع الحجر قشاجروا من يرضه فاتفقوا أن يرضه أول من يدخل من هذا الباب فدخّل رسول الله (س) من باب بني شيبه فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه وأمر كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب فرفروه وأخذ رسول الله (س) فوضه ، قل يعقوب بن سفيان أخبرني أصبغ بن فرج أخبرني ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال لما بلغ رسول الله (س) الحلم جرت امرأة الكعبة فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترقت فهدمها حتى إذا بنوها فبناها موضع الركن اختصت قريش في الركن أي القبائل تلى رضىه . فقالوا : تمالوا بحكم أول من يطلع علينا ، فطلع عليهم رسول الله (س) ، وهو غلام عليه وشاح نمره فخكوه فأمر بالركن فوضع في ثوب ثم أخرج سيد كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب ثم ارتقى هو فرفروا إليه الركن فكان هو يرضه فكان لا يزداد على السن الأرضى حتى دعوه الأيمن قبل أن ينزل عليه الوحى ، فطفقوا إلا ينحرون جزوراً إلا النسيه فيدعو لهم فيها ، وهذا سياق حسن ، وهو من سير الزهرى ، وفيه من الغرابة قوله : فلما بلغ الحلم . والمشهور أن هذا كان رسول الله (س) ، عمره خمس وثلاثون سنة ، وهو الذى نص عليه محمد بن اسحاق بن يسار رحمه الله .

وقال موسى بن عقبة : كان بناء الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة . وهكذا قال مجاهد ، وعرعة ، و محمد بن جبير بن مطعم ، وغيرهم . فأنه أعلم .

وقال موسى بن عقبة : كان بين الفجار وبين بناء الكعبة خمس عشرة سنة .

قلت : وكان الفجار وحلف الفضول في سنة واحدة إذ كان عمر رسول الله (س) عشرون سنة .

وهذا يؤيد ما قال محمد بن اسحاق والله أعلم .

قال موسى بن عقبة : وإنما حمل قريشاً على بنائها ان السيول كانت تأتي من فوقها ، من فوق الردم الذى صفوه فجر به فخافوا ان يدخلها الماء . وكان رجل يقال له مليح سرق طيب الكعبة . فأرادوا ان يشيدوا بنائها وان يرفعوها حتى لا يدخلها إلا من شاءوا فاعدوا لذلك نفقة وعمالاً ثم غدوا اليها ليهدموها على شفق وحذر أن يمنهم الذى ارادوا . فكان اول رجل طلعبها وهدم منها شيئاً الوليد بن المغيرة فلما رأوا الذى فعل الوليد تناهبوا فوضعوها فبجيتهم ذلك . فلما ارادوا أن يأخذوا في بنائها احضروا عاملهم فلم يقدر رجل منهم أن يمضى امامه موضع قدم فزعوا انهم رأوا حية قد أحاطت بالبيت رأسها عند ذنبا . فأشعقوا منها شفقة شديدة ، وخشوا أن يكونوا قد وقعوا مما علوا في هلكة . وكانت الكعبة حرمهم ومنعتهم من الناس وشر فالهم . فلما سقط في ايديهم والتبس عليهم امرهم قام فيهم المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فذكر ما كان من نصحه لهم وامره بإيادهم ان لا يتشاجروا ولا يتحاسدوا في بنائها . وأن يقتسموها ارباعاً . وان لا يدخلوا في بنائها ملاحراماً . وذكر انهم لما عزموا على ذلك

ذهبت الحية في السماء وتغيبت عنهم ورأوا ان ذلك من الله عز وجل . قال : ويقول بعض الناس إنه اختطفها طائر وألقاها نحو أجياد .

وقال محمد بن اسحاق بن يسار : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبناء السكبة وكانوا يهيمون بذلك ليسقفوها ويهاون هدمها . وإنما كانت رضا فوق القامة . فأرادوا رفعها ونسقيها وذلك ان فزراً سرقوا كثر الكمية ، وإنما كان في بئر في جوف السكبة . وكان الذي وجد عنده الكنز دويك مولى لبني مليح بن عمرو بن خزاعة . فقطعت قريش يده وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك . وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم . فتحطمت . فاخذوا خشبها فأعدوه لتسقيها . قال الاموي : كانت هذه السفينة لتيصر ملك الروم تحمل آلات البناء من الرخام والاشب والحديد سرحها قيصر مع باقوم الرومي الى الكنيسة التي احرقها الفرس للحبشة فلما بنت مرماها من جدة بث الله عليها ريمًا فخطتها .

قال ابن اسحاق : وكان بمكة رجل قبلي يجار قهياً لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها . وكانت حية تخرج من بئر السكبة التي كانت تطرح فيها ما يهدى اليها كل يوم . فتشرف على جدار السكبة وكانت مما يهاون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احزألت^١ وكثت وقمت فاعا ، فكانوا يهاونها ، فيبنا هي يوماً تشرف على جدار السكبة كما كانت تصنع ، بث الله عليها طائراً فاخطأها فذهب بها . فقالت قريش : إننا لندرجو أن يكون الله تعالى قد رضى ما أردنا ، عندنا عامل رقيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية .

وحكى السهيلي : عن رزين أن سارقاً دخل السكبة في أيام جرم ليسرق كنزها . فتهار البئر عليه حتى جابوا فأخرجوه وأخذوا منه ما كان أخذه ، ثم سكنت هذا البئر حية رأسها كراس الجدى وبطنها أبيض وظهرها أسود فأقامت فيها خمسمائة عام وهي التي ذكرها محمد بن اسحاق .

قال محمد بن اسحاق : فلما أجمعوا أمرهم لهدمها وبنائها قام أبو وهب عمرو بن عابد بن عبد بن عمران بن مخزوم . وقال ابن هشام عابد بن عمران بن مخزوم . فتناول من السكبة حجراً فومب من يده حتى رجع إلى موضعه . فقال : يا مشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً . لا يدخل فيها مهر بنى ولا بيع ربا ، ولا مظلة أحد من الناس . والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . ثم رجع ابن اسحاق أن قائل ذلك أبو وهب بن عمرو . قال وكان خال أبي النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان شريفاً ممدحاً .

وقال ابن اسحاق : ثم أن قريشاً تجزأت السكبة . فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة ، وما

(١) احزألت : أى اجتمعت تريد الوثوب .

بين الركن الأسود والركن اليماني لبني غزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم . وكان ظهر الكعبة لبني
 جميع وسهم . وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبني أسد بن عبد العزى ولبني عدي بن كعب ،
 وهو الحطيم . ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه . قال الوليد بن المغيرة أنا أبدوكم في هدمها فأخذ
 المول ثم قام عليها وهو يقول : اللهم ترع اللهم إنا لا نريد إلا الخير . ثم هدم من ناحية الركنين
 فترص الناس تلك الليلة ، وقالوا : ننظر فإن أصيب لمنهدم منها شيئاً وردناها كما كانت وإن لم يصبه
 شيء فقد رضى الله ما صنعنا من هدمها . فأصبح الوليد غدياً على عمله فهدم وهدم الناس معه - حتى
 إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس - أساس إبراهيم عليه السلام - أنفضوا إلى حجارة خضر كالأسنة
 أخذ بعضها بعضاً - ووقع في صحیح البخاری عن يزيد بن رومان كأنه قال السهلي وأرى
 رواية السيرة كالأسنة وهما والله أعلم .

قال ابن اسحاق : حدثني بعض من يروي الحديث أن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها أدخل
 عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر امتنضت مكة بأسرها . فاتهموا عن
 ذلك الأساس .

وقال موسى بن عقبة : وزعم عبد الله بن عباس أن أولية قريش كانوا يهدون أن رجلاً من
 قريش لما احتضمو ليتزعوا الحجارة إلى تأسيس إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام عمد رجل منهم إلى
 حجر من الأساس الأول فرضه وهو لا يدري أنه من الأساس الأول ، فأبصر القوم برقة نحت
 الحجر كادت تلتصق بصر الرجل ، ونزا الحجر من يده فوقع في موضعه وفتح الرجل والبناء . فلما ستر
 الحجر عنهم ما نحتهم إلى مكانه عادوا إلى بنيانهم وقالوا لا نحر كوا هذا الحجر ولا شيئاً بمذاته .

قال ابن اسحاق : وحدثت أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بلسرانية ظم يرفوا ما هو ، حتى قرأه
 لهم رجل من يهود ، فاذا هو أنا الله فوبكذ ، خلقتها يوم خلقت السماوات والأرض ، وصورت
 الشمس والقمر ، وحفظتها بسبعة أملاك حنفاء لاتزل حتى يزول أخشابها - قال ابن هشام يهني جيلها -
 مبارك لأهلها في الماء واللين .

قال ابن اسحاق : وحدثت أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه : مكة الله الحرام ، يأتيها رزقها من
 ثلاثة سبل ، لا يحلها أول من أهلها . قال وزعم ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا في الكعبة قبل مبعث
 النبي (س) ، بأربعين سنة - إن كان ما ذكر حقاً - مكتوباً فيه : من يزرع خيراً يحمده غبطة ، ومن يزرع
 شراً يحمده ندامة . يملون السيئات ويميزون الحسنات ؟ أجل كما يجتني من الشوك الضنب .

وقال سعيد بن يحيى الأموي : حدثت المتتمر بن سليمان الرقي عن عبد الله بن بشر الزهري -
 برفع الحديث إلى النبي (س) . - قال : « وجد في المقام ثلاثة أصفح ، في الصفح الأول : إني أنا الله

ذوبكة ، صنمها يوم صنعت الشمس والقمر وحفظها بسبعة أملاك حنفاء ، وولدت لأهلها في اللحم واللبان
وفي الصنح الثاني : إني أنا الله ذوبكة ، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي . فمن وصلها وصلته ومن قطعها
بنته ، وفي الصنح الثالث : إني أنا الله ذوبكة ، خلقت الخير والشر وقدرته . فطوبى لمن أجرى الخير
على يديه وويل لمن أجرى الشر على يديه .

قال ابن اسحاق : ثم إن القبائل من قريش حمت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة . ثم
بنوها حتى بلغ البناء موضع الركن فاختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى .
حتى تحاذروا أو يخالفوا ، وأعدوا للقتال فحرب بنو عبد الدار جنة معلومة دماً . ثم تعادوا هم وبنو عدى
ابن كعب بن لؤي على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة . فسوا لعة الدم . فكنت
قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً ثم اتهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا . فزعم بعض أهل
الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم - وكان عاملاً أسن قريش كلها قال :
يا مشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه .
فعلوا . فكان أول داخل دخل رسول الله (ص) . فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ورضينا ، هذا محمد .
فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال رسول الله (ص) : « هلوا إني ثوباً » فأتى به وأخذ الركن فوضعه
في يده ثم قال « لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب . ثم أرضوه جميعاً » ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه
وضعه هو يده (ص) . ثم بنى عليه . وكانت قريش تسمى رسول الله (ص) الأمين .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا ثابت - يعني أبا يزيد - حدثنا هلال يعني ابن جبان
عن مجاهد عن مولاة - وهو السائب بن عبد الله - أنه حدثه أنه كان فم بنى الكعبة في الجاهلية قال :
وكان لي حجر - أنا بنته أعبدته من دون الله - قال : وكنت أجيء بلبان الخمار التي آفقه على فمى
فأصبه عليه فيجىء الكلب فيلحسه ثم يشتر فيبول عليه . قل : فبيننا حتى بلغنا موضع الحجر ولا يرى
الحجر أحد . فإذا هر وسط أحجار تامل رأس الرجل يكاد يترابا منه وجه الرجل . فقال بطن من
قريش : نحن فضمه وقل آخرون نحن فضمه فقالوا اجعلوا بينكم حكماً . فقالوا أول رجل يطلع من
الفتح . فجاء رسول الله (ص) فقالوا أناكم الامين . فقالوا له فوضه في ثوب . ثم دعا بطونهم فوضوا فواجه
فوضه هو (ص) .

قال ابن اسحاق : وكانت الكعبة على عهد النبي (ص) ثمان عشرة ذراعاً وكانت تكسى القبايل .
ثم كسيت بعد البرور - وأول من كساها الدياجع بن يوسف .
قلت : وقد كانوا أخرجوا منها الحجر - وهو ستة أذرع أو سبعة أذرع من ناحية الشام - فصرت بهم
الشفقة أى لم يتمكنوا أن يبنوه على قواعد إبراهيم . وجعلوا للكعبة باباً واحداً من ناحية الشرق . وجعلوه

مر فماتلا يدخل البها كل أحد فيدخلوا من شاهوا ويعتوا من شاهوا وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله (س)، قال لها: «ألم ترى أن قومك قصرت بهم النفقة . ولولا حدتان قومك بكر لقتضت الكعبة وجعلت لها بابا شرقياً وباباً غربياً، وأدخلت فيها الحجر» ولهذا لما تمكن ابن الزبير بناها على ما اشار اليه رسول الله (س)، وجاءت في عاية البهاء والحسن والسناء كاملة على قواعد الخليل . لما بلبان ملتصقان بالارض شرقياً وغربياً . يدخل الناس من هذا . يخرجون من الآخر . فلما قتل الحجاج ابن الزبير كتب الى عبد الملك بن مروان - وهو الخليفة يومئذ - فيما صنعه ابن الزبير واعتقدوا انه فعل ذلك من تلقاء نفسه . فامر باعادتها الى ما كانت عليه فعمدوا الى الحائط الشامى فحصوه واخرجوا منه الحجر وروصوا حجارته في أرض الكعبة . فارتفع بابها وسدوا النربي واستمر الشرقى على ما كان عليه فلما كان في زمن المهدي - اوابه المنصور - استشار مالكا في اعادتها على ما كان صنعه ابن الزبير . فقال مالك رحمه الله : إني اكره أن يتخذها الملوك ملية . فتركها على ما هي عليه . فهي الى الآن كذلك . وأما المسجد الحرام : فقول من أخر البيوت من حول الكعبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، اشتراها من أهلها وهدمها فلما كان عثمان اشترى دوراً وزادها فيه . فلما ولي ابن الزبير أحكم ببنائه ، وحسن جدراته وأكثر ابوابه . ولم يوسمه شيئا آخر . فلما استبد بالأمر عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع جدراته وامر بالكعبة فكسبت الديباج . وكان الذي تولى ذلك باسمه الحجاج بن يوسف . وقد ذكرنا قصة بناء البيت والاحاديث الواردة في ذلك في تفسير سورة البقرة عند قوله (وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) وذكرنا ذلك مطولا مستقصى فمن شاء كتبه هاهنا والله الحمد والمنة .

قال ابن اسحاق : فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب ببيان الكعبة لها :

عجبت لما تصوّبت العقاب	الى الثمبان وهي لما اضطراب
وقد كانت تكون لها كشيئ	واحياً ما يكون لها وقاب
اذا قنا الى التأسيس شدت	سؤيتنا البناء وقد نهاب
فلما أن خشيتنا الزجر جاءت	عقاب تثلث لها انصباب
ففتتها اليها ثم خلت	لنا البنيان ليس لها حجاب
فمننا حاشدين الى بناء	لنا منه القواعد والترات
غداة يرفع التأسيس منه	وليس على مساويتنا نياب
أعزبه الملك بني لؤي	فليس لأصله منهم ذهاب
وقد حدثت هناك بنو عبدي	ومرة قد تهدمها كلاب

فَبِوَأَنَا الْمُنْبِكُ بِذَلِكَ عَزَاءً وَعِنْدَ اللَّهِ يُلْتَمَسُ الثَّوَابُ

وقد قدمنا في فصل ما كان الله يحوط به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أقدار الجاهلية ، أنه كان هو والعباس
عنه ينتقلان الحجارة ، وأنه عليه الصلاة والسلام لما وضع إزاره تحت الحجارة على كتفه نهى عن خلع
إزاره فأعادته إلى سيرته الأولى .

قصة: ثياب

وذكر ابن اسحاق ما كانت قريش ابتدعوه في تسميتهم الحس ، وهو الشدة في الدين والصلابة .
وذلك لأنهم تظلموا الحرم تعظيماً زندياً بحيث التزموا بسببه أن لا يخرجوا منه ليلة عرفة . وكانوا
يقولون نحن أبناء الحرم وقطان بيت الله . فكانوا لا يقفون برفات مع علمهم أنها من مشاعر إبراهيم
عليه السلام ، حتى لا يخرجوا عن نظام ما كانوا قرروه من البدعة الفاسدة . وكانوا لا يدخلون بيت الله
أقطاً ولا سمناً ولا يسلون شحماً وهم حرم . ولا يدخلون بيتاً من شعر ولا يتظلمون ان استطالوا الا
بيت من آدم . وكانوا يمتنعون الحبيج والمار - ماداموا محرمين - أن يأكلوا إلا من طعام قريش ،
ولا يطوفوا الا في ثياب قريش ، فان لم يجد احد منهم ثوب أحد من الحس وهم قريش وما ولدوا
ومن دخل معهم من كنانة وخزاعة طاف عرباناً ولو كانت امرأة ولهذا كانت المرأة اذا اتفق طوافها
لذلك وضعت يدها على فرجها وتقول :

اليوم ييدو بهضه أو - كاه . وبعد هذا اليوم لأحله (١)

فان تكرم أحد من يجد ثوب أحسى فطاف في ثياب نفسه فله إذا فرغ من الطواف ان يلقها
فلا ينتفع بها بعد ذلك . وليس له ولا لغيره أن يمسه . وكانت العرب تسمى تلك الثياب التي قال
بعض الشعراء :

كفى حزناً كرى عليه كأنه لقي بين أيدي الطائفين حريم

قال ابن اسحاق : فكانوا كذلك حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنزل عليه القرآن رداً عليهم فيما
ابتدعوه فقال (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أي جمهور العرب من عرفات (واستغفروا الله
إن الله غفور رحيم) وقد قدمنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقف امرأتين قبل أن ينزل عليه توفيقاً من
الله له ، وأنزل الله عليه رداً عليهم فيما كانوا حرموا من اللباس والطعام على الناس (يا بني آدم خذوا
زيتكم عند كل مسجد واكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي
أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الآية . وقال زياد البكائي عن ابن اسحاق : ولا أدري أكان
ابتداعهم لذلك قبل الفيل أو بعده .

(١) وفي المصرية وابن هشام : وما يدا منه فلا أحله .

مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

تسلياً كثيراً . وذكر شيء من البشارات بذلك

قال محمد بن اسحاق رحمه الله : وكانت الأحبار من اليهود والكهان من النصارى ومن العرب قد تحدّثوا بأمر رسول الله (ص)، قبل مبعثه لما تقارب زمانه ، أما الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى فما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم اليهم فيه . قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجيئونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) الآية وقال الله تعالى (وإذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد) . وقال الله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رؤساء بينهم ترام ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سهاماً في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل) الآية . وقال الله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قل أنقرضتم وأخذتم على ذلكنم إصري ؟ قالوا أنقرضنا قل فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال : « ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه وليتبعنه » يعلم من هذا أن جميع الأنبياء بشروا وأمرُوا بالتباعد .

وقد قال إبراهيم عليه السلام فيما دعا به لأهل مكة : (ربنا وابث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك) الآية .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج بن فضالة حدثنا لقمان بن عامر سمعت أبا أمامة قال قلت يا رسول الله ، ما كان بدء أمرك ؟ قال : « دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضامت له قصور الشام » وقد روى محمد بن اسحاق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله (ص)، عنه مثله . ومعنى هذا أنه أراد بدء أمره بين الناس واشتهار ذكره وانتشاره فقد ذكر دعوة إبراهيم الذي تنسب اليه العرب ، ثم بشرى عيسى الذي هو خاتم أنبياء بني اسرائيل كما تقدم . يدل هذا على أن من بينهما من الأنبياء بشروا به أيضا .

أما في الملأ الاعلى فقد كان أمره مشهوراً مذكورا معلوما من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كما قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد السكبي

عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن الرباض بن سارية . قال قال رسول الله (س) : « إني عبد الله خاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأنيشكم بأول ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأيت ، وكذلك أمهات المؤمنين » . وقد رواه الليث عن معاوية بن صالح وقال : إن أمه رأته حين وضعت نوداً أضاعت منه قصور الشام . وقال الامام احمد أيضاً حدثنا عبد الرحمن حدثنا منصور بن سعد عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة النجر قال قلت يا رسول الله ، متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » فرد بين احمد .

وقد رواه عمر بن احمد بن شاهين في كتاب دلائل النبوة من حديث أبي هريرة فقال حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز - يعني أبا القاسم البغوي - حدثنا أبو همام الوليد بن مسلم عن الاوزاعي حدثني يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله (س) ، متى وجدت لك النبوة ؟ قال : « بين خلق آدم ونفخ الروح فيه » ورواه من وجه آخر عن الاوزاعي به . وقال : « وآدم منجدل في طينته » . وروى عن البغوي أيضاً عن احمد بن المقدم عن يقية بن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي هريرة - مرفوعاً - في قول الله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) قال رسول الله (س) : « كنت أول النبيين في المطلق وآخرهم في البعث » ومن حديث أبي مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر عن الشعبي عن ابن عباس قيل يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » . وأما الكهان من العرب فاتهم به الشياطين من الجن مما تسترق من السمع ، إذ كانت وهي لا تمحجج عن ذلك بالقدف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما بعض ذكر أموره ولا يلقى العرب لذلك فيه بالا . حتى بعث الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون ففرها ، فلما تقارب أمر رسول الله (س) ، وحضر زمان مبته حجت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تعقد لاستراق السمع فيها ، فرموا بالنجوم فعرفت الشياطين أن ذلك لأمر حدث من أمر الله عز وجل . قال وفي ذلك أنزل الله على رسوله (س) : (قل أوحى إلى أنه استمع ممن الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجيباً يهدى إلى الرشاد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً) إلى آخر السورة . وقد ذكرنا تفسير ذلك كله في كتابنا التفسير ، وكذا قوله تعالى (وإذ صرفنا إليك قرآناً من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم) الآيات ، ذكرنا تفسير ذلك كله هناك .

قال محمد بن اسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أنه حدث أن أول العرب فرج للهي بالنجوم حين رمى بها - هذا الخي من حميف - وإتهم جابوا إلى رجل منهم يقاله عمرو بن أمية

أحد بنى علاج وكان أدهى العرب وأمكرها ، فقالوا له يا عمرو ألم تر ما حدث في السماء من التذف بهذه النجوم ؟ قال بلى ، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الاتواء من الصيف والشتاء ، لما يصلح الناس في مما يشتم هي التي يرى بها ، فهو والله طى الدنيا ، وهلاك هذا الخلق وإن كانت نجوماً غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق فما هو ؟ .

قال ابن اسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن امرأة من بنى سهم - يقال لها الفيظلة - كانت كاهنة في الجاهلية جاءها صاحبها ليلة من الليالي فاقض تحتها ، ثم قال : أدر ما أدر ، يوم عقر ونحر ، قلت قريش حين بلغها ذلك ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى فاقض تحتها ثم قال : شعوب ماشعوب ؟ تصرع فيه كعب الجنوب . فلما بلغ ذلك قريشا قالوا ما ذا يريد ؟ إن هذا لأمر هو كائن فانظروا ما هو ، فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب فعرفوا أنه كان الذي جاء به إلى صاحبه .

قال ابن اسحاق : وحدثني علي بن نافع الجرشي أن جنباً - بطنا من اليمن - كان لهم كاهن في الجاهلية ، فلما ذكر أمر رسول الله (ص) ، وانتشر في العرب ، قالت له جنب انظر لنا في أمر هذا الرجل واجتمعوا له في أسفل جبله . فنزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جعل ينزوي ، ثم قال : أيها الناس إن الله أكرم محمداً وأصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكنه فيكم أيها الناس قليل . ثم اشتد في جبله راجعاً من حيث جاء ، ثم ذكر ابن اسحاق قصة سواد بن قارب وقد أخرناها إلى هواتف الجان .

قصة سواد بن قارب

قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا إن مما دعانا إلى الاسلام - مع رحمة الله تعالى وهداه لنا - أن كنا نسع من رجل من يهود - وكنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا يزال يفتنا ويثمنهم شريراً فاذا فلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا إنه قد تقارب زمان نبى يبعث الآن قتلكم معه قتل عاد وإرم ، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما سئنا الله رسول الله (ص) ، أجبناهم حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به . فبادرناهم إليه ، فآمننا به وكفروا به . ففتنا وفقهم نزلت هذه الآية . (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما مهمم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) .

وقال ورقاء عن ابن أبي نجيح عن علي الأزدي : كانت اليهود تقول اللهم ابث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس يستفتحون به - أي يستنبصرون به - رواه البيهقي . ثم روى من طريق عبد الملك ابن هارون بن عتبة عن أبيه عن جده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : كانت اليهود يخير

تقاتل غطفان فسكدا انتقوا هزمت يهود خيبر ، فعادت اليهود بهذا الدعاء فقالوا : اللهم نسألك بحق محمد النبي الأُمى الذى وعدتنا أن نخرجه فى آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم ، قال فسكوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان ، فلما بعث النبي (س) ، كفروا به . فأنزل الله عز وجل (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) الآية . وروى عطية عن ابن عباس نحوه . وروى عن عكرمة من قوله نحو ذلك أيضاً .

وقال ابن اسحاق : وحديثى صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلام بن وقش - وكان من أهل بدر - قال كنت لنا جار من يهودى فى بنى عبد الأشهل ، قال فخرج علينا يوماً من بيته حتى وقف على بنى عبد الأشهل . قال سلمة وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا على فروة لى مضطجع فيها ببناء أهلى ، فذكر التقيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار . قال فقال ذلك لتقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بشا كئن بعد الموت ، فقالوا له ويحك يا فلان أو ترى هذا كائناً ؟ إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها الجنة ولن يميزون فيها بأعمالهم ؟ قال نعم ، والذى يحلف به ويود أن له تحطة من تلك النار أعظم تنور فى الدار يحموه ثم يدخلونه إياه فيطبقوه عليه وأن ينجون من تلك النار فغداً قالوا له ويحك يا فلان فما آية ذلك ؟ قال نى مبعوث من نحو هند البلاد . وأشار بيده إلى نحو مكة واليمن قالوا ونهى نراه ؟ قال - فنظر إلى وأنا من أحد - منهم سنا - فقال أن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه . قل سلمة فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله (س) وهو حى بين أظهرنا ، فأمتنا به وكفر به بئياً وحسداً . قال قلنا له ويحك يا فلان أنت الذى قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال بلى ولكن ليس به . رواه احمد عن يعقوب عن ابيه عن ابن عباس . ورواه البيهقى عن الحاكم باستناده من طريق يونس بن بكير .

وزروى أبو نعيم فى الدلائل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن محمد بن سلمة قال : لم يكن فى بنى عبد الأشهل الا يهودى واحد يقال له يوشع ، فسمته يقول - وإنى للغلام فى ازار - قد اغلظكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت . ثم اشار بيده إلى بيت الله ، فن ادركه فليصدق . فبعث رسول الله (س) ، فاسلمنا وهو بين أظهرنا لم يسلم حسداً وبنياً . وقد قدمنا حديث ابى سعيد عن ابيه فى اخبار يوشع هذا عن خروج رسول الله (س) ، وصفته ونفته واخبار الزبير بن باطاعن ظهور كوكب مولد رسول الله (س) ، ورواه الحاكم عن البيهقى باستناده من طريق يونس بن بكير عنه .

قال ابن اسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال قال لى : هل تدري عم كان اسلام قلبية بن سمية وأسيد بن سمية ، وأسد بن عبيد - نمر من بنى هذيل ، اخوة بنى قريظة كانوا معهم فى جاهليتهم ، ثم كانوا سادتهم فى الاسلام - قال قلت لآء قال فان رجلا من اليهود من ارض

الشام يقال له ابن الهيثبان قدم علينا قبل الاسلام بستين نخل بين اظهر نالا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلح الخس افضل منه ، فاقام عندنا فكننا اذا قحط عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيثبان فاستسقى لنا ، فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة ، فتقول له كم ؟ فيقول صاعا من تمر ، أو مدين من شمير . قال فنخرجها ، ثم يخرج بنا الى ظاهر حرثنا فيستسقى لنا ، فوالله ما يبرح بحلمه حتى يمر السحاب ويستسقى . قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثا . قال ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرفناه ميت قال يا مشر بهرد ما ترونه اخرجني من أرض الحجر والحخير الى أرض البؤس والجوع ؟ قال قلنا أنت أعلم قال فاني إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظل زمانه ، هذه البلدة مهاجرة فكنت ارجوان يبعث فانيه ، وقد أنظمت زمانه فلا تسبقن اليه يا مشر بهرد ، قاله يبعث بفك الدماء وصبي الدراري فيمن خلفه فلا يمتنعك ذلك منه . فلما بعث رسول الله (س) ، وحاصر نبي قريظة قل هؤلاء الفتية - وكانوا شبابا أحداثا - : يا نبي قريظة والله إنه للنبي الذي عهد اليكم فيه ابن الهيثبان . قالوا ليس به قالوا بلى والله إنه لم يبر بصفته . فتزلوا فاسلدوا فاحرزوا دماهم وأمواهم وأهلهم
قل ابن إسحاق فهذا ما بلغنا عن احبار يهود .

قلت : وقد قسمتا في قدوم تبع الهياتي وهو أبو كرب تبان أسعد إلى المدينة ومحاصرته إياها وانه خرج اليه ذانك الحيران من اليهود فقالا له إنه لا سبيل لك عليها ، أنها مهاجرة نبي يكون في آخر الزمان فتناه ذلك عنها . وقد روى أبو نعيم في الدلائل من طريق الوليد بن مسلم حه ثنا محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده . قال قال عبد الله بن سلام : ان الله لما أراد هدى زيد ابن سعية قال زيد لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد (س) ، حين نظرت اليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه : يسبق حله جهله ، ولا يزيد شمة الجهل عليه إلا حلقا . قال فكنت أتلف له لأن أحاطه فاعرف حله وجهله ، فدكر قصة إسلامه للنبي (س) ، ملا في ثمرة ، قال فلما حل الأجل أتيته فانخذت بمجامع قيصه وردائه - وهو في جنازة مع أصحابه - ونظرت اليه بوجه غليظ ، وقلت : يا محمد ألا تنضيني حتى ؟ فوالله ما عدتكم بنى عبد المطلب اطل ، قال فنظر إلى عمر وعيناه يدوران في وجهه كالفلك المستدير . ثم قال يا عدو الله أتقول لرسول الله (س) ، ما أسمع ، وتفضل ما أرى ؟ فوالذي بينه وبلقي لولا ما أحاذر لومه لصربت بسيفي رأسك ، ورسول الله (س) ، ينظر إلى عمر في سكوز وتودة وتيسم . ثم قال : « أنا وهو كنا أخرج إلى غير هذا منك يا عمر ، أن تأمرني بحسن الاداء ، وتأمره بحسن التباة ، اذهب به يا عمر فاقضه حقه . وزد عشرين صاعا من تمر » فأسلم زيد بن سعية رضى الله عنه . وشهد بية المشاهد مع رسول الله (س) ، وتوفي عام تبوك رحمه الله .

ثم ذكر ابن إسحاق رحمه الله : اسلام سلمان الفارسي رضى الله عنه وأرضاه فقال حدثني عاصم بن

عمر بن قتادة الأنصاري عن محمود بن زيد عن عبد الله بن عباس . قال حدثني سلمان الفارسي - من
 فيه - قال كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من أهل قرية يقال لها جى وكان أبى دهقان قريته وكنت
 أحب خلق الله إليه ، فلم يزل جبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية ، واجتمعت في المحبسية ،
 حتى كنت قطع النار التي يوقدها لا يتركها تخيبو ساعة . قال وكانت لأبى ضيمعة عظيمة ، قال فدخل
 في بستان له يوماً فقال لي يا بنى إني قد شعلت في بستانى هذا اليوم عن ضيمعى ، فذهب إليها فاطلمها ،
 وأسرف فيها بعض ما يريد . ثم قال لي ولا تحبس عني فانك إن أحببت عني كنت أم إلى من ضيمعى
 وشعلتنى عن كل شئ . من أمرى . قال فخرجت أريد ضيمعة التي شعلت فيها فررت بكيسة من كنانس
 الأنصاري فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون . وكنت لأدري ما أمر الناس ليس أبى إياي في بيته ،
 فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أفطر ما يصنعون فلما رأيتهم أبحثنى صلاتهم ودرغيت في أمرهم .
 وقلت هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه ، فوالله ما برحتم حتى غربت الشمس وترك ضيمعة
 أبى فلم آتيا . ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين ؟ قالوا بالشام ، فرجعت إلى أبى وقد بث في طلبي
 وشعلته عن أمره كله . فلما جئت قال أبى بنى ابن كنت ألم أكن أعهد اليك ما عهدته ؟ قال قلت يا أبة
 مررت بأفس يصلون في كيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس
 قال أبى بنى ، ليس في ذلك الدين خير ، دينك ودين آباءك خير منه . قال قلت كلا والله إني خير من
 ديننا . قال فخافني فجل في رجلي قيدياً ثم حبسني في بيته : قال وبشت إلى الأنصاري قتلتم : إذا قدم
 عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم . قال قدم عليهم ركب من الشام فجاؤني الأنصاري فأخبروني بهم .
 قتلتم إذا قضا حواجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذنوني قال فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني
 بهم فأهتبت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها قلت من أفضل أهل هذا
 الدين علماء ؟ قالوا الأسقف في الكنيسة . قال فجئته فقلت له إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن
 أكون معك وأخدمك في كنيستك وأتمم منك فأصل معك . قال ادخل فدخلت معه فكان رجل
 سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فإذا جموا له شيئاً كنزه لنفسه ولم يصبه المساكين حتى جمع سبع
 قلال من ذهب وورق ، قال وابتضته بنضاً شديداً لما رأيته يصنع . ثم مات واجتمعت له الأنصاري
 ليدفنوه . قتلتم لهم إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جمتموها بها كنزها لنفسه
 ولم يصب المساكين منها شيئاً . قال فقالوا لي وما غلسك بذلك ؟ قال قتلتم لهم أنا أدلكم على كنزه ، قالوا
 فلاننا . قال فارتبهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً ، فلما رأوها قالوا لا ندفعه أبداً
 قال فصلبوه ورجعوه بالمجاعة . وجاؤا برجل آخر فوضوه مكانه . قال سلمان فما رأيت رجلاً لا يبلى
 الخس أرى أنه أفضل منه أزهدي في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أداب ليلاً ونهاراً . قال فأحببت حيا

لم أحب شيئاً قبله مثله. قال فاقت معه زماناً ثم حضرته لوفاة قلت له إني قد كنت مملك وأحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى فإلى من توصى بي؟ وبم تأمرني به؟ قال أي بني والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه. لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً مملوفاً وهو فلان وهو على ما كنت عليه فالحق به. قال فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصول. فقلت يا فلان إن فلاناً أوصاك عند موته أن ألحق بك وأحبرني أنك على أمره، فقال لي أقم عندي. فاقنت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان إن فلاناً أوصى بي إليك وأمرني بالحق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصى بي وبم تأمرني؟ قال يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين وهو فلان فالحق به، فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فاخبرته خبري وما أمرني به صاحبي. فقال أقم عندي فاقنت عنده. فوجدته على أمر صاحبه فاقنت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حضر قلت له يا فلان إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك فإلى من توصى بي وبم تأمرني؟ قال يا بني والله ما أعلمني بقي أحد على أمرنا أمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية من أرض الروم فإنه على مثل ما نحن عليه. فلما أحببت فأنته فإنه على أمرنا. فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فاخبرته خبري فقال أقم عندي فاقنت عند خير رجل على إحدى أصحابه وأمرهم. قال واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنمية، قال ثم نزل به أمر الله فلما حضر قلت له يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى فلان، والله ما أعلمني بقي أحد على مثل ما كنا عليه من الناس أمرك أن تأتيه، ولكنه قد أخل زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم يخرج براض العرب مهاجرة إلى الأرض بين حرتين بينهما نخيل به علامات لا تخفى يأكل المدينة ولا يأكل الصدقة بين كنفه خاتم النبوة فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل. قال ثم مات وغيب ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث. ثم سر بي نفر من كلب تجار فقلت لهم اجعلوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنميتي هذه قالوا نعم فاعطيتهموها وجماعوني معهم حتى إذا بلغوا وادي القرى ظفروني فباعوني من رجل يهودي عبداً، فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحق في نفسي. فبينما أنا عنده إذ تدب عليه ابن عم له من نبي وريظة من المدينة، فابتاعني منه فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها ففرقتها بصفة صاحبي لها، فاقت بها وبث رسول الله (ص)، فاقام بمكة ما أقام ولا أسمع له يذكر مما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة فوالله إني إني رأس عنق لسيدى أعمل فيه بيض العمل. وسيدى جالس تحتي إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله نبي قيلة. والله إنهم ليجتمعون إلا أن يقبوا على

رجل قدم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي . قال سلمان فلما سمعتها أخذتني ازعدة حتى ظننت اني ساقط على سيدي فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ قال غضب سيدي فلكني لسكمة شديدة . ثم قال مالك ولهذا ؟ أقبل على عمك ، قال قلت لا شيء إنما أردت أن أستبته عما قال . قال وقد كان عندي شيء قد جمته فلما أمسيت أخذته . ثم ذهبت به إلى رسول الله (ص) - وهو بقاء - فدخلت عليه فقلت له إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومملك أصحابك لك غرياه ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة ، فأرىكم أحق به من غيركم . قال فقرته اليه فقال رسول الله (ص) : لا أصحابه « كانوا » وأمسك يده فلم يأكل ، قلت في نفسي هذه واحدة ثم انصرفت عنه فجعلت شيئاً وتحول رسول الله (ص) إلى المدينة . ثم جمته فقلت له اني قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها . قال فأكل رسول الله (ص) ، منها وأمر أصحابه فأكلوا معه ، قال قلت في نفسي هاتان ثنتان . قال ثم جئت رسول الله (ص) ، وهو بقيق الغرق قد تبع جنازة رجل من أصحابه وعليه ثمانتان وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه . ثم استديرته أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ؟ فلما رأى رسول الله (ص) استديرته عرف أني أستبثت في شيء وصف لي . فألقى رداه عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته ، فأكبت عليه أقبله وأبكي فقال لي رسول الله (ص) : « تحول » فتحولت بين يديه ، فقصصت عليه حديثي كما حدثتكم يا ابن عباس . فالحبب رسول الله (ص) ، أن يسمع ذلك أصحابه . ثم شمل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله (ص) ، بدر واحد . قال سلمان : ثم قال لي رسول الله (ص) : « كاتب يا سلمان » فكاتبته صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحبها له بالقيصر (١) وأربعين أوقية . فقال رسول الله (ص) : « لأصحابه « أعينوا أحكامهم » فاعانوني في النخل : الرجل بثلاثين ودية ، والرجل بششرين ودية ، والرجل بخمس عشرة ودية والرجل بشرة . بين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية . فقال لي رسول الله (ص) : « اذهب يا سلمان فقتر لها ، فإذا فرغت فاتقني أكن أنا أضما يدي » . قال : فقترت ، وأعانني أصحابي ، حتى إذا فرغت جئته فاخبرته . فخرج رسول الله (ص) معي إليها . فجعلنا نقترب إليه الودي ، ويضمه رسول الله (ص) يده حتى إذا فرغنا فوالذي نفس سلمان يده ما ماتت منها ودية واحدة . فأديت النخل وبقى على المسال . فأني رسول الله (ص) بمثل يرضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن . قال « ما فصل الفارسي المكاتب ؟ » قال فدعيت له قال « خذ هذه فادها مما عليك يا سلمان » قال قلت : وأين تقع هذه مما على يا رسول الله ؟ قال « خذها فان الله سيؤدي بها عنك » قال فاخذتها فوزنت لهم منها - والي نفس سلمان يده - أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم وعتق سلمان . فشهدت مع رسول الله (ص) الخندق حرا ثم لم يقنني بمه مشهد .

(١) قبير النخلة : حفرة تحفر للفيلة إذا حولت لتفرس فيها . من النهاية .

قال ابن اسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن رجل من عبد القيس عن سلمان أنه قال لما قلت وأين تقع هذه من الذي على يارسول الله؟ أخذها رسول الله (س)، فقامها على لسانه، ثم قال: «خذها فأوفهم منها» فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم كله أربعين أوقية.

وقال محمد بن اسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة حدثني من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز ابن مروان قال حدثت عن سلمان أنه قال لرسول الله (س)، حين أخبره أن صاحب عمورية قال له: إيت كذا وكذا من أرض الشام، فإن بها رجلا بين غيظتين يخرج كل سنة من هذه الفيضة مستجيزا يعترضه ذوه الاستقام فلا يدعوا لاحد منهم الا شفي فأسأله عن هذا الدين الذي تبنتي فهو يخبرك عنه. قال سلمان فخرجت حتى جئت حيث وصف لي فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك حتى يخرج لهم تلك البيلة مستجيزا من احدى الغيظتين الى الاخرى. فنشبه الناس بمرضاهم لا يدعوا لريض الا شفي وغلبوني عليه فلم أخلص اليه حتى دخل الفيضة التي يريد ان يدخل الامنكبه. قال فتناولته فقال من هذا؟ وانتم الى قال قلت يرحمك الله أخبرني عن الخبيبية دين ابراهيم، قال انك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم، قد أظلك زلمان نبي يبعث بهذا الدين من أهل الحرم، فإنه فهو يملكك عليه. ثم دخل فقال رسول الله (س)، لسلمان: «لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم» هكذا وقع في هذه الرواية. وفيها رجل مبهم وهو شيخ عاصم بن عمر بن قتادة. وقد قيل إنه الحسن ابن عمارة ثم هو منقطع بل معضل بين عمر بن عبدالعزيز وسلمان رضى الله عنه. قوله لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم غريب جداً بل منكر. فان الفترة أقل ما قيل فيها انها أربع مائة سنة، وقيل ستمائة سنة بالشمسية، وسلمان أكثر ما قيل انه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة. وحكى البيهقي ابن يزيد البحراني اجماع مشايخه على أنه عاش مائتين وخمسين سنة. واختلفوا فيما زاد الى ثلاثمائة وخمسين سنة والله أعلم. والظاهر أنه قال لقد لقيت وصى عيسى بن مريم فهذا يمكن بالصواب.

وقال السهيلي: الرجل المبهم هو الحسن بن عمارة وهو ضعيف وإن صح لم يكن فيه نكارة. لان ابن جرير ذكر أن المسيح نزل من السماء بسد ما رفع فوجد أمه وامرأة أخرى يبكيان عند جذع المصلوب فأخبرها أنه لم يقتل وبث الخواريين بد ذلك. قال وإذا جاز نزوله مرة جاز نزوله مراراً ثم يكون نزوله الظاهر حين يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويتزوج حنيفة امرأة من بني جذام وإذا مات دفن في حجرة روضة رسول الله (س).

وقد روى البيهقي في كتاب دلائل النبوة قصة سلمان هذه من طريق يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق كما تقدم ورواها أيضاً عن الحاكم عن الاصم عن يحيى بن أبي طالب. حدثنا علي بن عاصم حدثنا حاتم بن أبي صفرة عن سماك بن حرب عن يزيد بن صوحان أنه سمع سلمان يحدث كيف كان أول

إسلامه . فذكر قصة طويلة وذكر أنه كان من رامهرمز وكان له أخ أكبر منه غنى وكان سلمان قديراً في كنف أخيه ، وأن ابن دهبانها كان صاحباً له وكان يختلف معه إلى معلم لهم وأنه كان يختلف ذلك الغلام إلى عباد من النصارى في كهف لهم فسأله سلمان أن يذهب به معه إليهم فقال له إنك غلام وأخشى أن تم عليهم فيقتلهم أبي ، فالترزم له أن لا يكون منه شيء يكرهه فذهب به معه فاذا هم ستة أو سبعة - كان الروح قد خرجت منهم من العبادة يصومون النهار ويقومون الليل يأكلون الشجر وما وجدوا فذكر عنهم أنهم يؤمنون بالرسول المتقدمين وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته أيده بالمعجزات . وقالوا له يا غلام إن لك رباً وإن لك معاداً وإن بين يديك جنة ونارا وإن هؤلاء القوم الذين يعبدون للغيران أهل كفر وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا على دينه . ثم جعل يتردد مع ذلك الغلام إليهم ثم لزمهم سلمان بالكيفية ثم أجابهم ملك تلك البلاد وهو أبو ذلك الغلام الذي صحبه سلمان إليهم عن أرضه واحتبس الملك ابنه عنده وعرض سلمان دينهم على أخيه الذي هو أكبر منه فقال إنني مشتغل بنفسي في طلب الميثة فارتحل معهم سلمان حتى دخلوا كنيسة الموصل فسلم عليهم أهلها ثم أرادوا أن يتركوا عندهم فأبى إلا صحبتهم فخرجوا حتى أتوا وادياً بين جبال فتحدر إليهم رهبان تلك الناحية يسلمون عليهم واجتمعوا إليهم وجعلوا يسألونهم عن غيبتهم عنهم ويسألونهم عن فيثون على خيراً ، وجاء رجل معظم فيهم فخطبهم فأتى على الله بما هو أهله وذكر الرسل وما أيدها به وذكر عيسى بن مريم وأنه كان عبد الله ورسوله وأمرهم ببلخير ونهام عن الشر ، ثم لما أرادوا الانصراف تبعه سلمان ولزمه قل فكان يصوم النهار ويقوم الليل من الأحد إلى الأحد فيخرج إليهم ويعظمهم ويأمرهم وينهاهم فكثرت على ذلك مدة طويلة ، ثم أراد أن يزور بيت المقدس فصحبه سلمان إليه قل فكان فيما مضى يلتفت إلى ويقول على فيحظني ويخبرني أن لي رباً وأن بين يدي جنة ونارا وحساباً ويلمعني ويذكرني بنوح ما كان يذكر القوم يوم الأحد قال فيما يقول لي : يا سلمان إن الله سوف يعث رسولا اسمه احمد يخرج من تهامة يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كنفية خاتم النبوة [وهذا زمانه الذي يخرج فيه قده تارب فاما أنا فاني شيخ كبير ولا أحسبني أدركه فان أدركته أنت فصدقه واتبعه ، قلت له وإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه قال وإن أمرك فان الحق فيما يجبي به ورضي الرحمن فيما قال . ثم ذكر قدومها إلى بيت المقدس وأن صاحبه صلى فيه هاهنا وهاهنا ثم نام وقد أوصاه أنه إذا بلغ الطل مكان كذا أن يوقظه فتركه سلمان حيناً آخر أزيد مما قال ليستريح ، فلما استيقظ ذكر الله ولام سلمان على ترك ما أمره من ذلك ثم خرجا من بيت المقدس فسأله مقم فقال يا عبد الله سألتك حين وصلت فلم تعطني شيئاً وها أنا أسألك فمطر فلم يجد أحداً فأخذ يسده وقال قم بنم الله فقام وليس به بأس ولا قابة^(١) كأنما مشط من عقاب . فقال لي يا عبد الله

(١) القلة محركة : داو ، ألم من هلة .

أحل على مناعى حتى أذهب إلى أهلى فأبشروهم ، فاشتكت به ثم أدركت الرجل فلم ألقه ولم أدر أين ذهب وكلمت عنه قوماً قالوا أمامك حتى لقبى ركب من العرب من بنى كلب فأتتهم فلما سمعوا لفتى ألتج رجل منهم سيره فخلنى خلفه حتى أتوا بى بلادهم . فباعونى فاشترونى امرأة من الانصار فجلتقى فى حائط لها وقدم رسول الله (ص) ، ثم ذكر ذهابه اليه بالصدقة والهدية ليستعلم ما قال صاحبه ، ثم تطلب النظر إلى خاتم النبوة فلما رآه آمن من ساعته . وأخبر رسول الله (ص) خبره الذى جرى له قال فأمر رسول الله (ص) أبابكر الصديق فاشتراه من سيده فاعتقه ، قال ثم سألته يوماً عن دين النصارى فقال : لا خير فيهم . قال فوقع فى غشى من أولئك الذين صحبهم ومن ذلك الرجل الصالح الذى كان معى بيت المقدس فدخلنى من ذلك أمر عظيم حتى أنزل الله على رسول الله (ص) (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين وورهباناً وأنهم لا يستكبرون) فدعانى رسول الله (ص) فجلت وأنا خائف فجلست بين يديه فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (ذلك بأن منهم قسيسين وورهباناً وأنهم لا يستكبرون) الآيات . ثم قال « يا سلمان أولئك الذين كنت معهم وصاحبك لم يكونوا نصارى كانوا مسلمين » قلت يا رسول الله والذى بتك بالحق لم أمرنى باتباعك . قلت له فإن أمرنى بترك دينك وما أنت عليه ؟ قال نعم فتركه فان الحق وما يرضى الله فيما يأمرك . وفى هذا السباق غرابة كثيرة وفيه بعض الخفايا لسباق محمد بن اسحاق وطريق محمد بن اسحاق أقوى إسناداً وأحسن اقتصاصاً وأقرب إلى ما رواه البخارى فى صحيحه من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمى عن أبيه عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسى أنه تداوله بضمة عشر ، من رب إلى رب ، أى من معلم إلى معلم ومرب إلى مثله والله أعلم .

قال السهيلي : تداوله ثلاثون سيداً من سيد إلى سيد ، فله أعلم . وكانك استقصى قصة إسلامه الحافظ أبو نعيم فى اللآلئ وأورد لها أسانيد وألفاظاً كثيرة ، وفى بعضها أن اسم سيده التى كاتبته حليمة فله أعلم .

ذكر أخبار غريبة فى قولك

قال أبو نعيم فى اللآلئ : حدثنا سليمان بن احمد حدثنا محمد بن زكرياه الغلابى حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبى السوية المقرئ حدثنا عباد بن كتيب عن أبيه عن أبى عتورة الطراعى عن سمير بن سودة العامرى ^(١) قال كنت عشياً لهقيلة من عقائل الحلى ، أركب لها الصمب والذلول لا أبقى من البلاد مسرحاً أرجو رجحاً فى متجر إلا أتيته ، فانصرفت من الشام بمرث وأنتك أريد به كبة الموسم

(١) قد قصيت اللآلئ . فلم أف على هذا الخبر . فليحرق .

ودهاه العرب ، فدخلت مكة بليل مسدفة فأفت حتى تمرى عنى قيص الليل فرفضت رأسى فاذا قباب مسامنة شعث الخبال ، مضروبة بأنطاع الطائف وإذا جزر تنحر وأخرى تساق ، وإذا أكلة وحشة على الطهارة يقولون : الا عجلوا الا عجلوا ، وإذا رجل يبحر على نثر من الارض ، ينادى يا وفد الله ميلوا إلى الغداء . وأنيسان على مدرجة يقول : يا وفد الله من طعم فليرح إلى العشاء ، فغيرنى ما رأيت فانكبت أريد عيد القوم ، فصرف رجل الذى بي ، فقال أمملك ، وإذا شيخ كأن فى خديه الأسماع ، وكان الشمرى توعد من جبينه ، قد لاث على رأسه عمامة سوداء قد أبرز من ملانها جمة فيناقة كأنها ساسم . قال فى بعض الروايات تحته كرسى ساسم^(١) ومن دونها تمرقة بيده تضيب متخضر به حوله مشايخ جلس نواكس الأذقان ما منهم أحد يفيض بكلمة . وقد كان نمر إلى خير من أخبار الشام أن النبي الأسمى هذا أو ان نجومه ، فلما رأيتسه فلنفته ذلك . فقلت السلام عليك يا رسول الله . فقال : ممه ، كلا وكان قد وليتني إياه فقلت من هذا الشيخ ؟ فقالوا هذا أبو فضلة ، هذا هاشم بن عبد مناف ، فوليت وأنا أقول هذا والله الحمد لا يجد آل جفنة - يعنى ملوك عرب الشام من غسان كان يقال لهم آل جفنة . - وهذه الوظيفة التى حكها عن هاشم هى الرفادة يعنى إطعام المحجيج زمن الموسم .

وقال أبو نعيم : - حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا محمد بن احمد بن أبى يحيى حدثنا سعيد بن عثمان حدثنا على بن قتيبة الخراسانى حدثنا خالد بن الياس عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى الجهم عن أبىه عن جده . قال سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب قال : بينا أنا نائم فى الحجر إذ رأيت رؤيا هالنتى فنزعت منها فرعاً شديداً ، فأثبت كاهنه قريش وعلى مطرف خز وجتى تضرب منكبي فلما نظرت إلى عرفى فى وجهى التغيير وأنا يومئذ سيد قومى فقالت : ما بال سيدنا قد آتانا متغير اللون ؟ هل رابه من حدثان الدهر شئى ؟ فقلت لما بلى ا وكان لا يكلمها أحد من الناس حتى يقبل يدها اليمنى ، ثم يضع يده على أم رأسها ثم يذكر حاجته ولم أفضل لأنى كبير قومى . فجلدت فقلت إني رأيت الليلة وأنا نائم فى الحجر كأن شجرة تنبت قد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب ، وما رأيت نوراً أزهى منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً . ورأيت العرب والمجم ساجدين لها وهى تزداد كل ساعة عظماً ونوراً وارتفاعاً ساعة تحنى وساعة تزهر ، ورأيت رهطاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها ، ورأيت قوماً من قريش يريدون قطعها . فلذا دنوا منها أنخرم شاب لم أر قط أحسن منه وجهاً ولا أطيب منه ريحاً فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم . فرفضت يدي لأناول منها نصيباً ، فنفخى الشاب فقلت لمن النصيب ؟ فقال النصيب هؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك إليها . فأتيت مذعوراً فرعاً فرأيت وجه البكاهنة قد تغير ، ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس

(١) ساسم : الأولى عيدان السمسم . والثانية خشب أسود كالأبنوس

ثم قال - يعنى عبد المطلب - لآبى طالب ، لملك تكون هذا المولود قال فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث بعد ما ولد رسول الله (س) ، وبعد ما بعث . ثم قال كانت الشجرة والله أعلم أبا القاسم الأمين ، فيقال لآبى طالب ألا تؤمن ؟ فيقول السبى والمار .

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكرياء الغلابى حدثنا العباس بن بكارة الضبي حدثنا أبو بكر الهذلى عن عكرمة عن ابن عباس . قال قال العباس : خرجت في نجارة إلى اليمن في ركب - منهم أبو سفيان بن حرب ، قدمت اليمن فكنت أصنع يوماً طعاماً وانصرف بأبى سفيان وبالنفر ويصنع أبو سفيان يوماً ، ويفعل مثل ذلك ، فقال لى في يومى الذى كنت أصنع فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتى وترسل إلى غداك ؟ قلت نعم . فانصرفت وأنا والنفر إلى بيته وأرسلت إلى الغداء فلما تددى التوم قاموا واحتبسنى . فقال هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله فقلت نعمى بنى أخى ؟ فقال أبو سفيان اياى تسكتم ؟ وأى بنى أخيك يذبحى أن يقول هذا الرجل واحد ؟ قلت وأيهم على ذلك ؟ قال : شو محمد بن عبد الله ، قلت قد فعل ؟ قال بلى قد فعل . واحرج كتابا باسمه من ابيه حظلة بن أبى سفيان فيه : أخبرك ان محمداً قام بالابطح فقال : «انا رسول ادعوك الى الله عز وجل » فقال العباس قلت اجده بأبى حظلة صادق . فقال مهلاً يا أبا الفضل فوائده ما أحب أن يقول مثل هذا ، إني لأخشى أن يكون على ضمير من هذا الحديث يا بنى عبد المطلب ، إنه والله مبرحت قريش تزعم ان لكم هنة وهنة ، كل واحدة منهما غالية . لئذنتك يا أبا الفضل هل سمعت ذلك ؟ قلت نعم قد سمعت . قال فهذه والله شؤمتكم . قلت فاعلمنا عنتنا ، قال ذا كان بعد ذلك الاليال حتى قدم عبد الله بن حذافة بطنخير وهو مؤمن ، فقتل ذلك في مجالس اليمن ، وكلن أبو سفيان يجلس مجلساً باليمن يتحدث فيه حير من أحوار اليهود ، فقال له اليهودى ما هذا الخبر ؟ بلغنى أن فيك عم هذا الرجل الذى قال ما قال ؟ قال أبو سفيان صدقوا وانعمه ، فقال اليهودى أخو أويه ؟ قال نعم ! قال فحدثنى عنه . قال لا تسألنى ما أحب ان يدعى هذا الأمر ابداً ، وما أحب ان أعيبه وغيره خير منه . فرأى اليهودى انه لا ينمس عليه ولا يجب ان يسيبه . فقال اليهودى ليس به بأس على اليهود ، وتوراة موسى . قال العباس فنادانى الحبير ، فخرجت فخرجت حتى جاست ذلك المجلس من الند ، وفيه أبو سفيان بن حرب والحبير ، فقلت للحبير بلغنى انك سألت ابن عمى عن رجل منا زعم انه رسول الله (س) ، وأخبرك أنه عمه ، وليس بهمه . ولكن ابن عمه وانا عمه واخو ابيه . قال أخو ابيه ؟ قلت أخو أويه ، فأقبل على أبى سفيان فقال صدق ؟ قال نعم صدق ، فقلت سلى فان كذبت فليرد على ، فأقبل على فقال لئذنتك هل كان لابن أخيك صبوة أو سفهة ؟ قلت لا وإله عبد المطلب ولا كذب ولا خان ، وانه كان اسمه عند قريش الامين . قال فهل كتب بيده ؟ قال العباس فظننت انه خير له ان يكتب بيده فاردت ان أقولها ثم ذكرت مكان أبى سفيان يكذبنى ويرد على

فقلت لا يكتب فرب الخير ونزل رداؤه وقال ذبحت يهود ، وقتلت يهود . قال العباس فلما رجنا الى منزلنا ، قال أبو سفيان يا أبا افضل إن اليهود تفزع من ابن أخيك ، قلت قد رأيت مرأيت ، فهل لك يا أبا سفيان ان تؤمن به ، فان كان حقا كنت قد سبقت وان كان باطلا فمك غيرك من الكفانك ؟ قال لا أؤمن به حتى أرى الخليل في كداء ، قلت ما تقول ؟ قال كفة جاءت على منى الا اني اعلم ان الله لا يترك خيلا تطلع من كداء . قال العباس فلما استنبح رسول الله (ص) مكة ونظرنا الى الخليل وقد طلعت من كداء ، قلت يا أبا سفيان تذكر السكامة ؟ قل لى والله إني لذا كرها فالحمد لله الذى هدانا للاسلام . وهذا سياق حسن عليه البهاء والنور وضياء الصدق وان كان في رجاله من هو متكلم فيه والله أعلم .

وقد تقدم ما ذكرناه في قصة أبي سفيان مع أمية بن أبى الصلت ، وهو شبه بهذا الباب وهو من أغرب الاخبار واحسن السياقات وعليه الدور . وسيأتى أيضا قصة أبي سفيان مع هرقل ملك الروم حين سأله عن صفات رسول الله (ص) واحواله ، واستدلله بذلك على صدقه ونبوته ورسالته . وقاله : كنت أعلم انه خارج ، ولكن لم أكن أعلم انه فيكم ، ولو أعلم اني اخلص اليه لتجشمت ليه . ولو كنت عنده لفعلت عن قدميه . ولئن كن ما تقول حقا ليمسكن موضع قدمي هاتين . وكذلك وقع والله الحمد والمنة .

وقد أكثر الحافظ أبو نعيم من إيراد الآثار والاعخبار عن الرهبان والاعخبار والعرب . فاكثروا وأطيب واحسن وأطيب رحمه الله ورضى عنه .

قصص عمرو بن مرة الجهني

قال الطبراني : حدثنا علي بن ابراهيم الخزازي الأهوازي حدثنا عبد الله بن داود بن دهاث بن اسماعيل بن عبد الله بن شريح بن ياسر بن سويد صاحب رسول الله (ص) ، حدثنا أبي عن أبيه دهاث عن أبيه اسماعيل أن أبا عبد الله حدثه عن أبيه أن أبا ياسر بن سويد حدثه عن عمرو بن مرة الجهني قال : خرجت حاجا في جماعة من قومي في الجاهلية ، فرأيت في نومي وأنا بمكة ، نورا ساطعا من الكعبة حتى وصل الى جبل يثرب . واشعر جبينه . فسمعت صوتا بين النور وهو يقول : اشمع الظللاء ، وسطع الضياء ، وبث خاتم الانبياء . ثم اضاء اضاءة أخرى ، حتى نظرت الى قصور الخيرة وأبيض المدائن ، وسمعت صوتا من النور وهو يقول : ظهر الاسلام ، وكسرت الاصنام ، ووصلت الارحام ، فانتهت فزعا فقلت لقومي : والله ليعدهن لهذا الخي من قریش حدث . وانخبرتهم بما رأيت فلما انتهينا الى بلادنا جاءني رجل يقال له أحمد قد بث فائتته فلخبرته بما رأيت . فقال « يا عمرو بن مرة أنا النبي المرسل الى العباد كافة . ادعواهم الى الاسلام ، وأسروهم بمحقن الدماء وصلة الأرحام ، وعبادة الله

ورفض الأصنام ، وحج البيت وصيام شهر رمضان من اثني عشر شهرا . فمن اجاب فله الجنة ، ومن عصي فله النار . فآمن يا عمرو يؤمنك الله من هول جهنم « فقلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله آمنت بما جئت من حلال وحرام ، وان رغم ذلك كثيرا من الأقسام . ثم أنشدته أبياتا قلها حين سمعت به . وكان لنا صنم . وكان أبي سادناه فقتت اليه فكسرتة . ثم لحقت بالنبي . وانا أقول :

شهدت بأن الله حق وانني لا آله الا أحجار أول تارك
وشمرت عن ساق الإزار مهاجراً اليك أجوب الفقر بعد الدكادك
لاصحب خير الناس فناءً والدا رسول ملك الناس فوق الحياتك

قال النبي (س) : « مرجا بك يا عمرو بن مرة » قلت يا رسول الله ابشئ الى قومي . لعل الله يمن عليهم في كما من على بك . فبشئ اليهم . وقال : « عليك بالرفق والقول السديد . ولا تكن فظاً . ولا متكبراً ولا حوداً » فذكر انه أتى قومه ، فدعاهم الى ما دعاه اليه رسول الله (س) ، فاسلموا كاهم . الا رجلا واحداً منهم ، وانه وفد بهم الى رسول الله (س) . فرحب بهم وحيامهم . وكتب لهم كتابا هذه نسخته « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من الله على لسان رسول الله (س) ، بكتاب صادق ، وحق ناطق مع عمرو بن مرة الجهني لجهينة بن زيد : ان لكم بطون الأرض وسهولها ، وتلاع الأودية وظهورها ، تزرعون نباته وتشربون صافيه ، على ان تقروا بالنس ، وتصلوا صلاة الحسن وفي التبيعة والصريمة ان اجتماعنا وان تفرقتا شاة شاة ، ليس على أهل الميرة صدقة ، ليس الوردة اللبقة (١) وشهد على نبينا (س) . ان حضر من المسلمين بكتاب قيس بن شماس . وذكروا قوله عمرو بن مرة في ذلك كما هو مبسوط في المسند الكبير وبالله الثقة وعليه التسكلان .

وقال الله تعالى : (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظاً) قال كثيرون من السلف : لما أخذ الله ميثاق بني آدم يوم (ألت ربكم ؟) أخذ من النبيين ميثاقا خاصاً ، وأكد مع هؤلاء الحنسة أولى العزم أصحاب الشرائع الكبار الذين أولهم نوح وآخرهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وقد روى الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة من طرق عن الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة : سئل النبي (س) متى وجبت لك النبوة ؟ قال « بين خلق آدم وفتح الروح فيه » وهكذا رواه الترمذي من طريق الوليد بن مسلم . وقال حسن غريب من حديث أبي هريرة ، لا تفرقه الا من هذا الوجه .

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن احمد حدثنا يعقوب بن اسحاق بن الزبير الحلبي حدثنا أبو جعفر

(١) اللبقة . كذا في الاصل ولعلها يريد أنه لا يؤخذ في الصدقة كرائم الاموال

النفيلي حدثنا عمرو بن واقد عن عروة بن رويم عن الصنابحي . قال قال عمر : يا رسول الله ، متى جعلت نبياً ؟ قال : « وآدم منجدل في الطين » ثم رواه من حديث نصر بن مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر الجعفي عن الشعبي عن ابن عباس قال : قيل يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » وفي الحديث الذي أوردناه في قصة آدم حين استخرج الله من صلبه ذريته خص الانبياء بنور بين أعينهم . والظاهر - والله أعلم - أنه كان على قدر منازلهم ورتبهم عند الله . وإذا كان الأمر كذلك فنور محمد (س) كان أظهر وأكبر وأعظم منهم كلهم . وهذا تنويه عظيم وتنبه ظاهر على شرفه وعلو قدره . وفي هذا المنى الحديث الذي قال الامام أحمد * حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلابي عن عبد الاعلى بن هلال السلمي عن العرياض بن سارية . قال قال رسول الله (س) : « انى عند الله نظام النبيين وان آدم لَمُنْجِدِلٌ في طينته وسأنبشكم بأول ذلك : دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت . وكذلك أمهات المؤمنيين يرين » ورواه الليث وابن وهب عن عبد الرحمن بن مهدي ، وهدى الله بن صالح عن معاوية بن صالح وزاد « إن أمه رأت حين وضعت نوراً أضاءت منه قصور الشام » وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا منصور بن سعيد عن بديل عن عبيد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر قال قلت يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » اسناده جيد أيضاً وهكذا رواه ابراهيم بن طهمان وحماد ابن زيد وخالد الخذاء عن بديل بن ميسرة به . ورواه أبو نعيم عن محمد بن عمر بن أسلم عن محمد بن بكر بن عمرو الباهلي عن شيبان عن الحسن بن دينار عن عبد الله بن سفيان عن ميسرة الفجر قال : قلت يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » .

وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه دلائل النبوة : حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم عن خلود بن دعلج وسعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي (س) ، في قوله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) قال « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث » ثم رواه من طريق هشام بن عمار عن بنية عن سعيد بن نسير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة سرفوعاً مثله . وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيبان عن قتادة قال ذكر لنا أن رسول الله (س) قال مثله . وهذا أثبت وأصح والله أعلم .

وهذا إخبار عن التنويه بذكركه في الملائكة الأعلى وأنه معروف بذلك بينهم بأنه خاتم النبيين وآدم لم ينفخ فيه الروح ، لأن علم الله تعالى بذلك سابق قبل خلق السموات والارض لا محالة فلم يبق الا هذا الذي ذكرناه من الاعلام به في الملائكة الأعلى والله أعلم .

وقد أورد أبو نعيم من حديث عبد الرزاق عن معمر بن همام عن أبي هريرة الحديث المتفق عليه

« ومن الآخرون السابقون يوم القيامة ، المنصى لهم قبل الخلائق بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناهم من بعدهم » وزاد أبو نعيم في آخره : فكان أس : آخرهم في البعث وبه ختمت النبوة . وهو السابق يوم القيامة . لأنه أول مكتوب في النبوة والعهد . ثم قال : ففي هذا الحديث الفضيلة لرسول الله أس : لما أوجب الله له النبوة قبل تمام خلق آدم . ويحتمل أن يكون هذا الإيجاب هو ما أعلم الله ملائكته ما سبق في علمه وقضائه من بعثته له في آخر الزمان . وهذا الكلام يوافق ما ذكرناه والله الحمد وروى الحاكم في مستدرکه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - وفيه كلام - عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضی الله عنه قال قال رسول الله أس : « لما افتقر آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد إلا حضرت لي ، فقال الله : يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقك بهند ؟ فقال يا رب لأنك لما خلقتني بيديك ونفخت في من روحك رفعت رأسي ، فأريت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله . فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله صدقت يا آدم أنه لأحب الخلق إليّ ، واذا قد سألني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك » قال البيهقي : تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف والله أعلم .

وقد قال الله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم ثم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأما معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) قال علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس رضی الله عنهما : ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد أس : وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه [وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أسياء ليؤمنن به ولينصرنه] (١) وهذا تنويه وتوبيخ على شرفه وعظمته في سائر الملل وعلى السنة الأنبياء وإعلام لهم ومنهم برسالته في آخر الزمن . وإبه أكرم المرسلين وخاتم النبيين . وقد أوضح أمره وكشف خبره وبين سره ، وجلى مجده ومولده وبلده إبراهيم الخليل في قوله عليه السلام حين فرغ من بناء البيت (ربنا وابش فبهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) فكان أول بيان أمره على الجلية والوضوح بين أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل أكرم الأنبياء على الله بعد محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهم وعلى سائر الأنبياء . ولهذا قال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج - يعني ابن فضالة - حدثنا لقمان بن عاصم سمعت أبا أمامة قال قلت يا نبي الله ما كان بدء امرك ؟ قال « دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى : ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام » تفرد به الامام احمد ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب الستة . وروى الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب

(١) هذه الجملة ليست في المصرية نقلها عن محمود الامام .

المولد من طريق بقية عن صفوان بن عمرو عن حجر بن حجر عن أبي مريق أن إمرأياً قال يا رسول الله
أنى شئ كان أول أمر نبوتك ؟ قال « أخذ الله مني الميثاق في أخذ من الدينين ميثاقهم . ورات أم
رسول الله (س) في منامها أنه خرج من بين رجلها سراج أضاءت له قصور الشام (١) . وقال الامام
محمد بن اسحاق بن يسارة حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله (س) أنهم
قولوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك . قال « دعوة أبي ابراهيم ، وبشرى عيسى . ورات أمى حين
حبلت كأنه خرج منها نور أضاءت له بصرى من أرض الشام « إسناده جيد أيضاً . وفيه بشارة لأهل
محلتنا أرض بصرى وإنها أول بقعة من أرض الشام خلص إليها نور النبوة ، والله الحمد والمئة ولهذا
كانت أول مدينة فتمتحت من أرض الشام وكان فتحها صلحاً في خلافة أبي بكر رضى الله عنه ، كما سيأتى
بيانه . وقد قدمها رسول الله (س) ، مرتين في محبة عمه أبي طالب وهو ابن اثنتي عشرة سنة وكانت
عندها قصة بحيرى الراهب كما يتناه . والثانية ومعه ميسرة حولي خديجة في تجارة لها . ومها مبرك الناقة
التي يقال لها ناقة رسول الله (س) ، بركت عليه فأثر ذلك فيها فيما يذكر . ثم قل وبنى عليه مسجد مشهور
اليوم . . وهى المدينة التي أضاءت اعتناق الابل عندها من نور النار التي خرجت من أرض الحجاز سنة
أربع وخمسين وستائة وفق ما أخبر به رسول الله (س) ، في قوله « تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها
أهناق الابل ببصرى » وسيأتى الكلام على ذلك في موضعه إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان .
وقال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدهونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ،
يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال
التي كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)
الآية . قال الامام احمد حدثنا اسماعيل عن الجريري عن أبي صخر العقيلي حدثني رجل من الأعراب
قال : جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله (س) . فلما فرغت من بيبي قلت لاثنتين هذا
الرجل فلا تسمن منه . قال : فقلنا في بين أبي بكر وعمر بمشون ، فبعضهم حتى أتوا على رجل من اليهود
ناشر التوراة يقرؤها يرمي بها نفسه عن ابن له في الموت كأحسن الثنيان وأجلهم . فقال رسول الله (س) .
« أنشدك بالذي أنزل التوراة ، هل تجدني في كتابك ذا صفتي ومخرجي ؟ » قال برأسه هكذا . أى
لا . فقال ابنه : إى والذى أنزل للتوراة إننا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك وأشهد أن لا إله إلا الله ،
وأنك رسول الله . فقال : « أقيموا اليهودى عن أخيك » ثم ولى كفته والصلاة عليه . هذا إسناده جيد
وله شواهد في الصحيح عن أنس بن مالك رضى الله عنه . وقال أبو القاسم البغوى حدثنا عبد الواحد
ابن غياث - أبو بحر - حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا عاصم بن كليب عن أبيه عن الصلتان بن عاصم

(١) هذه الجملة ليست في المصرية .

وذكر أن خاله قال : كنت جالساً عند النبي (س) ، إذ شخص بصره إلى رجل فاذا يهودي عليه قيص
وسراويل وفلان . قال فقبل النبي (س) : يكلمه وهو يقول : يا رسول الله . فقال رسول الله (س) :
« أتشهد أني رسول الله ؟ » قال لا . قال رسول الله (س) : « أتقرأ التوراة ؟ » قال نعم قال « أتقرأ
الإنجيل ؟ » قال نعم . قال « والقرآن ؟ » قال لا . ولو تشاء قرأته . فقال النبي (س) : « فم قرأ التوراة
والإنجيل ، أمجدني نبياً ؟ » قال إنا نحمد نمتك ونخرجك . فلما خرجت رجونا أن تكون فينا . فلما
رأيناك عرفناك أنك لست به . قال رسول الله (س) : « ولما يهودي ؟ » قال : إنا نحمد مكتوباً ، يدخل
من أمته الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، ولا نرى ملك إلا نقرأ بسيراً . فقال رسول الله (س) : « إن
أمتي لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً » . هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجوه .
وقال محمد بن اسحاق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع عن أبي هريرة قال : أتى رسول الله (س) ، [يهود]
فقال « أخرجوا أعلمكم » قالوا عبد الله بن سوريا ، فخلا به رسول الله (س) ، فناشده بدينه ، وما أنعم
الله به عليهم ، وأطمعهم من المن والسوى ، وظلمهم به من التمام « أتهدى رسول الله ؟ » قال اللهم نعم .
وان القوم ليعرفون ما أعرف ، وأن صفتك وفتك لمين في التوراة . وانكنهم حديدوك . قال « فما
يملك أنت ؟ » قال أكره خلاف قومي . وعسى أن يتبعوك ويسلموا فسلم . وقال سلمة بن الفضل عن
محمد بن اسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقول كتب رسول الله (س) إلى
يهود خيبر « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صاحب موسى ، وأخيه ، والمصدق بما جاء
به موسى ، إلا إن الله قال لكم يا معشر يهود وأهل التوراة : إنكم تجدون ذلك في كتابكم : إن محمداً
(رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحاء بينهم ترام ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً
سليماً في وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فأزره
فاستنظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة وأجراً عظيماً) . وإني أنشدكم بالله وبالذي أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذي أعلم من كان قبلكم
من أسلافكم وأسباطكم المن والسوى ، وأنشدكم بالذي أبيض البحر لا يأسكم حتى أنجاكم من فرعون
وعمله إلا أخبرتمونا هل تجدون فيها أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فان كنتم لا تجدون ذلك في
كتابكم فلا كره عليكم ، قد تبين الرشد من الغي . وأذعركم إلى الله وإلى نبيه (س) . » .

وقد ذكر محمد بن اسحاق بن يسار في كتاب المبتدا عن سعيد بن بشير عن قتادة عن كعب الأحبار ،
وروى غيره عن وهب بن منبه أن يفتنصر بعد أن خرب بيت المقدس واستنزل بني اسرائيل بسبع
سنين رأى في المنام رؤيا عظيمة حالتها فجمع الكهنة والحزارة ، وسألهم عن رؤياه تلك . فقالوا ليقصها الملك
حتى نخبره بتأويلها . فقال : إني نذيتها ، وإن لم تخبروني بها إلى ثلاثة أيام قتلنكم عن آخركم . فذهبوا

خائفين وجلين من وعيده . فسمع بذلك دانيال عليه السلام وهو في سجنه . فقال للسجان : اذهب اليه
تقول له إن هاهنا رجلا عنده علم رؤياك وتأويلها . فذهب اليه فأعلمه فضله ، فلما دخل عليه لم يسجد له .
فقال له ما منك من السجود لي ؟ قال : إن الله آتاني علماً وعدني وأمرني أن لا أسجد لغيره . فقال
له بختنصر إني أحب الذين يوفون لأربابهم بالمعروف . فأخبرني عن رؤياي . قال له دانيال : رأيت صنماً
عظيماً رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، أعلاه من ذهب ووسطه من فضة ، وأسفله من نحاس ،
وساقاه من حديد ، ورجلاه من نحاس ، فبينما أنت تنظر اليه قد أصبحك حسنة وإحكام صنعته فذفه الله
بمجر من السماء . فوقع على قمة رأسه حتى طحنه واختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده ونحاره حتى
تخيل لك أنه لو اجتمع الناس والجن على أن يميزوا بعضه من بعض لم يقدروا على ذلك . ونظرت إلى
الحجر الذي قذف به يربو ويظمم وينتشر حتى ملأ الأرض كلها فصرت لا ترى إلا الحجر والسماء .
فقال له بختنصر صدقت هذه الرؤيا التي رأيتها فما تأويلها ؟ قال دانيال أما الصنم فأنتم مختلفة في أول
الزمان وفي وسطه وفي آخره ؛ وأما الحجر الذي قذف به الصنم فدين يقذف الله به هذه الأمم في آخر
الزمان فيظهر عليها فيبعث الله نبياً أميناً من العرب فيمدح به الأمم والأديان كما رأيت الحجر دوخ
أصناف الصنم ويظهر على الأديان والأمم كما رأيت الحجر ظهر على الأرض كلها ، فيمحص الله به
الحق ويهزق به الباطل ويهدي به أهل الضلالة ويعلم به الأمين ويقوى به الضعفة ويميز به الأذلة وينصر
به المستضعفين . وذكر تمام القصة في اطلاق بختنصر بنى اسرائيل على يدى دانيال عليه السلام ،
وذكر الروايد بأسانيد عن المغيرة بن شعبه في قصة وفوده على المقوقس ملك الاسكندرية وسؤاله له
عن صفات رسول الله (س) ، قريباً من سؤال هرقل لابى سفيان صخر بن حرب ، وذكر أنه سأل
اساقفة النصارى في الكنائس عن صفة رسول الله (س) ، وأخبروه عن ذلك وهي قصة طويلة ذكرها
الحافظ أبو نعيم في الدلائل . وثبت في الصحيح أن رسول الله (س) ، مر بمدارس اليهود فقال لهم
« يا مشر اليهود اسلموا فوالذي نفسى بيده إنكم لتجحدون صفتى في كتبكم » الحديث . وقال الامام
أحمد : حدثنا موسى بن داود حدثنا فليح بن سليمان عن هلال بن على عن عطاء بن يسار قال لقيت
عبد الله بن عمرو بن الماص فقلت أخبرني عن صفات رسول الله (س) ، في التوراة فقال أجبل والله
إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن ، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً
للأمين ، أنت عيسى ورسولى سميتك المتوكل لافظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يدفع بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقبضوا الملة الموجهاء بأن يقولوا لا إله الا الله يفتح به أعينا
عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً . ورواه البخارى عن محمد بن سنان العوفى عن فليح بن . ورواه أيضاً عن
عبد الله - قيل ابن رجاء ، وقيل ابن صالح - عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن علوية ولفظه قريب

من هذا وفيه زيادة . ورواه ابن جرير من حديث فليح عن هلال عن عطاء . وزاد قال عطاء فلقيت
 كعباً فسأته عن ذلك فما اختلف حرفاً ، وقال في البيوع . وقل سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله
 ابن سلام قال لما حفظ أبو بكر البهقي أخباره أبو الحسين بن الفضل القطان حدثنا عبد الله بن جعفر
 حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال
 ابن أسامة عن عطاء بن يسار عن ابن سلام انه كان يقول : إنا لنجد صفة رسول الله (ص) ، إنا أرسلناك
 شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرراً للآمين ، أنت عبدى ورسولى ، سميت المتوكل ليس بفظ ولا غليظ
 ولا صخاب فى الأسرى ولا يجرى السيئة بمثلها ولكن يعزى ويتجاوز ولن يقبضه حتى يقيم به الملة
 العوجاء بأن ينهضوا أن لا إله إلا الله يفتح به أعينا عمياً واذناً صماً وقلوباً غلفاً . وقال عطاء بن يسار :
 وأخبرني اللبني أن سمع كعب الاحبار يقول مثل ما قال ابن سلام .

قلت : وهذا عن عبد الله بن سلام اشبه ولكن الرواية عن عبد الله بن عمرو أكثر ، مع أنه كان
 قد وجد يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب وكان يحدث عنهما كثيراً ، ولعلم أن كثيراً من
 السلف كانوا يطلقون التوراة على كتب أهل الكتاب فهي عندهم أعم من التي أنزلها الله على موسى وقد
 ثبت شاهد ذلك من الحديث . وقال يونس بن محمد بن إسحاق حدثني محمد بن ثابت بن شرحبيل عن
 ابن أبي أوفى عن أم الدرداء قالت قلت لكعب الاحبار كيف تجدون صفة رسول الله (ص) ، فى التوراة
 قال يجده محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق واعلى المفااتيح
 فيبصر الله به أعينا عوراً ويسمع آذاناً وقرآً ويقيم به ألسنا موهجة حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله واحد
 لا شريك له يمين به المظلوم وبمنه . وقد روى عن كعب من غير هذا الوجه . وروى البيهقي عن الحاكم
 عن أبي الوليد القمي عن الحسن بن سفيان حدثنا عتبة بن مكرم حدثنا أبو عطفان عمرو بن المهيم حدثنا
 حمزة بن الزيات عن سليمان الاعمش عن علي بن مدرك عن أبي ذرعة عن أبي هريرة (وما كنت بجانب
 الطور إذ نادينا) قال نودوا بأمة محمد استجبت لكم قبل أن تدعوني ، واعطيتم قبل أن تسألوني .
 وذكر وهب بن منبه أن الله تعالى أوحى الى داود فى الزبور يا داود إنه سيأتى من بعدك نبي اسمه أحمد
 ومحمد صادقاً سيداً لا أغضب عليه أبداً ، ولا يعضبني أبداً وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من
 ذنبه وما تأخر وأمنه مرحومة أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الانبياء ، وفرضت عليهم الفرائض
 التي افترضت على الانبياء والمرسل حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبياء . الى أن قال :
 يا داود إني فضلت محمداً وأمنه على "هم كالماء . والعلم بانه موجود فى كتب أهل الكتاب معلوم من
 الدين ضرورة وقد دل على ذلك آيات كثيرة فى الكتاب العزيز تكلمنا عليها فى مواضعها والله الحمد .
 فمن ذلك قوله (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من

ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) وقال تعالى (الذين آتيناكم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) وقال تعالى (إن الذين أتوا العلم من قبله إذا تبلى عليهم يخرون للأذن سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً) أي إن كان وعدنا ربنا بوجود محمد وإرساله لكان لا محالة فسبحان القدير على ما يشاء لا يعجزه شيء . وقال تعالى اخباراً عن القسيسين والرهبان (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آتانا فاكبتنا مع الشاهدين) وفي قصة النجاشي وسلمان وعبد الله بن سلام وغيرهم كما سأتى شواهد كثيرة لهذا المعنى والله الخلد والمئة .

وذكرنا في تضاعيف قصص الانبياء ما تقدم الاشارة اليه من وصفهم لبعثة رسول الله - ﷺ - ووفته وبلد مولده ودار مهاجره ونفت أمته في قصة موسى وشعيا وأرمياہ ودانيال وغيرهم وقد أخبر الله تعالى عن آخر أنبياء بنى اسرائيل وخاتمهم عيسى بن مريم انه قام في بنى اسرائيل خطيباً قائلاً لهم (إني رسول الله اليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من عدى اسمه أحمد) . وفي الانجيل البشارة بالفارقليط والمراد محمد - ﷺ - . وروى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن العيزار بن حرب عن عائشة رضی الله عنها أن رسول الله - ﷺ - قال « مكتوب في الانجيل لافظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجرى بالبيشة مثلها بل يعفو ويصفح » وقال يعقوب بن سفيان حدثنا فيض اليجل حدثنا سلام بن مسكين عن مقاتل ابن حيان قال : أوحى الله عز وجل الى عيسى بن مريم - ﷺ - في أسرى وسمع وأطمع بالبين الطاهرة البكر البتول - أنا خلقتك من غير فحل فخلتلك آية للمالين فابى فاعد فبين لأهل سوران بالسريانية ، بلغ من بين يديك انى أنا الحق القائم الذى لا أزول صدقوا بانى الأمى العربى صاحب الجبل والمدبعة والعمامة - وهى التاج - والنعلين والمراوة - وهى القضيب - الجسد الرأس الصلات الجبين المقرون الحاجبين الانجيل العينين الاهدب الاشغار الأذعج العينين الاقنى الانف الواضح الخدين الكس الحية عرقه في وجهه كاللؤلؤ ربح المسك ينضح منه كأن عبقه ابريق فضة وكان الذهب يجرى في تراقيه له شعرات من إبطه الى سرة تجرى كالقضيب ليس في بطنه شعر غيره شثن الكف والقدم اذا جاء مع الناس غمهم واذا مشى كأنما يتقلع من الصخر ويتحدر من صلب ذو النسل القليل - وكأنه أراد الذكور من صلبه هكذا رواه البيهقي في دلائل النبوة من طريق يعقوب بن سفيان . وروى البيهقي عن عثمان بن الحكم بن رافع بن سنان حدثني بعض عمومتى وأبائى أنهم كانت عندهم ورقة يتوارثونها في الجاهلية حتى جاء الله بالاسلام وقيمت عندهم فلما قدم رسول الله - ﷺ - المدينة ذكر وهاله وأتوه بها مكتوب فيها بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في تباب . هذا الذكر لأمة تأتي في آخر الزمان ليلبوث اطرافهم ويوتزون على

أوساطهم ويخوضون البحور الى أعدائهم فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان ، وفي عاد ما أهلكوا بالريح ، وفي ثمود ما أهلكوا بالصيحة : بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في تباب . ثم ذكر قصة أخرى قال فجب رسول الله (س) ، لما قرأت عليه فيها .

وذكرنا عند قوله تعالى في سورة الأعراف (الذي يجذونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) قصة هشام بن العاصي الأموي حين بعث الصديق في سرية الى هرقل يدعوه الى الله عز وجل . فذكر أنه أخرج لهم صور الانبياء في رقعة من آدم الى محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهم أجمعين على النعت والشكل الذي كانوا عليه . ثم ذكر أنه لما أخرج صورة رسول الله (س) ، قام قائماً إكراماً له . ثم جلس وجعل ينظر إليها ويتأملها . قال فقلنا له من أين لك هذه الصورة ؟ فقال : إن آدم سأل ربه أن يرثه جميع الانبياء من ذلك ، فانزل عليه صورهم ، فسكن في خزنة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين ، فدفنها الى دانيال . ثم قال : اما والله إن نفسي قد طابت بالخروج من ملكي وأنا كنت عبداً لاسركم ملكة حتى أموت . ثم أجازنا فاحسن جائزتنا وسرحنا . فلما أئبنا أبا بكر الصديق فخذنا بما رأينا وما أجازنا وما قل لنا ، قال فبكي وقال : مسكين لو أراد الله به خيراً لفعل ، ثم قال أخبرنا رسول الله (س) ، أنهم واليهود يجذون نعت محمد عندهم . رواه الحاكم بطوله فليكتب ها هنا من التفسير . ورواه البيهقي في دلائل النبوة .

وقال الأوبى : حدثنا عبد الله بن زياد عن ابن اسحاق . قال وحدثني يعقوب بن عبد الله بن جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده عمرو بن أمية قال : قدمت رقيق من عند النجاشي أعطانيهم فقالوا لي يا عمرو لو رأينا رسول الله لمرفناه من غير أن نخبرنا ، فرأى أبو بكر قتلته أهو هذا ؟ قالوا لا ، فر عمر قتلته أهو هذا ؟ قالوا لا فدخلنا الدار فر رسول الله (س) ، فننادوني يا عمرو هذا رسول الله (س) ، فنظرت فاذا هو هو من غير أن يخبرهم به أحد ، عرفوه بما كانوا يجذونه مكتوباً عندهم وقد تقدم انذار سبأ لقومه وبشارته لهم بوجود رسول الله (س) ، في شعر أسلافنا في ترجمته فأغنى عن إعادته ، وتقدم قول الخبرين من اليهود لتبوع الباقى حين حاصر أهل المدينة إنها مهاجر نبي يكون في آخر الزمان فرجع عنها وظم شعراً يتضمن السلام على النبي (س) .

قصة سيف بن ذي يزن وبشارته بالنبي

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرنطى في كتابه هواتف الجان : حدثنا علي بن حرب حدثنا احمد بن عثمان بن حكيم حدثنا عمرو بن بكر - هو ابن بكار القمني - عن احمد بن القاسم عن محمد بن السائب السكبي عن أبي صالح عن عبد الله بن عباس . قال : لما ظهر سيف بن ذي يزن قال ابن المنذر - واسمه النعمان بن قاسم - على الحبسة وذلك بعد مولد رسول الله (س) ، بسنتين أتمه وفود

العرب وشمراؤها تهنته وتمدحه وتذكر ما كان من حسن بلائه ، وأتاه فيمن أتاه وفود قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأميه بن عبد شمس أبي عبد الله ^(١) وعبد الله بن جدعان ، وخويلد بن أسد في أنس من وجوه قريش فقدموا عليه صنعاء ، فاذا هو في رأس غمدان الذي ذكره أميه أبي الصلت :
واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً في رأس غمدان داراً منك محلالاً

فدخل عليه الآذن ، فاخبره بمكانهم فاذن لهم ، فدنا عبد المطلب فاستأذنه في الكلام فقال له ان كنت ممن يتكلم بين يدي فقد أذنا لك ، فقال له عبد المطلب ان الله قد احلك أيها الملك محلالاً فيما صعباً منيعاً ، شامخاً باذخاً ، وانبتك منبتاً طابرت أرومته، وعذيت جرتومته ، وثبت اصله ، وبق فرعه في اكرم موطن واطيب معسدين أنت - ابيت اللعن - ملك العرب وريمها الذي نخصب به البلاد ، ورأس العرب الذي له تقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي يلجأ اليه العباد . وسلفك خير سلف ، وأنت لنامنهم خير خاف . فلن يتخذ من هم سلفه ولن يهلك من أنت خلفه ، ونحن أيها الملك أهل حرم الله وسدة بيته ، اشخصنا اليك الذي أمهجتك من كشف الكرب الذي قد فدحنا ، وفد التهنئة لا وقد المرزومة . قال : وايهم أنت أيها المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم . قال ابن أختنا ؟ قال نعم ، قال ادن فادناه ، ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال مرحباً وأهلاً وناقاً ورحلاً ، ومستانخاً سهلاً ، وملسكاً ورجلاً ^(٢) يعطى عطاء جزلاً . قد سمع الملك مقاتلكم وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، فانتم أهل الليل والنهار ، ولكم الكرامة ما اقمتم والحباة إذا ظنتم ، ثم نهضوا الى دار الكرامة والوفود ، فاقاموا شهراً لا يصلون اليه ولا يأذن لهم بالانصراف ، ثم اتبه لهم اتباعه فارسل الى عبد المطلب فادنى مجلسه واخلاه ثم قال : يا عبد المطلب إلى مفض اليك من سر علمي ما لو يكون غيرك لم أبح به . ولكن رأيتك معدنه فاطلمتلك طلبه فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه ، فان الله بالغ أمره ، اني أجد في الكتاب المكثون والعلم المحزون الذي اخترناه لانفسنا واجتبتناه دون غيرنا خبيراً عظيماً ، وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهلك كافة ولك خاصة . فقال عبد المطلب أيها الملك مثلك سر وبر ، فما هو فدائك أهل الوبر زمرأاً بعد زمر ؟ قال إذا ولد بهامة ، غلام به علامة ، بين كفيه شامة كانت له الامامة ، ولكم به الزعامة الى يوم القيامة . قال عبد المطلب - ابيت اللعن - لقد أبت بغير ما آب به وافد ، ولولا هيبه الملك واجلاله واعظامه لسألته من بشارته إياي ما ازاد به سروراً . قال ابن ذئب بن هذا حيينه الذي يولد فيه أوقد ولد واسمه محمد . يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه . ولدناه سراراً والله باعته جباراً ، وجاعل له منا انصاراً يميزهم أوليائه ويذل بهم أعداءه ، ويضرب بهم الناس عن عرض ، ويستبيح بهم كرائم الأرض ، يكسر الأوثان ويخذ النيران ، يهد الرحمن ويدحر

(١) كلمة أبي عبد الله . غير موجودة في الدلائل . (٢) الرجل الكثير العطاء .

الشیطان ، قوله فصل وحكمه عهد يأمر بالمعروف وينه عن المنكر ويطلبه . فقال عبد المطلب أيها الملك - عز جدك ودلا كعبك ، ودام ملكك ، وطال عمرك . فمذا نجاري فهل الملك سارلي بافصاح فقد أوضح لي بمض الايضاح . فقال ابن ذى يزن : والبيت ذى الحجب . والعلامات على القب انك يا عبد المطلب لبدنه غير كذب ، فخر عبد المطلب ساجدا فقال ارفع رأسك تلج صدرك وعلا أمرك فهل أحست شيئا مما ذكرت لك . فقال أيها الملك كان لي ابن وكنت به ممعياً وعليه رقيقا فزوجته كريمة من كرائم قومه أمته بنت وهب فجمات بسلام سميت محمداً فمات أبوه وأمه وكفلته انا وعه . قال ابن ذى يزن إن الذى قلت لك كما قلت فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود فاتهم له أعداء . وإن يجعل الله لهم عليه سيلا ، واطوما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين ممك فأتى لست آمن ان تدخل لهم النفاضة من أن تكون لسكم الرياسة فيطلبون له النوائل وينصبون له الحبالل فهم فاعلون أو ابتازم ولولا انى اعلم أن الموت محتاجى قبل مبعثه لسرت بحيسى ورجلى حتى اصير يثرب دار ملكته فأتى أجسد فى الكتاب الناطق والسلم السابق ان يثرب استحكام امره وأهل بصرته وموضع قبره ولولا انى أقيه الآفات واحذر عليه الماهات لاعلنت على جداته سنه أمره ولأوطأت اسنان العرب عقبه ، ولكنى صارف ذلك اليك عن غير تقصير بمن ملك . قال ثم أمر لسكل رجل منهم بشرة أعبد وعشرة اماه ومائة من الابل وحلنين من البرود وبخسة ارطال من الذهب وعشرة ارطال فضة وكرش ملوه عنبراً وأمر لسبد المطلب بشرة أضعاف ذلك وقال له : اذا حال الحول فأتى فمات ابن ذى يزن قبل أن يحول الحول ، فكان عبد المطلب كثيراً ما يقول لا ينطقى رجل منكم بجزيل عطاء الملك فانه الى فناد ولكن لبطنى بما يبقى لى ولتقى من بدى ذكره ونحوه وشرفه ، فاذا قيل له متى ذلك قال سيعلم ولو بعد حين قال وفى ذلك يقول أمية بن عبد شمس :

جَلِينَا النَّصَحَ نَحْبَهُ الْمَطَايَا عَلَى أَكْوَارِ أَجْمَالٍ وَنُوقِ
مَقْلَفَهُ مَرَاتِفُهَا تَمَالَى إِلَى صِنْمَاءَ مِنْ فَيْجٍ عَمِيقٍ (١)
تَوْمٌ بِنَا ابْنَ ذِي يَزْنَ وَقَتْرَى بِذَاتِ بَطُونِهَا ذَيْمٌ الطَّرِيقِ
وَتَرَعَى مِنْ نَحَائِلِهِ بُرُوقَا مُوَاجِلَةَ الْوَمِيضِ إِلَى بُرُوقِ
فَلَمَّا وَاصَلْتُ صِنْمَاءَ حَلَّتْ بِدَارِ الْمَلِكِ وَالْحَسْبُ الْعَرِيقِ

وهكذا رواه الحافظ ابو نعيم فى الدلائل من طريق عمرو بن بكير بن بكار التميمى ثم قال ابو نعيم أخبرت عن ابي الحسن على بن ابراهيم بن عبد ربه بن محمد بن عبد الرزى بن عفير بن عبد الرزى بن السفر بن عفير بن زرعة بن سيف بن ذى يزن حدثنى ابي ابو يزن ابراهيم حدثنا عمى احمد بن محمد ابو

(١) كذا بالاصول ولم نجد هذا الشعر فى الدلائل ولا فى غيره من المراجع .

رأه به حدثنا عمي محمد بن عبد العزيز حدثني عبد العزيز بن عفير عن أبيه عن زرعة بن سيف بن ذى
 يزن الحيرى قال لما ظهر جهدي سيف بن ذى يزن على الحبشة . وذكره بطوله . وقال أبو بكر الخرائطي
 حدثنا أبو يوسف يعقوب بن اسحاق القلوسى حدثنا الملاة بن الفضل بن أبي سوية أخبرني أبي عن أبيه
 عبد الملك بن أبي سوية عن جده أبي سوية عن أبيه خليفة قال سألت محمد بن عثمان بن ديبعة بن سوية
 ابن خثعم بن سعد فقلت كيف سماك أبوك محمداً ؟ فقال سألت أبي عما سألتني عنه ، فقال خرجت رابع
 أربعة من بني تميم أنا منهم ، وسفيان بن مجاشع بن دارم ، وأسامة بن مالك بن جنعب بن العقيد ، ويزيد
 ابن ديبعة بن كنانة بن حربوص بن مازن ، ونحن نريد ابن جفنة ملك غسان فلما شارفنا الشام نزلنا
 على غدير عليه شجرات فحدثنا فسمع كلابنا راهب ، فأشرف علينا فقال إن هذه لينة ما هي بلغة هذه
 البلاد قلنا نعم نحن قوم من مضر ، قال من أى المضرين ؟ قلنا من خندف قال أما إني سيفث وشيكا
 نبي خاتم النبيين ، فسارعوا اليه وخذوا يحطكم منه ترشدوا . قلنا له ما اسمه ؟ قال : اسمه محمد . قال
 فرجعنا من عند ابن جفنة فولد لكل واحد منا ابن فسماه محمداً . يعنى ان كل واحد منهم طمع في أن
 يكون هذا النبي الميشر به ولده .

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطي : حدثنا عبد الله بن أبي سعد حدثنا حازم بن عقال بن الزهر بن
 حبيب بن المنذر بن أبي الحصين بن السموأل بن عاديا حدثني جابر بن جندان بن جميع بن عثمان بن
 سماك بن الحصين بن السموأل بن عاديا . قال لما حضرت الأوس بن حازمة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر
 الوفاة اجتمع اليه قومه من غسان فقالوا إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى وكنا نأمرك بالتزوج في
 شبابك فتأبى وهذا أخوك الخرزج له خمسة بنين ، وليس لك ولد غير مالك فقال : لن بهلك هالك ترك
 مثل مالك إن الذى يخرج النار من الوئيمة ^(١) قادر أن يجعل لملك قبلا ورجالا بهلا وكل إلى الموت
 ثم أنبل على مالك وقال : أى بنى المنية ولا الدنيا ، العقاب ولا العتاب ، التجلد ولا التلدد ^(٢) القبر خير
 من الفقر ، إنه من قل ذل ، ومن كرم كرم ، من كرم الكريم الدفع عن الحرم . ولده يومان فيوم لك
 ويوم عليك ، فاذا كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فاصطبر ، وكلاهما سينحسر ، ليس يثبت منهما
 الملك المتزوج ، ولا التميم المطمئح ، سلم ليومك حياك ربك ، ثم أنشأ يقول :

شهدت السبايا يوم آل محرق
 وأدرك أمرى صيحة الله في الجحجر
 فلم أر ذا ملك من الناس واحداً
 ولا سوقة إلا إلى الموت والتعب
 فقل الذى أردى عموداً وجرحاً
 سيعقب لي قبلاً على آخر الدهر

(١) الوئيمة الحجارة ، يريد ما يكون من شرر إذا قدحت الحجارة بالزند .

(٢) فى الامالى لابى على القالى هذه القصة بسياق غير هذا وزيادة وحصان .

تقرّبهم من آل عمرو بن عامرٍ
فإن لم تك الأيام أبلين جدتي
فانت لنا رباً علا فوق عرشه
ألم يأت قومي أن الله دعوة
إذ ابست المبروث من آل غالبٍ
هنالك فابفروا نصره ببلادكم
عيون لدى الداعي إلى طلب الوتر
وشيين رأسي والمشيب مع العمر
علماً بما يأتي من الخير والشر
يفوز بها أهل السعادة والبر
بمكة فيما بين مكة والحجرت
نبي عامرٍ إن السعادة في النصر
قال ثم قضى من ساعته .

باب في هولاقت ربحان

وقد تقدم كلام شق سطيج زريعة بن نصر ملك اليمن في البشارة بوجود رسول الله (ص) ، رسول ذكي يأتي إليه الوحى من قبل الملى . وسيأتى في المولد قول سطيج لعبد المسيح : إذا كثرت التلاوة وغاضت بحيرة ساوة وجاء صاحب المرأوة يعنى بذلك رسول الله (ص) كما سيأتى بيانه مفصلاً (١) وقال البخارى حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي حدثني ابن وهب حدثني عمرو وهو محمد بن زيد - أن سالماً حدثه عن عبد الله بن عمر قال ما سمعت عمر يقول لشيء قط إنى لأظنه إلا كان كما يظن . بينما عمر بن الخطاب جالس إذ مر به رجل بجبل ، فقال لقد أخطأ ظمى أو إن هذا على دينه في الجاهلية أو لقد كان كاهنهم ، على الرجل ، فدعى به فقال له ذلك فقال : ما رأيت كالقوم استقبل به رجلاً مساماً . قال فأتى أعزم عليك إلا ما أخبرتنى قال كنت كاهنهم في الجاهلية ، قال فما أعجب ما جاءك به جنيتك ؟ قال بينما أنا في السوق يوماً جاءتهى أعرف فيها الفزع . فقالت :

ألم تر الجنّ وإبلاستها ويلستها . من يدبر أنكاليها؟
ولحوقها بالقلاص وأحلاستها

قال عمر صدق بيننا أنا نائم عند آلهتهم جاء رجل بمجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً تط أشد صوتاً منه يقول : يا جليح أمر نجيح ، رجل فصيح ، يقول لا إله إلا الله فوثب القوم ، قتل لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا . ثم نادى يا جليح أمر نجيح ، رجل فصيح يقول لا إله إلا الله ، قُتلت فما نشبنا أن قيل هذا نبي . تفرد به البخارى .

وهذا الرجل هو سواد بن قارب الأزدي . ويقال السدوسى من أهل السراة من جبال البلقاء

(١) من أول الباب إلى هنا كله تفردت به النسخة الخليلية ولم ترد في المصرية .

له صحبة ووفادة . قال أبو حاتم وابن منده روى عنه سعيد بن جبير ، وأبو جعفر محمد بن علي ، وقال البخاري له صحبة . وهكذا ذكره في أسماء الصحابة أحمد بن روح البرزعي الحافظ ، والدارقطني ، وغيرهما وقال الحافظ عبد الغني بن سعيد الأنصري سواد بن قارب بالتخفيف . وقال عثمان الوقاصي عن محمد بن كعب القرظي كان من أشرف أهل اليمن ذكره أبو نعيم في الدلائل . وقد روى حديثه من وجوه أخر مطولة باليسط من رواية البخاري .

وقال محمد بن اسحاق : حدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان انه حدث أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بينما هو جالس في الناس في مسجد رسول الله ﷺ ، اذ أقبل رجل من العرب داخل المسجد يريد عمر بن الخطاب . فلما نظر اليه عمر قال ان الرجل لعل لشركه ما فارقه بعد أو لقد كان كاهنا في الجاهلية فلم عليه الرجل ثم جلس ، فقال له عمر : هل أسلمت ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين . قال فهل كنت كاهنا في الجاهلية ؟ فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين ، لقد خلت في واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ وليت ما وليت . فقال عمر : اللهم غفرا قد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعيد الأضنام ونفتق الأوثان حتى أكرمنا الله برسوله وبالاسلام . قال نعم والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهنا في الجاهلية قال فخيرني ما جاء به صاحبك . قال جاهدني قبل الاسلام بشهر أو شيعه (١) قال : ألم تر الى الجن والانس ، واباسها من دينها ، ولحقها بالقلاص واحلاسها . قال ابن اسحاق : هذا الكلام سجع ليس بشعر . [قل عبد الله بن كعب] .

فقال عمر عند ذلك يحدث الناس : والله انى لعند وثن من أوثان الجاهلية في فخر من قريش قد ذبح له رجل من العرب بجلا ، فنحن ننتظر قسمه ان يقدم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت صوتا قط أشد منه ، وذلك قبل الاسلام بشهر أو شيعه يقول : يا ذريه أمر نجيح رجل يصيح يقول لا إله إلا الله . قال ابن هشام ويقال رجل يصيح بلسان فصيح يقول لا إله إلا الله قال وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر :

عجبت للجن والانس وشدها العيس بأحلاسها
تهوي الى مكة تبني الهدى ما مؤمنو الجن كأنجاسها

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا يحيى بن حجر بن النعمان الشامي حدثنا علي بن منصور الأتباري عن محمد بن عبد الرحمن الوقاصي عن محمد بن كعب القرظي . قل بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات يوم جالس إذ مر به رجل . فقيل يا أمير المؤمنين أنعرف هذا المار ؟ قال ومن هذا ؟ قاوا هذا سواد بن قارب الذى أتاه ربه بظهور رسول الله ﷺ . قل فارسل اليه عمر . فقال له أنت سواد

(١) أى دونه قليل ، وشيع كل شئ ، ما هو له تبع .

بن قارب قال نعم . قال فأنت على ما كنت عليه من كهاتك ؟ قال فضضب . وقال ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين ، فقال عمر ياسبحان الله ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهاتك ، فأخبرني ما أنباك ربيك بظهور رسول الله (ص) . قال نعم يا أمير المؤمنين بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني ربي فصر بني برجله وقال قم ياسواد بن قارب ، واسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول :

عجبت للجنّ وتطلّابها وشدها العيس بأقتابها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما صادق الجنّ ككذابها
فأرحل إلى الصفوة من هاشم ليس قدماها كأذتابها

قال قلت دعني أنام فأني أسيت ناعساً . قال فلما كانت الليلة الثانية أتاني فصر بني برجله وقال قم ياسواد بن قارب واسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجنّ ونجبارها وشدها العيس بأكرارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمنو الجنّ ككفارها
فأرحل إلى الصفوة من هاشم بين ذوابها وأحجارها

قال قلت دعني أنام ، فأني أسيت ناعساً ، فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فصر بني برجله . وقال : قم ياسواد بن قارب ، واسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول :

عجبت للجنّ ونجسائها وشدها العيس . بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما خير الجنّ كأنجاسها
فأرحل إلى الصفوة من هاشم وأسم بينك إلى راسها

قال قلت : قد امتحن الله قلبي ، فرحلت ناقتي ثم أتيت المدينة - يعني مكة - فاذا رسول الله (ص) في أصحابه فدنوت فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله . قال هات فأنشأت أقول :

أتاني نجيبي بدّ هديّ ورقدي ولم يك فيما قد تلاوت بكاذب
تلاوت ليلالٍ قوله كلّ ليلة فشررت عن ذيلي الأزار ووسطت
ربّي الدعلب الرجناء غير السباب وأنت ما مؤمن على كلّ غالب
وأنت أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يابن الأكرمين الأطلاب

فَوَرُّنَا بِمَا يَأْتِيكَ بِأَخِيرٍ مِنْ مَشَى وَإِنْ كَانَ فِيهَا جَاهٌ شَيْبُ الدَّوَابِّ
وَكُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ لَأَذُو شَفَاعَتِي سِوَاكَ بِمَنْ عَنِ سِوَاكَ مِنْ قَارِبٍ

قال فرح رسول الله (س)، وأصحابه بمقالتي فرحاً شديداً، حتى روى الفرح في وجوههم. قال
فوثب إليه عمر بن الخطاب فالتزمه وقال قد كنت أشتى أن أسمع هذا الحديث منك فهل يأتك ربك
اليوم؟ قل أما منذ قرأت القرآن فلا، ونعم العوض كتاب الله من الجن. ثم قال عمر: كنا يوماً في حى
من قريش يقال لهم آل ذريح وقد ذبحوا عجلاً لهم والجزار يملجيه، إذ سمعنا صوتاً من جوف العجل -
ولا نرى شيئاً - قل يا آل ذريح، أمر نجيح رابع يصيح بلسان فصيح يشهد أن لا إله إلا الله، وهذا
منقطع من هذا الوجه ويشهد له رواية البخاري. وقد تساعدوا على أن السامع الصوت من العجل هو
عمر بن الخطاب والله أعلم.

وقل الخائض أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرابلي في كتابه الذي جمعه في هواتف الجان:
حدثنا أبو موسى عمران بن موسى المؤدب حدثنا محمد بن عمران بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى
حدثنا سعيد بن عبيد الله الوصابي عن أبيه عن أبي جعفر محمد بن علي. قال: دخل سواد بن قارب
السدوسي على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال نشدتك بالله يا سواد بن قارب، هل تحسن اليوم من
كها تكت شيئاً؟ فقال: سبحان الله يا أمير المؤمنين، ما استقبلت أحداً من جلسائك يمثل ما استقبلني به
قال سبحان الله يا سواد ما كنا عليه من شركنا أعظم مما كنت عليه من كهانتك، والله يا سواد قد
بلغني عنك حديث إنه لسجيب من العجب، قال إى والله يا أمير المؤمنين إنه لعجب من العجب. قال
فحدثني قال كنت كاهناً في الجاهلية، فيينا أنا ذابت ليلة نائم إذ أتاني نجي فضر بني برجله. ثم قال يا سواد
اسمع أقل لك، قلت هات قال:

عجبت للجن وأجاسها (١) ورحلها العيس بأجاسها
تهوي إلى مكة تبني الهدى ماؤمنوها مثل أرجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم واسم بينيك لك رأسها
قال ففتمت ولم أحفل بقوله شيئاً، فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضر بني برجله ثم قال لي تم يا سواد

ابن قارب اسم أقل لك، قلت هات. قال:

عجبت للجن وقطلابها وشدها العيس بأقنابها
تهوي إلى مكة تبني الهدى ما صادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس المقادير كاذبها

(١) وفي المصرية وإيجاسها. وفي ابن هشام وإجاسها.

قال فحرك قوله مني شيئاً ونمت فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضرني برجله ثم قال يا سواد بن قارب
أنقل أم لا تنقل قلت وما ذاك قال ظهر بمكة فني يدعو إلى عبادة ربه فالحق به ، اسمع اقل لك .
قلت مات قال :

عجبت للجن وتغارها ورخلها العيس بأكارها
تهوي إلى مكة نبي المهدي ما مؤمنو الجن ككفارها
فلرحل إلى الصفوة من هاشم بين روايها وأحجارها

قال فقلت أن الله قد أراد بي خيراً . فممت إلى بردة لي ففتقتها ؛ لبستها ووضعت لرجلي في غرز
ركاب الناقة . وأقبلت حتى انتهيت إلى النبي (ص) فرض على الاسلام فأسلت ، وأخبرته الخبر فقال
« إذا اجتمع المسلمون فاخبرهم » فلما اجتمع المسلمون قتت قلت :

أتاني نجيبي بدم هدم ووقده ولم يك فيما قد بولت بكاذب
ثلاث ليل قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ذيلي الأزار ووسطت ربي الدعلب الوجناء غير السباب (١)
وأعلم أن الله لا رب غيره وأنتك مأمون على كل غائب
وأنتك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فترنا بما يأتيك يا خير مرسل وإن كان فيها شيب الذوائب (٢)

قال فسر المسلمون بذلك ، فقال عمر هل تحس اليوم منها بشي . قال أما إذ علمني الله القرآن فلا
وقد رواه محمد بن السائب الكوفي عن أبيه عن عمر بن حفص . قال لما ورد سواد بن قارب على عمر
قال : يا سواد بن قارب ما بقي من كهانتك ؟ ففضب وقال ما أظنك يا أمير المؤمنين استقبلت أحداً
من العرب يمثل هكذا ، فلما رأى ما في وجهه من الفضب ، قال : أنظر سواد الذي كنا عليه قبل اليوم
من الشرك أعظم . ثم قال يا سواد حدثني حديثاً كنت أستهي أسمه منك ، قال نعم ، بين أنا في ابل
لي بالسراة ليلاً وأنا نائم وكان لي نجي من الجن أتاني فضرني برجله فقال لي قم يا سواد بن قارب قد
ظهر بهامة نبي يدعو الى الحق والى طريق مستقيم ، فذكر التهمة كما تقدم وزاد في آخر الشعر :
وكن لي شفيماً يوم لا ذو قرابة سواك بمن عن سواد بن قارب (٣)

(١) كذا في الأصلين . والذي في السهيلي :

فرقت اذيال الأزار وشمرت بي الرمس الوجناء حول السباب

(٢) في السهيلي : فترنا بما يأتيك من وحي ربنا وإن كان فيها جنت شيب الذوائب

(٣) في السهيلي : بمن فتيلاً عن سواد بن قارب .

فقال رسول الله (ص): « سر في قومك وقل هذا الشعر فيهم » ..

ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق سليمان بن عبد الرحمن عن الحسن بن يعلى بن عطاء الخزاز عن عباد بن عبد الصمد عن سعيد بن جبير قال أخبرني سواد بن قارب الازدي . قال : كنت نائماً على جبل من جبال السراة فأتاني آت فضر بي برجله - وذكر القصة أيضاً .

ورواه أيضاً من طريق محمد بن البراء عن أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن أنس بن مالك قال قال سواد بن قارب : كنت نازلاً بالهند فخافني ربي ذات ليلة فذكر القصة . وقال بعد اتداد الشعر الأخير فضحك رسول الله (ص) حتى بدت نواجذه وقال : « أفنحت يا سواد » .

وقال أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة (١) حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا عبد الرحمن بن الحسن حدثنا علي بن حرب حدثنا أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن عبد الله العمالي . قال كان منا رجل يقال له مازن بن المصوب يسكن صنبا بقرية يقال لها سابايا ، من عمان ، وكانت تعظمه بنو الصامت وبنو حطامة ومهرة وهم اخوال مازن . أمه زينب بنت عبد الله بن ربيعة بن حويص (٢) أحد بني نمران قال مازن : فعترتنا يوماً عند الصنم عتيرة - وهي الذبيحة (٣) - فسمعت صوتاً من الصنم يقول : يا مازن اسمع تسر ، ظهر خير وبطن شر ، بعث نبي من مضر ، يدعي الله الاكبر ، فدع نحيبتنا من حجر . تسلم من حرسقر . قال ففرغت لذلك فرغاً شديداً ثم عترة بعد أيام عتيرة أخرى ، فسمعت صوتاً من الصنم يقول : اقبل الى اقبل ، تسع ما لا تحبيل ، وهذا نبي مرسل ، جاء بحق منزل ، فأمن به كي تمدل عن حر نار تشعل وقودها الجندل . قال مازن : فقلت إن هذا لعجب وان هذا خير يراد بي وقدم علينا رجل من الحجاز فقلت ما الخير وراءك ؟ فقال ظهر رجل يقال له أحمد ، يقول ابن أناه أجبوا داعي الله ، فقلت هذا نبأ ما سمعت ، ففترت الى الصنم فكسرتة جذاذاً وركبته راحلتى حتى قدمت على رسول الله (ص) ، فشرح الله صدرى للاسلام ، فأسلمت ، وقالت :

كثرتُ بالجرِّ لَأَجْدَاذٍ وَأَكُنَّا لَنَا رَبًّا نُظِفُّ بِهِ ضَلًّا بِضَلَالِ
فَلَمَّا شِئِي هَدَانَا مِنْ ضَلَالَتِنَا وَلَمْ يَكُنْ دِينُهُ مَنِّي عَلَى بَالِ
يَا رَاكِبًا بَلِّغْنِي عَمْرًا وَإِخْوَتَهَا إِنِّي لِمُرْسِلٍ قَالُ رُبِّي بِالْجَرِّ قَالِي

يعني يعمرو الصامت واخوتها حطامة . فقلت يا رسول الله إني امرؤ مولع بالطرب والملاوك من النساء وشرب الخمر . وألحت علينا السنون فاذهبين الأموال واهزلن السراير وليس لي ولد ، فادعوا

(١) هذه القصة كانت مؤخرة في الحلبيية . (٢) في الدلائل لا يفي نعيم حويص بلقاء المهمة .

(٣) شاة تذبح في رجب أو ذبيحة تذبح للاصنام فيصب دمه على رأسها . من النهاية .

(٤) وفي الدلائل : باعرا بلقاء . نقلنا عن عمود الامام .

الله أن يذهب عني ما أجد ويأتينا بلجيا ، وهب لي ولدا فقال النبي (ص) : « اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالطرام الحلال وبالأمم والمهر عفة وآته بلجيا وهب له ولدا » قال فذهب الله عني ما أجد واخصبت عمان وتزوجت أربع حرائر وحفظت شعر القرآن ، وهب لي حيان بن مازن وأنا يقول :

البيك رسول الله خبت مطيبي تجوب الفيافي من عمان الى العرج
لتشبع لي باخير من وطن الحصى فيغفر لي ربي فأرجع بالفتح
الى مشر خالفت في الله دينهم فلا رأيتهم رأيتي ولا شرتهم شر جي
وكنت أسرا بالبحر واليهر موامأ شبابي حتى آذن الجسم بالهيج
فبدلني بالبحر خوفاً وخشبةً وبالمهر احصاءاً فخصن لي فرجي
فأصبحت همي في الجهاد ونيتي فلا ماصومي والله ما حيتي

قال فلما أتيت قومي انبروني وشتموني ، وأسرنا شاعرا لهم فهجاني ، قالت إن رددت عليه فأتنا البحر نسي . فرحلت عنهم فاتتني منهم زلفة عظيمة وكنت القيم بأمورهم فقالوا يا ابن عم : عينا عليك أسرا وكرهنا ذلك قال أبيت ذلك فأرجع وقم بأوردنا وشأنك وما تدب به . فرجعت معهم وقلت :

لبعضكم عندنا مر مذاقته وبتضنا عندكم يا قومنا لئن
لا يفظن الدهر ان بنت مائتكم وكألكم حين يثنى علينا فطين
شاعرنا مفحم عنكم وشاعركم في حلدنا مبلغ في شتينا لئن
ما في القلوب عليكم فاعلموا وقر وفي قلوبكم البغضاء والإحن

قال مازن : فهداهم الله بد الى الاسلام جميعا .

وروى الحافظ أبو نعيم من حديث عبد الله بن محمد بن عجيل عن جابر بن عبد الله قال إن أول خبر كان بالمدينة بمبعث رسول الله (ص) ، ان امرأة بالمدينة كان لها تابع من الجن ، فجاء في صورة طائر أبيض فوقع على حائط لهم ، فقالت له لم لا تنزل الينا فتحدثنا ونحدثك ، ونخبرنا ونخبرك ؟ فقال لها إنه قد بعث نبي بمكة حرم الزنا ومنع منا القرار .

وقال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن عبد المرز بن الزهري عن علي بن الحسين . قال : ان أول خبر قدم المدينة عن رسول الله (ص) ، ان امرأة تدهى فاطمة كان لها تابع ، فجاءها ذات يوم ، فقام على الجدار فقالت ألا تنزل ؟ فقال لا أنه قد بعث الرسول الذي حرم الزنا .

وارسله بعض التابعين أيضاً ومجاه بن لوزان وذكر انه كان قد غاب عنها مدة ، ثم لما قدم صابته فقال اني جئت ارسول فسمعت يحرّم الزنا فليكن السلام .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة . قال قال عثمان بن عفان :

خرجنا في غير الى الشام - نبل أنت يبعث رسول الله -س- فلما كنا بفراه الشام - وبها كهنة -
فتم صننا ، فقالت أتاني صاحبي فوقف على بابي . فقالت ألا تدخل فقال لا سبيل الى ذلك ، خرج أحمد
وجاء أمر لا يطاق ، ثم انصرفت فرجعت الى مكة فوجدت رسول الله -س- قد خرج بمكة يدعو
الى الله عز وجل .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله الزهري . قال : كان الوحي يسمعه فلما كان الاسلام ممنوعا
وكانت امرأة من بني أسد يقال لها سميرة لما تابع من الجن ، فلما رأى الوحي لا يستطاع أتاها فدخل
في صدرها فضج في صدرها فذهب عنها فجعل يقول من صدرها : وضع العناق ومنع الرقاق وجاء أمر
لا يطاق واحمد حرم الزما .

وقال الخافظ أبو بكر الخراطي : حدثنا عبد الله بن محمد الباقوي - بمصر - حدثنا عمارة بن زيد
حدثنا عيسى بن يزيد عن صالح بن كيسان عن حدثه عن مرداس بن قيس السدوسي قال حضرت النبي
-س- وقد ذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجها - فقالت يا رسول الله قد دن عندنا
في ذلك شيء ، أخبرك أن جزيرة منا يقال لها الخلصة لم يسلم عليها إلا خيرا ، إذ جاءتنا فقالت يا معشر
دوس العجب العجب لما أصابني ، هل علمتم إلا خيرا ؟ قلنا وما ذلك ؟ قالت اني لاني غنمي إذ غنيتني
ظلمة ووجدت كعس الرجل مع المرأة فقد خشيت أن أكون قد جابت . حتى إذا دننت ولادتها وضمت
غلاما أعصف له أذنان كالذئبي السكب فكث فينا حتى انه ليلعب مع الغلمان اذ وثب وثبة والتي إذ اره
وصلح بأعلى صوته وجعل يقول : يا ويلة يا ويلة ؛ يعولة يا عولة ، يا ويل غنم ، يا ويل فهم ، من قابس
النار . الخليل والله وراء العقبة ، فيهن فتیان حسان نجية . قال فركبنا وأخذنا للاداة وقتنا ؛ وبلاك ما ترى
فقال هل من جارية طامث قلنا ومن لنا بها ؟ فقال شيخ منا هي والله عندي غنيمة الأم قلنا فمجلها
فأتى بالجارية وطاع الجبل وقال للجارية اطرحي ثوبك واخرجي في وجوههم ، وقال للقوم اتبعوا أثرها ،
وقال لرجل منا يقال له احمد بن حابس يا احمد بن حابس عليك أول فارس . فحمل احمد فطعن أول
فارس فصرعه وانهرموا فغنمناهم . قال فابتغينا عليهم بيتا وسميناه ذا الخلصة ، وكان لا يقول لنا شيئا إلا
كان كما يقول حتى إذا كان مبعثك يا رسول الله قال لنا يوما يا معشر دوس نزلت بنوا الحارث بن كعب
فركبنا فقال لنا اكدسوا الخليل كدسا ، أحشوا القوم رمسا ، أنفوم غندية واشربوا الخمر عشية . قل
فلقيناهم فهزمونا وغلبونا فرجعنا اليه بقلنا ما حالك وما الذي صنعت بنا فنظرنا اليه وقد احمرت عيناه
واصبغت أذناه وانبرم غضبا حتى كاد أن ينفطر وقم فركبنا واغترنا هرسه له ومكثنا بعد ذلك حينما
ثم دعانا فقال هل لكم في غزوة تهيب لكم عزا وتجبل لكم حرزا ويكون في أيديكم كبرا ؟ قلنا ما
أحوجنا إلى ذلك فقال اركبوا فركبنا فقلنا ما تقول فقال بنو الحارث بن مسعدة ثم قال فقولوا فركبنا

ثم قال عليكم بهم ، ثم قال ليس لكم فيهم دم ، عليكم بمضرم أرباب خيل ونعم ثم قال لا ، رهط دريد
 ابن الصمة قليل العدد وفي الذمة ثم قال لا ، ولكن عليكم بكعب بن ربيعة وأسكنوها ضيمة عامر بن
 حصمة فليكن بهم الوقفة قال فلتيناهم فبرزونا وفضحونا فرجعنا وتلنا وبلك ماذا تصنع بنا قل ما أدري
 كذبي الذي كان يصدقني . أسجنوني في بيتي ثلاثاً ثم اتفوني فقلنا به ذلك ثم أتينا بهد ثالثة ففتحنا عنه
 فاذا هو كأنه حجرة نار ، فقال يا معشر دوس حيرت السماء وخرج خير الأنبياء قلنا أين ؟ قال بمكة
 وأنا ميت فادفوني في رأس جبل فاني سوف أضطرم ناراً وإن تركتموني كنت عليكم عاراً فاذا رأيتم
 اضطرابي وتلهي فادفوني بثلاثة أحجار ثم قولوا مع كل حجر بسمك اللهم فاني أهدي وأطفي . قال وإنه
 ملت فاشتعل ناراً فقلنا به ما أمر وقد قذفناه بثلاثة أحجار تقول مع كل حجر بسمك اللهم فخذ وطفي
 وأقنا حتى قدم علينا الحاج فاخبرونا ببعثك يا رسول الله . غريب جداً . روى الواقدي عن أبيه عن
 ابن أبي ذئب عن مسلم بن جندب عن النضر بن سفيان الهذلي عن أبيه . قال : خرجنا في غير لنا إلى
 الشام فلما كنا بين الزرقاء ومان قد عرشنا من الليل فاذا بفارس يقول وهو بين السماء والأرض : أيها
 النيام هبوا فليس هذا بحين رقاد قد خرج أحمد فطردت المين كل مطرد ففرعنا ونحن رقة حزورة كلهم
 قد سمع بهذا فرجعنا إلى أهلنا فلذا هم يذكرون اختلافاً بمكة بين قريش في نبي قد خرج فيهم من بني
 عبد المطلب اسمه أحمد . ذكره أبو يعين . وقال الخرائطي : حدثنا عبد الله بن محمد البلوي - بمصر -
 حدثنا عمارة بن زيد حدثني عبد الله بن الملا . حدثني يحيى بن عروة عن أبيه أن نقرأ من قريش منهم
 ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد المزي بن قصي وزيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله بن جحش بن رثاب
 وعثمان بن الحويرث كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه قد اتخذوا ذلك اليوم من كل سنة عيداً كانوا
 يظلمونه وينحرون له الجزور ثم يأكلون ويشربون الخمر ويعكفون عليه فدخلوا عليه في الليل فرأوه
 مكروباً على وجهه ، فأفكروا ذلك فأخذوه فردوه إلى حاله ، فلم يلبث أن انقلب انقلاباً عتيقاً ، فأخذوه
 فردوه إلى حاله فاقبلب الثالثة فلما رأوا ذلك اغتموا له وأعظموا ذلك . فقال عثمان بن الحويرث ماله قد
 أكثر التنكس إن هذا الامر قد حدث وذلك في الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ، فجعل عثمان يقول :

أيا صنم العبد الذي صفت حوله صنايد وفقد من بيده من قُرب
 تنكست مخلوباً فما ذاك قول لنا أذاك صغية أم تنكست للعتب
 فإن كان من ذئب أئينا فإنا نبوء بأقرار وتولي عن الذئب
 وإن كنت مخلوباً وتكست صاغراً فما أنت في الأوثان بالسيد الرب

قال فأخذوا الصنم فردوه إلى حاله فلما استوى هتف بهم هاتف من الصنم بصوت جهير

وهو يقول :

زردى لمولود أنارت بنوره
 وخرت له الأوثان طراً وأرعدت
 ونار جميع الفرس بانخت وأظلمت
 وصدت عن السكان بالنيب جتها
 فباتصيح ارجعوا عن ضلالكم
 وهبوا إلى الإسلام والتزل الرب

قال فلما سمعوا ذلك خلصوا نبياً فقال بعضهم لبعض تصادقوا وليكنم بعضكم على بعض ، فقالوا أجل ، فقال لهم ورقة بن نوفل تعلمون والله ما قومكم على دين ولقد اخطقوا الحجة وتركوا دين ابراهيم ما حجر تطيفون به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر يا قوم التمسوا الأنتسك الدين . قال فخرجوا عند ذلك يضربون في الأرض ويسألون عن الخبيفة دين ابراهيم عليه السلام فأما ورقة بن نوفل فتنصر وقرأ الكتب حتى علم علماً وأما عثمان بن الحويرث فسار إلى قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده وأما زيد بن عمرو بن نفيل فأراد الخروج فجلس ثم إنه خرج بسد ذلك فضرب في الأرض حتى بلغ الرقة من أرض الجزيرة فلقى بها راهباً عالماً فأخبره بالذي يطلب فقال له الراهب إنك لتطلب ديناً ما تجد من يملك عليه ، ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلدك يمشي بدين الخبيفة فلما قال له ذلك رجع يريد مكة ففارت عليه نخم فقتلوه ، وأما عبد الله بن جحش فأقام بمكة حتى بعث النبي (س) ، ثم خرج مع من خرج إلى أرض الحبشة ، فلما صار بها تنصر وطارق الاسلام فكان بها حتى هلك هناك نصرانياً . تقدم في ترجمة زيد بن عمرو بن نفيل له شاهد .

وقد قال الخراطى : حدثنا أحمد بن اسحاق بن صالح أبو بكر الوراق حدثنا عمرو بن عثمان حدثني أبي حدثنا عبد الله بن عبد العزيز حدثني محمد بن عبدالعزيز عن الزهري عن عبدالرحمن بن أنس السلمي عن العباس بن مرداس انه كان يمر في قنقح له نصف النهار إذ طلعت عليه فامة يضاء عليها ركب عليه ثياب يياض مثل اللبن فقال : يا عباس بن مرداس ألم تر أن السماء قد كفت احراسها ، وان الحرب نجرت انفاها ، وان الخليل وضعت احلاسها ، وان الذي نزل بالير والتقوى ، يوم الاثنين ليلة الثلاثاء ، صاحب الناقة القصوى قال فرجعت مرعوباً قد راغى ما رأيت وسمعت حتى جئت وتنا لنا بدعي الضماد وكنا نمبده ونسكام من جوفه فكنتس ما حوله ثم تمسحت به وقبلته فلذا صاغ من جوفه يقول :

قبل للقبائل من سليم كلها هلك الضماد فلما أهل المسجد

هلك الضماد وكان يُبَدُّ مرة . قبل الصلاة مع النبي محمد

إن الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مرهم من قريش مهتد

قال فخرجت مرعوباً حتى أتيت قومي فهصصت عليهم الله وأخبرتهم الخبر وخرجت في ثلاثمائة

من قومي بني حارثة الى رسول الله (ص) وهو بالمدينة فدخلنا المسجد فلما رأى رسول الله (ص) قال لي: « يا عباس كيف كان اسلامك » ؟ قصصت عليه القصة . قال فسر بذلك واسلمت أنا وقومي . ورواه الحافظ أبو نعيم في الدلائل من حديث أبي بكر بن أبي عاصم عن عمرو بن عثمان به . ثم رواه أيضا من طريق الاصمعي حدثني الوصافي عن منصور بن الأشتر عن قبيصة بن عمرو بن اسحاق الخزازي عن العباس بن مرداس السلمي . قال : أول اسلامي ان مرداساً أبي لما حضرته الوفاة أوصاني بضم له يقال : نجاذ فجلته في بيت وجلت آتية كل يوم مرة فلما ظهر النبي (ص) سمعت صوتاً مرسلان في جوف الليل راعني فوثبت الى ضياد مستغيثاً وإذا بالصوت من جوفه وهو يقول :

قل للقبيلة من سليم كلها هلك الايسر وبهاش أهل المسجد
أودى ضياد وكان يمسد مرة قبل الكتاب الى النبي محمد .
ان الذي ورث النبوة والمهدي بد ابن مردم من قریش مهتد

قال فكنته الناس فلما رجع الناس من الأحزاب بينا انا في ايلي بطرف العتيق من ذات عرق راقداً سمعت صوتاً واذا برجل على جناح نائمة وهو يقول : النور الذي وقع ليلة الثلاثاء مع صاحب الناقة المضياء في ديلا اخوان بني العنقاء ، فاجابه هاتف من شماله وهو يقول :

بَشِّرِ الْحَقَّ وَالْبَلَاءَ أَنْ وَضَعْتَ الْمَطِيَّ أَحْلَاسَهَا
وَكَلَّتِ السَّيِّئَةُ أَحْرَاسَهَا

قال فوثبت مذعوراً وعلت ان محمداً مرسل ، فركبت فرسي واحتثت السير حتى انتهيت اليه فبايته ثم انصرفت الى ضياد فحرقته بالنار ثم رجعت الى رسول الله (ص) فانشدته شعراً أقول فيه :

لمرّك ابي يوم أجعل جاهلاً ضياداً ررب العالمين مشاركا
وزكي رسول الله والأوس حوله أولئك أنصار له ما أولئك
كنازك سهل الارض والحزن بيتني ليدلك في وعث الامور المسالكا
فأمنت بالله الذي أنا عبده وخالف من أسمى يريد المهالك
ووجهت وجهي نحو مكة قاصداً أبليع نبي الاكرمين المباركا
نبي أنا بعد عيسى بناطق من الحق فيه الفصل فيه كذلك
أمين على القرآن أول شافع وأول مبعوث يجيب الملائكا
تلاقى عرى الاسلام بعد انتفاضها فأحكها حتى أقام المناسكا
عنتك يا خير البرية كلها توسطت في الفرعين وانجد مالكا
وامت المصقي من قریش اذا سمعت على ضرها تبق القرون المباركا

إذا نسب الحَيَانَ كَسَبٌ ومالِكٌ وحدثناك محضاً والنساء الموارثا

قال الخرائطي : وحدثنا عبد الله بن محمد البلوي بمصر حدثنا عمارة بن زيد حدثنا اسحاق بن بشر وسلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق حدثني شيخ من الانصار يقال له عبد الله بن محمود من آل محمد ابن مسلمة قال بلغني أن رجالا من شعثم كانوا يقولون ان مادعانا الى لاسلام انا كنا قوما نعبد الاوثان فبينما نحن ذات يوم عند وثن لنا إذ أقبل فر يتماضون اليه يرجون الفرج من عنده لشيء شجر بينهم إذ حثف بهم هاتف يقول :

يا أيها الناس ذرو الاجسام
ما أنتم وطائش الأحمال
أكلكم في حيرة نيام
أم لا تزون ما الذي أماني
من ساطع يجملو نجى الظلام
قد لاح لناظر من ربهم
ذلك نبي سيد الأنام
قد جاء بسد الكفر بالاسلام
أكرمته الرحمن من امام
ومن رسول صادق الكلام
أعدت لي حكم من الاحكام
بأمر بلصلاة والضيام
والبر والفضائل للأجسام
ويجزئ الناس عن الآثام
والرجس والاوثان والحرام
من هائلم في ذروة التمام
مستعلنا في البلاد الحرام

قال فلما سمعنا ذلك تفرقتا عنه وآتينا النبي (ص) فاسلطنا .

وقال الخرائطي : حدثنا عبد الله البلوي حدثنا عمارة حدثني عبيد الله بن العلاء حدثنا محمد بن عكبر عن سعيد بن جبير أن رجلا من بني تميم يقال له رافع بن عمير - وكان أهدى الناس للطريق واسرام بليل ، وأهجمهم على هول ، وكانت العرب تسميه لذلك دعوص العرب لهدايته وجراوته على السير - فذكر عن يده إسلامه قال إني لأسير برمل عالج ذات ليلة إذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي ونحتها وتوسدت ذراعها ونمت وقد تموضت قبل نومي فقلت أعوذ بظلم هذا الوادي من الجن من أن أؤذى أو أهاج فرأيت في منامي رجلا شاباً برصد ناقي ويده حربة يريد أن يضخها في فمها ، فالتبته لذلك فرعاً فنظرت يمينا وشيالا فلم أر شيئا ، فقلت هذا حلم ثم علمت فنفوت فرأيت في منامي مثل رؤياي الأولى فالتبته فدرت حول ناقي فلم أر شيئا وإذا ناقي ترعد ، ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فالتبته فرأيت ناقي تضطرب والتفت فاذا أنا برجل شاب كالذي رأيت في المنام بيده حربة ورجل شيخ بمسك يده برده ضها وهو يقول :

يامالك بن مهلهل بن دينار
عن ناقة الانسي لا تعرض لها
ولقد بدا لي منك ما لم احتسب
تسمو إلي بخرية مسمومة
لولا الحياء وأن أهلك جيرة
مهلا فدي لك منزري وإذاري
واختربها ما شئت من أنواري
ألا زعمت قرابي وذماري
بأبائك يا أبا الفغار
لعلت ما كشفت من أخباري

قال فأجابته الشاب وهو يقول :

أردت أن تملو وتخفض ذكركنا
ففي غير مزية أبا العيزار
ما كان فيهم سيد فيما مضى
إن الخيار فهو بنو الأخيـار
فأصـد لتصليـك يامـكـبـر راتـما
كان المـجـير مـهـلـل بن دـنـار

قال فيينا هما يتنازعا إذ طلعت ثلاثة أنوار من الوحش فقال الشيخ الفتي قم يا ابن أخت فخذ أيها شئت فداء لناقة جاري الانسي ، فقام الفتي فآخذ منها نوراً وانصرف . ثم التفت الى الشيخ فقال يا هذا إذا زلت واديا من الاودية فحقت هولاء فقل أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادي ولا تمد بأحد من الجن فقد بطل أمرها قال قلت له ومن محمد هذا ؟ قال نبي عربي لا شرقي ولا غربي بمث يوم الاثنين . قالت وابن مسكنه قال يثرب ذات النخل . قال فكببت راحتي حين رقى لي الصبح وجددت السير حتى تقممت المدينة فرآني رسول الله (س) ، فحدثني بحدثي قبل ان أذكر له منه شيئا ودعاني الى الاسلام فأسلمت . قال سعيد بن جبير وكنا نرى أنه هو الذي أنزل الله فيه (وإنه كان رجال من الانس يموذون برجال من الجن فزادهم رهقا) وروى الخرائطي من طريق ابراهيم بن اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن داود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس عن علي . قال : إذا كنت بواد تخاف السبع فقل أعوذ بدانيال والجب ، من شر الأسد . وروى البلوي عن عمارة بن زيد عن ابراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق حدثني يحيى بن عبد الله بن الحارث عن أبيه عن ابن عباس قصة قتال علي الجن بالثر ذات العلم التي بالجحفة حين بعثه رسول الله (س) ، يستقي لهم الماء فارادوا منه وقطعوا الدلو فنزل اليهم ، وهي قصة مطولة منكرة جدا والله أعلم .

وقال الخرائطي : حدثني أبو الحارث محمد بن مصعب الدمشقي وغيره حدثنا سليمان ابن بنت شرحبيل الدمشقي حدثنا عبد القدوس بن الحجاج حدثنا خالد بن سعيد عن الشعبي عن رجل قال كنت في مجلس عمر بن الخطاب وعنده جماعة من أصحاب النبي (س) ، يتذاكرون فضائل القرآن فقال بعضهم خواتيم سورة النحل ، وقال بعضهم سورة يس ، وقال علي فأين أنتم عن فضيلة آية الكرسي أما لها سبعون كلمة في كل كلمة بركة . قال وفي القوم عمرو بن معدى كرب لا يبحر جوابا ، فقال أين أنتم عن

بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال عمر حدثنا يا أبا نور . قال بينما أنا في الجاهلية إذ جهدي الجوع فأقمت فرسي في البرية فساأصبت الابيض النمام ، فيينا أنا أسير اذا أنا بشيخ عربي في خيمة ، والى جانبه جارية كأنها شمس طالمة ومعه غنيمات له ، قلت له استأمر ثكلك أمك . فرقم رأسه الى وقال يا قبي ان أردت قرى فازل وان أردت معونة اعناك . قلت له استأمر فقال :

عَرَضْنَا عَلَيْكَ النَّزْلَ مَنَّا تَسْكُرُ مَا
وَجِئْتَ بِبَيْتَانِي وَزُورٍ وَدُونَ مَا تَعْنِيهِ بِالْبَيْضِ حَزُّ الدَّلَاحِمِ

قال ووثب الى وثبة وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم . فكأنني مثلت تحته . ثم قال أتلك أم أخلى عنك؟ قلت بل خل عنى قال فخل عنى . ثم ان نفسى جاذبتني بالمادة . قلت استأمر ثكلك أمك فقال :

بِسْمِ اللَّهِ وَالرَّحْمَنِ فَرْنَا هُنَالِكَ وَالرَّحِيمِ بِهِ قَهْرْنَا
وَمَا تُنْبِي جَلَادَةَ نَبِي حِفَاطٍ إِذَا يَوْمًا لِمُرَكَّبٍ بَرَزْنَا

ثم وثب لي وثبة كأنني مثلت تحته . فقال أتلك أم أخلى عنك؟ قال قلت بل خل عنى . فخل عنى فانطلقت غير يريد . ثم قلت في نفسى يا عمرو أيقهرك هذا الشيخ . والله لعوت خير لك من الحياة ، مرجعت اليه قلت له استأمر ثكلك أمك . فوثب الى وثبة وهو يقول بسم الله الرحمن الرحيم فكأنني مثلت تحته ، فقال أتلك أم أخلى عنك؟ قلت بل خل عنى فقال هيهات ، يا جارية إيتيني بالمدية فأنته بللمدية فجز ناصيتي وكانت العرب إذا ظفرت برجل فجزت ناصيته استمبدته ، فكنت معه أخدمه مدة . ثم انه قال يا عمرو أريد أن تركب معي البرية وليس بي منك وجل ، فاني يسلم الله الرحمن الرحيم لوانق قال فسرنا حتى أتينا واديا أشبا مهولا . فنادى بأعلى صوته بسم الله الرحمن الرحيم . فلم يبق طير في وكره الاطار . ثم أعاد القول فلم يبق سبع في مريضه الاهرب ، ثم أعاد الصوت فلذا نحن مجبشى قد خرج علينا من الوادي كالنحلة السحوق ، فقال لي يا عمرو اذا رأيتنا قد أتحدا قتل غلبه صاحبي يسلم الله الرحمن الرحيم . قال فلما رأيتهما قد أتحدا قلت غلبه صاحبي باللات والزمى فلم يصنع الشيخ شيئا ، فرجع الى وقال قد علمت أنك قد خالفت قولي . قلت أجل ولست بمائد ، فقال إذا رأيتنا قد أتحدا قتل غلبه صاحبي يسلم الله الرحمن الرحيم ، قلت أجل فلما رأيتهما قد أتحدا قلت غلبه صاحبي يسلم الله الرحمن الرحيم ، فاتكأ عليه الشيخ فبعجه بسيفه فاشق بطنه فاستخرج منه شيئا كهيئة اتنديل الاسود ثم قال يا عمرو هذا غشه وظله . ثم قال اتندى من تلك الجارية؟ قلت لا ، قال تلك الفارعة بنت السليل الجرهمي من خيار الجن . وهؤلاء أهلها بنو عمها ينزوني منهم كل عام رجل ينصر في الله عليه يسلم الله الرحمن الرحيم . ثم قال قد رأيت ما كان منى الى الحبشى . وقد غلب على الجوع فتمشى بشى آكله ،

فاقحمت بفرسى البرية فسا اصبحت الابيض النعام ، فاقبته به فوجدته نائما ، واذا نحت رأسه شيء كهيئة الحشبة ، فاستائه فاذا هو سيف عرضه شبر في سبعة أشبار ، فضربت ساقيه ضربة. أيفت الساقين مع القدمين ، فاستوى على قفا ظهره وهو يقول قاتلك الله ما اغدرك يا غدار . قال عمر: ثم ماذا صنعت ؟ قلت فلم أزل أضربه بسيفي حتى قطمته لربا إربا . قل فوجم لذلك ثم أنشأ يقول :

بالتدبير نلت أخوا الإسلام عن كذبٍ ما إن سمعتُ كذا في سالفِ لأرَبِ
والسُّبْحُ نأفتُ مما جنته كَرَمًا تبا لما جنته في السيدِ الأربِ
اني لأعجبُ أني نلتُ رقتَهُ أم كيف جازاك عند الذنوبِ لم تَبِ ؟
رؤمُ عفائكُ مراتٍ وقد علفت بالجسمِ منك يداهُ موضعِ المطبِ
لو كنتُ أخذتُ في الإسلامِ ما فعلوا في الجاهليةِ أهلُ الشركِ والصلبِ
إذا لئالتكُ من عليٍّ مُنطَبَةٌ تدعو لذاتها بلوتلر والحربِ

قال ثم ما كان من حال الجارية ؟ قلت ثم إنى أتيت الجارية . فلما رأتهى قالت ما فعل الشيخ قلت قتله الحبشي ، فقالت كذبت بل قتله أنت بندرك ثم انشأت تقول :

يا عينُ مجودي للعارس المفرارِ ثم مجودي بوا كفاتٍ غزارِ
لا تملي البسكاءَ إذ خانكُ الد هرُ بوافٍ حقيقةً صبارِ
وتقيّ وذي وقارٍ وحلمٍ وعدليلِ الفخارِ يومَ الفخارِ
لهفٌ نفسي على بقائكُ عمرو أسسْتُكَ الأعارُ للأقدارِ
ولعمري لولم ترمهُ بندرٍ دُمتُ ليثاً كصانمِ بتارِ

قال فأحفظوه . فلهما فاستلت سبني ودخلت الخيمة لا قتلها فلم أرفى الخيمة أهدأ فاستمتت الماشية وجئت الى أهلي . وهذا أثر عجيب . والظاهر أن الشيخ كان من الجبان وكان ممن أسلم وتعلم القرآن ، وفيما تعلمه بسم الله الرحمن الرحيم . وكان يتنوذ بها .

وقال الخراطي: حدثنا عبد الله بن محمد البلوي حدثنا عمارة بن زيد قال حدثني عبد الله بن الملا عن هشام بن عمرو عن أبيه عن جده أسماء بنت أبي بكر قالت: كان زيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل يذكران أنهما اتيا النجاشي بعد رجوع أبرهة من مكة ، فالا فلما دخلنا عليه قال لنا أصدقاني أيها القرشيان هل ولد فيكم مولود أراد أبوه ذبحه ففرض عليه بالقداح فسلم ونحرت عنه ابل كثيرة ؟ قلنا نعم . قال فهل لسكامله به ما فعل ؟ قلنا تزوج امرأة يقال لها أمته بنت وهب تركها حاملا وخرج قال فهل تملنان ولد أم لا ؟ قال ورقة بن نوفل أخبرك أيها الملك أني ليلة قدبت عند وثن لنا كنا نطيف به ، وفبده إذ سمعت من جوفه هاتفا يقول :

وَلَدَ النَّبِيِّ قَدَّحَتِ الْأَمْلَاجُ وَأَدْبَرَ الْإِشْرَاقُ

ثم انعكس الصنم على وجهه . قال زيد بن عمرو بن نفيل عندي كثره أهبها الملك . قال هات قل أنا في مثل هذه الليلة التي ذكر فيها حديثه خرجت من عند أهلي وهم يذكرون حمل آمنة حتى أتيت حبل أبي قيس أريد انطلق فيه لأمر ربي إذ رأيت رجلاً نزل من السماء له جناحان أخضران ، فوقف على أبي قيس ثم أشرف على مكة فقال : ذل الشيطان وبطل الأوثان ولد الأمين . ثم نشر ثوباً معه وأهوى به نحو المشرق والمغرب فرأيت قد جلال ما تحت السماء وسطع نور كاد أن يختطف بصري وهالني ما رأيت . وخلق الملائك بجانبه حتى سقط على السكبة . فسطع له نور أشرفت له تهامة . وقال : ذك الأَرْضُ وأدت ربيما . وأوماً إلى الأصنام التي كانت على السكبة فسقطت كلها . قال النجاشي ويحك أخبر كما عما أصابني ، إني لنا في الآله التي ذكرتها في قبة وقت خلوق ، إذ خرج على من الأرض عنق ورأس ، وهو يقول حل الويل بأصحاب الفيل ، رمتهم طير أبابيل ، بحجارة من سجيل هلك الأشرم المتمدن المجرم ، وولد النبي الأحمى ، المسكى الحرمي ، من أجابه سعد ، ومن أباه عند . ثم دخل الأرض فذهب فأصبح فلم أطق الكلام ، ورومت القيام فلم أطق القيام ، فصرت القبة بيدي ؟ فسمع بذلك أهلي فجاؤني فقلت احجوا عني الحية فحجبوا عني ثم أطلق عن لساني ورجلي . وسألتني إن شاء الله تسألني في قصة المولد رؤيا كسرى في سقوط أربع عشرة شراقة من أبوانه ، وخرود نيرانه ورؤيا موداته ، وتفسير سطوح لذلك على يدي عبد المسيح . وروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه في ترجمة الحارث بن هاشم بن المدلج بن المتداد بن زمل بن عمرو العنزي عن أبيه عن جده عن أبيه عن زمل بن عمرو العنزي قال : كان لبي عنزة صنم يقال له حمام وكانوا يعظونهم وكان في نبي هند بن حرام بن ضبة بن عبد بن كثير بن عنزة وكان سادته رجلاً يقال له طارق وكانوا يمترون عنده . فلما ظهر رسول الله (س) سمعنا صوتاً يقول يا نبي هند بن حرام . ظهر الحق وأودى صام ودفع الشرك الاسلام . قال فترعنا لذلك وهالنا فكنا أيلماً . ثم سمعنا صوتاً وهو يقول : يا طارق يا طارق . بعث النبي الصادق ، بوحى تطلق ، صدع صادق بأرض تهامة ، لناصيه السلامة ، ولخاذه الدامة ، هذا الوداع عني إلى يوم القيامة . قال زمل فوقع الصنم لوجهه . قال فابت راحلة ورحلت حتى أتيت النبي (س) ، مع نهر من قومي وأشدته شعراً قلته :

اليك رسول الله أعلمت نصها	وكافها حراً وغوراً من الرمل
لأنصر خير الناس نصراً مؤزراً	وأعقد جلاً من جبالك في حبل
وأشهد أن الله لا شيء غيره	أدين به ما أتملت قدي نمل

قل فأسلت وبأيته . وأخبرته بما سمعنا قال : « ذاك من كلام الجن » . ثم قال : « يا مشر
العرب إني رسول الله اليكم وإلى الأنام كافة ، أدعوم إلى عبادة الله وحده ، وإني رسوله وعيده ، وأن
تجسوا البيت وتصوموا شهراً من إثني عشر شهراً وهو شهر رمضان ، فن أجايبى فله الجنة نزلاً ، ومن
عصاني كانت النار له منقلباً » . قال فأسلنا وعقد لنا لواء . وكتب لنا كتاباً نسخته : « بسم الله الرحمن
الرحيم من محمد رسول الله لزم بن عمرو ومن أسلم معه خاصة إني بئته إلى قومه عامداً فمن أسلم فني
حزب الله ورسوله . ومن أبي فله أمان شهرين . شهد علي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة الأنصاري »
ثم قال ابن عساكر : غريب جداً

وقال سعيد بن يحيى بن سعيد الأُموي في موازيه : حدثني محمد بن سعيد - يعني عمه - . قال قال
محمد بن المنكدر إنه ذكر لي عن ابن عباس قال هتف هاتف من الجن على أبي قبيس فقال :

قَبِيحَ اللَّهِ رَأَيْتُمْ آلَ فِهْرٍ مَا أَدَقَّ الْعُقُولَ وَالْأَفْهَامَ
جِيئَ تَمَصَّى إِنْ يَمِيبُ عَلَيْهَا دِينَ آبَائِهَا الْحَمَاءِ السُّكْرَامِ
حَالَفَ الْجِنَّ جَنْ بَصْرَى عَلَيْكُمْ وَرَجَالَ النَّخِيلِ وَالْأَطَامِ
تَوَشَّكَ الْغِيلُ أَنْ تَرُدَّهَا تَهَادَى قَتَلَ الْقَوْمَ فِي حَرَامِ بَهَامِ
هَلْ كَرِيمٌ مَنكُمْ لَهُ نَفْسٌ حَرٌّ مَا جِئِدِ الْوَالِدِينَ وَالْأَعْمَامِ
ضَارِبٌ ضَرْبَةً تَكُونُ نَكَلًا وَرَوَّاحًا مِنْ كُرْبِيَةِ وَاعْتَامِ

قال ابن عباس فأصبح هذا الشعر حديثنا لأهل مكة فنناشدونه بينهم . فقال رسول الله ص : « هذا شيطان
يكلم الناس في الأوثان يقال له مسمر ، والله مخزبه » فكثروا ثلاثة أيام فاذا هاتف هتف على الجبل يقول :

نَحْنُ قَتَلْنَا فِي ثَلَاثِ مِشْرَا إِذْ سَقَى الْجِنَّ وَسَنَ الْمَنْكَرَا
قَعْتَهُ سَيْفًا حُسَامًا مَشْرَا بِشْمِهِ نَيْتَنَا الْمَطْرَا

فقال زول الله ص : « هذا عفرية من الجن اسمه سمح آمن بي سميته عبد الله أخبرني أنه في
طلبه ثلاثة أيام » فقال علي جزاء الله خيراً يا رسول الله .

وقد روى الحافظ أبو نعيم في الدلائل قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أبو الفضل
محمد بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي حرب الصفار حدثنا عباس بن الفرج الرياشي حدثنا سليمان بن
عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبيه عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس عن
سعد بن عباد قال : بشى رسول الله ص ، إلى حضر موت في حاجة قبل الهجرة ، حتى إذا كنت في
بعض الطريق ساعة من الليل فسمعت هاتفا يقول :

أَبَا عَمْرٍو فَأَوْبَى السُّهُودِ وَرَاحَ النَّوْمِ وَامْتَنَعَ الْمَجُودِ
لَذَكْرٍ عَصَابَةٍ سَلَفُوا وَبَادُوا وَكَلُّهُ انْتَلَقَ قَصْرُهُمْ بِيَدِ
تَوَلَّوْا وَارْدَبْنَ إِلَى الْمَنَائِي حِيَاضًا لَيْسَ مَنَهْلِهَا الْوَرُودِ
مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ وَبَقِيَتْ خَلْفًا وَحِيدًا لَيْسَ يُسَنِّفِي وَحِيدِ
سَدَى لَا أَسْتَطِيعُ عِلَاجَ أَمْرِي إِذَا مَا عَالَجَ الْعَفْلُ الْوَلِيدِ
فَلَايَا مَا بَقِيَتْ إِلَى أَنَا وَقَدْ بَاتَتْ بِمَعْلِكِهَا نَمُودِ
وَعَادَى الْقُرُونُ بِذِي شُعُوبِي سَوَاهٍ كَلَّمَهُمْ إِزْمُ حَمِيدِ

قال ثم صاح به آخر : يا خرب ذهب بك العجب . ان العجب كل العجب بين زهرة وبثر .
قال وما ذلك يا صاحب ؟ قال نبي السلام ، بث يخبر الكلام الى جميع الأنام ، فاخرج من البلد الحرام
الى نخيل وأطام . قل ما هذا النبي المرسل والكتاب المنزل ، والامى المفضل ؟ قال رجل من ولد لؤى
ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . قال هيئات قات عن هذا سقى ، وذهب عنه ذمى لقد
رأيتنى والنضر بن كنانة ترمى غرضا واحداً ، ونشرب حلباً بارداً ، ولقد خرجت به من دوحه في غداة
شبهه وطلع مع الشمس وغرب معها ، يروى ما يسم ويثبت ما يبصر . ولئن كان هذا من ولده لقد سل
السيف وذهب الخوف ، ودحض الزنا ، وهلك الربا . قال فأخبرنى ما يكون ؟ قال ذهبت الضراء
والبؤس والمجاعة ، والشدة والشجاعة ، الا بقية في خزاعة . وذهبت الضراء والبؤس ، والخلق المنفوس
الا بقية من الخروج والأوس . وذهبت الخيلاء والفخر ، والنيمة والفسد ، الا بقية في نبي بكر . يصفى
ابن هوازن . وذهب الفعل المندم والعمل المؤثم ، الا بقية في خنم . قال أخبرنى ما يكون ؟ قال إذا
غلبت البرة ، وكظمت الحرة ، فاخرج من بلاد الهجرة ، واذا كف السلام ، وقطعت الارحام فاخرج من
البلد الحرام . قال أخبرنى ما يكون ؟ قال لولا أذن تسمع ، وعين تلمع لاخبرتك بما تنزع . ثم قال :

لَا مَنَامٌ هَدَانَهُ بِنَعِيرٍ يَا ابْنَ غَوَاطٍ وَلَا صَبَاحٌ أَنَا

قال ثم صرصر صرصرة كأنها صرصرة حبل ، فذهب الفجر فذهبت لا نظف فاذا عظاية وثيمان
ميتان . قال فما علمت أن رسول الله (س) ، هاجر الى المدينة إلا بهذا الحديث . ثم رواه عن محمد بن
جعفر عن إبراهيم بن علي عن النضر بن سلمة عن حسان بن عبادة بن موسى عن عبد الحميد بن بهرام
عن شهر عن ابن عباس عن سعد بن عبادة . قال : لما بعثنا رسول الله (س) ، ليلة القبة خرجت الى حضر
موت لبعض الحاج ، قال ففضيت حاجتى ثم أقبلت حتى اذا كنت ببعض الطريق نمت ، ففرغت من
الليل بصائح يقول :

أَبَا عَمْرٍو تَلَوْنِي السُّهُودِ وَرَاحَ النَّوْمِ وَاقْتَلَعَ الْمَجُودِ

وذكر مثله بطوله .

وقال أبو نعيم : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن علي حدثنا النضر بن سمة حدثنا أبو غزوة محمد بن موسى عن المطاف بن خالد الوصابي عن خالد بن سعيد عن أبيه قال سمعت تيمم الداردي يقول : كنت بالشام حين بعث النبي (س) ، فخرجت لبعض حاجتي فادر كني الليل . فقلت أنا في جوارز عظيم هذا الوادي الليلة . قال فلما أخذت ، وضعي إذا أنا بمناد ينادي - لا أراه - عبد الله فان الجن لا ينجير أحداً على الله فقلت أيم الله قول ؟ فقال قد خرج رسول الاميين رسول الله وصلينا خلفه بالحجون . فاسلنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب . فانطلق الى محمد رسول رب العالمين فاسلم . قال نعم فلما أصبحت ذهبت الى دير أيوب فسالته راهباً واخبرته الخبر . قال الراهب قد صدقوك يخرج من الحرم ومهاجرة الحرم وهو خير الانبياء فلا تسبق اليه . قال تميم فكلمت الشخص حتى جئت رسول الله (س) فاسلته .

وقال حاتم بن اساعيل عن عبد الله بن يزيد الهذلي عن عبد الله بن ساعدة الهذلي عن أبيه قال كنا عند صنمنا سواع ، وقد جلبنا اليه غنماً لنا ماتت شاة قد أصابها جرب ، فاذ ينأها منه لئلا يركه فسمعت منادياً من جوف الصنم ينادي قد ذهب كيد الجن ورميت بالشهب لبي اسمه أحمد . قال فقلت غويت والله . فصدقت وجه غنمي منجداً الى أهلي فرأيت رجلاً . فخرتني بظهور النبي (س) . ذكره أبو نعيم هكذا معلقاً ثم قال : حدثنا عمر بن محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن السدي حدثنا النضر بن سمة حدثنا محمد بن مسلمة الخزومي حدثنا يحيى بن سليمان عن حكيم بن عطاء الظفري - من بني سليم من ولد راشد بن عبد ربه - عن أبيه عن جده عن راشد بن عبد ربه قال كان الصنم الذي يقال له سواع بالملاءة من رهط قديين له هذيل وبنو ظفر بن سليم فارسلت بنو ظفر راشد بن عبد ربه بهدية من سليم الى سواع قال راشد فالتقت مع الفجر الى صنم قبل صنم سواع ، فاذا صارخ يصرخ من جوفه : العجب كل العجب من خروج نبي من بني عبد المطلب ، يحرم الزنا والربا والبيع للاصنام . وحسرت السماء ورميت بالشهب العجب كل العجب . ثم هتف صنم آخر من جوفه ترك الضمار وكان يمد ، فخرج النبي أحمد ، يصلي الصلاة ويأمر بالزكاة والصيام ، والبر والصلوات للارحام . ثم هتف من جوف صنم آخر هاتف يقول :

ان الذي ورث النبوة والهدى
بعد ابن مرثد من قريش مهتد
نبيي أتى بخبر بما سبق
وبما يكون اليوم حقاً أو غداً^(١)

(١) كذا في الاصول وهذا البيت يرد في السيرة الشامية (سبل الهدى والرشاد) وورد قبل البيت الاول

قل للقبائل من سليم كلها
هالك الا نيس وعاش أهل المسجد
اودى ضيلاً وكان يهيد مرة
قبل الكتاب الى النبي محمد

قال راشد: قالفت سواعاً مع النجر وقلبان يلحسان ماحوله ، وياكلان ما يهدي له ، ثم يورجان عليه يولها ، ففند ذلك يقول راشد بن عبد ربه :

أربُّ يولك التُّعلبانُ برأسه لقد ذكّر من بالّت عليه الثَّالب

وذلك عند مخرج النبي (س) ، ومهاجره إلى المدينة وتسامع الناس به فخرج راشد حتى أتى النبي (س) المدينة ومعه كلبه ، واسم راشد يومئذ ظالم ، واسم كلبه راشد فقال النبي (س) : « ما اسمك ؟ » قال ظالم . قال : « فما اسم كلبك ؟ » قال راشد ، قال « اسمك راشد ، واسم كلبك ظالم » ونحك النبي (س) . وبيع النبي (س) وأقام بمكة معه ثم طلب من رسول الله (س) : قطعة بهاط . ووصفها له - فاقطعه رسول الله (س) بالملاة من بهاط تشاؤ الفرس ، ورميته ثلاث مرات بحجر ، وأعطاه إداوة مملوئة من ماء وتقل فيها وقال له « فرغها في أهلا القطيعة ولا تمنع الناس فضلها » ففعل فجعل الماء معينا يجرى إلى اليوم فرس عليها النخل . ويقال ان بهاط كلها تشرب منه فهاها الناس ماء الرسول (س) . وأهل بهاط يتدلون بها وبلت رمية راشد الركب الذي يقال له ركب الحجر ، وغدا راشد على سواع فكسره .

وقال أبو نعيم: حدثنا سليمان بن احمد حدثنا علي بن ابراهيم الخزازي الاهوازي حدثنا أبو محمد عبد الله بن داود بن دحان بن اساعيل بن مسرع بن ياسر بن سويد صاحب رسول الله (س) حدثنا أبي عن أبيه دحان عن أبيه اساعيل أن أباه عبد الله حدثه عن أبيه مسرع بن ياسر أن أباه ياسر حدثه عن عمرو بن مرة الجهني أنه كان يحدث قال : خرجت حاجاً في جماعة من قومي في الجاهلية فرأيت في المنام وأنا بمكة نوراً ساطعاً من الكعبة حتى أضاء في جبل يثرب وأشمر جهينة . فسمعت صوتاً في النور وهو يقول : اتممت الظلاد ، وسطع الضياء ، وبث خاتم الأنبياء ، ثم أضاء إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وبيض المدائن . فسمعت صوتاً في النور وهو يقول: ظهر الإسلام ، وكسرت الأصنام ، ووصلت الأرحام ، فاتبته فرغاً ، قلت لقومي والله ليحدثن في هذا الحى من قريش حدث ، وأخبرتني بما رأيت . فلما اتهمنا إلى بلادنا جاءنا رجل فأخبرنا أن رجلاً يقال له احمد قد بث قاتيتة فأخبرته بما رأيت فقال « يا عمرو بن مرة إني المرسل إلى المباد كافة أذعهم إلى الاسلام ، وأمرهم بحقن الدماء وصلة الأرحام ، وعبادة الله ورفض الأصنام ، وحيج البيت . وصيام شهر من اتقى شر شهراً وهو شهر رمضان ، فمن أجاب فله الجنة . ومن عصى فله النار ، فأمن يا عمرو بن مرة يؤمنك الله من نار جهنم » قلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله . آمنت بكل ما جئت به من حلال وحرام ، وإن أرغم ذلك كثيراً من الأقوام ، فتم أنشدته أبياتاً قلها حين سمعت به وكان لنا ضمم وكان أبي سادنا له فتمت إليه فكسره ثم لحقت النبي (س) ، وأنا أقول :

شهدت بأن الله حق وأنتي لآلهة الأحجار أول تارك
 فشمرت عن ساقى إزار مهاجر اليك أحب العوز بعد الدكادك
 لأصحب خير الناس نساءً والدا رسول ملك الناصر فوق الجبالك

قال النبي (س): «مرحباً بك يا عمرو بن مرة». قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي إيئت بي الى قومي، لعل الله أن يمن بي عليهم كما من بك على، فبعثني اليهم وقال: «عليك بالقول السديد ولا تكن فظاً ولا متكبراً ولا حسوداً» فأتيت قومي فقلت لهم: يا بني رفاة نم يا بني جبينه إني رسول من رسول الله اليكم أذعوكم الى الجنة، وأحذرکم النار، وأمرکم بحسن السماء، وصلة الأرحام، وعبادة الله، ورفض الأضنام، وحج البيت، وصيام شهر رمضان، شهر من إثني عشر شهراً. فمن أجاب فله الجنة. ومن عصي فله النار. يا مشر جبينه إني الله - وله الحمد - جعلكم خيار من أتم منه وبعض اليكم في جاهليتكم ما حاسب إلى غيركم من الرفث، لأنهم كانوا يجمعون بين الأختين، ويخلف الرجل على امرأة أبيه، والترات في الشهر الحرام. فأجيبوا هذا النبي المرسل (س) من بني لؤي بن غالب. تناولوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة، سارعوا سارعوا في ذلك ليكون لكم فضيلة عند الله. فأجابوا إلا رجلاً منهم قام فقال: يا عمرو بن مرة أمر الله عليك عيشك، أتأمرنا أن نرفض آلهتنا ونهرق جماعتنا بمخالفة دين آبائنا إلى ما يدعوا هذا القرشي من أهل نهامة ولا ولا مرحباً ولا كرامة، ثم أنشأ يقول:

إن ابن مرة قد أتى بمقالة ليست مقالة من يريد صلاحا
 لي لا حسب قوله وقمالة يوماً وإن طال الزمان رابحا
 أنفسه الأشياخ ممن قد مضى من رام ذلك لأصاب فلاحا

قال عمرو بن مرة: الكاذب مفي ومنك أمر الله عيشه، وأبكم لسانه، وأكبه بصره. قال عمرو ابن مرة والله ما مات حتى سقط فوه وكان لا يجيد طعم الطعام، وعسى وخرس. وخرج عمرو بن مرة ومن أسلم من قومه حتى أتوا النبي (س)، فحجب بهم وجبام وكتب لهم كتاباً بهذه نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، وهذا كتاب من الله على لسان رسول الله بكتاب صادق، وحق ناطق، مع عمرو ابن مرة الجهفي لجهينة بن زيد إن لكم بطون الأرض وسهولها، وتلاع الاودية وظهورها، ترعون نباته وتشربون صافيه. على ان تمروا بالحنس، وتصلوا الصلوات الحنس، وفي التبعة والصريمة شاتان ان اجتمعتا، وان تفرقتا فشاة شاة. ليس على أهل الميرة صدقة، ليس الوردة اللبقة». وشهد من حضرنا من المسادين بكتاب قيس بن شماس رضى الله عنهم. وذلك حين يقول عمرو بن مرة:

لم تر أن الله أظهر دينه وبيّن برهان القرآن لعاصر
 كتاب من الرحمن نور لهينا وأحلافنا في كل بادٍ وحاضر

الى خير من يمشي على الارض كلها
 اطلنا رسول الله لما تقطعت
 فنحن قبيل قد بني المجد حولنا
 بنو الحرب فغيرها بأبد طويله
 ترى حوله الانصار يحيى أميرهم
 إذا الحرب دارت عند كل عظيمه
 ودارت رحاها باليوث الموارر
 كمثل ضياء البدر بين الزواهر

وقال أبو عثمان سعيد بن يحيى الأموى فى مغازيه : حدثنا عبد الله حدثنا أبو عبد الله حدثنا الجبال
 ابن سعيد والجلع عن الشعبي حدثنى شيخ من جبهة قال : مرض منا رجل مرضاً شديداً فقتل حتى
 حفر ناله قبره وهياتا أمره فاعمى عليه ثم فتح عينيه وافق فقال أحفرتم لى ؟ قالوا نعم ، قال فما فعل الفصل
 - وهو ابن عم له - قلنا صالح جرأنا يسأل عنك ، قال أما إنه يوشك أن يجهل فى حفرتى انه أتى آت
 حين أعمى على قتال ابك هبل ؟ أما ترى حفرتك تتنثل ، وأملك قد كادت تتشكل ؟ أرايتك أن حولناها
 عنك بالمحول ، ثم ملأناها بالجندل ، وقدفنا فيها الفصل : الذى مضى فاجزأك ، وظن أن لن يفعل . أشكر
 لربك ، وتصل وتدع دين من أشرك وصل ؟ قل قلت نعم . قال قم قد برمت . قال فبرى الرجل . وابت
 الفصل فجعل فى حفرته . قال الجهمي : فرأيت الجهمي بعد ذلك يصلى ويسب الأوثان ويقع فيها .
 وقال الأموى : حدثنا عبد الله قال بينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مجلس يتحدثون عن
 الجن ، فقال جريم بن فاتك الاسدى : الا أحدتكم كيف كان اسلامى ؟ قال بلى ، قال لى يوما فى طلب
 ذودلى أما منها على أثر تنصب وتصد ، حتى إذا كنت ببارق العراق انحطت راحلتى وقلت أعود بظلم
 هذه البلدة أعود برئيس هذا الوادى ، فاذا بهاتف يهتف بى :

ويحك ، عُد بالله ذى الجلال والمجد والعباءة والإفضال .

ثم اتل آيات من الأنفال ووحى الله ولا تنال

قال فدهرت ذهراً شديداً ثم رجعت الى نفسى قلت :

يا أيها الهاتف ما تحول أرشدت عنك أم تضليل ؟

* بين هداك الله ما الحويل *

قال قتال :

هذا رسول الله ذو التليرات ريثرب يدعو الى النجاة

بأمر بلبر وبالصلاة وبرع الناس عن المنات

قال قلت له : والله لا أريح حتى آتية وأومن به ، فنصبت رجلي في غرز راحلتي وقلت :

أرشدني أرشدني هدينا لاجئت ما عشت ولا عمريت
ولا برحت سيداً مقبنا لا تؤزير الخير الذي آتينا
• على جميع الجن ما قبينا •

قال :

صاحبك الله وأدى زحلكا وعظم الأجر وعافا فسكا
آمن به أطلع ربي حكا وافهه فصرأ عزبنا فصرأ

قال قلت من أنت عافاك الله ، حتى أخبره إذا قدمت عليه ؟ فقال أنا ملك بن ملك ، وأنا تهييه على جن نصيبين . وكفيت ابلك حتى اضمها الى أهلك ان شاء الله . قال فخرجت حتى أتيت المدينة يوم الجمعة والناس ارسال الى المسجد والنبي (س) على المنبر كأنه البدر يخطب الناس ، فقلت انيخ على باب المسجد حتى يصلي وادخل عليه فسلم واخبره عن إسلامي ، فلما انحت خرج الى أبوذر فقال مرحبا واهلا وسهلا قد بلغنا اسلامك ، فدخل فصل ، فقلت ، ثم جئت إلى رسول الله (س) ، فأخبرني بإسلامي . فقلت الحمد لله . قال « أما إن صاحبك قد وفى لك وهو أهل ذلك ، وادى ابلك الى أهلك » . (١)

وقد رواه الطبراني في ترجمة خريم بن فاتك من معجمه الكبير قائلا حدثنا الحسين بن اسحاق اليسري حدثنا محمد بن ابراهيم الشامي حدثنا عبد الله بن موسى الاسكندري حدثنا محمد بن اسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال خريم بن فاتك لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين ألا أخبرك كيف كان بذه إسلامي ، قال لي افضد كره غير أنه قال فخرج الى أبو بكر الصديق فقال أدخل ، فقد بلغنا اسلامك ، فقلت لا أحسن الطهور ، فلهني فدخلت المسجد فرأيت رسول الله (س) ، كأنه البدر وهو يقول « ما من مسلم توضأ فحسن الوضوء ثم صلى صلاة يحفظها ويقبلها إلا دخل الجنة » قال لي عمر لتأتيني على هذا بيته أو لا نسكان بك ، فشهد لي شيخ قريش عثمان بن عفان فجاز شهادته . ثم رواه عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن محمد بن تميم عن محمد بن خليفة عن محمد بن الحسن عن أبيه قال قال عمر بن الخطاب لخريم بن فاتك حدثني بمحدث يعجبني فذكر مثل السياق الأول سواء .

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن احمد حدثنا أبو عبد الملك احمد بن ابراهيم القرشي العمشقي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن ابن بنت شرحبيل حدثنا اسماعيل بن عياش عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عبد الله بن الديلمي قال أتى رجل ابن عباس قال بلغنا أنك تذكر سطيجا تزعم أن الله خلقه ، لم يخلق من بني آدم شيئا يشبهه ؟ قال قال نعم إن الله خلق سطيجا للناسي لحما على وضهم (٢) ولم يكن فيه عظم ولا

(١) رواية الطبراني ليست في المعربة . (٢) الوضم شرائع من جريد النخل .

عصب إلا للجحمة ، والكفان . وكان يطوى من رجله إلى ترقوته كما يطوى الثوب ، ولم يكن فيه شئ يتحرك إلا لسانه . فلما أراد الخروج إلى مكة حل على وضعة فألقى به مكة ، فخرج إليه أربعة من قريش عبد شمس ، وهاشم ابنا عبد مناف بن قصي ، والاحوص بن فهر ، وعقيل بن أبي وقاص فاتموا إلى غير نسيهم وقالوا نحن أناس من جمح أتيناك بلغنا قدومك ، فرأينا أن إيتاننا إليك حق لك واجب علينا وأهدى إليه عقيل صفيحة هندية ، وصعدة ردينية ، فوضت على باب البيت الحرام لينظروا ، أهل براها سطيح أم لا . قال : يا عقيل ناولني يدك فناوله يده فقال : يا عقيل والعالم الخفية ، والناظر الخفية ، والذمة الوفية ، والكعبة المنية ، إنك للجانى بالهدية ، الصفيحة الهندية ، والصعدة الردينية . قالوا صدقت يا سطيح ، قال والآتى بالفرح ، وتونس قرح ، وسائر الفرح ، والطهيم المنبطح ، والنخل والرطب والبلح ، إن الغراب حيث مر سنج ، فأخبر أن التوم ليسوا من جمح ، وإن نسيهم من قريش ذى البطح قالوا صدقت يا سطيح نحن أهل البيت الحرام ، أتيناك لنزورك لما بلغنا من علمك . فأخبرنا عما يكون في زماننا هذا وما يكون بعده فاعلم أن يكون عندك في ذلك علم قل : الآن صدقتم ، خذوا مني ومن إلهام الله إياي ، أنتم يا مشر العرب في زمان الهرم ، سواء بصائرهم وبصائر المعجم ، لا علم عندهم ولا فهم ، وينشون عنكم ذوو فهم ، يطلبون أنواع العلم ، فيكسرون الصنم ، ويلقون الرجم ، ويقتلون المعجم ، يطلبون الغم ، قالوا يا سطيح فمن يكون أولئك ؟ فقال لهم : والبيت ذى الأركان ، والامن والسكان لينشون من عقبكم ولدان يكسرون الاوثان ، وينكرون عبادة الشيطان ، ويوحدون الرحمن ، وينشرون دين الديان ، يشرفون البنيان ، ويستفتون الفتان ، قالوا يا سطيح من فعل من يكون أولئك ؟ قال : وأشرف الاشراف ، والمفضى للاشراف ، والمزعزع الاحقاف ، والمضعف لاضفاف ، لينشون الآلاف من عبد شمس وعبد مناف ، نشره يكون فيه اختلاف . قالوا يا سطيح بما تخبرنا من العلم بأسرهم ومن أى بلد يخرج أولئك ؟ فقال والباقي الأبد ، والبالغ الأمد ، ليخرجن من ذا البلساء ، فتن يهدى إلى الرشدي رفض يثوث والفند ، يبرأ من عبادة الضدد ، يبدد رباً أفرده ، ثم يتوفاه الله محمداً ، من الارض معقوداً ، وفي السماء مشهوداً . ثم بلى أمره الصديق إذا قضى صدق ، في رد الحق لا خرق ولا تزق ثم بلى أمره الحنيف ، بحرب عطريف ، ويترك قول العنيف . قد ضاف المضيف . وأحكم التحنيف . ثم بلى أمره داعياً لإمره مجرباً ، فتنجمع له جموعاً وعصباً ، فيقتلونه قهمة عليه وغصباً ، فيؤخذ الشيخ فيذبح أرباً فيقوم به رجال خطبياً . ثم بلى أمره الناصر يخطئ الرأي ورأى المناكر يظهر في الارض الساكر ثم بلى بده ابنه يأخذ جمه ويقل حده . ويأخذ المال ويأكل وحده ، ويكثر المال يبقيه من بده ، ثم بلى من بده عدة لمرك لا شك الدم فيهم مسنوك ، ثم بدم الصموك يطوبهم كلى اللدنوك . ثم بلى من بده عظهور يقضى الحق ويدنى مصر ينتح الارض افتتاحاً منكراً ، ثم بلى قصير القامة ، بظهوره علامة

يموت موتاً وسلاماً . ثم يلى قليلاً باكره ، يترك الملك فائر يلى أخوه بسفته سابر ، يختص بالأموال والمنابر
ثم يلى من بعده أهوج ، صاحب دنيا ونعيم محتاج ، يتشاوره معاشره وذووه ، ينهضون اليه يخلعونه بأخذ
الملك ويقتلونهُ ، ثم يلى أمره من بعده السابح ، يترك الملك محلاً ضائع ، بنوه فى ملكه كالشوه جامع ؛
عنه ذلك يطعم فى الملك كل عريان ، ويلى أمره الالهقان . برضى زاراً جمع قحطان ، إذا التقيا بدشق
جمان بين بيمان ولينان ، يصنف اليمين يومئذ صنفان . صنف المشورة ، وصنف المخدول . لا ترى
الاجباء محلول . وأسيراً مغلول . بين القراب والخيلول . عند ذلك تخرب المنازل وتسلب الأرامل ،
وتسقط الحوامل وتظهر الزلازل ، وتطلب الخلالة وائل ، فتغضب زرار فندى العبيد والأشرار ،
وتقصى الامثال والأخبار . وتقلو الاسمار فى صفر الاصفار يقتل كل حيا منه ، ثم يسبيرون إلى خنادق
وإنها ذات أشعار وأشجار تصد له الأنهار وهزمهم أول النهار ، تظهر الأخبار فلا ينتصم نوم ولا
قرار . حتى يدخل مصرأ من الأمصار ، فيدركه القضاء والأقدار . ثم يجيى الرماة تلف مشاة ، لقتل
الحكمة ، وأسر الحماة . وتملك العواة هنالك بدك فى أعلى المياها . ثم يبور الدين ، وتقلب الأمور ،
وتسكفر الزبور ، وتقطع الجسور ، فلا يفلت إلا من كان فى جزائر البحور ، ثم تبور الحبوب ، وتظهر
الأعاريب ليس فيهم معيب على أهل الفسوق والريب فى زمان عصب ، لو كان للقوم حيا ، وما تقنى
المنى . قلوا ثم ماذا يا سطيح ؟ قال ثم يظهر رجل من أهل اليمين كالشطن ، يذهب الله على رأسه العتن .
وهذا أثر غريب كتباها لغرابته وما تضمن من العتن والملاحم . وقد تقدم قصة شق وسطيح مع ربيعة
ابن نصر ملك اليمين ، وكيف بشر بوجود رسول الله (س) . وكذلك تقدم قصة سطيح مع ابن أخته
عبد المسيح حين أرسله ملك بنى ساسان ، لارتجاس الايوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبدان .
وذلك ليلة مولد الذى فسح بشر يمه سائر الأديان ؟



م الجزء الثانى من البداية والنهاية ويليهِ الجزء الثالث وأوله

﴿ باب كيفية بدء الوحي الى رسول الله (س) ﴾

فهرست الجزء الثاني

من كتاب البداية والنهاية

صفحة	صفحة
٤٦ - فصل	٢ - جماعة من انبياء بني اسرائيل بعد موسى عليه السلام
٤٧ - قصة زكريا ويحيى عليهما السلام	٢ - قصة حزقييل
٥٣ - بيان سبب قتل يحيى عليه السلام	٤ - قصة اليسع عليه السلام
٥٦ - قصة عيسى بن مريم عليه من الله افضل الصلاة والسلام	٥ - قصة شمويل وفيها بدأ أمر داود عليهما السلام
٦٣ - ميلاد للعبد الرسول عيسى بن مريم البتول	٩ - قصة داود وما كان في أيامه ثم فضائله ودلائل نبوته واعلامه
٧٠ - باب بيان أن الله تعالى منزه عن الولد	١٦ - كمية حياته وكيفية وفاته عليه السلام
٧٥ - منشأ عيسى بن مريم عليهما السلام وبيان بده الوحي اليه من الله تعالى	١٨ - قصة سليمان بن داود عليهما السلام
٧٨ - بيان نزول الكتب الأربعة ومواقبتها	٣٠ - وفاته ومدته ملكه وحياته
٧٨ - بيان شجرة طوبى ما هي	٣٢ - جماعة من أنبياء بني اسرائيل بعد داود وسليمان وقبل زكريا عليهم السلام
٨٦ - خبر المائدة	٣٣ - ومنهم أرميا بن حلقيا من سبط لاوي ابن يعقوب
٨٧ - فصل	٣٤ - خراب بيت المقدس
٩١ - رفع عيسى عليه السلام إلى السماء	٤٠ - شيء من خبر دانيال عليه السلام
٩٦ - صفة عيسى عليه السلام وشماله وفضائله	٤٢ - عمارة بيت المقدس بعد خرابها واجتماع بني اسرائيل بعد تفرقهم في بقاع الارض
١٠١ - فصل	٤٣ - وهذه قصة المزير
١٠١ - بيان بناء بيت لحم والقمامة	
١٠٢ - كتاب أخبار الماضين	
١٠٢ - خبر ذي القرنين	
١٠٧ - بيان طلب ذي القرنين عين الحياة	

صفحة .	صفحة .
١٥٨ - قصة سبأ	١٠٩ - ذكر أمي يأجوج ومأجوج
١٦١ - فصل	١١٣ - قصة أصحاب الكهف
١٦٢ - قصة ربيعة بن نصر بن ابى حارثة بن عمرو بن عامر	١٧ - قصة الرجلين المؤمن والكافر
١٦٣ - قصة تبع أبي كرب مع أهل المدينة	١٢٠ - قصة اصحاب الجنة
١٦٧ - وثوب خنيفة ذي شانر على ملك اليمن	١٢١ - قصة اصحاب إيلة الذين اعتدوا في سبتهم
١٦٨ - خروج الملك باليمن من حمير الى الحبشة والسودان	١٢٣ - قصة لقمان
١٦٩ - خروج أبرهة الأشرم على أرباط فاختلفا	١٢٩ - قصة أصحاب الأخدود
١٧٠ - سبب قصد أبرهة بالفيل مكة ليخرب الكعبة	١٣٢ - بيان الاذن في الرواية عن أخبار بني اسرائيل
١٧٧ - خروج الملك عن الحبشة ورجوعه الى سيف بن ذي يزن	١٣٤ - قصة جريج أحد عبّاد بني اسرائيل
١٨٠ - ما آل اليه أمر الفرس باليمن	١٣٦ - قصة برصيصا
١٨١ - قصة الساطرون صاحب الحضرة	١٣٧ - قصة الثلاثة الذين آووا الى الفار فانطبق عليهم
١٨٣ - خبر ملوك الطوائف	١٢٨ - خبر الثلاثة الأعمى والأبرص والأقرع
١٨٤ - ذكر بني اسماعيل وما كان من أمور الجاهلية الى زمان البعثة	١٣٩ - حديث الذي استلف من صاحبه ألف دينار
١٨٧ - قصة خزاعة وعمرو بن لحي وعبادة العرب للاصنام	١٣٩ - قصة أخرى شبيهة بهذه القصة في الصدق والامانة
١٩٠ - باب جهل العرب	١٤٠ - قصة اخرى
١٩٣ - خبر عدنان جد عرب الحجاز	١٤٠ - حديث اخر
١٩٨ - أصول أنساب عرب الحجاز الى عدنان	١٤٢ - قصة الملكين التائين
٢٠٠ - قریش نسباً و اشتقاقاً وفضلاً وم بنو النصر بن كنانة	١٤٦ - فصل
	١٤٧ - تحريف أهل الكتاب وتبديلهم أديانهم
	١٤٩ - ليس للجنب لمس التوراة
	١٥١ - كتاب الجامع لاخبار الانبياء المتقدمين
	١٥٦ - ذكر أخبار العرب

صفحة	صفحة
٢٦٦ - فصل	٢٠٥ - خبر قصي بن كلاب وارتجاسة ولاية
٢٦٨ - ذكر ارتجاس ايران كسرى	البيت وانتزاعه ذلك من خزاعة
٢٧٢ - حواضنه ومرامضه عليه الصلاة والسلام	٢٠٩ - فصل
٢٧٣ - رضاعه عليه الصلاة والسلام	٢١١ - ذكر من الاحداث في الجاهلية
٢٧٩ - فصل	٢١١ - ذكر جماعة مشهورين في الجاهلية
٢٨١ - فصل	٢١٢ - حاتم الطائي احد اجواد الجاهلية
٢٨٣ - فصل	٢١٧ - شيء من اخبار عبدالله بن جدعان
٢٨٦ - قصة بحيرا	٢١٨ - امرئ القيس بن حجر الكندي صاحب
٢٨٦ - فصل	احدى الملقات
٢٨٩ - ذكر شهوده عليه الصلاة والسلام	٢٢٠ - اخبار امية بن ابي الصلت الثقفي
٢٩٠ - فصل	٢٢٩ - خبر بحيرا الراهب
٢٩٣ - تزويجه خديجة بنت خويلد عليه الصلاة والسلام	٢٣٠ - ذكر قس بن ساعدة الايادي
٢٩٦ - فصل	٢٣٧ - زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه
٢٩٨ - فصل	٢٤٣ - شيء من الحوادث في زمن الفترة -
٣٠٥ - فصل	٢٤٤ - كعب بن لؤي
٣٠٦ - مبعث رسول الله (ص)	٢٤٤ - تجديد حفر زمزم
٣٠٨ - فصل	٢٤٦ - نذر عبد المطلب ذبيح ولده
٣١٦ - ذكر اخبار غريبة في ذلك	٢٤٩ - تزويج عبد المطلب ابنة عبدالله آمنة
٣١٩ - قصة عمرو بن مرة الجهني	بنت وهب الزهرية
٣٢٨ - قصة سيف بن ذي يزن وبشارته بالنبي	٢٥٢ - كتاب سيرة رسول الله (ص) . نسبه
٣٣٢ - باب هواتف الجان	الشريف وطيب اصله المنيف
	٢٥٥ - باب مولد رسول الله (ص)
	٢٦١ - صفة مولده الشريف عليه الصلاة والسلام





